سعيد حوّى

الأساس في السنة وفقهها

المجلد الثاني

القسم الأول

السّيرة النّبويّة

دار السّلام

للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

[illegible]

Dar Al Salam
PRINTING PUBLICATION
& DISTRIBUTION
120 azhar.st fax 2621750
tel 932820 - 2631578



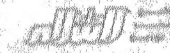
١٢٠ شارع الأزهر فاكس ٢٦٢١٧٥٠
ت : ٩٣٢٨٢٠ ، ٢٦٣١٥٧٨

Dar Al Salam
PRINTING PUBLICATION
& DISTRIBUTION
120 azhar.st fax 2621750
tel 932820 - 2631578



١٢٠ شارع الأزهر فاكس ٢٦٢١٧٥٠
ت : ٩٣٢٨٢٠ ، ٢٦٣١٥٧٨

Dar Al Salam
PRINTING PUBLICATION
& DISTRIBUTION
120 azhar.st fax 2621750
tel 932820 - 2631578



١٢٠ شارع الأزهر فاكس ٢٦٢١٧٥٠
ت : ٩٣٢٨٢٠ ، ٢٦٣١٥٧٨

Dar Al Salam
PRINTING PUBLICATION
& DISTRIBUTION
120 azhar.st fax 2621750
tel 932820 - 2631578



١٢٠ شارع الأزهر فاكس ٢٦٢١٧٥٠
ت : ٩٣٢٨٢٠ ، ٢٦٣١٥٧٨

Dar Al Salam
PRINTING PUBLICATION
& DISTRIBUTION
120 azhar.st fax 2621750
tel 932820 - 2631578



١٢٠ شارع الأزهر فاكس ٢٦٢١٧٥٠
ت : ٩٣٢٨٢٠ ، ٢٦٣١٥٧٨

Dar Al Salam
PRINTING PUBLICATION
& DISTRIBUTION
120 azhar.st fax 2621750
tel 932820 - 2631578

دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع

١٢٠ شارع الأزهر _ ص.ب ١٦١ الغورية
ت: ٩٣٢٨٢٠ _ ٢٧٤١٥٧٨ فاكس ٢٧٤١٧٥٠

الطبعة الثالثة
١٤١٦هـ - ١٩٩٥م

السَّنَة الثَّالِثَة لِلهجْرَة

هذه السنة في سطور

أبرز أحداث هذه السنة غزوة ذي أمر ، وقتل كعب بن الأشرف ، وغزوة بَحْران ، وسريّة زيد بن حارثة ، ووقعة أحد ، ثم غزوة حمراء الأسد ، وفي هذه السنة : تزوّج رسول الله ﷺ حفصة بنتِ عمر ، وزوّج عثمان بن عفان بنته أم كلثوم رضي الله عنها ، أمّا الحياة الدعويّة والتربويّة والتعليميّة والتشريعيّة فهي مستمرّة بشكل دائم ، والملاحظ أنّ حجم القوّة التي خرجت يوم أحد تعدل نحو مثلي القوّة التي خرجت يوم بدر، وصحيح أنّ بعض الصحابة لم يخرج يوم بدر ولكن ما كان الغائبون ليبلغوا هذا المبلغ ، ولمّا كنّا سنعقد ثلاثة فصول عن مقتل كعب بن الأشرف ووقعة أحد وغزوة حمراء الأسد ، بسبب أن قتل كعبَ بن الأشرف يعتبر ظاهرة مهمّة في الحركة العسكريّة ، وبسبب من أنّ وقعة أحد وغزوة حمراء الأسد نزل فيهما قرآنٌ لأهميتهما ؛ لذلك وجرياً على عادتنا سنرسم صورة مختصرة لجريات الأمور في هذه السنة تاركين التوسّع إلى حينه :

* * *

قال صاحب الرحيق المختوم :

غَزْوةُ ذِي أَمَرٍ (بِنَجْدٍ)

وهي أكبر حملة عسكرية قادها رسول الله ﷺ قبل معركة أحد ، قادها في المحرم سنة ٣ هـ . وسببها أن استخبارات المدينة نقلت إلى رسول الله ﷺ أن جمعًا كبيرًا من بني ثعلبة ومحارب (من غطفان) تجمعوا ، يريدون الإغارة على أطراف المدينة ، فندب رسول الله ﷺ المسلمين ، وخرج في أربعمائة وخمسين مقاتلاً ما بين راكب وراجل ، واستخلف على المدينة عثمان بن عفان .

وفي أثناء الطريق قبضوا على رجل يقال له جبار من بني ثعلبة ، فأدخل على رسول الله ﷺ ، فدعاه إلى الإسلام فأسلم ، فضمه إلى بلال ، وصار دليلاً لجيش المسلمين إلى أرض العدو .

وتفرق الأعداء في رءوس الجبال حين سمعوا بقدوم جيش المدينة . أما النبي ﷺ فقد وصل بجيشه إلى مكان تجمعهم ، وهو الماء المسمى « بذي أمر » فأقام هناك صفراً كله - من سنة ٣ هـ - أو قريباً من ذلك ، ليشعر الأعراب بقوة المسلمين ، ويستولي عليهم الرعب والرهبة ، ثم رجع إلى المدينة .

* * *

غزوة بَحران

وهي دورية قتال كبيرة ، قوامها ثلاثمائة مقاتل ، قادها الرسول ﷺ في شهر ربيع الآخر سنة ٣ هـ إلى أرض يقال لها بحران - وهي معدِن بالحجاز في ناحية الفُرُع - فأقام بها شهر ربيع الآخر ثم جمادى الأولى - من السنة الثالثة من الهجرة - ثم رجع إلى المدينة ، ولم يلق حرباً .

* * *

واختلفت المصادر في تعيين سبب هذه الغزوة فقيل : إن استخبارات المدينة نقلت إلى رسول الله ﷺ أن بني سُلَيم يحشدون قوات كبيرة لغزو المدينة أو أطرافها ، وقيل : بل خرج يريد قريشاً ، وهذا الثاني هو الذي ذكره ابن هشام واختاره ابن القيم - حتى لم يذكر الأول رأساً - وهو الموجه ، وذلك لأن ديار بني سليم لم تكن بناحية الفرع ، وإنما هي في نجد بعيدة عن ناحية الفرع .

* * *

سرية زيد بن حارثة (إلى القَرْدَة)

وهي آخر وأنجح دورية للقتال قام بها المسلمون قبل أحد ، وقعت في جمادى الآخرة سنة ٣ هـ .

وتفصيلها أن قريشاً بقيت بعد بدر يساورها القلق والاضطراب ، وجاء الصيف واقترب

موسم رحلتها إلى الشام فأخذها هم آخر .

قال صفوان بن أمية لقريش ـ وهو الذي انتخبته قريش في هذا العام لقيادة تجارتها إلى الشام ـ : إن محمداً وصحبه عَوَّرُوا علينا متجرنا ، فما ندري كيف نصنع بأصحابه ، وهم لا يبْرَحُون الساحل ؟ وأهل الساحل قد وادَعَهُم ودخل عامَّتُهم معَهُ ، فَمَا نَدْرِي أين نسلك ؟ وإن أقمْنا في دَارنا هذه أكلنا رءوس أموالنا فلم يكن لها من بقاء . وإنما حياتنا بمكة على التجارة إلى الشام في الصيف ، وإلى الحبشة في الشتاء .

ودارت المناقشة حول هذا الموضوع . فقال الأسود بن عبد المطلب لصفوان : تنكب الطريق على الساحلِ وخذ طريق العراق ـ وهي طريق طويلة جداً تخترق نجداً إلى الشام ، وتمر في شرقي المدينة على بعد كبير منها ، وكانت قريش تجهل هذه الطريق كل الجهل ـ فأشار الأسود بن عبد المطلب على صفوان أن يتخذ فرات بن حيان ـ من بني بكر بن وائل ـ دليلاً له ، يكون رائده في هذه الرحلة .

وخرجت عير قريش يقودها صفوان بن أمية ، آخذة الطريق الجديدة ، إلا أن أنباء هذه القافلة وخطة سيرها طارت إلى المدينة ، وذلك أن سليط بن النعمان ـ وكان قد أسلم ـ اجتمع في مجلس شرب ـ وذلك قبل تحريم الخمر ـ مع نعيم بن مسعود الأشجعي ـ ولم يكن أسلم إذ ذاك ـ فلما أخذت الخمر من نعيم تحدث بالتفصيل عن العير وخطة سيرها ، فأسرع سليط إلى النبي ﷺ يروي له القصة .

وجهز رسول الله ﷺ لوقته حملة قوامها مائة راكب في قيادة زيد بن حارثة الكلبي ، وأسرع زيد حتى دهَمَ القافلة بغتةً ـ على حين غِرَّة ـ وهي تنزل على ماء في أرض نجد يقال له قَرْدَة ـ بالفتح فالسكون ـ فاستولى عليها كلها ولم يكن من صفوان ومن معه من حرس القافلة إلا الفرار بدون أي مقاومة .

وأسر المسلمون دليل القافلة ـ فرات بن حيان ، وقيل : ورجلين غيره ـ وحملوا غنيمة كبيرة من الأواني والفضة كانت تحملها القافلة ، قدرت قيمتها بمائة ألف .

وقسم رسول الله ﷺ هذه الغنيمة على أفراد السرية بعد أخذ الخمس ، وأسلم فرات بن

حيان على يديه ﷺ . ا . هـ .

وفي ٧ شوال من السنة الثالثة للهجرة حدثت وقعة أحد ، وكان فيها ما كان وفي الثامن من شوال سار رسول الله ﷺ إلى حمراء الأسد فكانت حركته هذه غسلاً لآثار أحد وتحويلا للموقف .

هذه هي أهم أحداث السنة الثالثة العسكرية .

* * *

والملاحظ أنّه من بدر حتّى أحد كان الخط البياني للانتصارات العسكريّة في تصاعد ونتيجة لذلك فإن هيبة الرسول ﷺ العسكرية بلغت كل مبلغ . لقد سيطر على الطريق إلى الشام ، ثم سيطر على طريق الشام عبر طريق العراق ، وأحكم الحصار الاقتصادي على قريش ، وكان ذروة هذا الإحكام عندما استطاع زيد بن حارثة أن يستولي على قافلة قريش التجارية السائرة إلى الشام عبر طريق العراق ، ثم إن سراياه وغزواته عليه الصلاة والسلام صارت تذهب بعيداً عن المدينة المنورة ونحو كل الاتجاهات تقريباً ، وبهذا قطع الطريق على أي تفكير داخلي بالتمرد أو خارجي بالغزو إلا إذا كان غزواً منظماً كبيراً وهذا الذي حدث يوم أحد ، ولقد وصل رسول الله ﷺ إلى هذا كله بأقل الخسائر وبأسهل طريق ، فلقد كان يفوّت على خصومه أهدافهم ولمّا يبدأوا التحضير لها فما يكاد يسمع أن تعبئة تعدّ حتّى يعبّيء ويسارع ويضرب ، وما يكاد يحس بخطر أحد إلا ويسارع بتصفيته كما فعل بكعب ، وكثيراً ما كان يصيب أكثر من عصفور بحجر واحد ؛ فلقد أحبط بمقتل كعب ما كان يمكن أن يفعله كعب لصالح قريش يوم أحد ، وأجبر كل من في دائرة المدينة على الموادعة ، ولو أنك جمعت خسائرالمسلمين حتى وقعة أحد فإنك تجدها أفراداً ، بينما تجد خسائر الآخرين أكبر من ذلك بكثير .

إنك عندما تدرس مبادئ الحرب من مفاجأة إلى مبادأة إلى اقتصاد بالقوات فإنك لا تجدها على كمالها وتمامها كما تجدها عند رسول الله ﷺ ، بل إن كثيراً من القادة العظام ينجحون في وضع ويفشلون في وضع آخر ، وقد يفقدون السيطرة على أمور إذا لم تجر على

ضوء توقّعاتهم ، أمّا رسول الله ﷺ فإنك تجده يواجه كل الأوضاع على أكمل ما يكون ، فلقد خطّط يوم أحد أعظم تخطيط وأجوده ، ولما أفسد عليه تخطيطه من خالفوه قاد المعركة كأرقى ما تكون القيادة ثم غسل الكثير من آثار أحد بعمليّة خاطفة .

وإلى الفصول الثلاثة التي تحتاج إلى التفصيل :

الفصل الأول : في قتل كعب بن الأشرف .

الفصل الثاني : في غزوة أحد .

الفصل الثالث : في غزوة حمراء الأسد .

ثم نختم الحديث عن السنة الثالثة بذكر حواشٍ على غزوتي أحد وحمراء الأسد ، وبذكر تقييم عام للموقف في نهاية السنة الثالثة .

* * *

فصل : في قتل كعب بن الأشرف في ربيع الأول من السنة الثالثة

قال ابن حجر : قال ابن إسحاق وغيره : كان عربياً من بني نبهان وهم بطن من طيء ، وكان أبوه أصاب دماً في الجاهلية فأتى المدينة فحالف بني النضير فشرف فيهم ، وتزوج عقيلة بنت أبي الحقيق فولدت له كعباً ، وكان طويلاً جسيماً ذا بطن وهامة ، وهجا المسلمين بعد وقعة بدر ، وخرج إلى مكة فنزل على ابن أبي وداعة السهمي والد المطلب . فهجاه حسان وهجا امرأته عاتكة بنت أسيد بن أبي العيص بن أمية فطردته ، فرجع كعب إلى المدينة وتشبب بنساء المسلمين حتى آذاهم ، وروى أبو داود والترمذي من طريق الزهري عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه (إن كعب بن الأشرف كان شاعراً ، وكان يهجو رسول الله ﷺ ويحرض عليه كفار قريش ، وكان النبي ﷺ قدم المدينة وأهلها أخلاط . فأراد رسول الله ﷺ استصلاحهم ، وكان اليهود والمشركون يؤذون المسلمين أشد الأذى ، فأمر الله رسوله والمسلمين بالصبر . فلما أبى كعب أن ينزع عن أذاه أمر رسول الله ﷺ سعد بن معاذ أن يبعث رهطاً ليقتلوه . وذكر ابن سعد أن قتله كان في ربيع الأول من السنة الثالثة . أ.هـ

٣٥٨ - * روى مسلم عن جَابر بن عَبْد الله رَضي الله عَنْهما قَالَ : قَالَ رَسُول الله ﷺ : « مَن لِكَعْبِ بن الأشرف ، فَإِنَّه قَدْ آذى الله ورَسولَهُ ؟ » فَقَال مُحمدُ بنُ مسلمة : يارسول الله أتُحبُّ أن أقتله ؟ قَال : «نعم» قَال : ائذن لي فَلأَقُل ، قال : « قُلْ » ، قال : فأتاه ، فقال له ، وذكر ما بينهما ، وقال : إن هذا الرجل قد أراد صدقة ، وَقَدْ عَنَّانا ، فلما سَمِعَهُ قَالَ : وأيضاً والله لَتَمَلُّنَّه، قَالَ : إنَّا قد اتَّبعناه الآنَ ، وَنَكْرهُ أنْ نَدعَهُ، حتَّى ننظر إلى أي شَيءٍيصير أمرهُ ؟ قال : وقد أردت أن تُسْلِفَني سَلَفاً ، قَال : فَمَا تَرهَنُني ؟ قال : مَا تُريد ، قال : ترْهَنُني نَساءكم ؟ قَال : أنت أَجملُ العَرب ، أنرْهَنُك نِساءنا ؟ قَال لَه : ترهنوني أولاَدَكُم ؟ قال : يَسبُّ ابنَ أَحَدنَا ، فيقال : رُهن في وسقين من تَمْرٍ ، وَلَكن

---

٣٥٨ - مسلم (٣ / ١٤٢٥) - ٣٢ - كتاب الجهاد والسير - ٤٢ - باب : قتل كعب بن الأشرف طاغوت اليهود .

وَسْقاً : الوسْق مفتوح الواو : ستون صاعاً .

نَرهَنُك اللّأمَةَ ـ يعني : السّلاحَ ـ قَالَ : فَنَعَمْ ، وَوَاعَدهُ أن يأتيه بالحارث ، وأبي عَبس بن جَبْرٍ ، وعَبّادِ بن بِشر ، قَال : فَجَاؤوا ، فَدَعَوه لَيْلاً ، فَنَزَل إليهم ، قَال سفيان : قال غيرُ عَمرو ، قَالت لَهُ امْرأتُه : إني لأَسْمَعُ صَوْتاً كأنه صَوْتُ دمٍ ، قَال : إنما هذا محمدُ بن مسلمة ورضيعهُ وأبو نَائلة ، إن الكريم لو دُعي إلى طَعنة ليلاً لأجاب ، قال محمدٌ : إني إذا جاء فَسَوف أمدُّ يدي إلى رأسِهِ ، فإذا استمكنتُ منه فدُونَكم ، قال : فَلَما نَزل ، نَزَل وَهو متَوشّح ، فقالوا : نجدُ منك ريح الطِّيب ؟ قال : نعم ، تحتي فلانةٌ ، هي أعْطَرُ نساء العرب ، قَال : فَتأذَن لي أن أشُمَّ منه ؟ قال : نعم ، فشمَّ ، فتناول فشَمَّ ، ثم قال : أَتأذن لي أنْ أعودَ ؟ قال فاستمكن من رأسه ، ثم قال : دُونَكُم ، قال : فقتلوه .

٣٥٩ ـ * وروى البخاري نحوه ، وفيه : قد أردنا أن تُسلِفَنَا وسْقاً أو وسْقَيْن وحدَّثنا عمروُ بنُ دينار غير مَرةٍ ، فلم يذكُرْ وَسْقاً أو وَسْقَينِ ، فقلت له : فيه وَسْقاً أو وَسْقين ؟ فَقَال : أرى فيه وَسْقاً أو وسْقَينِ . وفيه : فيُسبُّ أحَدُهم ، فيقال : رُهن بوسْقٍ أو وسقين ، هَذَا عارٌ علينا ، وفيه فَواعَده أنْ يأتيهُ ، فجاءه ليلاً ، ومعه أبو نائلة ، وهو أخو كعبٍ من الرضاعة ، وفيه : ولو وجداني نائماً ما أنبهاني ، وقال ، إن الكريم لَو دُعي إلى طَعنةٍ بالليل لأجاب . وَفيه : قال لهما : إذا ما جاء ، فإني قائل بشَعره ، فأشَمُّه ، فإذا رأيْتموني اسْتَمْكَنتُ من رأسه ، فدونكم فاضربوه ـ وقال مرة : أشَم ثم أُشِمُّكم ـ فنزل إليهم مُتَوَشّحاً ، وهو يَنْفَحُ منه ريحُ الطّيب ، فقال : ما رأيتُ كاليوم ريحاً ـ أي أطيب ـ قال كَعْبٌ : وكَيفَ لاَ ؟ وعندي أعْطَرُ نساء العَرَب ، وأجمل العَرَب ، وقال في آخره : ثم أتَوا النبيَّ ﷺ ، فأخْبرُوه . وفيه : فجاء محمد بن مسلمة معهُ برجلين . قيل لسفيان : سَماهم عمرو ؟ قال : سَمَّى بعضَهم ، وقال غيرُ عمرو : أبو عَبسٍ بن جَبْر ، والحارث بن أوسٍ ، وعبّادُ بن بِشْرٍ .

= اللامة : مخففة : الدرع ، وجمعها لأمٌ ، وقيل : هي آلة الحرب .

مُتَوشح : التوشّح بالرداء : هو أن تجعلَه كالوشاح ، وهو شيء مضفور من سيور مرصع ، تجعله المرأة على خصرها ، فإذا جُعل الرداء في ذلك الموضع كان متوشّحاً به .

٣٥٩ ـ البخاري (٧ / ٣٣٦) ، ٦٤ ـ كتاب المغازي ـ ١٥ ـ باب : قتل كعب بن الأشرف .

نَفَح : الطّيبُ : إذا فاحت رائحته ، وكذلك نضح طيباً ، أي : فاح ، وأصله من العرَق ، أي : عرق ففاحت ريحه .

قال صاحب الرحيق المختوم : كان كعب بن الأشرف من أشد اليهود حنقاً على الإسلام والمسلمين ، وإيذاء لرسول الله ﷺ . وتظاهراً بالدعوة إلى حربه .

كان من قبيلة طيء ـ من بني نبهان ـ وأمه من بني النضير ، وكان غنياً مترفاً معروفاً بجماله في العرب ، شاعراً من شعرائها . وكان حصنه في شرق جنوب المدينة في خلفيات ديار بني النضير .

ولما بلغه أول خبر عن انتصار المسلمين ، وقتل صناديد قريش في بدر قال : أحق هذا ؟ هؤلاء أشراف العرب ، وملوك الناس ، والله إن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لَبَطْنُ الأرض خير من ظهرها .

ولما تأكد لديه الخبر ، انبعث عدو الله يهجو رسول الله ﷺ والمسلمين ، ويمدح عدوهم ، ويحرضهم عليهم ، ولم يرضَ بهذا القدر حتى ركب إلى قريش فنزل على المطلب بن أبي وداعة السَّهْمي ، وجعل ينشد الأشعار يبكي فيها على أصحاب القليب من قتلى المشركين ، يثير بذلك حفائِظَهُم ، ويُذْكي حقدهم على النبي ﷺ ، ويدعوهم إلى حربه ، وعندما كان بمكة سأله أبو سفيان والمشركون : أديننا أحب إليك أم دين محمد وأصحابه ؟ وأي الفريقين أهدى سبيلاً ؟ فقال : أنتم أهدى منهم سبيلاً ، وأفضل ، وفي ذلك أنزل الله تعالى :

﴿ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً ﴾ (١) .

ثم رجع كعب إلى المدينة على تلك الحال ، وأخذ يشبب في أشعاره بنساء الصحابة ، ويؤذيهم بسلاطة لسانه أشد الإيذاء .

وحينئذ قال رسول الله ﷺ : « من لِكَعْب بن الأشْرَف ؟ فإنَّه آذى الله ، ورسوله » ، فانتدب له محمد بن مَسْلمة ، وعَبَّاد بن بِشْر ، وأبو نائلَة ـ واسمه سِلكانُ بن سَلاَّمة ، وهو أخو كَعْبٍ من الرضَاعَة ـ والحارِث بن أوْسٍ ، وأبو عبس بن جبر ، وكان قائد هذه المفرزة محمد ابن مسلمة . ا هـ .

---

(١) النساء : ٥١ .

قال صاحب الفتح : قوله (آذى الله ورسوله) في رواية محمد بن محمود بن محمد بن مسلمة عن جابر عند الحاكم في الإكليل « فقد آذاناه بشعره وقوى المشركين » وأخرج ابن عائذ من طريق الكلبي أن كعب بن الأشرف قدم على مشركي قريش فخالفهم عند أستار الكعبة على قتال المسلمين ، ومن طريق أبي الأسود عن عروة (أنه كان يهجو النبي ﷺ والمسلمين ويحرض قريشاً عليهم ، وأنه لما قدم على قريش قالوا له : أديننا أهدى أم دين محمد ؟ قال : دينكم . فقال النبي ﷺ : « من لنا بابن الأشرف فإنه قد استعلن بعداوتنا »اهـ.

أقول : هذه هي الأسباب التي أدّت للحكم عليه بالقتل ، وعلى كل الأحوال فهو : إما محارب فدمه هدر وإما معاهد فقد نقض بهذا عهده .

قال في الفتح : قوله : (فقام محمد بن مسلمة فقال : يارسول الله أتحب أن أقتله) ؟ في مرسل عكرمة (فقال محمد بن مسلمة هو خالي) . قوله : (قال نعم) في رواية محمد بن محمود (فقال أنت له) وفي رواية ابن إسحاق (قال فافعل إن قدرت على ذلك) وفي رواية عروة (فسكت رسول الله ﷺ ، فقال محمد بن مسلمة : أقر صامتاً) ومثله عند سمويه في فوائده ، فإن ثبت احتمل أن يكون سكت أولاً ثم أذن له ، فإن في رواية عروة أيضاً أنه قال له : (إن كنت فاعلاً فلا تعجل حتى تشاور سعد بن معاذ ، قال فشاوره فقال له : توجه إليه واشك إليه الحاجة ، وسله أن يسلفكم طعاماً) قوله (فائذن لي أن أقول شيئاً ، قال : قل) كأنه استأذنه أن يفتعل شيئاً يحتال به ، ومن ثم بوب عليه المصنف : (الكذب في الحرب) وقد ظهر من سياق ابن سعد للقصة أنهم استأذنوا أن يشكوا منه ويعيبوا رأيه ، ولفظه : (فقال له : كان قدوم هذا الرجل علينا من البلاء ، حاربتنا العرب ، ورمتنا عن قوس واحدة) وعند ابن إسحاق بإسناد حسن عن ابن عباس (أن النبي ﷺ مشى معهم إلى بقيع الغرقد ثم وجههم فقال : انطلقوا على اسم الله ، اللهم أعنهم) . قوله : (إن هذا الرجل) يعني النبي ﷺ . قوله : (قد سألنا صدقة) في رواية الواقدي (سألنا الصدقة ، ونحن لا نجد ما نأكل) وفي مرسل عكرمة (فقالوا : ياأبا سعيد ، إن نبينا أراد منا الصدقة ، وليس لنا مال نصدقه) . قوله : (قد عنانا) بالمهملة وتشديد النون الأولى من العناء وهو التعب . قوله : (قال وأيضاً) أي وزيادة على ذلك ، وقد فسره بعد ذلك

قولـه : (والله لتملنـه) بفتح المثنـاة والميم وتشـديـد اللام والنون من الملال ، وعنـد الواقـدي (إن كعباً قال لأبي نائلة : أخبرني ما في نفسك ، ما الذي تريدون في أمره ؟ قال : خذلانه والتخلي عنه ، قال : سررتني) . قوله : (وقد أردنا أن تسلفنـا وسقـاً أو وسقين ، وحـدثنـا عمرو غير مرة فلم يذكر وسْقاً أو سقين) قائل ذلك على بن المديني ، ولم يقع ذلك في روايـة الحميدي ، ووقع في رواية عروة (وأحب أن تسلفنا طعامـا . قـال : أين طعـامكم ؟ قـالوا : أنفقنـاه على هـذا الرجـل وعلى أصحـابه . قـال : ألم يـأن لكم أن تعرفـوا مـا أنتم عليـه من الباطل) . (تنبيه) : وقع في هذا الرواية الصحيحة أن الذي خاطب كعباً بذلـك هو محمـد ابن مسلمة ، والذي عند ابن إسحاق وغيره من أهل المغازي أنه أبو نائلة ، وأومأ الـدميـاطي إلى ترجيحه ، ويحتمل أن يكون كل منهما كلمه في ذلك ، لأن أبا نائلة أخوه من الرضـاعـة ، ومحمد بن مسلمة ابن أختـه . وفي مرسل عكرمـة في الكل بصيغـة الجمع (قـالوا) ، وفي مرسل عكرمة (وائذن لنا أن نصيب منك فيطمئن إلينا ، قال : قولوا ماشئتم) وعنده (أمـا مـالي فليس عندي اليوم ، ولكن عندي التمر) وذكر ابن عائـذ أن سعـد بـن معـاذ بعث محمـداً ابن أخيه الحـارث بن أوس بن معـاذ . قولـه : (أرهنوني) أي ادفعوا لي شيئـاً يكون رهنـاً على التمر الذي تريدونه . قوله : (وأنت أجمل العرب) لعلهم قالوا له ذلك تهكمـاً ، وإن كان هو في نفسه كان جميلاً . زاد ابن سعد من مرسل عكرمة (ولا نـأمنـك ، وأي امرأة تمتنع منـك لجمالك) وفي المرسل الآخر الذي أشرت إليـه (وأنت رجل حُسّـان تعجب النسـاء) وحسـان بضم الحاء وتشديد السين المهملتين .

قولـه (دونكم فقتلوه ، ثم أتـوا النبي ﷺ فـأخبروه) في روايـة عروة (وضربـه محمـد بن مسلمـة فقتلـه وأصـاب ذبـاب السيف الحـارث بن أوس ، وأقبلوا حتى إذا كانوا بجرف بعـاث تخلف الحارث ونزف ، فلما افتقـده أصحـابـه رجعوا فـاحتملوه ، ثم أقبلوا سراعـاً حتى دخلوا المدينـة) وفي روايـة الواقـدي (إن النبي ﷺ تفل على جرح الحـارث بن أوس فلم يؤذه) . وفي مرسل عكرمة (فبزق فيها ثم ألصقهـا فـالتحمت) وفي روايـة ابن الكلبي (فضربوه حتى برد ، وصاح عند أول ضربة ، واجتمعت اليهود فـأخـذوا على غير طريق أصحـاب رسول الله ﷺ ففاتوهم) وفي رواية ابن سعد (أن محمد بن مسلمة لما أخذ بقرون شعره قال لأصحابـه :

اقتلوا عدو الله ، فضربوه بأسيافهم ، فالتفت عليه فلم تغن شيئاً . قال محمد : فذكرت مِغْوَلاً [١] كان في سيفي فوضعته في سرته ، ثم تحاملت عليه فغطّطته حتى انتهى إلى عانته ، فصاح وصاحت امرأته : يا آل قريظة والنضير مرتين) . قوله : (فأخبروه) في رواية عروة (فأخبروا النبي ﷺ ، فحمد الله تعالى) وفي رواية ابن سعد (فلما بلغوا بقيع الغرقد كبروا ، وقد قام رسول الله ﷺ تلك الليلة يصلي ، فلما سمع تكبيرهم كبر ، وعرف أن قد قتلوه ، ثم انتهوا إليه فقال : أفلحت الوجوه ، فقالوا : ووجهك يارسول الله ، ورموا رأسه بين يديه ، فحمد الله على قتله ، وفي مرسل عكرمة (فأصبحت يهود مذعورين ، فأتوا النبي ﷺ فقالوا : قتل سيدنا غيلة ، فذكرهم النبي ﷺ صنيعه وما كان يحرض عليه ويؤذي المسلمين) زاد ابن سعد (فخافوا فلم ينطقوا) . قال السهيلي : في قصه كعب بن الأشرف قتل المعاهد إذا سب الشارع ، خلافاً لأبي حنيفة . قلت : وفيه نظر ، وصنيع المصنف في الجهاد يعطي أن كعباً كان محارباً حيث ترجم لهذا الحديث « الفتك بأهل الحرب » وترجم له أيضاً « الكذب في الحرب » وفيه جواز قتل المشرك بغير دعوة إذا كانت الدعوة العامة قد بلغته ، وفيه جواز الكلام الذي يحتاج إليه في الحرب ولو لم يقصد قائله إلى حقيقته اهـ.

٣٦٠ - * روى أبو داود عن كعب بن مالك رضي الله عنه وكان كَعبُ بنُ الأشرفِ ، يَهْجُو رسولَ اللهِ ﷺ ، ويُحرِّضُ عليه كُفَّارَ قُريشٍ ، وكان رسول الله ﷺ حين قَدِمَ المدينةَ وأهلُها أخلاطٌ ، منهم المسلمونَ ، والمشْركُون يَعْبدون الأوثانَ ، واليهودُ وكانوا يُؤْذُون رسول الله ﷺ وأصحابه ، فأمر الله عَزَّ وَجَل نبيَّه بالصَّبْرِ والعفو ، فَفيهم أنزل الله ﴿ ولتَسْمَعُن مِنَ الَّذين أُوتوا الكتَابَ مِنْ قَبْلكم وَمن الَّذين أشركُوا أذى كَثيراً ﴾ [٢] فأبى كَعْبُ بنُ الأشرَف أن يَنْزِعَ عَن أذى النبي ﷺ ، فأمر رسول الله ﷺ سعْدَ بن مُعاذٍ أن

---

(١) مِغْوَلاً : شبه خنجر أو السكين التي تكون في السوط .

٣٦٠ - أبو داود (٣ / ١٥٤) ، كتاب الخراج والإمارة والفيء ، باب : كيف كان إخراج اليهود من المدينة ، ورجاله ثقات .

طَرق : طرقتُ الرجل : إذا أتيتُه ليلاً .

(٢) آل عمران ، الآية (١٨٦) .

يبعث رهطاً يقتلونـه فبعث مُحمـدَ بنَ مَسْلَمـةَ ـ وذكر قصـة قتلـه ـ فَلَمّا قتلوه فَزعت اليهودُ والمشركونَ ، فَغَدَوا على رَسُولِ الله ﷺ ، فقـالوا : طُرِق صـاحبُنـا فقتل ، فـذكر لهم رسول الله ﷺ الذي كان يقولُ ، ودعاهم إلى أن يكتُب بينه وبينهم كتاباً ، ينتهون إلى مـا فيـه ، فكتب النبي ﷺ بينه وبينهم وبَيْن المسلمين عَامةً صَحيفَةً .

قـال صـاحب الرحيق المختوم : وفي ليلـة مقمرة ـ ليلـة الرابع عشر من شهر ربيع الأول سنة ٣ هـ ، اجتمعت هـذه المفرزة إلى رسول الله ﷺ ، فشيعهم إلى بقيع الغرقـد ، ثم وجههم قائلاً : انطلقوا على اسم الله ، اللهم أعنهم ، ثم رجع إلى بيته ، وطفق يصلي ويناجي ربه .

ولقد نجحت المجموعة بقتل كعب بن الأشرف .

ورجعت المفرزة وقد أصيب الحارث بن أوس بذباب بعض سيوف أصحابـه فجُرِح ونزف الـدم ، فلمـا بلغت المفرزة حَرَّة العُرَيْض ، رأت أن الحـارث ليس معهم فوقفت سـاعـة حتى أتـاهم يتبـع آثـارهم ، فـاحتملـوه حتى إذا بلغـوا بقيـع الغرقـد كبروا وسمـع رسـول الله ﷺ تكبيرهم ، فعرف أنهم قـد قتلوه ، فكبر ، فلمـا انتهوا إليـه قـال : أفلحت الوجـوه ، قـالـوا : ووجهك يارسول الله . ورموا برأس الطاغية بين يـديـه ، فحمـد الله على قتلـه ، وتفل على جرح الحارث فبرأ ، ولم يؤذ بعده . ا هـ

دروس من قتل كعب بن الأشرف

١ ـ بهذه العمليّة حقّق رسول الله ﷺ أهدافاً :

أ ـ قطع الطريق على أمثال كعب أن يفعلوا فعله .

ب ـ أجبر اليهود على أن يجددوا عهداً أو يكتبوا عهداً جديداً وبذلك أكّد وحدة المجتمع المدني .

جـ ـ قطع الطريق على أي تعاون بين الداخل والخارج .

د ـ أكّد سيادته على دائرة دولته عليه الصلاة والسلام .

٢ ـ قوله في رواية أبي داود (فكتب بينه وبينهم وبين المسلمين عامّة صحيفة) يقطع أنّ وثيقة دستوريّة بين المسلمين واليهود كانت موجودة ، ولكن هذه الصحيفة المذكورة ههنا هل هي الصحيفة التي ذكرها ابن إسحاق في أحداث السنة الأولى ؟ أم هذه الصحيفة تأكيد للصحيفة الأولى ؟ أو هي مع اليهود الذين لم يدخلوا في الصحيفة الأولى .

٣ ـ هناك جدل كبير في هذا العالم يدور حول فكرة الاغتيال السياسي ؟ حول جدواها وحول مشروعيّتها والذي أقوله ههنا هو ماكرّرته دائماً العبرة للفتوى الصحيحة من أهلها ثم الشورى والمصلحة ، فحيثما جاز القتل وكانت مصلحة المسلمين فيه فليكن ، ولكنّ معرفة المصلحة ليست سهلة في عصرنا حيث تتشابك المصالح ، وحيث للرأي العام العالمي دوره الكبير في قرارات الدول ، وحيث احتمالات توسّع الأضرار .

٤ ـ أهمّ ما في حادثة قتل ابن الأشرف إجازة الرسول ﷺ لقاتليه أن يقولوا ، ولقد قالوا كلاماً هو في الأحوال العاديّة كفر ، ومن ههنا تعرف أنّه من أجل تحقيق المهام العسكريّة فلا حدود للكلام الذي يقال ، ولكن تأتي هنا مسألة أخرى وهي ما إذا كان النجاح في المهام العسكريّة يقتضي أفعالاً لاتجوز أو يقتضي ترك فرائض فما العمل ؟ المعروف أنه ليس أفظع من الكفر فإذا جاز التظاهر بالكفر لذلك فمن باب أولى جواز غيره ، على أن يتأكد طريقاً للوصول إلى الهدف أو يغلب على الظنّ ذلك ، وعلى أن يقتصر فيه عل الحدّ الذي لابدّ منه ، سواء كانت الوسيلة تأخير فريضة أو ارتكاب محظور ، على أنّ هذا وهذا مقيّدان بالفتوى فهناك محظورات لايصحّ فعلها بحال . كالزنا واللواط .

٥ ـ بعض جيوش البلدان الكافرة تحظر على المسلم أن يصلّي ، أو أنّهم في الظاهر لايحظرون ولكنهم لو وجدوه يفعل فإنهم يفصلونه أو يتربّصون به ليقتلوه ،وإذا وجدوه يتعفّف عن معان جعلوه ضمن دائرة الرصد ، فهل له رخصة في بعض الأمور ؟ وما هي حدود هذه الرخصة ؟ هذا شيء يقدره أهل الفتوى المؤهلون لأن يفتوا في مثل هذه الأمور .

٦ - من حادثة كعب وأمثالها ومن نصوص الشريعة وروحها وقواعدها نستخرج القاعدة التالية :

أنه متى وجدت ظروف استثنائية أو حالات اضطرارية ومتى انتقل الدعاة إلى العمل السياسي والعسكري ، فإنهم سيدخلون بذلك باب الموازنات والفتاوى الاستثنائية التي لا يستطيعها كل إنسان . ومن هنا جاءت الحاجة إلى المجتهدين والمفتين ، وكما قال سفيان الثوري : (العلم رخصة من ثقة وأما التشدد فيعرفه كل الناس) ، فالأحكام الأصلية ليست مجهولة ، وإنما الأحكام الاستثنائية التي تقتضيها الظروف الاستثنائية هي التي تحتاجها الحركة اليومية .

* * *

فصل : في غزوة أحد

وسنذكر في هذا الفصل عرضاً عاماً بين يدي النصوص ثم نذكر النصوص على فقرات :

١ ـ بين يدي الالتحام .

٢ ـ الالتحام .

٣ ـ في أعقاب المعركة .

٤ ـ عبر أحد وبعض دروسها .

٥ ـ فقهيّات .

* * *

عرض عام

حدثت هذه الغزوة في ٧ شوّال في رأي ابن القيّم ، وفي ١٥ شوّال عند ابن إسحاق .

قال ابن كثير : سمي أحد أحداً لتوحده من بين تلك الجبال ، وفي الصحيح « أحد جبل يحبنا ونحبه » [١] قيل معناه أهله ، وقيل لأنه كان يبشره بقرب أهله إذا رجع من سفره كما يفعل المحب ، وقيل على ظاهره كقوله : ﴿ **وإنّ منها لما يهبط من خشية الله** ﴾ [٢] .

قال ابن حجر : قوله : (هذا جبل يحبنا ونحبه) ظهر من الرواية التي بعدها أنه ﷺ قال ذلك لما رآه في حال رجوعه من الحج . ووقع في رواية أبي حميد أنه قال لهم ذلك لما رجع من تبوك وأشرف على المدينة قال : « هذه طابة » فلما رأى أحداً قال : « هذا جبل يحبنا ونحبه » فكأنه ﷺ تكرر منه ذلك القول . وللعلماء في معنى ذلك أقوال : أحدها : أنه على حذف مضاف والتقدير أهل أحد ، والمراد بهم الأنصار لأنهم جيرانه . ثانيها : أنه قال ذلك للمسرة بلسان الحال إذا قدم من سفر لقربه من أهله ولقياهم ، وذلك فعل من يحب بمن يحب ثالثها : أن الحب من الجانبين على حقيقته وظاهره لكون أحد من جبال الجنة كما ثبت في حديث أبي عبس بن جبر مرفوعاً « جبل أحد يحبنا ونحبه وهو من جبال الجنة » أخرجه أحمد . ولا مانع في جانب البلد من إمكان المحبة منه كما جاز التسبيح منها ، وقد خاطبه ﷺ مخاطبة من يعقل فقال لما اضطرب « اسكن أحد » الحديث . وقال السهيلي : كان صلى الله عليه وسلم يحب الفأل الحسن والاسم الحسن ، ولا اسم أحسن من اسم مشتق من الأحدية . قال : ومع كونه مشتقاً من الأحدية فحركات حروفه الرفع ، وذلك يشعر بارتفاع دين الأحد وعلوه ، فتعلق الحب من النبي ﷺ به لفظاً ومعنى فَخُصَّ من بين الجبال بذلك ، والله أعلم .أ.هـ

أقول : من الحكم في ذكر محبّة رسول الله ﷺ لجبل أحد نفي التشاؤم بأحد بعد ما

---

(١) البخاري (٦ / ٨٣) ٥٦ ـ كتاب الجهاد ـ ٧١ ـ باب : فضل الخدمة في الغزو ، عن أنس بن مالك .
ومسلم (٢ / ٩٩٣) ١٥ ـ كتاب الحج ـ ٨٥ ـ باب : فضل المدينة ، ودعاء النبي ﷺ فيها بالبركة ، وبيان تحريمها وتحريم صيدها وشجرها ، وبيان حدود حرمها ، عن أنس بن مالك .

(٢) البقرة : ٧٤ .

حدث عنده ما حدث ومن أجل ذلك قدمّنا هذين النقلين ههنا بين يدي العرض العام ولنبدأ العرض :

قال المباركفوري : على إثر غزوة بدر اتفقت قريش على أن تقوم بحرب شاملة ضد المسلمين تشفي غيظَها وتروي غِلَّةَ حقدها ، وأخذت في الاستعداد للخوض في مثل هذه المعركة وكان عِكرمة بنُ أبي جهل ، وصفوان بن أمية ، وأبو سفيان بن حرب ، وعبد الله بن أبي ربيعة أكثر زعماء قريش نشاطاً وتحمساً لخوض المعركة ، وأول ما فعلوه بهذا الصدد أنهم احتجزوا العير التي كان قد نجا بها أبو سفيان والتي كانت سبباً لمعركة بدر ، ثم فتحوا باب التطوع لكل من أحب المساهمة في غزو المسلمين من الأحابيش وكنانة وأهل تهامة .

ولما استدارت السنة كانت مكة قد استكملت عُدتها ، واجتمع إليها من المشركين ثلاثة آلاف مقاتل من قريش والحلفاء والأحابيش ، ورأى قادة قريش أن يستصحبوا معهم النساء حتى يكون ذلك أبلغ في استماتة الرجال دون أن تصاب حرماتهم وأعراضهم ، وكان عدد هذه النسوة خمس عشرة امرأة .

وكان سلاح النقليات في هذا الجيش ثلاثة آلاف بعير ، ومن سلاح الفرسان مائتا فرس ، جَنَّبُوها [1] طول الطريق وكان من سلاح الوقاية سبعمائة درع ، وكانت القيادة العامة إلى أبي سفيان بن حرب ، وقيادة الفرسان إلى خالد بن الوليد يعاونه عكرمة بن أبي جهل ، أما اللواء فكان إلى بني عبد الدار ، تحرك الجيش المكي بعد هذا الإعداد التام نحو المدينة ، وكانت التارات القديمة والغيظ الكامن يشعل البغضاء في القلوب ، ويشف عما سوف يقع من قتال مرير .

وكان العباس بن عبد المطلب يرقب حركات قريش واستعداداتها العسكرية ، فلما تحرك هذا الجيش بعث العباس رسالة مستعجلة إلى النبي ﷺ ضمنها جميع تفاصيل الجيش .

وأسرع رسول العباس بإبلاغ الرسالة ، وجدَّ في السير حتى إنه قطع الطريق بين مكة

---

(١) جنّبُوها : قادوها إلى جنوبهم ولم يركبوها .

والمدينة ـ التي تبلغ مسافتها إلى خمسمائة كيلو متراً ـ في ثلاثة أيام ، وسلم الرسالة إلى النبي ﷺ وهو في مسجد قباء .

قرأ الرسالة على النبي ﷺ أُبَيٌّ بن كعب فأمره بالكتمان ، وعاد مسرعاً إلى المدينة ، وتبادل الرأي مع قادة المهاجرين والأنصار .

وظلت المدينة في حالة استنفار عام لا يفارق رجالها السلاح ، استعداداً للطوارئ .

وقامت مفرزة من الأنصار ـ فيهم سعد بن معاذ ، وأسيد بن حضير ، وسعد بن عبادة ـ بحراسة رسول الله ﷺ ، فكانوا يبيتون على بابه وعليهم السلاح ، وقامت على مداخل المدينة وأنقابها مفرزات تحرسها خوفاً من أن يؤخذوا على غرّة ، وقامت دوريات من المسلمين ـ لاكتشاف تحركات العدو ـ تتجول حول الطرق التي يحتمل أن يسلكها المشركون للإغارة على المسلمين .

واصل جيش مكة سيره حتى اقترب من المدينة ، فسلك وادي العقيق ، ثم انحرف منه إلى ذات اليمين حتى نزل قريباً بجبل أحد في مكان يقال له عينين في بطن السبخة من قناة على شفير الوادي ـ الذي يقع شمالي المدينة ـ فعسكر هناك يوم الجمعة السادس من شهر شوال سنة ثلاث من الهجرة .

عقد رسول الله ﷺ مجلساً استشارياً عسكرياً أعلى ، تبادل فيه الرأي لاختيار الموقف ، وأخبرهم عن رؤيا رآها ، ثم قدم رأيه إلى صحابته أن لايخرجوا من المدينة ، وأن يتحصّنوا بها ، فإن أقام المشركون بمعسكرهم أقاموا بشر مقام وبغير جدوى ، وإن دخلوا المدينة قاتلهم المسلمون على أفواه الأزقة ، والنساء من فوق البيوت ، وكان هذا هو الرأي ووافقه على هذا الرأي عبد الله بن أبي بن سلول ـ رأس المنافقين .

بادر جماعة من فضلاء الصحابة ممن فاته الخروج يوم بدر ، فأشاروا على النبي ﷺ بالخروج ، وألحوا عليه في ذلك ، وكان في مقدمة هؤلاء المتحمسين حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ ـ الذي كان قد أرى فِرَنْد سيفه في معركة بدر ـ فقد قال للنبي ﷺ : والذي أنزل عليك الكتاب لا أطعم طعاماً حتى أجالدهم بسيفي خارج المدينة ، ورفض

رسول الله ﷺ رأيه أمام رأي الأغلبية واستقر الرأي على الخروج من المدينة واللقاء في الميدان السافر .

صلّى النبي ﷺ بالناس يوم الجمعة فوعظهم وأمرهم بالجد والاجتهاد وأخبر أن لهم النصر بما صبروا ، وأمرهم بالتهيؤ لعدوهم ، ففرح الناس بذلك ، ثم صلى بالناس العصر ، وقد حشدوا وحضر أهل العوالي ، ثم دخل بيته ، ومعه صاحباه أبو بكر وعمر ، فعمماه وألبساه ، فتدجج بسلاحه وظاهر بين درعين (أي لبس درعاً فوق درع) وتقلد السيف ، ثم خرج على الناس . فلما خرج قالوا له : يارسول الله ما كان لنا أن نخالفك ، فاصنع ما شئت ، إن أحببت أن تمكث بالمدينة فافعل . فقال رسول الله ﷺ : ما ينبغي لنبي إذا لبس لأمته ـ وهي الدرع ـ أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه [1] .

وقسم النبي ﷺ جيشه إلى ثلاث كتائب :

(١) كتيبة المهاجرين وأعطى لواءها مصعب بن عمير العبدري .

(٢) كتيبة الأوس من الأنصار . وأعطى لواءها أُسَيد بن حُضَير .

(٣) كتيبة الخزرج من الأنصار . وأعطى لواءها الحُبَاب بن المنذر .

وكان الجيش متألفاً من ألف مقاتل فيهم مائة دارع وخمسون فارس ، وقيل لم يكن من الفرسان أحد ، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم على الصلاة بمن بقي في المدينة ، وأذن بالرحيل فتحرك الجيش نحو الشمال ، وخرج السعدان أمام النبي ﷺ يعدوان دارعين وعندما وصل إلى مقام يقال له (الشيخان) استعرض جيشه ، فرد من استصغره ولم يره مطيقاً للقتال ، وفي هذا المكان أدركهم المساء ، فصلى المغرب ، ثم صَلَّى العشاء ، وبات هنالك ، وانتخب خمسين رجلاً لحراسة المعسكر يتجولون حوله ، وكان قائدهم محمد بن مسلمة الأنصاري ، بطل سرية كعب بن الأشرف ، وتولى ذكوان بن عبد قيس حراسة النبي ﷺ خاصة .

---

(١) البخاري تعليقًا (١٣ / ٣٣٩) ، ٦ ـ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ـ ٢٨ ـ باب : قول الله تعالى : ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾ ، ﴿ وشاورهم في الأمر ﴾ .

وقبل طلوع الفجر بقليل أدلج حتى إذا كان بالشوط صلى الفجر ، وكان بمقربة جداً من العدو ، فقد كان يراهم ويرونه ، وهناك تمرد عبد الله بن أبي المنافق ، فانسحب بنحو ثلث العسكر - ثلاثمائة مقاتل .

وبعد هذا التمرد والانسحاب قام النبي ﷺ ببقية الجيش - وهم سبعمائة مقاتل - ليواصل سيره نحو العدو ، وكان معسكر المشركين يحول بينه وبين أحد في مناطق كثيرة ، فقال : من رجل يخرج بنا على القوم من كثب (أي من قريب) من طريق لا يمر بنا عليهم ؟

فقال أبو خيثمة : أنا يا رسول الله ، ثم اختار طريقاً قصيراً إلى أحد يمر بحرة بني حارثة وبمزارعهم ، تاركاً جيش المشركين إلى الغرب ، ونفذ رسول الله ﷺ حتى نزل الشعب من جبل أحد في عَدوة الوادي ، فعسكر بجيشه مستقبلاً المدينة ، وجاعلاً ظهره إلى هضاب جبل أحد ، وعلى هذا صار جيش العدو فاصلاً بين المسلمين وبين المدينة .

وهناك عبأ رسول الله ﷺ جيشه ، وهيأهم صفوفاً للقتال ، فانتخب منهم فصيلة من الرماة الماهرين ، قوامها خمسون مقاتلاً ، وأعطى قيادتها لعبد الله بن جبير بن النعمان الأنصاري الأوسي البدري ، وأمرهم بالتمركز على جبل يقع على الضفة الجنوبية من وادي قناة - وعرف فيما بعد بجبل الرماة - جنوب شرق معسكر المسلمين ، على بعد حوالي مائة وخمسين متراً من مقر الجيش الإسلامي .

وبتعيين هذه الفصيلة في الجبل مع هذه الأوامر العسكرية الشديدة سد رسول الله ﷺ الثُلمة الوحيدة التي كان يمكن لفرسان المشركين أن يتسللوا من ورائها إلى صفوف المسلمين ، ويقوموا بحركات الالتفاف وعملية التطويق ، أما بقية الجيش فجعل على الميمنة المنذر بن عمرو ، وجعل على الميسرة الزبير بن العوام ، يسانده المقداد بن الأسود ، وكان إلى الزبير مهمة الصمود في وجه فرسان خالد بن الوليد ، وجعل في مقدمة الصفوف نخبة ممتازة من شجعان المسلمين ورجالاتهم المشهورين بالنجدة والبسالة ، والذين يوزنون بالآلاف ، وهكذا تمت تعبئة الجيش النبوي صباح يوم السبت السابع من شهر شوال سنة ٣ هـ .

أما المشركون فعبأوا جيشهم حسب نظام الصفوف ، فكانت القيادة العامة إلى أبي سفيان

صخر بن حرب الـذي تمركـز في قلب الجيش . وجعلـوا على الميمنـة خـالـد بن الـوليـد وعلى الميسرة عكرمة بن أبي جهل ، وعلى المشـاة صفوان بن أميـة ، وعلى رمـاة النبل عبـد الله بن أبي ربيعة ، أما اللواء فكان إلى مفرزة من بني عبد الدار .

وقبيـل نشـوب المعركـة حـاولت قريش إيقـاع الفرقـة والنزاع داخـل صفـوف المسلمين وتقارب الجمعان ، وتدانت الفئتان ، وبدأت مراحل القتال ، وكان أول وقود المعركـة حـامل لـواء المشركين طلحـة بن أبي طلحـة العبـدري ، وكان من أشجـع فرسـان قريش ، يسميـه المسلمون كبش الكتيبـة ، خرج وهو راكب على جمل ، يـدعـو إلى المبـارزة ، فـأحجم عنـه الناس لفرط شجاعته ، ولكن تقـدم إليـه الزبير ، ولم يمهلـه بل وثب إليـه وثبـة الليث حتى صار معه على جملـه ، ثم اقتحم بـه الأرض ، فـألقـاه عنـه وذبحـه بسيفـه ، ثم انـدلعت نيران المعركة ، واشتـد القتـال بين الفريقين في كل نقطـة من نقـاط الميـدان ، وكان ثقل المعركـة يـدور حول لواء المشركين . فقـد تعـاقب بنو عبـد الـدار لحمـل اللـواء ، عشرة من بني عبـد الدار ـ من حملة اللواء ـ أُبيـدوا عن آخرهم ، ولم يبـقَ منهم أحـد يحمل اللواء ، فتقـدم غلام لهم حبشي ـ اسمه صُواب ـ فحمل اللواء وأبـدى من صنوف الشجـاعـة والثبـات مـا فـاق بـه مواليـه من حملـة اللواء الـذين قتلوا قبلـه فقـد قـاتل حتى قطعت يـداه ، فبرك على اللـواء بصـدره وعنقـه ؛ لئلا يسقـط حتى قُتِل وهو يقول : اللهم أعزرت [١] ؟ يعني هل أعزرت . وبعد أن قتِل هذا الغلام ـ صواب ـ سقـط اللواء على الأرض ، ولم يبقَ أحـد يحملـه ، فبقي ساقطاً .

قال ابن إسحـاق : ثم أنزل الله نصره على المسلمين ، وصـدَقَهُم وعـده ، فحسُّوهم بـالسيوف حتى كشفوهم عن المعسكر ، وكانت الهزيمة لا شك فيها .

وبينما كان الجيش الإسلامي الصغير ، يسجل مرة أخرى نصراً ساحقاً على مكـة لم يكن أقل روعة من النصر الذي اكتسبه يوم بدر ، وقعت من أغلبية فصيلة الرماة غلطة فظيعة ، قلبت الوضع تماماً ، وأدت إلى إلحاق الخسائر الفادحة بالمسلمين وكادت تكون سبباً في مقتل

---

(١) أعزرت : أصلها : أعذرت ، بلسان الحبشة لا يعضون على الأحرف اللثوية : الثاء والذال والظاء .

النبي ﷺ ، وقد تركت أسوأ أثر على سمعتهم ، والهيبة التي كانوا يتمتعون بها بعد بدر .

لقد أسلفنا نصوص الأوامر الشديدة التي أصدرها رسول الله ﷺ إلى هؤلاء الرماة ، بلزومهم موقفهم من الجبل في كل حال من النصر أو الهزيمة لكن على رغم هذه الأوامر المشددة ؛ لما رأى هؤلاء الرماة أن المسلمين ينتهبون غنائم العدو ، غلبت عليهم أثارة من حبِّ الدنيا ، فقال بعضهم لبعض : الغنيمة ، الغنيمة ، ظهر أصحابكم ، فما تنتظرون ؟ أما قائدهم عبد الله بن جبير ، فقد ذكرهم أوامر الرسول ﷺ وقال : أنسيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ ؟ ولكن الأغلبية الساحقة لم تُلْقِ لهذا التذكير بالاً ، وقالت : والله لنأتين الناس فلنصيبنَّ من الغنيمة ، ثم غادر أربعون رجلاً من هؤلاء الرماة مواقعهم من الجبل والتحقوا بسواد الجيش ليشاركوه في جمع الغنائم ، وهكذا خلت ظهور المسلمين ولم يبق فيها إلا ابن جُبير وتسعة من أصحابه ، التزموا مواقفهم مصممين على البقاء حتى يؤذن لهم أو يبادوا .

وانتهز خالد بن الوليد هذه الفرصة الذهبية ، فاستدار بسرعة خاطفة حتى وصل إلى مؤخرة الجيش الإسلامي ، فلم يلبث أن أباد عبد الله بن جبير وأصحابه ، ثم انقض على المسلمين من خلفهم ، وصاح فرسانه صيحة عرف المشركون المنهزمون بالتطور الجديد فانقلبوا على المسلمين ، وأسرعت امرأة منهم ـ وهي عمرة بنت علقمة الحارثية ـ فرفعت لواء المشركين المطروح على التراب ، فالتف حوله المشركون ولاثُوا به ، وتنادى بعضهم بعضاً ، حتى اجتمعوا على المسلمين وثبتوا للقتال ، وأحيط المسلمون من الأمام والخلف ، ووقعوا بين شقي الرحى .

موقف الرسول الباسل إزاء عمل التطويق :

وكان رسول الله ﷺ حينئذ في مفرزة صغيرة ـ تسعة نفر من أصحابه ـ في مؤخرة المسلمين ، وكان يرقب مجالدة المسلمين ومطاردتهم المشركين إذ بُوغِتَ بفرسان خالدٍ مباغتةً كاملةً ، فكان أمامه طريقان ، إما أن ينجو ـ بالسرعة ـ بنفسه وبأصحابه التسعة إلى ملجأ مأمون ، ويترك جيشه المطوق إلى مصيره المقدور ، وإما أن يخاطر بنفسه فيدعو أصحابه ليجمعهم حوله ، ويتخذ بهم جبهة قوية يشق بها الطريق لجيشه المطوق إلى هضاب أحد .

وهناك تجلت عبقرية الرسول ﷺ وشجاعته المنقطعة النظير، فقد رفع صوته ينادي أصحابه: عباد الله، وهو يعرف أن المشركين سوف يسمعون صوته قبل أن يسمعه المسلمون، ولكنه ناداهم ودعاهم مخاطراً بنفسه في هذا الظرف الدقيق، وفعلاً فقد علم به المشركون فخلصوا إليه، قبل أن يصل إليه المسلمون.

تبدد المسلمين في الموقف:

أما المسلمون فلما وقعوا في التطويق طار صواب طائفة منهم، فلم تكن تهمها إلا أنفسها، فقد أخذت طريق الفرار، وتركت ساحة القتال، وهي لا تدري ماذا وراءها؟ وفر من هذه الطائفة بعضهم إلى المدينة حتى دخلها، وانطلق بعضهم إلى فوق الجبل، ورجعت طائفة أخرى فاختلطت بالمشركين، والتبس العسكران، فلم يتميزوا، فوقع القتل في المسلمين بعضهم من بعض.

وهذه الطائفة حدث داخل صفوفها ارتباك شديد، وعمّتها الفوضى، وتاه منها الكثيرون، لا يدرون أين يتوجهون، وبينما هم كذلك إذ سمعوا صائحاً يصيح إن محمداً قد قُتِلَ، فطارت بقيّة صوابهم، وانهارت الروح المعنوية أو كادت تنهار في نفوس كثير من أفرادها، فتوقف من توقف منهم عن القتال، وألقى بأسلحته مستكيناً، وفكر آخرون في الاتصال بعبد الله بن أبي ـ رأس المنافقين ـ ليأخذ لهم الأمان من أبي سفيان.

وكانت هناك طائفة ثالثة لم يكن يهمهم إلا رسول الله ﷺ، فقد كرَّت هذه الطائفة إلى رسول الله ﷺ، وعمل التطويق في بدايته وفي مقدمة هؤلاء أبو بكر الصديق، وعمر ابن الخطاب، وعلي بن أبي طالب وغيرهم رضي الله عنهم، كانوا في مقدمة المقاتلين، فلما أحسوا بالخطر على ذاته الشريفة ـ عليه الصلاة والسلام والتحيّة ـ صاروا في مقدمة المدافعين.

احتدام القتال حول رسول الله ﷺ:

وبينما كانت تلك الطوائف تتلقى أواصر التطويق، تطحن بين شقي رحى المشركين، كان العراك محتدماً حول رسول الله ﷺ، وقد ذكرنا أن المشركين لما بدأوا عمل التطويق لم

يكن مع رسول الله ﷺ إلا تسعة نفر ، فلما نادى المسلمين : هلم إليّ ، أنا رسول الله ، سمع صوته المشركون وعرفوه فكروا إليه وهاجموه ، ومالوا إليه بثقلهم قبل أن يرجع إليه أحد من جيش المسلمين فجرى بين المشركين وبين هؤلاء النفر التسعة من الصحابة عراك عنيف ظهرت فيه نوادر الحب والتفاني والبسالة والبطولة .

وقعت هذه كلها بسرعة هائلة في لحظات خاطفة ، وإلا فالمصطفون الأخيار من صحابته ﷺ - الذين كانوا في مقدمة صفوف المسلمين عند القتال - لم يكادوا يرون تطور الموقف ، أو يسمعون صوته ﷺ ، حتى أسرعوا إليه ؛ لئلا يصل إليه شيء يكرهونه ، إلا أنهم وصلوا وقد لقي رسول الله ﷺ ما لقي من الجراحات - وستة من الأنصار قد قتلوا والسابع قد أثبتته الجراحات ، وسعد وطلحة يكافحان أشد الكفاح - فلما وصلوا أقاموا حوله سياجاً من أجسادهم وسلاحهم ، وبالغوا في وقايته من ضربات العدو ، ورد هجماتهم . وكان أول من رجع إليه هو ثانيه في الغار أبو بكر الصديق رضي الله عنه .

وخلال هذه اللحظات الحرجة اجتمع حول النبي ﷺ عصابة من أبطال المسلمين منهم : أبو دجانة ، ومصعب بن عمير ، وعلي بن أبي طالب ، وسهل بن حنيف ، ومالك بن سنان والد أبي سعيد الخدري ، وأم عمارة نسيبة بنت كعب المازنية ، وقتادة بن النعمان ، وعمر بن الخطاب ، وحاطب بن أبي بلتعة ، وأبو طلحة .

تضاعف ضغط المشركين :

كا كان عدد المشركين يتضاعف كل آن ، وبالطبع فقد اشتدت حملاتهم وزاد ضغطهم على المسلمين ، حتى سقط رسول الله ﷺ في حفرة من الحفر التي كان أبو عامر الفاسق يكيد بها ، فجحشت ركبته وأخذ عليٌّ بيده ، واحتضنه طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائماً .

وشاع مقتل النبي ﷺ أشاعه ابن قمئة بعد مقتل مصعب بن عمير رضي الله عنه .

وهذا هو الظرف الدقيق الذي خارت فيه عزائم كثير من الصحابة المطوقين ، الذين لم يكونوا مع رسول الله ﷺ ، وانهارت معنوياتهم ، حتى وقع داخل صفوفهم ارتباك شديد ، وعمّتها الفوضى والاضطراب ، إلا أن هذه الصيحة خففت بعض التخفيف من مضاعفة

هجمات المشركين ؛ لظنهم أنهم نجحوا في غاية مرامهم ، فاشتغل الكثير منهم بتمثيل قتلى المسلمين .

الرسول ﷺ يواصل المعركة وينقذ الموقف :

ولما قُتِلَ مصعب أعطى رسول الله ﷺ اللواء علي بن أبي طالب ، فقاتل قتالاً شديداً ، وقامت بقية الصحابة الموجودين هناك ببطولاتهم النادرة يقاتلون ويدافعون ، وحينئذ استطاع رسول الله ﷺ أن يشق الطريق إلى جيشه المطوق ، فأقبل إليهم ، فعرفه كعب ابن مالك ـ وكان أول من عرفه ـ فنادى بأعلى صوته : يا معشر المسلمين أبشروا ، هذا رسول الله ﷺ ، فأشار إليه أن اصمُتْ ـ وذلك لئلا يعرف موضعه المشركون ـ إلا أن هذا الصوت بلغ إلى آذان المسلمين ، فلاذَ إليه المسلمون حتى تجمَّع حوله حوالي ثلاثين رَجُلاً من الصحابة .

وبعد هذا التجمع أخذ رسول الله ﷺ في الانسحاب المنظَّم إلى شِعْبِ الجبل ، وهو يشق الطريق بين المشركين المهاجمين ، واشتد المشركون في هجومهم ؛ لعرقَلةِ الانسحاب إلا أنهم فشلوا أمام بسالة ليوث الإسلام ، وفي أثناء انسحاب رسول الله ﷺ إلى الجبل عرضت له صخرة من الجبل ، فنهض إليها ليعلوها ، فلم يستطع ، لأنه كان قد بدن وظاهر بين الدرعين وقد أصابه جرح شديد . فجلس تحته طلحة بن عبيد الله ، فنهض به حتى استوى عليها وقال : أوجب طلحة ، أي : الجنة .

آخر هجوم قام به المشركون :

ولما تمكَّنَ رسول الله ﷺ من مقرّ قيادته في الشّعب قام المشركون بآخر هجوم حاولوا به النيل من المسلمين . قال ابن إسحاق : بينا رسول الله ﷺ في الشعب إذ علت عالية من قريش الجبل ـ يقودهم أبو سفيان وخالد بن الوليد ـ فقال رسول الله ﷺ : « اللهم إنه لا ينبغي لهم أن يعلونا » ، فقاتل عمر بن الخطاب ورهْطٌ معه من المهاجرين حتى أهبطوهم من الجبل .

وكان هذا آخر هجوم قام به المشركون ضد النبي ﷺ ، ولما لم يكونوا يعرفون من

مصيره شيئاً - بل كانوا على شبه اليقين من قتله - رجعوا إلى مقرهم ، وأخذوا يتهيأون للرجوع إلى مكة ، واشتغل من اشتغل منهم - وكذا اشتغلت نساؤهم - بقتلى المسلمين ، يمثّلون بهم ، ويقطعون الآذان والأنوف والفروج ، ويبقرون البطون . بقرت هند بنت عتبة كبد حمزة ، فلاكتها فلم تستطع أن تُسيغها ، فلفظتها ، واتخذت من الآذان والأنوف خدماً - خلاخيل - وقلائد .

قال ابن إسحاق : ولما انصرف أبو سفيان ومن معه نادى : إن موعدكم بدر العام القابل . فقال رسول الله ﷺ لرجل من أصحابه : « قل : نعم هو بيننا وبينك موعد » .

التثبت من موقف المشركين :

ثم بعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب ، فقال : « اخرج في آثار القوم فانظر ماذا يصنعون ؟ وما يريدون ؟ فإن كانوا قد جنبوا الخيل ، وامتطوا الإبل فإنهم يريدون مكة ، وإن كانوا قد ركبوا الخيل وساقوا الإبل فإنهم يريدون المدينة . والذي نفسي بيده لئن أرادوها لأسيرن إليهم فيها ، ثم لأناجزنهم » قال علي : فخرجت في آثارهم أنظر ماذا يصنعون ، فجنبوا الخيل وامتطوا الإبل ووجهوا إلى مكة .

اتفقت جل الروايات على أن قتلى المسلمين كانوا سبعين ، وكانت الأغلبية الساحقة من الأنصار ، فقد قتل منهم خمسة وستون رجلاً ، واحد وأربعون من الخزرج وأربع وعشرون من الأوس ، وقتل رجل من اليهود . وأما شهداء المهاجرين فكانوا أربعة فقط ، وأما قتلى المشركين فقد ذكر ابن إسحاق أنهم اثنان وعشرون قتيلاً ، ولكن الإحصاء الدقيق - بعد تعميق النظر في جميع تفاصيل المعركة التي ذكرها أهل المغازي والسير ، والتي تتضمن ذكر قتلى المشركين في مختلف مراحل القتال - يفيد أن عدد قتلى المشركين سبعة وثلاثون ، لا اثنان وعشرون . والله أعلم .

بات المسلمون في المدينة - ليلة الأحد الثامن من شهر شوال سنة ٣ هـ بعد الرجوع عن معركة أحد - وهم في حالة الطوارئ ، باتوا - وقد أنهكهم التعب ، ونال منهم أي منال - يحرسون أنقاب المدينة ومداخلها ، ويحرسون قائدهم الأعلى رسول الله ﷺ خاصة ، إذ كانت

تتلاحقهم الشبهات من كل جانب . ا هـ المباركفوري .

هذه هي قصّة أحد في خطوطها الكبرى ، وقد لخّصها ابن حجر في الفتح وعلّق عليها فقال :

وكان السبب فيها ما ذكر ابن إسحاق عن شيوخه وموسى بن عقبة عن ابن شهاب وأبو الأسود عن عروة قالوا ، وهذا ملخص ما ذكره موسى بن عقبة في سياق القصة كلها قال : لما رجعت قريش استجلبوا من استطاعوا من العرب وسار بهم أبو سفيان حتى نزلوا ببطن الوادي من قبل أحد ، وكان رجال من المسلمين أسفوا على ما فاتهم من مشهد بدر وتمنوا لقاء العدو ، ورأى رسول الله ﷺ ليلة الجمعة رؤيا ، فلما أصبح قال : « رأيت البارحة في منامي بقراً تذبح ، والله خير وأبقى ، ورأيت سيفي ذا الفَقَار انقصم من عند ظُبَتِه أو قال به فلول فكرهته وهما مصيبتان ، ورأيت أني في درع حصينة وأني مردف كبشاً » قالوا : وما أولتها ؟ قال : « أولت البقر بقراً يكون فينا ، وأولت الكبش كبش الكتيبة ، وأولت الدرع الحصينة المدينة ، فامكثوا ، فإن دخل القوم الأزقة قاتلناهم ورموا من فوق البيوت » فقال أولئك القوم : يا نبي الله كنا نتمنى هذا اليوم ، وأبى كثير من الناس إلا الخروج فلما صلى الجمعة وانصرف دعا باللأمة فلبسها ، ثم أذن في الناس بالخروج ، فندم ذوو الرأي منهم فقالوا : يارسول الله امكث كما أمرتنا ، فقال : « ما ينبغي لنبي إذا أخذ لأمة الحرب أن يرجع حتى يقاتل » نزل فخرج بهم وهم ألف رجل وكان المشركون ثلاثة آلاف حتى نزل بأحد ، ورجع عنه عبد الله ابن أبي بن سلول في ثلثمائة فبقي في سبعمائة ، فلما رجع عبد الله سقط في أيدي طائفتين من المؤمنين وهما بنو حارثة وبنو سلمة ، وصف المسلمون بأصل أحد ، وصف المشركون بالسبخة وتعبؤوا للقتال ، وعلى خيل المشركين - وهي مائة فرس - خالد بن الوليد ، وليس مع المسلمين فرس وصاحب لواء المشركين طلحة بن عثمان ، وأمّر رسول الله ﷺ عبد الله بن جبير على الرماة وهم خمسون رجلاً وعهد إليهم أن لا يتركوا منازلهم ، وكان صاحب لواء المسلمين مصعب بن عمير ، فبارز طلحة بن عثمان فقتله ، وحمل المسلمون على المشركين حتى أجهضوهم عن أثقالهم ، وحملت خيل المشركين فنضحتهم الرماة بالنبل ثلاث مرات ، فدخل المسلمون عسكر المشركين فانتهبوهم ، فرأى ذلك الرماة فتركوا

مكانهم ، ودخلوا العسكر ، فأبصر ذلك خالد بن الوليد ومن معه فحملوا على المسلمين في الخيل فمزقوهم ، وصرخ صارخ : قتل محمد أخزاكم ، فعطف المسلمون يقتل بعضهم بعضًا وهم لا يشعرون ، وانهزم طائفة منهم إلى جهة المدينة وتفرق سائرهم ووقع فيهم القتل ، وثبت نبي الله حين انكشفوا عنه وهو يدعوهم في أخراهم ، حتى رجع إليه بعضهم وهو عند المهراس في الشعب ، وتوجه النبي ﷺ يلتمس أصحابه ، فاستقبله المشركون فرموا وجهه فأدموه وكسروا رُباعِيَّتَهُ ، فمر مُصْعِداً في الشعب ومعه طلحة والزبير ، وقيل معه طائفة من الأنصار منهم الحارث بن الصِمَّة ، وشغل المشركون بقتلى المسلمين يمثلون بهم يقطعون الآذان والأنوف والفروج ويبقرون البطون وهم يظنون أنها أصابوا النبي ﷺ وأشراف أصحابه ، فقال أبو سفيان يفتخر بآلهته : اعل هبل ، فناداه عمر : الله أعلى وأجل . ورجع المشركون إلى أثقالهم فقال النبي ﷺ لأصحابه : « إن ركبوا وجعلوا الأثقال ـ أي الإبل ـ تتبع آثار الخيل ، فهم يريدون البيوت ، وإن ركبوا الأنفال وتجنبوا الخيل فهم يريدون الرجوع » فتبعهم سعد بن أبي وقاص ، ثم رجع فقال : رأيت الخيل مجنوبة ، فطابت أنفس المسلمين ورجعوا إلى قتلاهم فدفنوهم في ثيابهم ولم يغسلوهم ولم يصلوا عليهم ، وبكى المسلمون على قتلاهم ، فسر المنافقون وظهر غش اليهود وفارت المدينة بالنفاق ، فقالت اليهود : لو كان نبياً ما ظهروا عليه ، وقالت المنافقون : لو أطاعونا ما أصابهم هذا .

قال العلماء : وكان في قصة أحد وما أصيب به المسلمون فيها من الفوائد والحكم الربانية أشياء عظيمة :

منها تعريف المسلمين سوء عاقبة المعصية وشؤم ارتكاب النهي ، لما وقع من ترك الرماة موقفهم الذي أمرهم الرسول أن لا يبرحوا منه . ومنها أن عادة الرسل أن تبتلى وتكون لها العاقبة كما تقدم في قصة هرقل مع أبي سفيان ، والحكمة في ذلك أنهم لو انتصروا دائمًا دخل في المؤمنين من ليس منهم ولم يتميز الصادق من غيره ، ولو انكسروا دائمًا لم يحصل المقصود من البعثة فاقتضت الحكمة الجمع بين الأمرين لتمييز الصادق من الكاذب ، وذلك أن نفاق المنافقين كان مخفيًا عن المسلمين ، فلما جرت هذه القصة وأظهر أهل النفاق ما أظهروه من الفعل والقول عاد التلويح تصريحاً ، وعرف المسلمون أن لهم عدواً في دورهم فاستعدوا لهم

وتحرزوا منهم ، ومنهـا أن في تـأخير النصر في بعض المواطن هضماً للنفس وكسراً لشماختهـا ، فلما ابتلي المؤمنون صبروا وجزع المنافقون . ومنها أن الله هيأ لعبـاده المؤمنين منـازل في دار كرامته لا تبلغها أعمالهم ، فقيض لهم أسباب الابتلاء والمحن ليصلوا إليها . ومنهـا أن الشهـادة من أعلى مراتب الأولياء فساقها إليهم . ومنها أنه أراد إهلاك أعدائه فقيض لهم الأسباب التي يستـوجبـون بهـا ذلـك من كفرهم وبغيهم وطغيانهم في أذى أوليـائـه ، فمحص بـذلـك ذنـوب المؤمنين ، ومحق بذلـك الكافرين . ثم ذكر المصنف آيـات من آل عمران في هـذا البـاب وفيما بعده كلها تتعلق بوقعة أُحد ، وقد قال ابن إسحـاق : أنزل الله في شـأن أُحد ستين آيـة من آل عمران ، وروى ابن أبي حـاتم من طريق المسور بن مخرمـة قـال : قلت لعبـد الرحمن بن عوف أخبرني عن قصتكم يوم أحد ، قـال اقرأ العشرين ومـائـة من آل عمران تجـدهـا ﴿ **وإذ غدوت من أهلك تبـوئ المؤمـنين مقاعد للقتال** ﴾ إلى قوله ﴿ **أمنة نعاساً** ﴾ [1] ا هـ .

* * *

١ ـ بين يدي الالتحام

٣٦١ ـ * روى الطبراني عن عمرَ بنِ الخطاب قال : فلما كان عـامُ أُحُـدٍ من العـامِ المقبلِ عُوقِبُوا بما صَنَعوا يومَ بدرٍ من أخذِهم الفداءَ فقُتِل منهم سبعونَ وفرَّ أصحـابُ رسول الله ﷺ عن النبي ﷺ فكُسِرَت رُبَـاعيَّتُـهُ وهُشِّمَتِ البَيْضَـةُ على رأســه وســالَ الـدمُ وأنـزل الله عـز وجل : ﴿ **أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليهـا قلتم أنى هـذا قل هو من عنـد أنفسكم إن الله على كل شيء قدير** ﴾ [2] بِأخْذِكُم الفِدَاءَ .

٣٦٢ ـ * روى الطبراني عن محمـد بن إسحـاق قـال : وَخَرَجَ رَسـول الله ﷺ يَـوم الجمعـة

---

(١) آل عمران : ١٢١ ـ ١٥٤ .

٣٦١ ـ أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١١٥) ، وقال : رواه الطبراني في آخر حديث عمر الـذي في الصحيح في مسنـده الكبير .

مصيبة : هي ماأصيب منهم يوم أحد من قتل السبعين من المسلمين .

قد أصبتم مثليها : يعني يوم بدر فإنّهم قتلوا من المشركين سبعين وأسروا سبعين أسيراً .

(٢) آل عمران : ١٦٥ .

٣٦٢ ـ أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٢٤) ، وقال : رواه الطبراني ، ورجاله ثقات .

حين صلى الجمعة فأَصَبْحَ بالشِّعْب مِنْ أُحدٍ فالتقوا يَومَ السبْتِ في النصْف مِنْ شَوَّال .

قال ابن كثير في البداية والنهاية : وكانت هذه الغزوة في شوال سنة ثلاث قاله الزهري وقتادة وموسى بن عقبة ومحمد بن إسحاق ومالك ، قال ابن إسحاق للنصف من شوال ، وقال قتادة يوم السبت الحادي عشر منه قال مالك وكانت الوقعة في أول النهار وهي على المشهور التي أنزل الله فيها قوله تعالى : ﴿ وإذ غَدَوْتَ مِنْ أهلِكَ تُبوِّئُ المؤمنين مقَاعِدَ للقتال والله سميعٌ عليم * إذْ هَمَّتْ طائفتان منكم أَنْ تَفْشلا والله وَليُّهما وعلى الله فلْيَتوكل المؤمنونَ * ولقدْ نَصَرَكُمُ اللهُ ببدرٍ وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تَشْكُرون * إذْ تقولُ للمؤمنينَ ألن يكفيَكُم أن يمدَّكُم رَبُّكُم بثَلاثَة آلافٍ مِنَ الملائكة مُنْزَلين * بَلَى إنْ تَصْبِروا وتَتَّقوا ويأتوكم مِن فَورهم هذا يمدِدْكم ربّكم بخمسةِ آلافٍ منَ الملائكة مُسَومين ﴾ الآيات وما بعدها إلى قوله : ﴿ ما كان الله ليذرَ المؤمنين عَلَى ما أنتم عليه حتى يَميز الخبيثَ منَ الطَّيب وما كانَ الله ليُطْلِعَكُم على الغَيْب ﴾ [1] .

٣٦٣ - * روى البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : اصْطَبَحَ ناسٌ الخَمر يومَ أُحدٍ ثم قُتِلُوا شُهَدَاء .

قال ابن كثير : (تنبيه) : ذكر البيهقي والبخاري قبله خبر بني النضير قبل وقعة أحد والصواب إيرادها بعد ذلك ، كما ذكر ذلك محمد بن إسحاق وغيره من أئمة المغازي ، وبرهانه أن الخمر حرمت ليالي حصار بني النضير وثبت في الصحيح أنه اصطبح الخمر جماعة ممن قُتِلَ يوم أحد شهيداً ، فدل على أن الخمر كانت إذ ذاك حلالاً وإنما حرمت بعد ذلك ، فتبين ما قلناه من أن قصة بني النضير بعد وقعة أحد . والله أعلم .

(تنبيه آخر) : خبر يهود بني قينقاع بعد وقعة بدر كما تقدم ، وكذلك قتل كعب بن الأشرف اليهودي على يدي الأوس ، وخبر بني النضير بعد وقعة أحد كما سيأتي ، وكذلك

---

(١) آل عمران : ١٢١ - ١٧٩ .

٣٦٣ - البخاري (٦ / ٣١) ، ٥٦ - كتاب الجهاد ١٩ - باب فضل قول الله تعالى : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً ﴾ .

مقتل أبي رافع اليهودي تاجر أهل الحجاز على يدي الخزرج وخبر يهود بني قريظة بعد يوم الأحزاب وقصة الخندق كما سيأتي .

٣٦٤ - * روى أحمد عن جابر بن عَبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « رأيتُ كأنّي في دِرْعٍ حَصينَةٍ وَرَأيتُ بَقَرًا مُنحرة ، فأوّلتُ أنّ الدِّرْعَ الحصينةَ المدينةُ ، وأنَّ البقرَ هو والله خيرٌ » قال فقال لأصحابه : « لو أنّا أقمنا بالمدينة فإنْ دَخَلوا عَلَينا فيها قَاتَلْنَاهُم » فَقَالوا : يارسول الله ، والله مَا دُخِلَ علينا فيها في الجاهلية فكيْفَ يُدْخَلُ عَليْنا فيها في الإسلامِ قال عفان في حديثه فقال : « شَأْنُكُم إذًا » قال : فَلبس لأمته قال فَقَالت الأنصار : رَدَدْنا عَلَى رَسول الله ﷺ رَأيه ، فَجاؤوا فقالوا : يانبي الله شأنك إذاً فقال : « إنه لَيْسَ لنبي إذَا لَبِسَ لأْمَتَه أَن يَضَعَها حتى يُقاتِلَ » .

٣٦٥ - * روى الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : تَنَفَّل رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم سيفَه ذا الفَقَارِ يومَ بدرٍ ، قال ابنُ عباسٍ : وهو الذي رأى فيه الرؤْيا يومَ أحدٍ وَذَلك أنَ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم لما جاءَه المشركونَ يومَ أُحَد كان رَأْيُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يُقِيمَ بالمدينةِ يقاتلُهم فيها ، فقال له ناسٌ لمْ يكونوا شَهِدوا بدراً : تخرجُ بنَا يارسول الله إليهم نُقاتلُهم بأحدٍ ورَجَوْا أن يُصيبوا من الفضيلةِ ما أصابَ أهلُ بدر ، فمازالوا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى لبس أداته فندِموا وقالوا : يارسول الله أَقِمْ فالرأيُ رأيُك . فقال رسول الله وآله وسلم : « ما يَنْبغي لنبي أن يضعَ أداتَه بعدَ أنْ لبِسها حتي يحكمَ الله بينه وبين عَدُوِّه » قال : وكَان لَما قَالَ لَهم رسول الله صلى الله عليه وآله وَسَلَمَ يومئذ قَبل أن يلْبسَ الأداة : « إني رأيتُ أني في دِرعٍ حِصينةٍ فأوَّلْتُها المدينةَ ، وأني مُرْدِفٌ كبشاً فأوَّلْته كَبْشَ الكتيبة ورأيتُ أنَّ سَيْفي ذا الفقار فُلَّ فأوَّلْتُه فَلاًّ فيكم ورأيت بَقَراً تُذْبَحُ فبقر والله خير فبقر والله خير » .

---

٣٦٤ - أحمد في مسنده (٣ / ٣٥١) . وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٠٧) ، وقال : رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح .

اللأمة : مهموزة : الدرع ، وقيل : السلاح ، وقد يترك الهمز تخفيفاً .

٣٦٥ - المستدرك (٢ / ١٢٨) ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وأقره الذهبي .

=

٣٦٦ - * روى أبو داود عن السائب بن يزيد رَضي الله عنه عَن رجلٍ قد سمّاه أن رسولَ الله ﷺ ظاهَرَ يَوْمَ أُحُد بين دِرْعَيْنِ أو لَبِسَ دِرْعَين .

٣٦٧ - * روى الحاكم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : عُرِضْتُ يومَ أحدٍ على النبي صلى الله عليه وآله وَسَلم وَلي ثَلاثُ عَشْرة فجعل أبي يأخذ بيدي فيقول : يارسول إنه عَبْلُ العظام . قال : وَجَعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم يُصَعِّدُ في البصر وَيُصَوِّبه ثم قَالَ رُدَّه فردّني * .

٣٦٨ - * روى البخاري عن زيد بن ثابت رضي الله عنه : لَمَا خرَجَ رَسُولُ الله ﷺ إلى أحُدٍ رَجَع نَاسٌ من أصحابه فَقَالَتْ فِرقَةٌ : تَقْتُلُهم ، وقَالَتْ فِرقَةٌ : لاَتَقْتُلُهم ، فنَزَلَتْ : ﴿ فَمَا لَكُمْ فِي المُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ ﴾ [1] وقَالَ النَّبي ﷺ : « إنَّها تَنْفي الرجالَ ، كَمَا تَنْفي النارُ خَبَثَ الحديدِ » .

قال في الفتح : قوله : (رجع نـاس ممن خرج معه) يعني عبد الله بن أُبيّ وأصحابه ، وقد ورد ذلك صريحاً في رواية موسى بن عقبة في المغازي وأن عبد الله بن أبي كان وافق رأيه رأي النبي ﷺ على الإقامة بالمدينة ، فلما أشار غيره بالخروج وأجابهم النبي ﷺ فخرج

= مردف : ردفه ردفاً : ركب خلفه .

فلّ : السيف فلاً : ثلمه وكسره في حده .

٣٦٦ - أبو داود (٣/ ٣٢) ، كتاب الجهاد ، وباب في لبس الدروع .

وأحمد نحوه في مسنده (٣ / ٤٤٩) .

ظاهر بين درعين : أي لبس إحداهما فوق الأخرى .

وكأنّه من التظاهر بمعنى التعاون والتساعد كأن جعل إحداهما ظهارة والأخرى بطانة ، ومنه يعلم أن مباشرة الأسباب لا تنافي التوكّل .

٣٦٧ - المستدرك (٣ / ٥٦٣) ، وسكت عنه الذهبي ، وهو صحيح .

العبل : الضخم في كل شيء .

٣٦٨ - البخاري (٤ / ٩٦) ٢٩ - كتاب فضائل المدينة - ١٠ - باب المدينة تنفي الخبث .

وأيضاً نحوه (٧ / ٣٥٦) ٦٤ - كتاب المغازي - ١٧ - باب غزوة أحد .

- ومسلم بعضه (٤ / ٢١٤٢) ٥٠ - كتاب صفات المنافقين وأحكامهم .

(١) النساء : ٨٨ .

قال عبد الله بن أبي لأصحابه : أطاعهم وعصاني ، علام نقتل أنفسنا ؟ فرجع بثلث الناس . قال ابن إسحٰق في روايته : فاتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام وهو والد جابر وكان خزرجياً كعبد الله بن أبي فناشدهم أن يرجعوا فأبوا فقال : أبعدكم الله .

وقال ابن كثير في البداية والنهاية : قال ابن إسحاق حتى إذا كان بالشوط بين المدينة وأحد انخذل عنه عبد الله بن أبي بثلث الناس وقال : أطاعهم وعصاني ما ندري علام نقتل أنفسنا ههنا أيها الناس . فرجع بمن اتبعه من قومه من أهل النفاق والرِّيب ، واتبعهم عبد الله بن عمرو بن حَرَام السَّلمي والد جابر بن عبد الله فقال : ياقَوْم أذكركم الله أن لا تخذُلوا قَوْمَكم ونبيّكم عِندَمَا حَضَر من عدوِّهم . قالوا : لو نَعْلَمُ أنكم تُقَاتِلُون ما أَسْلَمْناكم ولكنا لا نَرى أن يكون قتال . فلما استعْصَوا عليه وأبوا إلا الانصراف قال : أبعدَكم الله أعداء اللهِ فسَيُغني الله عَنْكُم نبيه ﷺ . قُلتُ : وهؤلاء القوم هم المرادون بقوله تَعَالى : ﴿ **وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تَعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالاً لاتبعناكم هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون** ﴾ [1] يعني أنهم كاذبون في قولهم لو نعلم قتالاً لاتبعناكم ، وذلك لأن وقوع القتال أمره ظاهر بيِّن واضح لا خفاء ولا شك فيه ، وهم الذين أنزل الله فيهم : ﴿ **فما لكم في المنافقين فئتين والله أرْكَسَهم بما كسبوا** ﴾ الآية وذلك أن طائفة قالت : نقاتلهم ، وقال آخرون : لا نقاتلهم كما ثبت وبين في الصحيح . أ.هـ .

٣٦٩ ـ *روى البزار عن الزبير بن العوَّام قال : عرض رسول الله ﷺ سيفاً يوم أحد ، فقال : « من يأخُذُ هذا السيفَ بحقِّه » فقام أبو دُجَانة سِماك بن خَرَشة فقال : يارسول الله : أنا آخذه بحقه فما حقه ؟ قال : فأعطاه إياه وخرج وَاَتَّبَعتُهُ فَجعلَ لاَيمرُّ بشيءٍ إلا أفْرَاهُ

(١) آل عمران : ١٦٧ .

٣٦٩ ـ كشف الأستار (٢ / ٣٢٢) ، كتاب الهجرة والمغازي ، باب غزوة أحد .

وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٠٩) ، وقال : رواه البزار ، ورجاله ثقات .

وهكذا ورد في الرواية السؤال : « فما حقه » دون الإجابة وقد جاءت الإجابة في بعض الروايات : « حقه أن تضرب به العدو حتى ينحني » .

أفراه : فرى الشيء فرياً : شقّه وفتّته .

وَهتَكهُ حتى أتى نِسْوةً في سفْحِ الجبل وَمَعَهُن هندٌ وهي تقولُ :

نحن بنَـــــات طَـــــارِقْ	نَــــمْشي على النَّمــــــارق
والمسْــــــكُ في المَفــــــارِقْ	إن تُقْبلــــوا نُعـــــانِــــقْ
أو تـــــدبِرُوا نُفَــــارِقْ	فِراقَ غيرِ وَامِـــــــــقْ

فحملت عليها فَنَادَتْ بالصَّحراء فلم يُجبْهَا أحدٌ ، فانصرف فقلت له : كل صنيعك قد رَأيتُه فَأعْجَبَني ، غَيْرَ أَنَّكَ لم تَقْتُلِ المرأة . قال : إنها نادت فَلَم يُجِبْها أحَدٌ ، فَكَرِهْتُ أنْ أَضْرِبَ بسيفِ رَسولِ الله ﷺ امرأةً لا نَاصِرَ لَها .

٣٧٠ - * روى مسلم عن أنس بن مالك رَضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أخذ سيفاً يوم أحد ، فَقَال : « مَنْ يأخذُ مني هـذا ؟ » فَبَسَطُوا أيـديهم - كلُّ إنسانٍ مِنْهُم يقول : أنـا ، أنا - فَقَالَ : « فَمَنْ يَأخُذهُ بَحقِّه ؟ » فَأَحْجَم القومُ ، فَقَال سِماكَ بنُ خَرَشَةَ ، أبو دُجَانة : أنا آخُذُه بَحَقِّه ، قَالَ : فَأَخَذَهُ فَفَلَق به هَامَ المُشْركين .

٣٧١ - * روى الحاكم عن جابر رضي الله عنه قال : قال لي أبي : يَابُنَيَّ لا أدري لعلي أن أكون في أول مَن يُصَابُ غداً وذلك يوم أحدٍ ، فأوصيك ببنيَّاتِ عبدِ الله خَيْراً ، فالْتقوا فَأصِيبَ ذلك اليومَ .

٣٧٢ - * روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول يوم أُحُد : « اللهم إنك إن تَشأْ لاتُعبَد في الأرض » .

= هتكه : هتك الستر هتكاً : جذبه فأزاله من موضعه أو شق جزءاً منه فبدا ما وراءه .

طارق : نجم الصبح وقولها في البيت تعني أن أبانا في الشرف كالنجم المضيء قاله الجوهري .

وقال الواقدي : عنت أنها من المخدرات اللاتي لا يبرزن إلا ليلاً كالنجم .

النمارق : النمرق والنُّمرقة - مثلثة - : الوسادة الصغيرة .

وامق : ومقه أحبه فهو وامق.

٣٧٠ - مسلم (٤ / ١٩١٧) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٢٥ - باب من فضائل أبي دجانة سماك بن خرشة رضي الله عنه .

ففلق به هام المشركين : أي : شق رؤسهم .

٣٧١ - المستدرك (٣ / ٢٠٣) ، كتاب معرفة الصحابة ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وأقره الذهبي .

٣٧٢ - مسلم (٣ / ١٣٦٣) ٣٢ - كتاب الجهاد والسير . ٧ - استحباب الدعاء بالنصر عند لقاء العدو .

قال النووي : قوله : (إن تشأ لا تعبد في الأرض) قال العلماء : فيه التسليم لقدر الله تعالى والرد على غلاة القدرية الزاعمين أن الشرّ غير مراد ولا مقدّر . تعالى الله عن قولهم . وهذا الكلام متطلب أيضاً النصر . وجاء في هذه الرواية أنّه ﷺ قال هذا يوم أحد ، وجاء بعده أنّه قاله يوم بدر ، وهو المشهور في كتب السيرة والمغازي ، ولا معارضة بينهما . فقاله في اليومين .

٣٧٣ - * روى الطبراني عن سعد بن أبي وقاصٍ أن عبدَ الله بن جحشٍ قال له يومَ أُحُد : ألا تَدْعُو الله ؟ فخلوا في نَاحية فدعا سعدٌ فقال : ياربِّ إذا لقيتُ العدوَّ فلقِّني رَجلاً شديداً بَأسهُ شَديداً حَرَدُهُ أقاتلُه ويقاتلني ، ثم ارزقْني الظَفَرَ عليه حتى أقتلَه وآخذَ سَلَبَهُ فأمّن عبدُ اللهِ ابنُ جحْش ثم قال : اللهم ارزقْني رجُلاً شَديداً حَرَدُهُ شديداً بأسُه ، أقاتله فيك ويُقَاتِلُني ، ثم يأخُذُني فَيجْدَعُ أنفي وَأُذُني فإذا لقيتُك غداً : قُلتَ : مَنْ جَدَعَ أنفَكَ وأُذنَك ؟ فَأقول : فيك وَفي رسولك ﷺ فتقول : صَدَقْتَ قَالَ سَعد : يَابُنَيَّ كانت دَعوةُ عَبدِ الله بن جحش خيرًا مِنْ دعوتي ، لقد رأيتُهُ آخرَ النهارِ وإن أنفه وأذُنه لمعلقان في خَيْطٍ .

٣٧٤ - * روى البخاري عن أبي طلحةَ رضي الله عنه قال : كنتُ فيمن تغشَّاه النُّعاسُ يومَ أُحُدٍ ، حَتَّى سَقَطَ سيفي مِنْ يَدِي مِرَاراً ، يَسقُطُ وآخذُه ، وَيَسقط فآخذُه

وفي رواية الترمذيِّ [(١)] قال : غُشِينا وَنَحنُ في مَصَافِّنَا يَوْمَ أُحُدٍ ، حَدَّثَ أنَّه كَانَ فيمن غَشِيَهُ النُّعاس يَوْمَئِذٍ ، قَالَ : فجَعَلَ سَيْفي يَسْقُطُ مِنْ يَدي وآخُذُه ، ويَسْقُطُ مِنْ يَدِي وآخُذُهُ ، والطائِفَةُ الأُخْرَى المنافقون لَيْسَ لهم هَمٌّ إلا أنفسهم ، أجْبَنَ قومٍ وأَرْعَبه وَأَخْذَله للحَقِّ .

---

٣٧٣ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٣٠١) ، وقال : رواه الطبراني ، ورجاله رجال الصحيح .

حَرَده : حَرِد عليه حَرْداً : غضب واغتاظ فتحرّش بالذي غاظه وهمّ به فهو حَرِد وحَرْدان .

سَلَبه : السَّلَبَ : ما يسلب من القتيل ، وفي الحديث : من قتل قتيلاً فله سَلَبه .

٣٧٤ - البخاري (٧ / ٣٦٥) ٦٤ - كتاب المغازي - ٢١ - باب قوله تعالى : ﴿ ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاساً ... ﴾ الآية

(١) الترمذي (٥ / ٢٢٩) ٤٨ - كتاب تفسير القرآن - ٤ - باب « ومن سورة آل عمران » . عن أبي طلحة . وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح .

وفي أُخْرى لهُ (١) قَالَ : رَفَعْتُ رَأْسِي يَوْمَ أُحُدٍ ، فَجَعَلْتُ أَنْظُر ، وَما مِنْهم يَومئذٍ أَحَدٌ إلا يَميدُ تَحْتَ حَجفَتهِ مِنَ النُّعَاسِ ، فذلكَ قَولُه تعَالى : ﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيكُم مِنْ بَعْدِ الغَمِّ أَمَنَةً نُعاساً ﴾ (٢) .

فائدة : الذي يبدو لي أنّ النعاس أصابهم مرتين يوم أحد : مرّة قبل المعركة ومرّة بعد المعركة ، والروايات هذه تشير إلى الاثنتين فلا شكّ أنّ النعاس الذي أشارت إليه الآية كان بعد المعركة .

﴿ ثم أنزل عليكم من بعد الغمّ أمنة نعاساً ﴾ (٣) .

والنّعاس الذي أشار إليه النص (ونحن في مصافّنا) كان قبل المعركة واختلط الأمر على بعض الرواة فدمجوا الروايتين .

* * *

٢ ـ الالتحام

٣٧٥ ـ * روى الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قالَ : ما نُصِرَ النبيُّ صلّى اللهُ عليه وآله وسلم في مَوْطِن كما نُصِرَ يومَ أحدٍ ، قال : فأنكرْنا ذلك فقال ابن عباسٍ : بيني وَبيْنَ مَنْ أنكر ذلك كِتابُ الله عَزَّ وَجَلَّ ، إن الله عزّ وَجل يقُول في يَوم أُحد ﴿وَلَقَد صَدَقَكُم الله وَعْدَهُ إذ تحسُّونَهُم بإذنهِ﴾ يقُول ابنُ عباسٍ : والحَسُّ القتلُ ﴿ حتّى إذا فشِلتم وَتَنازَعتم في الأمْرِ وَعَصَيْتُم مِنْ بَعْد ما أراكم مَا تُحبُّونَ مِنكم مَنْ يُريدُ الدنيَا وَمِنكُم مَنْ

---

(١) الترمذي في نفس الموضع السابق ، عن أبي طلحة أيضاً . وقال : حديث حسن صحيح .

حجفته : الترس من جلود بلا خشب ولا رباط من عصب .

تميد : مَادَ الشيءُ يميد : إذاتحرّك ، ومال من جانب إلى جانب .

أمَنَةً : الأمَنَةُ والأمنُ واحد .

(٢) آل عمران : ١٥٤ .

(٣) آل عمران : ١٥٤.

٣٧٥ ـ المستدرك (٢ / ٢٩٦) ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وأقره الذهبي . وأحمد في مسنده (١ / ٢٨٧) .

يُريد الآخِرَة ثمّ صَرَفَكم عَنْهم ليبتليَكُم وَلقد عَفا عَنكم وَالله ذو فَضْلٍ عَلَى المُؤمنين ﴾[1]
وَإنَّما عَنى بِهَذا الرُّمَاة ، وذلك أنّ النبي صلى الله عليه وآلهِ وَسَلم أقَامَهُم في مَوضِع ، ثم قَالَ : « احمُوا ظُهُورَنا ، فَإنْ رَأيتُمونَا نُقْتَل فَلاَ تَنْصُروَنا وَا إنْ رَأيتُمونَا قَدْ غَنِمنا فلا تَشْرَكُونَا » فَلما غَنِمَ رَسُول اللهِ صَلى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلم ، وَأبَاحُوا عَسكَر المُشْرِكينَ انكَشَفَ الرّماةُ جميعاً [2] فدخلوا في العسْكر يَنْتَهِبونَ ، وَقَدِ التقَتْ صفُوفُ أصْحَابِ النّبي صلّى اللهُ عليْهِ وَآله وَسَلّم ، فَهُم هَكَذا ، وَشَبَّكَ بين أصَابِع يَدَيْهِ ، والتَبَسُوا ، فَلما أخَلّ الرُّماةُ تِلكَ الخَلّةَ التي كَانُوا فيها ، دَخَل الخَيْلُ مِنْ ذَلِكَ المَوضِعِ على اصْحَابِ النبيِّ ﷺ فضربَ بعضُهم بعضًا والتَبَسُوا ، وقُتِلَ من المسلمينَ ناسٌ كثيرٌ ، وقد كانَ الرسول ﷺ وأصْحَابُه أولَ النهَارِ حَتى قُتِلَ مِنْ أصْحابِ لِوَاءِ المُشْرِكِينَ سَبْعةٌ أو تسعة ، وَجَالَ المسْلمُون جَوْلَةً نحوَ الجَبَلِ ، وَلم يبلغوا حَيْث يَقولُ الناسُ الغابَ ، إنما كَانَ تَحْتَ المِهْراسِ ، وَصَاح الشَّيْطَانُ : قُتِلَ مُحمد ، فَلَم يَشكُّوا فيهِ أنهُ حق فَمازِلْنا كَذلِكَ مَا نشُكُّ أنَهُ قَدْ قُتِلَ ، حَتى طلَع رسُولُ اللهِ صَلّى الله عَلَيهِ وآلِهِ وَسَلّم بينَ السَّعدَيْن ، فعَرَفناهُ بتكفؤه إذا مشى ، قَالَ : فَفرحنا ، حتّى كَأنهُ لَم يُصِبْنا مَا أصَابنا . قال : فَرقَىَ نَحْونا وَهو يَقُول « اشتَدّ غَضَبُ اللهِ عَلَى قَوْمٍ دمَّوا وَجهَ نبيِّهم » قَالَ وَيَقولُ مرَّة أخْرَى : « اللهمَّ إنّه ليسَ لَهُم أنْ يعْلُونا » حتّى انتَهَى إلَينا قَال : فَمكَثَ سَاعةً ، فإذا أبُو سفيانَ يَصيحُ في أسْفل الجبل ، اعْلُ هُبَلُ اعْلُ هُبَل - يَعْني آلهتَهُ أين ابنُ أبي كَبْشَةَ ؟ أين ابنُ أبي قُحافَةَ ؟ أين ابنُ الخطاب ؟ فقال عمر : يارَسُولَ اللهِ ! ألا أجيبهُ قال : « بَلَى » فلما قَال اعْل هُبَل قَالَ عُمَرُ : اللهُ أعلَى وأجَلُّ فَقَالَ أبو

---

(١) آل عمران : ١٥٢ .

(٢) قوله : انكشف الرماة جيعًا : فيه نظر حيث ذكر ابن هشام ستة لم ينكشفوا من الرماة ، واستشهدوا ، منهم أميرهم عبد الله بن جبير .

أخلّ : أخل بالشيء : أجحف وقصّر فيه - وأخلّ الوالي بالثغور - وقلّل الجند بها .

جولة : جال القوم في الحرب جولة : فرّوا ثم كرّوا .

مهراس : المهراس بكسر أوله وسكون ثانيه وآخره سين مهملة - ماء بجبل أحد ، وفي الحديث : إن النبي ﷺ عطش يوم أحد فجاءه عليٌّ رضي الله عنه في درقته بماء من المهراس .

تكفأ في مشيته : انصب فيها انصباباً .

دمّوا : بمعنى أدموا ، أي : أسالوا الدم .

=

سفيـانَ : يـاابنَ الخطّـابِ إنـهُ يَـومُ الصمْتِ فَعَـادَ فَقَـالَ : أيْنَ ابنُ أبي كبشَـة ؟ أينَ ابن أبي قُحَافَة ؟ أينَ ابنُ الخطّابِ ؟ فَقَالَ عُمر : هذَا رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عَليْـهِ وَآلِـهِ وَسَلَّم ، وهَـذَا أبو بَكرٍ وَهَـاأنـا ذَا عُمرُ فَقَـال أبو سُفيَـانَ : يَومٌ بِيَومِ بَـدْرٍ ، الأيـامُ دُوَلٌ والْحربُ سِجَـالٌ ، فَقَالَ عُمَرَ : لاسَواءَ قَتْلانا في الجَنَّة وَقَتْلاكُم في النارِ . قَـالَ : إنكُم لتزعمُون ذَلِـكَ لَقَـد خِبنَـا إذاً وَخَسِرْنَا . ثمّ قَالَ أبو سُفْيانَ : أمَـا إنّكُمْ سَوْفَ تَجِـدون في قَتْلاكُم مُثْلَـة ، وَلم يكنْ ذَلِـك عَنْ رَأي سَراتِنا ، ثُمَّ أَدْرَكَتْه حميَّةُ الجاهِلية ، فَقَال : أمَا إنَّه إذْ كَانَ ذَلِكَ لَم نَكْرَهْهُ .

قـال الـدكتـور البـوطي : مـا الحكمـة في أن يشيع خبر مقتل رسـول الله ﷺ في صفـوف المسلمين ؟!..

الجواب : أن ارتبـاط المسلمين برسول الله ﷺ ووجوده فيا بينهم كان من القـوة بحيث لم يكونوا يتصورون فراقـه ولم يكونـوا يتخيلـون قـدرة لهم على التماسـك من بعـده ، فكان أمر وفـاة رسول الله ﷺ شيئـاً لا يخطر لهم في بـال ، وكأنهم كانوا يُسقطـون حسـاب ذلـك من أذهانهم ، ولا ريب أنهم لو استيقظوا من غفلتهم هذه على خبر وفاته الحقيقية ، لصـدّع الخبر أفئدتهم ، ولزعزع كيانهم الإيماني بل ولقوّضه في نفوس كثير منهم .

فكان من الحكمـة البـاهرة أن تشيـع هـذه الشـائعـة ، تجربـة درسيّـة بين تلـك الـدروس العسكريـة العظيـة ، كي يستفيقَ المسلمون من وَرائِهـا إلى الحقيقـة التي ينبغي أن يـوطنـوا أنفسهم لها منذ الساعة ، وأن لا يرتدوا على أعقابهم إذا وجدوا أن رسول الله ﷺ قد اختفى من بينهم .

ومن أجل بيان هذا الدرس الجليل نزلت الآية تعليقاً على مـا أصـاب كثيراً من المسلمين من ضعف وتراجع لدى سماعهم نبأ مقتل رسول الله ﷺ ، وذلك إذ يقول الله تعالى :

﴿ وما محمدٌ إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مـات أو قُتل انقلبتم على أعقـابكم

= دول : جمع دولة : والدولة في الحرب بين الفئتين : أن تهزم هذه مرة وهذه مرة . .

الحرب سجال : أي تكون مرة لنا ومرة لكم ، وأصله من المستقين بالدلو ، وهوالسَّجْل ، يكون لهذا دلو ولهذا دلو .

المَثْلة : العقوبة والتنكيل ، وجمعها مَثُلاتٌ .

سَرَاة : أشراف ، فهو سرى وهم سَرَاة .

ومن ينقلب على عقبيْهِ فلن يضرَّ الله شيئًا وسيَجزي الله الشاكرين ﴾ [(١)] .

ولقد اتضح الأثر الإيجابي لهذا الدرس ، يوم أن لحِقَ رسول الله ﷺ فعلاً بالرفيق الأعلى ، فقد كانت شائعة أُحُد هذه ، مع ما نزل بسببها من القرآن ، هي التي أيقظت المسلمين ونبَّهتهم إلى الحقيقة ، فودَّعوا رسول الله ﷺ بقلوبهم الحزينة ، ثم رجعوا إلى الأمانة التي تركها بين أيديهم ، أمانة الدعوة والجهاد في سبيل الله ، فنهضوا بها أقوياءَ بإيمانهم أشداءَ في عقيدتهم وتوكلهم على الله تعالى .

٣٧٦ - * روى البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عَنْهما قَالَ : قَال رجل للنبي ﷺ يَوم أُحُدٍ : أرأَيتَ إن قُتِلت فأين أنَا ؟ قَالَ : « في الجنة » فألقى تَمْراتٍ في يده ، ثُمَّ قَاتَل حتَّى قُتل .

قال في الفتح : لكن وقع التصريح في حديث أنس أن ذلك كان يوم بدر ، والقصة التي في الباب وقع التصريح في حديث جابر أنها كانت يوم أحد ، فالذي يظهر أنها قصتان وقعتا لرجلين ، والله أعلم . وفيه ما كان الصحابة عليه من حب نصر الإسلام ، والرغبة في الشهادة ابتغاء مرضاة الله .

٣٧٧ - * روى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قَالَ : دَخلَ عَلي بنُ أبي طالب على فاطمةَ يوم أحد فَقال : خذي هذا السيف غير ذميم . فقال النبي ﷺ : « لئن كنتَ أحسنتَ القتالَ لقد أحْسَنهُ سَهْلُ بن حُنَيفٍ وَأبو دُجَانة سِمَاكُ بنُ خرَشَةَ »

٣٧٨ - * وروى أبو يعلى عن عُقبَةَ مَوْلَى جبر بنِ عتِيك رضي الله عنهما ، قال : شَهِدْتُ أُحدًا مَعَ مَوالِيَّ فَضَربْتُ رَجُلاً مِنَ المشركِين، فَلَمَّا قَتَلْتُه قلتُ: خذها مِنّي وَأنا الرَّجُلُ الفارسيُّ،

---

(١) آل عمران : ١٤٤ .

٣٧٦ - البخاري (٧ / ٣٥٤) ٦٤ - كتاب المغازي - ١٧ - باب غزوة أحد .

ومسلم نحوه (٣ - ١٥٠٩) ٣٣ - كتاب الإمارة - ٤١ - باب ثبوت الجنة للشهيد .

٣٧٧ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٢٣) ، وقال : رواه الطبراني ، ورجاله رجال الصحيح .

٣٧٨ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١١٥) ، وقال : رواه أبو يعلى ، ورجاله ثقات .

فلما بَلغتْ رسولَ الله ﷺ قال : « ألاَ قُلتَ خذهـا وأَنـا الغلام الأنصـاريُّ فـإنَّ مولى القومِ مِنْ أنفُسِهم » .

٣٧٩ - * روى البخـاري عن البرَاء بن عـازب رضي الله عنهما قـال : لَقِينـا المُشرِكين يوْمئذٍ ، وَأجْلَس النَّبيُّ ﷺ جَيْشاً مِنَ الرُّماةِ ، وَأمَّر عَلَيْهم عبدَ اللهِ وقـالَ : « لا تبرحُوا إن رَأيتُمونَا ظَهَرْنا عَلَيْهم فَلا تبْرحُوا ، وَإنْ رَأيتموهم ظهروا علينـا فلا تُعينُونـا » فلمـا لقينـا هَرَبـوا ، حتَّى رَأيتُ النِّسـاءَ يشْتَـدِدنَ في الجَبـل ، رفعْن عن سُوقِهنَّ ، قـد بَـدَتْ خلاخيلهنَّ فَأخَذُوا يقُولُون : الغنيمـةَ ، الغنيمـةَ ، فقـال عبـدُ الله عَهِـدَ إليَّ النبيُّ ﷺ : أن لا تبرحوا ، فأبوْا ، فلمَّا أبَوْا صُرِفَ وجوهُهم ، فأصِيبَ سبعون قتيلاً ، وأشرف أبو سفيان فقَال : أَفي القَـوم مُحمـدٌ ؟ فَقَـالَ : « لاَ تُجِيبُـوهُ » قَـالَ : أَفي القَـومِ ابنُ أبي قُحـافـةَ ؟ قـال : « لا تجيبوه » فقـال : أفي القوم ابنُ الخطَّـاب ؟ فقـال : إن هؤلاء قُتِلوا ، فلو كانـوا أحيـاءً لأجابوا ، فلم يملك عمرُ نَفْسَه ، فقال كَذَبْت يا عدوَّ الله ، أبْقَى الله عليك ما يُخْزِيكَ ، قـال أبو سُفيانَ : اعْلُ هُبَل . فقـال النبيُّ ﷺ « أجيبوه » قـالوا : مـا نقول ؟ قـال : « قُولُوا : الله أعلى وأجـلُّ » قـال أبـو سفيـان : لنـا العُـزّى ، ولا عُـزّى لكُم ، فقـال النبيُّ ﷺ : « أجيبوه » . قَالوا : ما نقول ؟ قَالَ : « قولُوا : الله مَوْلانَـا ، وَلاَمَولَى لَكُم » قـالَ أبو سفيانَ : يومٌ بيوم بَدرٍ ، والحربُ سِجالٌ ، وتَجِدُون مُثْلَةً ، لَمْ آمُرْ بِهَا ، وَلَم تَسُؤني .

- وأخرج أبو داود[1] الروايـة الثـانيـة إلى قولـه : صُرِفَتْ وجُـوههم ، ثُمَّ قَـالَ : وَأقبلُـوا مُنْهَزِمين وَفي روَاية : فأنا وَاللهِ رَأيْتُ النِّساءَ يُسْنِدْنَ في الجبل .

---

٣٧٩ - البخاري (٧ / ٣٤٩) ٦٤ - كتاب المغازي - ١٧ - باب غزوة أحد .

يشتددن : الشدّ : العَدْو .

سُوقهن : السُّوق : جمع ساق الإنسان .

اعْلُ هُبَل : اسم صنم ، وقوله : ﴿ اعْلُ ﴾ أمر بالعلو .

العُزّى : اسم صنم ، وهو تأنيث الأعزّ .

(١) أبو داود (٣ / ٥١) ، كتاب الجهاد ، باب في الكناء .

صُرِف وجوههم : كنى بصرف الوجوه عن الهزيمة ، فإن المنهزم يلوي وجهه عن الجهة التي كان يطلبها إلى ورائه .

يُسندن : يصعدن .

وقال في الفتح : قوله (رفعن عن سوقهن) جمع ساق أي ليعينهن ذلك على سرعة الهرب . وفي حديث الزبير بن العوام عند ابن إسحاق قال : والله لقد رأيتني أنظر إلى خَدَم [١] هند بنت عتبة وصواحباتها مشمّرات هوارب ما دون أحدهن قليل ولا كثير . إذ مالت الرماة إلى العسكر حينَ كشفنا القَومَ عنه وخلّوا ظهرنا للخيل ، فأُتينا من خَلْفِنَا ، وصرخ صارخٌ : ألا إنَّ محمداً قد قُتِل ، فانكفَأْنا وانكفأ علينا القوم بعد أن أصبنا أصحاب لوائهم حتى ما يدنو منه أحد من القوم .

وقال : وفي هذا الحديث من الفوائد منزلة أبي بكر وعمر من النبي ﷺ وخصوصيتهما به بحيث كان أعداؤه لا يعرفون بذلك غيرهما ، إذ لم يسأل أبو سفيان عن غيرهما . وأنه ينبغي للمرء أن يتذكر نعمة الله ويعترف بالتقصير عن أداء شكرها . وفيه شؤم ارتكاب النهي ، وأنه يعم ضرره من لم يقع منه ، كما قال تعالى : ﴿ **واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة** ﴾ [٢] وأن من آثر دنياه ، أضر بأمر آخرته ولم تحصل له دنياه . واستفيد من هذه الكائنة أخذ الصحابة الحذر من العود إلى مثلها ، والمبالغة في الطاعة ، والتحرز من العدو الذين كانوا يظهرون أنهم منهم وليسوا منهم ، وإلى ذلك أشار سبحانه وتعالى في سورة آل عمران أيضاً : ﴿ **وتلك الأيام نداولها بين الناس** ﴾ إلى أن قال ـ ﴿ **وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين** ﴾ [٣] وقال : ﴿ **ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب** ﴾ [٤] .

وقد تحدث في الفتح عما آل إليه الأمر بعد الفشل :

صاروا ثلاث فرق : فرقة استمروا في الهزيمة إلى قرب المدينة فما رجعوا حتى انفض القتال وهم قليل ، وهم الذين نزل فيهم : ﴿ **إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان** ﴾ [٥] ، وفرقة صاروا حيارى لما سمعوا أن النبي ﷺ قتل فصار غاية الواحد منهم

---

(١) خَدَم : خلاخيل ، ومفردها : خَدَمَةٌ .

(٢) الأنفال : ٢٥ .

(٣) آل عمران : ١٤٠ ـ ١٤١ .

(٤) آل عمران : ١٧٩ .

(٥) آل عمران : ١٥٥ .

أن يذب عن نفسه أو يستمر على بصيرته في القتال إلى أن يقتل ، وهم أكثر الصحابة ، وفرقة ثبتت مع النبي ﷺ ، ثم تراجع إليه القسم الثاني شيئاً فشيئاً لما عرفوا أنه حي ، وبهذا يجمع بين مختلف الأخبار في عدة من بقي مع النبي ﷺ ، فعند محمد بن عائذ من مرسل المطلب بن حنطب : لم يبق معه سوى اثني عشر رجلاً ، وعند ابن سعد ثبت معه سبعة من الأنصار وسبعة من قريش ، وفي مسلم من حديث أنس ، أفرد في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش طلحة وسعد ، وقد سرد أسماءهم الواقدي ، واقتصر أبو عثمان النهدي على ذكر طلحة وسعد وهو في الصحيح « وأخرج الطبري من طريق السدي أن ابن قمئة لما رمى النبي ﷺ وكسر رباعيته وشجه في وجهه وتفرق الصحابة منهزمين وجعل يدعوهم فاجتمع إليه منهم ثلاثون رجلاً ، فذكر بقية القصة ا هـ .

٣٨٠ - * روى البخاري عن أنس بن مالك رَضي الله عنه قال : غَابَ عَمِّي أَنَسُ بن النَّضْر عن قتال بَدْرٍ ، فقال : يا رسُولَ اللهِ ، غِبْتُ عن أول قتال قاتلتَ المشركينَ ، لئن الله أشهدني قِتَالَ المشركينَ لَيرَيَنَّ الله ما أصنعُ ، فلما كان يَوْم أحُد وانكشف المسلمون قال : اللهم إني أعتذرُ إليك مما صنع هؤلاء - يعني أصْحَابَه - وأبْرَأُ إليْكَ مما صنع هؤلاء - يَعْني المشركين - ثم تقدَّم ، فاستَقْبله سعدُ بنُ مُعاذٍ ، فَقَالَ ، ياسَعْدَ بنَ معاذٍ ، الجنَّةَ وَرَب النَّضْرِ ، إني أجِدُ ريحَها من دُونِ أُحُدٍ ، قال سعد : فما استطعتُ يارَسُولَ الله مَا صَنَعَ ، قَال أنس : فوجَدْنَا بهِ بِضْعاً وثَمانِين ضَرْبةً بالسَّيْفِ ، أو طَعْنةً برُمْحٍ ، أو رمْيةً بسهمٍ ، ووجدناه قد قُتِل ، وقد مَثَّل به المشركون ، فمَا عَرَفه أحدٌ إلا أختُهُ ببنَانِه ، قَالَ أنسٌ : كنَّا نُرى - أوْ نَظُنُّ - أنَّ هذه الآية نَزلَتْ فيه وفي أشْبَاهه : ﴿ مِنَ المؤمِنين رجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدوا الله عليه ﴾ [1] .

---

٣٨٠ - البخاري (٦ / ٢١) ٥٦ - كتاب الجهاد - ١٢ - باب قول الله عز وجل : ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ... ﴾ الآية .

البضع : ما بين الثلاث إلى التسع .

ببنانه : البنان : الأصابع ، واحدها : بنانة .

(١) الأحزاب : ٢٣ .

وعنـد مسلم [٢] ، قـال أنس : عمِّي الـذي سُميتُ بـه : لم يشهـدْ معَ رسول الله ﷺ بَـدْراً قال : فشقَّ عليه ، قالَ : أوَّلُ مَشْهَد شَهدهُ رسولُ الله ﷺ غُيِّبْتُ عنْهُ وإن أرَانِيَ اللهُ مَشْهَداً فِيما بَعْدُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ليراني اللهُ ما أصْنَعُ ، قَال : فَهاب أنْ يقُولَ غيرَها ، قَالَ : فشَهد مَع رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ أحُدٍ ، قَالَ : فاستقبَلَ سعدَ بنَ معاذ ، فقال لَهُ أنسٌ : يا أبـا عمرو : أيْنَ ؟ فقال : وَاهاً لِريحِ الجنَّةِ ، أجدُه دُونَ أحُدٍ ، قَالَ : فَقَاتلَهُم حَتَّى قُتِل ، قال : فَوُجِـدَ في جَسده بِضْعٌ وثَمَانُونَ ، مِنْ بيْنَ ضَرْبةٍ وَرَميةٍ وَطَعْنةٍ ، ثم ذكر نحو ما تقدم .

قال في الفتح : قولـه : ﴿ إني أجد ريح الجنـة دون أحد ﴾ يحتمل أن يكون ذلـك على الحقيقة بأن يكون شم رائحة طيبة زائدة عما يعهد فعرف أنها ريح الجنة ، ويحتمل أن يكون أطلق ذلك باعتبار ما عنده من اليقين حتى كأن الغائب عنـه صـار محسوساً عنـده ، والمعنى أن الموضع الذي أقاتل فيه يئول بصاحبه إلى الجنة .

قوله : (فمضى فقتل) في رواية عبد الأعلى (قال سعد بن معاذ : فما استطعت يـارسول الله ما صنع) . قلت : وهذا يشعر بأن أنس بن مالك إنمـا سمع هـذا الحـديث من سعـد بن معاذ لأنـه لم يحضر قتل أنس بن النضر ، ودل ذلـك على شجـاعـة مفرطـة في أنس بن النضر بحيث أن سعد بن معاذ مع ثباتـه يوم أحـد وكمال شجـاعتـه مـا جسر على مـا صنع أنس بن النضر . ا هـ .

ـ وفي الحديث جواز الأخـذ بـالشـدّة في الجهـاد ، وبـذل المرء نفسـه في طلب الشهـادة ، والوفاء بالعهد .

٣٨١ ـ * روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أُفْرِدَ يَومَ أحُـدٍ في سَبْعَـة مِن الأنصَـار ، وَرَجُلين مِنَ قُرَيْشٍ ، فَلَمَّـا رَهِقُـوه قـال : « مَنْ يَرُدُّهم عنَّـا ولـهُ

---

(٢) مسلم (٣ / ١٥١٢) ٣٣ ـ كتاب الإمارة ـ ٤١ ـ باب : ثبوت الجنة للشهيد .

٣٨١ ـ مسلم (٣ / ١٤١٥) . ٣٢ ـ كتاب الجهاد والسير ـ ٣٧ ـ باب غزوة أحد .

رَهِقوه : رَهِقه يَرْهَقُهُ رَهَقاً ، أي : غشيه ، والإرهاقَ : الإعْجال . وقيل : رَهِقُوه ، أي قربوا منـه ، ومنـه المراهق ، وهو الغلام الذي قارب الاحتلام .

الجنةُ ؟ » أو « هو رفيقي في الجنة » ـ فَتَقَدَّم رجلٌ من الأنْصَار ، فَقَاتَل حَتى قتل ، ثم رَهقوه أيضاً ، فَقَال : « مَنَ يَرُدُّهم عَنَّا وَلَه الجنة ؟ » أو « هو رَفيقي في الجنة » فَتَقَدم رَجل مِنَ الأنصار ، فَقَاتَلَ حَتى قُتل ، فَلَم يَزَل كَذَلك حَتى قُتل السَّبعة ، فَقَال رَسولُ الله ﷺ لصاحبيه : « ما أنصَفْنا أصحابَنا » .

وفي قوله : « ما أنصفنا أصحابنا » . قال ابن القيم : وهذا يروى على وجهين : بسكون الفاء ونصب أصحابنا على المفعولية ، وفتح الفاء ورفع أصحابنا على الفاعلية ، ووجه النصب أن الأنصار لما خرجوا للقتال واحد بعد واحد حتى قتلوا ولم يخرج القرشيان ، قال ذلك أي ما أنصفت قريش الأنصار ، ووجه الرفع أن يكون المراد بالأصحاب الذين فروا عن رسول الله ﷺ حتى أفردوه في النفر القليل فقتلوا واحد بعد واحد فلم ينصفوا رسول الله ﷺ ولا من ثبت معه ا هـ .

قال ابن حجر في الفتح : عن جابر قال : (تفرق الناس عن النبي ﷺ يوم أحد وبقي معه أحد عشر رجلاً من الأنصار وطلحة) وإسناده جيد ، وهو كحديث أنس ، إلا أن فيه زيادة أربعة فلعلهم جاءوا بعد ذلك . ا هـ .

أقول : لقد كانت المواقف متلاحقة والمشاهد متعدّدة متجدّدة ، وكلٌّ تحدّث عن مشهد أو موقف فلا منافاة بين الأقوال .

٣٨٢ ـ * روى مسلم عَن أَنَس بن مَالكٍ قَالَ : لما كَانَ يَوْمُ أُحدٍ انهزَمَ نَاسٌ مِنَ النَّاس عَن النَّبي ﷺ ، وَأَبو طَلحَةَ بيْن يَدَي النَّبيِّ ﷺ مُجوِّبٌ عليه بحجَفَةٍ . قَالَ : وَكَانَ أَبو طَلْحَةَ رَجُلاً رَامياً شَديد النَّزْع ، وَكَسرَ يَوْمئذٍ قَوْسَيْن أَوْ ثَلاثاً . قَالَ : فَكَان الرَّجُلُ يَمرُّ مَعَهُ الجَعْبَةُ مِنَ النَّبْلِ . فَيَقُولُ : انْثُرهَا لأبي طَلْحَةَ . قالَ : وَيُشْرِفُ نَبيُّ الله ﷺ يَنْظُرُ

---

٣٨٢ ـ مسلم (٣ / ١٤٤٣) ٢٢ ـ كتاب الجهاد والسير ـ ٤٧ ـ باب غزوة النساء مع الرجال .
والبخاري نحوه (٧ / ١٢٨) ٦٣ ـ كتاب مناقب الأنصار ـ ١٨ ـ باب مناقب أبي طلحة رضي الله عنه .
مُجَوِّبٌ عليه : أي ساتر له ، قاطع بينه وبين الناس ، وهو من الجوب : القطع ، ويتجوب : يتفعّل منه .
شديد النزع : النزع : مد القوس ، وشدّته : كناية عن استيفاء السهم جميعه في جذبه .
الجعبة : التي تكون فيها السهام ، تُتَّخذ من الجلود .

=

إلَى الْقوم . فَيَقُولُ أَبُو طَلْحَةَ : يآ نَبيَّ الله ! بِأَبي أَنْتَ وَأُمّي ! لاَتُشْرِفُ لاَيُصِبْكَ سَهْمٌ مِنْ سِهامِ الْقَومِ . نَحري دُونَ نَحْرِك . قَالَ : وَلَقَدْ رَأَيْتُ عَائِشَةَ بِنتَ أَبِي بَكْرٍ وَأُمَّ سُلَيْمٍ وَإِنَّهما لَمُشَمِرتَانِ . أرى خَدَمَ سُوقِهِا . تَنْقُلاَنِ الْقِربَ عَلَى مُتُونِها ، ثُم تُفْرِغَانِه في أَفْوَاهِهِمْ ، ثُمَّ تَرْجِعانِ فَتَمْلآنِها ، ثُمَّ تجيئانِ تُفرْغَانِه في أَفْوَاهِ الْقَوْم . وَلَقَد وَقَعَ السَّيفُ مِنْ يَدَي أَبِي طَلْحَة إمَّا مَرَّتَينِ وَإمَّا ثَلاثاً ، مِنَ النُّعاسِ .

وللبخاري (١) قال : كَان أَبو طَلحَةَ يتتَرَّسُ مَعَ النبي ﷺ بِتِرْسٍ وَاحد ، وكان أَبُو طَلحة حَسَنَ الرَّمي ، فكَانَ إِذَا رمَى يُشْرِفُ النبي ﷺ ، فَيَنْظر إلى مَوْضع نَبْله .

٣٨٣ - * وروى الحاكم عن موسى بن طلحة أن طلحة رَجَعَ بَسَبعٍ وثَلاثينَ أو خمسٍ وَثَلاثين بَين ضَرْبةٍ وَطعنةٍ ورميةٍ ترَصَّعُ جبينَه وقطعت سبَّابَتَه وشلتِ الإصبَعُ التي تَليها .

٣٨٤ - * روى البخاري عن قيسِ بن أبي حازمٍ رحمه الله قال : رَأيتُ يدَ طَلْحة التي وَقى بها النبي ﷺ قد شَلَّت .

وفي رواية (٢) : « رأيتُ يَدَ طلحةَ شَلاَّءَ وَقَى بها النبي ﷺ يَومَ أُحد .

٣٨٥ - * وروى النسائي عن جابر بن عبد الله رَضي الله عنهما قالَ : لما كان يَوم أحد وَ ولى الناسُ ، كَان رَسُول الله ﷺ في نَاحيةٍ في اثْنَي عَشْرَ رَجلاً مِنَ الأنصار ، وفيهم طَلحةُ بنُ عُبيد الله ، فَأدْرَكهم المُشركُون ، فالتفت رَسول الله ﷺ ، وقال : « مَن للقوم ؟» فقالَ طلحةُ : أنا ، قَالَ رَسول الله ﷺ :« كما أَنت » فقال رجل من الأنصار: أنا

= يشرف : الإشراف : : الاطّلاع على الشيء .

خدم سوقها : الخَدَمَة : الخلخال .

(١) البخاري (٦ / ٩٣) ٥٦ - كتاب الجهاد - ٨٠ - باب المِجَنّ ومن يترس بترس صاحبه .

٣٨٣ - المستدرك (٣ / ٢٥) ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . وأقره الذهبي .

ترصَّعُ جبينه : أي ضُرِب ضرباً شديداً .

٣٨٤ - البخاري (٧ / ٨٢) ٦٢ - كتاب فضائل الصحابة - ١٤ - باب ذكر طلحة بن عبيد الله .

شَلَّتْ : الشلل فساد اليد بمرض أو قطع ، ورَجلٌ أشلُّ ، ويد شَلاَّء ، وشَلَّتْ يده ، فهي مشلولة .

(٢) البخاري (٧ / ٣٥٩) ٦٤ - كتاب المغازي - ١٨ - باب « إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما ... » .

٣٨٥ - النسائي (٦ / ٢٩) كتاب الجهاد ، باب ما يقول من يطعنه العدو . وجوّد إسناده الحافظ في الفتح .

=

يارسول الله ، فقال : « أَنتَ » فقـاتل حَتى قُتل ، ثم التفتَ فـإذا المشركونَ ، فقـال : « مَن للقَوْم ؟ » فَقَال طلحةُ : أنا ، قَـال : « كما أنت » فقـال رجلٌ مِنَ الأنصـار : أنـا ، فقـال : « أنت » فقاتل حتى قُتل ، ثم لم يزل يقول ذلك ، ويخرج إليهم رَجل من الأنصار ، فيقَـاتل قتال مَن قَبْله حتى يُقْتَلَ حتى بقي رسول الله ﷺ وَطَلحـةُ بن عبيـد الله ، فَقَـال رَسولُ الله ﷺ : « مَن للقوم ؟ » فَقَال طَلْحَةُ : أنا فَقَـاتل طَلْحَـةُ قِتـال الأحَـدَ عَشر ، حَتَّى ضُربَت يـدُه ، فقُطعت أصـابعُـه ، فقـال : حَسِّ ، فَقَـال رَسَـولُ الله ﷺ : « لـو قلتَ : بسم الله لَرَفَعَتْكَ الملائكةُ والناسُ يَنْظرون » ثم ردَّ اللهُ الْمشْركيْنَ .

٣٨٦ ـ * روى البخـاري ومسلم عن أبي عثمان النهدِي رحمـه الله قـال : لم يبـق مـع النبي ﷺ في بعض تلـك الأيـام ـ التي قـاتـل فيهن رسـولُ الله ﷺ ـ غيرُ طلحــة وَسَعْــدٍ ، عَنْ حَديثهما .

قـال في الفتح : ووقع عنـد أبي نعيم في « المستخرج » من طريـق عبـد الله بن معـاذ عن معتمر في هـذا الحـديث « قـال سليمـان فقلت لأبي عثمان : ومـا علمـك بـذلـك ؟ قَـال : عَنْ حَديثِهما » وَهَذَا قد يعكر عليـه أن المقـداد كَـانَ ممن بقي معـه ، لكن يحتمل أن المقـداد إنمـا حضر بعد تلك الجولة ، ويحتمل أن يكون انفرادهما عنه في بعض المقامـات ، فقـد روى مسلم من طريق ثـابت عن أنس قـال : « أفرد رسـول الله ﷺ يـوم أحـد في سبعـة من الأنصـار ورجلين من قريش » وكأنه المراد بـالرجلين طلحـة وسعـد ، وكأن المراد بـالحصر المـذكور في حديث الباب تخصيصه بالمهاجرين ، فكأنه قـال : لم يبق معه من المهـاجرين غير هـذين ، وتعين حمله على ما أولته وأن ذلك بـاعتبـار اختلاف الأحوال وأنهم تفرقوا في القتـال ، فلمـا وقعت الهزيمة فبين انهزم وصاح الشيطان : قتل محمـد ، اشتغل كل واحـد منهم بهمـه والـذب عن نفسه كما في حديث سعد ، ثم عرفوا عن قرب ببقائـه فتراجعوا إليـه أولاً فـأولاً ، ثم بعـد ذلك كان ينـدبهم إلى القتال فيشتغلون به . وروى ابن إسحـاق بـإسنـاد حسن عن الزبير بن

= حَسِّ : كلمة تقال عند التوجّع .

٣٨٦ ـ البخاري (٧ / ٨٢) ، واللفظ له ، ٦٢ ـ كتاب فضائل الصحابة ـ ١٤ ـ باب ذكر طلحة بن عبيد الله .

ومسلم(٤ / ١٨٧٩) ٤٤ ـ كتاب فضائل الصحابة ـ ٦ ـ باب من فضائل طلحة والزبير ، رضي الله تعالى عنهما .

العوام قال : « مال الرماة يوم أحد يريدون النهب ، فأتينا من ورائنا ، وصرخ صارخ : ألا إن محمداً قد قتل ، فانكفأنا راجعين ، وانكفأ القوم علينا » . أ.هـ

٣٨٧ - * روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت : لما كان يوم أحد هُزِمَ المشركون فصرخ إبليسُ لعنة الله عليه أيْ عِبَادَ اللهِ ، أُخْرَاكُم ، فرجَعَتْ أُولاَهُم ، فاجْتَلَدَتْ هي وأُخْرَاهُم ، فَبَصُرَ حذيفة ، فإذَا هُوَ بأبيه اليمان ، فقَالَ: أي عباد الله ، أبي ، أبي ، قَالَ: قَالَتْ : فَوَاللهِ ما احتجزوا حتَّى قَتَلُوهُ ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ : يَغْفِرِ اللهُ لَكُم ، قَالَ عُرْوَةُ : فَوَاللهِ مَازَالَتْ فِي حُذَيْفَةَ مِنْهَا بقيةُ خَيْرٍ ، حَتَّى لَحِقَ باللهِ .

في رواية أن النبي ﷺ قدَّم لحذيفة دية أبيه فرفضها وتصدق بديته على المسلمين فزاده ذلك عند النبي ﷺ خيراً .

٣٨٨ - * روى البزار عن أبي بكر ، رضي الله عنه : لَمَّا انصرفَ النَّاسُ عنِ النبي ﷺ كنتُ أولَ من فَاءَ إلى رسول الله ﷺ فجعلْتُ أنظرُ إلى رجُلٍ يقاتِلُ بينَ يَديْهِ فَقلتُ : كُنْ طلحةَ ، ثم نَظرْتُ فإذا أنا بإنسانٍ خَلْفي كأنهُ طائرٌ فلم أشعرْ أن أدرَكَني ، فإذا هوَ أبو عُبيدةَ ابنُ الجرَّاح ، وإذا طلحةُ بينَ يديه صَريعاً ، قال : دونكم أخوكم فقدْ أَوْجَبَ ، فتركْناه ، وأَقْبَلْنَا على رسول الله ﷺ وإذا قدْ أصَاب رسول الله ﷺ في وجهه سَهْمان فأردْتُ أنْ أنْزِعَهما فما زالَ أبُو عُبيدة يسألُني ويطلبُ إلي حتى تركْتُهُ فَنَزَعَ أحدَ السَّهمين وأزَمَّ عليه بأسنانِهِ فقلَعَه ، وابتَدَرت إحدى ، ثِنْيَتَيْهِ ، ثم لمْ يزَلْ يسألُني ويطلبُ إليَّ أنْ أدعَه ينزعُ الآخَرَ ، فوضَعَ ثنْيتَه علَى السَّهم وأزمَّ عليهِ كراهيةَ أنْ يؤذي النبيَّ ﷺ إنْ تحوَّل فَنَزَعَه وابتَدَرَتْ ثنيَّتُه أو إحدى ثنيته فكانَ أبو عبيدةَ أَهْتَمَ الثَّنايا .

---

٣٨٧ - البخاري (٧ / ٣٦١) ٦٤ - كتاب المغازي - ١٨ - باب : « إذ همّت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما ... » .

اجْتَلدت : الاجتلاد : افتعال من الجلد ، وهو الضرب .

احتجزوا : الاحتجاز والانحجاز : الكفُّ عن الشيء .

٣٨٨ - البزار : كشف الأستار (٢ / ٣٢٤) ، كتاب الهجرة والمغازي ، باب غزوة أحد ، وقال : لا نعلم أحدًا رفعه إلا أبو بكر الصديق ، ولا نعلم له إسنادًا غير هذا ، وإسحاق - يعني ابن يحيى بن طلحة - قد روى عنه عبد الله بن المبارك وجماعة ، وإن كان فيه ، ولا نعلم أحدًا شاركه في هذا . ا هـ - وللحديث طرق يرتقي بها إلى رتبة الحسن .

الثنية : إحدى الأسنان الأربعة التي في مقدم الفم .   أهتم : منزوع الثنايا .

٣٨٩ ـ * روى الحاكم عن سعيد بنُ المُسَيِّب عَنْ أبيه قال : أَقْبلَ أُبَيٌّ بنُ خَلَفٍ يَومَ أحد إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم يُريدهُ فاعترض رِجَال مِن المؤمنين فَأَمَرَهُم رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم فخلَّوْا سبيله فاسْتَقْبَله مُصْعَبُ بنُ عُمَيْر أخو بني عبْد الدار ، ورأى رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم تَرْقُوَةَ أبي مِنْ فرجة بينَ سَابِغَةِ الدِّرْع والبَيْضَةِ ، فَطَعَنَهُ بحَرْبَتِهِ ، فَسَقط أبيٌّ عَنْ فَرَسِهِ وَلَم يَخرُجْ مِنْ طَعنتِه دم فكسر ضِلْعاً مِنْ أَضْلاَعِهِ فأتاه أَصْحَابُه وهُو يَخُورُ خُوَارَ الثورِ فقالُوا له : مَا أَعْجَزَكَ إنما هُوَ خَدْشٌ ، فَذكر لهمْ قَوْلَ رسُولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم « بل أنا أَقْتلُ أُبَياً » ثم قال : والذي نَفسِي بيده لَو كَانَ هذا الذي بي بأهلِ ذِي المَجاز لَمَاتوا أجمعين ، فماتَ أُبيٌّ إلى النار فَسُحْقاً لأصحَاب السعير قبل أن يقدَم مكة فأنزل الله : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ ولكنَّ الله رَمَى ﴾ [1] الآيه .

٣٩٠ ـ * روى الحاكم عن سعدِ بن أبي وَقَّاص رضيَ الله عَنْهُ قَال : لما جَالَ الناس عن رسول الله صلى الله عَلَيهِ وآلِهِ وَسَلم تلكَ الجَولة يَوم أحُدٍ تنحيتُ فقُلتُ : أَذُودُ عن نفسي فإما أن أستشهدَ وإما أن أنجوَ حتى ألقى رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فبيْنا أنا كذلك إذا برجل مُخَمَّر وجههُ ما أدري من هُوَ ؟ فأقبل المشركون ، حتى قلت : قد ركبوه ملأ يَدَهُ من الحصى ، ثم رمَى به في وجوههم ، فَنَكَبُوا على أعقابهم القَهْقَرى ، حتى يأتوا الجبل ، ففعل ذلك مراراً وَلا أدري مَنْ هُو ؟ وَبيني وبينه المِقْدَادَ بنُ الأسود فبيْنا أنا أريد أن أسأل المِقدَاد عَنْهُ ، إذْ قَال المِقْدادُ : يا سَعْدُ هذَا رَسُول اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم

٣٨٩ـ المستدرك (٢ / ٣٢٧) ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . وأقره الذهبي .

ترقوة : أعلى الصدر ـ عظمة مشرفة بين ثغرة النحر والعاتق وهما ترقوتان .

سابغة : درع سابغة : تامّة طويلة .

(١) الأنفال : ١٧ .

٣٩٠ ـ المستدرك (٣ / ٢٦) ، كتاب المغازي ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

جال : جال القوم جولة : انكشفوا ثم كرّوا .

تنحيْت : تنحّى . الناحية : الجانب .

أذودُ : الذود : السوق والطرد والدفع .

مُخَمَّر : خمر : توارى . التخمير : التغطية .

ركبوه : ركبه : علاه .

نكَبوا : نكَب عنه عدل وتنحّى . والشيء نحّاه .

يـدعـوك فقلتُ : وأين هـو ؟ فـأشـار لي المقـدادُ إليـه فقُمتُ ، ولكأنـه لم يُصِبْني شيء من الأذى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :« أين كنتَ اليومَ يا سعـدُ ؟» فقلتُ : حيث رَأيتَ يارَسولَ الله ، فأجلسني أمامه ، فجعلت أرمي وأقول : اللهم سَهْمَكَ فَارْمِ به عـدوِّك ، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول :« اللهم استجبْ لسعدٍ اللهم سَدِّدْ لسَعدٍ رَميتَه إيْهاً سعدُ فداك أَبي وأمي » فما من سهم أرمي به إلا قـال رسول الله صلى الله عليـه وآلـه وسلم : « اللهم سَـدِّدْ رَمْيَتَـه وأجِبْ دعوتَـه إيْهَـاً سعـدُ »حتى إذا فرغت من كِنَـانَتي نثر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما في كنانته فَنَبَلَني سَهماً نَضِيًا وكان أشدَّ مِنْ غيرِهِ . قال الزُهري إن السهام التي رمى بها سعد يومئذ كانت ألف سَهْم .

٣٩١ ـ * روى الحاكم عن سعـد بن أبي وقـاص قـال : كان حمزةُ بنُ عبـدِ المطلبِ يقـاتلُ يومَ أُحُدٍ بينَ يديْ رسولِ الله صلى الله عليه وآلِهِ وسلم ويقول : أَنا أَسَدُ اللهِ .

٣٩٢ ـ * روى البخاري عن جَعفر بن عَمرِو بنِ أميـةَ الضَّمْري رَحِمـه الله قـال : خَرَجْتُ معَ عبيدِ اللهِ بـن عديّ بنِ الخِيارِ ، فَلما قَدمنا حِمْصَ ، قَالَ لي عبيدُ الله بن عدي : هَل لـكَ في وَحْشِيٍّ نسأَلُه عَن قتلِ حمزةَ ؟ قُلْت : نَعَمْ ، وكان وحْشي يسْكن حِمصَ ، فسَـألْنـا عَنْـه ، فقيل لَنَا : هُوَ ذَاكَ في ظلِّ قَصْرِهِ ، كأنه حَميتٌ [1] ، قالَ : فَجئْنَا حَتَّى وَقَفْنَا عَليه بيسير ، فَسَلَّمنَـا ، فَرَدَّ السـلامَ ، قَـالَ : وعبيـدُ الله مُعْتَجِرٌ [2] بعمامتـه ، مَـا يَرى وحشيٌّ إلا عَيْنيـه

إيْهًا : بالتنوين للاستزادة من حديث أو عمل ما .

النَّضِيّ : سهم فسد من كثرة ما رمى به ، والنضي كغَنِيٍّ : السهم بلا نصل ولا ريش .

٣٩١ ـ المستدرك (٣ / ١٩٤) ، كتاب معرفة الصحابة ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وصححه الذهبي .

٣٩٢ ـ البخاري (٧ / ٣٦٧) ٦٤ ـ كتاب الغازي ٢٣ ـ باب قتل حمزة بن عبد المطلب ، رضي الله عنه .

(١) قال في الفتح : قوله (كأنه حميت) بمهملة وزن رغيف ، أي زق كبير ، وأكثر مـا يقـال ذلـك إذا كان مملوءًا ، وفي رواية لابن عائذ « فوجدناه رجلاً سمينًا محمرة عيناه » وفي رواية الطيالسي « فإذا به قد أُلقي لَهُ شَيء على بَابـه وهو جَالسٌ صَاح وفي رواية ابن إسحـاق (على طنفسـة لـه) وزاد (فـإذا شيخ كبير مثل البُغَـاث) يعني بفتح الموحـدة والمعجمة الخفيفة وآخر مثلثه وهو طائر ضعيف الجثة كالرخمة ونحوها مما لا يصيد ولا يصاد .

(٢) قوله (متجر) أي لاف عمامته على رأسه من غير تحنك .

قال الحميدي : وقد جاء في هذا الحديث (وما يَرَى وحشي منه إلا عينيه ورجليه) فلعله كان قد غطى وجهـه بعـد الاعتجار . =

وَرِجْليه ، فَقال عبيدُ الله : يا وُحشيٌّ ، أتعرفني ؟ قَال : فنظر إليه ، ثم قَال : لا واللهِ ، إلا أني أعْلَمَ أن عديٌّ بنَ الخيـار تزوج امرأةً يُقـالُ لها : أُمُّ قِتـال بنت أبي العِيص ، فوَلـدت لـه غلاماً بمكَّة ، فكنتُ أستَرْضِع لَـهُ ، فحملْتُ ذلك الغلامَ معَ أمِّـهِ ، فنَـاولتُها إيـاه ، فكأنّي نظرتُ إلى قَدَمَيْكَ ، قال : فكشَفَ عُبَيْدُ الله عَنْ وَجهه ، ثم قَـالَ : ألا تَخبرنـا بقتْل حمزةَ ؟ قال : نعم ، إنَّ حَمْزةَ قتَلَ طُعَيْمـةَ بنَ عَـدي بـنِ الخِيَـار بِبَـدْر ، فقـالَ لي مَوْلاَيَ جُبَيْرَ بنُ مطعمٍ : إنْ قَتَلْت حَمزةَ بعمّي فأنتَ حُرٌّ ، قالَ : فلما أن خرج الناسُ عام عَيْنَيْن ـ وعَينين جَبَل بحيَالِ أُحُدٍ ، بينه وبينـه وادٍ ـ خرَجْتُ مع النـاس إلى القِتَـال ، فَلما اصطفُّوا للقِتَـالِ خَرجَ سِباعٌ ، فَقَالَ : هَل مِنْ مُبـارزٍ ؟ قَـالَ : فَخَرَجَ إليـه حمزةُ بنُ عبـد المطلبِ ، فقَـال : ياسِباعُ ، ياابنَ أمِّ أنْمَارٍ مُقَطِّعَةِ البُظُورِ ، أتُحَادُّ اللهَ ورَسولَـه ﷺ ؟ قـال : ثم شـدَّ عليـه ، فكان كَـأَمْسِ الـذاهب ، قـال ؛ وَكَمَنْتُ لحمزة تَحتَ صَخْرةٍ ، فلما دنـا مني رميتُـه بحَرْبتي ، فَأَضعُها في ثُنَّتِهِ ، حتى خرجتْ من بين وركَيـهِ ، قـال : فكان ذلـك العهـدُ بـه ، فلمـا رجع الناس رجعتُ معهم ، فَأقمتُ بمكة حتى فشا فيها الإسلامُ ، ثم خرجتُ إلى الطائف ، فـأرسَلُوا إلى رسـول الله ﷺ رُسُلاً فقيـل لي : إنـه لا يَهيـجُ الرسـلَ ، قـال : فخرجتُ معهم ، حتى قَـدِمْتُ عَلى رَسـولِ اللهِ ﷺ ، فلمـا رآني قـال : «آنت وحشيٌّ» قُلْت : نعم ، قـال : «أنت قتلتَ حمزةَ ؟» قُلْتُ : قَـد كَـانَ مِن الأمرِ مـا بلغـك ، قـال : « فهل تستطيعُ أن تُغَيِّب وجهَك عني ؟» قال : فخرجت ، فلما قُبض رسول الله ﷺ ، فخرج مسيلمةُ الكذاب قلتُ : لأخرُجنَّ إلى مسيلمـة لعلي أقتلـه ، فـأكافئ بـه حمـزة ، قـالَ : فخَرجْتُ مَـعَ النّـاس ، فكَـانَ مِنْ أمْرهِ مَا كَان قال : فإذَا رَجلٌ قَائمٌ في ثُلْمَةِ جدارٍ كأنه جَمَلٌ أَوْرَقُ ، ثائرُ الرأسِ ، قَـالَ : فرَمَيتهُ بحرْبَتي ، فَأَضَعُها بين ثَدييْه حَتى خَرجَتْ مِنْ بَيْن كَتفَيْـه ، قَـالَ : وَوَثَب رَجلٌ مِنَ الأنصَار فَضربَه بـالسيفِ عَلى هَـامَتِـه قـال : قـال عبـد اللهِ بنُ الفَضْلِ : فَـأخْبَرَني سُلَيمانُ بنُ

= بحيال : حيال الشيء : مقابله .

مقطّعة البظور : بظور النساء : اللاتي تُختن منهن ، والمقطّعة : التي تختن النساء .

أتُحادُّ ؟: المُحادَّة : المخالفة ، ومنع الواجب عليه .

لا يهيج : هاج الإنسان يهيجه : إذا أفزعه وآذاه .

أوْرَقُ : الوُرْقة في ألوان الإبل : كالسُمرة في الإنسان .

على هامته : الهامة : وسط الرأس .

يسارٍ : أنه سَمع عبدَ اللهِ بنَ عمر يقول : فَقَالَتْ جَـارِيَـةٌ عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ : وا أميرَ المؤمنينَ ، قَتَلَهُ العبدُ الأسودُ .

قال في الفتح : وفي حديث وحشي من الفوائد غير مـا تقـدم مـا كان عليـه من الـذكاء المفرط ، ومناقب كثيرة لحمزة ، وفيه أن المرء يكره أن يرى من أوصل إلى قريبه أو صديقـه أذى ، ولا يلـزم من ذلـك وقـوع الهجرة المنهيـة بينهما ، وفيـه أن الإسـلام يهدم مـا قبلـه ، والحذر في الحرب ، وأن لا يحتقر المرء فيها أحداً ، فإن حمزة لابـد أن يكون رأى وحشيـاً في ذلك اليوم لكنه لم يحترز منه احتقاراً منه إلى أن أتي من قبله .

٣٩٣ - * روى الطبراني عن وحشِي قـال : أتيتُ النبي ﷺ فقـال لي : « وحشيٌّ ؟ » قُلتُ : نعم ، قال :«قتلتَ حمزةَ ؟» قلتُ : نعم، والحمدُ لله الذي أكرمَهُ بيديْ ولم يُهنّي بيديْه قـالتْ لـه قريشٌ : أتحبُّـه وهوَ قـاتِلُ حمزة ؟ فقلتُ : يـارسولَ اللهِ فـاستغفر لي ، فتفـلَ في الأرض ثلاثةً ، ودفع في صدري ثَلاثةً ، وقـالَ : « يـاوحشيُّ اخرُجْ فقـاتِل في سبيل الله كما قاتلتَ لتَصُدَّ عن سبيلِ اللهِ » .

٣٩٤ - * وروى الطبراني عن أبي هريرة أن النبيَ ﷺ لمـا نَظر إلى حمـزة قـال : « أمـا واللهِ لأُمثلن بسبعين كمثلـك » فَنَزَلَ القرآنُ : ﴿ **وإنْ عـاقبتمْ فعاقِبُوا بمثـلِ مـا عُـوقِبْتُم به** ﴾ [1] الآية ، فَكَفَّرَ صلى الله عليه وسلم وأَمْسَكَ عَنْ ذَلك .

قال في الفتح : وروى البزار والطبراني بـإسنـاد فيـه ضعف عن أبي هريرة أن النبي ﷺ لما رأى حمزة قد مثل به قال : « رحمة الله عليك ، لقـد كنت وَصولاً للرحم ، فعولاً للخير ، ولولا حزنُ مَنْ بعـدك لسرني أن أدعـك حتى تحشرَ من أجـواف شتى » ثم حلف وهـو بمكانـه

---

٣٩٣ - المعجم الكبير (٢٢ / ١٣٩) وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٢١) ، وقال : رواه الطبراني ، وإسناده حسن .

٣٩٤ - أورده الهيثمـي في مجمع الزوائد (٦ / ١١٩) ، وقال : رواه البزار والطبراني ، وفيه صالح بن بشير المري ، وهو ضعيف .

والبزار نحوه مطولاً كشف الأستار (٢ / ٣٢٧) ، كتاب الهجرة والمغازي ، باب غزوة أحد . وللحديث طرق تقوى بها .

(١) النحل : ١٢٦ .

لأمثلن بسبعين منهم ، فنزل القرآن ﴿ **وإن عاقبتم** ﴾ الآية وعند عبد الله بن أحمد في زيادات المسند والطبراني من حديث أبي بن كعب قال : مثل المشركون بقتلى المسلمين ، فقال الأنصار : لئن أصبنا منهم يوماً من الدهر لنزيدن عليهم ، فلما كان يوم فتح مكة نادى رجل : لا قريش بعد اليوم ، فأنزل الله : ﴿ **وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به** ﴾ فقال رسول الله ﷺ : « كفوا عن القوم » وفي رواية : فقال : « بل نصبر يارب » وهذه طرق يقوي بعضها بعضاً . أ.هـ

٣٩٥ - * روى مسلم عن سعْد بن أبي وقاص أنَّ النبيَّ ﷺ جَمَعَ لَهُ أبَوَيْه يَوْمَ أُحُدٍ . قَالَ : كَانَ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكينَ قد أَحْرَقَ الْمُسْلِمِين . فَقَال لَهُ النَّبيُّ ﷺ :«ارْم . فِداكَ أَبي وَامِّي !» قَالَ : فَنَزَعْتُ لَهُ بِسَهْمٍ لَيْسَ فِيه نَصلٌ فأَصبتُ جَنْبَه ، فسقط . فانكشفتْ عَوْرَتُهُ ، فضحكَ رسولُ الله ﷺ ، حتَّى نَظَرْتُ إلى نَواجذِهِ .

وتفصيل هذه الرواية في المغازي للواقدي : أن المشرك رمى أم أيمن التي كانت تسقي المسلمين بنبل فأصاب ذيلها فسقطت وانكشفت فغضب النبي ﷺ وقال لسعد : « ارم الرجل » وأعطاه نبلاً لانصل له فأصابه في نحره فسقط وانكشفت عورته فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه ولم يذكر الواقدي أنه قُتل . والواقدي أوسع كتاب أعلمه في المغازي وهو ٤ مجلدات ، وسمي الرجل حِبَّانُ بنُ العَرِقَةِ .

٣٩٦ - * روى البخاري عن سعد بن أبي وَقاص يقول : نَثَل لي النبيُّ ﷺ كِنانَتَهُ يومَ أحدٍ فقال : « اِرْمِ فِدَاكَ أبي وَامِّي » .

---

٣٩٥ - مسلم (٤ / ١٨٧٦) . ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٥ - باب فضل سعد بن أبي وقاص . .

أحرق المسلمين : أثخن فيهم ، وعمل فيهم عمل النار .

فنزعت له بسهم : فرميته بسهم . ليس له نصل : أي : ليس فيه زَجٌّ .

فأصبت جنبه : هكذا في معظم النسخ . نواجذه : أي : أنيابه ، وقيل : أضراسه .

٣٩٦ - البخاري (٧ / ٣٥٨) ٦٤ - كتاب المغازي - ١٨ - باب : « إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ .

نثل : نثل الكنانة : استخرج نبلها فنثرها .

الكنانة : جعبة صغيرة من أدم للنبل .

٣٩٧ - * روى الطبراني عن كعب بن مَالك قال : لما كان يومُ أحدٍ وصِرْنا إلى الشِّعْب ، كنتُ أوّلَ من عرفته ، فقلت : هذا رسول الله ﷺ : فأشار إليّ بيده أن اسْكت ثم ألبسني لأمَتَهُ ولبس لأمْتي فلقد ضُرِبْتُ حتى جُرِحْتُ عشرين جِراحةً ، أو قال بِضْعَةً وعِشرين جُرْحاً ، كلٌّ من يضربني يحسبني رَسُولَ الله ﷺ .

فعل ذلك لأن المشركين عرفوه رغم المغفر وعلموه بدرعه ، فقصد أن يعمي عليهم وهذا من الأخذ بالأسباب ويعلمنا هذا أن حفظ القيادات في المعارك مراعى في الإسلام .

٣٩٨ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هُرَيْرة رَضي اللهُ عَنْهُ قال : قال رَسُولُ الله ﷺ « اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى قَومٍ فَعلُوا بَنبيِّه - يُشيرُ إلى رَبَاعِيَتِه - واشْتَدَّ غَضبُ الله على رجلٍ يَقْتُلهُ رسُول اللهِ ﷺ في سبيلِ الله » .

٣٩٩ - * روى مسلم عن أنس بن مَالِك رَضي الله عَنه : أنَّ رَسولَ الله ﷺ كُسِرَتْ رَبَاعِيَتهُ يَومَ أُحُدٍ ، وَشُجَّ في رَأسِه ، فَجَعَل يَسْلُت الدمَ عنه ويقول : « كيف يُفْلِحُ قَومٌ شجُّوا نبيَّهم ، وكسروا رَبَاعِيَتَهُ ، وهو يدعوهم إلى الله » فأنزل الله عز وجل : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ [1] .

---

٣٩٧ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١١٢) ، وقال : رواه الطبراني في الأوسط والكبير باختصار ، ورجال الأوسط ثقات .

اللأمة : الدرع .

البِضْعَةُ : البِضْعُ : ما بين الثلاث إلى التسع .

٣٩٨ - البخاري (٧ / ٣٧٢) واللفظ له ، ٦٤ - كتاب المغازي - ٢٤ - باب ما أصاب النبيَّ ﷺ من الجراح يوم أحد .
ومسلم (٣ / ١٤١٧) بنحوه ، ٣٢ - كتاب الجهاد والسير - ٣٨ - باب اشتداد غضب الله على من قتله رسول الله ﷺ .

الرَّبَاعِيَةُ : على وزن ثمانية السن بين الثنية والناب .

وقد كسرت في أحدٍ رباعية النبي ﷺ اليمنى السفلى وهي التي تلي نابه الأيمن السفلي من الأمام .

الذي رمى رسول الله ﷺ في وجنتيه هو ابن قَمِئَة . والذي رماه في شفته وأصاب رَبَاعيَتَه عُتبة بن أبي وقاص . فأمّا الأوّل فقتله تيس الجبل وأمّا الثاني فدعا عليه ﷺ بأن لا يحول عليه الحول ويموت كافراً فكان ذلك . (الفتح الرباني بتصرف) .

٣٩٩ - مسلم (٣ / ١٤١٧) ٣٢ - كتاب الجهاد والسير - ٢٧ - باب غزوة أحد .

شجّ رأسَه : إذا شَق جلدَه وأجْرى دمه .

يَسْلُت : سَلَتَ الدمَ عن الجرح : إذا مسحه .

(١) آل عمران : ١٢٨ .

قال في الفتح : « لما كانَ يَومُ أُحد وانصَرفَ المشركون خَرَجَ النساءُ إلى الصَّحابَة يُعينونَهم ، فكانت فاطمة فيمنْ خَرجَ ، فَلَمَّا رَأت النبيَّ ﷺ اعتنَقتْهُ وجعلتْ تغسِل جراحاته بالماء فيزداد الدَّم » فلما رَأتْ ذلِك أخذتْ شيئاً من حَصير فأَحْرَقَتْهُ بالنَّار وكَمَّدتْهُ بهِ حتى لصِقَ بالجرْح فاستمسك الدم ، . وله من طريق زهير بن محمد عن أبي حازم « فأحرقتْ حصيراً حتَّى صَارَتْ رَمَاداً ، فأخذَتْ من ذلك الرمَادِ فوضَعَتْهُ فيه حتَّى رَقَأ الدَّمُ » وقال في آخر الحديث : ثم قال يومئذ : اشتدَّ غضبُ الله على قوم دَمَّوا وجْهَ رسولِهِ . ثم مكَثَ ساعَةً ثم قَال : « اللهمَّ اغفر لقَوْمي فَإنَّهم لا يعلمون » وقال ابن عائذ : أخبرنا الوليد بن مسلم حدثني عبد الرحمن بن يزيد بن جابر أن الذي رمى رسول الله ﷺ بأحد فجرحه في وَجْهه قال : خُذْها منّي وأنا ابن قَمئَة فَقال : « أقمَاك الله » قال : فانصرف إلى أهله فخرج إلى غنمه فوافاها على ذِرْوةِ جَبلٍ ، فدخل فيها فشد عليه تيْسُها فنطحه نطْحةً أرداه من شاهق الجبل فتقطع ، وفي الحديث جواز التداوي ، وأن الأنبياء قد يصابون ببعض العوارض الدنيوية من الجراحات والآلام والأسقام ليعظم لهم بذلك الأجر وتزداد درجاتهم رفعة ، وليتأسى بهم أتباعهم في الصبر على المكاره ، والعاقبة للمتقين . أ.هـ .

٤٠٠ - * روى الطبراني عن أبي سعيد أنه قال : أُصيب وجهُ رسول الله ﷺ يوم أُحُدٍ ، فاستقبَلَهُ مالكُ بنُ سنَان فَمَصَّ جُرْحَ رسُول الله ﷺ فَقَال رَسول اللهِ ﷺ : « مَنْ أَحَبَّ أنْ يَنظرَ إلى مَنْ خَالَطَ دَمي دَمَهُ ، فلْيَنْظُر إلى مَالك بن سِنَان » .

٤٠١ - * روى أحمد عن أبي قتادة قَالَ : أتى عمرو بن الجموح إلى رَسول اللهِ ﷺ ، فقال : يارسول اللهِ أرأيتَ إنْ قاتَلتُ في سبيل الله حتى أُقتلَ أمشي برجلي هذِهِ صَحيحة في الجنة ؟ وكانت رجله عَرجَاء ، فقال رسُول الله ﷺ : « نَعَمْ » فَقَتَلوه يوم أحد هو وابنَ أخيه ومَولى لهما ، فمر عليه رسول الله ﷺ فقال : « كأنّي أنظرُ إليكَ تمشي برجْلِك هذه صحيحة في الجنةِ » فأمر رَسول الله ﷺ بها وبمولاهما فجُعِلُوا في قَبْرٍ واحد .

---

٤٠٠ - المعجم الكبير (٦ / ٣٤) ومالك بن سنان : هو والد الراوي أبي سعيد الخدري : سعد بن مالك بن سنان .

٤٠١ - أحمد في مسنده (٥ / ٢٩٩) .

وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ /٣١) ، وقال : رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح غير يحي بن نصر الأنصاري ، وهو ثقة .

قال في الفتح الرباني : قال جابر : حولت أبي بعد ستة أشهر فما أنكرت منه شيئاً إلا شعرات من لحيته كانت مستها الأرض ، يروي معناه البخاري عن جابر ولفظه فأصبحنا فكان ـ أي والده ـ أول قتيل ودفن معه آخر في قبر ، ثم لم تطب نفسي أن أتركه مع الآخر فاستخرجته بعد ستة أشهر فإذا هو كيوم وضعته كهيئته غير أذنه وروى مالك في الموطأ عن عبد الرحمن بن أبي صعصعة أنه بلغه أن عمرو بن الجموح وعبد الله بن عمرو الأنصاريين كانا قد حفر السيل عن قبرهما وكانا في قبر واحد مما يلي السيل فحفر عنهما ليغيرا من مكانهما ـ أي لينقلا منه ـ فوجدا لم يتغيرا كأنهما ماتا بالأمس ، وكان بين أُحُد ويوم حفر عنهما ست وأربعون سنة والمراد بقوله كانا في قبر واحد أي كانا متجاورين كأنهما في قبر واحد أو أن السيل خرق أحد القبرين فصارا كقبر واحد ويتبين مما ذكر أن النقل كان مرتين الأولى لأفراد كل منهما بقبر وكان بعد ستة أشهر والثانية كانت لأن السيل كان قد حفر عن قبريهما وذلك بعد ست وأربعين سنة وقد ذكر ابن إسحاق قصة حفر السيل في المغازي فقال حدثني أبي عن أشياخ من الأنصار قالوا: لما ضرب معاوية عينه التي مرت على قبور الشهداء انفجرت العين عليهم فجئنا فأخرجناهما يعني عمرًا وعبد الله وعليهما بردتان قد غطى بها وجوههما وعلى أقدامهما شيء من نبات الأرض فأخرجناهما يتثنيان تثنياً كأنهما دفنا بالأمس .اهـ.

٤٠٢ ـ * روى الحاكم عن ابن عباس رَضي الله عنهما قال : قال رسُول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لما أُصيبَ إخوانُكم بأُحُدٍ جعلَ الله أرواحَهم في جوفِ طيرٍ تَرِدُ أنهارَ الجنة وتأكلُ من ثمارِها وتأوي إلى قناديلَ من ذهبٍ معلَّقةٍ في ظلِّ العَرشِ ، فلما وَجَدُوا طيبَ مَأكِلهمْ ومشربِهم ومَقيلِهم ، قالوا : من يُبَلغُ إخوانَنا عنَّا أنَّا أحْيَاءُ في الجنةِ نرزقُ لئلا يزهدوا في الجِهَاد وَلا يَنْكُلُوا في الحربِ ، فقال الله عز وجل : أنا أُبَلّغُهم عنكم فأنزَلَ الله عزَّ وَجَل : ﴿ **ولا تحسبنَّ الذين قتلوا في سبيل الله** ﴾[1] الآية .

---

٤٠٢ ـ المستدرك (٢ / ٨٨) ، كتاب الجهاد ، وأيضاً في (٢ / ٢٩٧) ، كتاب التفسير ، وقال في كلا الموضعين : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه . وأقره الذهبي فيهما .

مقيلهم : قال قيلاً : نام وسط النهار . والمقيل : نومة النهار أو الاستراحة فيه وإن لم يكن نوم .

نكل : نكولاً : نكص وجبن .

(١) آل عمران : ١٦٩ .

٤٠٣ ـ * روى مسلم عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ، قَالَ : لَقَدْ رَأَيْتُ يَوْمَ أُحُدٍ ، عَنْ يَمِينِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَعَنْ يَسَارِهِ ، رَجُلَيْنِ عَلَيْهِما ثِيَابٌ بِيضٌ . يُقَاتِلاَنِ عَنْهُ كَأَشَدِّ الْقِتَالِ . مَا رَأَيْتُهُمَا قَبْلُ وَلاَ بَعْدُ .

٤٠٤ ـ * روى البزار عن بُرَيْدَةَ أَنَّ رَجُلاً قَالَ يَوْمَ أحدٍ : اللهمَّ إِنْ كانَ محمدٌ علىَ الحقِّ فَاخْسِفْ بِي قَال : فَخُسِفَ بِهِ .

قال ابن حجر في الفتح : (تنبيه) : وقع في رواية أبي الوقت والأصيلي قبل حديث عقبة بن عامر حديث ابن عباس ؛ قال النبي ﷺ يوم أحد : « هذا جبريل آخذ برأس فرسه » الحديث ، وهو وهم من وجهين : أحدهما أن هذا الحديث تقدم بسنده ومتنه في « باب شهود الملائكة بدراً » ولهذا لم يذكره هنا أبو ذر ولا غيره من متقني رواة البخاري ، ولا استخرجه الإسماعيلي ولا أبو نعيم . ثانيهما : أن المعروف في هذا المتن يوم بدر كما تقدم لا يوم أحد ، والله المستعان . أ.هـ .

٤٠٥ ـ * روى البخاري عن إبراهيم بن عبد الرحمن أن عبدَ الرحمنِ بن عوف أُتِيَ بطعامٍ ـ وكان صائماً ـ فقال ـ : قُتِلَ مُصعَب بنُ عُمَيْرٍ وهو خيرٌ مني ، كُفِّنَ في بُردةٍ إن غُطيَ رأسهُ بَدَت رِجلاه ، وإن غُطِّي رِجلاه بَدا رأسهُ . وأُرَاهُ قال : وقُتل حمزةُ وهو خيرٌ مني . ثم بُسِطَ لنا من الدنيا ما بُسطَ ـ أو قال : أُعْطِينَا منَ الدُّنيا ما أعطينا ـ وقد خَشِينا أن تكونَ حَسَنَاتُنا قد عُجِّلَتْ لنا . ثم جعلَ يبكي حتى تَرَكَ الطعامَ .

---

٤٠٣ ـ مسلم (٤ / ١٨٠٢) ٤٣ ـ كتاب الفضائل ١٠ ـ باب قتال جبريل وميكائيل عن النبي ﷺ يوم أحد . وزاد في رواية في نفس الموضع : « يعني جبريل وميكائيل عليهما السلام » .

والبخاري (٧ / ٣٥٨) بنحوه ، ٦٤ ـ كتاب المغازي ـ ١٨ ـ باب : « إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما ... » الآية .

٤٠٤ ـ البزار : كشف الأستار (٢ / ٣٢٩) ، كتاب الهجرة والمغازي ، باب غزوة أحد .

وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٢٢) ، وقال : رواه البزار ، ورجاله رجال الصحيح .

وبريدة بن الحصيب ـ الراوي ـ صحابي أسلم قبل بدر ، ومات سنة ٦٣ هـ .

٤٠٥ ـ البخاري (٧ / ٣٥٣) ٦٤ ـ كتاب المغازي ـ ١٧ ـ باب غزوة أحد .

قال في الفتح : وفي الحديث فضل الزهد ، وأن الفاضل في الدين ينبغي له أن يمتنع من التوسع في الدنيا لئلا تنقص حسناته ، وإلى ذلك أشار عبد الرحمن بقوله : (خشينا أن تكون حسناتنا قد عجلت) وسيأتي مزيد لذلك في كتاب الرقاق إن شاء الله تعالى . قال ابن بَطّال : وفيه أنه ينبغي ذكر سير الصالحين وتقللهم في الدنيا لقتل رغبته فيها . أ.هـ .

٤٠٦ - * روى البخاري عن ثعلبة بن أبي مالك أن عمرَ بن الخطاب رضي اللهُ عنه قَسَمَ مُروطاً بينَ نِساء من نساء أهل المدينة ، فبقيَ منها مِرْطٌ جيّدٌ ، فقال لهُ بعضُ من عندَه ، ياأميرَ المؤمنين ، أعط هذا بنتَ رسول الله ﷺ التي عندَكَ - يريدونَ أم كلثومٍ بنتَ علي - فقال عمرُ : أمُّ سَليطٍ أحقُّ به . وأُمُّ سليط من نِساء الأنصار ممنْ بايعَ رسولَ اللهِ ﷺ . قال عمرُ : فإنها كانت تَزْفِرُ لنا القِرَبَ يومَ أُحُدٍ .

٤٠٧ - * روى أحمد عن أبي هريرة أنه كان يقول : حَدِّثوني عن رجل دخلَ الجنةَ لم يُصَلِّ قَطُّ ، فإذا لم يعرفه الناس سألوه من هو ؟ فيقول : أُصَيْرِم بني عبْد الأَشْهَلِ عمروُ بن ثابت بن وَقْشٍ ، فقلت لمحمود بن لبيد : كيف كَانَ شَأن الأُصيْرِم ؟ قال : كان يأبىَ الإسلامَ على قومه ، فلما كان يومُ أحدٍ ، وَخَرج رَسول الله ﷺ إلى أُحُدٍ بَدا له الإسلام فأسلم ، فأخذ سَيْفهُ فغدا حتى أتى القَوم فدَخَل في عُرْضِ الناس ، فقاتل حتى أَثْبَتَتْه الجِراحَة . قال : فَبينا رجال بني عَبْدِ الأشهل ، يَلْتمسُون قَتْلاهُم في المعركة ، إذا هُمْ به فقالوا : والله إن هذا للأصَيْرِمُ ، وَما جاء ، لَقَد تَركناه وَإنه لَمُنكرٌ هذا الحديث فسألوه ما جاء به ؟ فقالوا : ما جاء بك يا عمرو ؟ أَحَرْباً عَلى قومِكَ أو رَغبةً في الإسلامِ ؟ قَال : بل

---

٤٠٦ - البخاري (٧ / ٣٦٦) ٦٤ - كتاب المغازي - ٢٢ - باب ذكر أم سَليط .

تزفر القرب : تَحْمِلُها .

قال في الفتح (باب ذكر أم سليط) بفتح المهملة وكسر اللام ، ذكر فيه حديث عمر في قصة المروط ، وأم سليط المذكورة هي والدة أبي سعيد الخدري كانت زوجاً لأبي سليط فمات عنها قبل الهجرة فتزوجها مالك بن سنان الخدري فولدت له أبا سعيد .

٤٠٧ - أحمد في مسنده (٥ / ٤٢٨) .

وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٣٦٢) ، وقال : رواه أحمد ، ورجاله ثقات .

عُرْض الناس : معظمهم .

أثبتته الجراحة : أي حبسته وسكّنته .

رَغبة في الإسلام ، آمنت بالله ورسوله وَأسلمت ،ثم أخذتُ سَيفي فَغَدَوْتُ مَعَ رَسول الله ﷺ فَقَاتَلت حَتى أَصَابني ما أصابني قال : ثم لم يلبث أن مَات في أيديهم ، فَذَكروه لرسول الله ﷺ فَقَالَ : « إنه لمنْ أهلِ الجنةِ » .

٤٠٨ ـ * روى أبو يعلى عن سَهْل بن سعد رضي الله عنهُ قال : أتَى رَجلٌ رسولَ الله ﷺ يوم أحدٍ فقالَ : ما رأينا مِثْلَ ماأتى فلانٌ ، أتاه رجلٌ لقدَ فرَّ الناسُ ، وما فرَّ ، وماترك للمشركين شَاذَّةً ولا فاذَّةً إلا اتَّبَعَها يضربُها بسيفه قال : « ومن هو ؟ » فَنَسبَ لرسول الله ﷺ نسبه ، فلم يعرفه ثم وُصِفَ له بصفته فلم يعرفه ، حتى طلع الرجُلُ بعينِه فقال ، ذا يارسول الله الذي أخبرناك عَنه فقال : « هذا ؟ » فقالوا : نعم فقال : « إنه من أهل النَار » فَاشْتَدَّ ذلك على المسلمين ، قالوا : أيُّنا من أهل الجنة إذا كان فلانٌ من أهل النار ؟ فقال رجل مِنَ القَوم : ياقوم أَنظِرُوني ، فو الذي نفسي بيده لايموتُ إلا مِثلَ الذي أصبحَ عليْهِ ولأكُونَنَّ صاحِبه من بينِكم ، ثم راحَ علىَ حِدَّةٍ في العدو ، فَجَعل الرجلُ يَشُدُّ مَعَه إذا شدَّ ، ويرجع مَعَهُ إذا رَجَعَ ، فينظر ما يَصيرُ إليه أمرُه ، حتَّى أصَابَه جُرْحٌ أذْلَقَهُ ، فاستَعجَل الموتَ فَوَضَع قائم سَيفهِ بالأرض ، ثم وضع ذُبَابَةَ بَيْن ثَدْيَيْهِ ، ثم تَحَامَل على سَيفه ، حتَّى خَرَجَ مِنْ ظَهرِهِ ، وخَرَجَ الرَّجُل يَعْدُو يَقُولُ أشهَد أَن لاَ إله إلا الله وَأشهَد أنك رَسول الله ، حتَّى وقف بَيْنَ يَدي رسول اللهِ ﷺ فقال : « وذَاكَ مَاذا ؟ » فقال : يارَسُول الله الرَّجل الذِي ذُكِر لك ، فقلتَ : إنه مِنْ أهل النَّارِ فاشْتد ذَلِك عَلَى المسلمين ، وَ قَالوا : أينا مِن أهل الجنة إذا كان فُلان مِنْ أهْلِ النَّارِ ، فَقُلتَ : يا قومِ أَنْظِرُوني، فوالذي نَفسي بيَده لاَيموت إلا مثل الذي أصبح عَلَيه ، ولأكونَن صَاحِبه من بينِكم فَجَعلت أشدُّ مَعَه إذا شَدَّ وَأَرْجِعُ مَعَهُ إذَا رَجَع ، أنظرُ إلى ما يصيرُ أمره ، حتى أصَابه جُرحٌ أَذْلَقَهُ ، فاسْتَعْجَلَ الموتَ ، فَوَضَعَ قائم سَيفه بالأرض ، ووَضعَ ذُبَابَه بَين ثَديَيْه ، ثم تحامل عَلَى سَيفهِ حتَّى خَرَج مِنْ بين ظهره ، فَهُو ذاك يا رَسُولَ اللهِ يَضطرب بين أضغاثه فقال رَسول اللهِ

---

٤٠٨ ـ أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١١٦) ، وقال : رواه أبو يعلى ، ورجاله رجال الصحيح .

الحدَة : النشاط .

أذلقه : أضعفه .

ذباب السيف : طرفه الذي يضرب به ، يريد هنا رأسه .   الأضغاث : الأخلاط .

ﷺ : « إن الرجل ليعملُ عملَ أهل الجنةِ فيما يبدُو للناس ، وإنه من أهلِ النَّـار ، وإن الرجلَ ليعملُ عملَ أهلِ النارِ فيما يبدُو للنَّاس وإنه لمن أهلِ الجنـةِ » . قـال الهيثمي : هوَ في الصحيح باختصار .

* * *

٣ ـ بعد المعركة

قال ابن كثير : ثم شَرع ابنُ إسحاق في ذكر شهداء أحـد وتعـدادهم بـأسمائهم وأسماء آبـائهم على قبائلهم كما جرت عادته فذكر من المهـاجرين أربعـة : حمزة ومصعب بن عمير وعبـد الله ابن جحش وشماس بن عثمان رضي الله عنهم ، ومن الأنصـار إلى تمـام خمسـة وستين رجـلاً واستدرك عليه هشام خمسة آخرين فصاروا سبعين على قول ابن هشـام ثم سمى ابن إسحـاق من قُتِلَ من المشركين وهم اثنـان وعشرون رجلاً على قبـائلهم أيضـاً . قلت : ولم يـؤسـر من المشركين سـوى أبي عَـزَّة الجُمحيّ كما ذكره الشـافعي وغيرُه وقتلـه رسـول الله ﷺ صَبْراً بين يديه . أمر الزبير ـ ويقال عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح ـ فضرب عنقه .

وقـد حقـق صـاحب الرحيـق المختـوم (وهنـاك مبررات قـويـة لـه في ذلـك) أن قتلى المشركين بلغوا سبعة وثلاثين .

تعليق : وقتل رجل من اليهود أسلم وهو مخيريق .

٤٠٩ ـ * روى الحـاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما قـال : رَجَعَ رسُولُ اللهِ صلى الله عليـه وآله وسلم يَوم أحدٍ فسَمِعَ نساءَ بني عبـدِ الأشْهَلِ يَبْكِينَ على هَلْكَـاهُنَّ فقـال : « لكنَّ حَمْزةَ لا بواكِيَ لهُ » فجئن نساءُ الأنصار ، فبكيْن على حمزة عِنده ، ورَقـد فـاستيقـظ وهن يبكين فقَـال « يـاويْلَهُنَّ إنَّهنَّ لَهَـاهنـا حَتَّى الآنَ ، مُرُوهُنَّ فلْيرجِعْنَ ، وَلاَ يَبْكِينَ عَلَى هَالِكٍ بَعْد اليوم » .

---

٤٠٩ ـ المستدرك (٣ / ١٩٥) ، كتاب معرفة الصحابة ، وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وأقره الذهبي .

٤١٠ - * روى الطبراني عن كعب بن مالـك ، أن رسـول الله ﷺ قـال : « مَنْ رَأى مَقتل حمزة ؟ » فقـال رَجل : أعزَّكَ اللهُ أنـا رَأيتُ مقتلـه . فـانطَلَق ، فوقف على حَمزةَ ، فرآه قد شُقَّ بَطْنُهُ ، وقد مُثِّلَ به ، فقالَ : يـارسول اللهِ قـد مُثِّلَ بـه ، فكره رَسُول الله ﷺ أن ينظرَ إليـه ، ووقَفَ بينَ ظَهرَاني القَتلَى ، وَقـال : « أنـا شهيـدٌ على هـؤلاء ، لُفُّـوهُم بِدِمَائِهم ، فَإنه ليسَ مَجْرُوحٌ يُجْرَحُ في سبيل الله ، إلا جـاءَ جُرْحُـهُ يَومَ القِيَـامَـةِ يَـدْمَى لونُـه لَوْنُ الـدم وريحـهُ ريحُ المسـك ، قَـدِّمُـوا أكثَرهُمْ قرآنـاً وَاجْعَلُـوه في اللَّحْد » .

٤١١ - * روى الترمـذي عن أبي بن كَعْب رَضِيَ الله عَنْـهُ قـالَ : لَمَّـا كانَ يومُ أُحُـدٍ : أُصيبَ مِنَ الأنصَـارِ أربَعـةٌ وسِتُّونَ رَجُلاً ، وَمِنَ المُهـاجِرِينَ سِتَّـةٌ - فيهم حمزة - فَمَثَّلُـوا بِهِمْ ، فَقَالتِ الأنصارُ : لَئِنْ أَصَبْنَا منهُم يَوْمـاً مِثلَ هـذَا لَنُرْبِيَنَّ عليهم قـال : فلمَّـا كَـانَ يومُ فَتحِ مَكَّةَ فـأنـزل الله ﴿ وَإن عَـاقبْتُم فَعَـاقِبـوا بمثْـلِ مـا عُـوقبتم بِـهِ ولئِنْ صَبَرْتُم لَهُـوَ خَيرٌ للصَّابِرين ﴾ (١) فقـال رَجلٌ لا قُرَيْشَ بَعْدَ اليَوْمِ ، فَقَـالَ رسـول الله ﷺ : « كُفُّـوا عَنِ القَوْمِ إلاَّ أَرْبَعَةً » .

قال محقق جامع الأصول : والأربعة الذين أباح رسول الله ﷺ دماءهم هم : عكرمـة بن أبي جهل ، وعبد الله بن خطَل ، ومقْيسَ بن صُبابة ، وعبد الله بن سعـد بن أبي سرح ، أمـا عكرمـة بن أبي جهل : فهرب إلى اليمن ،.وأسلمت امرأتـه أم حكيم بنت الحـارث بن هشـام ، فاستأمنت له من رسول الله ﷺ فأمنه . فخرجت في طلبـه إلى اليمن ، حتى أتت بـه رسول الله ﷺ ، فأسلم وحسن إسلامه .

---

٤١٠ - المعجم الكبير ٨ / ١٦ / ٨٢) .

وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١١٩) ، وقال : رواه الطبراني ، ورجاله رجال الصحيح .

مقتله : المَقْتَل : الموضع الذي أصيب فيه الإنسان .

٤١١ - الترمذي (٥ / ٢٩٩) ٤٨ - كتاب تفسير القرآن - ١٧ - بـاب : « ومن سـورة النحل » ، وقـال : هـذا حـديث حسن غريب .

مثَّلوا بهم : مثل به يَمثُلَ : إذا نَكَّل به ، ومَثَّلَ بالقتيل : إذا جدعه ، وشَوَّهَ خِلقَتَهُ ، والاسم : المُثْلَة .

لنُرْبيَنّ أي : لنزيدَنّ .

(١) النحل : ١٢٦ .

وأما عبد الله بن خطل : فقتله سعيد بن حريث المخزومي وأبو برزة الأسلمي ، اشتركا في دمه . وابن خطل : رجل من بني تيم بن غالب . وإنما أمر رسول الله ﷺ بقتله ، لأنه كان مسلماً ـ فبعثه رسول الله ﷺ مصدقاً ، وبعث معه رجلاً من الأنصار ، وكان معه مولى من المسلمين يخدمه فنزلا منزلاً ، وأمر ابن خطل المولى أن يذبح له تيساً فيصنع له طعاماً ، فنام فاستيقظ ولم يصنع المولى له شيئاً ، فعدا عليه فقتله ، ثم ارتد مشركاً .

وكانت له قينتان ـ فَرْتَنَىَ وسارة ـ وكانتا تغنيان بهجاء رسول الله ﷺ . فأمر رسول الله ﷺ بقتلهما معه ، فقتلت فرتنى ، وهربت صاحبتها ، وبقيت حتى أوطأها رجل فرسه فقتلها في زمن عمر .

ويقال : إن فرتنى أسلمت ، وإن سارة أمنها رسول الله ﷺ .

وأما مِقْيَس بن صُبَابة : فقتله نميلة بن عبد الله ، رجل من قومه بني ليث ، حي من بني كعب .

٤١٢ ـ * روى الحاكم عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مَر بحمزةَ يومَ أُحدٍ ، وقد جُدعَ ومثّلَ به ، وقال : « لولا أنّ صفيةَ تَجِدُ لَتَرَكْتُهُ حتى يَحْشُرَه اللهُ من بُطونِ الطَّيرِ والسِّباع » فكفَّنه في نِمرَةٍ .

٤١٣ ـ * روى الطبراني عن ابن عبّاس قال : قُتِلَ حَمْزَةُ يَوْمَ أُحُدٍ وقُتِلَ مَعَهُ رَجلٌ مِنَ الأنصار ، فجاءته صفيةُ بنتُ عَبْدِ المطّلب بثَوْبين ليُكَفَّنَ فيهما حَمْزَةُ ، فلم يكُن للأنصاري كفنٌ ، فأسْهَمَ النبي ﷺ بين الثَّوْبَيْن ثُمّ كَفَّنَ كُلَّ وَاحِدٍ منهما في ثوبٍ .

٤١٤ ـ * وروى الطبراني عن أبي أُسَيْد السَّاعدي قَالَ : أنا مع رَسُول الله ﷺ على قبرِ

---

٤١٢ ـ المستدرك (٣ / ١٩٦) ، وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وأقره الذهبي .

جدع : الجدع : كالمنع : قطع الأنف أو الأذن أو اليد أو الشفة .

تجد : من الوَجْد ، وهو الحزن .

٤١٣ ـ المعجم الكبير (١١ / ٤٠٦) .

وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٢٠) ، وقال : رواه الطبراني ، ورجاله ثقات .

٤١٤ ـ أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١١٩) ، وقال : رواه الطبراني في الكبير ، وإسناده حسن . =

حمزةَ بن عبد المطلب فجعلوا يَجُرُّونَ النَمِرَة عَلَى وجهه فَتَكْشَفَ قَدَمَاه ، وَيَجرُّونَها عَلَى قَدَمَيه فَيَنكشف وَجْهه ، قَال رَسُولُ الله ﷺ : « اجْعَلوها على وَجْهه واجْعلوا عَلى قَدَمَيه مِنْ هذا الشجَر» قال : فَرَفع رَسُول الله ﷺ رَأسه فإذا أَصْحَابهُ يَبْكُون ، فَقَال رَسُول الله ﷺ : « إنهُ يَأْتِي عَلَى النَّاس زَمَانٌ يَخرجُوْنَ إلى الأَرْيَاف فيُصيبُونَ مِنْها مَطعماً وَمَلْبَساً وَمَرْكَباً ، أو قَالَ : مَراكَب فيكْتُبُونَ إلى أَهْليهم هَلمَّ إلَيْنا فإنكم بأَرْضِ مَجَازٍ جَدُوبَةٍ ، والَمدينَةُ خَيْرٌ لَهُم لَو كانوا يَعْلَمُونَ » .

٤١٥ - * روى البخاري عن خَبّابِ بن الأَرَتِّ رضي الله عنه قال : هاجرنا مع رسولِ الله ﷺ نبتغي وجهَ الله ، فوَجبَ أجرُنا على الله ، ومنّا مَن مَضى أو ذهبَ لم يأكل من أجرِهِ شيئاً ، كَان منهم مُصعَب بن عُمير قُتلَ يومَ أُحدٍ لم يترُك إلاّ نَمرة كنّا إذا غطَّينا بها رأسَهُ خرَجَت رِجلاه ، وإذا غُطيَ بها رِجلاه خَرج رأسهُ . فقال لنا النبي ﷺ : « غَطُّوا بها رأسَه ، واجعَلوا على رجلهِ الإذخِر ، أو قال : أَلقوا على رِجْله مِنَ الإذخر» ومنّا من أينَعت له ثمرته ، فهو يَهدِبُها .

أشار الحديث إلى عظم أجر من لم يحصّل شيئاً من الدنيا مع عظيم جهاده وبمناسبة الحديث تحدّث صاحب الفتح عن الصحابة فقال :

منهم من مات قبل الفتوح كمصعب بن عمير ومنهم من عاش إلى أن فتح عليهم ، ثم انقسموا فمنهم من أعرض عنه وواسى به المحاويج أولاً فأولاً بحيث بقي على تلك الحالة الأولى وهم قليل منهم أبو ذر ، وهؤلاء ملتحقون بالقسم الأول ، ومنهم من تبسط في بعض المباح فيما يتعلق بكثرة النساء والسراري أو الخدم والملابس ونحو ذلك ولم يستكثر وهم كثير ومنهم ابن عمر ، ومنهم من زاد فاستكثر بالتجارة وغيرها مع القيام بالحقوق الواجبة والمندوبة وهم كثير أيضاً ، منهم عبد الرحمن بن عوف ، وإلى هذين القسمين أشار خباب ، فالقسم الأول وما التحق به توفر له أجره في الآخرة ، والقسم الثاني مقتضى الخبر أنه يحسب عليهم ما

= الأرض المجاز : هي التي ليست دار إقامة .

الجَدُوبة : هي الجدبة .

٤١٥ - البخاري (٧ / ٣٥٤) ٦٤ - كتاب المغازي - ١٧ - باب غزوة أحد .

ومسلم (٢ / ٦٤٩) بنحوه . ١١ - كتاب الجنائز - ١٣ - باب في كفن الميت .

أَيْنَعَتْ : أَيْنَعَ الثمر : إذا نَضِجَ وأدرك . يَهْدِبُها : هدبَ الثمرةَ يَهْدِبُها : إذا اجتناها .

وصل إليهم من مال الدنيا من ثوابهم في الآخرة ، ويؤيده ما أخرجه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو رفعه « ما من غازية تغزو فتغنم وتسلم إلا تعجلوا ثلثي أجرهم » الحديث ، ومن ثم آثر كثير من السلف قلة المال وقنعوا به إما ليتوفر لهم ثوابهم في الآخرة وإما ليكون أقل لحسابهم عليه .

٤١٦ - * روى مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : أُصِيبَ أَبِي يَومَ أُحُدٍ ، فَجَعَلْتُ أَكْشِفُ الثوبَ عَنْ وَجهِهِ وأَبْكِي ، وَجَعَلوا يَنْهونَني وَرَسولُ الله ﷺ لاَ ينهاني ، قال : وجَعَلتْ فاطمةُ بنت عمرو تَبْكيه ، فقال رَسُولُ الله ﷺ : « تبْكيه أوْ لاتَبْكيه ، مَازَالت المَلاَئِكة تُظلُّه بأجْنِحَتِها حَتى رَفَعْتُموه » .

وفي رواية [١] : لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحدٍ جيء مُسَجًّى ، وَقَدْ مُثِّل به .

وفي أخرى [٢] : جيء بأبي يَوْمَ أُحُدٍ مُجدَّعا - فَوُضِعَ بَيْنَ يَدَي النبي ﷺ ... بنَحْوه .

٤١٧ - * روى الحاكم عن زَيْدِ بن ثابت رضي الله عنه قال : بَعَثني رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم أُحدٍ لطلب سَعْد بن الربيع وقَالَ لي : « إنْ رأيتَه فَأقرئهُ مِني السَّلام وقُلْ له : يَقُول لكَ رَسُول الله كَيفَ تَجدُكَ ؟ » قَال : فَجَعلتُ أَطوفُ بَيْنَ القَتْلَى فأصَبتهُ وَهُو في آخر رَمَقٍ وَبه سَبْعون ضَرْبَة فَقُلتُ له : يَا سَعْد إن رَسُول الله صلى الله عليه وآله وسَلم يقرأ عَلَيْك السَّلامَ ، وَيَقُول لكَ : خَبِّرني كيف تَجدُكَ ؟ قال : عَلَى رَسُول الله السلام وعليكَ السَّلام ، قُل له : أجد ريحَ الجنة ، وقل لقومي الأنصار : لا عُذْرَ لكم عِند الله أن يُخْلَصَ إلى رَسُول صلى الله عليه وآله وَسَلم وَفيكم شَفْرٌ يَطْرِفُ قال : وفَاضَتْ نَفْسه .

---

٤١٦ - مسلم (٤ / ١٩١٨) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٢٦ - باب من فضائل عبد الله بن عمرو بن حرام ، والد جابر رضي الله تعالى عنهما .

والبخاري (٣ / ١١٤) بنحوه . ٢٣ - كتاب الجنائز - ٣ - باب الدخول على الميت بعد الموت إذا أدرج في أكفانه .

(١) مسلم في نفس الموضع السابق (٤ / ١٩١٧) . (٢) مسلم في نفس الموضع السابق (٤ / ١٩١٨) .

المُسَجَّى : المُغطى . مُثِّل به : التمثيل بالقتيل : تشويه خلقته بجدع أو قطع عضو من أعضائه .

مجدَّعاً : الجدع : قطع الأنف ونحوه من الأعضاء .

٤١٧ - المستدرك (٣ / ٢٠١) ، كتاب معرفة الصحابة ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأقره الذهبي .

الشُّفْر : حرف كل شيء ، وشُفْرُ الجَفْنِ : حرفه الذي ينبت عليه الهُدْب . وجمعه : أشفار .

٤١٨ - * روى الطبراني عن أنيسة بنت عدي أنها جاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ابني عبدَ الله بنُ سلمةَ وكَان بدريًا قُتلَ يومَ أحدٍ أحببتُ أن أنقله فآنسَ بقربه ، فأذن لها رسول الله ﷺ ، فعدَّلته بالمجذّر بن زياد على نَاضحٍ له في عباءة ، فمرت بها فعجب لها الناس فَنَظَر إليهما رسول الله ﷺ فقال : « سوَّى بينهما عَمَلُهما » وَكَانَ عَبدُ الله رجلاً جَسيمًا ثقيلاً وَكَانَ المجذَّرُ قليلَ اللحم وَهو الذي يَقُول :

أنـا الـذي أُصْلي من بَلِى أطعن بـالصعْـدَةِ حَتَّى تَنْثني
وَلا نَرى مَجـذَّراً يَفْري فَرِيٍّ

٤١٩ - * روى الحاكم عن أبي ذر رضي الله عنه قال : لَمَّا فَرَغَ رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وَسَلم يَوْمَ أُحُدٍ مر على مُصْعبٍ مقتولاً على طريقه فقرأ : ﴿ مِنَ المؤمنين رجَال صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا الله عليه ﴾ [1] الآية .

٤٢٠ - *روى أحمد عن عبيدِ الله بن رفاعةَ الزرقي قال : لَمَا كَانَ يومُ أُحُدٍ وَانْكَفَأَ المشركون ، قَالَ رَسُول الله ﷺ :«اسْتَووا حَتى أُثني عَلَى رَبي» فَصَاروا خَلفه صُفوفا ، فَقَال: « اللهمَّ لَكَ الحَمدُ كُلُّهُ . اللهم لا قَابِضَ لِمَا بَسَطْتَ وَلاَ بَاسِط لما قَبَضْتَ وَلاَ هَاديَ لمَا أَضْلَلْت وَلاَ مُضِلَّ لمنْ هَدَيْتَ وَلاَ مُعْطي لمَا مَنَعْتَ وَلاَ مَانع لما أَعطيْتَ وَلاَ مُقَرِّب لما بَاعَدْتَ وَلاَ مُبَاعِدَ لما قرَّبْتَ ، اللهمَّ ابْسُط عَلَيْنَا مِنْ بَركَاتِك وَرَحْمَتك وفضْلكِ ورِزْقِك ، اللهم إني أسأَلُكَ النَّعيم المقيم الذي لا يَحُول وَلاَ يَزُول ، اللهم إني أَسأَلُك النعيم يَوْمَ العيلة والأَمْنَ يَوْمَ الخَوْفِ ، اللهم إني عائذٌ

---

٤١٨ - المعجم الكبير (٢٤ / ١٩٢) وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٠٦) ، وقال : رواه الطبراني ، ورجاله ثقات .
الناضح : جمل يُتخذ للسقي غالباً .

٤١٩ - المستدرك (٣ / ٢٠٠) ، كتاب معرفة الصحابة ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأقره الذهبي .
(١) الأحزاب : ٢٣ .

٤٢٠ - أحمد في مسنده (٣ / ٤٢٤) والبزار بنحوه : كشف الأستار (٢ / ٣٣٠) ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٢١) .
وقال : رواه أحمد والبزار ، ورجال أحمد رجال الصحيح .
انكفأ : صُرِفَ وكُبَّ .

بـكَ مِنْ شَرِّ مـا أَعطَيْتَنَـا وشَرِّ مَـا مَنَعْت ، اللهُم حَبِّبْ إلينــا الإيمانَ وزَيِّنْــه في قُلُوبنَـا ، وكرِّه إلينـا الكُفرَ والفسوقَ والعصيَـان ، واجْعَلْنَـا مِنَ الرَّاشِـدين ، اللهُم تَوَفَّنا مسْلِمِين وأَحينا مُسْلِمين وأَلْحِقنـا بـالصَّـالحين غَيْرَ خَزَايَـا وَلاَ مَفْتُونين ، اللهُم قَاتِلِ الكَفرَة الذينَ يُكَذِّبونَ رسُلَـكَ ويَصُـدُّونَ عَنْ سَبيلِـك واجْعل عَلَيْهم رجْزَكَ وَعَذَابَكَ ، اللهمَّ قَاتل الكَفَرَة الذينَ أُوتوا الكتابَ إلهَ الحق » .

يبـدو أن هـذا قـد تم بعـد أن انتهت المعركـة وانسحب المشركون وتفقـد المسلمون القتلى والجرحى قبيل اتجاه المسلمين نحو المدينة .

٤٢١ - * روى ابن ماجه عن ابن عبـاس رضيَ اللهُ عنهما قـال : أُتِيَ بهم رسولُ الله ﷺ يوم أُحُـدٍ فَجَعل يُصَلِّي عَلَى عَشَرةٍ عَشَرةٍ وَحَمْـزَة هـو كَمَـا هُـوَ، يُرفَعُـونَ وَهـو كَمَـا هُـوَ مَوْضُوعٌ .

٤٢٢ - * روى البخاري عن عقبةَ بن عـامرٍ رضي الله عنـه قَـالَ : صَلَّى رسول الله ﷺ عَلَى قَتْلى أُحُدٍ بَعْدَ ثماني سنين كَالمُودِّع للأحْيـاء والأمواتِ ، ثم طَلَعَ المنبر فقـال : « إني بَينَ أيْـدِيكم فَرَطٌ وأنـا عليكم شهيـدٌ ، وإنّ مـوعـدَكم الحَـوْضُ ، وإني لأنظرُ إليـه من مَقامي هَذَا وإني لَسْتُ أَخْشى عَلَيْكم أَنْ تُشْرِكوا ، وَلَكنِّي أَخْشى عَلَيْكم الـدُّنيـا أَنْ تَنَافَسُوها » قَالَ : فَكَانت آخرَ نظرةٍ نَظَرْتُها إلى رَسُول الله ﷺ .

٤٢٣ - * روى أبو داود والنسائي وابن ماجه واللفظ لـه عن جـابر بنَ عبـد الله (رضي

---

٤٢١ - ابن ماجه (١ / ٤٨٥) ٦ - كتاب الجنائز - ٢٨ - باب ما جاء في الصلاة على الشهداء ودفنهم .
قال المعلق على ابن ماجه : قال السندي : يظهر من الزوائد أن إسناده حسن .

٤٢٢ - البخاري (٧ / ٣٤٨) ٦٤ - كتاب المغازي - ١٧ - باب غزوة أحد .
ومسلم نحوه (٤ / ١٧٩٥) ٤٣ - كتاب الفضائل - ٩ - باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته .
الفَرَط : في الأصل : السابق إلى الماء يرتاده لقومه . ويستعمل للسابق إلى الجنة ، وهنا كذلك .

٤٢٣ - أبو داود (٣ / ٢٠٢) ، كتاب الجنائز ، باب في الميت يحمل من أرض إلى أرض وكراهة ذلك .
والنسائي (٤ / ٧٩) ، كتاب الجنائز ، باب أين يدفن الشهيد .
وابن ماجه (١ / ٤٨٦) ٦ - كتاب الجنائز . ٢٨ - باب ما جاء في الصلاة على الشهداء ودفنهم . وهو صحيح .

الله عنهما)قـال : إنَّ رَسُولَ الله ﷺ أَمَرَ بقَتْلى أُحُدٍ أن يُرَدُّوا إلى مَصَارِعِهِمْ وَكَانُوا نُقِلُوا إلى المدينة .

٤٢٤ ـ * روى ابن ماجه عن ابن عَبَّاسٍ : أنَّ رَسُول اللهِ ﷺ أَمَرَ بِقَتْلى أُحدٍ أنْ يُنْزَعَ عَنْهُمُ الحَدِيدُ والجُلُودُ وَأنْ يُدْفَنُوا فِي ثِيَابِهِمْ بِدِمَائِهِمْ .

٤٢٥ ـ * روى أحمد عن جَابِرِ بن عبد اللهِ قال : سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يَقُول إذَا ذُكِرَ أَصْحَابُ أُحُد : « أما واللهِ لَوَدِدْتُ أنّي غُودِرْتُ مَعَ أصحابِ نُحْصِ الجبل » يعني سَفْحَ الجبلِ .

٤٢٦ ـ * روى البخاري عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عنهما قال : كان النبي ﷺ يدْعُو عَلَى صفْوانَ بنِ أُميَّة ، وسُهَيلِ بنِ عمرو ، والحارثِ بنِ هِشامٍ ، فنزلت : ﴿ ليسَ لكَ مِن الأمْرِ شَيءٌ ﴾ إلى قوله ﴿ فإنَّهُم ظَالمُونَ ﴾ [1] .

وفي رِوايةِ الترمذيِّ [2] قال : قال رسول اللهِ ﷺ يومَ أُحُدٍ : « اللهُم الْعَنْ أبا سفيانَ ، اللهمَّ العَنْ الحارثَ بنَ هشامٍ ، اللهمَّ العن صَفْوانَ بن أُميَّةَ » قال : فنزلت : ﴿ ليسَ لكَ مِن الأمرِ شيءٌ أو يَتُوب عليهم أو يُعَذِّبَهُم ﴾ فتاب الله عليهم ، فَأَسْلموا ، فَحَسُنَ إسلامُهم .

إلى مصارعهم : أي إلى المحل الذي قتلوا فيه ، وهذه هي السنّة وقد دفن بعضهم في المدينة قبل الأمر .

٤٢٤ ـ ابن ماجه (١ / ٤٨٥) ٦ ـ كتاب الجنائز ـ ٢٨ ـ باب ما جاء في الصلاة على الشهداء ودفنهم . ولا بأس بإسناده .
الحديد : السلاح والدروع .

٤٢٥ ـ أحمد في مسنده (٣ / ٣٧٥) وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٢٣) ، وقال : رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرّح بالسماع .
غُودِرْتُ : أي تركت الدنيا معهم ويعني الحديث : أي ياليتني استشهدت معهم .
أصحابُ نُحْصِ الجبلِ : قتلى أحد وغيرهم من الشهداء .

٤٢٦ ـ البخاري (٧ / ٣٦٥) ٦٤ ـ كتاب المغازي ـ ٢١ ـ باب ﴿ ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون ﴾ .

(١) آل عمران : ١٢٨ .

(٢) الترمذي (٥ / ٢٢٧) ٤٨ ـ كتاب تفسير القرآن ـ ٤ ـ باب « ومن سورة آل عمران » وقال : حديث حسن غريب .

وفي رواية النَّسائي (١) : أنهُ سَمعَ رَسول اللهِ ﷺ ـ حين رَفَعَ رَأْسهُ مِن صَلاة الصبح من الركعة الآخرة ـ قال : « اللهُم الْعَنْ فُلاَنـاً وفُلاناً ، يـدعو على أُنـاسٍ مِنَ المنـافقين » فـأنـزل الله عَـزَّ وَجَـلَّ : ﴿ لَيْسَ لَـكَ مِنَ الأَمْرِ شيءٌ أو يَتـوّبَ عَلَيْهم أو يُعـذِّبَهُم فـإنَّهُم ظَالِمُوْنَ ﴾ .

وقـد ذكر الترمـذي (٢) بسنـد حسن أن الرسـول ﷺ كان يـدعـو على أربعـة وأنّ الله هداهم .

٤٢٧ ـ * روى الحَـاكِم عن عبـد اللهِ بن أبي فروةَ أن النبي صلى الله عليـه وآلـه وسلم زار قُبورَ الشهداء بأحُدٍ فقتال :«اللهم إن عبدَك ونبيَّك يشهـدُ أن هؤلاء شهـداء، وأنـه مَن زارهم وسلَّم عليهم إلى يَومِ القيامةِ رَدُّوا عليه » (قال العطاف) وحَـدَّثتني خـالتي أنها زارت قبور الشهداء ، قالت : وليس معي إلا غلامان يَحْفَظان عليَّ الدَّابة ، قالت : فسَمِعتُ ردَّ السلام ، قالوا : والله إنا نَعْرِفكم كما يعرف بعضنـا بعضـاً ، قـالت : فـاقْشَعْرَرْتُ ، فقلتُ : يا غلام أدْنِ بَغْلَتي فَرَكِبْتُ .

* * *

٤ ـ عِبَرُ أُحُدٍ وبعضُ دروسِها

تكلّم العلماء كثيراً في عبر أحد ودروسهـا ، ونحن ههنـا ننقل بعض كلام الغزالي المعـاصر وابن القيّم والسباعي رحمها الله :

١ ـ قال الغزالي حفظه الله :

موقعـة « أحـد » فيّـاضَـة بـالعظَـات الغوالي والـدروس القيمـة ، وقـد نزلت في أدوارهـا وحوادثها ونتائجهـا آيـات طوال ، وكان لهـا في نفس الرسول عليـه الصلاة والسلام أثر عميق

---

(١) النسائي (٢ / ٢٠٣) ، كتاب الافتتاح (التطبيق) ، باب لعن المنافقين في القنوت .

(٢) الترمذي (٥ / ٢٢٨) ٤٨ ـ كتاب تفسير القرآن . ٤ ـ باب « ومن سورة آل عمران » .

٤٢٧ ـ المستدرك (٣ / ٢٩) ، كتاب المغازي ، وقال : هذا إسناد مدني صحيح ولم يخرجاه قال الذهبي عنه : مرسل .

ظل يذكره إلى قُبَيل وفاته ، كانت امتحاناً ثقيل الوطأة محَّصَ السرائر ومزَّقَ النِّقاب عن مخبوئها ، فامتاز النفاق عن الإيمان ، بل تميَّزتْ مراتب الإيمان نفسه فعرف الذين رَكَلُوا الدنيا بنعالهم فلم يُعرِّجوا على مطمع من مطامعها والذين مالوا إليها بعض الميل فنشأ عن أطماعهم التافهة ما ينشأ عن الشرر المستصغر من حرائق مروِّعة .

بدأت المعركة بانسحاب ابنَ أُبَيٍّ ، وهو عمل ينطوي على استهانة بمستقبل الإسلام وغدر به في أحرج الظروف ، وتلك أبرز خسائس النفاق .

والدعوات ـ إبان امتدادها وانتصارها ـ تُغْرِي الكثير بالانضواء تحت لوائها ، فيختلط المخلص بالمغرض ، والأصيل بالدخيل . وهذا الاختلاط مضر أكبر الضرر بسير الرسالات الكبيرة وإنتاجها .

ومن مصلحتها الأولى أن تصاب برجّات عنيفة تعزل الخَبَثَ عنها ، وقد اقتضت حكمة الله أن يقع هذا التمحيص في أُحُد .

ولئن أفادت وقعة « بدر » في خذل الكافرين ، إن وقعة « أحد » أفادت مثلها في فضح المنافقين ، ورب ضارة نافعة ، وربما صحت الأجسام بالعلل .

ولعل ما ترتب على عصيان الأوامر في هذه الموقعة ، درس عميق يتعلم منه المسلمون قيمة الطاعة ، فالجماعة التي لا يحكمها أمر واحد ، أو التي تغلب على أفرادها وطوائفها النزعات الفردية النافرة لا تنجح في صدام ، بل لا تُشَرِّف نفسها في حرب أو سلام .

والأمم كلُّها ، مؤمنها وكافرها ، تعرف هذه الحقيقة ، ولذلك قامت الجندية على الطاعة التامة ، وعندما تشتبك أمة في حرب ، تجعل أحزابها جبهة واحدة وأهواءها رغبة واحدة ، وتُخْمِد كلَّ تمرُّدٍ أو شذوذ ينجم في صفوفها .

ولذلك لما دهش المسلمون للكارثة التي قلبت عليهم الأمور ، بَيَّنَ لهم أنهم هم مصدرها : فما أخلفهم مَوْعِداً ، ولاَظَلَمَهم حَقًّا :

﴿ أَوَلَمَّا أصابتكم مُصِيبةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِثْلَيْها قُلْتم أَنَّى هذَا قلْ هوَ مِنْ عندِ أنفسكمْ إنَّ

الله على كلّ شيءٍ قديرٌ ﴾ [١] .

إن الإسلام يشترط لكمال العمل وقبوله الإيمان والاحتساب ، والتجرد . ا هـ .

٢ ـ قال ابن القيّم :

(فصل في ذكر بعض الحكم والغايات المحمودة التي كانت في وقعة أحد) وقد أشار الله سبحانه وتعالى إلى أمهاتها وأصولها في سورة آل عمران حيث افتتح القصة بقوله ﴿ **وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال** ﴾ [٢] إلى تمام ستين آية فمنها تعريفهم بسوء عاقبة المعصية والفشل والتنازع وأن الذي أصابهم إنما هو بشؤم ذلك كما قال تعالى : ﴿ **ولقد صَدقكم الله وَعْدَه إذْ تَحُسُّونَهمْ بإذنِهِ حتّى إذا فَشلتم وتَنازعتمْ في الأمر وعَصَيتُمْ من بعد ما أراكم ما تُحِبونَ مِنْكم مَنْ يريدُ الدنيا ومنكم مَنْ يُريدُ الآخِرَةَ ثمّ صَرَفَكم عنهم ليَبتَليكم ولَقَدْ عَفا عَنْكم** ﴾ [٣] فلما ذاقوا عاقبة معصيتهم للرسُولِ وَتَنَازُعِهم وفَشَلِهم كانوا بعد ذلك أشد حذراً ويقظة وتَحرزاً من أسباب الخذلان .

ومنها أن حكمة الله وسنته في رسله وأتباعهم جرت بأن يدالوا مرةً ويُدَالُ عليهم أخرى ، لكن تكون لهم العاقبة ، فإنهم لو انتصروا دائماً دخل معهم المسلمون وغيرهم ولم يتميز الصادق من غيره ، ولو انتُصِر عليهم دائماً لم يحصل المقصود من البعثة والرسالة فاقتضت حكمة الله أن جمع لهم بين الأمرين ليتميز من يتبعهم ويطيعهم للحق وما جاؤا به ممن يتبعهم على الظهور والغلبة خاصة ومنها أن هذا من أعلام الرسل ، كما قال هرقل لأبي سفيان هل قاتلتموه ؟ قال : نعم . قال : كيف الحرب بينكم وبينه ؟ قال : سجال ندال عليه ويدال علينا الأخرى ، قال كذلك الرسل تبتلى ثم تكون لهم العاقبة .

ومنها أن يتميز المؤمن الصادق من المنافق الكاذب ، ومنها استخراج عبودية أوليائه وحزبه في السراء والضراء وفيما يحبون وما يكرهون وفي حال ظفرهم وظفر أعدائهم بهم فإذا

---

(١) آل عمران : ١٦٥ .

(٢) آل عمران : ١٢١ .

(٣) آل عمران : ١٥٢ .

ثبتوا على الطاعة والعبودية فيا يحبون وما يكرهون فهم عبيده حقاً وليسوا كمن يعبد الله على حرف واحد من السراء والنعمة والعافية .

ومنها أنه سبحانه لو نصرهم دائماً وأظفرهم بعدوهم في كل موطن وجعل لهم التمكن والقهر لأعدائهم أبداً لطغت نفوسهم وشمخت وارتفعت فلو بسط النصر والظفر لكانوا في الحال التى يكونون فيها لو بسط لهم الرزق ، فلا يصلح عباده إلا السراء والضراء والشدة والرخاء والقبض والبسط فهو المدبر لأمر عباده كما يليق بحكمته إنه بهم خبير بصير .

ومنها أنه إذا امتحنهم بالغلبة والكسرة والهزيمة ذلوا وانكسروا وخضعوا فاستوجبوا منه العز والنصر فإن خلعة النصر إنما تكون مع ولاية الذل والانكسار قال تعالى : ﴿ **ولقدْ نَصَركُم الله بِبدرٍ وأنتم أذلة** ﴾ [1] وقال : ﴿ **ويومَ حُنَيْنٍ إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً** ﴾ [2] فهو سبحانه إذا أراد أن يعز عبده ويجبره وينصره كسره أولاً ويكون جبره له ونصره على مقدار ذله وانكساره .

ومنها أنه سبحانه هيأ لعباده المؤمنين منازل في دار كرامته لم تبلغها أعمالهم ولم يكونوا بالغيها إلا بالبلاء والمحنة فقيض لهم الأسباب التي توصلهم إليها من ابتلائه وامتحانه كما وفقهم للأعمال الصالحة التي هي من جملة أسباب وصولهم إليها .

ومنها أن النفوس تكتسب من العافية الدائمة والنصر والغَنَاء طغياناً وركوناً إلى العاجلة ، وذلك مرض يعوقها عن جدها فى سيرها إلى الله والدار الآخرة ، فإذا أراد بها ربها ومالكها وراحمها كرامته قيض لها من الابتلاء والامتحان ما يكون دواء لذلك المرض العائق عن السير الحثيث إليه ، فيكون ذلك البلاء والمحنة بمنزلة الطبيب يسقي العليل الدواء الكريه ويقطع منه العروق المؤلمة لاستخراج الأدواء منه ، ولو تركه لغلبته الأدواء حتى يكون فيها هلاكه ومنها أن الشهادة عنده من أعلى مراتب أوليائه ، والشهداء هم خواصه والمقربون من عباده ، وليس بعد درجة الصديقية إلا الشهادة ، وهو سبحانه يحب أن يتخذ

---

(١) آل عمران : ١٢٣ .

(٢) التوبة : ٢٥ .

من عباده شهداء يراق دماؤهم في محبته ومرضاته ويؤثرون رضاه ومحابه عل نفوسهم ، ولا سبيل إلى نيل هذه الدرجة إلا بتقدير الأسباب المفضية إليها من تسليط العدو .

ومنها أن الله سبحانه إذا أراد أن يهلك أعداءه ويمحقهم قيض لهم الأسباب التي يستوجبون بها هلاكهم ومحقهم ومن أعظمها بعد كفرهم بغيهم وطغيانهم ومبالغتهم في أذى أوليائه ومحاربتهم وقتالهم والتسلط عليهم فيتمحص بذلك أولياؤه من ذنوبهم وعيوبهم ويزداد بذلك أعداؤه من أسباب محقهم وهلاكهم وقد ذكر سبحانه وتعالى ذلك في قوله ﴿ **ولا تَهِنُوا ولا تَحْزنوا وأنتم الأعلَون إن كنتم مؤمنين * إنْ يَمسَسْكم قرْحٌ فقد مسَّ القومَ قرْحٌ مِثله وتلكَ الأيام نُداولها بينَ الناس وليعلم اللهُ الذينَ آمَنوا ويتخذ منكم شُهَداء والله لا يُحبُّ الظالمين * وليُمحِصَّ الله الذينَ آمنوا ويمحق الكافرين** ﴾ [1] .

ومنها أن وَقعة أُحدٍ كانت مقدمة وإرهاصاً بين يدي موت رسول الله ﷺ ، فنبأهم ووبخهم على انقلابهم على أعقابهم إن مات رسول الله ﷺ أو قتل بل الواجب له عليهم أن يثبتوا على دينه وتوحيده ويموتوا عليه أو يقتلوا ، فإنهم إنما يعبدون رب محمد وهو حي لا يموت ، فلو مات محمد أو قتل لا ينبغي لهم أن يصرفهم ذلك عن دينه وما جاء به ، فكل نفس ذائقة الموت .

٣ ـ علق الدكتور السباعي على غزوة أحد فقال :

إن مخالفة أمر القائد الحازم البصير يؤدي إلى خسارة المعركة ، كما حصل في وقعة أحد ، فلو أن رماة النبل الذين أقامهم رسول الله ﷺ خلف جيشه ثبتوا في مكانهم كما أمرهم الرسول ﷺ لما استطاع المشركون أن يلتفوا من حولهم ويقلبوا هزيمتهم أول المعركة إلى النصر في آخرها ، وكذلك يفعل العصيان في ضياع الفرص ونصر الأعداء ، وقد أنذر الله المؤمنين بالعذاب إن خالفوا أمر رسولهم . فقال : ﴿ **فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم** ﴾ [2] .

---

(١) آل عمران : ١٣٩ ـ ١٤١ .

(٢) النور : ٦٣ .

وفي ثبات نسيبة أم عمارة ، ووقوفها وزوجها وأولادها حول رسول الله ﷺ حين انكشف المسلمون يوم أحد ، دليل من الأدلة المتعددة على إسهام المرأة المسلمة بقسط كبير من الكفاح في سبيل دعوة الإسلام ، وهو دليل على حاجتنا اليوم إلى أن تحمل المرأة المسلمة عبء الدعوة إلى الله من جديد ، لتدعو إلى الله في أوساط الفتيات والزوجات والأمهات ، ولتنشيء في أطفالها حب الله ورسوله ، والاستمساك بالإسلام وتعاليمه ، والعمل لخير المجتمع وصلاحه .

وما دام ميدان الدعوة شاغراً من المرأة المسلمة الداعية ، أو غير ممتلىء بالعدد الكافي منهن . فستظل الدعوة مقصرة في خطاها ، وستظل حركة الإصلاح عرجاء حتى يسمع نصف الأمة وهن النساء ـ دعوة الخير ، ويستيقظ في ضمائرهن وقلوبهن حب الخير والإقدام على الدين ، والإسراع إلى الاستمساك بعروته الوثقى .

وفي إصابة رسول الله ﷺ بالجراح يوم أحد عزاءٌ للدعاة فيما ينالهم في سبيل الله من أذى في أجسامهم ، أو اضطهاد لحرياتهم بالسجن والاعتقال ، أو قضاءٍ على حياتهم بالإعدام والاغتيال ، وقد قال الله تعالى في كتابه الكريم : ﴿ **الٓمٓ . أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وهم لا يُفْتَنُون * ولقد فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قبلهِم فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الذينَ صَدَقُوا ولَيَعْلَمَنَّ الكَاذِبِين** ﴾ [١] .

وفيما فعله المشركون يوم أحد من التمثيل بقتلى المسلمين ، وبخاصة حمزة عم الرسول ﷺ ، دليل واضح على خلوِّ أعداء الإسلام من كل إنسانية وضمير ، فالتمثيل بالقتيل لا يؤلم القتيل نفسه ، إذ الشّاة المذبوحة لا تتألم من السلخ ، ولكنه دليل على الحقد الأسود الذي يملأُ نفوسهم ، فيتجلى في تلك الأعمال الوحشية التي يتألم منها كل ذي وجدان حي ، وضمير إنساني .

وفي تقدمه [عليه الصلاة والسلام] الصفوف في كل معركة وخوضه غمارها معهم إلا فيما يشير به أصحابه ، دليل على أن مكان القيادة لا يحتله إلا الشجاع المتثبت ، وأن الجبناء

---

(١) العنكبوت : ١ ـ ٢ .

خـائري القوى لا يصلحون لرئـاسـة الشعوب ، ولا لقيـادة الجيـوش ، ولا لـزعـامـة حركات الإصلاح ودعوات الخير ، فشجاعة القائد والداعية بفعلـه وعملـه يفيـد في جنوده وأنصـاره في إثارة حماسهم واندفاعهم مـالا يفيـده ألف خطـاب حـماسي يلقونـه على الجماهير ، ومن عـادة الجنود والأنصار أن يستمـدوا قوتهم من قوة قـائـدهم ورائـدهم ، فـإذا جبن في مواقف اللقـاء ، وضعف في مواطن الشدة ، أضر بالقضية التي يحمل لواءها ضرراً بالغاً . ا هـ .

* * *

٥ ـ فقهيات

ذكر ابن القيّم عدداً من الأحكام والمسائل الفقهيّة التي تُؤخذ من غزوة أُحُد ، وهـا نحن ننقل بعضاً ممـا ذكره : منهـا أنـه لا يجب على المسلمين إذا طرقهم عـدوهم في ديـارهم الخروج إليـه بل يجوز لهم أن يلزموا ديـارهم ويقـاتلوهم فيهـا إذا كان ذلـك أنصر لهم على عـدوهم كما أشار به رسول الله ﷺ يوم أحد .

ومنها جواز سلوك الإمام بالعسكر في بعض أملاك رعيته إذا صادف ذلـك طريقـه وإن لم يرضَ المالك .

ومنها أنه لا يأذن لمن لا يطيق القتال من الصبيان غير البالغين بل يردهم إذا خرجوا كما رد رسول الله ﷺ ابن عمر ومن معه .

ومنها جواز الغزو بالنساء والاستعـانـة في الجهـاد بهن ومنهـا جواز الانغماس في العـدو كما انغمس أنس بن النَّضْر وغيره .

ومنها أن الإمام إذا أصابته جراحة صلى بهم قاعـداً وصلوا وراءه قعوداً كما فعل رسول الله ﷺ في هذه الغزوة واستمرت على ذلك سنته إلى حين وفاته .

ومنها جواز دعـاء الرجل أن يقتل في سبيل الله وتمنيـه ذلـك وليس هـذا من تمني الموت المنهي عنه .

ومنهـا أن المسلم إذا قتل نفسـه فهو من أهل النـار لقولـه ﷺ في قُزْمـان الـذي أبلى يوم

أحد بلاء شديداً فلما اشتد به الجراح نحر نفسه فقال صلى الله عليه وسلم هو من أهل النار .

ومنها أن السنة في الشهيد أن لا يغسل ولا يصلى عليه ولا يكفن في غير ثيابه بل يدفن فيها بدمه وكلومه إلا أن يُسْلَبَها فيكفَّنَ في غيرها .

ومنها أنه إذا كان جنباً غُسِّلَ كما غَسَّلَتِ الملائكةُ حَنْظَلَةَ بن أبي عامر ومنها أن السنةَ في الشهداء أن يُدفَنُوا في مصارعهم ولا يُنقلوا إلى مكان آخر .

ومنها جَوَازُ دَفْنِ الرجُلين أو الثَّلاثَةِ في القبر الواحدِ فإنَّ رسولَ الله ﷺ كَانَ يَدْفِنُ الرجُلَيْنِ والثلاثة في القبر ويقولُ : أيهم أكثر أخذاً في القرآن ؟ فإذا أشاروا إلى رَجُلٍ قدّمَهُ في اللحد ، ودفن عبد الله بن عمرو بن حَرام وعمرو بنُ الجَمُوح في قَبرٍ واحدٍ لما كان بينهما منَ المحبةِ فقال : « ادفنوا هذيْن المتحابينِ في الدنيا في قبرٍ واحد » ثم حفرَ عَنْهُمَا بعدَ زمنٍ طويْل ويد عبد الله بن عمرو بن حَرام على جراحتهِ كما وضَعَها حين جرح ، فأميطت يده عن جراحته فانبعثَ الدم فرُدَّتْ إلى مكانها فسكن الدم ، وقال جابر : رأيتُ أبي في حفْرَته حيْن حُفِرَ عليه كأنه نائمٌ وماتغيَّر مِنْ حَالِه قليل وَلا كثيرٌ قيلَ له : أفرأيت أكفانَه فقال إنّما دُفِنَ في نَمِرَةٍ خُمِّر بها وَجْهَهُ وعلى رجليه الحَرْمَل [١] فوجدنا النمرة كما هِي وعلى رجليهِ الحرمل على هيأته وبين ذلك ستةٌ وأربعون سنة .

وقد اختلف الفقهاء في أمر النبي ﷺ أن يُدفن شهداءُ أحُد في ثيابهم هل هو عَلى وجه الاستحباب والأولوية أو على وجه الوجوب على قولين الثاني أظهرهما ، وهو المعروف عن أبي حنيفة رحمه الله والأول هو المعروف عن أصحاب الشافعي وأحمد رحمها الله ، فإن قيل فقد روى يعقوب بن شيبة وغيره بإسناد جيد أنَّ صفية أرسلت إلى النبي ﷺ ثوبَيْنِ ليكفّنَ فيهمَا حمزة فكفَّنَه في أحدِهما وكُفنَ في الآخر رَجُلاً آخر ، قيل حمزة كان الكفار قد سَلَبوه ومثَّلوا به وبَقروا عن بطنهِ واستخرجُوا كبده فلذلك كُفِّنَ في كفَن آخَر ، وهذا القول في الضعف نظير قول من قال يُغَسَّلُ الشهيدُ وسنة رسول الله ﷺ أولى بالاتباع .

---

(١) (الحَرْمَلُ) : نَبْتٌ له حب أسود كالخردل .

ومنها أن من عَذره الله في التخلف عن الجهاد لَمرضٍ أو عرج يجوز لـه الخروج إليه وإن لم يجب عليه كما خرج عمرو بن الجموح وهو أعرج .

ومنهـا أن المسلمين إذا قتلوا واحـداً منهم في الجهـاد يظنونـه كافراً فعلى الإمـام ديتـه من بيت المال لأن رسول الله ﷺ أراد أن يَدي اليَمَان أبا حذيفة فامتنع حذيفة من أخذ الدية وتصدق بها على المسلمين . ا هـ كلام ابن القيم .

* * *

فصل : في غزوة حمراء الأسد

قال في الرحيق المختوم : وبات الرسول ﷺ وهو يفكر في الموقف ، فقد كان يخاف أن المشركين إن فكروا في أنهم لم يستفيدوا شيئاً من النصر والغلبة التي كسبوها في ساحة القتال ، فلابد من أن يندموا على ذلك ، ويرجعوا من الطريق لغزو المدينة مرة ثانية ، فصمم على أن يقوم بعملية مطاردة الجيش المكي .

وسار رسول الله ﷺ والمسلمون معه حتى بلغوا حمراء الأسد على بعد ثمانية أميال من المدينة فعسكروا هناك .

(وكان من آثار ذلك أن عدل المشركون عن قرارهم في مهاجمة المدينة ، وانطلقوا نحو مكّة أشبه بالهاربين) .

أقام رسول الله ﷺ بحمراء الأسد بعد - مقدمه يوم الأحد - الاثنين والثلاثاء والأربعاء .

لا شك أن غزوة حمراء الأسد ليست بغزوة مستقلة ، إنما هي جزء من غزوة أحد وتتمة لها ، وصفحة من صفحاتها .

٤٢٨ - * روى الطبراني عن ابن عباس قال : لما انصَرَفَ أبو سُفيانَ وَالمشْركُون عَنْ أحُدٍ ، وَبَلَغوا الروْحَاء قالوا : لا محمدًا قَتَلْتم ، ولا الكواعِبَ أرْدَفتُم ، شَرٌّ ما صَنَعْتُم فَبَلغَ ذَلكَ رَسولَ اللهِ ﷺ فَنَدَبَ الناسَ فَانْتَدَبُوا حَتَىٰ بَلَغُوا حمراء الأسد أو بِئر بني عُيَيْنَةَ فَأَنْزَل الله عَزَّ

---

٤٢٨ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٢١) ، وقال : رواه الطبراني ، ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن منصور الجواز ، وهو ثقة .

الروحاء : تبعد عن المدينة جنوباً حوالي أربعين ميلاً .

الكواعب : جمع كاعب وهي الفتاة التي نهد ثديها .

أردفتم : أركبتم وراءكم على الإبل والمعنى أسرتم .

ندب الناس فانتدبوا : دعاهم للخروج فخرجوا .

حمراء الأسد : موضع على ثمانية أميال من المدينة .

وَجَلَّ ﴿ الذين استَجَابُوا للهِ وَالرسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ القَرْحُ ﴾ [١] وذلِكَ أَنَّ أبا سفيان قَالَ للنَّبي ﷺ : مَوعِدُكَ مَوْسِمُ بدرٍ ، حَيْثُ قَتَلتُمْ أَصْحابنا فأما الجَبَانُ فَرَجَعَ ، وأما الشُّجَاعُ فأخَذَ أُهْبَةَ القِتَالِ والتجارةِ فأتوْه فَلَمْ يجدُوا بهِ أحَداً وَتسوّقوا فأنزلَ الله جَلَّ ذِكْره ﴿ فَانقَلَبُوا بِنعمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ لم يمسَسْهُم سُوء ﴾ [٢] .

٤٢٩ ـ * روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما : ﴿ حسبنَا الله ونِعْمَ الوكيل ﴾ قَالَها إبراهيمُ عليه السَّلام حِينَ أُلقيَ في النَّار ، وقَالَها محمدٌ ﷺ حِينَ قَالُوا ﴿ إن النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكم فاخشَوْهُم فَزَادَهُم إيماناً وقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ ونِعْمَ الوكيل ﴾ [٣] .

والملاحظ أنّ الحرب النفسيّة كانت جزءاً من مخططات الرسول ﷺ ومخططات المشركين ، فليست إذن هي وليدة الفكر المعاصر بل نقول : إن كثيرا مما يظنّ أنّه وليد الفكر المعاصر ليس هو كذلك فهناك منطق البداهة والغريزة ينطلق الناس عنه دائماً أبداً وإنّما التعقيد والتنظيم يتضخّمان على مدى العصور .

والملاحظ أنّ الحرب النفسيّة لم تؤثّر في رسول الله ﷺ وأصحابه وإنّما أثّرت بالمشركين فقط وذلك هو الوضع الطبيعي الذي ينبغي أن يكون عليه الحال ، فإذا ما حدث غير ذلك ـ فالسبب ـ المرض عند المسلمين .

بل نقول : إنّ قوله عليه الصلاة والسلام : « نصرت بالرعب مسيرة شهر » [٤] يدلّ على أنّ الغلبة في الحرب النفسيّة هي الأساس وهي النصر ، ولكنّ ذلك لا يكون للمسلمين إلا إذا تأسّوا برسول الله ﷺ وأصحابه في طلب الموت وإحسان الحركة السياسيّة والعسكريّة .

= القرح : عض السلاح وجروحه .

وتسوّقوا : اشتروا من السوق .

(١) آل عمران : ١٧٢ .

(٢) آل عمران : ١٧٤ .

٤٢٩ ـ البخاري (٨ / ٢٢٩) ٦٥ ـ كتاب التفسير ـ ١٣ ـ باب ﴿ الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم ﴾ الآية.

(٣) آل عمران : ١٧٣ .

(٤) البخاري (١ / ٤٣٥) .

٤٣٠ - * روى البخاري عن عائشة رضيَ اللهُ عَنْها ﴿ **الـذينَ استجابُوا لله والرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ ما أصَابَهُمُ القَرْحُ للَّـذينَ أَحْسَنُوا مِنهُم واتَّقَوْا أَجْرٌ عَظيمٌ** ﴾ [(١)] . قـالت لعروةَ : « يا ابن أُخْتِي ، كانَ أبواك مِنْهُم الزبيرُ وأبو بَكْرٍ ، لَمَّا أَصَابَ رسُول الله ﷺ ما أصابَ يومَ أُحُدٍ وانصرف عنه المشركون خَافَ أنْ يَرْجِعُوا ، قال : مَنْ يذهبُ في إِثْرِهِم ؟ فانتـدب منهم سبعون رَجُلاً ، قال : كان فيهم أبو بكر والزُّبَيْرُ .

وفي رواية [(٢)] قال عُروةُ : قَالَتْ لي عَائِشَةُ : أَبواكَ واللهِ مِن الَّذين استَجَابوا للهِ والرسولِ مِنْ بعد مَا أَصابَهُم القَرْحُ - زادَ في رِوَايةٍ - تَعني أبا بكر والزبيرَ .

قال ابن كثير : المشهور عند أصحـاب المغـازي أن الـذين خرجوا مع رسول الله ﷺ إلى حمراء الأسد كل من شهد أحداً وكانوا سبعمائـة كما تقـدم ، قتل منهم سبعون وبقي البـاقون ، وقـد روى ابن جرير من طريـق العـوفي عن ابن عبـاس قـال : إنَّ الله قَـذَفَ في قَلْب أبي سُفْيانَ الرعْبَ يَوْمَ أحد بعد الذي كانَ مِنْهُ فَرَجَعَ إلى مكة .

قال ابن إسحاق : كان أحـد يوم السبت للنصف من شوال ، فلمّـا كان الغـد يوم الأحـد سـادس عشر من شوال أذّن مـؤذّن رسـول الله ﷺ في النـاس يطلب العـدو ، وأن لا يخرج معنا إلاّ من حضر بالأمس ، فاستأذنه جابر بن عبـد الله في الخروج معـه فـأذن لـه ، وإنّمـا خرج مرهباً للعدو وليظنّوا أنّ الذي أصابهم لم يوهنهم عن طلب عدوّهم .

أقول : يبدو أنّ السبعين الذين ذكرتهم عائشـة رضي الله عنهـا كانوا طليعـة القوم ، وإلاّ فالنصوص واضحة بأنّه حتّى الجرحى لم يتخلّفوا عن غزوة حمراء الأسد .

* * *

٤٣٠ - البخاري (٧ / ٣٧٣) ٦٤ - كتاب المغازي - ٢٥ - باب ﴿ **الذين استجابوا لله والرسول** ﴾ .

البخاري مطولاً (١ / ٤٣٥) ٧ - كتاب التيم - ١ - باب حدثنا عبد الله بن يوسف عن جابر بن عبد الله .

(١) آل عمران : ١٧٢ .

(٢) مسلم (٤ / ١٨٨١) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٦ - باب من فضائل طلحة والزبير رضي الله تعالى عنهما والزيادة في نفس الموضع .

هوامش على غزوة أحد

١ ـ يبدو لي أنّ غزوة أحد جمعت هزيمتين للطرفين بآن واحد واستمرت الهزيمتان إلى آخر الغزوة ، فلقد هرب المشركون ابتداء ، ثمّ وجد خالد الفرصة فهاجم وهرب بعض المسلمين ، واستمرّ الهروب عند الطرفين فنحن لا نعثر بعد هجمة خالد على تجمّع كبير للمسلمين ، كما أنّنا لا نعثر على تجمّع كبير للمشركين وإنّما بقيت مجموعات في أرض المعركة ، حتىّ إن خالداً نفسه وهو الذي أوقع الهزيمة بالمسلمين لا نسمع له حساً بعد ذلك فكأنه تصرّف هذا التصرف الخاطف وهو في موقع اليائس ، والذين بقوا على أرض المعركة لم يكونوا متكافئين ، ومع ذلك فالإدارة الحازمة الحكيمة الرائعة للمعركة من قِبَل رسول الله ﷺ أوقفت المشركين عند حدّهم واكتفوا بما حقّقوا ، ولولا أنّهم شعروا بالعجز أو أنّ خسائرهم ستكون أكثر من أرباحهم ما انسحبوا وهم يرون رسول الله ﷺ ومجموعة قليلة من أصحابه حوله أمامهم ، ولذلك فالمعركة في مجموعها كانت متعادلة من ناحية النصر والهزيمة وإن كانت ضحايا المسلمين أكثر لأن عدد العدوّ أكبر .

٢ ـ لا أعرف في تاريخ العالم ملحمة هي أعظم في البطولة والشجاعة والكفاءة العسكريّة والقياديّة كملحمة أحد ، فأي قائد في تاريخ العالم يبقى في أفراد من جنده يتابع القتال ويدير المعركة حتّى يكفّ العدو يده ، ثم أي قائد يصاب بما أصيب به رسول الله ﷺ يومذاك ويبقى على غاية من اليقظة في إدارة الأمور فيرسل من يستكشف له وجهة قريش ، ويعلن عن تصميه على المعركة إلى النهاية ، ثمّ يغسل آثار هزيمة المشركين بعمليّة خاطفة هي عملية حمراء الأسد التي أرجعت إلى الصف الإسلامي روحه المعنوية وأعادت هيبة المسلمين إلى المجتمع الذي يعيشون فيه ، وأعادت قريشاً إلى صوابها وقذفت في قلوب رجالها الرعب .

٣ ـ لقد تلافت قريش الكثير من نواقصها يوم بدر ، فلقد كان ينقصها يوم بدر وحدة القيادة وجودة التعبئة والتصميم الشامل على القتال والدوافع القويّة نحو النصر ، أمّا في أحد فلقد توحّدوا تحت إمرة أبي سفيان وكانت تعبئتهم جيّدة ، وكان لهم ثأرٌ يحرّكهم ومصالحُ

يفتقدونها ، وكان تصميمهم على المعركة شاملاً وكفاءتهم القيادية والقتاليّة عالية جداً يظهر ذلك من تصرّفات أبي سفيان وخالد وبني عبد الدار حملة اللواء ، ومع ذلك هُزموا ابتداء وتكافؤوا انتهاء ، ولولا غلطة الرماة لم تكن إلاّ الهزيمة ، هذا مع أنّ العدو أربعة أضعاف ونيف ، والخيل كانت عندهم كلّها على قول وكانت أربعة أضعاف على قول آخر وهكذا ، ولقد عوّض رسول الله ﷺ عن النقص في العدد والعدّة بحسن التخطيط والاستفادة من الأرض ولكنّه في النهاية لا تعليل إلا الإيمان وإلا التأييد الرباني وفعل الله لرسوله ﷺ والمؤمنين .

٤ ـ بعد سنتين ونيف من قيام الدولة الإسلامية في المدينة تبيّن أن ثلث الجيش الإسلامي لايزال خارجاً عن طاعة رسول الله ﷺ ، وذلك في الحقيقة أكبر سبر لوضع المجتمع المدني ، إذ به عرف بالضبط المؤمن من غيره والمحصلة كانت ضخمة ، فأن يستطيع رسول الله ﷺ أن يستخلص من زعامة عبد الله بن أبيٍّ الأكثرية المطلقة فذلك وحده كبير ، والذي حدث بعد ذلك أكبر ، فلقد توفي رسول الله ﷺ والمنافقين قلّة ، فأن يستخلص رسول الله ﷺ أكثرية المنافقين من النفاق ، والبقيّة الباقية لا تجرؤ إلا أن تعلن طاعتها فذلك نجاح ما بعده نجاح ، وبمثل ذلك يقتدي المقتدون .

٥ ـ لقد كان عُمُرُ رسول الله ﷺ يوم أحد خمسة وخمسين عاماً ونيفاً ، ولو أنّك استعرضت الجهد الذي بذله عليه الصلاة والسلام الجمعة والسبت والأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء من شوال ذاك لرأيت عجباً فأي جسم هذا الجسم ؟ وأي عقل هذا العقل ؟ وأي روح هذه الروح ؟ وأي نفس هذه النفس ؟ إنّه لا تعليل لاستمرار رسول الله ﷺ على وتيرة واحدة دون عجز أو قصور أو تقصير أو وهن أو ضعف إلا أنّها الرسالة عن الله رب العالمين وإلا صنع الله لرسوله ﷺ على عينه .

٦ ـ لقد نزلت في أحد حوالي ستين آية من سورة آل عمران من قوله تعالى : ﴿ وإذ غدَوْتَ من أهلك تُبوِّئُ المؤمنين مقاعدَ للقتال ... ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ ما كان اللهُ ليَذَرَ المؤمنينَ على ما أنتم عليه .... ﴾ [1] ونزل فيها بعض آيات من سورة النساء منها

---

(١) آل عمران : ١٢١ ـ ١٧٩ .

قولـه تعـالى : ﴿ فما لكم في المنـافقين فئتين ﴾ [٢] ، وإذ كان من البـدهيـات أنّ القرآن لا يتحدّث إلا عن المعاني الخوالد التي تسع الزمـان والمكان ، ويحتـاجهـا الإنسـان في كل زمـان ومكان ندرك كم في غزوة أحد من دروس تحتاجها الأمّة الإسلاميّة .

٧ ـ من المعاني المهمّة في الحياة ما ذكره بعضهم أنّ عليك أن تنظر إلى الأمور كلّها بعين الشريعـة وبعين الحقيقـة وأن تتعرّف على الحكمـة الربّـانيّـة في كل حركـة وسكـون في هـذا الكون ، ولقد رأينا حِكَماً كثيرة وراء مـا حـدث في أحُـد ولكن حكمـة ينبغي أن نضعهـا في حسابنا وهي : أنّ لقريشٍ فَضْلَها وستحمل الإسلام فيا بعد ، فأن تكون أخذت ثأرها أدعى لأن تتعقل .

٨ ـ أهم دروس أُحد أنّها الـدرس المقـابل الـذي لابـد منـه لبـدر ، فلو كانت بـدر هي الدرس الوحيد للمسلمين لدفعهم ذلك إلى المغامرة دون حدود ، وإلى اليأس إذا حدث فشل ، ولكن أن تقع أحد بعد بدر فـذلـك هو الـذي أوجـد التوازن في التفكير الإسلامي العسكري على مدى العصور ، فالله ينصر جنده ولكنّ لهذا النصر شروطاً منها المـاديّ ومنهـا المعنويّ ، وربنا يفعل ما يشاء .

بعبرة بدر وبعبرة أحد انطلق المسلمون ولازالوا ينطلقون ، وبروحانيّة بدر وبروحـانيّـة أحد يجب أن يتحرّك المسلمون .

* * *

تقدير الموقف في نهاية السنة الثالثة

في الأصل كانت عواطف العرب مع قريش ومع مكّة ، لأسباب متعددّة :

لأن ذلـك يمثّل الاستمرار ، وللاستمرار قوّتـه ، ولأنّ دين قريش هو دين العرب ، وأكثر العرب لم يستوعبوا الرسـالـة الجـديـدة ، وكان من عوامل التلاحم مـع قريش أسـواق العرب وحجّها ، وقد تجمّدت المواقف بـالحركـة النبويـة العسكريّـة والسيـاسيّـة حتّى غزوة أحـد ،

---

(٢) النساء : ٨٨

وغلب على أكثر العرب التربّص حتىّ يروا إلى أي شيء تصير الأمور ، هذا مع استقرار الوضع الداخلي في المجتمع الإسلامي فهيبة الدولة أخذت مداها ، ولكنّ حادثة أحد مع كلّ ما فعله رسول الله ﷺ لتلافي آثارها قدأعادت بعض الأمور إلى أصولها ، وأوجدت موازنات خطرة ، فقد شعر العرب أن قريشاً لازال بيدها زمام الأمور وأنها قادرة على التعبئة والحشد المتفوّقيْن ، وأنّها قادرة على تحقيق النصر وكلّ ذلك ترك آثاره وبصماته على التفكير داخل المجتمع المكّي وداخل المجتمع المدني وفي المحيط العربي كلّه ، فما انتقاض بني النضير في السنة الرابعة ومأساة بئر معونة وكارثة الرجيع إلا أثراً عن أحد بل إن غزوة الأحزاب كانت أثراً عن أحد ، ولذلك فلقد كان على رسول الله ﷺ في السنتين الرابعة والخامسة أن يعفي على آثار أحد وأن يعيد الانطلاقة إلى ما كانت عليه وسنرى ما فعله عليه الصلاة والسلام من أجل هذا وغيره .

* * *

السَّنَةُ الرَّابِعَةُ لِلهِجْرَةِ

السنة الرابعة في سطور

* في بداية المحرّم من السنة الرابعة أرسل رسول الله ﷺ أبا سلمة على رأس سريّة قوامها مائة وخمسون مقاتلاً إلى بني أسد على إثر ما بلغه أنّهم يعدّون العدّة لحربه ، فباغتهم أبو سلمة وهزمهم وعاد غانماً ، لكنّه نفر عليه جرح - أي انفجر - كان قد أصابه يوم أحد فتوفي عليه رضوان الله .

* وفي اليوم الخامس من المحرّم أرسل رسول الله ﷺ عبد الله بن أُنيس في مهمّة هي أن يقتل له خالد بن سفيان الهذلي الذي كان يحشد لرسول الله ﷺ فقتله عبد الله وجاء برأسه إلى رسول الله ﷺ وقد استغرقت هذه المهمّة ثمانية عشر يوماً ، وبهذه العمليّة أنهى رسول الله ﷺ خطراً محتملاً .

* وفي شهر صفر من السنة الرابعة حدثت فاجعة الرجيع التي غدر فيها قوم من عَضَل وقارَةَ وترتّب عليها مقتل عشرة من أصحاب رسول الله ﷺ منهم خُبيب وزيدُ بنُ الدَّثِنَّة ومَرْثد بن أبي مَرْثَد الغَنَوي .

* وفي شهر صفر كذلك وقعت مأساة أخرى أشدّ وأفظع من الأولى وهي فاجعة بئر مَعُونة التي قتل فيها حوالي سبعين من قراء الصحابة .

* وفي ربيع الأوّل غزا رسول الله ﷺ بني النضير على إثر محاولتهم قتله عليه الصلاة والسلام فاستسلموا بعد حصار ، وجلوا عن أرض الحجاز إلى الشام بعد أن تمّ الصلح على أن يخرجوا من أراضيهم بنفوسهم وذراريهم وأن لهم ما حملت الإبل إلا السلاح .

* وفي شهر ربيع الثاني أو جمادى الأولى سنة ٤ هـ غزا رسول الله ﷺ نجدا في حملة تأديبيّة ضدّ الذين أساؤوا لأصحابه وغدروا بهم ، ففرض في هذه الغزوة هيبة المسلمين ومكّن لها ، ومن قبل ذلك قام بحملة استهدف بها بني لِحيان الذين قتلوا وأسروا أصحابه في حادثة الرجيع .

* وفي شعبان من السنة الرابعة خرج رسول الله ﷺ في جيش قوامه ألف وخمسمائة لملاقاة قريش في الموعد المضروب يوم أحد ، وإلى المكان المتّفق عليه وهو بدر ولكنّ

المشركين جبنوا عن اللقاء ورجعوا بعد أن خرجوا فكان في ذلك نصر أي نصر ، وتعرف هذه الغزوة ببدر الموعد وبدر الثانية وبدر الآخرة وبدر الصغرى .

* ومن أحداث هذه السنة زواجه عليه الصلاة والسلام من زينب بنت خزيمة . وزواجه من أمّ سلمة بنت أبي أميّة .

قال ابن كثير في تاريخه : قال ابنُ جريرٍ : وفي جُمادَى الأُولَى مِن هَذِهِ السَّنَةِ مَاتَ عَبدُ اللهِ بنُ عثمانَ بنِ عفانَ رضي الله عنه ـ يعني من رُقَيَّةَ بنتِ رسولِ اللهِ ﷺ وهو ابنُ ست سنين فصلى عليه رسول الله ﷺ ونزل في حفرته والده عثمانُ بن عفانَ رضي الله عنه .

وقال الواقدي : وفي هذه السنة ـ يعني سنة أربع ـ أمر رسول الله ﷺ زيد بن ثابت أن يتعلم كتاب يهود . قلت : فثبت عنه في الصحيح أنه قال : تعلمته في خمسة عَشَرَ يوماً والله أعلم .

* كانت مأساة الرجيع ، وفاجعة بئر معونة ، وتحرّك بني النضير ، ومن قبل تحرّك بني أسد وبني هذيل ، كل ذلك من آثار ما حدث يوم أحد ، ولقد بادر رسول الله ﷺ مبادرات كثيرة ليضع الأمور في نصابها ، فقضى على تحرّك بني أسد قبل أن يبدأ ، وقضى على تجمّع هذيل فقضى على التحرّك من أساسه ، وأجلى بني النضير ، وهاجم الذين تسبّبوا بحادثة بئر معونة ، وخرج لبدر الآخرة بكامل تعبئته وبكلّ ما استطاع حشده فأعاد الهيبة الداخلية والخارجيّة إلى نصابها ، ولكنّ المشركين لم يقولوا كلمتهم الأخيرة بعد وسيقولونها في السنة الخامسة كما سنرى .

والجديد في هذه السنة أنّ رسول الله ﷺ حاول أن ينشر الدعوة الإسلاميّة من خلال التبليغ دون قتال ، فسبّب ذلك كارثتي الرجيع وبئر معونة ممّا يدلّ على أنّ العرب ما كانوا ليعطوا حريّة للدعوة الإسلاميّة إلّا حيث يسيطر السلاح ، ومع أنّ هاتين المبادرتين كلفتا كثيراً في هذه السنة ، فلقد فتحتا للدعوة الإسلاميّة باباً عريضاً ، وسجلتا سابقة تستفيد منها الدعوة الإسلاميّة على مدى العصور ، كما سنرى ذلك أثناء استعراضنا لمجريات الأمور .

ونحن سنعقد سبعة فصول لأهمّ أحداث هذا العام :

* * *

وقبل أن نبدأ فصول هذا العام نعرض عليك خريطة توزّع القبـائل العربيّـة في جزيرة العرب ننقلها عن الرحيق المختوم لتكون على بصيرة وأنت تقرأ تحركات رسول الله ﷺ .

فصل : في سريّة أبي سلمة لبني أسد

قال ابن القيم في زاد المعاد :

وكانت وقعة أحد يوم السبت في سابع شوال ـ على رأي ابن القيم ـ سنة ثلاث كما تقدم ، فرجع رسول الله ﷺ إلى المدينة فأقام بها بقية شوال وذا القعدة وذا الحجة والمحرم ، فلما استهل هلال المحرم بلغه أن طلحَةَ وسلمَةَ ابني خويلد قد سارا في قومهما ومن أطاعهما يدعوان بني أسد بن خزيمةَ إلى حرب رسول الله ﷺ ، فبعث أبا سلمَةَ وعقد له لواء وبعث معه مائة وخمسين رجُلاً مِنَ الأنْصَار والمهاجرين فأصابوا إبلاً وشَاءً ولم يلقوا كيداً فانحدر أبو سلمَةَ بذلك كله إلى المدينة .

قال الشيخ الغزالي حفظه الله :

« ولم يلقَ أبو سلمة عناء في تشتيت أعدائه واستياق نعمهم أمامه ، حتى عاد إلى المدينة مظفّراً ، وأبو سلمة يُعَدُّ من خيرة القادة الذين صحبوا رسول الله وسبقوا إلى الإيمان والجهاد معه ، وقد عاد من هذه الغزاة مجهوداً ، إذ نفر جرحه الذي أصابه في « أحد » فلم يلْبَث حتى مَاتَ .

وقد ذكر هذه السريّة ابن كثير في البداية والنهاية عن الواقدي الذي يعتبره ابن كثير من أهل التحقيق في باب المغازي والسِّيَر على كلام كثير للمحدّثين فيه .

* * *

فصل : في سريّة عبد الله بن أُنيس لخالد بن سفيان الهذلي

قال ابن القيم في زاد المعاد :

ولما كان خامس المحرم بلغه أن خالد بن سفيان الهذلي قد جمع له الجموع فبعث إليه عبد الله بن أنيس فقتله : قال عبد المؤمن بن خلف وجاءه برأسه فوضعه بين يديه ، فأعطاه عصاً فقالَ : « هذه آيةٌ بيني وبينك يوم القيامة » فلما حضرته الوفاة أوصى أن تجعل معه في أكفانه ، وكانت غيبته ثمان عشرة ليلة ، وقَدِم يوم السبت لسبع بقين من المحرم .

ـ وهذه رواية بطل القصّة :

٤٣١ ـ * روى الطبراني عن محمد بن كعبٍ القرظي قَال : قالَ عبدُ الله بنُ أنيسٍ : قَال رسولُ اللهِ ﷺ : « مَنْ لي مِنْ خَالدِ بنِ نُبيح رَجلٍ من هُذَيْلٍ »وَهُوَ يومَئذٍ بِعُرَنَةَ ، قَال عبدُ اللهِ : قُلْتُ : أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ انْعَتْهُ لِي ؟ قَالَ : « لَوْ رَأَيْتَهُ هِبْتَهُ » قُلْتُ : والذي أَكْرَمَكَ ما هِبْتُ شَيْئاً قَطُّ ، فَخَرَجْتُ حَتَّى لقِيتُهُ بِحِيَالِ عُرَنَةَ قبْل أنْ تغيبَ الشمسُ ، فلقيتُهُ فرَعَبْتُ منهُ ، فعَرَفْتُ حينَ رعِبْتُ مِنْهُ الذي قَالَ رَسولُ اللهِ ﷺ . فقَال : مَنِ الرجُلُ ؟ قُلْتُ بَاغِي حاجَةٍ فَهلْ مِنْ مَبيتٍ ؟ قَالَ : نَعَمْ فالْحَقْ بِي . قَالَ : فَخَرجْتُ فِي أثرِهِ فصَلَّيْتُ العَصْرَ رَكْعَتَيْنِ خفيفَتَيْنِ ، ثمَّ خَرَجْتُ فأشْفَقْتُ أنْ يَرَانِي ، ثُمَّ لحقْتُه فَضربْتُهُ بالسَّيْفِ ، ثمَّ غَشيتُ الجَبَلَ ، وكَمَنْتُ حَتَّى إذَا ذَهَبَ النَّاسُ خَرَجْتُ حَتَّى قَدِمْتُ عَلَى رَسُول اللهِ ﷺ المدِينَةَ فأَخْبَرْتُهُ الخبَرَ . قَالَ محمدُ بنُ كَعبٍ فَأَعْطَاهُ النبيُّ ﷺ مِخْصَرَةً ، فقال : « تَخَصَّر بِهٰذِهِ حَتَّى تَلْقَانِي بِهَا يَوْمَ القِيَامَةِ وأَقَلُّ النَّاسِ يوْمَئِذٍ المُتَخَصِّرُون » قَالَ محمدُ بنُ كَعْبٍ : فَلَمَّا تُوفِّيَ عبدُ اللهِ بنُ أُنَيْسٍ أمَرَ بِهَا فوُضِعَتْ عَلَى بَطْنِهِ وكُفِّن عَلَيْهَا ودُفِنَتْ مَعَهُ .

فوائد :

١ ـ لقد ثأرت هذيل لمقتل صاحبها فأعانت على أصحاب رسول الله ﷺ في حادثة

---

٤٣١ ـ أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ٢٠٤) ، وقال : رواه الطبراني ، ورجاله ثقات .

المخصرة : ما يتوكأ عليها كالعصا ونحوها . تخصّر بالمخصرة : أخذها بيده وأمسكها .

الرجيع ، وكل عمليّة عسكريّة لها عقابيلها والعبرة بالمحصّلة النهائية لأي عمليّة على المستوى المرحلي أو المستقبلي ، لقد كان إجهاض التحرّك العسكري الذي كان يقوده خالد بن سفيان الهذلي أهمّ بكثير من أيّة عمليّة ثأريّة .

٢ ـ في كثير من الأحيان يكون قتل إنسان وَأْداً لفتنة أو إنهاء لحرب أو قضاءً على فكرة ، وكثيراً ما تحيا أمم وشعوب وقبائل برجال ، وأنت في صراعك مع أعدائك قد تخفف الكثير عن أمتك ودعوتك إذا استطعت أن تقضي على رجل ، ورسول الله ﷺ في هذا الشأن لا يُجَارَى مع ملاحظة أنّ ضرباته كلّها كانت عادلة ومع محاربين فهو عليه الصلاة والسلام أبعد الناس عن غدر بمعاهد ، وأبعد الناس عن اعتداء على مواطن غير مدين شرعاً ، فها هو عليه الصلاة والسلام لم يمسّ المنافقين على معرفته بهم وعلى شدّة ما فعلوه به ، كما أنّه لم ينكث عهداً مع أحد ، ولكنّ المحاربين كان له معهم شأن آخر وخاصّة أولئكم الذين بقتلهم يُجْهَضُ تحرّك عسكري ، كما فعل بكعب بن الأشرف وكما فعل بخالد بن سفيان وكما سيفعل بآخرين ممّن سيأتي الحديث عنهم .

٣ ـ ولم يكن خصومه عليه الصلاة والسلام غافلين كذلك عن محاولتهم قتله ولكنّ الله سلّم ، ففي حوادث سنة أربع من الهجرة ذكر ابن كثير في البداية والنهاية أكثر من محاولة اغتيال ، فقد ذكر محاولة دفع إليها أبو سفيان ، وكلف رسول الله ﷺ على أثر اكتشافها عمرو بن أمية الضمري وآخر باغتيال أبي سفيان ولم ينجحا ، كما ذكر ابن كثير محاولة غَوْرَث ابن الحارث اغتياله أثناء قفوله من غزوة نجد التي حاول فيها تأديب من قتلوا أصحابه يوم الرجيع .

٤ ـ وبهذه المناسبة أقول : لقد كان رسول الله ﷺ معصوماً أن يسلّط عليه أحد فيقتله . وهذا مقتضى قوله تعالى : ﴿ **والله يعصمك من الناس** ﴾ [1] ولقد رأينا أنّه قبل نزول هذه الآية كان يجب أن يحرس ، ولذلك فلا عليه ـ عليه الصلاة والسلام ـ ألّا يحتاط كثيراً في أمر نفسه ، ولكن هذا لا يعني أن تتساهل قيادات المسلمين في أمنها فذلك من التفريط الخطير ، كيف والله عز وجل يقول : ﴿ **وخذوا حذركم** ﴾ [2] .

---

(١) المائدة : ٦٧ .

(٢) النساء : ١٠٢ .

فصل : في بعث الرَّجِيع

قال المباركفوري :

وفي شهر صفر من السنة نفسها ـ أي الرابعة من الهجرَةِ ـ قـدِمَ عَلى رَسُولِ الله ﷺ قوم من عَضَلٍ وقَـارَةَ ، وذكروا أن فيهم إسلاماً ، وسألوا أن يبعث معهم من يعلمهم الدين ، ويُقْرِئُهم القرآن ، فبعث معهم ستَّةَ نفر ـ في قول ابن إسحاق وفي رواية البخاري أنهم كانوا عشرةً ـ وأمر عليهم مَرْثَد بن أبي مرثد الغَنَوي ـ في قول ابن إسحاق وعند البخاري أنه عاصم ابن ثابت جد عاصم بن عمر بن الخطاب .

وهذه بعض روايات الحادثة :

٤٣٢ ـ * روى الطبراني عن عاصم بن عمر بن قتادة قَال قدِم على رسول الله ﷺ بعد أُحدٍ نَفَرٌ من عَضَلٍ والقَارَةِ فَقَالُوا : يا رسُولَ اللهِ ، إنَ فِينا إسْلاماً ، فَابعَثْ مَعَنَا نَفراً مِنْ أصْحَابِك ، يُفَقّهونَا في الدِّينِ ، ويُقرئونَا القرآنَ ، ويُعَلّمُونَا شَرائِعَ الإسْلاَمِ ، فَبَعَثَ رَسولُ اللهِ ﷺ نَفَراً مِنْ أَصْحَابِه ستةً مَرْثَدَ بنَ أبي مَرْثَد الغَنَويَّ حليفَ حَمزةَ بن عبدِ المطلبِ ، قَالَ فَذكَرَ القِصَّة ، قَالَ وَأما مَرثَدُ بنُ أبي مرثدٍ وخَالِدُ بنُ البُكَيرِ وعاصمُ بنُ أبي الأَقْلَح ، فَقَالُوا : واللهِ لاَ نَقْبَلُ عَهْداً من مُشْرِكٍ ، ولا عَقْداً أبَدا ، فَقَاتَلُوهُم ، حتى قَتَلُوهُم .

أقول : الذي يظهر من هذه الرواية والتي بعدها أنّ السريّة كانت مكلفة بمهمتين : الأولى : تعليميّة دعويّة ، والثانية : استطلاعيّة عسكريّة .

---

٤٣٢ ـ أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٩٩) ، وقال : رواه الطبراني ، ورجاله ثقات .

والرجيع : بفتح الراء وكسر الجيم هو في الأصل اسم للروث ، سمي بذلك لاستحالته . والمراد هنا اسم موضع من بلاد هذيل كانت الوقعة بقرب منه فسميت به .

أما عَضَل : فبفتح المهملة ثم المعجمة بعدها لام : بطن من بني الْهُول بن خُزَيْمة بن مَدرِكَةَ بن إلياس بن مضَر ينسبون إلى عضل بن الديش بن محكم ، وأما القارة فبالقاف وتخفيف الراء بطن من الهول أيضاً ينسبون إلى الديش المذكور ، وقال ابن دُرَيد : القارة أكمة سوداء فيها حجارة كأنهم نزلوا عندها فسُمُّوا بها ، ويضرب بهم المثل في إصابة الرمي .

وقال الشاعر : قد أنصف القارة من راماها .

٤٣٣ - * روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : بَعَثَ النبيُّ ﷺ سَرِيَّةً عَيْناً ، وأمَّرَ عليهم عاصمَ بن ثابت - وهو جدُّ عاصم بن عمر بن الخطاب - فانطلقوا ، حتى إذا كانوا بين عُسْفَانَ ومكةَ ذُكِرُوا لِحَيٍّ مِنْ هُذيلٍ ، يقال لهم بنو لِحيانَ ، فَتَبِعُوهُمْ بقَرِيبٍ مِنْ مائَةِ رَامٍ ، فاقتصوا آثارَهُم ، حَتَّى أتَوْا مَنْزِلاً نَزَلُوهُ ، فَوَجَدُوا فيه نَوَى تَمْرٍ تَزَوَّدُوهُ مِنَ المدينَةِ ، فَقَالُوا : هذَا تَمْرُ يَثْرِبَ ، فَتَبِعُوا آثارَهُم حَتَّى لَحِقُوهُمْ ، فلما انتهى عَاصِمٌ وأصْحَابُهُ ، لَجَؤُوا إلى فَدْفَد ، وجَاءَ القَوْمُ ، فَأحَاطُوا بهم ، فَقَالوا : لَكُمُ العَهْدُ والمِيثَاقُ : إنْ نَزَلتُم إلينَا أنْ لا نَقْتُلَ منكُم رَجُلاً ، فقَالَ عَاصِم : أمَّا أنَا فَلاَ أنْزِلُ فِي ذمَّةِ كَافِرٍ ، اللهُمَّ أخْبِرْ عَنَّا نبيك ، فَقَاتَلُوهُم ، حَتَّى قَتلوا عَاصِماً فِي سَبْعَةِ نَفَرٍ بالنَّبْلِ ، وبَقِيَ خُبَيْبٌ وزَيْدٌ ، وَرَجُلٌ آخَرُ ، فأعطَوْهُمُ العَهْدَ والمِيثَاقَ ، فَلَمَّا أعْطَوْهُم العَهْدَ والمِيثَاقَ نَزَلُوا إلَيْهِم ، فَلَمَّا اسْتَمْكَنُوا مِنْهُم ، حَلُّوا أوْتَارَ قِسِيِّهم فَرَبَطُوهُم بِهَا ، فقَال الرجُلُ الثَّالِثُ الذي معهما وهَذَا أوَّلُ الغَدْرِ ، فأبَى أن يَصْحَبَهم ، فجرَّرُوهُ وعَالَجُوهُ عَلَى أنْ يصْحَبَهُمْ ، فَلَمْ يَفعلْ ، فقتلوهُ ، وانطلقوا بخُبَيْب وزَيْدٍ ، حَتَّى بَاعُوهُمَا بمَكَّة ، فاشترَى خُبَيْباً بنو الحارثِ ابنِ عَامرِ بنِ نَوْفَلٍ ، وكَانَ خُبَيْبٌ هُوَ قَتَلَ الحَارِثَ يَوْمَ بَدْرٍ ، فَمَكَثَ عِنْدَهُم أسيراً ، حَتَّى إذَا أجْمَعُوا قَتْلَهُ ، اسْتَعَارَ مُوسى مِنْ بَعْضِ بَنَاتِ الحَارِثِ ، لِيَسْتَحِدَّ بها ، فأعارَتْه ، قَالَتْ : فَغَفَلْتُ عَنْ صَبِيٍّ لي ، فَدَرَجَ إليهِ حتَّى أتاهُ ، فوضَعهُ عَلَى فخذهِ ، فَلَمَّا رَأيْتُهُ فَزِعتُ فَزْعَةً عَرَفَ ذَلِكَ مِنِّي ، وفِي يَدهِ الموسى ، فقَالَ : أتَخْشَيْنَ أنْ أقتلَهُ ؟ مَا كُنتُ لأفعَل ذَلِكَ إنْ شَاءَ اللهُ ، وكَانَتْ تَقُولُ : مَا رَأيْتُ أسيراً قَطُّ خَيْراً مِنْ خُبَيْبٍ ، لقد رأيتُهُ يأكُلُ مِنْ قِطْفِ عِنَبٍ وَمَا بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ ثَمَرَةٌ ، وإنَّه لموثَقٌ فِي الحديدِ ، وَمَا كَانَ إلا رِزْقٌ رزَقَهُ اللهُ ، فخرجوا بهِ مِنَ الحَرَم ليَقْتُلُوهُ ، فقَالَ : دَعوني أُصلِّي رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ انْصَرَفَ إلَيْهِم ، فَقَالَ : لَوْلاَ أنْ تَرَوا أنَّ مَا بِي جَزَعٌ مِنَ المَوْتِ لَزِدْتُ ، فَكَانَ أوَّلَ مَنْ سَنَّ الرَّكْعَتَيْنِ عِنْدَ القَتْلِ هو ثم قَالَ : اللهُمَّ أحصِهِمْ عَدَداً .

---

٤٣٣ - البخاري (٧ / ٣٧٨) ٦٤ - كتاب المغازي - ٢٨ - باب غزوة الرجيع ، ورعل وذكوان وبئر معونة .

فَدْفَدْ : الفَدْفَدُ : الموضع الذي فيه غِلَظٌ وارتفاع .

عالجوه : أي : مارسوه ، وأراد به : أنهم خدعوه ليتبعَهُمْ ، فأبى .

ليستحد : الاستحداد : حلق العانة .

قِطْفٌ : القِطْفُ : العُنقود ، وهو اسم لكل ما يُقْطَفُ .

ثُمَّ قال :

مــا إن أبــالي حينَ أُقْتَـلُ مَسْلِماً ... على أيِّ شِــقٍّ كانَ للهِ مَصْرَعِي

وذَلِـكَ في ذَاتِ الإلَـهِ ، وَإِنْ يشَـأْ ... يُبَـارِكْ عَلَى أوصَـالِ شِلْـوٍ مُمَـزَّعِ

ثُمَّ قَامَ إليه عُقبةُ بنُ الحارثِ ، فَقَتَلهُ ، وبعَثتْ قُرَيْشٌ إلى عَاصِم ، ليُؤتَوْا بشَيءٍ مِنْ جَسَدِه يعرفونه ـ وكَانَ عاصم قَتلَ عظيماً مِنْ عُظَمَائِهم يَوْمَ بَدْرٍ ـ فَبَعثَ اللهُ عَلَيْهِ مِثْلَ الظُّلَّةِ مِنَ الدَّبْرِ فحَمَتْهُ مِنْ رُسُلهم ، فَلَمْ يَقْدِرُوا مِنْهُ عَلَى شَيءٍ .

وفي رِوَايةٍ [١] قَالَ : بَعَثَ رَسُول اللهِ ﷺ عَشْرَة رَهْطٍ عَيْناً ، وَأَمَّرَ عَلَيْهم عَاصِمَ بنَ ثَابتٍ الأنصَاريَّ ـ جدَّ عَاصِمِ بنِ عُمَرَ بنِ الخطابِ ، فانْطَلَقُوا حَتَّى إذَا كَانُوا بالهَدْأَة ، بَيْنَ عُسْفَانَ وَمَكَّةَ ... وذكر الحديث .

وفي روايةٍ [٢] : بقَرِيبٍ مِنْ مائَتَي رَجُلٍ ، كلُّهم رَامٍ وفيهِ : لَجَؤوا إلى مَوْضِعٍ ، وفيه فَقَالَ عَاصِمٌ : أيُّها القَوْمُ ، أمَّا أنَا ، وفيه : مِنْهُم خُبيبٌ وزَيْدُ بنُ الدَّثِنَّة ، وفيهِ حَتَّى بَاعُوهُما بمَكَّةَ بَعْدَ وَقْعةِ بَدْرٍ ، فَابْتَاعَ بَنُو الحَارِثِ بنِ عامرِ بن عبدِ منافٍ خُبَيْباً ، وفيْهِ فَلَمَّا أخْرَجُوهُ مِنَ الحَرَم ليقتلوهُ في الحِلِّ ، وفيه قَالَ : اللهُمَّ أحْصِهِم عَدَداً ، واقْتُلْهُم بَدَداً ، وَلاَ تُبْقِ مِنْهم أحَداً .

وقال :

وَلَسْتُ أُبَـالي حينَ أُقْتَـلُ مُسْلِماً ... عَلَى أيِّ جَنْبٍ كَانَ في اللهِ مَصْرَعِي

وذلِـكَ في ذاتِ الإلَـهِ ، وإنْ يشَـأْ ... يُبَـارِكْ عَلَى أوْصَـالِ شِلْـوٍ مُمَـزَّعِ

ثُمَّ قَامَ إلَيْهِ أبُو سَروعةَ ، عُقْبَةُ بنُ الحَارِث فقَتَلَهُ ، وكَانَ خُبَيْبٌ هُوَ سَنَّ لكلِّ مُسْلِمٍ قُتِلَ

---

(١) البخاري (٧ / ٣٠٨) ٦٤ ـ كتاب المغازي ١٠ ـ باب حدثني عبد الله بن محمد الجعفي .

(٢) البخاري في نفس الموضع السابق .

بدَداً : البَددُ : المتفرقون أشتاتاً .

شِلو : الشِّلْوُ : العضو من أعضاء الإنسان .

ممزَّع : الممزَّع : المفرَّق .

=

صَبْرَاً : الصَّلاةَ ، وأَخْبَرَ - يعني النبيَّ ﷺ - أصحابَهُ يَوْمَ أُصِيبُوا خَبَرَهُمْ ، وبَعثَ نَاسٌ مِنْ قُرَيْشٍ إلى عَاصِمِ بنِ ثَابتٍ ، حينَ حُدِّثُوا : أَنَّهُ قُتِلَ - أنْ يُؤتَوْا بِشَيءٍ مِنْه يُعْرَفُ ، وكَانَ قَتَلَ رجُلاً مِنْ عُظَمَائِهِم ، فَبعثَ اللهُ لعَاصِمٍ مِثْلَ الظُّلَّة مِنَ الدَّبْرِ ، فَحَمَتْهُ مِنْ رُسُلِهم ، فلَمْ يقدِرُوا أنْ يَقْطَعُوا مِنهُ شيئاً .

وأخرجه أبو داود [1] إلى قوله : يستحِدُّ بها ، ثُمَّ قَالَ : فَلَمَّا خَرَجُوا بِهِ لِيَقْتُلُوهُ ، قَالَ لَهُم خُبَيْبٌ : دَعُونِي أَرْكَعُ رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ قَالَ : وَاللهِ ، لَوْلاَ أنْ تَحْسَبُوا أنَّ مَا بِي جَزَعٌ لَزِدْتُ .

وأخرجه في موضع آخر قَالَ : ابْتَاعَ بَنُو الحَارِثِ بنِ عَامِرِ بنِ نَوْفَلٍ خُبَيْباً - وكَانَ خُبيبٌ هُو قَتَلَ الحَارِثَ بنَ عامرٍ يَوْم بدرٍ - فلَبثَ خُبَيْبٌ عِنْدهُم أسيراً ، حَتَّى أجْمَعُوا عَلَى قَتْلِهِ ، فاسْتَعَارَ مِنْ بعْضِ بَنَاتِ الحَارِثِ مُوسى يسْتَحِدُّ بهَا ، فأَعَارَتْهُ ... وذكر الحديث ... إلى قَوْلِهِ : مَا كُنْتُ لأَفْعَلَ ذَلِكَ ، قال أبو داود : وروى الزهريُّ هذه القصة ، قال : أخبرني عبيدُ اللهِ بن عياض : أنَّ بنتَ الحارث أخبرتْهُ : أنَّهم حِينَ اجْتَمَعُوا - يَعْنِي لِقَتْلِهِ - اسْتَعَارَ مِنْها مُوسَى ليسْتَحِدَّ بِهَا ، فأعارَتْهُ .

وفي رواية رَزِين زيادة : قَالَ عَاصِمٍ : أَمَّا أَنَا فَلاَ أَنْزِلُ فِي ذِمَّةِ كَافِرٍ ، اللهمَّ أخبِر عَنَّا رَسُولَكَ ، فجَعَلَ يَرْمِيهِم ويَقُولُ :

مَا عِلَّتي وأنَا جَلْدٌ نَابِلُ ... والقَوسُ فِيهَا وَتَرٌ عُنَابِلُ

قال في الفتح :

وذكر ابن إسحاق بإسناد صحيح عن عقبة بن الحارث قال : ما أنا قتلتُ خُبيباً لأني

= صَبراً : قَتْلُ الصبر : هو أن يُقْتَل بأي أنواع القتل كان ، من غير أن يكون في حرب ولا قتال .
الظُّلَّة : الشيء الذي يُظَلِّلُ من فوق .
الدَّبْر : جماعة النَّحْل .

(١) أبو داود (٣ / ٥١) ، كتاب الجهاد ، باب في الرجل يستأسر .
نَابِلٌ : النَّابل : الذي معه النَّبل .
عُنَابِل : العُنابل : الغليظ .

كنت أصغر من ذلك ، ولكن أبا ميسرة العبدري أخذ الحربة فجعلها في يدي ثم أخذ بيدي وبالحربة ثم طعنه بها حتى قتله .

قال في الفتح : قوله : (فاقتصوا آثارهم حتى أتوا منزلاً نزلوه فوجدوا فيه نوى تمر) في رواية أبي معشر في مغازيه فنزلوا بالرجيع سحراً فأكلوا تمر عجوة فسقطت نواة بالأرض ، وكانوا يسيرون الليل ويكنون النهار ، فجاءت امرأة من هذيل ترعى غنماً فرأت النّواة فأنكرت صغرها وقالت : هذا تمر يثرب ، فصاحت في قومها : أُتيتم ، فجاءوا في طلبهم فوجدوهم قد كمنوا في الجبل .

أقول : رواية أبي معشر تدلّ على أنّهم كانوا يحتاطون ألّا يتركوا أثراً بما في ذلك نوى تمرهم الذي يأكلونه ، وهذا يفيد أنّهم كانوا في أعلى درجات الحسّ الأمني ، وعلى كل الأحوال فإنّ أدب المسلم أن يرهف حسّه الأمني دائماً حتّى تكون تصرّفاته على غاية من الحكمة فلا يكون إهماله سبباً في تدمير نفسه أو تدمير جماعة من المسلمين فضلاً عن أن يكون إهماله سبباً في تدمير جماعة المسلمين . وفي قوله في الرواية (وما كان إلّا رزق رزقه الله) عن قطف العنب .

قال في الفتح : والمشهور عن أهل السنة إثبات الكرامات مطلقاً ، لكن استثنى بعض المحققين منهم كأبي القاسم القشيري ما وقع به التحدي لبعض الأنبياء فقال ، ولا يصلون إلى مثل إيجاد ولد من غير أب ونحو ذلك ، وهذا أعدل المذاهب في ذلك ، فإن إجابة الدعوة في الحال وتكثير الطعام والماء والمكاشفة بما يغيب عن العين والأخبار بما سيأتي ونحو ذلك قد كثر جداً حتى صار وقوع ذلك ممن ينسب إلى الصلاح كالعادة ، فانحصر الخارق الآن فيما قاله القشيري ، وتعين تقييد قول من أطلق أن كل معجزة وجدت لنبي يجوز أن تقع كرامة لولي ، ووراء ذلك كله أن الذي استقر عند العامة أن خرق العادة يدل على أن من وقع له ذلك من أولياء الله تعالى ، وهو غلط ممن يقول ، فإن الخارق قد يظهر على يد المبطل من ساحر وكاهن وراهب ، فيحتاج من يستدل بذلك على ولاية أولياء الله تعالى إلى فارق ، وأولى ما ذكروه أن يختبر حال من وقع له ذلك فإن كان متمسكاً بالأوامر الشرعية والنواهي كان ذلك علامة ولايته ومن لا فلا وبالله التوفيق .

وقال في الفتح بمناسبة حماية الله عاصماً بالدَّبْر .

قوله (فلم يقدورا منه على شيء) في رواية شعبة فلم يقدروا أن يقطعوا من لحمه شيئاً ، وفي روايـة أبي الأسـود عن عروة « فبعث الله عليهم الـدبر تطير في وجـوههم وتلـدغهم ، فحالت بينهم وبين أن يقطعوا » وفي رواية ابن إسحاق عن عاصم بن عمر عن قتـادة قـال : كان عاصم بن ثابت أعطى الله عهداً أن لا يمسه مشرك ولا يمس مشركاً أبداً ، فكان عمر يقول لما بلغه خبره : يحفظ الله العبد المؤمن بعد وفاته كما حفظه في حياته .

فوائد :

قال ابن حجر معلقاً على الحديث السابق :

وفي الحـديث أن للأسير أن يمتنع من قبول الأمـان ولا يمكن من نفسـه ولو قتـل ، أنفـة من أنه يجري عليه حكم كافر ، وهذا إذا أراد الأخذ بالشدة ، فإن أراد الأخذ بـالرخصـة فلـه أن يستأمن ، قال الحسن البصري : لا بـأس بـذلـك . وقـال سفيـان الثوري : أكره ذلـك . وفيـه الـوفـاء للمشركين بـالعهـد ، والتـورع عن قتـل أولادهم ، والتلطف بمن أريـد قتلـه ، وإثبات كرامة الأولياء ، والدعاء على المشركين بالتعميم ، والصلاة عنـد القتل ، وفيـه إنشـاء الشعر وإنشاده عند القتل ودلالة على قوة يقين خبيب وشدته في دينه ، وفيـه أن الله يبتلي عبده المسلم بما شاء كما سبق في علمه ليثيبه ، ولو شاء ربـك مـافعلوه . وفيـه استجـابـة دعـاء المسلم وإكرامه حياً وميتاً ، وغير ذلك من الفوائد مما يظهر بالتأمل . وإنما استجـاب الله لـه في حماية لحمه من المشركين ولم يمنعهم من قتله لمـا أراد من إكرامـه بـالشهـادة ، ومن كرامتـه حمايتـه من هتـك حرمتـه بقطع لحمـه . وفيـه مـا كان عليـه مشركو قريش من تعظيم الحَرَم والأشهر الحرم .

وقال الدكتور البوطي معلّقاً على رفض عاصم الأسر واستئسار خبيب :

يستدل مما سبق أن للأسير في يد العدو أن يمتنع من قبول الأمـان ، ولا يمكّن من نفسـه ولو قتل ، ترفعاً عن أن يجري عليه حكم كافر ، كما فعل عاصم .

فـإن أراد الترخص ، فلـه أن يستـأمن ، مترقبـاً الفرصـة مؤملاً الخلاص كما فعـل خبيب وزيد .

ولكن لو قدر الأسير على الهرب لزمه ذلك في الأصح ، وإن أمكنه إظهار دينه بينهم ، لأن الأسير في يد الكفار مقهور مهان ، فكان من الواجب عليه تخليص نفسه من هوان الأسر ورقه .

أقول : إنّ من حق المسلم ألّا يستأسر للسلطة الكافرة سواء كانت كافرة كفراً أصليّاً أو عارضاً إذا كان الطلب بظلم ، بل إنّ من حق المسلم ألّا يستأسر وأن يقاتل إذا كان الطلب من ظالم بظلم ، وهذا الذي فعله الحسين رضي الله عنه وهذا يفتح أمام الحركات الإسلاميّة باباً واسعاً في التعامل مع الأحداث فمن حقّ أبناء هذه الحركة أن يستأسروا إذا طلبوا مظلومين ومن حقّهم أن يقاتلوا حتّى الموت مادام الطالب لا يطلبهم بعدل ومادامت السلطة غير إسلامية .

٤٣٤ - * روى مسلم عن أبي سعيدٍ الخُدْري رَضي اللهُ عنْهُ أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعَثَ بعْثاً إلى بني لَحْيَانَ مِنْ هُذَيْلٍ ، فَقَالَ : « لِيَنْبَعِثْ مِنْ كلِّ رَجلَيْن أحدُهما ، والأَجرُ بَيْنَهُمَا» .

وفي رواية (١) « لِيَخْرُجْ مِنْ كلِّ رَجُلَيْنِ رَجُلٌ» ثُمَّ قَالَ لِلْقَاعِد : « أيُّكم خَلَفَ الخَارِجَ في أهْله ومَالهِ بخَيرٍ ، كانَ لهُ مثلُ نصفِ أجرِ الخارجِ» .

أقول : هذا مظهر من مظاهر الترتيب والتدبير في حياة رسول الله ﷺ وهو القدوة وبمثل هذا أدار الأمور عن أقرب طريق ، وههنا نجد صورتين ، صورة التخيير في الجهاد عندما يكون في الأمر سعة ، وصورة كفالة الخارج في أهله من شخص بعينه ، ومن هنا تعرف أنّ من خرج مجاهداً لا ينبغي أن يضيع ولا أن يُضيِّع أهله .

* * *

---

٤٣٤ - مسلم (٣ / ١٥٠٧) ٣٣ - كتاب الإمارة - ٣٨ - باب إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره ، وخلافته في أهله بخير .

(١) مسلم في نفس الموضع السابق .

وأبو داود (٣ / ١٢) ، كتاب الجهاد ، باب ما يجزئ من الغزو .

فصل : في مأساة بئر مَعُونة

قال المباركفوري :

وفي الشهر نفسه الذي وقعت فيه مأساة الرجيع صفر ٤ هـ ، وقعت مأساة أخرى أشد وأفظع من الأولى ، وهي التي تعرف بوقعة بئر معونة .

وملخصها : أن أبا بَراء عامر بن مالك المدعو بملاعِب الأسنَّة قدم على رسول الله ﷺ المدينة ، فدعاه إلى الإسلام فلم يسلم ولم يبعد ، فقال : يا رسول الله لو بعثت أصحابك إلى أهل نجد يدعونهم إلى دينك ؛ لرجوت أن يجيبوهم ، فقال : إني أخاف عليهم أهل نجد ، فقال أبو براء : أنا جار لهم ، فبعث معه أربعين رجلاً ـ في قول ابن إسحاق ، وفي الصحيح أنهم كانوا سبعين ، والذي في الصحيح هو الصحيح ـ وأمّر عليهم المنذر بن عمرو أحد بني ساعدة الملقب بالمعْنِق ليموت ، وكانوا من خيار المسلمين وفضلائهم وساداتهم وقرائهم ، وكانوا يحتطبون بالنهار ، يشترون به الطعام لأهل الصفَّة ، ويتدارسون القرآن ، ويصلون بالليل ساروا حتى نزلوا بئر معونة ـ وهي أرض بين بني عامر وحَرّة بني سُلَيم ـ فنزلوا هناك ، ثم بعثوا حَرَام بنَ مِلْحان أخا أم سليم بكتاب رسول الله ﷺ إلى عدو الله عامر بن الطفيل ، فلم ينظر فيه ، وأمر رجلاً فطعنه بالحَرْبة من خلفه ، فلما أنفذها فيه ورأى الدم قال حرام : الله أكبر ، فزتُ وربِّ الكعبة .

ثم استنفر عدو الله لفوره بني عامر إلى قتال الباقين ، فلم يجيبوه لأجل جوار أبي بَرَاء ، فاستنفر بني سُلَيم ، فأجابته عُصيَّةُ ورِعْلُ وذَكْوانُ ، فجاءوا حتى أحاطوا بأصحاب رسول الله ﷺ ، فقاتلوا حتى قُتِلوا عن آخرهم إلا كعب بن زيد من بني النجار ، فإنه ارتُثَّ [1] من بين القتلى ، فعاش حتى قتل يوم الخندق .

وكان عمرو بن أمية الضَّمْري والمنذر بن عقبة بن عامر في سرح المسلمين فرأيا الطير تحوم على موضع الوقعة ، فنزل المنذر ، فقاتل المشركين حتى قُتِلَ مع أصحابه ، وأُسِرَ عَمْرو بن أميَّةَ الضمري ، فلما أخبر أنه من مضر جَزَّ عامر ناصيته ، وأعتقه عن رقبة كانت على أمه .

---

(١) (ارْتُثَّ) فلانٌ : ضرب في الحرب فأُثخن وحُملَ به رمق .

ورجع عمرو بن أمية الضمري إلى النبي ﷺ حاملاً معه أنباء المصاب الفادح ، مصرع سبعين من أفاضل المسلمين . تذكر نكبتهم الكبيرة بنكبة أحد ؛ إلا أن هؤلاء ذهبوا في قتال واضح؛ وأولئك ذهبوا في غدرة شائنة .

ولما كان عمرو بن أمية في الطريق بالقرقرة من صدر قناة ، نزل في ظل شجرة وجاء رجلان من بني كِلاّب فنزلا معه ، فلما ناما فتك بهما عمرو ، وهو يرى أنه قد أصاب ثأر أصحابه ، وإذا معهما عهد من رسول الله ﷺ لم يشعر به ، فلما قدم أخبر رسول الله ﷺ بما فعل ، فقال : لقد قتلت قتيلين لأَدِيَنَّهُما وانشغل بجمع دياتهم من المسلمين وحلفائهم اليهود وهذا الذي صار سبباً لغزو بني النضير كما سيذكر .

وقد تألم النبي ﷺ لأجل هذه المأساة ، ولأجل مأساة الرجيع اللتين وقعتا خلال أيام معدودة تألماً شديداً وتغلب عليه الحزن والقلق حتى دعا على هؤلاء الأقوام والقبائل التي قامت بالغدر والفتك في أصحابه .

قال في الفتح بمناسبة الكلام عن بئر معونة :

(ورِعْلٌ وذكوان) أي وغزوة رعل وذكوان ، فأما رعل فبكسر الراء وسكون المهملة بطن من بني سليم ينسبون إلى رعل بن عوف بن مالك بن امرئ القيس بن لهيعة بن سُلَيم ، وأما ذكوان فبطن من بني سُلَيم أيضاً ينسبون إلى ذكوان بن ثعلبة بن بهثة بن سليم فنسبت الغزوة إليهما .

٤٣٥ - * روى البخاريُّ عن أنسِ بن مالكٍ : إنما قَنَتَ رسولُ الله ﷺ بعدَ الركوعِ شهراً أنه كان بعثَ ناساً يقالُ لهم القُرَّاء - وهم سبعونَ رجلاً - إلى ناسٍ من المشركينَ وبينَهم وبينَ رسولِ الله ﷺ عهدٌ قِبَلَهم ، فظَهَرَ ، هؤلاء الذين كان بينهم وبين رسول الله ﷺ عَهْدٌ ، فَقَنَتَ رسولُ الله ﷺ بعدَ الركوعِ شهراً يدعُو عليهم » .

قال في الفتح : قوله (إلى ناس من المشركين وبينهم وبين رسول الله ﷺ عهد قبلهم .

---

٤٣٥ - البخاري (٢ / ٤٩٠) ١٤ - كتاب الوتر - ٧ - باب القنوت قبل الركوع وبعده .

فظهر هؤلاء الذين كان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد) وهكذا ساقه هنا ، وقوله قبلهم بكسر القاف وفتح الموحدة واللام أي من جهتهم ، وأورده في آخر كتاب الوتر عن مسدد عن عبد الواحد بلفظ « إلى قوم من المشركين دون أولئك وكان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد » وليس المراد من ذلك أيضاً بواضح ، وقد ساقه الإسماعيلي مبيناً فأورده يوسف القاضي عن مسدد شيخ البخاري فيه ولفظه « إلى قوم من المشركين فقتلهم قوم مشركون دون أولئك وكان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد ، فظهر أن الذين كان بينهم وبين رسول الله ﷺ العهد غير الذين قتلوا المسلمين ، وقد بين ابن إسحاق في المغازي عن مشايخه وكذلك موسى بن عقبة عن ابن شهاب أصحاب العهد بنو عامر ورأسهم أبو براء عامر بن مالك بن جعفر المعروف بملاعب الأسنة وأن الطائفة الأخرى من بني سُليم ، وأن عامر بن الطفيل وهو ابن أخي ملاعب الأسنة أراد الغدر بأصحاب النبي ﷺ فدعا بني عامر إلى قتالهم ، فامتنعوا وقالوا : لا نخفر ذمة أبي براء ، فاستصرخ عليهم عصية وذكوان من بني سليم فأطاعوه وقتلوهم ، وذكر لحسان شعراً يعيب فيه أبا براء ويحرضه على قتال عامر بن الطفيل فيما صنع فيه ، فعمد ربيعة بن أبي براء إلى عامر بن الطفيل فطعنه فأرداه ، فقال له عامر بن الطفيل : إن عشت نظرت في أمري ، وإن مت فدمي لعمي ، قالوا ؛ ومات أبو براء عقب ذلك أسفاً على ما صنع به عامر بن الطفيل ، وعاش عامر بن الطفيل بعد ذلك ومات بدعاء النبي ﷺ .

أقول : نلاحظ أن التعاقدات والتحالفات والمعاهدات كانت جزءاً لا يتجزأ من سياسة الرسول ﷺ وحركته الدائبة ، وقد حققت له مصالح وكانت أحياناً سبباً في مآس ، والمسلم مكلف أن يجتهد في الموقع الذي هو فيه وليس عليه أن يعرف الغيب . والحذر والاحتياط مطلوبان .

٤٣٦ ـ * روى الطبراني عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك وغيره أنَّ عامرَ بنَ مَالِك الذي يُدعَى مُلاعِبَ الأَسِنَّةِ قَدِمَ على رسولِ الله ﷺ وَهُوَ مُشْرِكٌ فَعَرَضَ علَيهِ رَسولُ اللهِ ﷺ الإسلامَ ، وَقَالَ رَسولُ اللهِ ﷺ « إني لا أَقْبَلُ هَدِيَّةَ مُشْرِك » فقالَ عَامِرُ بنُ

٤٣٦ ـ المعجم الكبير (١٦ / ٧١) وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٢٧) ، وقال : رواه الطبراني ، ورجاله رجال الصحيح .

=

مَالكٍ : ابعَثْ يا رَسولَ الله مِنْ رُسلِكَ مَنْ شِئْتَ ، فَأنا لَهُمْ جار ، فَبَعثَ رَسولُ اللهِ ﷺ رَهْطاً فِيهِم المُنْذِرُ بنُ عَمْرٍو السَّاعِدِي وَهُوَ الذي يُقال له : أَعْتَقَ ليَموتَ عَيْناً في أهلِ نَجْدٍ فَسَمِعَ بِهِم عَامِرُ بنُ الطُّفيل فَاسْتَنْفَر لَهُم مِنْ بَنِي سُلَيْم فَنَفَروا مَعَهُ فَقَتَلَهُمْ ببئرِ مَعونَةَ غيرَ عمرو بن أميَّةَ الضَّمْري أخَذَهُ عامرُ بنُ الطُّفَيْلِ فَأَرْسَلَهُ ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَى رسُول اللهِ ﷺ مِنْ بَيْنِهم ، وَكَانَ فِيهم عَامِرُ بنُ فُهَيْرَة ، فَزَعَمَ لي عُرْوَةُ أنهُ قُتِلَ يَوْمَئِذٍ فَلَم يُوجَد جَسَدُه حِينَ دَفَنُوهِ يَقُولُ عُروة : كَانُوا يَرَوْن المَلائِكَةَ هِيَ دَفَنَتْه فَقَال حسانُ يُحرض بعامر بن الطُّفيل :

بني أمّ البنين ألَمْ يَرُعْكُم ... وَأَنْتُم مِنْ ذَوَائِب أهلِ نجدِ
تَهَكُّمُ عامرٍ بأبي بَراءٍ ... لِيَخْفِرَهُ وَما خَطَأً كَعمدِ

فَطَعَن ربيعةُ بن عامرِ بن ربيعةَ بنِ مالكٍ عامرَ بنَ الطفيلِ في فَخِذِهِ طَعْنَةً فقَدَّهُ .

٤٣٧ ـ * روى الطبراني عن محمد بن إسحاق قَالَ : أَقَامَ رسُولُ اللهِ ﷺ بَعْدَ أُحُدٍ بَقِيَّةَ شوَّالٍ وَذَا القِعْدَةِ وذا الحِجَّةِ ، وَوَلَى تِلْكَ الحجَّةَ والمُحَرَّم ، ثمَّ بَعَثَ أَصْحَابَ بِئرِ مَعُونَةَ في صفر عَلى رأس أَرْبَعَةِ أشهرٍ مِنْ أُحُدٍ ، فَكَانَ مِنْ حَديثِهم ، كما حَدَّثني إسحاقُ عَنِ المغيرة بنِ عبدِ الرَّحمن بن الحارث بنِ هشامٍ وعبد الله بن أبي بَكْرِ بن مُحمَّدِ بن عمرو بن حَزْمٍ وغيره من أهْلِ العِلْمِ قَالوا : قَدِمَ أبو بَراءٍ عامرُ بنُ مَالِكِ بنِ جعفرٍ مُلاعِبُ الأَسِنَّةِ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ فعرض عليه رسول الله ﷺ الإسلام ودعاه إليه فَلَم يُسْلِم ، وَلَمْ يَبْعُدْ مِنَ الإسْلاَم ، وَقَال : يا مُحمَّدُ لو بَعَثْتَ رجالاً مِنْ أَصْحَابِكَ فَدَعوهم إلى أَمْرِكَ ، رَجَوْتُ أَنْ يستَجِيبُوا

= جار : أي : حامٍ .
رهطاً : الرهط : قوم الرجل وقبيلته . والرهط : ثلاثة أو سبعة أو عشرة أو مادون العشرة .
عينا : العين : الجاسوس .
ذوائب : (الذؤابة) من كل شيء أعلاه .
ليخفره : خفره : نقض عهده ، وغدره .
يرعكم : يعز عليكم .
قدّ : أي شقه طولاً ، قدّ اللحم : قطعه طولاً .

٤٣٧ ـ أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٢٨) ، وقال : رواه الطبراني ، ورجاله ثقات إلى ابن إسحاق وقد صرّح بالسماع ، والحديث مرسل .
=

لَـكَ ، فَقـال رَسُولُ اللهِ ﷺ : « إِنِّي أَخشىَ عَلَيْهِم أَهْلَ نَجْـدٍ » فَقَـالَ أبو بَراء : أَنا لَهُم جَار ، فَابْعَثْهُمْ ، فَلْيَدْعُوا النَّاسَ إِلَى أَمْرِكَ ، فَبَعَثَ رَسولُ اللهِ ﷺ المُنْـذِرَ بنَ عمروٍ أخـا بني سَاعِدَة بنِ الخَزْرَجِ المعتَّقَ لِيَمُوتَ في أَرْبَعين رَجُلاً من المسْلمينَ مِنْ خِيارِهم ، مِنْهُم الحرثُ بنُ الصِّمَّة ، وحرامُ بنُ مِلحانَ أخو بني عَـدي بن النَّجـار ، وَعُروَةُ بنُ أسماءَ بنِ الصَّلْتِ السُّلَمِي ، وَنَـافِعُ بنُ بُـديـلِ بن وَرْقَـاءَ الخُـزاعِي ، وعَـامِرُ بنُ فُهيْرَةَ ـ مَـوْلَى أبي بَكْرٍ ـ ورجَـالا مُسَمَّين مِنْ خِيَـارِ المسْلمين ، فَسَـارُوا حَتَّى نَزَلُوا بِئرِ مَعُونَـةَ ، وَهيَ بين أرضِ بني عَـامِرٍ ، وَحَرةِ بني سُلَيم ، كِلاَ البَلَـدَيْن مِنْهـا قَرِيبٌ ، وهيَ مِنْ بَني سُلَيْم أَقْرَبُ ، فَلَمـا نَزَلُوهـا بَعَثُـوا حَرَامَ بَن مِلحَانَ بكِتَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إلى عَامِرِ بن الطُّفَيل ، فَلَمَا أَتاه ، لَمْ يَنْظُر فِي كِتَـابـه حَتَّى عدا عَلَى الرَّجُلِ فَقَتَلَهُ ، ثُمَّ اسْتَصرَخَ بني عَامِرٍ ، فَـأَبَوا أَنْ يُجيبُوه إلى مَـادَعـاهُم وَقَـالُوا : لَنْ نُخْفِرَ أَبـا بَراء ، وقَـدْ عَقَـدَ لَهُم عَقْـداً وجِوَاراً ، فـاسْتَصْرَخَ عَلَيهم قبـائِلَ من بَني سُلَيم عُصَيَّـةَ ورِعْلٍ وذَكْوَانَ ، فَأَجَابُوه إلى ذَلِكَ ، فَخَرَجُوا حَتى غَشُوا القومَ ، فَـأَحَـاطُوا بِهِم في رِحَـالِهِم ، فَلَمَّا رَأَوْهَم أَخَذُوا أَسْيَافَهُم ، فَقَاتَلُوا حَتى قُتِلُوا عَنْ آخِرِهِم إلّا كعبَ بنَ زيدٍ أخـا بني دينـار ابنِ النَّجارِ ، فَـإِنَّهُم تَرَكُـوهُ وَبِـهِ رمـقٌ ، فَـارْتُثَّ مِنْ بَيْنِ القَتْلَى ، فَعَـاشَ حَتَّى قُتِـلَ يَـومَ الخَنْـدَقِ ، وَكَـانَ فِي السَّرْحِ عَمْرو بنُ أُميـةَ الضَّمري ، ورجلٌ من الأَنْصَـارِ أخو بني عمروِ بنِ عَوْفٍ ، فَلَم يُنَبِّئْهُمَا بِمُصَـابِ إِخـوانِهِمـا إلا الطيرُ تَحـومُ على العُسْكَر ، فَقَـالا : واللهِ إنَّ لِهَـذا الطيرِ لِشَأْنا فَأَقبَلا لِيَنْظرا ، فَإِذا القَوْمُ في دِمَـائِهِم ، وإذا الخَيْلُ التي أَصَـابَتْهُم واقِفـة ، فَقَـالَ الأَنْصارِي : لِعمرو بنِ أُميةَ : مَا تَرى قَال : أَرَى أَنْ نلْحق بِرَسُولِ اللهِ ﷺ ، فنُخْبِرهُ الخبر ، فَقَالَ الأَنصاري : لَكِنِّي مَا كُنتُ لأَرْغَبَ بِنَفْسِي عَنْ مَوْطِنٍ قُتِلَ فِيـهِ المُنْـذِرُ بنُ عمروٍ ، وَمَـا كُنْتُ لتخبرني عَنـهُ الرجَـالُ ، فَقَـاتَلَ القَـوم حتى قُتِـل ، وَأَخَـذُوا عمرو بنَ أُميـةَ أسيراً ، فَلَمَا أَخْبَرهُم أَنَه مِنْ مُضَرَ ، أَطْلَقَهُ عامِرُ بنُ الطفيل ، وَجَزَّ نَاصِيَتَهُ وأَعْتَقَـهُ عَنْ رقَبَـةٍ ، زَعَمَ أَنَّهـا كانت على أُمِّه ، فَخَرَجَ عمروُ بنُ أُميـةَ حَتى إذا كان بـالقَرْقَرَة مِنْ صَـدْرِ قنـاةٍ ، أَتـاهُ رَجُلانِ

=

ارتثَّ : الارتثاث : أن يحمل الجريح من المعركة وهو ضعيف قد أثخنته الجراح .

لأرغب : رغب عن الشيء : تركه متعمداً ، وزهد فيه .

ما كُنْتُ لتخبرني عنه الرجال : لاأرضى العيش بعده .

جَزَّ : جز الشعر : قطعه .

ناصيته : الناصية : شعر مقدّم الرأس إذا طال .

=

منْ بني عامرٍ نَزَلا في ظِلّ هُوَ فيهِ ، وَكَانَ للعامِريَّيْنِ عقْد منْ رَسول اللهِ ﷺ وجوارٌ ، لم يعْلَمْ بِهِ عمروُ بنُ أمية ، وقَدْ سَألَهُما حين نَزَلا ، ممَّنْ أنتُما ؟ قالا : منْ بَني عَامرٍ فأمْهَلَهُما ، حَتى نَاما فغدا عَلَيْهما فقَتلهُما ، وَهُو يَرَى أنّه قَدْ أَصَابَ بهمَا ثأرَةً من بني عامر ، لِمَا أصَابُوا منْ أصْحَابِ رَسول الله ﷺ ، فلما قَدمَ عمروُ بنُ أميَّةَ عَلَى رَسولِ اللهِ ﷺ أخْبَرَهُ الخبَرَ ، فَقَالَ رسُولُ اللهِ ﷺ : « لَقَدْ قَتَلتَ قَتيليْن لأَدِيَنَّهُمَا » ثمَّ قَالَ رسُولُ اللهِ ﷺ : « هَذا عَمَل أَبِي بَرَاءَ قَدْ كُنْتُ لِهَذا كَارِهاً مُتَخوفاً » فَبَلَغَ ذَلِكَ أبا بَراء فَشَق عَلَيْه إخْفَارُ عامرٍ إياهُ ، وَمَا أُصيبَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بسَببه وَجوَارِه فَقَالَ حَسَّانُ بنُ ثَابت ، يُحَرِّضُ ابنَ أبي بَراء على عامرِ بن الطُّفَيْل :

بني أمِّ البَنينِ ألمْ يَرُعْكُم   وَأنتُمْ من ذَوَائبِ أهْلِ نَجدِ
تهكّمُ عامرٍ بأبي بَرَاءٍ   ليُخفره وَمَا خَطأ كعَمدِ
ألاَ أبْلغْ رَبيعَةَ ذَا المسَاعي   بمَا أحدثْتَ في الحدثَانِ بعدي
أبوك أبو الحُرُوبِ أبو براء   وَخَالُك مَاجدٌ حَكم بنُ سَعْدِ

فَحَمَل رَبيعةُ بنُ عَامر على عامرِ بنِ الطُّفيل ، فَطَعَنَهُ بالرُّمْح ، فَوقع في فَخِذه ، فَأشْواهُ وَوَقَع عَنْ فَرَسه ، فقال : هَذا عَمَل أبي بَراء ، فَإنْ أمُتْ فَدَمي لعَمي ، لا يُتْبَعُ به ، وإنْ أعِشْ فسأرَى رَأْيِي فيما أتَى إليَّ .

٤٣٨ - * روى البخاري عن أنس قال : بعث النبي ﷺ أقواماً من بني سليم إلى بني عامر في سبْعِين ، فَلَمَّا قَدِمُوا قَالَ لَهُم خَالِي : أتَقَدَّمكم ، فإنْ آمَنُوني حَتَّى أُبَلِّغَهُم عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وإلا كُنْتُم مِنّي قَريباً ، فتقدم ، فآمَنُوهُ ، فَبيْنَما يُحدِّثُهُم عَنْ رسُولِ اللهِ ﷺ ، إذْ أَوْمَؤُوا إلى رَجُلٍ مِنْهُم ، فَطَعَنهُ فأَنْفَذَهُ ، فَقَالَ : اللهُ أكْبَرُ ، فُزْتُ وَرَبِّ الكَعْبَةِ ، ثُمَّ مَالُوا

= لأدينهما : سأدفع ديتهما .

الحدثان : حَدَثانُ الدهر : نوائبه وحوادثه .

أشوى : يقال : رمى فأشوى ، إذا لم يصب المقتل .

٤٣٨ - البخاري (٦ / ١٨) ٥٦ - كتاب الجهاد - ٩ - باب مَنْ يُنكب في سبيل الله .

آمنوني : أعطوني أمناً .

أومؤوا : أشاروا .

فُزتُ : المراد بالفوز حصوله على الشهادة .

=

عَلَى بِقِيَّةِ أَصْحَابِهِ ، فَقَتَلُوهُم ، إلا رَجُلاً أَعْرَجَ صَعَد الجَبَلَ . قَالَ هَمَّامٌ : وَأُرَاهُ آخَرَ مَعَهُ ، فَأَخْبَر جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلامُ النبيَّ ﷺ أَنَّهم قَدْ لَقُوا ربَّهُم ، فَرَضِيَ عَنْهُم وَأَرْضَاهُم ؛ فَكُنَّا نَقْرَأُ : « أَنْ بَلِّغوا قَوْمَنَا أَنَّا قَدْ لَقِينَا رَبَّنَا ، فَرَضِيَ عَنَّا وأَرْضَانَا » ثُمَّ نُسِخَ بَعْدُ ، فدعَا عَلَيْهِم أَرْبَعِينَ صَبَاحاً عَلَى رِعْلٍ وذَكْوانَ وبني لِحْيانَ وبَنِي عُصَيَّةَ الذينَ عَصَوا اللهَ ورَسُولَهُ .

وفي رواية [١] « أَنَّ رِعْلاً وَذَكْوانَ وبَنِي لِحْيَانَ اسْتَمَدُّوا رَسُولَ الله ﷺ عَلى عَدُو فأَمَدَّهم بسَبعينَ مِنَ الأَنْصَارِ كُنَّا نُسَمِّيهم : القُرَّاءَ في زَمَانِهم ، كَانُوا يَحْتَطِبُونَ بِالنَّهَارِ ، وَيُصَلُّونَ بِاللَّيلِ ، حَتَّى كَانُوا بِبِئْرِ مَعُونَةَ قَتَلُوهُم ، وغَدَرُوا بِهِم ، فَبَلَغَ النبيَّ ﷺ ، فَقَنَتَ شَهْراً يَدعُو في الصبْحِ عَلَى أَحْيَاءٍ مِنَ أحياء العَرب ، عَلى رِعْلٍ وذَكْوانَ وعُصيَّةَ وبَنِي لِحيانَ ، قَالَ أنسٌ : فَقَرَأْنا فيهم قُرْآناً ، ثم إنَّ ذٰلِك رُفِعَ : بَلِّغُوا عَنَّا قَوْمَنا .. وذَكره » .

وللبخاري ومسلم في رواية [٢] قال : دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ على الذِينَ قَتَلُوا أَصْحَابَ بِئْرِ مَعُونَة : ثَلاثِينَ صَبَاحاً ، يَدْعُو عَلَى رِعْل وذكوانَ ولِحيانَ وعُصَيَّةَ ، عَصَتِ اللهَ ورسولَهُ . قَالَ أَنس : أَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لنَبيهِ في الذِينَ قُتِلُوا بِبِئْرِ مَعُونَة قُرْآناً قَرَأْنَاهُ ، حَتَّى نُسِخَ بَعْدُ : أَنْ بَلِّغُوا قَوْمَنَا أَنْ قَدْ لَقِينَا رَبَّنَا ، فَرضِيَ عَنَّا ، ورَضِينَا عَنْهُ .

وللبخاري [٣] عَنْ أَنَسٍ قَالَ : لَمَّا طُعِنَ حَرَامُ بنُ مِلْحَانَ ـ وكَانَ خَالَهُ ـ يَوْمَ بِئْرِ مَعُونَةَ ، قال بالدَّمِ هٰكَذا ، فنضحَه على وَجهه ورأسِهِ ، ثُمَّ قَالَ : فُزتُ وربِّ الكعبة .

ولمسلم [٤] قَالَ : جَاءَ نَاسٌ إلى النبيِّ ﷺ ، فَقَالُوا : ابْعَثْ مَعَنَا رِجَالاً يعلِّمُونا القُرْآنَ والسُّنَّةَ ، فَبَعثَ إِلَيْهِم سبعينَ رَجُلاً من الأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُم : القُرَّاءُ ، فِيهِم خَالِي حَرَامٌ ، يَقْرَؤون القُرْآنَ ، ويَتَدارَسُونَ بالليْلِ يَتَعَلَّمُونَ ، وكَانُوا بالنَّهَارِ يَجيئُونَ بالماء فيَضَعُونه في

(١) البخاري(٧ / ٣٨٥) ٦٤ ـ كتاب المغازي ـ ٢٨ ـ باب غزوة الرجيع ، ورعل وذكوان ، وبئر معونة وحديث عضل والقارة وعاصم بن ثابت وخبيب وأصحابه .

(٢) البخاري (٧ / ٣٨٩) ٦٤ ـ كتاب المغازي ـ ٢٨ ـ باب غزوة الرجيع ورعل وذكوان .

ومسلم واللفظ له (١ / ٤٦٨) ٥ ـ كتاب المساجد ومواضع الصلاة ـ ٥٤ ـ باب استحباب القنوت في جميع الصلاة ، إذا نزلت بالمسلمين نازلة .

(٣) البخاري في الموضع السابق (٧ / ٣٨٦) .

طُعِنَ : طَعن الرجل : إذا رُمي بالطَّاعون .

(٤) مسلم (٣ / ١٥١١) ٣٣ ـ كتاب الإمارة ـ ٤١ ـ باب ثبوت الجنة للشهيد .

المَسْجِدِ ، ويَحْتَطِبُونَ فَيَبِيعُونَهُ ، وَيَشْتَرُونَ بِهِ الطَّعَامَ لأَهْلِ الصُّفَّةِ وللفُقَرَاء ، فَبَعَثَهُم النَّبيُّ ﷺ إِلَيْهِم ، فعَرَضُوا لَهُم ، فقَتَلُوهُم قبْلَ أَنْ يَبْلُغوا المَكَانَ ، فَقالُوا : اللهُمَّ أبلغْ عَنَّا نَبيَّنا : أَنَّا قَدْ لَقِيناكَ ، فَرَضِينَا عَنكَ ، ورَضِيتَ عَنَّا ، قَالَ : وَأَتَى رَجُل حَراماً ـ خالَ أَنَسٍ ـ مِنْ خَلْفِهِ ، فطَعَنَهُ برُمْحٍ حَتَّى أَنْفَذَهُ ، فَقَال حَرَامٌ : فُزْتُ وَرَبِّ الكَعْبَةِ ، فَقَالَ رسُولُ الله ﷺ لأَصْحَابِهِ : « إِنَّ إِخْوَانَكُم قَدْ قُتِلُوا ، وَإِنَّهُم قَالُوا : اللهُمَّ بَلِّغْ عَنَّا نبيَّنَا : أَنَّا قَدْ لَقِينَاكَ ، فَرَضِينا عنكَ ، ورَضِيتَ عنَّا » .

وفي رِوَايةٍ للبُخَاري [١] أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ بَعَثَ خَالَهُ ـ أَخاً لأمِّ سُلَيْمٍ ـ في سبْعِينَ رَاكِباً ، وكَانَ رَئِيسُ المشركِينَ عامرُ بنُ الطُّفَيل خَيَّر بَيْنَ ثَلاَثِ خِصَالٍ ، فَقالَ : يَكُونَ لَكَ أَهْلُ السَّهْل ، وَلِي أَهْلُ المَدَرِ ، أَوْ أَكُونَ خَلِيفَتَك ، أَوْ أَغْزُوكَ بِأَهْلِ غَطَفَانَ بِأَلْفٍ وألفٍ ، فَطُعِنَ عَامِرٌ في بَيْتِ أمِّ فُلاَنٍ ، فَقَالَ : غُدَّةٌ كَغُدَّة البَكر ، في بَيْتِ امْرَأَة مِنْ آل فُلاَنٍ ، ائْتُوني بفَرَسِي ، فَمَاتَ عَلى ظَهْرِ فَرَسِهِ ، فانطَلَقَ حَرَامٌ أَخُو أُمِّ سُلَيْمٍ ـ وَهُوَ رَجُلٌ أَعْرَجُ ـ ورَجُلٌ مِنْ بَنِي فُلاَنٍ ، قَالَ : كُونا قريباً حَتَّى آتِيَهُم ، فَإِنْ آمَنُونِي كُنْتم قريباً ، وَإِنْ قَتَلُونِي أَتَيْتُم أَصْحَابَكُم ، فَقَالَ : أَتؤمِنُونِي أُبَلِّغْ رِسَالَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وذكر الحديث مثل الأولى » .

أقول : وما أشار إليه أنس من آيات تُتلى ثم نُسخت نموذج على منسوخ التلاوة من القرآن ، وهو أحد أنواع النَّسْخ الحاصل .

ولابن حجر بعض تفصيلات وتصويبات في الفتح بمناسبة الحديث قال :

قوله (في بيت امرأة من آل بني فلان) بينها الطبراني من حديث سهل بن سعد فقال « امرأة من آل سَلول » وبين فيه قدوم عامر بن الطفيل على النبي ﷺ وأنه قال فيه « لأغزونك بألف أشقر [٢] وألف شقراء » [٣] وأن النبي ﷺ أرسل أصحاب بئر معونة بعد

---

(١) البخاري (٧ / ٣٨٦) ٦٤ ـ كتاب المغازي ـ ٢٨ ـ باب غزوة الرجيع ورعل وذكوان .

أهل السهل : أراد بأهل السهل : أهل البادية ، فإنه جعل في مقابلها أهل المدر ، وأهل المدر : هم أهل المدن والقرى .

غُدّة : صار ذاغدة فهو مغدود جمع غداد ، والغُدد : طاعون الإبل .

(٢) أشقر : المراد الحصان .

(٣) شقراء : المراد بها الفرس .

أن رجع عامر ، وأنه غدر بهم وأخفر ذمة عمه أبي براء وأن النبي ﷺ دعا عليه فقال : « اللهم اكفني عامراً » قال فجاء إلى بيت امرأة من بني سلول . قلت : سَلول امرأة ، وهي بنت ذهل بن شيبان ، وزوجها مرة بن صعصعة أخو عامر بن صعصعة فنسب بنوه إليها قوله (فانطلق حرام أخو أم سليم وهو رجل أعرج) كذا هنا على أنها صفة حرام ، وليس كذلك بل الأعرج غيره ، وقد وقع في رواية عثمان بن سعيد فانطلق حرام ورجلان معه رجل أعرج ورجل من بني فلان ، فالذي يظهر أن الواو في قوله « وهو » قدمت سهوا من الكاتب ، والصواب تأخيرها ، وصواب الكلام : فانطلق حرام هو ورجل أعرج ، فأما الأعرج فاسمه كعب بن زيد ، وهو من بني دينار بن النجار ، وأما الآخر فاسمه المنذر بن محمد بن عُقْبة بن أُحَيْحَة بن الجُلَاح الخزرجي سماهما ابن هشام في زيادات السيرة . ووقع في بعض النسخ « وهو رجل أعرج » وهو الصواب ا هـ ابن حجر .

قال في الفتح بمناسبة ذكر بني لِحيان في بعض الروايات : لِحيان بكسر اللام وفتحها وهذا يوهم أن بني لحيان ممن أصاب القراء يوم بئر معونة وليس كذلك : وإنما أصاب هؤلاء القراء رعل وذكوان وعصية ومن صحبهم من سليم ، وأما بنو لحيان فهم الذين أصابوا بعث الرجيع ، وإنما أتى الخبر إلى رسول الله ﷺ عنهم كلهم في وقت واحد فدعا على الذين أصابوا أصحابه في الموضعين دعاء واحداً والله أعلم ، قاله القسطلاني في المواهب . ا هـ .

وقال في الفتح : قوله : (بعث النبي ﷺ سبعين رجلاً لحاجة) فسر قتادة الحاجة بقوله « إن رِعلا وغيرهم استمدوا رسول الله ﷺ على عدو فأمدهم بسبعين من الأنصار » وقد تقدم في الجهاد من وجه آخر عن سعيد عن قتادة بلفظ « أن النبي ﷺ أتاه رعل وذكوان وعصية وبنو لحيان فزعموا أنهم أسلموا واستمدوا على قومهم ، وفي هذا رد على من قال رواية قتادة وهم ، وأنهم لم يستمدوا رسول الله ﷺ وإنما الذي استمدهم عامر بن الطفيل على أصحاب رسول الله ﷺ انتهى . ولا مانع أن يستمدوا رسول الله ﷺ في الظاهر ويكون قصدهم الغدر بهم ، ويحتمل أن يكون الذين استمدوا غير الذين استمدهم عامر بن الطفيل وإن كان الكل من بني سليم ، وفي رواية عاصم آخر الباب عن أنس « أن النبي ﷺ بعث أقواماً إلى ناس من المشركين بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد ، ويحتمل أنه لم يكن استمدادهم لهم

لقتال عدو ، وإنما هو للدعاء إلى الإسلام . وقد أوضح ذلك ابن إسحاق قال : حدثني أبي عن المغيرة بن عبد الرحمن وغيره قال : قدم أبو براء عامر بن مالك المعروف بملاعب الأسنة على رسول الله ﷺ فعرض عليه الإسلام فلم يسلم ولم يبعد وقال : يا محمد ، لو بعثت رجالاً من أصحابك إلى أهل نجد رجوت أن يستجيبوا لك وأنا جار لهم ١٠ هـ .

أقول : وقد ابتلى الله عز وجل عامر بن الطفيل بما يشبه السرطان أو الجدري ومات في بيت امرأة من بني سلول وهي قبيلة مزدراة فكان ذلك أبلغ في الإهانة ، وقد كان تهدد رسول الله ﷺ أن يغزوه بألف أشقر وألف شقراء ثم تسبّب بقتل القُرّاء فعاقبه الله عز وجل .

ومن أهمّ ما نأخذه من حادثة بئر معونة أنه إذا فُتح لنا باب الدعوة إلى الله سلْماً فعلينا أن نَلِجَه ، وأن نرسل الوفود والبعوث لذلك ، وهذا يفتح أمامنا آفاقاً واسعة في العمل الإسلامي على الأرض الإسلامية أو خارجها ، فحيثما أُعْطينا حرية الدعوة إلى الله فعلينا أن ندعو مستفيدين من الأعراف والقوانين ، ويسعنا في هذه الحالة أن ننصح وأن نعمل من خلال القانون للتغيير الإسلامي الشامل ، ولكن الاكتفاء بهذا القدر من العمل منوط بالفتوى من أهلها .

* * *

فصل : في إجلاء بني النضير

هنـاك خلاف حول غـزوة بني النضير متى كانت ، وعـامّـة كُتّـاب السِّيَر أنّهـا في السنـة الرابعة وهذه الرواية تدلّ على أنّهـا كانت في السنـة الثـالثـة ، ولا يترتّب على الخلاف عمل ، وقد جرينا على رأي الجمهور في هذه الغزوة .

قال ابن القيم في زاد المعاد عن ما جرى في أخريات بئر معونة ثمّ عن غزوة النضير :

وكان عمرو بن أمية الضَّمْري والمنذر بن عقبة بن عامر في سرح المسلمين فرأيـا الطير تحوم على موضع الوقعة ، فنزل المنذر بن محمد فقاتل المشركين حتى قتل مع أصحابه وأسر عمرو بن أمية الضمري ، فلما أخبر أنـه من مضر جز عـامر نـاصيتـه وأعتقـه عن رقبـة كانت على أمـه ، ورجع عمرو بن أمية فلمـا كان بـالقرقرة من صـدر قنـاة نزل في ظل شجرة ، وجـاء رجلان من بني كلاب فنزلا معه ، فلما ناما فتك بهما عمرو وهو يرى أنه قد أصـاب ثـأر أصحـابـه ، وإذا معهما عهد من رسول الله ﷺ لم يشعر به ، فلما قدم أخبر رسول الله ﷺ بما فعل فقـال لقد قتلت قتيلين لأَدِينهما ، فكان هذا سبب غزوة بني النضير ، فـإنـه خرج إليهم ليعينوه في ديتهما لما بينه وبينهم من الحلف ، فقالوا : نعم وجلس هو وأبو بكر وعمر وعليّ وطائفـة من أصحابه ، فاجتمع اليهود وتشاوروا وقالوا : مَنْ رجلٌ يُلْقِي على محمد هذهِ فيقتلـه ؟ فـانبعث أشقاها عمرو بن جِحَاش لعنه الله ، ونزل جبريل من عند رب العالمين على رسوله يعلمـه بما همُّوا به فنهض رسول الله ﷺ من وقته راجعاً إلى المدينـة ، ثم تجهّز وخرج بنفسـه لحربهم ، فحاصرهم ست ليال ، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم ، وذلك في ربيع الأول ، قـال ابنُ حزم : وحينئـذ حرمت الخمر ، فنزلوا على أن لهم مـا حملت إبلهم غير السلاح ويرحلـون من ديـارهم فترحّل أكابرهم كَحُيَيِّ بن أَخْطَبَ وسلّامِ بن أبي الحُقَيْـق إلى خيبر ، وذهبت طـائفـة منهم إلى الشـام ، وأسلم منهم رجـلان فقـط يـامين بن عَمرو وأبـو سعيـد بن وهب فـأحرزا أموالهما وقسم رسول الله ﷺ أموال بني النضير بين المهاجرين الأولين خاصة ، لأنها كانت مما لم يـوجف المسلمـون عليـه بخيـل ولا ركاب ، إلا أنـه أعطى أبـا دُجَـانـة وسهـل بن حُنَيف الأنصـاريِيْن لفقرهمـا . وفي هـذه الغزوة نزلت سورة الحشر هـذا الـذي ذكرنـاه هو الصحيح عند أهل المغازي والسير ، وزعم محمد بن شهـاب الزُّهري أن غزوة بني النضير كانت بعـد بـدر

بستة أشهر ، وهذا وهم منه أو غلط عليه بل الذي لاشك فيه أنها كانت بعد أحد والتي كانت بعد بدر بستة أشهر هي غزوة بني قينقاع وقريظة بعد الخندق وخيبر بعد الحديبية . فكان له مع اليهود أربع غزوات : أولها غزوة بني قينقاع بعد بدر ، والثانية بني النضير بعد أحد ، والثالثة قريظة بعد الخندق ، والرابعة خيبر بعد الحديبية .

قال ابن كثير في البداية والنهاية :

قال ابن إسحاق فاحتملوا من أموالهم ما استقلّت به الإبل ، فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نِجَاف بابه فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به ، فخرجوا إلى خيبر ومنهم من سار إلى الشام ، فكان مِنْ أشرافِ مَنْ ذهب منهم إلى خيبر سَلاّم بن أبي الحُقَيق وكِنانة بن الربيع بن أبي الحقيق وحُيَيُّ بن أخطب فلما نزلوها دان لهم أهلها . فحدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدث أنهم استَقَلُّوا بالنساء والأبناء والأموال معهم الدفوف والمزامير والقيان يعزفن خلفهم بزهاء وفخر ما رُؤي مثله لحي من الناس في زمانهم ا هـ .

قال ابن حجر رحمه الله في الفتح :

قال ابن إسحاق : فخرج رسول الله ﷺ إلى بني النضير يستعينهم في ديتهما فيما حدثني يزيد بن رومان ، وكان بين بني النضير وبني عامر عقد وحلف ، فلما أتاهم يستعينهم قالوا : نعم . ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا : إنكم لن تجدوه على مثل هذه الحال . قال : وكان جالساً إلى جانب جدار لهم ، فقالوا من رجل يعلو على هذا البيت فيلقي هذه الصخرة عليه فيقتله ويريحنا منه ؟ فانتدب لذلك عمرو بن جِحَاش بن كعب فأتاه الخبر من السماء ، فقام مظهراً أنه يقضي حاجته وقال لأصحابه : لا تبرحوا ، ورجع مسرعاً إلى المدينة ، واستبطأه أصحابه فأخبروا أنه توجه إلى المدينة ، فلحقوا به ، فأمر بحربهم والمسير إليهم ، فتحصنوا ، فأمر بقطع النخل والتحريق ، وذكر ابن إسحاق أنه حاصرهم ست ليال ، وكان ناس من المنافقين بعثوا إليهم أن اثبتوا وتمنعوا ، فإن قوتلتم قاتلنا معكم ، فتربصوا ، فقذف الله في قلوبهم الرعب فلم ينصروهم ، فسألوا أن يجلوا عن أرضهم على أن لهم ما حملت الإبل فصولحوا على ذلك ، وروى البيهقي في « الدلائل » من حديث محمد بن مسلمة أن رسول الله ﷺ بعثه إلى بني النضير وأمَرَه أن يؤجِلهم في الجلاء ثلاثة أيام ، قال ابن إسحاق : فاحتملوا

إلى خيبر وإلى الشام ، قال فحدثني عبد الله بن أبي بكر أنهم حلوا الأموال من النخيل والمزارع فكانت لرسول الله ﷺ خاصة . قال ابن إسحاق : ولم يسلم منهم إلا يامين بن عمير وأبو سعيد بن وهب فأحرزا أموالهما . وروى ابن مردويه قصة بني النضير بإسناد صحيح إلى معمر عن الزهري « أخبرني عبد الله بن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال : كتب كفار قريش إلى عبد الله بن أُبيّ وغيره ممن يعبد الأوثان قبل بدر يهددونهم بإيوائهم النبي ﷺ وأصحابه ، ويتوعدونهم أن يغزوهم بجميع العرب ، فهمّ ابن أبيّ ومن معه بقتال المسلمين ، فأتاهم النبي ﷺ فقال : ما كادكم أحد بمثل ما كادتكم قريش ، يريدون أن تلقوا بأسكم بينكم ، فلما سمعوا ذلك عرفوا الحق فتفرقوا . فلما كتبت كفار قريش بعدها إلى اليهود : إنكم أهل الحلقة والحصون ، يتهددونهم ، فأجمع بنو النضير على الغدر ، فأرسلوا إلى النبي ﷺ : اخرج إلينا في ثلاثة من أصحابك ويلقاك ثلاثة من علمائنا ، فإن آمنوا بك اتبعناك . ففعل ، فاشتمل اليهود الثلاثة على الخناجر فأرسلت امرأة من بني النضير إلى أخ لها من الأنصار مسلم تخبره بأمر بني النضير ، فأخبر أخوها النبي ﷺ قبل أن يصل إليهم ، فرجع ، وصبّحهم بالكتائب فحصرهم يومه ، ثم غدا على بني قريظة فحاصرهم فعاهدوه ، فانصرف عنهم إلى بني النضير ، فقاتلهم حتى نزلوا على الجلاء وعلى أن لهم ما أقلت الإبل إلا السلاح ، فاحتملوا حتى أبواب بيوتهم ، فكانوا يخربون بيوتهم بأيديهم فيهدمونها ويحملون ما يوافقهم من خشبها ، وكان جلاؤهم ذلك أول حشر الناس إلى الشام ، وكذا أخرجه عبد بن حميد في تفسيره عن عبد الرزاق ، وفي ذلك رد على ابن التين في زعمه أنه ليس في هذه القصة حديث بإسناد ، قلت : فهذا أقوى مما ذكر ابن إسحاق من أن سبب غزوة بني النضير طلبه ﷺ أن يعينوه في دية الرجلين ، لكن وافق ابن إسحاق جل أهل المغازي ، فالله أعلم . وإذا ثبت أن سبب إجلاء بني النضير ما ذكر من همهم بالغدر به ﷺ ، وهو إنما وقع عندما جاء إليهم ليستعين بهم في دية قتيلَيْ عمرو بن أمية ، تعين ما قال ابن إسحاق ، لأن بئر معونة كانت بعد أحد بالاتفاق . ا هـ .

وقال الشيخ الغزالي :

وفي هذه المعركة نزلت سورة الحشر بأكملها ، فوصفت طرد اليهود في صدرها .

﴿ هو الذي أخرجَ الذينَ كفروا مِنْ أهلِ الكتابِ من ديارهم لأوّلِ الحَشْرِ ما ظننتمْ أنْ يَخْرُجوا وظَنُّوا أنهم مَانِعتُهم حُصُونُهم مِن الله فأتاهُم اللهُ منْ حَيْثُ لم يحتسِبُوا وَقذَفَ في قلوبِهمُ الرُّعبَ يُخْرِبُونَ بيُوتَهم بأيديهم وَ أيدي المؤمنينَ فاعتبِرُوا يا أولي الأبصارِ ﴾ (١) .

ثُم فضح القرآن مسلك منافقي المدينة الذين حاولوا إعانة يهود في غدرها وحربها ، وحرضوها على مقاتلة المسلمين بما وعدوها من أمداد وعتاد فقال :

﴿ ألمْ ترَ إلى الذينَ نافقوا يقولونَ لإخوَانِهِمُ الذينَ كفرُوا مِنْ أهل الكتابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لنَخرُجَنَّ مَعَكُم ولا نُطيعُ فيكم أحداً أبداً وإنْ قُوتِلْتُم لَنَنْصُرَنَّكُمْ واللهُ يَشهدُ إنهمْ لكاذبونَ * لِئنْ أُخرجُوا لا يخرُجونَ مَعهم ولئنْ قُوتلوا لايَنصرُونهم وَلئنْ نصرُوهم لَيُوَلُّنَّ الأدبار ثمّ لايُنْصَرُونَ ﴾ (٢) .

وبهذا النصر الذي أحرزه المسلمون دون تضحيات ، توطد سلطانهم في المدينة ، وتخاذل المنافقون عن الجهر بكيدهم ، وأمكن رسول الله أن يتفرغ لقمع الأعراب الذين آذوا المسلمين بعد أحد وتواثبوا على بعوث الدعاة يقتلون رجالها في نذالة وكفران . ا هـ .

٤٣٩ ـ * روى أبو داود عن عبدِ الرحمن بن كعبِ بن مالكٍ ، عن رجلٍ من أصحابِ النبي ﷺ أنّ كُفّارَ قريش كتبوا إلى ابن أُبَيٍّ ومن كان يعبدُ معه الأوثانَ من الأوسِ والخزرجِ ورسولُ الله ﷺ يومئذ بالمدينة قبلَ وقْعة بدرٍ : إنكم آويْتم صاحبَنا ، وإنا نُقْسم بالله لَتُقَاتِلُنَّهُ أو لَتُخْرِجُنَّ أو لنسيرَنَّ إليكم بأجمعنا حتى نقتُل مقاتِلتكم ونستَبيحَ نساءكم ، فلما بلغَ ذلك عبدَ الله بن أُبَيٍّ ومن كان معه منْ عبدة الأوثان اجتمعوا لقتال النبي ﷺ ، فلما بلغَ ذلك النبيَّ ﷺ لَقِيَهم فقال : « لَقَدْ بَلَغَ وَعِيدُ قُرَيشٍ مِنْكُمْ المَبَالِغَ ، مَا كَانَتْ

(١) الحشر : ٢ .

(٢) الحشر : ١١ ، ١٢ .

٤٣٩ ـ أبو داود (٣ / ١٥٦) ، كتاب الخراج والإمارة والفيء ، باب في خبر النضير ، بسند صحيح .

الأوثان : جمع وثن ، وهو الصنم .

نستبيح : استباحتهم : نهبهم وسبيهم والتصرف فيهم .

وعيد : الوعيد : التخويف والتهديد .

=

تَكِيدُكُمْ بأَكْثَرَ مِمَّا تريدُونَ أن تكيدُوا بِهِ أَنْفُسَكُم ، تُريدُون أن تُقَاتِلُوا أَبْنَاءَكُمْ وإِخْوَانَكُمْ » فلما سمعوا ذلك من النبي ﷺ تفرقوا ، فبلغ ذلك كفارَ قريشٍ ، فكتبتْ كفارُ قريشٍ بعد وقعةِ بدرٍ إلى اليهودِ : إنكم أهلُ الحَلْقَةِ والحُصونِ وإنكم لَتُقَاتِلُنَّ صاحبَنا أو لَنَفْعَلَنَّ كذا وكذا ، ولا يحولُ بيننا وبين خَدَمِ نسائكم شيء ، وهي الخلاخيل ، فلما بلغ كتابُهم النبيَّ ﷺ اجْتَمَعَتْ بنو النضير بالغدر ، فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ : اخْرج إلينا في ثلاثين رجلاً من أصحابك ، وليخرج منّا ثلاثونَ حَبْراً ، حتى نلتقي بمكان المَنْصَف فيسمعوا منك ، فإن صدّقوك وآمنوا بك آمنّا بك فقصَّ خبرهم فلما كان الغدُ غَدَا عليهم رسول الله ﷺ بالكتائب فحصَرَهم ، فقال لهم : « إنَّكُمْ وَاللهِ لاَ تَأْمَنُونَ عِنْدِي إلا بعَهْدٍ تُعَاهِدُونِي عَلَيهِ » فأبَوْا أن يعطُوه عهداً ، فقاتلهم يومَهم ذلك ، ثم غدا الغدَ على بني قُرَيْظَةَ بالكتائب ، وترك بني النضير ، ودعاهم إلى أن يعاهدوه ، فعاهدوه ، فانصرف عنهم ، وغَدَا على بني النضير بالكتائب فقاتلهم حتى نزلوا على الجَلاَء ، فَجَلَتْ بنو النضير واحتملوا ما أَقَلَّتِ الإبل من أمتعتهم وأبواب بيوتهم وخشبها ، فكان نخلُ بني النضير لرسول الله ﷺ خاصةً ، أعطاه الله إيّاها وخصّه بها ، فقال : ﴿ وَمَا أَفَاءَ اللهُ على رَسُولِهِ مِنهُم فَمَا أَوْجَفْتُم عَلَيهِ من خَيلٍ ولا رِكَابٍ ﴾ [1] يقول : بغير قتال ، فأعطى النبي ﷺ أكثرها للمهاجرين ، وقَسَمها بينهم ، وقَسَم منها لرجلين من الأنصار ، وكانا ذَوِي حاجةٍ ، ولم يقسمْ لأحد من الأنصار غيرها .

= يكيدكم : كاده يكيده : إذا مكر به وخدعه .

الحلقة : بسكون اللام : الدِّرع ، وقيل : اسم جامع للسلاح .

حَبْر : الحبْر : العالم الفاضل .

منْصَف : المنصف بالفتح : نصف الطريق ، أراد : أنهم يجتمعون في موضع لايميل إلى جهته ولا جهتهم ، ليكون أعدل وأقرب إلى الأمن .

الجلاء : النفي عن الأوطان .

أقلّت الإبل : الأحمالَ ، أي : حملتها .

ما أفاء الله : الفيء : ما يحصل للمسلمين من أموال الكفار من غير حرب ولا قتال .

أوجفتُمْ : الإيجاف : الإسراع والحثُّ في السير ، وأراد به : الإسراع في القتال .

رِكاب : الرِّكاب جماعة الإبل فوق العشرة .

(١) الحشر : ٦ .

ـ (وفي رواية ابن هشام [١] : أنها سهل بن حُنَيْف وأبو دُجَانة سِماكُ بنُ خَرَشَة) ـ وبقي منها صَدَقَةُ رسولِ الله ﷺ التي هي في أيدي بني فاطمةَ .

٤٤٠ ـ * روى البخاري ومسلم عن ابن عمرَ : أن يهودَ بني النضيرِ وقريظةَ حاربوا النبيَّ ﷺ ، فأجْلى رسول الله ﷺ بني النضير وأقرَّ قُرَيظةَ ومنَّ عليهم حتى حاربتْ قريظة بعدَ ذلكَ فَقَتَلَ رجالَهم وقسَمَ نِساءَهم وأولادهم وأموالهم بينَ المُسلمينَ إلَّا أن بعضَهم لَحِقُوا بالنبيِّ ﷺ فأمَّنهم وأسْلَموا وأجلَى رسول الله يهودَ المدينةِ كلَّهم بني قَيْنُقاعَ وهُمْ قومُ عبدِ اللهِ بنِ سَلَامٍ ويهودَ بني حارِثَةَ وكلَّ يهوديٍّ كان بالمدينةِ .

٤٤١ ـ * وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : بينما نحن في المسجدِ إذ خرجَ علينا رسول الله ﷺ فقال : انطلِقوا إلى يهودَ . فخرجنا معه حتى جئنا بيتَ المدراس ، فقام النبيُّ ﷺ فناداهم : « يا معشرَ يهودَ ، أسْلِمُوا تَسْلَمُوا » فقالوا : بلَّغتَ يا أبا القاسم . فقال : « ذلكَ أريدُ » ثمَّ قالها الثانية ، فقالوا : قد بلغتَ يا أبا القاسم . ثم قال الثالثة فقال : « اعلموا أنَّ الأرض لله ورسوله وأني أريدُ أن أجليَكم ، فمن وجدَ منكم بمالِه شيئاً فليَبِعْه ، وإلا فاعلموا أنما الأرضُ لله ورسولِه » .

لكنهم رفضوا الجلاء الطوعي فكان ما رأينا .

٤٤٢ ـ * وروى الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله عز وجل : ﴿ ما قطعتم منْ لِينَةٍ أو تَرَكْتُمُوها قائمةً عَلَى أُصُولِهَا ﴾ قال : اللِّينَة : النَّخْلَةُ ، ﴿ وليُخْزِيَ

---

(١) السيرة النبوية (٣ / ١٩٤) .

٤٤٠ ـ البخاري (٧ / ٣٢٩) ٦٤ ـ كتاب المغازي ـ ١٤ ـ باب حديث بني النضير ، ومخرج رسول الله ﷺ في دية الرجلين ، وما أرادوا من الغدر برسول الله ﷺ .

ومسلم واللفظ له (٣ / ١٣٨٧) . ٣٢ ـ كتاب الجهاد والسير ـ ٢٠ ـ باب إجلاء اليهود من الحجاز .

٤٤١ ـ البخاري (١٢ / ٣١٧) ٨٩ ـ كتاب الإكراه ـ ٢ ـ باب في بيع المكرَه ونحوه في الحق وغيره .

ومسلم في نفس الموضع السابق .

بيت المدراس : بكسر الميم ، مفعال من الدرس ، والمراد به كبير اليهود ، ونسب البيت إليه ؛ لأنه هو الذي كان صاحب دراسة كتبهم ، أي قراءتها .

٤٤٢ ـ الترمذي (٥ / ٤٠٨) ٤٨ ـ كتاب تفسير القرآن ـ ٦٠ باب « ومن سورة الحشر » وإسناده حسن .

لينة : اللينةُ : مادون العَجْوة مِنَ النخل ، والعجوة : نوع من التمر معروف بالمدينة .

=

الفاسقين ﴾ وقال : استنزلوهم من حصونهم ، قال : وأُمِرُوا بقطع النَّخل فحَكَّ في صُدُورهِمْ ، فقَالَ المسْلِمُونَ : قَدْ قطَعْنا بعْضاً ، وتَركْنا بعضاً ، فلَنَسْأَلنَّ رسولَ الله ﷺ : هَلْ لنَا فيما قَطَعْنا من أجر ؟ وهَل عَلَيْنَا فيما تركْنَاهُ من وِزْرٍ ؟ فأنزل الله تعالى ﴿ ما قَطَعْتُمْ من لينةٍ أو تركتموها قائمةً على أصولِهَا ... ﴾ [1] .

٤٤٣ ـ * وروى الحاكم عن عائِشَةَ رضِيَ اللهُ عَنها قَالَت : كانت غَزوة بني النَّضِير وهُمْ طَائِفةٌ من اليهود عَلَى رَأس سِتَّةِ أشْهرٍ من وَقْعَة بَدرٍ ، وكَانَ مَنزِلُهُم ونَخْلُهم بنَاحِيَةِ المدِينةِ ، فحَاصَرهُم رَسُول اللهِ صلَّى الله عليهِ وآلهِ وسلم ، حتى نَزَلُوا على الجَلاء وَعَلى أنَّ لَهُمْ مَا أقلتِ الإبلُ مِن الأمْتِعَةِ والأمْوَالِ إلا الحَلْقَةَ يَعْني السِّلاحَ فأنْزل اللهُ فِيهم ﴿ سَبح للهِ مافي السَّمٰواتِ وَمَافي الأرض ﴾ إلىٰ قَولِهِ ﴿ لأولِ الحشْرِ مَا ظَنَنتُم أنْ يَخرُجُوا ﴾ [2] فَقاتَلَهُم النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وآلِهِ وَسَلَّم حَتَّى صَالَحهُم عَلَى الجَلاَءِ فأجْلاهم إلى الشَّام وَكَانُوا مِنْ سِبطٍ لم يُصِبْهُم جَلاءٌ فيما خَلا ، وَكَانَ الله قَدْ كَتَبَ عَلَيْهِم ذٰلِك ، وَ لَولا ذٰلِكَ لَعَذَّبَهُم في الدنيا بالقتلِ والسَّبي وَأما قَوْلُه ﴿ لأولِ الحشرِ ﴾ فكانَ جَلاؤهُم ذٰلِكَ أولَ حَشْرٍ في الدُّنيَا إلى الشَّامِ .

ونشهد في زماننا حشرا آخر لليهود إلى بلاد الشام وسيتبعه حشر آخر في عهد الدجال عند نهر الأردن ، وقد بشرنا الكتاب والحديث أن النصر للإسلام .

٤٤٤ ـ * روى البخاري عن عبدِ اللهِ بنِ عمَرَ بن الخطاب رضي الله عنهما : أنَّ رسول الله ﷺ حَرَّق نَخْلَ بني النَّضِير وقطَعَ ، وهي البُوَيْرَةُ ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ ما قَطَعْتُمْ من لِينةٍ أو تَركْتُمُوهَا قَائمةً على أصُولها فبإذْنِ الله ولِيُخْزِيَ الفاسقين ﴾ [1] .

فحَكَّ : يقال : حَكَّ الشيء في نفسه : إذا لم يكن منشرح الصدر به ، وكان في قلبه شيء منه من الشك والريب ، لتوهمه أنه ذنب أو خطيئة .

وزر : الوزر : الحمل والثقل والإثم .

(١) الحشر : ٥

٤٤٣ ـ المستدرك (٢ / ٤٨٣) ، كتاب التفسير ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وأقره الذهبي .

(٢) الحشر : ١ ، ٢ .

٤٤٤ ـ البخاري (٥ / ٩) ٤١ ـ كتاب الحرث والمزارعة ـ ٦ ـ باب قطع الشجر والنخل .

وفي رواية صحيحة [٢] قال ابن عمر : ولها يقول حسان بن ثابت :

وهـــانَ على سَرَاة بني لُـــؤَيٍّ ... حريـــقٌ بـــالبُـوَيْرةِ مُسْتَطِيرُ

زاد في رواية [٣] قال : فأجابه أبو سفيان بن الحارث :

أدام الله ذلـــك من صَنيـــعٍ ... وحرّق في نـــواحيهـــا السَّعيرُ

ستعلمُ أيُّنـــا منهـــا بِنُـــزْهٍ ... وتعلمُ أيَّ أرْضِينـــا تَضِيرُ

تعليقات على حادثة النضير :

سجّل الله حادثة النضير في كتابه فأنزل فيها سورة كاملة ، هي سورة الحشر التي أسماها ابن عباس سورة النضير ، ومن ثَمّ فإن النضير من الحوادث الخالدات التي يحتاج المسلمون على مدى العصور إلى معرفة دروسها وأخذ عِبَرِها ، فهي حادثةُ تمرّدٍ وغدرٍ داخليين تقوم بها فئة معاهدة من غير المسلمين ، فلمّا أراد رسول الله ﷺ أن يؤدبها تعاطف معها منافقون ، ظاهرهم مسلمون ، إنّ هذا الوضع يمكن أن يحدث في كل زَمان وفي كل مَكان ، فكيف تصرّفَ رسولُ الله ﷺ ؟ وما هي السنّة التي تحكم ذلك ؟ وما حكم أموال المتمرّدين الغادرين ونسائهم ؟ وماذا يجوز لنا في هذا الشأن ؟ كل ذلك بعض ما في سورة النضير التي تحدّثت عن غزوتها ، وهذه بعض دروس الغزوة والسورة :

١ - إنّ تلاحم الكافرين والمنافقين على الأرض الإسلاميّة لاشكّ فيه ، وأنت عليك أن تستهدف الكفر فإذا ما استطعت أن تنتصر عليه فقد انتهت قيمة المنافقين السياسية والعسكريّة ، ولذلك يجب أن تضع نصب عينيك أن السيطرة على الكفر هي الهدف ، وفي الغالب فإنّ المنافقين لن ينتقلوا من القول إلى الفعل إلّا في حالة واحدة هي أن تضمّهم جميعاً

---

(١) الحشر : ٥ .

(٢) البخاري (٧ / ٣٢٩) ٦٤ - كتاب المغازي - ١٤ - باب حديث بني النضير .

سَرَاةُ : السراة جمع سريّ ، وهو النفيس الشريف على غير قياس .

مستطير : استطار الضوء وغيره : إذا تفرّق واتسع .

(٣) البخاري في نفس الرواية السابقة .

بنزه : أي : ببعد ، وفلان يتنزّه عن الفحش ، أي : يبعد عنه .

تضير : ضَارَهُ يضيره ضَيْراً ، مثل : ضَرّه يضُرّه ضَرّاً .

حصون يقاتلون من خلالها . وإذن فلا ينبغي أن تعطيهم فرصة التجمّع والتحصّن .

٢ ـ ومما حدث في إجلاء بني النضير وبما نزل من آيات الله في ذلك نعرف صورة مما يمكن أن تفعله الدولة الإسلامية الراشدة في المواطنين غير المسلمين إذا تأكد لنا غدرهم .

٣ ـ ومن تعليقات الدكتور البوطي على حادثة النضير ما يلي :

قطع نخيل بني النضير وإحراقها ، ثبت بالاتفاق . والذي أتلفه الرسول ﷺ من ذلك إنما هو البعض ثم ترك الباقي . وقد نزل القرآن تصويباً لما أقدم عليه النبي ﷺ من ذلك : قطعاً وإبقاء ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ **ما قطعتم من لينةٍ أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله ..** ﴾ [١] .

وقد استدل عامة العلماء بذلك ، على أن الحكم الشرعي في أشجار العدو وإتلافها منوط بما يراه الإمام أو القائد من مصلحة النكاية بأعدائهم ، فالمسألة إذاً من قبيل ما يدخل تحت اسم السياسة الشرعية . قال العلماء : وإنما كان قصد الرسول ﷺ بتصرفه هذا في النخيل ـ قطعاً أو كفاً ـ تحقيق المصلحة وتلمس السبيل إليها ، إرشادا وتعليماً للأئمة من بعده .

وبهذا أيضاً علل الشافعي رحمه الله ، أمر أبي بكر رضي الله عنه بالإحراق والقطع ، حينما أرسل خالداً إلى طليحة وبني تميم ، مع أنه نهى هو نفسه عن ذلك في حروب الشام . ويقول رحمه الله في هذا : « ولعل أمر أبي بكر بأن يكفوا عن أن يقطعوا شجراً مثمراً ، إنما هو لأنه سمع رسول الله ﷺ يخبر أن بلاد الشام تُفتح على المسلمين . فلما كان مباحاً له أن يقطع ويترك ، اختار الترك نظراً للمسلمين » .

وهذا الذي قلناه من إباحة قطع شجر الكفار وإحراقه إذا اقتضت المصلحة هو مذهب نافع مولى ابن عمر ومالك والثوري وأبي حنيفة والشافعي وأحمد وإسحاق وجمهور الفقهاء . ورُوي عن الليث بن سعد وأبي ثور والأوزاعي القول بعدم جوازه .

واتفق الأئمة على أن ما غنمه المسلمون من أعدائهم بدون قتال ـ وهو الفيء ـ يعود النظر

---

(١) الحشر : ٥ .

والتصرف فيه إلى ما يراه الإمام من المصلحة ، وأنه لا يجب عليه تقسيمه بين الجيش كما تقسم عليهم الغنائم التي غنموها بعد قتال وحرب ، مستدلين على ذلك بسياسته ﷺ في تقسيم فيء بني النضير ، فقد خص به - كما رأيت - المهاجرين وحدهم ، وقد نزل القرآن تصويباً لذلك ، في الآيتين اللتين ذكرناهما .

ثم اختلفوا في الأراضي التي غنمها المسلمون بواسطة الحرب : فذهب مالك إلى أن الأرض لا تقسم مطلقاً ، وإنما يكون خراجها وقفاً لمصالح المسلمين إلا أن يرى الإمام أن المصلحة تقضي القسمة فإن له ذلك ، ويذهب الحنفية قريباً من هذا المذهب .

أما الشافعي فذهب إلى أن الأرض المأخوذة عنوة تجب قسمتها كما تجب قسمة غيرها من الغنائم ، وهو الظاهر من مذهب الإمام أحمد أيضاً .

ودليل ما ذهب إليه الشافعي ، أن تصرف النبي ﷺ بأموال بني النضير ، على خلاف ما تقتضيه القسمة بين الغانمين في الحرب ، إنما كان بسبب عدم وجود أي قتال تسبّب عنه الحصول على تلك الغنائم . وقد نصت الآية على ذلك في معرض تعليل حكمه ﷺ ، في فيء بني النضير ، وهي قوله تعالى : ﴿ **وما أفاءَ اللهُ علَى رسولِه منهم ، فما أَوْجَفْتُم عليهِ من خيلٍ ولا ركابٍ** ﴾ [1] وإذا كان هذا هو مناط جواز عدم القسمة لأراضي الفيء فمن الواضح أنه إذا ارتفع مناط الحكم ، ارتفع الحكم معه ، وعاد الحكم المنصوص عليه في حق الغنائم ، سواء في ذلك الأراضي وغيرها .

ودليل ما ذهب إليه مالك وأبو حنيفة أمور كثيرة ، من أهمها عمل عمر رضي الله عنه حينما امتنع عن تقسيم سواد العراق ، وجعلها وقفاً يجري خراجها ريعاً للمسلمين وليس المجال هنا متسعاً لأكثر من هذا العرض المجمل في الموضوع .

إنما الذي ينبغي أن نَتْنبه إليه من هذا البحث هنا ، هو التعليل الذي ذكره الله تعالى في الآيتين اللتين أوضحتا سياسته عليه الصلاة والسلام في تقسيم فيء بني النضير إذ اختص به أناساً دون آخرين . فقد ذكر الله تعالى في تعليل ذلك قوله : ﴿ **لكيْ لا يكون دُولَةً بين**

---

(١) الحشر : ٦ .

الأغنيـاء منكم ﴾ [١] أي لكي لا يكـون تـداول المـال محصـوراً فيما بين طبقـة الأغنيــاء منكم فقط .

والتعليل بهذه الغاية يؤذن بأن سيـاسـة الشريعـة الإسلاميـة في شؤون المـال ، قـائمـة في جملتها على تحقيق هذا المبدأ . وأن كل مـا تفيض بـه كتب الشريعـة الإسلاميـة من الأحكام المتعلقة بمختلف شؤون الاقتصـاد والمـال يُبتغى من ورائـه إقـامـة مجتمع عـادل تتقـارب فيـه طبقات الناس وفئاتهم ويُقضى فيه على أسباب الثغرات التي قـد تظهر فيما بينهـا ، والتي قـد تؤثر على سير العدالة وتطبيقها .

ولو طُبّقت أحكام الشريعة الإسلامية وأنظمتها الخاصة بشؤون المال من إحيـاء لشريعـة الزكاة ومنع للربا وقضاء على مختلف مظاهر الاحتكارات لعـاش النـاس كلهم في بحبوحـة من العيش ، قـد يتفـاوتون في الرزق ولكنهم جميعـاً مكتفـون ، وليس فيهم كَـلٌّ على آخر وإن كانوا جميعاً يتعاونون .

والمهم أن تعلم أن الله تعالى لما جعل غايـة شريعتـه في الـدنيـا إقـامـة هـذا المجتمع ، شرع لذلك وسائل وأسباباً معينة ألزمنا باتّباعها وعـدم الخروج عليهـا . أي أن الله تعـالى تعبـدنـا بكل من الغاية والوسيلة معاً . فلا يجوز أن يقـال : إن الغـايـة من الإسلام إقـامـة العـدالـة الاجتماعية . فلنسلك إلى ذلك ما نراه من السبل والأسباب ، بل إن هـذا يعـد خروجـاً على كل من الغاية والوسيلة معاً ، فلن تتحقق الغاية التي أمرنـا الله تعـالى بتحقيقهـا إلا بـاتبـاع الوسيلة التي شرعها لنا سبيلاً إلى تلك الغاية . والتاريخ أعظم دليل والوقائع أكبر شاهد .

هذا وجدير بك أن تعود إلى سورة الحشر بكاملها ، لتتأمل تعليق البيـان الإلهي العظيم على هذه الحادثة بمجموعها وعامة ملابسـاتهـا : اليهود ، المنـافقون ، سيـاسـة الرسول في المـال والحرب ، وغير ذلك ... فهذه السورة من أهم ما يمكّنك من الوقوف على دروس هذه القصـة وعظاتها . ا هـ .

* * *

---

(١) الحشر : ٧ .

فصل : في غَزْوَتَيِ الرَّدِ

ذكر ابن كثير في أحداث السنة الرابعة غزوتين لرسول الله ﷺ ، غزوة بني لِحيان وغزوة نحو نجد أسماها غزوة ذات الرقاع ، ومن عرف سنتّه عليه الصلاة والسلام في ردّه على الاعتداء من قبل المحاربين رجّح أن الغزوتين كانتا في هذه السنة ، لكن اختلط الأمر على بعض المحققين بين غزوة ذات الرقاع ، وغزوة أخرى حدثت في السنة السابعة شارك فيهاأبو موسى الأشعري وربط بها هو وأصحابه رقاعا على أرجلهم فظنوا أنّ هذه الغزوة هي غزوة ذات الرقاع المشهورة التي كانت ردًّا على حادثة بئر معونة ، والذي أرجحّه أنّ غزوة بني لحيان وغزوة ذات الرقاع كانتا في السنة الرابعة ، واسم ذات الرقاع هنا لم يأت من الرقاع المربوطة على الأرجل بل كان لأسباب أخرى سنراها .

١ ـ غزوة بني لِحيانَ :

قال ابن كثير : وقال الحافظ البيهقي : لما أُصيب خُبيب وأصحابه خرج رسول الله ﷺ طالباً بدمائهم ليصيب من بني لِحيان غرّة ، فسلك طريق الشام ليُرَى أنه لايريد بني لحيان ، حتى نزل بأرضهم فوجدهم قد حذِروا وتمنعوا في رؤوس الجبال ، فقال رسول الله ﷺ « لو أنا هبطنا عُسْفان لرأتْ قريشٌ أنّا قد جئنا مكة » فخرج في مائتي راكب حتى نزل عسفان ثم بعث فارسين حتى جاءا كراع الغميم ثم انصرفا . ا هـ .

أقول : هذه الغزوة وإن لم تحقّق هدفها الأساسي وهو الثأر لحادثة الرجيع ، لكنها أوقعت الرعب في قلوب أهل المنطقة وأرتهم أنّ محمداً ﷺ لاينام على ثأر ، وأنه وراء المسيئين لن يتركهم حتّى يعاقبهم أو يُسْلِموا أو يُعاهِدوا .

* * *

٢ ـ غزوة ذاتِ الرِّقاع :

تختلط روايات هذه الغزوة بأكثر من روايات غزوات أخرى فهي تختلط بغزوة لفّ فيها أصحاب رسول الله ﷺ الخِرَقَ على أرجلهم فتوهم بعضهم أنّ هذه الغزوة هي غزوة ذات الرقاع ، وتختلط بغزوتي عُسفان وأنمار ؛ بسبب أنّ في الجميع روايات لجابر ، وبسبب

أنّ بعض الروايـات فيهـا ذكر لصلاة الخوف ، مع اتفـاق الجميع أنّ صلاة الخوف نـزلت بعـد غزوة الأحزاب ، فقد رأى بعضهم أنّ غزوة ذات الرقـاع هـذه ، لم تكن في السنـة الرابعـة ، ولكنّ المحققين من كُتّاب السير يرون أنّها في السنة الرابعة وعلى هذا فـلابـد من التمييز بين رواياتها وروايـات الغزوات الأخرى وإعطـاء كل غزوة اسمها المنـاسب ، ونحن سنتخيّر من الروايات والتحقيقات ما لايكون فيه تناقض مع ما ذهب إليه المحققون في كل .

وننقل بين يدي ذلـك مـاقـالـه ابن حجر في الفتح كـدليل على أنّ هـذه الغزوة تختلـط بغيرها ولذلك وقع اللّبْس :

قال ابن حجر :

(بـاب غـزوة ذات الرقـاع) هـذه الغـزوة اختلف فيهـا متى كانت ، واختلف في سبب تسميتها بذلك . وقد جنح البخاري إلى أنها كانت بعد خيبر ، واستدل لذلـك في هـذا البـاب بأمور سيأتي الكلام عليهـا مفصلا ، ومع ذلـك ذكرهـا قبل خيبر فلا أدري هل تعمـد ذلـك تسليماً لأصحاب المغازي أنها كانت قبلها كما سيـأتي ، أو أن ذلـك من الرواة عنـه ، أو إشـارة إلى احتمال أن تكـون ذات الرقـاع اسما لغـزوتين مختلفتين كما أشـــار إليـــه البيهقي ، على أن أصحاب المغازي مع جزمهم بأنها كانت قبل خيبر مختلفون في زمانها ، فعند ابن إسحـاق أنهـا بعد بني النضير وقبل الخندق سنة أربع ، قال ابن اسحـاق : أقـام رسول الله ﷺ بعـد غزوة بني النضير شهر ربيع وبعض جمـادى ـ يعني من سنتـه ـ وغزا نجـدا يريـد بني محـارب وبني ثعلبة من غطفان ، حتى نزل نخلا وهي غزوة ذات الرقاع . ا هـ .

وبمناسبة رواية البخاري عن جابر (كنّا مع النبي ﷺ بنخل فذكر صلاة الخوف) قـال ابن حجر :

أورده مختصرا معلقا لأن غرضه الإشارة إلى أن روايات جـابر متفقـة على أن الغزوة التي وقعت فيها صلاة الخوف هي غزوة ذات الرقاع ، لكن فيه نظر لأن سياق رواية هشـام عن أبي الزبير هذه تدل على أنه حديث آخر في غزوة أخرى ، وبيان ذلك أن في الحـديث عنـد الطيالسي وغيره أن المشركين قالوا : دعوهم فإن لهم صلاة هي أحب إليهم من أبنائهم ، قـال فنزل جبريل فأخبره ؛ فصلى بأصحـابـه العصر ، وصفهم صفين ، فـذكر صفـة صلاة الخوف ،

وهذه القصة إنما هي في غزوة عُسْفان ، وقد أخرج مسلم هذا الحديث من طريق زهير بن معاوية عن أبي الزبير بلفظ يدل على مغايرة هذه القصة لغزوة محارب في ذات الرقاع ، ولفظه عن جابر قال : (غزونا مع النبي ﷺ قوماً من جهينة ، فقاتلونا قتالا شديدا ، فلما أن صلينا الظهر قال المشركون : لو ملنا عليهم ميلة واحدة لأقطعناهم ، فأخبر جبريل النبي ﷺ بذلك ، قال وقالوا : ستأتيهم صلاة هي أحب إليهم من الأولاد ، فذكر الحديث . وروى أحمد والترمذي وصححه النسائي من طريق عبد الله بن شقيق عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ نزل بين ضجنان وعُسفان ، فقال المشركون : إن لهؤلاء صلاة هي أحب إليهم من أبنائهم ، فذكر الحديث في نزول جبريل لصلاة الخوف ، وروى أحمد وأصحاب السنن وصححه ابن حبان من حديث أبي عَيّاش الزرقي قال : كنا مع النبي ﷺ بعُسفان ، فصلى بنا الظهر وعلى المشركين يومئذ خالد بن الوليد ، فقالوا : لقد أصبنا منهم غفلة ، ثم قال : إن لهم صلاة بعد هذه هي أحب إليهم من أموالهم وأبنائهم ، فنزلت صلاة الخوف بين الظهر والعصر ، فصلى بنا العصر ففرقنا فرقتين . الحديث وسياقه نحو رواية زهير عن أبي الزبير عن جابر ، وهو ظاهر في اتحاد القصة ، وقد روى الواقدي من حديث خالد بن الوليد قال : لما خرج النبي ﷺ إلى الحديبية لقيته بعسفان فوقفت بإزائه وتعرضت له ، فصلى بأصحابه الظهر ، فهممنا أن نغير عليهم فلم يعزم لنا ، فأطلع الله نبيه على ذلك فصلى بأصحابه العصر صلاة الخوف . الحديث ، وهو ظاهر فيما قررته أن صلاة الخوف بعسفان غير صلاة الخوف بذات الرقاع ، وأن جابرا روى القصتين معا . ا هـ .

وقد ذكر ابن حجر أدلّة القائلين بالتعدّد فقال :

وقد قيل إن الغزوة التي شهدها أبو موسى وسميت ذات الرقاع غير غزوة ذات الرقاع التي وقعت فيها صلاة الخوف ، لأن أبا موسى قال في روايته إنهم كانوا ستة أنفس ، والغزوة التي وقعت فيها صلاة الخوف كان المسلمون فيها أضعاف ذلك .

واستدل على التعدد أيضاً بقول أبي موسى إنها سميت ذات الرقاع لما لفوا في أرجلهم من الخرق ، وأهل المغازي ذكروا في تسميتها بذلك أمورا غير هذا ، قال ابن هشام وغيره : سميت بذلك لأنهم رقّعوا فيها راياتهم ، وقيل بشجر بذلك الموضع يقال له ذات الرقاع ،

وقيل بل الأرض التي كانوا نزلوا بها كانت ذات ألوان تشبه الرقاع ، وقيل لأن خيلهم كان بها سواد وبياض قاله ابن حبان ، وقال الواقدي : سميت بجبل هناك فيه بقع ، وهذا لعله مستند ابن حبان ويكون قد تصحف جبل بخيل ؛ ومما يدل على التعدد أنه لم يتعرض أبو موسى في حديثه إلى أنهم صلوا صلاة الخوف ولا أنهم لقوا عدوا ، ولكن عدم الذكر لا يدل على عدم الوقوع . ا هـ .

مما مرّ ندرك اختلاط الروايات مابين غزوة نجد وغزوة ذات الرقاع وغزوة عسفان ونضيف غزوة أنمار .

قال صاحب الفتح : فظهر لي من هذا وجه المتابعة . وهو أن حديث سهل بن أبي حثمة في غزوة ذات الرقاع متحد مع حديث جابر ، لكن لايلزم من اتحاد كيفية الصلاة في هذه وفي هذه أن تتحد الغزوة ، وقد أفرد البخاري غزوة بني أنمار بالذكر كما سيأتي بعد باب . ا . هـ

لذلك أذهب أن غزوة ذات الرقاع حدثت في السنة الرابعة ولم يكن فيها صلاة الخوف ، وأن الروايات التي تذكر صلاة الخوف ينبغي أن تحمل على غزوات أخرى وأن يفتّش لها عن مخارج يخرج بها من التعارض .

قال ابن كثير : قال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة بعد غزوة بني النضير شهري ربيع وبعض جُمادىَ ، ثم غزا نجداً يريد بني مُحارِب وبني ثَعْلَبَةَ من غَطَفَانَ ، واستعمل على المدينة أبا ذر . قال ابن هشام : ويقال عثمان بن عفان . قال ابن إسحاق فسار حتى نزل نخلاً وهي غزوة ذات الرقاع . قال ابن هشام لأنهم رقّعوا راياتهم ، ويقال لشجرة هناك اسمها ذات الرقاع ، وقال الواقدي : بجبل فيه بقع حمر وسود وبيض .

٤٤٥ ـ * روى أبو داود عن جابر بن عبدِ الله رضي الله عنهما قال : خرجنا مع

٤٤٥ ـ أبو داود (١ / ٥٠) ، كتاب الطهارة ، باب الوضوء من الدم .

وأورده ابن كثير في البداية والنهاية (٤ / ٨٥) عن ابن إسحاق واللفظ له .

وأخرجه ابن إسحاق مصرحا بالتحديث وفي سنده عقيل بن جابر بن عبد الله الأنصاري لم يوثقه غير ابن حبان ، وباقي رجاله ثقات ، وقد صحح الحديث ابن خزيمة وابن حبان والحاكم .

=

رسول الله ﷺ في غزوةِ ذاتِ الرِّقاع من نخلٍ فأصاب رجلٌ امرأة رجلٍ من المشركين فلما انصرف رسول الله ﷺ قافلاً ، أتى زوجُها وكان غائباً ، فلما أُخْبِرَ الخبرَ حلَف لا ينتهي حتى يهريق في أصحاب محمد دما ، فخرج يتبع أثر رسول الله ﷺ فنزل رسول الله ﷺ منزلا فقال من رجل يكلؤنا ليلَتَنا ؟ فانتدب رجل من المهاجرين ورجل من الأنصار . فقالا : نحن يارسول الله ، قال : فكونا بفم الشِّعبِ من الوادي ، وهما عمارُ بنُ ياسرٍ وعبادُ بن بِشْرٍ ، فلما خرجا إلى فم الشعب قال الأنصاريُّ للمهاجريِّ : أي الليلِ تحب أن أكْفِيكَه أولَه أم آخره ؟ قال : بل اكْفِني أولَه ، فاضْطَجَعَ المهاجري فنام وقام الأنصاري يصلي ، قال : وأتى الرجلُ فلما رأى شخص الرجلِ عَرَفَ أنه ربيئةُ القوم فرَمَى بسهمٍ فوضعه فيه ، فانْتَزَعَه ووضعه وَثَبَتَ قائماً قال : ثم رَمَى بسهم آخرَ فوضعه فيه فنزعه فوضعه وثبت قائما ، قال : ثم عاد له بالثالث فوضعه فيه فنَزَعه فوضعه ثم ركع وسجد ثم أهبَّ صاحبَه فقال : اجلسْ فقد أُثبتُّ قال : فوثَبَ الرجل ، فلما رآهما عرف أنه قد نَذِرا به فهَرب قال : ولما رأى المهاجري ملما بالأنصاري من الدماء قال : سبحانَ الله أفلا أهبتني أولَ ما رماك قال : كنتُ في سورةٍ أقرؤها فلم أحبَّ أن أقطعَها حتى أُنْفِذَها فلما تابع عليَّ الرميَ ركعت فآذنتُك وايمُ اللهِ لولا أن أُضَيِّع ثَغْراً أمرني رسول الله ﷺ بحفظه لقَطِعَ نَفْسي قبل أن أقطعها أو أُنْفِذَها .

٤٤٦ - * روى أحمدُ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : خرجتُ مع رسول الله ﷺ إلى غزوة ذاتِ الرقاعِ من نخلٍ على جَمل ضعيفٍ فلما قَفَلَ رسولُ الله ﷺ جعلتِ الرِّفَاقُ تمضي ، وجعلتُ أتخلفُ حتىّ أدركَني رَسولُ الله ﷺ فقالَ : « مالكَ ياجابرُ ؟ » قلتُ : يا رسولَ اللهِ أبطأ بي جَملي هذا . قالَ : « أنِخْه » قال : فَأنختُه وأناخ رَسولُ الله ﷺ ثم قال : « أعطِني هذهِ العَصا من يدِكَ أو اقطَعْ عصًا من شجرة » ففعلتُ فأخذها رسولُ اللهِ ﷺ فنخَسَه بها نَخَساتٍ ثم قال : « اركبْ » فركبتُ فخرجَ والذي بعثَه بالحقِّ يواهقُ ناقتَه مُواهقةً . قالَ : وتحدثتُ مَع رسول الله ﷺ فقال : « أتبيعُني جملَكَ هذا

=الرَّبيئةُ : الربيء جمع ربايا : الطليعة الذي يرقب العدو من مكان عالٍ ، يستطلع .

٤٤٦ - أحمد في مسنده (٣ / ٣٧٦) .

والبخاري بعضه (٤ / ٣٢٠) ٣٤ - كتاب البيوع - ٣٤ - باب شراء الدواب والحمير .

يواهق : يعارض ناقة رسول الله ﷺ في المشي ، والمواهقة : المباراة .

=

ياجـابرُ ؟ » قـالَ : قلتُ ، بل أَهَبُـهُ لـكَ قـال : « لا ، ولكنْ بِعْنِيـه » ، قـالَ : قلتُ : فَسُمْنِيه ، قالَ : « أخذتُـه بـدرهم » ، قـال : قلتُ : لا ، إذًا تَغْبِنُني يـا رسولَ اللهِ ، قـال : « فبدرهَمَيْن » ، قـال : قلتُ : لا قـال : فلم يزل يرفعُ لي رسولُ اللهِ ﷺ حتى بلغَ الأوقيـة ، قالت فقلتُ : أفقدْ رضيتَ ؟ قال : « نعم » ، قلت : فهو لك ، قال : « قـد أخـذتُـه » ثم قال : « ياجابر هل تَزوجتَ بعدُ ؟ » قال : قلت : نعم يارسول الله ، قال : « أثيّبا أم بكراً ؟ » قال : قلتُ بل ثَيِّباً ، قالَ : « أفلا جاريةً تُلاعِبُها وتلاعبُـك » قـال : قلتُ : يـارسول اللهِ إنّ أبي أُصيبَ يَـوم أحـدٍ وترك بنـاتٍ لـه سَبعـاً فنكحتُ امرأةً جـامعةً تجمـعُ رؤوسهنّ فتقومُ عليهن قـال : « أصبـتَ إن شـاء اللهُ ، أمـا إنّـا لـو جئنـا صِرَاراً أمرنـا بَجَزُورٍ فنُحرتْ ، فأقمنا عليهـا يومَنـا ذلـك وسَمِعَت بنـا فنفضتْ نمـارقَهـا » قـالَ : فقلتُ : واللهِ يارسول الله مالنا نمارقُ ، قال : « إنهـا ستكونُ فـإذا أنت قَـدِمْتَ فـاعْمل عملاً كيِّسا » قال : فلما جئنا صِرَاراً أمر رَسول الله ﷺ بجزُور فنُحِرَتْ وأقمنا عليهـا ذلـكَ اليومَ ، فلما أمسَى رسولُ الله ﷺ دَخَل ودخلنا . قال : فحدثتُ المرأة الحديثَ ومـا قـال لي رسولُ الله ﷺ ، قالتْ : فدونَك فسمعٌ وطاعةٌ فلما أصبحتُ أخذتُ برأس الجَملِ فأقبلتُ بـه حتّى أنختُـه على بـاب رسـول الله ﷺ ، ثم جلستُ في المسجدِ قريبـاً منـه ، قـال : وخرج رَسول الله ﷺ فرأى الجَمل فقال : « ما هذا ؟ » قـالوا : يـارسول اللهِ هـذا جمل جـاء بـه جابر ، قال : « فأين جابرٌ » فدَعيتُ له ، قال فقالَ : « ياابنَ أخي خـذ برأسِ جملِـكَ فهو لك » قال : ودعا بلالاً فقالَ : « اذهبْ بجابر فأعطهِ أوقيـةً » قـال : فـذهبتُ معه فأعطاني أوقيةً وزادني شيئاً يسيراً ، قال : فوالله مـازال ينمىَ عنـدي ويُرَى مكانه من بيننـا حتى أُصيبَ أمس فيا أُصيب لنا . يعني يومَ الحَرَّةِ .

= الأوقية : أربعون درهما .

جامعة تجمع رؤوسهن : قادرة على العناية بأخوات جابر الصغيرات وحفظهن .

صِرار : موضع على ثلاثة أميال من المدينة .

نمارق : وسائد صغار .

دونك : افعل ما تريد .

تعليقات :

١ ـ علّق الشيخ البوطي على حادثة عبّادِ بن بِشْرٍ في استغراقه بصلاته والسهامُ تنصبُّ عليه بقوله : إنما الجهاد ـ كما علمه الرسول أصحابه وكما فهمه الصحابة منه ـ عبادة كبرى يتعلق فيها كيان المسلم كله بخالقه جل جلاله خاشعاً متبتلاً . وما ساعة يكون فيها المؤمن أقرب إلى ربه جل جلاله من تلك الساعة التي يستدبر فيها الدنيا ويستقبل بوجهه شطر الموت والاستشهاد .

ولذلك ، كان من الطبيعي جداً بالنسبة لذلك الأنصاري ، (عباد بن بشر) رضي الله عنه ، أن يَشغَل شطر حراسته من الليل بركعات خاشعة يقف فيها بين يدي ربه جل جلاله . وقد انصرفت مشاعره كلها إلى مناجاته بآيات من كتابه الكريم .

وكان من الطبيعي جداً أن لا يبالي بذلك السهم الذي أسرع فانحطّ في جسمه ، ولا بالسهم الثاني الذي تبعه ، لأن بشريّته كلها إنما كانت في تلك الساعة مطويّة ضمن مشاعره المنصرفة إلى ربه جل جلاله وقد غمرتها لذة المناجاة بين العبد وخالقه .

ولما ارتد شعوره إليه وأخذ يهتم بما قد أصابه ، لم يكن ذلك لمزيد من الألم بدأ يشعر به . وإنما للمسؤولية المنوطة به مخافة أن يضيّعها بضياع حياته واستمرار سكوته . فكان ذلك هو الذي اضطره إلى أن يلتفت فيوقظ صاحبه ليستلم منه أمانة الثغر الذي أنيط بها حفظه .

وتأمل ياأخي المسلم في قوله رضي الله عنه : وايم الله ، لولا أن أضيع ثغراً أمرني رسول الله ﷺ بحفظه ، لقَطَع نفسي قبل أن أقطعها أو أنفذها (أي الصلاة) ا هـ .

٢ ـ وعلّق كذلك على محادثته عليه الصلاة والسلام لجابر في الطريق بقوله : إنما ذكرنا قصة جابر بن عبد الله وما كان بينه وبين رسول الله ﷺ من المحادثة في طريق عودتها إلى المدينة ، مع أنها لا تتعلق بشيء من أمر الغزوة لما فيها من الصورة الكاملة الدقيقة لخلق رسول الله ﷺ مع أصحابه ، وما انطوى عليه خلقه الكريم هذا من لطف في المعاشرة ورقة في الحديث وفكاهة في المحاورة ومحبة شديدة لأصحابة .

فأنت إذا تأملت جيداً في هـذه القصـة التي سردنـاهـا . علمت أن النبي ﷺ كان متـأثراً بالمحنة التي طافت على بيت جابر بن عبد الله . فقد استشهد والده في أحد . فقام هو ـ وهو أكبر أولاد أبيه ـ على شأن الأسرة ورعـايـة الأطفـال الكثيرين الـذين خلّفهم لـه والـده من ورائه . وهو على ذلك رقيق الحال ليس له نصيب وافر من الدنيا .

وكأنما استشعر رسول الله ﷺ في تـأخر جـابر عن القوم بسبب جَمَلِـه الضعيف الـذي لا يمتلك غيره . مظهراً لحالته العامة هذه .. (وقد كان من عادته ﷺ إذا سـار مع صحبـه في طريق . أن يتفقد أصحـابـه كلهم ويطمئن عليهم بين كل فترة وأخرى) . فـانتهزهـا فرصـة وتخلف حتى التقى معه وراح يواسيه بأسلوبـه الرقيق الفكـه الـذي رأيت ، في طريق ليس معهما فيه ثالث .

عرض عليـه ﷺ شراء بعيره ، وهـو إنمـا يريـد أن يجعـل من ذلـك ذريعـة ومنـاسبـة لإكرامه ومساعدته على وضعه الذي هو فيه . ثم سأله عن الزوجة والبيت . في أسلوب فكـه رقيق ، وراح يُطمْئن الزوج الجـديـد ، أنهم إذا وصلـوا قريبـاً من المـدينـة أقـامـوا سـاعـات هناك ، حتى يتسامع أهل المدينة بقدمهم ، فتسمع زوجته ، فتصلح له من شأنها ، وتهيء له البيت بزينته ونمارقه . وينساق معه جابر في الأسلوب نفسه فيقول : والله يـارسول الله مـا لنا من نمارق ! .. فيجيبه عليه الصلاة والسلام قائلاً : إنها ستكون .

صـورة رائعـة ، عن لطف معشره ، وأنس حـديثـه ، والفكاهـة الحلوة في محـاورتـه لأصحابه . ا.هـ

* * *

فصل : في غزوة بدر الآخرة

قال ابن كثير في البداية والنهاية :

وهي بدر الموعد التي تواعدوا إليها من أحد كما تقدم . قال ابن إسحاق : ولما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة من غزوة ذات الرقاع أقام بها بقية جمادى الأولى وجمادى الآخرة ورجباً ، ثم خرج في شعبان إلى بدر لميعاد أبي سفيان . قال ابن هشام : واستعمل على المدينة عبد الله بن عبد الله بن أبيّ بن سَلول . قال ابن إسحاق : فنزل رسول الله ﷺ بدراً وأقام عليه ثمانياً ينتظر أبا سفيان . وخرج أبو سفيان في أهل مكة حتى نزل مَجَنَّة من ناحية الظهران . وبعض الناس يقول : قد بلغ عُسْفان ثم بدا له في الرجوع فقال : يا معشر قريش إنه لا يصلحكم إلا عام خصيب ترعون فيه الشجر وتشربون فيه اللبن . فإن عامكم هذا عام جدب وإني راجع فارجعوا . فرجع الناس فسماهم أهل مكة جيش السَّوِيق [1] يقولون إنما خرجتم تشربون السويق . قال وأتى مخشي بن عمرو الضمري وقد كان وادع النبي ﷺ في غزوة وَدّان على بني ضَمْرة فقال : يامحمدُ أجئتَ للقاء قُريشٍ على هذا الماء ؟ قال : « نعم ياأخا بني ضَمْرة وإن شئتَ رَدَدْنا إليك ما كان بيننَا وبينَك وجالَدْناك حتى يحكمَ الله بيننا وبينَك » قال : لا والله يامحمدُ مالنا بذلك من حاجة . ثم رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة ولم يلق كيداً .

وقد ذكر موسى بن عقبة عن الزهري وابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة بن الزبير أن رسول الله ﷺ استنفر الناس لموعد أبي سفيان ، وانبعث المنافقون في الناس يثبطونهم فسلم الله أولياءه ، وخرج المسلمون صحبة رسول الله ﷺ إلى بدر وأخذوا معهم بضائع ، وقالوا : إن وجدنا أبا سفيان وإلا اشترينا من بضائع موسم بدر ثم ذكر نحو سياق ابن إسحاق في خروج أبي سفيان إلى مجنة ورجوعه وفي مقولة الضَّمْري ، وعرض النبي ﷺ المنابذة فأبى ذلك . قال الواقدي : خرج رسول الله ﷺ إليها في ألف وخمسمائة من أصحابه واستخلف

---

(١) السَّويق : أن تمحص الحنطة أو الشعير أو نحو ذلك ، ثم تطحن ثم يسافر بها ، وقد تمزج باللبن والعسل والسمن ، وتُلَتُّ ، فإن لم يكن شيء من ذلك مُزجت بالماء .

على المدينة عبد الله بن رواحة . وكان خروجه إليها في مستهل ذي القعدة يعني سنة أربع ، والصحيح قول ابن إسحاق أن ذلك في شعبان من هذه السنة الرابعة .

قال الواقدي : فأقاموا ببَدْر مدة الموسم الذي كان يعْقد فيها ثمانية أيام ، فرجعوا وقد ربحوا من الدرهم درهمين . وقال غيره : فانقلبوا كما قال الله عز وجل : ﴿ **فانقلبوا بنعمة من الله وفضلٍ لم يَمْسَسْهُم سوءٌ واتَّبَعوا رِضوانَ الله واللهُ ذو فضل عظيم** ﴾ [١] أ هـ .

أقول : قد مرّت معنا رواية حسنة السند عند الكلام عن غزوة [٢] حمراء الأسد تشير إلى بدر الموعد فلم نر أن نذكرها واكتفينا بما قاله كتّاب السير عنها لكي لا يكون في السياق ثغر .

دروس بدر الآخرة :

إنّ أهم دروس بدر الآخرة قوة التصميم والسهر على القضيّة ، فمن المعروف أنّه في كل قضيّة من القضايا تجد الناس بين متردد ومُقْدِم ، وههنا تأتي مهمّة القيادة في اتخاذ القرار لتحسم التّردد ، وبعد اتخاذ القرار تجد ناسا يثبّطون الهمم وههنا تأتي مهمّة القيادة في الحسم والتصميم وردّ كلّ التردد والقضاء عليه ، فلا تعطي فرصة لمؤجّل أو مسوّف أن يفسد الموقف .

وإنّك لترى هذا كلّه مجسّدا برسول الله ﷺ في كلّ موقف وأظهر ما يظهر ذلك في غزوة بدر الآخرة ، قارن بين موقفه عليه الصلاة والسلام وموقف أبي سفيان لتدرك الفارق بين القيادة المصمّمة والقيادة المتردّدة .

ومن بدر الآخرة تأخذ الدرس الآخر درس السهر على القضيّة لقد عقد الموعد للمواجهة أبو سفيان يوم أحد ، ولقد عقده من موقع القوّة في زعمه ، وهو بذلك يتحدّى ، ولكن كيف تصرّف عندما حان الموعد ، وكيف تصرّف رسول الله ﷺ ؟ .

---

(١) آل عمران : ١٧٤ .

(٢) انظر (٦٠٠) من هذا الجزء .

ههنا سهر وهناك بطر ، والعجيب أنّك لا تجد في جيش أبي سفيان من عارض ، ولا تجد أن أبا سفيان قد استشار ، تلك علل الشرك في ذلك الدهر ، **قارن هذا كلّه ببعض ما نحن فيه** : إنّ الكفر الآن ساهر على قضاياه ، وله مؤسساته ، وعنده تصميم على أمور كثيرة وهذا يقتضي منّا سهرا وتصميماً ، وعلى القيادات الإسلاميّة أن ترتقي في القدوة إلى أعلى قمة مستطاعة .

* * *

فوائد عامة
من أحداث السنة الرابعة

١ - إنّ الحكم ليس لعبة ولا تسلية ولا متعة ، وإنّ بناء الدول ليس أُلهيَةً ولا عبثا ، فكيف إذا كان الحكم إسلاميّا ، والبناء يراد به ساحتا الدنيا والآخرة والحاضر والمستقبل ، إنّ من يرى هذه السلسلة من العمليّات المتلاحقة والتضحيات الكثيرة يدرك ماهيّة الطريق لحفظ الحكم وإقامة البناء ، إنّك ترى في حياة رسول الله ﷺ اليقظة الدائمة والحذر الدائم والجديّة في الصغيرة والكبيرة وعلى المسلمين جميعاً أن يدركوا هذا الدرس ، إنّ العرض والدّين والمال والحكم لا يصحّ أن تطرف عين الإنسان فيها إلا على وعي وحذر ، فإذا ما نامت العيون على واحدة من هذه الشؤون فما أسرع أن تصاب ولات ساعة مندم .

٢ - الناس قسمان فمنهم عاملون ومنهم قاعدون ، فالقاعدون لا يرتكبون خطأ القعود فقط ولكنّهم يعطون أنفسهم فرصة نقد لهذا العالم ، فهؤلاء هم الأخس في التاريخ ، والعاملون نوعان : فمنهم من يمتلك روح المبادأة والمبادرة ومنهم من يعمل ضمن حدود المكرر والمعاد ، فالآخرون عاجزون عن التطوير والتنفيذ ، وليس لهم مكان في عمليّة البناء ، والذين يمتلكون روح المبادأة والمبادرة قسمان : فمنهم المتهوّرون المغامرون ، ومنهم الحكماء المتأنّون ، فهؤلاء وحدهم هم البناة ، ومع ذلك فالخسائر لابدّ منها ، هذا رسول الله ﷺ وهو أعظم البناة في تاريخ البشريّة أُصيب في الرجيع وفي بئر معونة ترى ماذا يقول القاعدون في قيادة حاليّة تخسر مثل هذه الخسارة ؟ ! ألا إن درسَيْ الرجيع وبئر معونة عزاء للقادة وردّ أي ردّ على القاعدين .

٣ - وفي أمره عليه الصلاة والسلام لزيد بن ثابت أن يتعلّم اللسان العبراني إشارة إلى أنّه عليه الصلاة والسلام ما كان يشغله شيء عن شيء ، فبناء الأمة لابدّ أن يكون على ضوء خريطة شاملة ، وهذه الخريطة ينبغي أن يلاحظ فيها احتياجات الأمّة فإذا كان المهندس مكلّفا أن يوجد خريطة تسع الزمان والمكان فما أصعب مهمّته ، وإنّك لتجد رسول الله ﷺ هو ذلك المهندس ، الذي لا يغفل عن احتياج من احتياجات البناء بما يسع الحاضر وبما يستوعب المستقبل .

٤ ـ عرضت لنا أثناء أحداث هذه السنة وعرض لنا من قبل وسيعرض لنا من بعد أبيات من الشعر تقال بمناسبة ما ، وهذا الموضوع لم نشأ أن نتوسّع فيه لقلّة ما يرد منه في الروايات الصحيحة ، مع أنّه من أخطر المواضيع على الإطلاق ولذلك نكتفي بالتنبيه إليه ليضعه العاملون على ذكر منهم : إنّ الجهاد باللسان هو شطر الجهاد ، وإن كان شطره الأقل كلفة ، ولكنّه في بعض الأحيان يكون أكثر نجاعة ولذلك ذكره الرسول ﷺ في أكثر من حديث : « ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن » [١] ، « جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم » [٢] .

وهذا الجهاد باللسان له صور متعددة فقد يكون خطبة وقد يكون قصيدة وقد يكون كتابا أو رسالة أو مقالة ...

والشعر قديماً في حياة العرب هو الإعلام كلّه فهو الحرب النفسيّة ، وهو الدعوة والدعاية ، وهو التعبير عن الذات ، وهو الدفاع عن الحق فمن غَلَب فيه غَلَب ، وقد أعطى الرسول ﷺ هذه المعاني كلّها مداها ، وبالنسبة للشعر فقد كان له أكثر من شاعر : حسان ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة .... وكلّ أحداث السيرة كانت تغطّى شعراً ، وكل قصيدة للكافرين كانت تقابل بقصيدة أو قصائد ، وكان لغلبة شعرائه في معاركهم الشعريّة أثر قويٌّ على أعدائه ، لقد طرد كعب بن الأشرف بسبب هجاء من حسان لمن أنزله عنده ، وكان عليه الصلاة والسلام يقول لحسان عن شعره : (لهو أشد عليهم من نضح النبل) [٣] ولقد كانت العرب في الماضي إذا نبغ فيهم الشاعر تعاهدوه ، وكان هذا من شأن رسول الله ﷺ ، وعلى الحركة الإسلاميّة المعاصرة أن تفطن لهذا وما يحيط به فترعى شعراءها وتشجّعهم ، وترعى منشديها وكتّابها وعلماءها ودعاتها وتشجّعهم ، وجماعة على أرض العرب

---

(١) مسلم مطولا (١ / ٧٠) عن ابن مسعود ١ ـ كتاب الإيمان ـ ٢٠ ـ باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان .

(٢) أحمد في مسنده (٣ / ١٢٤ ، ١٥٣ ، ٢٥١) عن أنس . وإسناده صحيح .
وأبو دواد (٣ / ١٠) عن أنس في كتاب الجهاد ، باب كراهية ترك الغزو .
والنسائي (٦ / ٧) عن أنس في كتاب الجهاد ، باب وجوب الجهاد .
والدارمي (٢ / ٢١٣) عن أنس في كتاب الجهاد ، باب في جهاد المشركين . باللسان واليد .

(٣) النسائي (٥ / ٢١١) عن أنس في كتاب مناسك الحج ، باب استقبال الحج ، بلفظ : « لكلامه أشد عليهم من وقع النبل » .

لا ترعى شاعرا ولا تشجع منشداً لا تصلح أن تسوس العرب ولا أن تقودهم .

* * *

تقويم الموقف في نهاية السنة الرابعة

لقد كانت خسائر أُحد كبيرة وجاءت خسارة الرجيع وبئر معونة فزادت الطين بلّة ، ومع أنّ رسول الله ﷺ حاول تلافي آثار ذلك كلّه مباشرة ، ولكنّ الآثار أكبر ، فلا قريش أصيبت ولا الذين أساءوا في الرجيع وبئر معونة نالهم القصاص ، وأصبح لليهود أكثر من ثأر ، وعواطف المشركين متأجّجة ، وما حدث في أحد وما بعدها شجّعهم ، وهذا كلّه جعل الأيام حبلى بالعواصف ، وجاءت ذروة العواصف في السنة الخامسة حيث كانت غزوة الأحزاب ، فغزوة الأحزاب كانت ذروة تصاعد الخط البياني للمشركين ثمّ بدأ الانحدار ، وهي بالنسبة للمسلمين كانت ذروة الشدّة ثم بّدأ الانفراج . ونستطيع أن نقول إنّ الخط البياني بالنسبة للمسلمين كان يرتفع بصعوبة منذ أحد ، ولكنّه ما توقّف أبدا عن الارتفاع فالمسلمون يتكاثرون بدليل أنّ مقاتليهم يوم أحد كانوا سبعمائة بينما عبّأ الرسول ﷺ لبدر الآخرة ألفا وخمسمائة ، فلنر كيف ستسير الخطوط البيانيّة في السنة الخامسة .

* * *

السَّنَة الخَامِسَة لِلهِجْرَة

السنة الخامسة في سطور

* قبل خمسة أيام من نهاية شهر ربيع الأول خرج رسول الله ﷺ في ألف من المسلمين نحو دُومة الجندل القريبة من بلاد الشام ، بعد أن بلغه أنّ القبائل حولها تنهب ما يمرّ ، وأنها قد حشدت جمعا كثيراً تريد أن تهاجم به المدينة ، ففاجأهم وأصاب من أصاب منهم وفرّ الباقون . وأقام هناك أياما يبثّ السرايا ويرسل الجيوش ههنا وهناك ثمّ رجع إلى المدينة بعد أن وادع عُيَيْنَةَ ابن حِصْن .

* وفي شوال من السنة الخامسة غزا أكبر جيش أفرزته الجزيرة العربية حتى ذلك الحين المدينة بزعامة قريش وبتواطؤ مع يهود المدينة ، واستطاعت قريش أن تحشد حوالي عشرة آلاف مقاتل حاصرت بها المدينة ، وأحكم الطوق على المدينة بخيانة بني قريظة واستمرّ الحصار أكثر من شهر - إلى نهاية ذي القعدة إلى سبع بَقِينَ منه على رواية ابن سعد - وقد ردّ الله كيدهم في نحورهم .

* وفي اليوم الذي رجع فيه رسول الله ﷺ إلى المدينة من الحصار عبّأ لبني قريظة وحاصرهم بثلاثة آلاف مسلم حتىّ نزلوا على حكمه بعد حصار دام خمساً وعشرين ليلة .

* وفي ذي الحجة من هذه السنة أرسل رسول الله ﷺ مفرزة إلى خيبر فقتلت سلاّم بن أبي الحُقَيق الذي كان له دور في تأليب الأحزاب وإمدادهم ، وكان كثير الأذى لرسول الله ﷺ .

* وفي هذه السنة تمّ زواج رسول الله ﷺ من أم حَبيبة بنت أبي سفيان ومن زينب بنت جحش رضي الله عنهما ونزل الحجاب صبيحة عرس زينب ، فكان ذلك خطوة اجتماعيّة كبيرة تؤكّد نوعا من الحجز بين الرجال والنساء .

* * *

وكانت غزوةُ دُومة الجندل استمراراً للحركة العسكريّة في السنة الرابعة فاستكملت بذلك الحركة العسكرية كلّ الجهات المحيطة بالمدينة فلم تبق جهة إلّا وأحسّت بحركة المسلمين

العسكريّة ، وبموادعة عيينة بن حصن في هذه الغزوة اجتمع مع الحركة العسكريّة العمل السياسي ، ولكنّ ما حدث يوم أحد ويوم الرجيع ويوم بئر معونة من ناحية ، وهذه التحركات من ناحية أخرى ، والتفكير الذي أورثته الأوضاع الجديدة أوجد حركة مناوئة قوية ، هذه الحركة استهدفت تجميع غير المسلمين على هدف واحد هو استئصال الإسلام والمسلمين ، وكان الذي قاد هذا التحرك هم اليهود ، وصادف ذلك استعدادا عند كل الأطراف ، فقريش لم تخرج إلى موعدها في بدر السنة الرابعة ، وغطفان وغيرها من قبائل العرب استهدفتها حملات الرسول ﷺ أكثر من مرّة ، واليهود أصبحت لهم تارات ، وهكذا وفجأة تتحد قوى الشرك والكفر ضدّ رسول الله ﷺ وتسير نحوه في أعظم حشد صادفه رسول الله ﷺ ، وههنا يبلغ الخط البياني للكافرين ذروته ، وتبلغ المحنة بالنسبة للمسلمين ذروتها . ولقد كان رسول الله ﷺ حريصاً ألّا يعطي لأعدائه فرصة للتجمّع ضدّه ، وها هم هؤلاء يجتمعون ، فحاول تفريقهم من خلال إغراء بعضهم ، ثم فرّقهم خلال خدعة ، وجاء الله بالفرج ، وههنا نجد جديداً في السياسة العسكريّة لرسول الله ﷺ فقد تجنّب رسول الله ﷺ القتال التصادمي لقلّة جنده وكثرة العدو ، وهذا الموقف يثير أمامنا مجموعة من المسائل ، وبعد أن فشلت حملة الأحزاب توجّه رسول الله ﷺ إلى قريظة التي نقضت عهدها في أحرج لحظة وكان من أمرها ما سنراه ، وكذلك فإنّ هذه الحادثة تضعنا أمام مجموعة من المسائل .

* * *

وقد سجّل القرآن غزوتي الأحزاب وقريظة ، والقرآن كعهدنا به يسجّل الخالدات التي تسع الزمان والمكان ، فأن يسجّل غزوتي الأحزاب وقريظة فذلك شأنه ، فالمسلمون معرّضون دائماً لأن يُغزوا في عقر دارهم وفي عواصم بلدانهم ، ومعرّضون لأن يتكالب عليهم الأعداء جميعاً ، والأعداء دائماً يعتبرون غير المسلمين على الأرض الإسلاميّة مظنّة طمع وغدر ، فأن يسجّل القرآن حادثتي الأحزاب وقريظة فذلك كما قلنا في هاتين الحادثتين من سمة القابلية للتكرار على مدى العصور .

* * *

وبجانب هذا نجد حركة البناء التشريعي والاجتماعي للأمّة الإسلاميّة تتكامل فنظام التبنّي يُهدم ، والحجاب يفرض .

هذه هي أهمّ أحداثِ السنة الخامسة ونحن سنعقد لأهمّ أحداثها فصولاً :

فصل : في غزوة دومة الجندل .

فصل : في غزوتي الأحزاب وقريظة .

فصل : في سريّة عبد الله بن عَتيك رضي الله عنه لقتل أبي رافع .

فصل : في زواجه عليه الصلاة والسلام من زينب بنت جحش رضي الله عنها .

* * *

فصل : في غزوة دُومة الجَنْدَل

قال ابن القيم في زاد المعاد :

وهي بضم الدَّال ، وأما دَومة بـالفتح ، فمكانٌ آخر . خرج إليها رسول اللهِ ﷺ في ربيع الأول سنة خمسٍ . وذلك أنه بلغه أن بها جمعاً كثيراً يريدُونَ أن يَدْنُوا مِن المدينة ، وبينها وبين المدينة خَمْس عشرة ليلة . وهي مِن دمشق على خمس ليال ، فاستعمل على المدينة سِبَاعَ بن عُرْفُطَةَ الغِفاري ، وخرج في ألفٍ من المسلمين ، ومعه دليلٌ من بني عُذْرة ، يقال له : مذكور ، فلما دنا مِنهم ، إذا هُم مُغَرِّبُون . وإذا آثار النعم والشاء فهجَمَ على ماشيتهم ورعاتهم ، فأصابَ من أصابَ ، وهَرَبَ مَنْ هَرَبَ ، وجاء الخبَر أهلَ دَومة الجَنْدل ، فتفرقُوا ، ونزل رسولُ الله ﷺ بِساحتِهم فلم يَجِدْ فيها أحداً ، فأقام بها أياماً ، وبثَّ السرايا ، وفرَّق الجيوشَ . فلم يصبْ منهم أحداً ، فرجع رسولُ الله ﷺ إلى المدينة ، ووادع في تلك الغزوة عيينَة بْنَ حصن . أ هـ .

وقال ابن كثير في البداية والنهاية :

فلما دنا من دومة الجندل أخبره دليله بسوائم بني تميم ، فسار حتى هجم على ماشيتهم ورعائهم فأصاب من أصاب وهرب من هرب في كل وجه ، وجاء الخبر أهل دومة الجندل فتفرقوا ، فنزل رسول الله ﷺ بساحتهم فلم يجد فيها أحداً ، فأقام بها أياما ، وبث السرايا ثم رجعوا وأخذ محمد بن مسلمة رجلا منهم فأتى به رسول الله ﷺ ، فسأله عن أصحابه فقال هربوا أمس ، فعرض عليه رسول الله ﷺ الإسلام فأسلم ، ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة . قال الواقدي : وكان خروجه عليه السلام إلى دومة الجندل في ربيع الآخر سنة خمس . قال : وفيه توفيت أم سعد بن عبادة ، وابنها مع رسول الله ﷺ في هذه الغزوة ، وقد قال أبو عيسى الترمذي في جامعه [1] : حدثنا محمد بن بشار حدّثنا يحي بن سعيد عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب : أن أم سعد ماتت والنبي ﷺ غائب ،

---

(١) الترمذي (٢ / ٢٤٧) ٨ ـ كتاب الجنائز ـ ٤٧ ـ باب ما جاء في الصلاة على القبر .

فلما قدم صلى عليها وقد مضى لذلك شهر وهذا مرسل جيد ، وهو يقتضي أنه عليه السلام غاب في هذه الغزوة شهراً فما فوقه على ما ذكره الواقدي رحمه الله . أ هـ .

* * *

فصل : في غزوتي الأحزاب وقريظة

١ ـ من تحقيقات كتّاب السير :

قال ابن القيم في زاد المعاد :

وكان سبب غزوة الخندق أن اليهود لما رَأوا انتصارَ المشركين على المسلمين يَوْمَ أحد ، وعلموا بميعادِ أبي سفيان لِغزو المسلمين ، فخرج لذلك ، ثم رجع لِلعام المُقْبِل ؛ خرج أشرافُهم ، كسلاَّم بن أبي الحُقَيق ، وسلاَّم بن مِشْكَم ، وكِنَانة بن الرَّبيع وغيرِهم إلى قريش بمكة يُحرِّضُونَهم عَلَى غَزوِ رسولِ اللهِ ﷺ ، ويُؤَلِّبُونهم عليه ، ووعدوهم مِن أنفسهم بالنَّصرِ لهم ، فأجابَتْهُم قريشٌ ، ثم خرجُوا إلى غَطَفَان فدعَوْهُم ، فاستجابُوا لهم ، ثُمَّ طافُوا في قبائل العرب ، يدعونهم إلى ذلك ، فاستجاب لهم من استجاب ، فخرجت قُريشٌ وقائدُهم أبو سفيان في أربعة آلافٍ ، ووافَتْهُم بنو سُلَيم بِمَرِّ الظَّهْرَان ، وخرجت بنُو أسد وفَزَارَة ، وأشجع ، وبنو مُرَّةَ ، وجاءت غَطَفَانُ وقائدهُم عُيَيْنَةُ بنُ حِصْن . وكان مَنْ وافى الخندقَ مِن الكفار عشرة آلاف .

فلما سمِعَ رسولُ اللهِ ﷺ بمسيرهم إليه ، استشار الصحابةَ ، فأشار عليه سلمانُ الفارسي بحفرِ خندقٍ يَحُول بين العدوّ وبين المدينة ، فأمر به رسولُ اللهِ ﷺ ، فبادر إليه المسلمون ، وعَمِلَ بنفسه فيه ، وبادروا هجومَ الكُفّارِ عليهم ، وكان في حَفْرِه من آياتِ نُبوته ، وأعلام رسالته ما قد تواتر الخبرُ به ، وكان حفرُ الخندق أمامَ سَلْعٍ ، وسَلْعٌ : جبل خلفَ ظهورِ المسلمين ، والخندقُ بينهم وبين الكفار .

وقال الشيخ أبو الحسن الندوي :

وقد تمّ حفر الخندق من شمالي المدينة الشرقي إلى غربيها ، وكان حده الشرقي طرف حرة واقِم ، وحده الغربي غربي وادي بُطْحان ، حيث طرف الحرة الغربية (حَرة الوَبْرَة) ـ انظر الخارطة بعد صفحات .

وقسم رسول الله ـ ﷺ ـ الخندق بين أصحابه ، لكل عشرة منهم أربعين ذراعاً ، وقد

بلغ طول الخندق حوالي خمسة آلاف ذراع ، وعمقه من سبعة أذرع إلى عشرة ، والعرض من تسعة إلى ما فوقها . أ هـ .

قال ابن القيم : « ونقضت قريظة العهد واشتد الأمر على المسلمين . وخرج رَسول الله ﷺ في ثلاثة آلاف من المسلمين ، فتحصَّن بالجبل من خلفه ، وبالخندق أمامهم .

وأقام المشركُون مُحاصِرينَ رسولَ الله ﷺ شهراً ، ولم يكن بينهم قِتال لأجل ما حال الله به مِن الخندق بينهم وبين المسلمين ، إلا أن فَوارِسَ مِن قُريش ، منهم عمْرُو بن عبد وُدٍّ وجماعة معه أقبلُوا نحوَ الخندق ، فلما وقفُوا عليه ، قالوا : إن هذه مَكيدةٌ ما كانت العربُ تعرِفُها ، ثم تيمَّمُوا مكاناً ضيِّقاً من الخندق ، فاقتحمُوه ، وجالت بهم خيلهم في السَّبخة بين الخندق وسَلْعٍ ، وَدَعَوْا إلى البِرَاز ، فانْتُدِبَ لِعمروٍ عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، فبارزهُ ، فقتله اللهُ على يديه ، وكان مِن شُجعان المشركين وأبطالهم ، وانهزمَ الباقون إلى أصحابهم ، وكان شِعارُ المسلمين يومئذ (حم لا يُنصرون) . أ هـ .

قال الغزالي في فقه السيرة : قال موسى بن عقبة : وأحاط المشركون بالمسلمين حتى جعلوهم في مثل الحصن من كتائبهم . فحاصروهم قريباً من عشرين ليلة ، وأخذوا بكل ناحية حتى لا يدرى : أتمَّ هم أم لا ؟ - هل احتلوا البلد أم لا ؟ قال : ووجهوا نحو منزل [1] رسول الله ﷺ كتيبة غليظة فقاتلها المسلمون يوماً إلى الليل ، فلما حانت صلاة العصر دنت الكتيبة - من المنزل - فلم يقدر النبي عليه الصلاة والسلام ولا أحد من أصحابه ، أن يصلوا الصلاة على نحو ما أرادوا .

وانكفأت الكتيبة المشركة مع الليل ، وقال رسول الله ﷺ : « شغلونا عن صلاة العصر ملأ الله بطونهم وقلوبهم ناراً [2] . أ هـ .

---

(١) منزل رسول الله ﷺ : المراد به : مكان نزوله .

(٢) البخاري (٨ / ١٩٥) - ٦٥ - كتاب تفسير ٤٢ - باب (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى) عن عليٍّ رضي الله عنه .

ومسلم (١ / ٤٣٧) ٥ - كتاب المساجد ومواضع الصلاة - ٣٦ - باب الدليل لمن قال الصلاة الوسطى هي صلاة العصر . عن عليّ أيضاً .

قـال ابن القيم : ولـما طـالت هـذه الحـالُ على المسلمين ، أراد رسولُ الله ﷺ أن يُصـالح عُيينـةَ بنَ حِصْنٍ ، والحـارثَ بنَ عوف رئيسي غَطَفَـان ، على ثُلثِ ثِمار المـدينـةِ ، وينصرفـا بقومهما ، وجرت المراوضةُ على ذلك ، فاستشار السَّعْدَيْنِ في ذلك ، فقالا : يارسول اللهِ ! إن كان اللهُ أمَرَكَ بهذا ، فسمعاً وطاعةً ، وإن كان شيئاً تصنعُه لنا ، فلا حاجةَ لنا فيه . أ هـ .

ثمّ إنّ الله عز وجل أنهى هذا الابتلاء العظيم بخدعـة من نعيم بن مسعود وبـإلقـاء الرعب وتسليط الريح فانسحبت الأحزاب .

قـال ابن القيّم : وأرسلَ اللهُ على المشركين جُنـداً من الريح ، فجعلتْ تُقوِّضُ خيـامَهم ، ولا تَـدَعُ لهم قِـدْراً إلا كَفَـأتْهـا ، ولا طُنُبـاً ، إلا قَلَعتْـه ، ولا يَقِرُّ لهم قرار ، وجنـدُ اللهِ من الملائكة يزلزلونهم . ويُلقون في قلوبهم الرُّعْبَ والخوفَ ، وأرسل رسولُ اللهِ ﷺ حُـذيفـةَ بن اليمان يأتيـه بخبرهم ، فوجـدهم على هـذه الحـال ، وقـد تهيؤوا للرحيل . فرجع إلى رسول الله ﷺ ، فأخبره برحيل القوم . فأصبح رسولُ الله ﷺ ، وقد ردَّ اللهُ عدوَّهُ بغيظه ، لم ينـالُوا خيراً ، وكفـاهُ الله قِتـالهم ، فصـدق وعـدَه ، وأعـزَّ جنـدَه ، ونصر عبـدَه ، وهـزم الأحـزابَ وحده ، فدخل المدينـةَ ووضعَ السلاحَ ، فجـاءه جبريلُ عليـه السلامُ ، وهو يغتسلُ في بيت أمِّ سلَمة ، فقال : أوَضَعْتُمُ السِّلاحَ ؟ ! إنَّ المَلائِكَةَ لَمْ تَضَعْ بَعْدُ أسْلِحَتَهـا ، انْهَضْ إلَى غَزْوَةِ هؤلاءِ ، يَعْني بني قُرَيْظَـةَ ، فَنَـادَى رسُولُ اللهِ ﷺ : « مَن كَـانَ سَـامِعـاً مُطيعـاً ، فَلاَ يُصَلِّيَنَّ العَصْرَ إلا في بني قُرَيْظَةَ » ، فخرج المسلمون سِراعاً ، واستشهد يومَ الخندق ويومَ قريظة نحوُ عشرةٍ مِن المسلمين .

وأما قُريظة ، فكانت أشدَّ اليهودِ عداوةً لرسول الله ﷺ ، وأغلظَهم كُفراً ولـذلـك جرى عليهم ما لم يَجْرِ على إخوانهم .

وكان سببَ غزوهم أنَّ رسول الله ﷺ لما خرج إلى غزوة الخندق والقوم معه صُلْحٌ ، جاء حُيَيُّ بنُ أخطبَ إلى بني قُريظة في ديارهم ، فقال : قـد جئتُكم بعزِّ الـدَّهر ، جئتكم بقُريش على سادتها ، وغَطَفَان على قادتها ، وأنتم أهلُ الشَّوْكَةِ والسلاح ، فهلمَّ حتىَ نناجز محمداً ونفرُغ منه . فقال لهُ رئيسُهم : بل جئتني والله بذُلِّ الـدهر ، جئتني بسحـاب قـد أراق مـاءه . فهو

يرعُدُ ويبرق ، فلم يزل حُيي يُخادعه ويَعِده ويُمنيه حتى أجابه بشرط أن يدخل معه في حِصنه ، يُصيبه ما أصابهم ، ففعل ، ونقضُوا عهدَ رسول الله ﷺ ، وأظهروا سبَّه ، فبلغ رسول الله ﷺ الخبرُ ، فأرسل يستعلِمُ الأمرَ ، فوجدهم قد نقضُوا العهد ، فكبر وقال : « أبْشِرُوا يا مَعْشر المسلمين » أ هـ .

ثمّ جلا الأحزاب كما مرّ ، وحاصر رسول الله ﷺ قريظة حتّى نزلوا على حكم رسول الله ﷺ ، فحكّم فيهم رسول الله ﷺ سعد بن معاذ مراعاة للأوس حلفائهم في الجاهلية فحكم أن يقتل الرجال وتسبى الذرية وتقسم الأموال ونفّذ رسول الله ﷺ الحكم .

وبمناسبة الكلام عن غزوة قريظة ذكَّر الشيخ أبو الحسن الندوي بالعهود التي كانت بين يدي رسول الله ﷺ وبين بني قريظة ، كما ذكَر أنّ أحكام التوراة الحاليّة لا تخرج عمّا فعله رسول الله ﷺ بهم وإنّما يذكّر بذلك ـ حفظه الله ـ من باب الرّد على احتمالات النقد التي يمكن أن يشنّها اليهود أو من يتأثّر بهم . قال :

كان رسول الله ﷺ لما قدم المدينة ، كتب كتابا بين المهاجرين والأنصار ، وادع فيه يهود وعاهدهم ، وأقرهم على دينهم وأموالهم ، وشرط لهم ، واشترط عليهم ، وجاء فيه : « أنه من تبعنا من يهود ، فإن له النصرة والأسوة غير مظلومين ولا متناصرين عليهم ، وأنه لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفساً ، ولا يحول دونه على مؤمن ، وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين ، وأن قبائل يهود أمة مع المؤمنين ، لليهود دينهم ، وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم » .

وجاء فيه : « أن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم ، وأن بينهم النصر على من دهم يثرب » .

ولكن حيِيّ بن أخطب اليهودي ـ سيد بني النضير ـ نجح في حمل بني قريظة على نقض العهد ، وممالأة قريش ، بعد ما قال سيدهم كعب بن أسد القرظي : لم أر من محمد إلا صدقا ووفاء ونقض كعب بن أسد عهده ، وبرئ مما كان بينه وبين رسول الله ـ ﷺ .

وكان ما عامل به رسول الله ـ ﷺ ـ بني قريظة مما اقتضته سياسة الحرب وطبيعة

القبائل العربية واليهودية ، وكان لابد من عقوبة صارمة تكون درساً للعابثين بالعهود والمحالفات ونكالا لما بين يديها وما خلفها ، يقول R. V. C, Bodley في كتابه « حياة محمد الرسول » :

« كان محمد وحيدًا في بلاد العرب وكانت هذه البلاد من حيث المساحة ثلث الولايات المتحدة الأمريكية ، وكان عدد النفوس فيها يبلغ خمسة ملايين نفس ... ولم يكن عنده من الجيوش التي تحمل الناس على امتثال أمره إلا الجيش الذي لا يزيد على ثلاثة آلاف جندي ، ولم يكن هذا الجيش مسلحاً تسليحاً كاملاً ، فإذا وهن محمد في هذه القضية أو ترك جريمة غدر بني قريظة من غير أن يعاقبهم عليها ، لم يكن للإسلام في جزيرة العرب بقاء ، إنه لا شك أن عملية قتل اليهود كانت عنيفة ، ولكن لم يكن ذلك حادثا فريدا من نوعه في تاريخ الديانات ، وقد كان لهذا العمل مبرر من وجهة نظر المسلمين ، وقد تحتم الآن على القبائل العربية واليهود أن يتأملوا مرة بعد مرة قبل أن يقدموا إلى غدر أو نقض عهد ، لأنهم قد عرفوا عواقبه الوخيمة وشاهدوا أن محمداً يستطيع أن ينفذ ما يريده .

وقد كان من فوائد القضاء على آخر حصن من حصون اليهود في المدينة الضعف الذي طرأ على معسكر النفاق ، ونشاط المنافقين ، فقد أثر ذلك في معنويتهم ، وأفقدهم الشيء الكثير من الثقة ، والآمال الواسعة ، فقد كانوا آخر معقل من معاقلهم الكبيرة ، يقول الدكتور إسرائيل ولفنسون معلقا على غزوة بني قريظة :

« وأما المنافقون فقد خفت صوتهم بعد يوم قريظة ، ولم نعد نسمع لهم أعمالا أو أقوالاً تناقض إرادة النبي وأصحابه ، كما كان يفهم ذلك من قبل » .

وقد وافق ذلك قانون الحرب في شريعة بني إسرائيل ، فقد جاء في سفر التثنية (الإصحاح العشرون ١٠ - ١١ - ١٢ - ١٣) :

« حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح ، فإن أجابتك إلى الصلح ، وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ، ويستعبد لك ، وإن لم تسالمك ، بل عملت معك حربا ، فحاصرها ، وإذا دفع الرب إلهك إلى يدك ، فاضرب جميع

ذكورها بحد السيف ، وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها فتغتنمها لنفسك ، وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إلهك » .

وهذه كانت العادة المتبعة في بني إسرائيل في عهد أنبيائهم ، فقد جاء في التوراة :

« فتجندوا على مديان كما أمر الرب ، وقتلوا كل ذكر وملوك مديان قتلوهم فوق قتلاهم ، أوى وراقم ، وصور ، وحور ، ورابع خمسة ملوك مديان ،، وبلعام بن باعور قتلوه بالسيف وسبى بنو إسرائيل نساء كل مديان وأطفالهم ، ونهبوا جميع بهائمهم وجميع مواشيهم وكل أملاكهم ، وأحرقوا جميع مدنهم بمساكنهم وجميع حصونهم بالنار » . سفر العدد ، الإصحاح الحادى والثلاثون ٧ ـ ٨ ـ ٩ ـ ١٠ .

وذلك في عهد موسى ـ عليه السلام ـ وبموافقة منه ، وقد جاء في التوراة :

« فخرج موسى والعازار الكاهن وكل رؤساء الجماعة لاستقبالهم إلى خارج المحلة ، فسخط موسى على وكلاء الجيش رؤساء الألوف ورؤساء المئات القادمين من جند الحرب ، وقال لهم موسى : هل أبقيتم كل أنثى حية » سفر العدد ، الإصحاح الحادي والثلاثون ١٣ ـ ١٦ . أ هـ .

* * *

٢ ـ روايات في غزوة الأحزاب :

٤٤٧ ـ* روى الطبراني عن ابن عَباس قال : احتَفَرَ رَسول الله ﷺ الخَندَقَ ، وأصحابُه قدْ شَدُّوا الحِجَارَة عَلَى بُطُونِهِم مِنَ الجُوع ، فَلَمَّا رَأَى ذلكَ رَسول الله ﷺ قَالَ : « هَلْ دللتم عَلَى أَحَد يُطْعِمُنَا أَكْلة » قَالَ رَجُل : نعم قال : « أمَّالا فَتَقدَّم فَدُلّنا عَلَيه » فَانطَلَقُوا إلى الرجل فإذا هو في الخندق يُعالج نَصيبه مِنْه ، فَأرسَلَت امرأته أن جيء فإنَّ رَسول الله ﷺ قد أتَانَا ، فجاء الرَّجُل يَسعى فَقَال : بأبي وَأُمي ، وله مَعْزَةٌ وَمَعَهَا جَدْيُهَا فَوَثَب إليها ، فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ : « الجدْيَ مِنْ وَرَائنا » فَذَبَح الجدي وَعَمَدت امرأته إلى طحينة

---

٤٤٧ ـ المعجم الكبير (١١ / ٣٧٦) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٣١) : ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن أحمد ابن حنبل ونعيم العنبري ، وهما ثقتان .

=

لَها فَعَجَنَتها وَخَبَزَت فأدركت القِدرَ فثردتْ قصْعَتَها فَقَربَتها إلى رسول الله ﷺ وَأصحابه ، فَوَضع النبيُّ ﷺ أصْبَعَه فِيها فَقَالَ : « بسم اللهِ اللهم بَارِكْ فيها ، اطْعَموا » فَأكَلوا منْها حتَى صَدرُوا وَلَم يأكُلوا مِنْها إلا ثُلثَها وَبَقِي ثُلثَاها ، فَسَرَّح أولئكَ العَشرةَ الذين كانوا مَعَهُ « أنْ اذهَبُوا وسَرِّحُوا إلينا بِعِدَّتِكُم » ، فذهبوا وَجَاءَ أولئك العشرةُ فأكلوا مِنها حتى شَبعُوا ، ثم قَامَ وَدَعَا لَربة البيت وَسَمَّتَ عَلَيْها وَعَلى أهل بيتها ثم تمشَّوْا إلى الخَندق فقال : « اذهبوا بِنَا إلى سلمان » فإذا صَخْرة بَينَ يَدَيه قَد ضَعُفَ عَنها ، فَقَالَ النبي ﷺ لأصحابه : « دَعُوني فَأكونَ أولَ مَنْ ضَرَبَها ، فَقَالَ : بِسم الله » فَضَرَبها فَوَقَعت فِلْقَةٌ ثُلُثُها فقال : « الله أكبر قُصُورُ الرُّوم وَرَبِّ الكعبة » ثم ضَرَبَ بأخْرَى فوقعت فِلْقَةٌ فقال : « الله أكبر قُصُورُ فارسَ وربِّ الكعبة » فقال عِندها المنافقونَ : نحن نُخَنْدِقُ على أنفسنا وَهو يَعِدُنا قصورَ فَارسَ والروم .

٤٤٨ - * وروى الطبراني عن عَبدِ اللهِ بن عمرو قَالَ : أمَرَ رسولُ الله ﷺ بالخندق فَخَندَق عَلَى المدينة فَقَالوا : يارسول الله إنّا وجَدنا صَفاةً لا نَستطيع حَفرَها ، فَقَام النبي ﷺ وَقمْنا مَعَهُ فَلَما أتى أخَذَ المِعْوَل فَضَرَبَ به ضَرْبة وَكبَّرَ فَسَمعتُ هدَّةً لم أسمع مثلَها قطُّ ، فَقَالَ : « فُتِحَت فَارسُ » ثم ضَرب أُخْرى وَكَبّر فَسَمِعتُ هَدَّة لم أسمعْ مِثْلَها قَطُّ ، قال : « فُتِحَتْ الرُّوم » ثم ضَرَب أخرى وكَبّر فَسَمِعْتُ هَدّة لم أسمعْ مثلَها قطُّ ، فَقَالَ : « وَجَاء الله بِحِمْيَرَ أعواناً وأنصاراً» .

٤٤٩ - * روى مسلم عن أبي سَعيد الخُدْري رَضِيَ الله عنه قَال : أَخْبَرَني مَنْ هُوَ خَيرٌ

= فثردت : ثَرَدَ الخبزَ ثرداً : فتّه ثم بله بمَرَقٍ .
سَمَّتَ عليها : التسميت والتشميت : الدعاء .
الفلقة : القطعة .

٤٤٨ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٣١) ، وقال : رواه الطبراني بإسنادين في أحدهما حيي بن عبد الله ، وثقه ابن معين وضعّفه جماعة ، وبقية رجاله رجال الصحيح .
الصفاة : الصخرة .
الهدّة : الصوت والخسف .

٤٤٩ - مسلم (٤ / ٢٢٣٥) ٥٢ - كتاب الفتن وأشراط الساعة - ١٨ - باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل ، فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء .

مِنّي ـ أبو قتادةَ ـ أنَّ رسول الله ﷺ قال لِعمَّارٍ حين جَعَلَ يَحْفِرُ الخَندق ، وجعل يَمْسَح رأسه ، ويقول : « بُؤسَ ابنِ سُميَّةَ ، تقتُلُك فِئَةٌ باغية » وفي رواية [١] : مَن هو خَير مِنّي ، ولم يُسَمّه ، وفي أُخرى ويقول : « وَيْسَ ، أو ياوَيْسَ ابنِ سُمَيةَ » .

لقد وقع عدد من المعجزات في غزوة الخندق منها الذي ظهرت المعجزات فيه فيا بعد ، ومنه ما كان معجزة مرئية شاهدها أصحاب رسول الله ﷺ ، وهذه المعجزات كانت تثبيتا للمؤمنين وقتذاك ، وهي تثبيت للمؤمنين إلى قيام الساعة ، ومن معجزات الخندق تكثير الطعام عند جابر وسنراه في باب المعجزات ، ومنها فلقه عليه الصلاة والسلام الصخرة وما قاله أثناءها ومنها الإخبار عَمَّن يقتل عماراً ومنها إخباره أن قريشاً لن تغزوهم مرّة أخرى .

٤٥٠ ـ * روى البخاري عن أنسٍ رَضي الله عنه قالَ : جَعَلَ المهاجرونَ والأنصارُ يَحفِرونَ الخَندقَ حولَ المدينة ، وَينقلُون الترابَ على متُونهم ويقولون .

نَحن الذين بايعوا مُحمدا … عَلَى الجهاد ما بَقينا أبداً

قال : يقول النبي ﷺ وهو يُجيبُهم وَيَقول : « اللهم إنه لا خيرَ إلا خيرُ الآخرة ، فبارِكْ في الأنصار والمهاجرة » .

وروى البخاري [٢] أيضاً عن أنس رضي الله عنه قال : خَرَجَ رسول الله ﷺ إلى الخندقِ ، فإذا المهاجرونَ والأنصارُ يَحْفِرون في غَداةٍ بارِدَةٍ ، فلم يكُنْ لهم عبيدٌ يعملون ذلك لهم ، فلما رأى ما بهم من النَّصبِ والجوعِ قال : « اللهم إن العيشَ عيشُ الآخرة ، فاغفرْ للأنصارِ والمهاجرةِ » فقالوا مُجيبينَ له :

نَحنُ الذينَ بايعوا مُحمداً … عَلَى الجهادِ مَا بَقينا أبداً

= بؤس : ترحم لعار من الشدة التي يقع فيها .

وَيْسَ : كلمة تقال لمن يترحم عليه ، مثل : ويح ، وكذلك في حال الشفقة والتعطف .

(١) مسلم (٤ / ٢٢٣٦) .

٤٥٠ ـ البخاري (٧ / ٣٩٢) ٦٤ ـ كتاب المغازي ـ ٢٩ ـ باب غزوة الخندق وهي الأحزاب .

(٢) البخاري في نفس الموضع السابق .

المتن : الظهر . الغداة : هنا الصباح . النّصب : التعب .

٤٥١ - * روى البخاري عن أنس رَضيَ الله عنهُ قالَ : جَعل المهاجرون والأنصارُ يَحفِرون الخندق حَول المدينة ، ويَنقلُون الترابَ على مُتُونِهم وَهم يُقولون :

نَحنُ الذينَ بايعوا مُحمداً عَلَى الإسلام مَا بَقِينا أَبداً

قال يقولُ النبي ﷺ وهوَ يُجيبهم : « اللهمَّ إنَّه لا خيرَ إلا خيرُ الآخِرة ، فَبارك في الأنْصار والمهاجِرة » قَالَ : يُؤتَون بملء كفيْن من الشعير ، فيُصنع لهم بإهالة سَنِخة توضعُ بَينَ يَدَي القومِ والقومَ جياعٌ وهي بَشِعةٌ في الحلق وَلَهَا ريح مُنْتِنٌ » .

٤٥٢ - * روى البخاري ومسلم عن البَرَاء بن عازب رضي الله عنه قال : رأيتُ النبي ﷺ يوم الخندق ينقُلُ معنا التراب ، وهو يقول:

والله لولا اللهُ ما اهتدينا ولا صُمنا ولا صَلَّيْنا
فأنْزِلنْ سَكينةً علَيْنا وثَبِّتِ الأقْدامَ إن لاقَيْنا
والمشركون قد بَغَوْا علينا إذا أرادُوا فِتنةً أبينا

ويرفع بها صوته .

- وفي رواية [١] : ولقد وارى الترابُ بياضَ بَطْنِه .

- وللبخاري [٢] قال : كان رسول الله ينقُلُ التراب يوم الخندق حتى اغبرَّ بطنه - زاد في روايـة [٣] : حتى وَارَى عنّي الترابُ جِلدةَ بَطْنِه ، وكان كثيرَ الشعر ، فسمعته يرْتَجِزُ بكلمات ابن رَوَاحة ، ثم اتفقا - ويقول : «والله لولا اللهُ ما اهتدَينا » وذكر الحديث .

---

٤٥١ - البخاري (٧ / ٣٩٢) ٦٤ - كتاب المغازي - ٢٩ - باب غزوة الخندق ، وهي الأحزاب .
الإهالة : الشحم والزيت وكل ما ائتُدِمَ به .
سنخ : زنخ .
٤٥٢ - البخاري (١١ / ٥١٥) ٨٢ - كتاب القدر - ١٦ - باب (وماكنا لنهتدي لولا أن هدانا الله) .
ومسلم نحوه (٣ / ١٤٣١) ٣٢ - كتاب الجهاد والسير - ٤٤ - باب غزوة الأحزاب وهي الخندق .
(١) مسلم في نفس الموضع السابق .
(٢) البخاري (٧ / ٣٩٩) ٦٤ - كتاب المغازي - ٢٩ - باب غزوة الخندق ، وهي الأحزاب .
(٣) البخاري في نفس الموضع السابق .

قال : ويرفع بها صوته : « أبيْنا ، أبينا » .

فوائد : .

١ ـ إنّ مواساة القادة جندهم بمشاركتهم إياهم مهامّهم ، ومعاونتهم فيما هم مكلّفون به لم يزل من أخلاق القادة العظام الواثقين بأنفسهم ، على أنّ هؤلاء القادة لهم ملاحظ من هذه المشاركات أمّا محمد ﷺ فلقد كان هذا هديه وسنته عليه الصلاة والسلام مع أن تاريخ العالم لم يشهد حبًا ولا ثقة كالحب والثقة اللذيْن أعطاهما أصحاب محمد ﷺ لمحمد مما كان يغنيه أن يفعل شيئاً تكلفاً ، لكنّها العبودية لله والإخلاص له والطبع الصافي ، والفطرة المستقيمة التي تأبى التمييز وتكره التصنّع .

٢ ـ ومن حسن الإدارة توزيع العمل ، وتنشيط العاملين ، وترويحهم بحيث يقومون بأعلى الجهد وهم لا يشعرون بمشقة ذلك ، وإنك لترى هذا كلّه في حفر الخندق ، فالتوزيع حاصل ، والإنشاد يخفف أعباء العمل ، فكيف إذا كان رسول الله ﷺ يشارك في العمل والنشيد وهذا درس للقادة .

٣ ـ ولكن قل لي : كم من الرؤساء لو شاركوا جندهم العمل والنشيد وأكثروا من مخالطتهم تزداد محبتهم ويبقى احترامهم ، إنّ أكثر الخلق لو خالطتهم تنزل رتبتك عندهم ، ويقلّ احترامهم لك ، ولقد فطنت العرب لذلك فقالت (وجدت الناس : اخبُرهتَقْلَه [١]) لكنّ رسول الله ﷺ كلما ازداد خلطة زادت محبته وعظم احترامه ، إنها النبوة وإنه الكمال فهو كما وصفه علي رضي الله عنه من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة أحبّه [٢]) .

٤ ـ ما الهدف الاستراتيجي من الخندق ؟ .

عندما ندرس مخطّط المدينة المنورة ـ والخريطة اللاحقة تعطيك صورة عنه ـ فإنّك تجد أنّ جهة وحيدة هي التي يمكن أن يدخل فيها جيش المشركين معركة مواجهة كاملة هي

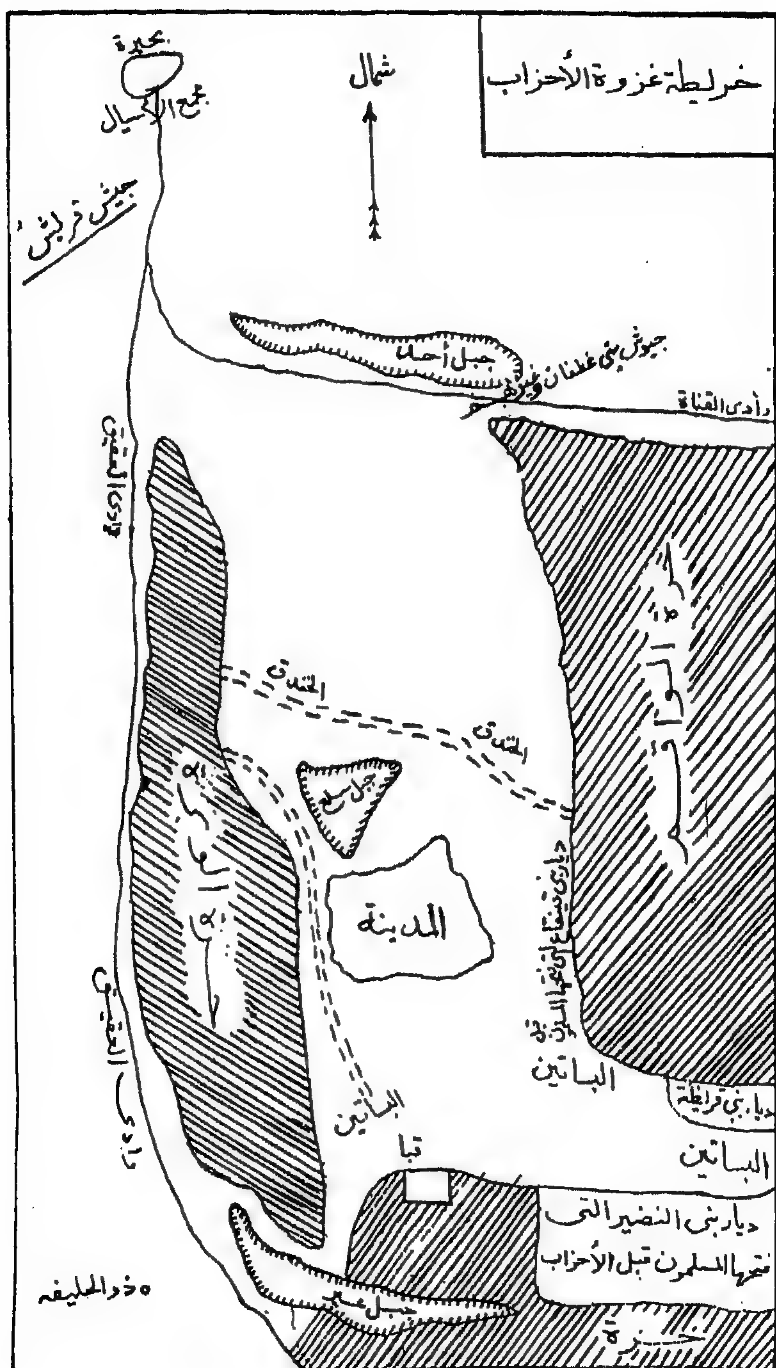
---

(١) قال في لسان العرب : القِلى البغْض ، يقول : جرب الناس ، فإنك إذا جربتهم قليتهم وتركتهم لما يظهر لك من بواطن سرائرهم ، لفظه لفظ الأمر ، ومعناه الخبر (مادة ق ل ي) .

(٢) الترمذي مطوّلاً (٥ / ٥٩٩) ٥٠ ـ كتاب المناقب ـ ٨ ـ باب ما جاء في صفة النبي ﷺ .

جهة الشمال من المدينة المنورة أمّا المناطق الأخرى فإن بعض هذا الجيش أو أفراداً منه يمكن أن يهاجموا ويدخلوا معركة مواجهة على شيء من المشقة وهذا وحده لا يشكل إشكالاً في المعركة ، فبحفره عليه الصلاة والسلام الخندق أخرج جيش المشركين من المعركة في الحقيقة لأنّ أي محاولة جزئية للهجوم يمكن ردّها من خلال السهام وسرعة الحركة . تصوّر الآن مجموعات سريعة الحركة مع جيش منتشر على أطراف المدينة ، إن هذا وحده كاف لأن يجهض أي محاولة اقتحام مع وجود الخندق ، وهذا الذي حدث يوم الأحزاب ، هجوم الجيش كله مستحيل ، هجوم أفراد منه يسهل صدّهم ، ولذلك فمع كثرة المحاولات لاقتحام الخندق أو لاقتحام جزء منه أو للهجوم على المدينة فإن ذلك كله باء بالفشل بسبب الخندق وسهر القيادة ومرونة الحركة ، ولكنّ هذا كلّه أصبح معرّضاً للخطر بسبب غدر قريظة فعندما تصبح أرض قريظة مرتكز انطلاق ، أو عندما تهاجم قريظة من الخلف فكل الوضع الا ستراتيجي سيتغير ، لأن هذا يعطي جيش المشركين كلّه فرصة عبور الخندق وفرصة القتال ويصبح المسلمون مطوّقين من كل جانب بأعداد هائلة ، ولذلك كانت غدرة قريظة بالمكان الأفظع ، فلقد عرّضت الإسلام والمسلمين لخطر الاستئصال ، ولعلّك من خلال هذه الصورة تدرك دقّة الأمر وخطورة الموقف ، وتعرف مع ذلك أنّها النبوّة والرسالة في كفاءتها العالية وتأييد الله لرسوله ﷺ وللمسلمين ، فلقد ربح المسلمون المعركة .

* * *


خريطة غزوة الأحزاب
شمال
بحيرة
مجمع الأسيال
جيش قريش
جبل أحد
جيوش بني غطفان وغيرهم
وادي القناة
وادي العقيق
الخندق
الخندق
جبل سلع
المدينة
ديار بني قينقاع التي فتحها المسلمون
البساتين
البساتين
ديار بني قريظة
البساتين
قبا
ديار بني النضير التي
فتحها المسلمون قبل الأحزاب
ذو الحليفة
جبل عير
حرة

روايات في يوم الخندق

٤٥٣ ـ * روى أحمدُ عن سعد بن أبي وقاصٍ قَالَ : كَانَ يَومَ الخَندقِ وَرَجُلٌ يَتَّرس جَعَلَ يَقُولُ بالتُّرسِ هكذا فَوَضَعَهُ فَوْقَ أنفِهِ ، ثُمَّ يَقُولُ هَكَذا يسفله بعد قَالَ : فَأهْوَيتُ إلى كِنَانَتِي فَأخْرَجْت مِنْها سَهْماً مُدَمَّى فوضعته في كَبِدِ القَوْس ، فَلَمَّا قَالَ هَكَذَا يَسفُل التُّرسَ رَمَيْتُ ، فما نَسيتُ وَقْعَ القِدح عَلى كَذَا وكذَا مِنَ التُّرسِ ، قَالَ : وَسَقَطَ فَقَالَ بِرجْله فَضَحِكَ نبيُّ اللهِ ﷺ ، أحْسَبُه قَالَ : حَتَّى بَدَت نَواجِذَه قال ، قلت : لم ؟ قال : لِفعْلِ الرجل .

ـ وفي رواية البزار [1] قَالَ : كَانَ رَجُل مَعَهُ تُرسَانِ وَكَانَ سَعْدٌ رَامِيًا فَكَانَ يَقُولُ كَذَا وكَذَا بالتُّرسَيْنِ يُغَطِّي جَبْهَتَه فَنَزَع لَهُ سَعْدٌ بِسَهْم فلما رَفَعَ رأسَهُ رَمَاهُ فلم يُخْطِ هذِهِ مِنْهُ يَعْني جَبْهَتَه . والباقي بنحوِ رواية أحمد .

٤٥٤ ـ * روى البخاري ومسلم عن عبد الله بنِ الزُّبَيْر رَضِي الله عَنْهما قَالَ : كُنت يومَ الأحزابِ جُعِلْتُ أنا وعُمَرُ بنُ أبي سَلَمة في النِّساء فَنَظَرتُ ، فإذَا أنا بالزُّبَيْرِ عَلَى فَرَسِه يَخْتَلفُ إلى بني قُرَيظَةَ مرتين أو ثلاثاً ، فَلَما رجعتُ قلتُ : ياأبَتِ ، رأيتُك تختلف ؟ قَالَ : أوَ هَل رأيْتَني يا بُنَيَّ ؟ قُلتُ : نَعَم ، قالَ : كَانَ رَسُولُ الله ﷺ قَالَ : « مَنْ يأتي بَني قُرَيْظَةَ فَيَأتِيني بِخَبرِهم ؟ » فانطلقت ، فلما رجعتُ جمعَ لي رَسُولُ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْه

---

٤٥٣ ـ أحمد في مسنده (١ / ١٨٦) .

يتَّرس : يعني يتوقّ بالترس بضم التاء المثناة فوق وهو من آلات الحرب التي يتّقى بها .

مُدَمَّى : بضم الميم الأولى وفتح المهملة وتشديد الميم الثانية مفتوحة قال في النهاية : المدمى من السهام الذي أصابه الدم فحصل في لونه سوادٌ وحمرة مما رمي بها العدو ويطلق على ما تكرر الرمي به والرماة يتبركون به .

القِدْح : القاف وسكون المهملة ، عود السهم .

فقال برجله : أي صار يحرّك برجله .

(١) البزار : كشف الأستار (٢ / ٣٢٤ ، ٣٣٥) .

وقال الهيثمي عنه وعن سابق في مجمع الزوائد (٦ / ١٢٥ ، ١٣٦) ورجالهما رجال الصحيح غير محمد بن الأسود ، وهو ثقة .

٤٥٤ ـ البخاري (٧ / ٨٠) ٦٢ ـ كتاب فضائل الصحابة ـ ١٣ ـ باب مناقب الزبير بن العوام .

ـ ومسلم نحوه (٤ / ١٨٧٩) ٤٤ ـ كتاب فضائل الصحابة ـ ٦ ـ باب من فضائل طلحة والزبير ، رضي الله عنهما .

يختلف : يتردد .

وَسَلَّم أبَوَيْهِ . فقال : « فِداكَ أبي وَأمي » .

ـ ولمسلم [١] في رواية : أُطَم حَسَّانٍ ، فكان يُطَأْطِئ لي مَرَّةً فأنظر ، وأُطأطِئ له مرة فينظر ... وذَكَرَهُ .

وأخرجَ منه الترمذي [٢] : قال جَمع لي رَسُولُ اللهِ ﷺ أبَوَيْهِ يوم قُرَيظة ، فقال : « بأبي وأمّي » .

٤٥٥ ـ * روى البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب : « مَنْ يأتينا بخَبر القَوْم ؟ » فقال الزبير : أنا ، ثم قال : « من يأتينا بَخبَر القَوم » فقال الزبيرُ : أنا ثم قال : « إنّ لِكُلّ نبيٍّ حوارياً ، وإن حَوَاريَّ الزبيرُ » .

وللبخاري ومسلم [٣] في رواية قال : نَدَبَ رسولُ الله ﷺ الناسَ يومَ الخندقِ ، فانتدب الزبيرُ .... » وذكره .

٤٥٦ ـ * روى الحاكم عن صفيةَ بنتِ عبدِ المطلب أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم لما خَرجَ إلى الخندقِ جعل نساءَه في أُطُم يقال له : فَارعٌ وجعلَ معهنّ حسَّانَ بنَ ثابتٍ ،

---

(١) مسلم في نفس الموضع السابق .

أُطم : بناء مرتفع وجمعه آطام .

يطأطئ لي : المقصود أن أحدنا يحمل رفيقه على ظهره أو كتفيه ليعلو وينظر ـ حيث كانا صغيرين ـ .

(٢) الترمذي (٥ / ٦٤٦) ٥٠ ـ كتاب المناقب ٢٣ ـ باب مناقب الزبير بن العوام رضي الله عنه .

٤٥٥ ـ البخاري (٧ / ٤٠٦) ٦٤ ـ كتاب المغازي ـ ٢٩ ـ باب غزوة الخندق ، وهي الأحزاب .

ومسلم نحوه (٤ / ١٨٧٩)٤٤ ـ كتاب فضائل الصحابة ـ ٦ ـ باب من فضائل طلحة والزبير ، رضي الله عنهما .

من يأتينا بخبر بالقوم ؟: المراد بالقوم هنا قريظة ، كما وضّحت ذلك الرواية السابقة .

ندبَ : بعث ووجه .

(٣) البخاري (٦ / ٥٣) ٥٦ ـ كتاب الجهاد ـ ٤١ ـ باب هل يبعث الطليعة وحده ومسلم (٤ / ١٨٧٩) .

٤٥٦ ـ المستدرك (٤ / ٥٠) ، كتاب معرفة الصحابة ، وقال : هذا حديث كبير غريب بهذا الإسناد ، وقد رُوي بإسناد صحيح . وأقره الذهبي . المعجم الكبير (٢٤ / ٣٢٢) ، دون ذكر قول عائشة .

وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٤٤) ، وقال : رواه الطبراني في الكبير والأوسط من طريق أم عروة بنت جعفر بن الزبير عن أبيها ، ولم أعرفها ، وبقية رجاله ثقات .

الأُطُم : البناء المرتفع .

فجـاءَ اليهودُ إلى الأُطُم يَلْتَمسونَ غِرَّةَ نِسـاء النبيّ صلّى اللهُ عليـهِ وآلـهِ وسلم ، فترقَّى إنسـانٌ منَ الأُطُم علينا ، فقلتُ له : ياحَسَّانُ قم إليه فَاقْتُله ، فقالَ : واللهِ ما كان ذلكَ فيَّ ولو كان ذلك فيَّ لكنتُ مع النبي ﷺ فقلتُ له : اربط هذا السيفَ على ذراعي فربطه فقمتُ إليه ، فضربتُ رأسه حتى قَطَعْتُه ، فقلتُ له : خذ بأُذُنيه فارم بـه عليهم فقـال : والله مـا ذلـك فيَّ فأخذت برأسه فرمَيْت به عليهم فتَضَعْضَعُوا وهم يقولون : قـد عَلِمْنـا أن محمداً لم يكن ليترك أهلَـه خُلوفًـا لَيس معهن أحدٌ . قـالتْ : وكان رسـولُ الله ﷺ إذا اشتـدَّ على المشركين شَـدَّ حسانُ معَ رسول الله ﷺ وهو معنـا في الحصن . فـإذا رَجَعَ رَجَعَ وراءَه كما يرجع رسول الله ﷺ وهو ثَمَّ فَمَرَّ بنـا سعـدُ بنُ مُعـاذ وقـد أخـذ صفرةً وهو مُعْرسٌ قبل ذَلِـكَ بـأيـام وهو يرتجز :

مهـلاً قليـلاً يلحـقِ الهيجـا جَمَـلْ   لا بـأسَ بـالمـوت إذا حـلَّ الأَجَـلْ

قالت عائشة رضي الله عنها : فما رأيتُ رجلاً أجمل منهُ في ذلك اليوم .

أقول : ومع تصحيح الحاكم للحديث ، وإقرار الذهبي ، وحفاظاً على حرمة الصحابة أنقل ما قال السهيلي في الروض الأنف :

وذكر حديث حسان حين جعل في الآطام مع النساء والصبيان ، وما قالت له صفية في أمر اليهودي حين قتلته ، وما قال لها ؛ ومحمل هذا الحديث عند النـاس على أن حسـانـاً كان جبـانـاً شـديـد الجبن ، وقـد دفع هـذا بعض العلمـاء ، وأنكره ، وذلـك أنـه حـديث منقطع الإسنـاد ، وقـال : لوصـح هـذا لهجي بـه حسـان ، فـإنـه كان يهـاجي الشعراء كضرار وابن الزبعري ، وغيرهما ، وكانوا يناقضونه ويردون عليـه ، فمـا عيره أحـد منهم بجبن ، ولا وسمه به ، فدل هـذا على ضعف حـديث ابن إسحـاق ، وإن صح فلعل حسان أن يكون معتلاً في ذلـك اليوم بعلـة منعتـه من شهود القتـال ، وهـذا أولى مـا تـأول وممن أنكر أن يكون هـذا صحيحاً أبو عمر رحمه الله في كتاب الدرر له أ هـ .

٤٥٧ ـ ٭ روى الطبراني عن رافِـع بن خَـديـجٍ : لم يكنْ حِصْنٌ أحصَنَ من حصنِ بني حـارثٍ

---

٤٥٧ ـ المعجم الكبير (٤ / ٢٦٨) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٣٣) : ورجاله ثقات .

=

فجعل النبي ﷺ النساء والصبيانَ والذراريَّ فيه فقال : إن أَلَمَّ بكنّ أحد فألمعن بالسيف ، فَجَاءهنّ رَجل من بَني ثَعلبة بن سَعد يقال له بَجْدان أحد بني جحاش على فَرَس حتى كَانَ في أصل الحصن ، ثم جَعَلَ يَقول للنساء : انـزلن إلى خَير لَكُنَّ فحركْنَ السيفَ فأبصره أصحاب النبي ﷺ فَابتدَر الحِصنَ قَومٌ فيهم رَجُل من بني حَارثَة يقال له : ظُهَيرُ بنُ رافعٍ ، فقال : يابَجْدانُ أبْرُزْ فَبَرَزَ إليه ، فَحَمَل عَلَيه فَرَسهُ فقتله ، وأَخَذَ رأسه فذهب به إلى النبي ﷺ .

٤٥٨ - * روى الطبراني عن نافعٍ قَالَ : قِيل لابن عمرَ : أيْنَ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُصَلِّي يومَ الأحْزَابِ ؟ قَال : كَانَ يُصَلِّي في بَطْنِ الشِّعْب عنْدَ خرْبَةٍ هُنَاكَ ، ولَقَدْ أَذِنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ في الانصِرَافِ للناسِ ثمَّ أمرني أنْ أَدْعُوهُم فَدَعَوْتُهم .

٤٥٩ - * روى البخاري ومسلم أن عمرَ بنَ الخطاب رضي الله عنه جاء يومَ الخندق بعدَ ما غَرَبَتِ الشمس جعل يسبّ كُفارَ قُريش وقال : يارسول اللهِ ما كدتُ أُصلي حتى كادت الشّمسُ أن تغرُبَ قالالنبيُّ ﷺ :« والله ما صلَّيتُها » فنَزلنا معَ رسولِ اللهِ ﷺ بُطْحان فتوضأنا لها ، فصلى العصرَ بعدَ ما غربتِ الشمس ، ثم صَلّى بعدها المغرب .

٤٦٠ - *روى الدارمي وابن خزيمة عن أبي سعيد الخدري : حُبِسنا يَومَ الخندق حتى ذهبَ هَويٌّ من الليل حتى كُفِينا وذلك قولُه ﴿ وكَفَى اللهُ المؤمنينَ القِتَالَ وكانَ اللهُ قَوياً عزيزاً ﴾[1] قالَ : فدعا رسولُ اللهِ ﷺ بِلالاً فأمَره فأقامَ فصلّى الظُّهرَ كما كانَ يُصلّيها في

= أَلَمَّ : أَلمَّ بالقوم : أتاهم فنزل بهم .
ألمعن : أشِرْنَ وَحرِّكْنَ .

٤٥٨ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٣٥) ، وقال : رواه الطبراني ، ورجاله ثقات .

٤٥٩ - البخاري (٧ / ٤٠٥) ، ٦٤ - كتاب المغازي - ٢٩ - باب غزوة الخندق ، وهي الأحزاب . ومسلم (١ / ٤٣٨) ٥ - كتاب المساجد ومواضع الصلاة - ٣٦ - باب الدليل لمن قال الصلاة الوسطى هي صلاة العصر .

٤٦٠ - الدارمي في مسنده (١ / ٣٥٨) ، كتاب الصلاة ، باب الحبس عن الصلاة وابن خزيمة في صحيحة (٢ / ١٠٠) ، كتاب الصلاة ، باب الصلاة جماعة بعد ذهاب وقتها . وأحمد نحوه في مسنده (٣ / ٢٥) .
- والنسائي نحوه (٢ / ١٨) عن ابن مسعود ، كتاب الأذان ، باب الاكتفاء بالإقامة لكل صلاة .
الهَويُّ : الساعة من الليل .

(١) الأحزاب : ٢٥ .

وقتها ، ثمّ أقامَ العَصْرَ فصلاها كذلكَ ثم أقامَ المَغربَ فصّلاها كذلـك ثم أقـامَ العِشـاءَ فصلاهـا كذلك وذلك قبلَ أن ينزلَ ﴿ فإنْ خِفْتُم فَرجالاً أو رُكباناً ﴾ (١).

والجمع بين الروايات القـائلـة بتـأخير العصر وحـدهـا والروايـات القـائلـة بتـأخير الظهر والعصر والمغرب ، أنّ هذا كان في يوم ، وهذا كان في يوم ، على رأي النووي رحمه الله .

* * *

فقه هذه الروايات :

وفي فقه هذه الروايات يقول ابن كثير في البداية والنهاية :

وقـد استـدل طـائفـة من العلمـاء بهـذه الأحـاديث على كون الصلاة الوسطى هي صلاة العصر كما هو منصوص عليه في هذه الأحاديث وألزم القاضي المـاوردي مذهب الشافعي بهذا لصحة الحديث وقد حررنا ذلك نقلاً واستدلالا عند قوله تعـالى : ﴿ **حـافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قـانتين** ﴾ (٢) ، وقـد استـدل طـائفـة بهـذا الصنيـع على جـواز تـأخير الصلاة لعـذر القتـال كما هـو مـذهب مكحـول والأوزاعي وقـد بـوب البخـاري ذلـك واستدل بهذا الحديث وبقولـه ﷺ يوم أمرهم بـالـذهـاب إلى بني قريظـة ـ كما سيـأتي ـ « لا يصلينّ أحـد العصر إلا في بني قريظـة » (٣) وكان من النـاس من صلى العصر في الطريـق ومنهم من لم يصلّ إلا في بني قريظة بعد الغروب ولم يعنف واحـداً من الفريقين ، واستـدل بمـا ذكره عن الصحـابـة ومن معهم في حصـار تُسْتَر سنـة عشرين في زمن عمر حيث صلـوا الصبح بعد طلوع الشمس لعذر القتال واقتراب فتح الحصن .

وقال الدكتور البوطي : لقد فـاتت النبي ﷺ صلاة العصر كما قـد رأيت في هـذه الموقعـة ،

---

(١) البقرة : ٢٣٩ .

(٢) البقرة : ٢٣٨ .

(٣) أخرجه البخاري (٧ / ٤٠٧) ، ٦٤ ـ كتاب المغازي ـ ٣٠ ـ باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب .
ومسلم (٣ / ١٣٩١) ٣٢ ـ كتاب الجهاد والسير ـ ٢٣ باب المبادرة بـالغزو ، وتقـديم أهم الأمرين المتعـارضين . ولكن بلفظ : « أن لا يصلين أحد الظهر إلا في بني قريظة ... » .

لشدة انشغاله ، حتى صلاها قضاء بعد ما غربت الشمس ، وفي روايات أخرى غير الصحيحين أن الذي فاته ، أكثر من صلاة واحدة ، صلاها تباعاً بعدما خرج وقتها وفرغ لأدائها .

وهذا يدل على مشروعية قضاء الفائتة . ولا ينقض هذه الدلالة ما ذهب إليه البعض من أن تأخير الصلاة لمثل ذلك الانشغال كان جائزاً إذ ذاك ثم نُسخ حينما شُرعت صلاة الخوف للمسلمين رجالاً وركباناً عند التحام القتال بينهم وبين المشركين ، إذ النسخ - على فرض صحته - ليس وارداً على مشروعية القضاء ، وإنما هو وارد على صحة تأخير الصلاة بسبب الانشغال . أي أن نسخ صحة التأخير ليس نسخاً لما كان قد ثبت من مشروعية القضاء أيضاً ، بل هي مسكوت عنها ، فتبقى على مشروعيتها السابقة .

ومن أدلة هذه المشروعية أيضاً ما ثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ قال عند منصرفه إلى المدينة من غزوة الأحزاب « لا يصلين أحد العصر - أو الظهر - إلا في بني قريظة » فأدرك بعضهم وقت الصلاة في الطريق فقال البعض : لا نصلي حتى نأتيها ، وقال بعضهم : بل نصلي ، لم يرد منا ذلك . فصلاها الفريق الأول بعد وصولهم إلى بني قريظة قضاءً .

إذا ثبت وجوب قضاء المكتوبة بعد فواتها ، فسيان أن يكون سبب الفوات نوماً أو إهمالاً وتركاً متعمداً ، إذ لم يرد - بعد ثبوت الدليل العام على وجوب قضاء الفائتة عموماً - أي دليل يخصص مشروعية القضاء ببعض أسباب التفويت دون بعضها الآخر ، والذين تركوها في طريقهم إلى بني قريظة ، لم يكونوا نائمين ولا ناسين . فمن الخطأ إذاً أن تخصص مشروعية قضاء الفائتة المكتوبة - مع ذلك - بما عدا التفويت المتعمد . وهو أشبه ما يكون بمن يخصصها ببعض المكتوبات دون بعض ، بدون أي مخصص شرعي .

وربما توهم البعض أنه قد ثبت دليل يخصص عموم أدلة مشروعية القضاء ، وهو المفهوم المخالف لحديث : « من نام عن صلاة أو نسيها ، فليصلها إذا ذكرها ، ولكن هذا وهم لا ينبغي أن يدخل على طالب علم متبصّر . فالمقصود بالحديث ليس هو أمر الناسي والنائم بقضاء الصلاة ، دون غيرهما ، ولكن المقصود التركيز على القيد ، وهو « إذا ذكرها » وذلك

للتنبيه إلى أنه لا يشترط لمن فاتته صلاة وأراد تداركها أن ينتظر حلول وقتها من اليوم الثاني ثم يؤديها إذ ذاك . بل عليه أن يبادر إلى قضائها بمجرد التذكر ، في أي وقت كان . فإذا عرفت أن هذا هو مقصود رسول الله ﷺ كما تدل على ذلك صيغة الحديث نفسها وكما ذكر ذلك علماء الحديث وشراحه عرفت أنه لا دلالة تشريعية تتعلق بالمفهوم المخالف للنوم أو النسيان في الحديث . أ هـ .

أقول : ثم إن المذاهب الأربعة اتفقت على وجوب القضاء على الناسي والنائم والمتعمد .

٤٦١ - * روى البزار عن أبي هريرة قال : جاء الحارثُ الغَطَفَاني إلى رسول الله ﷺ فقال : يامحمد ! ناصفنا تمر المدينةِ وإلا ملأناها عليك خيلا ورجالا فقال : « حتّى أستأمِرَ السُّعود » - سَعدَ بنَ عُبادةَ وسَعدَ بنَ مُعاذٍ يعني يُشاورهُما - ، فَقالا : لا والله ما أعطينا الدنيَّة من أنفسنا في الجاهلية ، فكيفَ وقد جاءَ اللهُ بالإسلامِ ؟ فرجَع إليه الحارثُ فأخبَرهُ ، فقالَ : غَدَرتَ يا محمدُ قال : فقال حسّانُ :

يا حارِ من يغدرْ بذمَّةِ جارِه ... منكم فإنّ محمداً لا يَغْدِرُ
إن تغدروا فالغدرُ من عاداتكم ... واللؤمُ ينبتُ في أصول السَّخْبر
وأمانة النهديّ حيث لقيتَها ... مثلُ الزجاجةِ صَدْعُها لا يُجْبَرُ

قال : فقالَ الحارثُ : كُفَّ عنا يامحمدُ لسانَ حسّانٍ فلو مُزِج به ماءُ البحر لمزجه .

ورواه الطبراني [(١)] ولفظُه عن أبي هريرةَ قال : جاءَ الحارث الغَطَفَانيُّ إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقالَ : يامحمدُ شاطرْنا تمرَ المدينةِ فقالَ : « حتّى أستأمِرَ السعودَ » فبعثَ إلى سعدِ بنِ معاذٍ وسعد بن عُبادةَ وسعدِ بن الربيع وسعد بن خَيْثَمةَ وسعد بن مسعود ، فَقالَ : « إني قد

---

٤٦١ - البزار : كشف الأستار (٢ / ٣٣١) ، كتاب الهجرة والمغازي ، باب غزوة الخندق . الدنيّة : الخصلة المذمومة .
السَّخْبر : شجر تألفه الحيات فتسكن في أصوله .

(١) مجمع الزوائد (٦ / ١٣٢) ، وقال عنه وعن رواية البزار السابقة : رواه البزار والطبراني ... ورجال البزار والطبراني فيهما محمد بن عمرو ، وحديثه حسن ، وبقية رجاله ثقات .
أقول : ذِكرُ سعدِ بن خيثمة وسعدِ بن الربيع وَهْمٌ من الراوي لأن خيثمة استشهد في بدر وابن الربيع استشهد يوم أُحُدٍ قبل الخندق .

عَلِمتُ أن العربَ قد رَمَتْكم عنْ قوسٍ واحـدةٍ ، وإنّ الحـارثَ سـألكم تُشـاطروه تمرَ المدينةِ فإنْ أردتُم أنْ تدفعوهُ عامَكم هذا ثمّ تنظروا في أمرِكُم بعدُ » .

فقالُوا : يا رسولَ اللهِ أَوَحْيٌ منَ السماء فالتسليمُ لأمرِ اللهِ أو عنْ رأيك وهواكَ فرأينا تبعٌ لِهوَاكَ ورأيكَ وإنْ كنتَ إنما تريدُ الإبقـاءَ علينـا فواللهِ لقدْ رأيتَنـا وإيـاهم على سوَاءٍ مـا ينـالونَ منّـا تَمْرةً إلا شراءً أو قِرىً. فقـال رسولُ الله ﷺ : « هو ذا تَسْمَعُون مـا يقـولُـون » قالوا : غَدَرت يامحمدُ . فقال حسانُ بنُ ثابتٍ رضي الله عنه :

يـا حـارِ من يغـدِر بـذمـة جـارِهِ ... منكم فـإن محمـداً لا يغـدِرُ
وأمـانـةُ المُرّيِّ حين لَقيتَهَـا ... كسرُ الـزجـاجـةِ صـدعُهـا لا يُجبَرُ
إن تغـدِروا فـالغَـدرُ من عـاداتِكم ... واللـؤمُ يَنبتُ في أصـولِ السَّخْبَرِ

هذا الحديث يطرح ثلاثا من أخطر القضايا التي تواجه الأمّة الإسلاميّة دائمًا :

القضية الأولى : قضيّة المصالحة على مال .

والقضيّة الثانية : قضيّة الشورى .

والقضيّة الثالثة : تفتيت الصف المعادي .

(١)

فلو أن كيان المسلمين في قطرٍ أو في العـالم تعرض لخطر الاستئصـال ، أو أنّ أمنهم أصبح في خطر فهل لهم في هذه الحالة أن يعطوا تنازلات ماديّة ولو بـأن يـدفعوا مـالا ؟ الظـاهر من الحديث أنّ ذلك جائز ولكنه ليس مفروضاً ، وقد نصّ فقهاء الحنفيّة على هـذه المسـألـة فأجازوا دفع المال للعدو إذا أصبح يهدّد الوجود الإسلامي .

والمسألة في عصرنا قد تـأخـذ طـابعـاً أكثر تعقيـداً فقـد تصبح في خطر خفيّ أو تتعرض لخطر خفيّ وَجِهَـةٌ مـا هي القـادرة على الإنقـاذ ، وهي لا تفعـل إلّا بشروط ، فـإذا كانت الشروط مـاديّـة بحتـة فللمسلمين ذلـك ، ولهم ألّا يفعلـوا والفتـوى من أهلهـا ، والشـورى والمصلحـة هي التي تحكم هـذه الأمـور ، وقـد تشتبـك المصـالـح وتتعـارض مصـالـح الأمّـة

والأفراد . والحاكم والمحكوم ، وكلّ ذلك ينبغي أن يخضع إلى موازنات عند أهل التقوى لتقرير ما هو المصلحة في النهاية .

(٢)

والقضيّة الثانية هي إلزاميّة الشورى ، فههنا نرى أنّ رسول الله ﷺ نزل على رأي السّعْدَيْنِ وهما مُمَثّلا الأنصار ، وبعض الروايات تذكر أنّ هذا النزول كان بعد أن كتب رسول الله ﷺ العقد ولكنّه لم يمضه ، وَكذلك نزل عليه الصلاة والسلام على رأي الأكثريّة يوم أحد ، هذا النزول على رأي ممثليْن لجهة أو على رأي الأكثريّة يجعلنا نقول بإلزاميّة الشورى للأمير ولكنّها إلزاميّة تخضع لقواعد فصلناها في أكثر من مكان في كتبنا ، فالشورى ينبغي أن تعطى لأهلها وإذا أعطيتْ لأهلها فرأي أكثريتهم ملزم في نفي الضرر أو في استجلاب المصلحة ، ومع ذلك يعطي الأمير فرصة تعميم الشورى على دائرة أدنى أو أعلى ، ولكن يبقى رأي الأكثريّة هو الملزم ، وكلّ ذلك على ضوء القواعد الدستوريّة أو النظاميّة المتّفق عليها بين المسلمين ، وإنّما نَشترط هذا لأنّ بعض العلماء لا يرى إلزاميّة الشورى للأمير ، فإذا ما وجد شرط الإلزاميّة لم يعد لأحد متكأ في رفض شورى الأكثريّة من أهلها (فالمسلمون عند شروطهم)[1] ، وعندئذ فللمرشح للإمرة الحق في أن يقبل الإلزامية فيكون أميرا أو يرفض فلا يكون ، وللذين يرفضون إلزاميّة الشورى نقول : إنّ رسول الله ﷺ نزل على رأي الأكثريّة يوم أحد وهو يعلم أن رأيهم خطأ ، وهاهو هنا نزل على رأي ممثّلي الأنصار وهم أصحاب العلاقة مع أنّه كان مقتنعا بوجهة النظر الأخرى ، أليس هذا يدلّ في حدّه الأدنى على سنّيّة النزول على رأي الأكثريّة صاحبة العلاقة ، فإذا كانت المسألة في حدّها الأدنى سنّة ، ألا يحقّ للمسلمين أن يعتمدوها ؟ ألم يشترط الخضر على موسى وهو ـ أي الخضر ـ دونه ؟ والتزم موسى ، ألا يكفي هذا للقول : بأنّ المسلمين إذا اشترطوا على أميرهم أن ينزل على شوراهم فلهم ذلك ! أليس مصلحة المسلمين في عصرنا تستدعي ذلك ؟ وهل يسع عصرنا

---

(١) ذكره البخاري معلقاً (٤ / ٤٥١) ٣٧ ـ كتاب الإجارة ـ ١٤ ـ باب أجر السّمسرة .

ـ وأبو داود مطولاً (٣ / ٣٠٤) ، كتاب الأقضية ، باب في الصلح . عن أبي هريرة بلفظ (على شروطهم) .

إلا هـذا ؟ على أنّه لا مـانـع أن يفـوّض المسلمـون من شـاؤوا في أمر أو حكم فضلا عن أن يفوّضوا أميرهم ، وفي حادثة حكم سعد في بني قريظة مأنس لمن يرى ذلك .

(٣)

قوله عليه الصلاة والسلام في تعليل مفاوضته لغطفـان على ثلث ثمار المدينـة (إني قـد علمت أنّ العرب قد رمتكم عن قوس واحدة) دليل لما ذكر من قبل أنّ رسول الله ﷺ كان يستهدف في عمله السياسي ألّا يجتمع الأعداء عليه صفّا واحدا وموقفه ههنا دليل على أنّ هـذا كان هدفا له ، وهذا يصل بنا إلى عدد من الأمور :

١ ـ أن تحاول الحركة الإسلاميّة التفتيش عن ثغرات القوى المعادية .

٢ ـ أنّ محاولة التحالفات مع بعض الأطراف لا حرج منها ، فالهدف الاستراتيجي حيّد من تستطيع تحييده ، اجعل في جانبك من تستطيع كسبه ، فتّش عن المتعاطفين معـك مهما كانت الأسبـاب ، واجعل ثقتـك في هـذا بـالله أوّلا وأحكم التوكّل عليـه ، ولا تنسَ الفتـوى والشورى والمصلحة الآنيّة والمستقبليّة للإسلام والمسلمين .

* * *

هزيمة الله عز وجل للأحزاب :

٤٦٢ ـ * روى أحمد عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ قال : قلنا يومَ الخندق : يارسول الله هل من شيء نَقولـه فقـد بلغتِ القلـوبُ الحنـاجرَ ؟ قـال : « نعم : اللهم استُرْ عَـوراتِنـا وآمِنْ رَوْعاتِنا » . قال فضَرَبَ الله عز وجل وُجوهَ أعدائه بالريح .

٤٦٣ ـ * روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن أبي أوفى قـال : دعـا رسولُ الله ﷺ على الأحزاب فقال : « اللهم مُنْزِلَ الكتابِ سريعَ الحسابِ اهزِمِ الأحزابَ . اللهّم اهزمْهم

---

٤٦٢ ـ أحمد في مسنده (٣ / ٣) .

٤٦٣ ـ البخاري (٦ / ١٠٦) ٥٦ ـ كتاب الجهاد ـ ٩٨ ـ باب الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة .

ومسلم (٣ / ١٣٦٣) ٣٢ ـ كتاب الجهاد والسير ـ ٧ ـ باب استحباب الدعاء بالنصر عند لقاء العدو .

وزَلْزِلْهم » وفي [1] رواية : « اللهم اهزمْهم وانصُرنا عليهم » .

٤٦٤ ـ * روى البزار عن حذيفةَ أن الناسَ تَفرّقُوا عَنْ رَسولِ اللهِ ﷺ ليلةَ الأحْزَاب ، فَلَمْ يَبْقَ مَعَهُ إلاَّ اثنا عشرَ رَجُلاً ، فَأَتَاني رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَنَا جَاثِمٌ مِنَ النَّوْمِ ، فَقَالَ : « يَاابنَ اليَمَانِ ! قمْ فَانْطَلِق إلى عَسْكَرِ الأحْزابِ . فَانْظُرْ إلى حَالِهم » قُلتُ : يَارسُولَ اللهِ ! وَالذي بَعَثَكَ بالحَقِّ مَا قُمْتُ إليْكَ إلّا حَياءً من البَرْدِ . قَالَ : « انْطَلِق يَا ابنَ اليَمَانِ ، فَلاَ بَأْسَ عَلَيكَ مِنْ برْدٍ وَلاَ حَرٍّ ، حَتَّى تَرْجعَ إليَّ » فَانْطَلَقْتُ حَتىً آتِيَ عَسْكَرَهُم . فَوَجَدْتُ أبا سُفيانَ يُوقِدُ النَّارَ في عُصبةٍ حَوْلَهُ ، وَقَدْ تَفَرّقَ الأحْزابُ عَنْهُ ، فَجئْتُ حَتَّى أَجْلِس فِيهم ، فأحسَّ أبو سُفيانَ أنَّهُ قَدْ دَخَلَ فيهمْ مِنْ غَيْرِهِمْ ، فَقَالَ : لِيَأْخُذْ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُم بَيَد جَليسهِ ، قَالَ : فَضَرَبتُ بِيَدي عَلَى الذِي عَنْ يميني فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ ، ثُمَّ ضَرَبْتُ بِيَدي عَلَى الذِي عَنْ يَسَاري فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ . فَلَبِثْتُ فِيهِمْ هنيهة ، ثُمَّ قُمْتُ ، فَأَتَيْتُ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي ، فَأَوْمأَ إليّ أن أدْنُو . فَدَنَوتُ حَتّى أَرْسَل عَليَّ مِنَ الثَوبِ الذي كَانْ عَلَيهِ لِيُدْفِئَني ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ صَلاتِه قالَ : « ياابْنَ اليمانِ ! اقْعُدْ ، مَا خَبَرُ النَاسِ ؟ » قُلتُ : يارسولَ اللهِ ! تَفَرق النَاسُ عَنْ أبي سُفيانَ فَلَمْ يَبقَ إلّا فِي عصبةٍ يُوقِدُ النارَ ، وقَدْ صَبَّ اللهُ عَلَيهِمْ مِنَ البَرْدِ مِثْلَ الذي صَبَّ عَلَينَا ، وَلَكِنَّا نَرْجُو مِنَ اللهِ مَالا يَرْجُونَ .

٤٦٥ ـ * روى الطبراني عن ابنِ عُمَرَ قال : بَعَثَني خَالي عُثْمانُ بنُ مَظْعونٍ لآتِيَهُ بلحافٍ فَأَتيْتُ النبي ﷺ فَاسْتَأْذَنْتُهُ وَهُوَ بالخَندق فَأَذنَ لي ، وقَال : « مَنْ لَقيتَ ، فقلْ لَهُم إن

---

(١) البخاري (٦ / ١٢٠) ٥٦ ـ كتاب الجهاد ـ ١١٢ ـ باب كان النبي ﷺ إذا لم يُقاتل أول النهار أخَّر القتال حتى تزول الشمس .

٤٦٤ ـ البزار : كشف الأستار (٢ / ٣٣٥) ، كتاب الهجرة والمغازي ، باب غزوة الخندق .

وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٣٦) ، وقال : رواه البزار ، ورجاله ثقات .

جاثم : من النوم : جثم : لزم مكانه .

إلّاحياءً من البرد : أي : إلّاحياءً منك بسبب شدة البرد .

٤٦٥ ـ أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٣٥) ، وقال : رواه الطبراني في الكبير والأوسط ، ورجاله رجال الصحيح .

فاستأذنته : أي في الرجوع إلى بيتي من شدة البرد .

=

رَسُولَ اللهِ ﷺ يأمُرُكُم أن ترجعوا » وكَانَ ذَلِكَ في بردٍ شَديـدٍ فَخَرجْتُ وَلَقيتُ النـاسَ فقُلتُ لَهمْ : إنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يـأمركم أَنَ تَرجِعُـوا ، قَـالَ ، فَـلا واللهِ مَـاعَطَفَ عَلَيَّ مِنْهم اثْنانِ أَوْ وَاحِدٌ .

الظاهر أنّ الناس لم يلتفتوا لكلمة ابن عمر لصغره ؛ ولأنّ الإذن كان قد حصل مباشرة قبل ذلك ، والبرد شديد .

٤٦٦ - * روى مسلم عن يزيدَ بنِ شُريْكٍ رَحمه الله قَالَ : كُنَّا عِنـد حُـذَيفة ، فَقَال رَجُلٌ : لو أَدْركتُ رسولَ الله ﷺ ، قَاتلتُ معَهُ وأبليتُ ، فَقَالَ حُـذَيفةُ : أنت كنتَ تَفْعلُ ذلِكَ ؟ لَقَدْ رَأيتُنا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ليلةَ الأحْزابِ ، وأخـذَتْنـا ريحٌ شـديـدَةٌ وقُرٌّ ، فَقَالَ رَسولُ الله ﷺ : « أَلاَ رَجلٌ يـأتينا بخبر القَوْم ، جَعَلـه الله معي يومَ القِيَـامـة ؟ » فَسَكَتنا ، فلم يُجِبْهُ مِنَّا أحدٌ ، ثم قال : « أَلا رجلٌ يأتِينَا بِخَبَرِ القَوم ، جَعَلـه الله مَعِي يَومَ القِيَامةِ ؟ » فَسَكَتنا ، فلم يُجِبْهُ مِنَّا أحدٌ ثم قال : « ألا رجلٌ يأتِينَا بخبَرِ القَومِ ، جَعَلَـهُ الله معِي يومَ القِيَامة ؟ » فسكتنا فلم يجبه منا أحد ثم قال : « ألا رجلٌ يأتينـا بخبرِ القَومِ ، جَعَله الله معي يَومَ القيامـة ؟ » فسكتنَـا ، فَلَم يَجبـه منَّـا أحد ، فقـال : « قُمْ يا حذيفةُ فَائتِنا بخبر القوم » فلم أجِدْ بُداً إذ دعـاني بـاسمي أن أقوم ، قـال : « اذهبْ ، فـائتني بخبر القـوم ، ولا تَـذْعَرْهُم عليَّ » ، فلما وَلَّيْتُ مِنْ عنـدِه جعلتُ كأنمـا أمشي في حَمَّام حتى أتيتُهم ، فرأيت أبا سفيان يَصْلَى ظَهْرَهُ بـالنـار ، فوضعْتُ سهماً في كَبِدِ القوسِ ، فأردتُ أنْ أَرْمِيَهُ ، فذكرتُ قولَ رسول اللهِ ﷺ : ولا تَـذْعَرْهُم عليَّ ، ولو رميتُـه لأصبتـهُ ، فرجعتُ وأنـا أمشي في مثـل الحَمّام ، فلما أتيتُـه فـأخبرتـه بخبر القَـومِ ، وَفَرَغْتُ ، قُرِرتُ ،

= عطف : رجع وانصرف .

٤٦٦ - مسلم (٣ / ١٤١٤) ٣٢ - كتاب الجهاد والسير - ٣٦ - باب غزوة الأحزاب .

لاتذعرهم : أي : لا تفزعهم ولا تحركهم عليّ .

يَصْلي ظهرهُ : صليتُ اللحمَ أَصْليه صَلْياً : إذا شويتُه ، وصليتُ الرجل ناراً : إذا أدخلتُه فيه ، فجعلته يصلاها ، والمراد به هاهنا : إدْفاءُ ظهره بالنار .

كَبِدُ القَوْسِ : وَسطُها .

قُرِرْتُ : أقرّ : أي أصابني القرُّ ، وهو البرد .

فَـألبَسَنِي رَسولُ اللهِ ﷺ من فَضْـل عَبَـاءةٍ كانت عليـه يُصَلّي فيهـا . فَلَم أَزَلْ نـائمـاً حتى أصبحتُ ، فلما أصبحتُ قال : « قم يا نَوْمَانُ » .

٤٦٧ ـ * روى البخارى عن سليمانَ بنِ صُرَدٍ رضي اللهُ عَنْهُ قَـالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يقول : ـ حين أجْلَى الأحْزابَ عَنْهُ ـ « الآن نَغْزُوهُم ولا يَغْزُونَنَا ، نَحن نَسيرُ إليْهم »

قال الحافظ في « الفتح » : وفيه علم من أعلام النبوة ، فإنه ﷺ اعتمر في السنة المقبلـة ، فصدتـه قريش عن البيت ، ووقعت الهـدنـة بينهم إلى أن نقضوهـا ، فكان ذلـك سبب فتح مكة ، فوقع الأمر كما قال ﷺ .

وروي [1] عن جابرِ بن عَبْد الله أن رسُولَ اللهِ ﷺ قال يَوم الأحزَابِ ، وقَد جَمعوا لـهُ جُمُوعاً كثيرة فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « ولا يَغْزُوكم بَعْدهَا أبداً ، ولكن تَغْزُوهم » .

٤٦٨ ـ * روى الطبراني عن ابنِ شهاب قَالَ : استُشْهِدَ يَومَ الخَنْدقِ مِنَ الأنْصَـارِ أنسُ بنُ مُعاذِ بن أوسِ بنِ عبدِ عمروٍ . وَمِنَ الأنْصَار ثُمَّ مِنْ بَنِي سَلمة : ثعلبةُ بن غنمةَ .

قال ابن كثير في البداية والنهاية :

قال ابن إسحاق : واستشهد من المسلمين يوم الخندق ثلاثـة من بني عبـد الأَشْهَلِ ، وهم : سعـدُ بن معـاذ وأنسُ بن أوس بن عَتِيـك بن عمرو ، وعبـدُ الله بن سهـل . والطفيـل بن النعمان ، وثعلبة بن غَنَمـة الجُشَميـان السّلِميـان وكعب بن زيـد النَّجّـاري أصـابـه سهم غَرْب فقتله قـال : وقتل من المشركين ثلاثـة وهم : منبـه بـن عثمان بن عبيـد بن السبـاق بن عبد الدار أصابه سهم فمات منه بمكة ونوفل بن عبـد الله بن المغيرة اقتحم الخنـدق بفرسـه فتورط فقتل هناك وطلبوا جسده بثمن كبير وعمرو بن عبد وُدٍّ العامري قتله علي بن أبـي طـالـب

= ياتومان : النَّومان : كثير النوم ، قال الجوهري : وهو مختص بالنداء .

٤٦٧ ـ البخاري (٧ / ٤٠٥) ٦٤ ـ كتاب المغازي ـ ٢٩ ـ باب غزوة الخندق ، وهي الأحزاب .

(١) البزار : كشف الأستار (٣ / ٣٣٦) كتاب الهجرة والمغازي ، باب غزوة الخندق .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٣٩) رواه البزار ، ورجاله ثقات .

٤٦٨ ـ أورده الهيثمي في مجمع الزاوئد (٦ / ١٤٢) ، وقال : رواه الطبراني ، ورجاله رجال الصحيح .

قال ابن هشام : وحدثني الثقة أنه حدث عن الزهري أنه قال : قَتل عليٌّ يومئذ عمرو بن عبد وُدٍّ وابنه حِسْل بن عمرو . قال ابن هشام : ويقال عمرو بن عبد ودٍّ ويقال : عمرو بن عبد أ هـ .

٤٦٩ - * روى أحمد عن عائشة قَالَت : خَرَجْتُ يَوْمَ الخَندق أقفُو آثارَ الناسِ ، قالت ، فَسَمِعتُ وَئِيدَ الأرْضِ ورائي - يعني حِسَّ الأرض - قَالَت : فَالتفَتُّ فإذَا أنا بسَعد بنِ مُعَاذٍ وَمَعَهُ ابنُ أخيهِ الحارث بنُ أوْسٍ يَحْمِلُ مِجَنَّةً قالت : فجَلَستُ إلى الأرْضِ فمرَّ سعدٌ وَعَلَيْه دِرْع مِنْ حَديد خَرجَت منها أطْرافه فَأنا أتَخَوَّفُ عَلى أطرَاف سَعدٍ ، قالتْ : وكانَ سَعْدٌ مِنْ أعظَمِ النَّاسِ وَأطولهم ، قَالَتْ : فَمَرَّ وَهُوَ يَرْتَجِزُ وَيَقُول :

لبِّث قَليلاً يُدرِكُ الهَيْجَا جَمَلْ   مَا أحسنَ الموتَ إذا حَانَ الأجَل

قَالَت : فَقُمتُ فاقتَحَمْتُ حَديقَةً ، فإذا فيها نَفَرٌ مِنَ المسْلِمينَ ، وإذَا فِيهم عُمر بنُ الخَطَّابِ وَفيهم رجلٌ عليه سبغةٌ له يعني مغْفَراً ، فَقَالَ عمَرُ : ما جَاء بِكِ ؟ لعَمْري وَاللهِ إنَّكِ لجريئةٌ ، وَمَا يُؤْمِنُك أن يَكونَ بَلاءٌ أو يكونَ تَحوُّزٌ ؟ قَالت : فَمَا زَالَ يَلُومُني حَتَّى تمنَّيْتُ أن الأرض انشقتْ لي سَاعتئذ فدخلتُ فيها ، قَالت : فَرَفَعَ الرَّجُل السَّبْغَةَ عَنْ وَجْهِهِ فإذَا طَلحةُ بن عُبَيدِ اللهِ ، فَقَالَ: ياعمرُ وَيْحَكَ ، إنَّكَ قد أكْثَرْتَ منذُ اليومَ : وَأيْنَ التَّحَوزُ أو الفِرَارُ إلا إلى اللهِ عَزَّ وَجَل ، قَالَتْ وَيَرْمِي سَعْداً رجلٌ من المُشْرِكين مِنْ قرَيش يُقَالُ له ابن العَرِقَةِ بِسَهْمٍ لَه فَقَالَ لَه خُذْهَا وَأنا ابن العَرِقَة فَأصَابَ أكْحَله فقطعه فدعَا اللهَ عز وجل

---

٤٦٩ - أحمد في مسنده (٦/ ١٤١) . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٣٦) : رواه أحمد ، وفيه محمد بن عمرو بن علقمة ، وهو حسن الحديث وبقية رجاله ثقات .

- وأورده الحافظ ابن الكثير في تاريخه (٤ / ٢١٤) ثم قال : وهذا الحديث إسناده جيد وله شواهد من وجوه كثيرة . وفيه التصريح بدعاء سعد مرتين مرة قبل حكمه في بني قريظة ومرة بعد ذلك كما قلنا أولاً ولله الحمد والمنة .

المجنة : بكسر الميم وفتح الجيم ، هو الترس ؛ لأنه يواري حامله أي يستره والميم زائدة .

المِغْفر : بوزن المنبر ، هو ما يلبسه الدارع على رأسه من الزرد ونحوه .

السَّبْغة : شيء من حلق الدروع ، والزرد يعلق بالمغفر دائراً معه يستر الرقبة وجيب الدرع .

التحوُّز : المراد بالتحوز : الإشارة إلى قوله تعالى : ﴿ أو متحيزاً إلى فئة ﴾ .

الأكحل : عرق في وسط الذراع في كل عضو منه شعبة .

=

سعدٌ فَقَالَ اللهمّ لا تُمِتْني حتى تُقِرَّ عَيْنِي من قريظة ، قالت : وكانوا حلفاءه وَمَوالِيَهُ في الجاهلية ، قالت فَرَقأَ كَلْمُهُ وبَعَثَ الله عزّ وجلّ الريحَ على المشركينَ فكفى الله عز وجَل المؤمنينَ القتالَ وَكانَ الله قَوياً عزيزاً ، فَلَحِقَ أبو سُفيانَ وَمَنْ مَعَهُ بِتِهَامة ، وَلَحِق عُيَيْنَةُ بنُ بدرٍ وَمَن مَعَهُ بنَجْد ورَجَعَتْ بنو قُريظة فتحصَّنُوا في صَيَاصيهم ، وَرَجَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إلى المدينَةِ فَوَضَعَ السِّلاحَ ، وأَمرَ بَقبَّة مِن أَدَم فَضُرِبَت على سَعدٍ في المسجد ، قالتْ : فجاءَه جبريل عليه السلامُ وإن على ثَنَايَاهُ لَنَقْعَ الغُبار ، فقال : أقَدْ وَضَعْتَ السلاحَ ؟ واللهِ ما وَضَعَتِ الملائكةُ بعدُ السلاحَ ، اخرُجْ إلى بني قُريظَةَ فَقَاتِلْهُم . قالت : فَلَبِسَ رَسولُ اللهِ ﷺ لأْمتَهُ ، وأَذَّنَ في الناسِ بالرَّحِيلِ أَنْ يَخْرجُوا فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَمَرَّ عَلَى بَني غَنْمٍ وهم جيران المسجدِ حَولَه ، فقَالَ : « مَنْ مرَّ بكم ؟ » فَقَالوا : مرَّ بنا دِحْيةُ الكلبي . وَكَانَ دِحْيَةُ الكلبي تُشْبِهُ لحيتُهُ وسِنُّه ووجهُه جبريلَ عليه السلام ، فَقَالت : فأتاهُم رسولُ اللهِ ﷺ فحاصرهم خَمْساً وعشرينَ ليلةً ، فلما اشتدَّ حَصْرُهُم واشتدَّ البلاءُ قيلَ لَهُم . انزلُوا على حُكْمِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فاستَشَارُوا أَبَا لُبَابَةَ بنَ عَبْدِ المُنْذِر ، فَأَشَار إليهم أنهُ الذَّبْحَ قالوا : ننزل على حُكمِ سعدِ بن معاذ ، فقَال رسول اللهِ ﷺ « انزِلوا على حكمِ سعدِ بنِ معاذٍ » فَنَزَلوا وَبَعَثَ رَسولُ اللهِ ﷺ إلى سعد بن معاذ فَأُتِيَ به على حمارٍ عَلَيْه إِكَافٌ من ليف قد حُمِلَ عَليه وَحَفَّ به قَومُه ، فَقَالوا : ياأبا عَمرو حلفاؤكَ ومواليكَ وَأَهلُ النِّكايةِ وَمَنْ قد عَلِمتَ ، قَالت : وإنه لا يرجِعُ إليهم شَيئاً ولاَ يَلتَفِتُ إليهم ، حَتّى إذا دَنَا مِنْ دُورِهِم التفتَ إلى قَومِهِ فقال : قد أنى لي أنَ لا أبالي في الله لَوْمَة لائم ، قال : قال أبو سعيد : فَلَمَّا طَلَعَ عَلَى

= رقأ : الدمع والدم : جَفَّ وسكن وانقطع .

كَلْمة : بفتح الكاف وسكون اللام ، أصل الكلم : الجرح ، والكليم : الجريح .

صياصيهم : أي حصونهم ، جمع صيصية ، وكل شيء امتنع به وتحصن به فهو صيصية .

أدَم : الأدم : الجلود .

ثناياه : الثنايا : الأسنان المتقدمة .

النقع : هو الغبار كما فسره الراوي ، والمعنى أن أثر غبار الحرب باقٍ عليه .

الإكاف : هو ما يشد على ظهر الحمار ، كالرجل للبعير والسرج للفرس .

أنى : معناه : آن لي أن لا أبالي ، بمعنى آن ، قال في النهاية : هل أنى الرحيل ؟ أي : حان وقته ، تقول : أنى يأنى ، وفي رواية هل آن ؟.

=

رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ : « قُومُوا إلى سَيدكم فَـأَنزلُوه » فقـال عمر : سيدُنـا الله عز وَجَلَّ ، قـال : أنزلوهُ فأنزَلوه قال رسول الله ﷺ : « احْكُم فِيهِم » قـال سعدٌ : فـإني أحكم فيهم أنْ تُقْتَـل مقاتلتُهم وَتُسبَىٰ ذراريهم وتُقْسَمَ أموالُهم . وقالَ يزيدُ ببغـداد : ويقسم : فقـال رسول الله ﷺ : « لقد حكمتَ فيهم بحكم الله عز وَجَلَّ وحُكْم رَسُوله » قَـالت : ثم دعـا سعدٌ قـال : اللهم إنْ كنتَ أبقيتَ على نبيك ﷺ منْ حربِ قريش شيئاً فـأبقني لَهَـا ، وَإن كنت قَطَعْتَ الحربَ بينَهُ وبينَهُمْ فاقبضني إليكَ ، قالتْ : فـانفَجَرَ كَلْمُـه وكان قـد بَرئَ حتّى مـا يُرَى مِنـهُ إلاّ مثلَ الخُرْصِ ، ورَجَعَ إلى قُبَّتِـه التي ضَرَبَ عليـهِ رَسولُ الله ﷺ قـالتْ عـائشـة : فَحَضَره رسول الله ﷺ وأبـو بكر وعُمرُ ، قَـالَتْ : فـوالـذي نَفْسُ محمـد بيَـده إني لأعْرفُ بكاء عمر من بُكاء أبي بكر وأنا في حُجرتي ، وَكانوا كا قال الله عز وجل ﴿ رحماء بينَهم ﴾ قَـالَ عَلقَمـة قلتُ : أي أُمَّة فكيفَ كانَ رسول ﷺ يصنعُ ؟ قَالت : كانت عينُـه لا تـدمَعُ على أَحـدٍ ولكنـه كان إذا وَجَدَ فإنما هُوَ آخذٌ بلحيته .

قال في فتح الباري :

واختلف في عدة مقاتلي بني قريظـة : فعنـد ابن إسحـاق أنهم كانوا ستمائـة وبـه جزم أبو عمرو في ترجمة سعد بن معـاذ ، وعنـد ابن عـائـذ من مرسل قتـادة ، كانوا سبعمائـة ، وقـال السهيلي : المكثر يقول إنهم ما بين الثمانمائة إلى التسعمائـة . وفي حـديث جـابر عنـد الترمـذي والنسائي وابن حبان بإسنـادٍ صحيح أنهم كانوا أربعمائـة مقـاتل ، فيحتمل في طريق الجمع أن يقال إن الباقين كانوا أتباعا ، وقد حكى ابن إسحاق أنه قيل إنهم كانوا تسعمائة .

وفي قصة بني قريظة من الفوائد وخبر سعد بن معـاذ جواز تمني الشهـادة ، وهو مخصوص من عموم النهي عن تمني الموت . وفيها تحكيم الأفضل مَنْ هو مفضول . وفيها جواز الاجتهـاد في زمن النبي ﷺ ، وهي خلافيَّة في أصول الفقـه . والمختـار الجواز سواء كان بحضـور النبي

= قال يزيد ببغداد : معناه أن شيخ الإمام أحمد حدثه مرة أخرى ببغـداد بلفـظ (ويُقْسَم) بـالياء والتحتيـة بدل التاء الفوقية .

الخُرْص : بضم الخاء المعجمة وسكون الراء : الحلقة الصغيرة من الحلي ، وهو حلي الأذن ، أنـه لم يبق من جـرح سعـد إلا مثل حلقة الخرص من قلة ما بقي منه .

ﷺ أم لا ، وإنما استبعد المانع وقوع الاعتاد على الظن مع إمكان القطع ، ولا يضر ذلك ، لأنه بالتقرير يصير قطعيا ، وقد ثبت وقوع ذلك بحضرته ﷺ كما في هذه القصة وقصة أبي بكر الصديق رضي الله عنه في قتيل أبي قتادة كما سيأتي في غزوة حنين وغير ذلك .

ومن فوائد هذه القصة ما ذكره البوطي : القيام إكراماً للقادم ، أمر النبي ﷺ الأنصار حينما أقبل نحوهم سعد بن معاذ راكباً دابته أن يقوموا إليه تكريماً له ، ودلّ على هذا التعليل قوله : لسيدكم أو خيركم ، وقد استدل عامة العلماء بهذا وغيره على مشروعية إكرام الصالحين والعلماء بالقيام إليهم في المناسبات الداعية إلى ذلك عرفاً .

يقول الإمام النووي تعليقا على هذا الحديث : فيه إكرام أهل الفضل وتلقيهم بالقيام لهم إذا أقبلوا ، هكذا احتج به جماهير العلماء لاستحباب القيام . قال القاضي : وليس هذا من القيام المنهي عنه ، وإنما ذلك فيمن يقومون عليه وهو جالس ويَمْثُلُون قياماً طول جلوسه . قلت : القيام للقادم من أهل الفضل مستحب ، وقد جاء فيه أحاديث ، ولم يصح في النهي عنه شيء صريح .

ومن الأحاديث الثابتة الدالة أيضاً على ذلك ، ما جاء في حديث كعب بن مالك المتفق عليه ، وهو يقص خبر تخلفه عن غزوة تبوك ، قال : فانطلقت أتأمم رسول الله ﷺ ، فتلقاني الناس فوجاً فوجاً يهنئوني بالتوبة ، ويقولون لي لِتَهْنِكَ توبة الله عليك ، حتى دخلت المسجد فإذا رسول الله ﷺ جالس حوله الناس ، فقام إليّ طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنأني ، والله ما قام رجل من المهاجرين غيره ـ فكان كعب لا ينساها لطلحة ـ .

ومن ذلك أيضاً ما رواه الترمذي وأبو داود [1] والبخاري في الأدب المفرد عن عائشة رضي الله عنها قالت : ما رأيت أحداً من الناس كان أشبه بالنبي ﷺ كلاماً ولا حديثاً ولا جلسة من فاطمة ، قالت : وكان النبي ﷺ إذا رآها أقبلت رحب بها ثم قام إليها فقبلها ، ثم

---

(١) الترمذي (٥ / ٧٠٠) ، ٥٠ ـ كتاب المناقب ـ ٦١ ـ باب فضل فاطمة بنت محمد ﷺ .

ـ وأبو داود (٤ / ٣٥٥) ، كتاب الأدب ، باب ما جاء في القيام .

أخذ بيدها فجاء بها حتى يجلسها في مكانه ، وكانت إذا أتاها النبي ﷺ رحبت به ثم قامت إليه فقبلته .

واعلم أن هذا كله لا يتنافى مع ما صح عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من أحبَّ أن يتمثل له الناس قياماً فليتبوأ مقعده من النار » لأن مشروعية إكرام الفضلاء وتوقيرهم لا تستدعي السعي منهم إلى ذلك أو تعلق قلوبهم بمحبته ، بل إن من أبرز صفات الصالحين والفضلاء أن يكونوا متواضعين لإخوانهم زهّاداً في طلب هذا الشيء . أرأيت إلى الفقير المحتاج ؟ إن الأدب الإسلامي يوصيه ويعلمه الترفع عن المسألة وإظهار الفاقة والحاجة للناس ، ولكن هذا الأدب الإسلامي نفسه يوصي الأغنياء بالبحث عن هؤلاء الفقراء المتعففين ويأمرهم بإكرامهم وإعطائهم من فضول أموالهم . أ هـ .

٤٧٠ - * روى الترمذي عن جابر بن عبدِ اللهِ رضي الله عنهما أنه قال : رُمِيَ يومَ الأحزاب سعدُ بنُ معاذٍ ، فَقَطَعُوا أَكْحَلَه - أو أبجله - فَحَسَمَه رسولُ اللهِ ﷺ بالنَّار ، فانْتَفَخَتْ يدهُ ، فَتَرَكَهُ ، فَنَزَفَه الدَّمُ ، فَحَسَمَهُ أُخْرَى ، فانْتَفَخَتْ يدهُ ، فَلَمَّا رَأى ذلك قَالَ : اللهمَّ لا تُخْرِجْ نَفْسِي حَتَّى تُقِرَّ عيني من بني قُرَيظَةَ ، فاستمسكَ عِرْقُهُ ، فما قَطَر قَطْرَةً حتَّى نَزَلُوا على حكم سعد بن معاذ ، فأرسل إليه فحكَم : أنْ يُقْتَلَ رجالُهمْ ، ويُسْتَحْيا نساؤُهم ، يستَعينُ بهنَّ المسلمون ، فَقَالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « أَصَبْتَ حُكْمَ اللهِ فِيهِم » . وَكَانُوا أربعمائة ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قَتْلِهم انْفَتَقَ عِرْقُه ، فَمَاتَ .

٤٧١ - * روى البخاري ومسلم عن عبد اللهِ بن عمرَ رَضي اللهُ عنهما قَالَ : حَارَبَتْ

---

٤٧٠ - الترمذي (٤ / ١٤٤) ، ٢٢ - كتاب السير - ٢٩ - باب ما جاء في النزول على الحكم ، وقال : هذا حديث حسن صحيح .

أبجله : الأَبْجَل : عرق ، وهو من الفرس والبعير بمنزلة الأكحل من الإنسان .

فحسَمَه : الحَسمُ : الكي لينقطع الدم .

تُستحيا : الاستحياء : الإبقاء ، وهو استِفْعال من الحياة .

٤٧١ - البخاري (٧ / ٣٢٩) - ٦٤ - كتاب المغازي - ١٤ - حديث بني النضير .

ومسلم نحوه (٣ / ١٣٨٧) ، ٣٢ - كتاب الجهاد والسير - ٢٠ - باب إجلاء اليهود من الحجاز .

قُريظةُ والنضيرُ ، فأجْلَى بني النَّضِير ، وأقرَّ قريظـةَ ، ومَنَّ عَلَيْهِم ، حتى حَـارَبَت قُرَيظـةُ ، فَقَتَـل رِجَـالَهم وقَسَّمَ نِسَـاءَهُم وأولادهم وأمْـوالَهُم بينَ المسْلِمينَ ، إلا بَعْضَهُم ، لَحِقُـوا بـالنبي ﷺ ، فـآمَنَهُم وَأَسْلَمُوا ، وأجْلَى يهودَ المـدينـةِ كلَّهم : بني قَيْنُقـاعَ - وهم رَهْـط عبـدِ اللهِ بن سَلاَم - ويهودَ بني حارِثَة ، وكلَّ يَهودِ المدينةِ .

٤٧٢ - * روى البخاري عن أنسِ بن مالكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْـهُ قَـالَ : كأنِّي أَنْظُر إلى الغُبَـارِ سَاطِعاً في زُقَاقِ بني غَنْم ، مَوكِبُ جبريل ، حِينَ سَارَ رسولُ اللهِ ﷺ إلى بني قُرَيْظَةَ .

٤٧٣ - * روى الطبراني عن كعب بن مـالـك أن رسـول الله ﷺ لـمـا رجـع من طلب الأحـزاب نَـزع لأُمَتَـهُ واغْتَسَـل واسْتَجْمَرَ ، زاد دحيم في حـديثـه : قـال رسـول الله ﷺ : « فَتبـدَّا لي جبريـلُ عليـه السـلام ، فقـال : عَـذِيرَكَ مِنْ مُحـارِبٍ ، ألا أراكَ قـد وضعتَ اللأْمَةَ وما وضعناهـا بعـدُ » فوثب رسول الله ﷺ فَزِعـاً ، فعزم على النـاس ألا يُصَلُّوا العصرَ إلا في بني قريظة ، فَلَبِسَ السلاح وخرجوا ، فلم يأتوا بني قريظة حتى غـابت الشمس ، فـاختصم النـاس في غزوتهـا في صلاة العصر ، فقـال بعضهم : قـد عَزَمَ علينـا أن لا نصلي العصر حتى نأتيَ بني قريظةَ ، وإنما نحن في عَزْمَةٍ من رسول الله ﷺ فليس علينا إثم ، فَصَلَّتْ طائفةٌ منهم العصر إيمانا واحتسابا ، وطائفة أخرى لم تُصَلِّ حتى أتوا بني قريظة بعـد ما غابت الشمس فصلَّوْها إيمانا واحتسابا ، فلم يُعَنِّفْ رسولُ الله ﷺ واحدةً من الطائفتين .

وروي [1] عن ابن عمر رضي الله عنهما قـال : قـال النبيُّ ﷺ يـومَ الأحـزاب : « لا

---

٤٧٢ - البخاري (٧ / ٤٠٧) ، ٦٤ - كتاب المغازي - ٣٠ - بـاب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظـة ، ومحاصرته إياهم .

ساطعا : أي : مرتفعاً .

٤٧٣ - المعجم الكبير (١٦ / ٨٠) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٤٠) : رواه الطبراني ، ورجالـه رجـال الصحيح غير ابن أبي الهذيل وهو ثقة .

استجمر : تبخّر بعود الطيب .

عذيرك : المراد : مَنْ يعذرك كمحارب إذا وضعت السلاح .

عزمة من رسول الله ﷺ : أي : في طاعته التي عزم علينا بها .

(١) البخاري (٧ / ٤٠٧) ٦٤ - كتاب المغازي - ٣٠ - باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب .

يصلِّينَّ أحدٌ العصْرَ إلا في بَني قرَيْظَةَ » فَأَدْرَكَ بعضهُم العصرَ في الطريقِ فَقَال بعضهُم : لا نصلّي حتى نأتيَهُم ، وَقَالَ بَعْضُهُم : بَل نُصَلّي ، لم يُرَدْ منا ذلك . فَذكِرَ ذلك للنبي ﷺ فلم يعنِّفْ وَاحِداً مِنهم .

قال في الفتح :

قوله (لا يصلين أحد العصر) كذا وقع في جميع النسخ عند البخاري ، ووقع في جميع النسخ عند مسلم « الظهر » مع اتفاق البخاري ومسلم على روايته عن شيخ واحد بإسناد واحد ، وقد وافق مسلماً أبو يعلى وآخرون .

وقد جمع بعض العلماء بين الروايتين باحتمال أن يكون بعضهم قبل الأمر كان صلى الظهر وبعضهم لم يصلها فقيل لمن لم يصلها لا يصلين أحد الظهر ولمن صلاها لا يصلين أحد العصر . وجمع بعضهم باحتمال أن تكون طائفة منهم راحت بعد طائفة فقيل للطائفة الأولى الظهر ، وقيل للطائفة التي بعدها العصر ، وكلاهما جمع لا بأس به .

قال السهيلي وغيره : في هذا الحديث من الفقه : أنه لا يعاب على من أخذ بظاهر حديث أو آية ، ولا على من استنبط من النص معنى يخصصه .

وفيه : أن كل مختلفين في الفروع من المجتهدين مصيب . قال السهيلي : ولا يستحيل أن يكون الشيء صوابا في حق إنسان وخطأ في حق غيره ، وإنما المحال أن يحكم في النازلة بحكمين متضادين في حق شخص واحد ، قال : والأصل في ذلك أن الحظر والإباحة صفات أحكام لا أعيان قال : فكل مجتهد وافق اجتهاده وجها من التأويل فهو مصيب انتهى . والمشهور أن الجمهور ذهبوا إلى أن المصيب في القطعيات واحد ، وخالف الجاحظ والعنبري . وأما ما لا قطع فيه فقال الجمهور أيضاً : المصيب واحد ، وقد ذكر ذلك الشافعي وقرره ، ونقل عن الأشعري أن كل مجتهد مصيب وأن حكم الله تابع لظن المجتهد . وقال بعض الحنفية وبعض الشافعية : هو مصيب باجتهاده ، وإن لم يصب ما في نفس الأمر فهو مخطئ وله أجر واحد . ثم الاستدلال بهذه القصة على أن كل مجتهد مصيب على الإطلاق ليس بواضح ، وإنما فيه ترك تعنيف من بذل وسعه واجتهد ، فيستفاد منه عدم تأثيمه .

وحاصل ما وقع في القصة أن بعض الصحابة حملوا النهي على حقيقته ، ولم يبالوا بخروج الوقت ترجيحاً للنهي الثاني على النهي الأول وهو ترك تأخير الصلاة عن وقتها ، واستدلوا بجواز التأخير لمن اشتغل بأمر الحرب بنظير ما وقع في تلك الأيام بالخندق فقد تقدم حديث جابر المصرح بأنهم صلوا العصر بعد ما غربت الشمس وذلك لشغلهم بأمر الحرب ، فجوزوا أن يكون ذلك عاماً في كل شغل يتعلق بأمر الحرب ولاسيما والزمان زمان التشريع ، والبعض الآخر حملوا النهي على غير الحقيقة وأنه كناية عن الحث والاستعجال والإسراع إلى بني قريظة ، وقد استدل به الجمهور على عدم تأثيم من اجتهد لأنه ﷺ لم يعنف أحداً من الطائفتين ، فلو كان هناك من إثم لعنف من أثم ، أ هـ .

٤٧٤ ـ * روى أبو داود والترمذي عن عطية القرظيِّ رضي الله عنه قال : عُرِضْنا على رسول الله ﷺ يومَ قُرَيظة فكان منْ أنبت قُتل ، ومنْ لم يُنبتْ خُلِّي سبيلُه ، فكُنْتُ ممن لمْ يُنْبِتْ ، فخُلِّيَ سَبيلي .

وللنسائي [(١)] قال : كُنْتُ يوم حُكْم سعد في بني قريظة غلاماً ، فشكُّوا فيَّ ، فلم يَجِدُوني أَنْبَتُ ، فَاسْتُبْقِيتُ ، فها أنا ذا بين أظْهُرِكُم .

(أنبتُ) أراد بالإنبات : نبات شعر العانة ، فجعله علامةً على البلوغ ، وليس ذلك حداً إلا في أهل الشرك عند الأكثرين ، وقال أحمد بن حنبل رحمه الله : الإنبات حدٌّ يقام به الحدُّ على من أنبت ، ويحكى مثل ذلك عن مالك رحمه الله ، فأما من جعله مخصوصاً بأهل الشرك فيشبه أن يكون أن أهل الشرك لا يوقف على بلوغهم من جهة السن ، ولا يمكن الرجوع إلى قولهم لأنهم مُتَّهمون في ذلك لدفع القتل عنهم ، وأداء الجزية ، وغير ذلك من الأحكام ، بخلاف المسلمين ، فإنهم يمكن أن تعرف أوقاتُ بلوغهم وولادتهم .

---

٤٧٤ ـ أبو داود (٤ / ١٤١) ، كتاب الحدود ، باب الغلام يصيب الحد .

والترمذي واللفظ له (٤ / ١٤٥) ، ٢٢ ـ كتاب السير ، ٢٩ ـ باب ما جاء في النزول على الحكم

وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وهو كما قال

(١) النسائي (٦ / ١٥٥) كتاب الطلاق ، باب متى يقع طلاق الصبي .

٤٧٥ - * روى أبو داود عن عائشةَ رضيَ الله عنها قَالت : لَمْ يُقْتَل مِنْ نسائهم - تعني بني قريظة إلا امرأةٌ ، إنها لَعندي تَحَدَّثُ ، تضْحك ظَهْـراً و بَطْنـاً ، وَرسولُ اللهِ ﷺ يَقتلُ رجالَهم بالسيوف ، إذْ هتف هَاتفٌ باسمها : أَيْن فلانةٌ ؟ قالت : أنا ، قلتُ : وما شَأْنُـكِ ؟ قَـالتْ : حَـدثٌ أَحْـدثْتُـه ، قـالت فـانْطَلـق بها فَضُربَت عُنقُهـا ، فَمَـا أَنسَى عَجَباً مِنْهـا : أَنَّهاتَضْحَكُ ظَهْراً وَبطْناً ، وَقَدْ عَلِمتْ أنها تُقْتَلُ .

٤٧٦ - * روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها في قوله تعالى : ﴿ إذ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُم وَمِنْ أَسْفَلَ منـكـم وإِذْ زاغتِ الأَبْصـارُ وبَلَغَتِ القُلُـوبُ الحَنَـاجر ﴾ [1] قـالت : كان ذلك يومَ الخَنْدق .

* * *

فوائد من غزوتي الأحزاب وقريظة

١ - في هـاتين الغـزوتين تظهر لـك الكفـاءة النبـويّـة العـاليـة ، وتظهر المعجـزات الخارقات ، والمعجزات والكمالات هما النبوة والرسالـة ، وكثيرون من النـاس وهم يتحـدّثون عن محمـد عليـه الصـلاة والسـلام لا يحسنـون العرْضَ المتكامـل فهم إمّـا يُبرزون الكفـاءة على حسـاب المعجزة ، وإمـا يظهرون المعجزة على حسـاب الكفـاءة ، مـع أن الكفـاءة والمعجـزة توأمان في حق الأنبياء جميعاً ، وذلك كلّه مظهر الحكمة الربّانيـة في اختيـار الرسل ، ومظهر التأييد الربّاني للرسل عليهم الصلاة والسلام ، فهم بين توفيق وتأييـد معجز أو سببي ، ولكن يبقى لعـالم الأسبـاب في حيـاة الرسل عليهم الصلاة والسـلام محلـه العريض لأن الأصـل في

٤٧٥ - أبو داود (٣ / ٥١) ، كتاب الجهاد ، باب في قتل النساء ، وإسناده حسن .

حدث : قال الخطابي : يقال إن الحدث الذي أحدثته : أنها شتمت النبي ﷺ ، وذكر ابن هشام في الحديث الذي أحدثته : أنها قتلت صحابياً هو خلاد بن سويد طرحت عليه الرحا .

٤٧٦ - البخاري (٧ / ٣٩٩) ، ٦٤ - كتاب المغازي ٢٩ - باب غزوة الخندق ، وهي الأحزاب .

ومسلم (٤ / ٢٣١٦) ، ٥٤ - كتاب التفسير ، حديث (٣٠٢٠) .

زاغت الأبصار : مالتْ عن مكانها ، وذلك مما يعرضُ للإنسان عند الخوف .

الحناجر : جمع الحنجرة ، وهي الحلقوم .

(1) الأحزاب : ١٠ .

التكليف ليس الخارق وإنما هو عالم الأسباب ، والرسل هم القدوة ، والناس عامّة محكومون بعالم الأسباب ، ولذلك فأنت عندما تدرس المعجزات التي حدثت في هذه المرحلة لا تجدها تُؤثّر على قضايا الاقتداء المرتبطة بعالم الأسباب ، بمعنى أن مّا حدث في هاتين الغزوتين يمكن إدخاله في دائرة التفكير والتدبير والاستعانة بالله أولاً وأخيراً ، وبعضه لرسول الله ﷺ معجزة خاصة ، وبعضه معجزة لرسول الله ﷺ ويمكن أن تطلبه من الله ، وفضل الله واسع ، مثال ذلك : تكثير الطعام القليل هو لرسول الله ﷺ معجزة ونحن علينا أن نُدبّر الطعام لجندنا وهذا جزء من القدوة ، والريح كانت معجزة لرسول الله ﷺ ونحن ندعو الله أن يؤيدنا بما لا نحتسب ، وفضل الله واسع .

٢ - وحول الخندق قال السباعي رحمه الله :

وفي قبوله ﷺ إشارة سلمان بحفر الخندق ، وهو أمر لم تكن تعرفه العرب من قبل ، دليل على أن الإسلام لايضيق ذرعاً بالاستفادة مما عند الأمم الأخرى من تجارب تفيد الأمة وتنفع المجتمع ، فلا شك أن حفر الخندق أفاد إفادة كبرى في دفع خطر الأحزاب عن المدينة ، وقبول رسول الله هذه المشورة ، دليل على مرونته ﷺ . واستعداده لقبول ما يكون عند الأمم الأخرى من أمور حسنة ، وقد فعل الرسول مثل ذلك أكثر من مرة ، فلما أراد إنفاذ كتبه إلى الملوك والأمراء والرؤساء قيل له : إن من عادة الملوك ألا يقبلوا كتاباً إلا إذا كان مختوماً باسم مرسله ، فأمر على الفور بنقش خاتم له كتب عليه : محمد رسول الله ، وصار يختم به كتبه ، ولما جاءته الوفود من أنحاء العرب فتح مكة تعلن إسلامها ، قيل له : يارسول الله إن من عادة الملوك والرؤساء أن يستقبلوا الوفود بثياب جميلة فخمة ، فأمر رسول الله ﷺ أن تشترى له حلة يستقبل بها الوفود ، وهذا هو صنيع الرسول الذي أرسل بآخر الأديان وأبقاها إلى أبد الدهر ، فإن مما تحتمه مصلحة أتباعه في كل زمان وفي كل بيئة أن يأخذوا بأحسن ما عند الأمم الأخرى ، مما يفيدهم ، ولا يتعارض مع أحكام شريعتهم وقواعدها العامة ، والامتناع عن ذلك جمود لا تقبله طبيعة الإسلام الذي يقول في دستوره الخالد : ﴿ **فبشر عباد * الذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه** ﴾ [1] ولا طبيعة

(١) الزمر : ١٧ ، ١٨ .

رسوله الذي رأينا أمثلة عما أخذ من الأمم الأخرى ، ولهذا قيل : (الحكمة ضالة المؤمن يلتمسها أنّى وجدها) [١] ويوم غفل المسلمون في العصور الأخيرة ، وخاصة بعد عصر النهضة الأوربية عن هذا المبدأ العظيم في الإسلام ، وقاوموا كل إصلاح مأخوذ عن غيرهم مما هم في أشد الحاجة إليه ، أصيبوا بالانهيار ، وتأخروا من حيث تقدم غيرهم ﴿ ولله عاقبة الأمور ﴾ [٢] . أ هـ

٣ ـ قال الشيخ الغزالي حفظه الله :

إن معركة الأحزاب لم تكن معركة خسائر بل معركة أعصاب فقتلى الفريقين من المؤمنين والكفار يعدون على الأصابع . ومع تلك الحقيقة فهي من أحسم المعارك في تاريخ الإسلام إذ إن مصير هذه الرسالة العظمى كان فيها أشبه بمصير رجل يمشي على حافة قمة سامقة ، أو حبل ممدود ، فلو اختل توازنه لحظة وفقد السيطرة على موقفه ، لهوى من مرتفعه إلى واد سحيق ، ممزق الأعضاء ، ممزع الأشلاء ! ولقد أمسى المسلمون وأصبحوا فإذا هم كالجزيرة المنقطعة وسط طوفان يتهددها بالغرق ليلا أو نهاراً . وبين الحين والحين يتطلع المدافعون : هل اقتحمت خطوطهم في ناحية ما من منطقة الدفاع ؟ وكان المشركون يدورون حول المدينة غضاباً يتحسسون نقطة ضعيفة لينحدروا منها فينفسوا عن حنقهم المكتوم ، ويقطعوا أوصال هذا الدين الثائر .

وعرف المسلمون ما يتربص بهم وراء هذا الحصار ، فقرروا أن يرابطوا في مكانهم ينضحون بالنبل كل مقترب ، ويتحملون لأْوَاءَ هذه الحراسة التي تنتظم السهل والجبل ، وتتسع ثغورها يوماً بعد يوم وهم كما وصف الله تعالى : ﴿ **إذْ جاءوكُم من فَوْقكم ومن أسفلَ منكم وإذْ زاغت الأبصار وبلغتِ القلوبُ الحناجرَ وتظنونَ بالله الظنونا * هنالكَ ابتُلِيَ**

---

(١) الترمذي نحوه (٥ / ٥١) ٤٢ ـ كتاب العلم ـ ١٩ ـ باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة ، بلفظ : « الكلمة الحكمة ضالة المؤمن ، فحيث وجدها فهو أحق بها » . قال أبو عيسى : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وإبراهيم بن الفضل المدني المخزومي ، يضعفُ في الحديث من قبل حفظه .

وابن ماجه مثل رواية الترمذي (٢ / ١٣٩٥) ٣٧ ـ كتاب الزهد ـ ١٥ ـ باب الحكمة .

(٢) الحج : ٤١ .

المؤمنونَ وزلزلوا زلزالا شديداً ﴾ [١] أ هـ .

٤ ـ وقال الدكتور البوطي :

لقد كان من جملة الوسائل الحربية التي استعملها المسلمون في هذه الغزوة حفر الخندق ، ولقد كانت غزوة الأحزاب أول غزوة في التاريخ العربي والإسلامي يحفر فيها الخنادق ، إذ هو مما كان متعارفاً بين الأعاجم فقط ، وقد رأيت أن الذي اقترح ذلك في غزوة الأحزاب إنما هو سلمان الفارسي ، وقد رأيت أن النبي ﷺ أعجب بهذه الوسيلة الحربية وسرعان ما دعا أصحابه إلى القيام بتحقيقها .

وهذا من جملة الأدلة الكثيرة التي تدل على أن الحكمة هي ضالة المؤمن ، فحيثما وجدها التقطها بل هو أولى بها من غيره ، وأن الشريعة الإسلامية بمقدار ما تكره للمسلمين اتباع غيرهم وتقليدهم على غير بصيرة ، تحب لهم أن يجمعوا لأنفسهم أطراف الخير كله والمبادئ المفيدة جميعها ، أينما لاح لهم ذلك ، وحيثما وجد . فالقاعدة الإسلامية العامة في هذا الصدد ، هي أن لا يعطل المسلم عقله الحر وتفكيره الدقيق في سلوكه وعامة شؤونه وأحواله ، وإذا كان المسلم كذلك ، فهو ولاريب ، لا يمكن أن يربط في عنقه زماماً يسلم طرفه للآخرين فيقودوه حيثما أرادوا بدون وعي ولا بصيرة ، وهو أيضاً لا يمكن أن يتجاهل أي مبدأ أو عمل أو نظام يسلم به العقل النّير والفكر الحر وينسجم مع مبادئ الشريعة الإسلامية ، ليتجاوزه ولا يتعب نفسه بأخذه والاستفادة منه .

وقد استنبط علماء الحديث والسيرة من قصة بني قريظة هذه أحكاماً هامة نجملها فيما يلي :

أولاً ـ (جواز قتال من نقض العهد) ، وقد جعل الإمام مسلم رحمه الله هذا الحكم عنواناً لغزوة بني قريظة ، فالصلح والمعاهدة والاستئمان بين المسلمين وغيرهم ، كل ذلك ينبغي احترامه والتزامه على المسلمين ، ما لم ينقض الآخرون العهد أو الصلح أو الأمان

(١) الأحزاب : ١٠ ، ١١ .

وحينئذ يجوز للمسلمين قتالهم إن رأوا المصلحة في ذلك .

ثانياً - (**جواز التحكيم في أمور المسلمين ومهامهم**) ، قال النووي رحمه الله : فيه جواز التحكيم في أمور المسلمين وفي مهامّهم العظام والرجوع في ذلك إلى حكم مسلم عادل صالح للحكم ، وقد أجمع العلماء عليه في شأن الخوارج ، فإنهم أنكروا على عليّ التحكيم ، وأقام الحجة عليهم .

وفيه جواز مصالحة أهل قرية أو حصن على حُكْم حاكم مسلم عدل صالح للحكم أمين على هذا الأمر ، وعليه الحكم بما فيه مصلحة للمسلمين ، وإذا حكم بشيء لزم حكمه ، ولا يجوز للإمام ولا لهم الرجوع ، ولهم الرجوع قبل الحكم .

ثالثاً - (**مشروعية الاجتهاد في الفروع وضرورة وقوع الخلاف فيها**) ، وفي اختلاف الصحابة في فهم كلام رسول الله ﷺ : « ألا لا يُصلّين أحد العصر إلا في بني قريظة [١] » على النحو الذي روينا ، مع عدم تعنيف النبي ﷺ أحداً منهم أو معاتبته - دلالة هامة على أصل من الأصول الشرعية الكبرى ، وهو تقرير مبدأ الخلاف في مسائل الفروع ، واعتبار كل من المتخالفين معذوراً ومثاباً ، سواء قلنا إن المصيب واحد أو متعدد كما أن فيه تقريراً لمبدأ الاجتهاد في استنباط الأحكام الشرعية . وفيه ما يدل على أن استئصال الخلاف في مسائل الفروع التي تنبع من دلالات ظنية ، أمر لا يمكن أن يتصور أو يتم ، فالله سبحانه وتعالى تعبد عباده بنوعين من التكاليف :

أحدهما : تطبيق أوامر معينة واضحة تتعلق بالعقيدة أو السلوك .

ثانيهما : البحث وبذل الجهد ابتغاء فهم المبادئ والأحكام الفرعية من أدلتها العامة المختلفة ، فليس المطلوب ممن أدركته الصلاة في بادية الْتَبَسَتْ عليه جهة القبلة فيها ، أكثر من أن تتجلى عبوديته لله تعالى في أن يبذل كل ما لديه من وسع لمعرفة جهة القبلة حسب فهمه وما يبدو له من أدلة ، حتى إذا سكنت نفسه إلى جهة ما ، استقبلها فصلّى إليها .

---

(١) سبق تخريجه في صفحة (٩٠) من هذا الجزء .

ثم إن هنالك حِكَماً باهرة لمجيء كثير من الأدلة والنصوص الشرعية ظنية الدلالة غير قطعية . من أبرزها ، أن تكون الاجتهادات المختلفة في مسألة ما ، كلها وثيقة الصلة بالأدلة المعتبرة شرعاً ، حتى يكون للمسلمين متسع في الأخذ بأيها شاءوا حسبما تقتضيه ظروفهم ومصالحهم المعتبرة وتلك من أجلى مظاهر رحمة الله بعباده ، في كل عصر وزمن .

وإذا تأملت هذا ، علمت أن السعي في محاولة القضاء على الخلاف في مسائل الفروع ، معاندة للحكمة الربانية والتدبير الإلهي في تشريعه ، عدا أنه ضرب من العبث الباطل . إذ كيف تضمن انتزاع الخلاف في مسألة ما ما دام دليلها ظنياً محتملاً ؟ لو أمكن ذلك أن يتم في عصرٍ ما ، لكان أولى العصور به عصر رسول الله ﷺ ، ولكان أولى الناس بأن لا يختلفوا هم أصحابه ، فما بالهم اختلفوا مع ذلك كما قد رأيت ؟! أ هـ .

* * *

فصل : في قتل أبي رافع

هو زعيم يهودي اسمه سلام بن أبي الحُقيق رحل عن المدينة مع بني النضير وأقام بخيبر.

قال ابن القيم : قدَّمنا أن أبا رافع كان ممن ألّب الأحزابَ على رسول الله ﷺ ، ولم يُقتلْ مع بني قُرَيظةَ كما قُتل صاحبه حُيَيُّ بنُ أخطبَ ، ورغبتْ الخزرجُ في قتلهِ مساواةً للأوسِ في قَتْلِ كعبِ بن الأشرف ، وكان اللهُ - سبحانه وتعالى - قد جعل هذين الحيين يتصاولان بين يدي رسول الله ﷺ في الخيرات ، فأستأذنُوه في قتله ، فَأذن لهم ، فانتدب له رجال كُلُّهم مِن بني سَلمة ، وهم عبدُ الله بن عَتيكٍ ، وهو أميرُ القوم ، وعبدُ الله بن أُنيس ، وأبو قَتَادة الحارث بن ربْعي ، ومسعود بن سنان ، وخزاعي بن أسود ، فساروا حتى أتوه في خيبر فقتلوه .

٤٧٧ - * روى البخاري عن البراءِ بن عَازبٍ رَضي الله عنه قالَ : بَعَثَ رسولُ الله ﷺ إلى أبي رَافعٍ فَدخل عَلَيه عبدُ الله بنُ عَتيك بيتَهُ ليلاً وَهو نَائم ، فَقَتَله .

وفي رِوَاية [1] قال : بَعَث رسولُ الله ﷺ إلى أبي رَافِعٍ اليهوديِّ رجالاً مِنَ الأنصار ، فأمَّر عليهم عبدَ اللهِ بنَ عَتيكٍ ، وكان أبو رافع يؤْذِي رَسولَ اللهِ ﷺ ، ويُعينُ عَلَيه ، وَكَان في حِصْنٍ له بأرض الحِجَاز ، فلما دَنَوْا منه - وقد غربتِ الشمسُ وراح الناسُ بسرحِهم - فقال عبد الله لأصْحابه : اجْلِسوا مَكَانَكم ، فإني مُنطلِقٌ ومتلطف للبوَّاب ، لعلي أنْ أدخلَ ، فأقبل حتى دنا من الباب ، ثم تَقنَّع بثوبه ، كأنه يقضي حاجة ، وَقد دخل النَّاسُ ، فهَتف به البواب : ياعبدَ اللهِ إن كنتَ تريد أن تَدْخلَ فادخلْ ، فإني أريد أن أُغْلِقَ البابَ ، فَدَخلتُ فكَمَنْتُ ، فلمَّا دَخل النَّاسُ أغلق الباب ، ثمَّ علَّق الأغاليقَ على ودٍّ ، قال : فَقُمتُ

---

٤٧٧ - البخاري (٧ / ٣٤٠) ٦٤ - كتاب المغازي - ١٦ - باب قتل أبي رافع عبد الله بن أبي الحقيق .

رهطا : الرهط : الجماعة من الناس دون العشرة .

(١) البخاري في نفس الموضع السابق .

بسرحهم : السَّرح : المواشي ، لأنها تسرح نهاراً في المرعى .

الأقاليد : والأغاليق : المفاتيح .

=

إلى الأقاليدِ فَأخذتُها ، فَفَتحْت الباب ـ وَكان أبو رافع يُسْمَرُ عِنْدَه ، وَكَانَ في عَلاليِّ لَهُ ـ فلما ذهبَ عنه أهلُ سَمَرِهِ صَعِدتُ إليه ، فَجَعلتُ كلما فتحتُ باباً أغلقتُ عليَّ من داخل ، قلتُ : إنِ القومُ نَذِرُوا بي ، لم يخلُصُوا إليَّ حتّى أقتلَهُ ، فَانتهيتُ إليه ، فإذا هو في بيتٍ مظلم وسط عيالـه ، لا أدري أين هو من البيت ؟ فقلتُ : أبا رافع ، قـال : من هـذا ؟ فـأهويت نحو الصوتِ ، فأضربُهُ ضربـة بـالسيف ، وأنـا دَهِشٌ ، فمـا أَغْنيْتُ شيئـاً ، وَصَـاحَ ، فَخَرجتُ من البيت ، فَأمكثُ غيرَ بَعيد ، ثُم دَخَلْتُ إليه ، فقلتُ : ما هذا الصوتُ ياأبا رافعٍ ؟ فقـال : لأمِّكَ الويلُ ، إن رجلاً في البيت ضربني قبلُ بالسيف ، قال : فأَضْربُـهُ ضربـةً أثخنتـه ، ولم أقتلْه ، ثم وضعت ضَبِيبَ السيفِ في بطْنه ، حتى أخذ في ظَهْره ، فعرفتُ أني قتلتُـهُ فجعلتُ أفتحُ الأبوابَ بـابـاً بـابـاً ،حتى انتهيتُ إلى درجـةٍ لـه ،. فـوضعتُ رِجلي ، وأنـا أُرَى أني قـد انتهيتُ إلى الأرض ، فـوقعت في ليلـةٍ مُقْمِرَةٍ ، فـانكسرتْ سـاقي ، فعصبتُهـا بعِمامـة ، ثم انطلقتُ حتى جلستُ على الباب ، فقلتُ : لا أخرج الليلةَ حتى أعلمَ : أقتلتُـه ؟ فلمـا صـاح الديكُ : قام النّـاعي على السور فقـال : أنْعَى أبـا رافع تـاجرَ أهل الحجـاز ، فـانطلقتُ إلى أصحابي ، فقلتُ : النجاءَ ، فقد قَتَلَ الله أبا رافع فانتهيتُ إلى النبيِّ ﷺ ، فحدَّثْتُهُ ، فقال : لي : « ابسُطْ رِجْلَكَ » فبسطت رجلي ، فمسحها ، فكأنَّها لم أشْتَكِها قَطُّ .

وفي رواية [١] قال : بعثَ رسولُ الله ﷺ إلى أبي رافعٍ عبدَ الله بنَ عَتيـك وعبـد الله بنَ عُتبةَ في ناسٍ معهم ، فانطَلَقوا حتى دَنَوا من الحِصْنِ ، فقال لهم عبـدُ الله بنُ عَتيـك : أمْكُثُوا

وَدّ : الوَدُّ : الوَتد في لغة تميم .

يسمر : السَّمَرُ : الحديث في الليل .

نذروا : نَذِر القوم بفلان : إذا علموا به .

فأهويتَ إلى الشيء : إذا مددت يدك إليه .

ظَبَةُ السيف : طرفه ، وجمعها ظُبىً ، وصبيب السيف قد اختلفوا فيه ، فقيل : هو بالصاد المهملة ، وهو طرفه ، قال الحربي : هو آخر ما بلغ سيلانه حين ضُرب وعمل ، وقيل : هـو بـالظـاء المعجمـة ، ولا أرى لـه معنى ، وأما ظُبَةُ السيف : فطرفه ، وقد ذكرت ، وأما بالضاد المعجمة : فلا مدخل له هاهنا ، والصحيح : أنه بالصاد المهملة كما قلنا ، والله أعلم .

النَّجاءَ : أي اطلبوا النجاة ، وهي الخلاص من طلب العدو .

(١) البخاري (٧ / ٣٤١) ٦٤ ـ كتاب المغازي ـ ١٦ ـ باب قتل أبي رافع عبد الله بن أبي الحقيق .

أنتم ، حتى أنطلِقَ أنا فأنظرَ ، قال : فتَلَطفتُ أن أدخلَ الحصنَ ، فَفَقَدوا حِماراً لهم ، قال : فخرجوا بقَبَسٍ يطلبونه ، قال : فخشيتُ أن أُعْرَفَ قال : فغطَّيتُ رأسي كأني أقضي حاجةً ، ثم نادى صاحبُ الباب : من أراد أن يَدخلَ فليدخلْ قبل أن أُغلِقَهُ ، فدخلتُ ، ثم اختبأتُ في مَربطِ حمارٍ عندَ باب الحِصْنِ ، فتعشَّوْا عند أبي رافعٍ ، وتحدثوا حتى ذهبَ ساعةً من الليل ، ثم رَجَعوا إلى بيوتهم ، فلما هَدَأَتِ الأصواتُ ، ولا أسمعُ حركةً خرجتُ ، قال : ورأيت صاحبَ الباب حيثُ وَضَعَ مِفتاح الحصن في كُوَّةٍ فأخذتُهُ ، ففتحتُ به بابَ الحصن ، قال : قلتُ : إن نَذِرَ بيَ القومُ انطلقتُ على مَهَلٍ ، ثم عَمَدتُ إلى أبواب بيوتهم ، فغلَّقتُها عليهم من ظاهر ، ثم صعدت إلى أبي رافع في سُلم ، فإذا البيت مظلم قد طَفِىءَ سِراجُه ، فلم أدْرِ أين الرجلُ ؟ فقلتُ : ياأبا رافعٍ ، قال : من هذا ؟ قال : فعمَدت نحوَ الصوت فأضربُه وصاحَ فلم تغنِ شيئاً . قال : ثم جئتُ كأني أُغيثُه ، فقلتُ : مالكَ ياأبا رافع ، وغيَّرتُ صوتي ، فقال : ألا أُعْجِبُك ؟ لأُمِّكَ الويلُ ، دَخل عليَّ رجل فضربَني بالسيف ، قال : فعمَدت له أيضاً فأضربُه أخرى فلم تُغْنِ شيئاً ، فصاح ، وقام أهله قال : ثم جئتُ ، وغيَّرتُ صوتي كهيئة المُغيث ، فإذا هو مُسْتَلْقٍ على ظهره ، فأضَعُ السيف في بطنه ، ثم أنكفىء عليه ، حتى سمعتُ صوت العظْم ، ثم خَرَجتُ دَهِشاً ، حتى أتيتُ السُّلَّمَ ، أريدُ أن أنزِل ، فأسقطُ منه ، فانخلعتْ رجلي ، فعصبتُها ، ثم أتيتُ أصحابي أحْجُلُ ، فقلت : انطلقوا ، فبشِّروا رسول الله ﷺ ، فإنِّي لا أبرحُ حتى أسمعَ النَّاعيَةَ ، فلما كان في وجه الصبح صَعِدَ الناعيةُ ، فقال : أنعى أبا رافع ، قال : فقمتُ أمشي مابي قَلَبة ، فأدركتُ أصحابي قبل أن يأتوا النبي ﷺ فبشرتُه .

وفي رواية [١] : بعث رسول الله ﷺ رهطاً من الأنصار إلى أبي رافع ليقتلوه ....

= بقَبَس : القبس : الشُّعْلة من النار .

هدأت : الأصوات ، أي : سكنت .

كُوة : الكَوّة : الثقبة النافذة في الحائط يدخل منها الهواء والضوء .

انكفأ : ينكفىء انكفاءً : إذا رجع من حيث جاء .

أحْجُل : الحجل مشي قريب الخطو كمشي المقيد .

(١) البخاري (٦ / ١٥٥) ٥٦ ـ كتاب الجهاد ـ ١٥٥ ـ باب قتل النائم المشرك .

فخرجتُ فيمن خرج، أُرِيهم أنني أطلبه معهم ، فوجدوا الحِمار، فدخلوا ودخلتُ ، فأغلقوا باب الحِصن ليلاً ، فوضعوا المفاتيح في كُوةٍ حيث أراها ، فلما ناموا أخذت المفاتيح ، ففتحتُ باب الحصن ، ثم دخلت عليه ... ثم ذكر نحوه في قتل أبي رافع ووقوعه من السلم ، قال : فَوُثِئَتْ رجلي ، فخرجت إلى أصحابي ، فقلت : ما أنا ببارح حتى أسمعَ الناعية ، فما بَرِحتُ حتى سمعتُ نَعايَا أبي رافع تاجرَ أهلِ الحجاز ، قال : فقمتُ وما بي قَلَبَةٌ ، حتى أتينا النبي ﷺ فأخبرناه .

قال ابن حجر : وفي هذا الحديث من الفوائد جواز اغتيال المشرك الذي بلغته الدعوة وأصر ، وقتل من أعان على رسول الله ﷺ بيده أو ماله أو لسانه ، وجواز التجسيس [١] على أهل الحرب وتطلب غرتهم ، والأخذ بالشدة في محاربة المشركين ، وجواز إبهام القول للمصلحة ، وتعرض القليل من المسلمين للكثير من المشركين ؛ والحكم بالدليل والعلامة لاستدلال ابن عتيك على أبي رافع بصوته ، واعتماده على صوت الناعي بموته ، والله أعلم .

٤٧٨ ـ * روى مالكٌ عن عَبدِ الرحمن بنِ كعبٍ رضي الله عنهما أنه قال : نهى رَسُولُ الله ﷺ الذين قَتَلُوا ابنَ أبي الحقَيْقِ عَنْ قَتْلِ النِّساء والولدان ؟ قَال : فكان رَجلٌ مِنْهُم يقول : بَرَّحَتْ بِنا امرأة ابن أبي الحقيق بالصيَاح ، فأرفعُ السَّيفَ عَلَيها ، ثم أذكر نَهي رسول الله ﷺ ، فأكف وَلَوْلاَ ذلك استَرَحْنَا منها .

* * *

= وُثِئَتْ : قَدَمُه فهي مَوثُوءَة ـ تهمز ولا تهمز ـ : إذا توجَّعت وتألمت ، والمراد به هاهنا : أنها انخلعت و كادت .

الناعية : النادبة والنائحة ، والجمع : النعايا ، ويكون للرجل ، والهاء فيه زائدة للمبالغة ، لا للتأنيث .

برحت : برح به الأمرُ ، أيْ أضرَّ به ولقي منه شدة .

قلبَةٌ : يقال ما به قَلَبة : أي ما به من ألم يحتاج أن ينقلب ليبصر ، وقيل هو من القَلَبة ، وهو داء يأخذ البعير في قلبه فيقتله .

(١) التجسيس : تجسَّس الخبر : جسَّه ، ومنه الجاسوس ، من يتجسس الأخبار .

٤٧٨ ـ مالك في الموطأ (٢ / ٤٤٧) ٢١ ـ كتاب الجهاد ـ ٣ ـ باب النهي عن قتل النساء والولدان في الغزو . قال ابن عبد البر : اتفق رواة الموطأ على إرساله .

بَرَّحَتْ : برح به الأمر : أَضَرَّ به ولقيَ منه شدَّة .

=

فصل : في زواجه عليه الصلاة والسلام بزينب بنت جحش

زينب بنت جحش بن رئاب الأسدية بنت عمة رسول الله ﷺ ، أمها أمية بنت عبد المطلب وهي التي زوجها الله سبحانه وتعالى بنبيه لمصلحة تشريع ، بينه في سورة الأحزاب .

٤٧٩ - * روى مسلم عن أنس بن مَالك رَضي الله عنه قَالَ : لما انقضت عِدةُ زينب قَالَ رَسولُ الله ﷺ لِزَيد : « اذْكُرْهَا عَلَيَّ » قَالَ : فَانطلَقَ زَيدٌ حَتَّى أتَاهَا وهي تُخَمِّرُ عَجِينَهَا ، قَالَ : فَلَمَّا رَأَيْتها عَظُمَتْ في صَدري ، حَتَّى مَا أستطيعُ أنْ أَنْظُرَ إليهَا : أن رسول الله ﷺ ذَكَرها ، فَوَلّيتُها ظَهري ، وَنَكَصتُ على عَقبي ، فَقلتُ : يَازَينَبُ أرسل رَسُول الله ﷺ يَذكُرُك قالتْ : مَا أَنا بِصانِعةٍ شَيْئًا حَتى أُوامِر رَبي ، فَقَامَتْ إلى مَسْجِدها ، وَنَزَلَ القرآن ، وَجَاءَ رَسُولُ ﷺ فدخل عليها بغَيْر إذن قال : فقال : ولقد رأيتنا أنّ رسولَ الله ﷺ أطعَمَنا الخبزَ واللّحْمَ حِينَ امتدَّ النّهارُ ، فَخَرَجَ الناس ، وَبَقِيَ رِجَالٌ يَتَحدثون في البيت بَعدَ الطعام ، فخرج رَسولُ الله ﷺ واتَّبَعْتُه ، فَجَعَلَ يَتَتَبَّعُ حُجَرَ نِسائِه ، يُسَلِّم عَلَيْهن ، وَيَقُلْنَ : يارسُولَ الله ، كَيْفَ وَجَدتَ أَهْلَكَ ؟ قَال : فَمَا أدْري ، أَنا أَخبرتُه : أن القَوْم قَدْ

---

٤٧٩ - مسلم (٢ / ١٠٤٨) ١٦ - كتاب النكاح - ١٥ - باب زواج زينب بنت جحش ، ونزول الحجاب ، وإثبات وليمة العرس .

لزيد : هو زيد بن حارثة الذي سماه الله سبحانه في تلك السورة من كتابه .

فاذكرها عليّ : أي فاخطبها لي من نفسها .

تخمر عجينها : أي تجعل في عجينها الخمير . قال المجد : وتخمير العجين تركه ليجود .

فلما رأيتها عظمت في صدري ..: معناه أنه هابها واستجلها من أجل إرادة النبي ﷺ تزوجها . فعاملها معاملة من تزوجها ﷺ ، في الإعظام والإجلال والمهابة . وقوله : أن رسول الله .. هو بفتح الهمزة من أن أي من أجل ذلك . وقوله : نكصت ، أي رجعت . وكان جاء إليها ليخطبها وهو ينظر إليها ، على ما كان من عادتهم . وهذا قبل نزول الحجاب . فلما غلب عليه الإجلال تأخر . وخطبها وظهره إليها ، لئلا يسبقه النظر إليها .

إلى مسجدها : أي موضع صلاتها من بيتها .

ونزل القرآن : يعني نزل قوله تعالى : ﴿ فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها ﴾ فدخل عليها بغير إذن .

ولقد رأيتنا : أي رأيت أنفسنا .

حين امتد النهار : أي ارتفع . هكذا هو في النسخ : حين ، بالنون .

=

خَرَجُوا ، أو أخبرني ، قَالَ : فَانطلق حَتى دَخَل البَيتَ ، فذهبت أدخل مَعَهُ ، فَألقىَ السّتر بَيْني وَبَينَهُ فنزل الحِجابُ ، قال : ووُعِظَ القومُ بما وُعِظُوا به .

زَادَ فِي رِوَاية : ذَكَرَ الآيةَ ﴿ لا تدخُلُوا بُيُوتَ النبي ﴾ إلى قَولِهِ ـ ﴿ لا يَستحيي مِنَ الحقّ ﴾ (١) .

ولمسلم في روَايـة (٢) أبي كاملٍ ، قَالَ : سَمعتُ أنسا يقُولُ : مَا رَأيْتُ رسولَ الله ﷺ أولَمَ على امرأة من نسائه ما أوْلَمَ على زَيْنبَ ، فإنّه ذَبَحَ شَاةً .

٤٨٠ ـ * روى الحاكم عن أَنَس بن مَالك رَضي الله عنه قَالَ : لما تَزَوجَ النبيَّ صلى الله عليه وآله وَسَلَّمَ زينبَ بَعَثتْ أُم سُلَيْمٍ حَيْساً في تَوْرٍ منْ حجَارة ، قال أنس : فقالَ لي النبي ﷺ : « اذهب فَادْعُ منْ لَقِيتَ مِنَ المسلمين » فَذَهبتُ فَمَا رَأيت أحَداً إلا دَعَوته قال : وَوَضَعَ النبيُّ صلى الله عليه وآله وَسَلَّمَ يَدَهُ في الطعام وَدَعَا فيه ، وَقَالَ : « مَاشَاءَ الله » قَالَ فَجَعَلوا يأكُلُون ويَخرُجُونَ ، وبقيتْ طَائفة فِي البيت فَجَعَل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَآله وَسَلم يسْتَحْيِي مِنْهُم وَأطَالُوا الحَديثَ فَخَرجَ رسُول الله ﷺ ، وَتَركَهُم في البيت ، فَأنزَل الله ﴿ يا أَيُّهَا الذينَ آمنوا لا تَدخُلُوا بُيُوتَ النَّبي إلا أنْ يؤذَنَ لَكُمْ إلى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظرينَ إناه ﴾ يعني غَيرَ مُتَحيِّنين ، حَتى بَلَغَ ﴿ ذَلِكم أطْهرُ لقلوبكم وقُلُوبهنّ ﴾ (٣) .

جوانب من كمال شخصيته عليه السلام :

ذكرنا قصة زواجه عليه الصلاة والسلام من زينب رضي الله عنها ههنا لإدراك جانب

---

(١) الأحزاب : ٥٣ .

(٢) مسلم في نفس الموضع السابق (٢ / ١٠٤٩) .

غير ناظرين إناه : أي غير منتظرين لإدراكه . والإنى كإلى ، مصدر أنَى يأني ، إذا أدرك ونضج . ويقال : بلغ هذا إناه ، أي غايته ، ومنه حميم آن ، وعين آنية ، وبابه رمى .

٤٨٠ ـ المستدرك (٢ / ٤١٧) ، كتاب التفسير ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وأقره الذهبي .

الحَيْس : تمر وأقط وسمن تخلط وتعجن وتسوّى كالثريد .

تَوْر : إناء يُشرب فيه ، وجمعه أتوار .

(٣) الأحزاب : ٥٣ .

من شخصيتـه عليـه الصـلاة والسـلام وكمالاتهـا ، فهـذا الرسـول الأعظم ﷺ الـذي رأيتـه في الغزوات والعمل السياسي أعظم ما يمكن أن يكون إنسـان تجـده في قضـايـاه الشخصيّـة على مثل هذا الحيـاء والتحمّل لأصحـابـه ، حتى إنـه لا يواجههم بطلب شخصي يـذكرهم بواجب ذوقي مادام هذا الأمر مرتبطاً به .

بل إنّـك لتجـد أنّ حسن الأدب معـه عليـه الصـلاة والسـلام وأدب التعـامـل يتنزل بـه القرآن . فيخرج بذلك رسـول الله ﷺ من الإحراجـات في شـؤون كانت تضـايقـه ويحرج بالتنبيه عليها .

كما أنّه في قصّة زينب نجد مظهراً من مظاهر الكمال ودليلا من أدلّـة الرسـالـة فكثيرا مـا يحدث أنّ تغيير تشريع أو سنّ قانون أو إنهـاء عـادة يحتـاج إلى مقـدّمـات وتمهيـدات ، وقـد يوافق الغرض وقد لا يوافق ، وقد ينجح وقـد لا ينجح ، وههنـا تجـد أنّ نظـام التبني وهو نظام عميق الجذور في حياة العرب وفي حياة البشر يهدم بضربة واحـدة بنزول آيـات فيـه ، وبزواج محمد ﷺ ممّن كانت زوجة لمتبنّاه ، فينتهي بذلك نظـام التبنّي من المجتمع الإسلامي الحق ، إلى الأبد .

* * *

فوائد عامة من أحداث السنة الخامسة

١ - لقد برز لنا في أحداث هذه السنة ومن قبل كان بارزا وسنرى ذلك دائماً أن رسول الله ﷺ كانت تأتيه أخبار تحشّدات الأعداء في أوائلها فلم يكن يفاجأ بحادثة ولا تدبير يدبره الأعداء ، وهذا يجعلنا أمام أهم قضيّة في الحرب والسلم ، وهي قضيّة أجهزة المخابرات ، إن العالم كلّه قد أدرك اليوم أنّه بقدر ما يكون جهاز المخابرات قويّا فإنّ ذلك يعوضّ عليك أشياء كثيرة ويجنبك أشياء خطيرة ، صحيح أن ذلك قد يكلّف ولكن مهما كانت التكلفة فالربح أكبر ، إنّه بالنسبة لأي نظام يشكل جهاز المخابرات عينه التي تكشف الخطأ والخطر فتتلافى الأخطاء وتستأصل الأخطار قبل وقوعها ، ومهما يقال بالنسبة لأجهزة المخابرات فالمسألة أخطر وأكبر ، وكل ما يمكن أن تحققه أجهزة المخابرات في العالم كان يتحقق لرسول الله أحياناً عن طريق عالم الأسباب وأحياناً عن طريق الغيب ، فكم من مؤامرة كشفها جبريل ، ولكن رسول الله ﷺ مع هذا لم يكن ليغفل فذلك تكليفه ولقد كانت تتجمع عند رسول الله ﷺ المعلومات من مصادر متعدّدة ، سراياه الاستطلاعيّة ، المسلمون المتخفون ، المتعاطفون مع المسلمين ، المعاهدون ، الفراسة واستكشاف ماوراء السطور ، المهمّ أن رسول الله ﷺ ما كان يفاجأ بتآمر داخلي أو تهديد خارجي وهذا يجعل المسلمين في عصرنا أمام قضيّة يجب أن يعطوها كامل الاعتبار ، مع ملاحظة الضوابط الشرعيّة .

٢ - لقد قرّر رسول الله ﷺ أن يدافع عن عاصمته ، فهي معقله الأول والأخير على قلّة العدد وكثرة العدو ، وهذا يجعلنا أمام قاعدة مهمة أنّه لاخيار في القتال عندما يصل العدو إلى العاصمة أو المعقل الأخير ، أمّا إذا كان الانسحاب إلى معقل أو قيادة فهذا يدخل في التحيز إلى فئة . ولكن مع هذا فقد حرص الرسول ﷺ ألا يدخل في قتال تصادمي مع جيوش تفوق جيشه ، وهذا يوصلنا إلى فكرة البحث عن أجدى الوسائل لتجنب الاستئصال ، فليست مهمّات القيادة أن تقاتل أو تجهز للقتال فقط بل من مهمّاتها أن تفكّر في أن تكون خسائرها أقل إن فاتها أن تجعل خسائرها معدومة . فإذا عرفنا أنّه لم يُقتل من المسلمين في غزوة الأحزاب إلا ستة أدركنا كيف أن مبدأ الاقتصاد في القوى كان مطبقاً على أرقاه عند رسول الله ﷺ وفي ذلك درس للقيادات التي لا تبالي بعدد الضحايا

في المعارك الرئيسيّة أو الجانبيّة .

٣ ـ أسوأ القادة هم الذين لا يستطيعون أن يسيطروا على العصبيّات ، فضلا عن أن ينزلوا في حمأتها ، وأفضل القادة هم الذين يعرفون خصائص الناس ويعرفون لكلٍّ حقّه ويستطيعون أن يضعوا الإنسان المناسب في المكان المناسب ويحسنون توجيه الطاقات ، ولقد كان رسول الله ﷺ في كل شيء هو الأرقى ، ومن ذلك هذا الجانب ، فالجزيرة العربيّة مهد العصبيّات ، العصبيّة للأسرة وللشعب وللقبيلة ، ورسول الله ﷺ محل قيادته المباشرة هم العرب ، فكان لابد أن يسيطر على العصبيات وأن يصهرها بعصبية واحدة هي العصبيّة للإسلام وأهله ، وأن يستفيد بعد ذلك من خصائص الناس ومن تنافسهم ، وإنك لتجد كيف أنّ هذا كلّه قد تهيّأ لرسول الله ﷺ فلم يفلت الزمام من يده مرة واحدة على كثرة المحاولات من يهود ومن المنافقين لإركاس الناس في هذه الحمأة ، تجد ذلك في مواقف كثيرة وسنرى في أحداث السنة السادسة نموذجاً على ذلك ، وفي تنافس الأوس والخزرج على الفضائل بما يخدم الإسلام نموذج على الجانب الآخر ، ومقتل أبي رافع الذي فعلته الخزرج لتكافئ الأوس في قتلها لكعب بن الأشرف بيان لهذا الجانب من حياته عليه الصلاة والسلام في الاستفادة من العصبية بما يخدم الإسلام .

٤ ـ المبادرة في العمل السياسي تشكل جانباً مهمّا منه أو ركنا من أركانه ، والسياسي الناجح هو الذي يبادر في الوقت المناسب إذا وجد استعدادا ، ويفسد مبادرة خصمه إذا بادر الخصم إلى ما يضره ، والسياسي المسلم مقيّد دائماً بالحق والعدل والحكم الشرعي والمصلحة ، ولكن لابد أن يمتلك في حدود ذلك قوّة المبادرة وقوّة تجنب مبادرة الخصوم الضارّة وما أصعب ذلك ، والملاحظ أنّ حياة رسول الله ﷺ مليئة بالمبادرات ، فمبادرته بكتابة العهود بينه وبين سكّان المدينة ، ومبادراته بالعقود ، ومبادرته ضد استعدادات الآخرين نماذج ، وفي قصّة الأحزاب تجد الذين أقدموا على مبادرة التجميع ضدّ رسول الله ﷺ هم اليهود ، واليهود في كل زمان ومكان يمتلكون الجرأة على المبادرات ، ولكنّ مبادرتهم تلك ضد رسول الله ﷺ كانت كارثة عليهم ، وهذا من توفيق الله له عليه الصلاة والسلام ثمّ من كمالاته ، على كل الأحوال فإنّ على الحركة الإسلامية أن تبادر . وأن تمتلك القدرة على التصرف أمام

مبادرات الخصوم .

٥ ـ في كثير من الأحيان تضطّر القيادات السياسيّة والعسكريّة لمواقف لابدّ منها ، وفي مثل هذه المواقف لا يفرق بين الخائن والأمين إلا الثقة ، فمن وثق قال عن قائده أمين ومن لم يثق قال عنه خائن ، ولذلك لا يصحّ بالنسبة للقيادات الإسلاميّة أن تخدش الثقة ، والقيادات الإسلاميّة في هذه الحالة بين أمرين : إمّا أن تستقيل ، أو تتنزه عن مواطن الشبهات ، وما عدا ذلك فإنّه خيار صعب وقد يكون فاسداً ، وعلى كلّ الأحوال فهذا يجعلنا نؤكدّ على أنه يجب أن تبذل كافّة الجهود لتبنى الثقة في القيادات على أرقاها ، فذلك هو الطريق الوحيد للوصول إلى القرار الحكيم ، نقول هذا بمناسبة أن رسول الله ﷺ عرض على غطفان ثلث ثمار المدينة في مقابل أن يتميزوا عن قريشٍ . صحيحٌ أنّ ذلك لم يُبرم ، ولكن هل أثرّ عرض رسول الله على الثقة فيه ؟ ترى من يستطيع الآن من القيادات الإسلاميّة أن يعرض عروضاً ما على الكافرين بسبب ظروف صعبة ثم لا يكون محلّ تهمة لدى إخوانه ؟ هذا الوضع يجب أن تتحرّر الحركة الإسلامية منه ، يجب أن يكون تقديرها للموقف سليماً وعلى ضوء ذلك تتّخذ قرارها المناسب ، كائنا ما كان مادام شرعياً وفيه مصلحة ، وعليها أن تربيّ الصفّ على الثقة ، وعلى القيادات أن تكون جديرة بهذه الثقة .

* * *

تقويم الموقف في نهاية السنة الخامسة

لقد انتهت غزوة الأحزاب في الظاهر بسلامة الفريقين وتكافئهما ، ولكنّ الأمر في حقيقته كان غير ذلك ، فلقد سجّل رسول الله ﷺ في هذه الغزوة انتصاراً من أعظم انتصاراته ، لقد كان هو المنتصر الأكبر على الساحة جميعها سياسياً وعسكريّا وإعلاميّا ونفسياً ، فعندما يرجع جيش مقداره عشرة آلاف وهو أضخم جيش عرفته الجزيرة العربيّة حتّى يومها ، دون أن يحقّق شيئاً ضد جيش قوامه ثلاثة آلاف فذلك وحده خسارة لهذا الجيش ، فإذا ما أضيف إلى ذلك أنّ هذه أوّل تجربة لتجميع العرب المشركين ضدّ محمد ﷺ وكانت تجربة فاشلة فهذا يعني أنّها لن تتكرر وذلك ربح آخر ، ولئن ترتّب على هذه الغزوة استئصال قريظة بسبب غدرها فذلك يعني أنّ المسلمين لن يُؤْتَوْا مرّة أخرى من

داخلهم وذلك ربح ، فإذا ما اجتمع مع ذلك أنّ قريشاً رجعت يـائسـة لأنّهـا مع غيرهـا لن تستطيع أن تفعل شيئاً فكيف بها وحدهـا ؟ وإذن فقريش لن تعيـد الكرّة وذلـك كـذلـك ربح وهكـذا نجـد رسول الله ﷺ وهو يـدلف إلى السنـة السـادسـة في أفضل وضع سيـاسيّـا وعسكريّـا وسنرى كيف أنّـه استفـاد من هـذه الظروف كلّهـا أيمـا استفـادة فحقّق في السنـة السادسة أعظم انتصار في تاريخ الدولة الإسلاميّة الناشئة .

* * *

السنة السادسة للهجرة

أحداث السنة السادسة في سطور

كان الموقف الذي تمخّضت عنه أحداث السنة الخامسة يحتاج إلى استثمار ، ولا أعرف في تاريخ العالم أحداً يستطيع أن يستثمر وضعاً كما يفعل رسول الله ﷺ وما جرى في السنة السادسة نموذج على ذلك ، فلقد صعّد رسولُ الله ﷺ زَخْمَ[1] السرايا والبعوث كما لم يفعل من قبل وبذلك ثبّت القبائل كلّها ، كلٌّ في مكانه ، وفي هذا الجوّ أعلن أنّه يريد العمرة وبهذا بلغ ﷺ قمّة الموقف ، فالقبائل مثبّتة ، وشعار العمرة لا يرفضه أحد ، وبهذا دخلت قريش في أكبر إحراج سياسي وعسكري ، فلو شاءت أن تستنفر العرب لقتال لا تجد من يستجيب ، فمن يقاتل من يريد العمرة ؟! ولو أرادت أن تتّحد لقتال فإنّها لا تستطيع لأنّه لا يمكن أن يجتمع أهل مكة على قتال العُمّار فلم يكن أمامها إلا أن تصالح ، وبهذا الصلح حقّق رسول الله ﷺ أكبر انتصار سياسي ، فبهذا الصلح ترك الشرك بلا رأس ولا قيادة ، وبهذا أصبح وحده سيّد الموقف ، وأصبح بإمكانه أن يضرب حيث شاء دون أن يخشى تجمّع الأطراف ضده ، فقد أصبح أبناء الجزيرة أمامه أفراداً أو فئاتٍ قليلة ، وهذا أعطاه فرصاً كبيرة منها : فتح خيبر وغيرها كما سنرى في أحداث السنة السابعة ، وفي خضمّ هذه الإنجازات الهائلة نجد مشكلات في غاية الضخامة ، ومتاعب كثيرة ، وكلّ ذلك كان رسول الله ﷺ يتعامل معه على أقوى ما يكون التعامل ولا نستبق الأحداث .

فلنبدأ بما اعتدنا أن نبدأ به من ذكر أحداث السنة في سطور ، ولعلّك من هذه السطور تتعرف على بعض ما ذكرناه .

* * *

---

(١) زَخْمَ : زَخَمَه زَخْماً : دفعه دفعاً شديداً .

أهم أحداث هذه السنة في سطور

* في عشر من المحرم سنة ست للهجرة أرسل الرسول ﷺ سريّة على رأسها محمد بن مسلمة في ثلاثين راكباً قِبلَ نَجْدٍ فسارت بناحية القُرطَاء بناحية ضَرِيّة [1] بالبكرات من أرض نجد ، وداهمت بطناً من بني بكر بن كلاب ، فلمّا أغارت عليهم هربوا واستاق المسلمون نَعَمَهم وشاءَهم وأسروا ثُمامةَ بنَ أُثالٍ سيّد بني حَنيفة الذي كان قادماً لاغتيال رسول الله ﷺ ثمّ كان عاقبة أمره أن أسلم .

* وفي ربيع الأول أو الآخر سنة ٦ هـ ، أرسل رسول الله ﷺ عُكّاشة بن مِحْصَن في أربعين رجلاً إلى الغَمْرِ ماء لبني أسد ! ففرّ القوم وأصاب المسلمون مائتي بعير ساقوها إلى المدينة ، ثمّ كانت السرايا التالية :

قال المباركفوري :

* سرية محمد بن مَسْلَمة إلى ذي القصة في ربيع الأول أو الآخر سنة ٦ هجرية خرج ابن مسلمة في عشرة رجال إلى القصة في ديار بني ثعلبة ، فكمن القوم لهم ـ وهم مائة فلما ناموا قتلوهم إلا ابن مسلمة فإنه أفلت منهم جريحاً .

* سرية أبي عُبيدة بن الجراح إلى ذي القصّة في ربيع الآخر سنه ٦ هـ ، وقد بعثه النبي ﷺ على إثر مقتل أصحاب محمد بن مسلمة ، فخرج ومعه أربعون رجلاً إلى مصارعهم ، فساروا ليلتهم مشاة ، ووافوا بني ثعلبة مع الصبح فأغاروا عليهم ، فأعجزوهم هرباً في الجبال ، وأصابوا رجلاً واحداً فأسلم . وغنموا نعماً وشاء .

* سرية زيد بن حارثة إلى الجموم في ربيع الآخر سنة ٦ هـ . والجموم ماء لبني سُلَيم في مَرّ الظّهران ، خرج إليهم زيد فأصاب امرأة من مزينة يقال لها حليمة ، فدلّتهم على محلة من بني سُليم أصابوا فيها نَعَمًا وشاءً وأسرى ، فلما قفل بما أصاب ، وهب رسول الله ﷺ للمزينية نفسها وزَوَّجَها .

---

(١) ضَرِيَّة : قرية بين البصرة ومكة .

* سرية زيد أيضاً إلى العِيص في جمادى الأولى سنة ٦ هـ في سبعين ومائة راكب ، وفيها أخذت أموال عير لقريش كان قائدها أبو العاص خَتَنُ [١] رسول الله ﷺ . وأفلت أبو العاص ، فأتى زينب فاستجار بها ، وسألها أن تطلب من رسول الله ﷺ رد أموال العير عليه ، ففعلت ، وأشار رسول الله ﷺ على الناس برد الأموال من غير أن يكرههم ، فردوا الكثير والقليل والكبير والصغير حتى رجع أبو العاص إلى مكة ، وأدى الودائع إلى أهلها ، ثم أسلم وهاجر فرد عليه رسول الله ﷺ زينب بالنكاح الأول بعد ثلاث سنين ونيف كما ثبت في الحديث الصحيح ردها بالنكاح الأول لأن آية تحريم المسلمات على الكفار لم تكن نزلت إذ ذاك [٢] .

* سرية زيد أيضاً إلى الطرف أو الطرق في جمادى الآخرة سنة ٦ هـ خرج زيد في خمسة عشر رجلاً إلى بني ثعلبة فهربت الأعراب ، وخافوا أن يكون رسول الله ﷺ سار إليهم ، فأصاب من نعمهم عشرين بعيرا ، وغاب أربع ليال .

* سرية زيد أيضاً إلى وادي القرى في رجب سنة ٦ هـ خرج زيد في اثني عشر رجلاً إلى وادي القرى لاستكشاف حركات العدو إن كانت هناك ، فهجم عليهم سكان وادي القرى . فقتلوا تسعة وأفلت ثلاثة فيهم زيد بن حارثة .

* سرية الخَبط [٣] - تذكر هذه السرية في رجب سنة ٨ هـ . ولكن السياق يدل على أنها كانت قبل الحديبية ، قال جابر : بعثنا النبي ﷺ في ثلاثمائة راكب أميرنا أبو عبيدة بن الجراح نرصد عيراً لقريش ، فأصابنا جوع شديد حتى أكلنا الخبطَ ، فسمي جيش الخَبَط ، فنحر رجل ثلاث جزائر ، ثم نحر ثلاث جزائر ، ثم نحر ثلاث جزائر ، ثم إن أبا عبيدة نهاه ، فألقى إلينا البحر دابة يقال لها : العنبر ، فأكلنا منه نصف شهر . وادّهنّا [٤] منه حتى

---

(١) **الختن** : المراد زوج ابنته زينب رضي الله عنها .

(٢) وأما ما ورد من الحديث من أنه رد عليه بنكاح جديد ، أو رد عليه بعد ست سنين فلا يصح معنى ، كما أنه ليس بصحيح سندا .

(٣) **الخَبط** : ما سقط من ورق الشجر بالخَبْط والنَّفض .

(٤) **ادّهنّا منه** : انتفعنا من دهنه .

ثابت منه أجسامنا ، وصلحت ، وأخذ أبو عبيدة ضلعا من أضلاعه ، فنظر إلى أطول رجل في الجيش وأطول جمل ، فحُمِل عليه ، ومرَّ تحته ، وتزودنا من لحمه وشائق [١] ، فلما قدمنا المدينة ، أتينا رسول الله ﷺ فذكرنا له ذلك فقال : « هو رزق أخرجه الله لكم فهل معكم من لحمه شيء ، تطعمونا » فأرسلنا إلى رسول الله ﷺ [٢] منه .

وإنما قلنا : إن سياق هذه السرية يدل على أنها كانت قبل الحديبية لأن المسلمين لم يكونوا يتعرضون لعير قريش بعد صلح الحديبية .

* وفي ٢ شعبان سنة ٦ للهجرة خرج رسول الله ﷺ نحو بني المُصْطَلِق ، بعد أن بلغه أنّ الحارث بن أبي ضِرار يحشد له يريد غزو المدينة ، وكانت معركة قصيرة هرب فيها المشركون وانتصر المسلمون ، وفي هذه الغزوة حدثت حادثة الإفك ، كما حاول المنافقون أن يحدثوا فتنة بين المسلمين ولكنّ الله سلَّم ، وتمخّضت هذه الغزوة عن زواج رسول الله ﷺ بجُوَيْرِيَّة بنت الحارث رضي الله عنها .

ثم والى رسول الله ﷺ إرسال السرايا : **قال المباركفوري :**

* سرية عبد الرحمن بن عوف إلى ديار بني كَلْب بدُومَة الجَنْدل ، في شعبان سنة ٦ هـ . أقعده رسول الله ﷺ بين يديه ، وعممه بيده ، وأوصاه بأحسن الأمور في الحرب ، وقال له : « إن أطاعوك فتزوج ابنة ملكهم » فمكث عبد الرحمن بن عوف ثلاثة أيام يدعوهم إلى الإسلام ، فأسلم القوم وتزوج عبد الرحمن تُماضِرَ بنتَ الأَصْبَغ ، وهي أم أبي سلمة ، وكان أبوها رأسهم وملكهم .

* سرية علي بن أبي طالب إلى بني سعد بن بكر بَفَدَكَ في شعبان سنة ٦ هـ وذلك أنه بلغ رسول الله ﷺ أن بها جمعاً يريدون أن يمدوا اليهود . فبعث إليهم عليا في مائتي رجل ،

---

(١) وشائق : وَشَقَ اللحم : شرَّحه وقدَّده وجففه .

(٢) أخرجه البخاري بنحوه (٩ / ٦١٥) . ٧٢ ـ كتاب الذبائح والصيد . ١٢ ـ باب قول الله تعالى : ﴿ أحل لكم صيد البحر ﴾

= ومسلم واللفظ له (٣ / ١٥٣٦) . ٣٤ ـ كتاب الصيد والذبائح ٤ ـ باب إباحة ميتات البحر .

وكان يسير الليل ويكمن النهار ، فأصاب عينا لهم فأقر أنهم بعثوه إلى خيبر يعرضون عليهم نصرتهم على أن يجعلوا لهم تمر خيبر . ودل العين على موضع تجمع بني سعد ، فأغار عليهم علي ، فأخذ خمسائة بعير وألفي شاة ، وهربت بنو سعد بالظعن ، وكان رئيسهم وبر بن عليم .

* سرية أبي بكر الصديق أو زيد بن حارثة إلى وادي القرى في رمضان سنة ٦ هـ . كان بطن فَزَارة يريد اغتيال النبي ﷺ ، فبعث رسول الله ﷺ أبا بكر الصديق فأغار عليهم وقتل وأسر وسبى وكان من شياطينهم أم قِرْفة التي جهّزت ثلاثين فارساً من أهل بيتها لاغتيال رسول الله ﷺ ، فقُتلوا وسُبيتْ ابنتُها ففدى بها رسول الله ﷺ بعض أسارى المسلمين في مكة .

* سرية كُرْز بن جابر الفهري إلى العرنيين في شوال سنة ٦ هـ وذلك أن رهطا من عُكْل وعُرَيْنَة أظهروا الإسلام ، وأقاموا بالمدينة فاستوخموها ، فبعثهم رسول الله ﷺ في ذودٍ في المرعى ، وأمرهم أن يشربوا من ألبانها وأبوالها ، فلما صحّوا قتلوا راعي رسول الله ﷺ ، واستاقوا الإبل وكفروا بعد إسلامهم ، فبعث في طلبهم كرزاً الفهري في عشرين من الصحابة، ودعا على العرنيين : «اللهم اعم عليهم الطريق ، واجعلها عليهم أضيق من مَسك» فعمى الله عليهم السبيل فأُدركوا ، فقطعت أيديهم وأرجلهم وسُملت أعينهم ، جزاء وقصاصا بما فعلوا فقد جمعوا بين قتل الراعي وسمل عينيه ، ثم تُركوا في ناحية الحَرّة حتى ماتوا . وحديثهم في الصحيح عن أنس [1] .

وبعد هذا الزّخْم من العمليّات المتواصلة ، قام رسول الله ﷺ بأعظم ضربة سياسيّة إذ أعلن أنّه يريد العمرة إلى بيت الله الحرام غُرّةَ ذي‌القعْدة ، وقد تمخّض ذلك عن صلح الحُدَيْبيّة الذي يعتبر نصراً ساحقاً من وجهة النظر السياسيّة كما سنرى .

= مَسَك : الموضع الذي يمسك الماء من الجريان .

(١) أخرجه البخاري (٧ / ٤٥٨) ٦٤ ـ كتاب المغازي ـ ٣٦ ـ باب قصة عُكْل وعُرينة .

ـ ومسلم نحوه (٣ / ١٢٩٦) ٢٨ ـ كتاب القسامة ـ ٢ ـ باب حكم المحاربين والمرتدين .

وبعد أن آبَ إلى مدينته المباركة وجّه مباشرة رسائل إلى الملوك المعروفين في عصره يدعوهم فيها إلى الله ، ثمّ توجّه في بداية السنة السابعة نحو تصفية السلطان السياسي لليهود في جزيرة العرب فكانت غزوة خيبر في أوائل السنة السابعة ، وذكر ابن كثير أنّه في سنة ست هذه فرض الحج على رأي الشافعي رحمه الله .

ولقد درجنا في هذا القسم على أنّ نعقد فصولاً لأهم الأحداث أو لأحداث نريد أن نعلّق عليها تاركين بعض الموضوعات إلى محالّها من هذ السلسلة ، كما درجنا أن نقف وقفات خاصّة عند أحداث السيرة التي نزل بسببها أو فيها قرآن ، ولقد نزل قرآن في حادثتين وقعتا في غزوة بني المصطلِق ونزل قرآن في حادثة الحديبية ومراعاة لهذا كلّه فسنعقد خمسة فصول لهذه السنة :

فصل : في غزوة نجد وإسلام ثُمَامة بن أُثَال .

فصل : في غزوة المُرَيْسِيع وبني المُصْطَلِق .

فصل : في العُرَنيين .

فصل : في صلح الحُدَيْبِيَة .

فصل : في مراسلات رسول الله ﷺ إلى الملوك والرؤساء والأمراء .

* * *

فصل : في غزوة نجد وإسلام ثُمامةَ بن أُثال

٤٨١ * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « بَعث النبي ﷺ خيلاً قبل نَجد ، فجاءت برجل من بني حنيفةَ يقال لـه ثُمامة بن أُثـال ، فربَطوه بسارية من سواري المسجد ، فخرج إليه النبي ﷺ فقال : « ماذا عندَك يا ثمامةُ ؟ » فقال : عندي خير يا محمدُ إن تَقتلْني تَقتلْ ذا دمٍ ، وإن تُنْعِمْ تُنْعِمْ على شاكر ، وإن كنتَ تريدُ المال فسَلْ منه ما شئتَ . فتُرِك حتى كان الغَدُ ثم قال لهُ : « ما عندَك ياثمامةُ ؟ » فقال : ما قلتُ لك : إن تُنعمْ تنعمْ على شاكر . فتركهُ حتى كان بعدَ الغد فقال : « ما عندَك يا ثمامةُ ؟ » فقال : عندي ما قلتُ لك . فقال : أطلِقوا ثمامةَ . فانطَلَقَ إلى نخل قريب من المسجدِ فاغتسلَ ، ثم دخل المسجد فقال : أشهد أن لا إلهَ إلا الله ، وأشهد أنّ محمداً رسول الله . يا محمد ، واللهِ ما كان على الأرض وجهٌ أبغضَ إليَّ من وَجهك ، فقد أصبحَ وَجهُكَ أحبُّ الوجوه إليّ . واللهِ ما كان من دينٍ أبغضَ إليَّ من دينك ، فأصبح دينُك أحبُّ الدين إليَّ . واللهِ ما كان من بلد أبغضَ إليَّ من بلدك ، فأصبحَ بلدكَ أحبُّ البلاد إليَّ . وإن خَيلَكَ أخذتني ، وأنا أُريد العمرةَ ، فماذا ترى ؟ فبشَّره رسول الله ﷺ ، وأمَرَه أن يعتمر . فلما قَدِم مكةَ قال له قائل : صَبوت ؟ قال : لا والله ، ولكن أسلمتُ مع رسول الله ، ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حَبّةُ حِنطَةٍ حتى يأذن فيها النبي ﷺ .

* * *

٤٨١ ـ البخاري (٨ / ٨٧) ٦٤ ـ كتاب المغازي ـ ٧ ـ باب وفد بني حنيفة ، وحديث ثمامة بن أثال .

ومسلم (٣ / ١٣٨٦) ٣٢ ـ كتاب الجهاد والسير ـ ١٩ ـ باب ربط الأسير وحبسه ، وجواز المنّ عليه .

تقتل ذا دم : تقتلْ صاحب دمٍ لهُ بِه مَوقع يشتفي بقتلِه قاتلهُ ويدركُ قاتلهُ به ثأرَه لرياسته وفضيلته وقيل تقتل من عليه دم مطلوب به وهو مستحق لذلك فلا عَتْبَ عليك في قتله (عن القاضي عياض في شرح صحيح مسلم) .

صبوت : أي : خرجتَ من دينك ؟ .

فصل : في غزوة المريسيع

٤٨٢ ـ * روى الطبراني عن سَنَان بن وَبْرَةَ قَالَ : كُنَّا مَعَ رَسُول الله ﷺ في غَزْوَة الْمُرَيْسِيع غَزْوَةِ بَني الْمُصْطَلِق ، فَكَانَ شِعَارهم يَامَنصُورُ أَمِتْ أَمِتْ .

٤٨٣ ـ * روى الطبراني عن محمد بن إسحاق قال : حدثني عَاصِمُ بنُ عُمَرَ بنِ قَتَادةَ ، وَعَبْدُ اللهِ بنُ أبي بَكْرٍ ومُحمَّدُ بنُ يحيىَ بنِ حَيَّانَ كُلٌّ قَدْ حدثني بَعْضَ حَديث بَني المصطَلِق قال : بَلغَ رَسُول الله ﷺ أنَّ بني المُصْطَلِق ، يجْمعُون له وقائدهم الحارثُ بنُ أبي ضِرَار أبو جُوَيْرية بنتِ الحارث زَوْجِ رَسولِ الله ﷺ فَلَما سَمِعَ بِهِمْ رَسُول اللهِ ﷺ خَرَجَ إليهم ، حَتَّى لَقِيَهم عَلَى ماء لهم يُقالُ له : المُرَيْسِيعَ مِنْ نَاحية قُدَيْدٍ إلى السَّاحل فتزاحم النَّاسُ ، وَاقْتَتَلوا ، فَهَزَمَ الله بني المصطَلِق وقُتل الحارثُ بنُ أَبي ضِرَار أبو جُوَيرية ، وقُتِل مَنْ قُتِلَ مِنهم ، وَنَفَل الله رَسُوله ﷺ أبناءَهُم وَنِسَاءَهُم ، وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ أَصَابَ مِنْهم سَبْيًا كثيراً ، قَسَمَهُ في المُسْلِمينَ وَكَانَ فيما أَصابَ يَوْمَئِذٍ مِنَ النِّسَاء جُوَيريَة بِنت أبي ضرار سَيِّدة نساء قَوْمِهَا .

٤٨٤ ـ * روى البخاري ومسلم عن عبد اللهِ بن عَون رحمه الله قال : كَتَبْتُ إلى نَافِع أسأله عن الدعاء قبلَ القتال ، قال : فكتب إليَّ : إنما كان ذلك في أول الإسلام ، وقد أغار رسولُ الله ﷺ على بني المُصْطَلِقِ وهُم غَارُّونَ ، وأنعامُهم تُسْقَى على الماء ، فَقَتَلَ مُقَاتِلَتَهم ، وَسَبَى

---

٤٨٢ ـ المعجم الكبير (٧ / ١٠١) .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٤٢) : رواه الطبراني في الأوسط الكبير ، وإسناد الكبير حسن .

المريسيع : اسم ماء من ناحية قُدَيد إلى الساحل .

٤٨٣ ـ المعجم الكبير (٢٤ / ٦٠) .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٤٢) : رواه الطبراني في الأوسط والكبير ، إسناد الكبير حسن .

نَفَّل القائد الجند : أعطاهم ماغنموا .

٤٨٤ ـ البخاري (٥ / ١٧٠) ٤٩ ـ كتاب العتق ـ ١٣ ـ باب من ملك من العرب رقيقاً فوهب وباع وجامع وفدى وسبى الذرية .

ومسلم (٣ / ١٣٥٦) ٣٢ ـ كتاب الجهاد والسير ـ باب جواز الإغارة على الكفار الذين بلغتهم دعوة الإسلام ، من غير تقدم الإعلام بالإغارة .

الدعاء قبل القتال : أراد بالدعاء : الإنذار ، وأن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم .

=

سَبْيَهُم وأصابَ يومئـذٍ جُوَيْرِيـة . وحـدَّثني هـذا الحـديث عبدُ الله بن عمر ، وكان في ذلـك الجيش .

قال النووي في شرح مسلم :

وفي هـذا الحـديث : جـواز الإغـارة على الكفـار الـذين بلغتهم الـدعـوة من غير إنـذار بالإغارة ، وفي هذه المسألة ثلاثة مذاهب حكاها المازري والقـاضي ، أحـدهـا : يجب الإنـذار مطلقاً ، قاله مالك وغيره ، وهذا ضعيف . والثاني : لا يجب مطلقاً ، وهـذا أضعف منـه أو باطل . والثالث : يجب إن لم تبلغهم الـدعوة ، ولا يجب إن بلغتهم ، لكن يستحب ، وهـذا هو الصحيح ، وبه قال نـافع مولى ابن عمر والحسن البصري والثوري والليث والشـافعي وأبو ثور وابن المنذر والجمهور . قال ابن المنذر : وهو قول أكثر أهل العلم ، وقد تظـاهرت الأحـاديث الصحيحة على معناه .

١ ـ وفي هذه الغزوة حدثت حادثة الإفك :

٤٨٥ ـ * روى الطبراني عن محمدِ بن إسحاق قَالَ : كَـانَتْ غزوةُ بَني المصطَلق في شَعْبَـان سَنَـةَ ستٍ وفي تلْـكَ الغَـزْوة خرج رسـول الله ﷺ بِعَـائشَـة مَعَـهُ ، أَقْرعَ بَيْنَ نِسَـائـه فَخَرَج سَهْمُهَا . وَفي تِلكَ الغزوة قَالَ فِيها أهلُ الإفْك مَاقَالوا ، فَأَنْزَل الله عَزَّ وَجَلَّ بَراءتَها .

قَالَ البُخَاري [1] : وَهيَ غَزوة المُرَيْسيع ، قـال ابن إسحـاقَ : وَذلـك سَنَـةَ سِتٍ ، وقـال النعمان بن رَاشدٍ عَن الزهري : كَانَ حديث الإفك في غزوة المُرَيْسِيع .

٤٨٦ ـ * روى البخاري ومسلم عَن الزُّهْري : أَخْبَرني سَعيـدُ بْنُ المُسَيَّبِ وَعُرْوَةُ بنُ الزُّبَيْر

= غارُّون : الغِرَّةُ : الغفلة ، ورجلٌ غارّ ، وقوم غارّون .

سَبيهم : سبيتُ العدو سبياً : إذا أسرته ، واستوليت عليه .

جُوَيْرِية : تصغير جارية ، هي زوج النبي ﷺ ، وهي جُويرية بنت الحارث .

٤٨٥ ـ المعجم الكبير (٢٣ / ١٦٢) .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٤٢) : رواه الطبراني ، ورجاله ثقات .

(١) البخاري (٧ / ٤٢٨) ٦٤ ـ كتاب المغازي ٣٢ ـ باب غزوة بني المصطلق.

٤٨٦ ـ البخاري (٧ / ٤٣١) ٦٤ ـ كتاب المغازي ـ ٣٤ ـ باب حديث الإفك . =

وَعَلْقَمَةُ بْنُ وَقاصٍ وَعُبيدُ الله بنُ عبد الله بن عُتْبَةَ بن مَسْعُودٍ عَنْ حَديث عَائِشَةَ ، زَوْجِ النبي ﷺ . حينَ قَالَ لَها أهلُ الإفْكِ مَا قَالُوا . فَبَرَّأَهَا اللهُ مِمَّا قَالُوا . وَكُلُّهُمْ حَدَّثني طَائِفَةً مِنْ حَديثها . وَبَعضُهُمْ كَانَ أَوْعَى لِحديثِها مِنْ بَعض . وَأَثْبَت اقْتِصاصاً . وَقَدْ وَعيتُ عَنْ كُلِّ وَاحدٍ مِنهمُ الحَديثَ . الذي حَدَّثني . وَبَعْضُ حَديثِهِمْ يُصَدِّقُ بَعْضاً . ذَكَرُوا ؛ أَنَّ عَائِشَة ، زَوجَ النَّبي ﷺ قَالَتْ : كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا أَرادَ أَنْ يَخرُجَ سَفَراً ، أَقْرَعَ بَيْنَ نِسائِهِ . فَأَيَّتُهن خَرَجَ سَهْمُهَا ، خَرَجَ بِهَا رَسُولُ الله ﷺ مَعَهُ .

قَالَتْ عائِشَةُ : فَأَقرَعَ بَيْننا في غَزْوَةٍ غَزَاهَا . فَخَرَجَ فِيهَا سَهْمي . فَخَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ . وَذَلكَ بَعْدَمَا أُنْزِلَ الحِجَابُ . فَأَنَا أُحْمَلُ في هَوْدَجي ، وأُنْزَلُ فِيهِ ، مَسيرَنَا . حَتَّى إذا فَرَغَ رَسُولُ الله ﷺ مِنْ غَزْوِهِ ، وَقَفَلَ ، وَدَنَوْنَا من المدينة ، آذَنَ لَيْلَةً بِالرَّحيل . فَقُمْتُ حِينَ آذنُوا بِالرحيل . فَمَشَيْتُ حَتَّى جَاوَزْتُ الجَيْش . فَلَمَّا قَضَيْتُ مِنْ شَأْني أَقْبَلْتُ إِلى الرَّحْل . فَلَمستُ صَدْري فَإِذا عِقْدِي مِنْ جَزْعِ ظَفَار قَدِ انْقطَعَ . فَرَجَعْتُ فَالتَمستُ عِقْدِي فَحَبَسَني ابْتِغَاؤُهُ . وَأَقْبَلَ الرَّهْطُ الذينَ كَانُوا يَرْحَلُونَ لي فَحَمَلُوا هَوْدَجي ، فَرَحَلُوهُ عَلَى بَعيري الذي كُنتُ أَرْكَبُ . وَهُمْ يَحْسَبُون أَني فيه .

قَالَتْ : وكَانَتِ النِّساءُ إِذْ ذَاكَ خِفافاً . لَمْ يُهَبَّلْنَ وَلَمْ يَغْشَهُنَّ اللَّحْمُ . إِنَّمَا يَأْكُلْنَ العُلْقَةَ مِنَ الطَّعَامِ . فَلَمْ يَسْتَنْكِرِ القَوْمُ ثِقَلَ الهَوْدَجِ حِينَ رَحَلُوهُ وَرَفَعُوهُ . وَكُنْتُ جَارِيَةً حَديثَةَ

= وأيضاً البخاري (٨ / ٤٥٢) ٦٥ ـ كتاب التفسير ـ ٦ ـ باب لولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم » .

ومسلم (٤ / ٢١٢٩) ٤٩ ـ كتاب التوبة ـ ١٠ ـ باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف .

الإفكُ : الكذب ، وأراد به : قذف عائشة رضي الله عنها .

أَوْعى : أحفظ .

آذَنَ : أي أعلم ، يعني : نادى بالرحيل .

جزْعُ أظفار : الجزع هنا : الحجر اليماني المعروف ، وإضافته إلى أظفار : تخصيص له ، وفي اليمن موضع يقال له : ظفار ، والرواية في الحديث « أظفار ـ وظفار » .

لم يُهَبَّلن : أي لم يكثر لحمهن من السِّمن فَيثْقُلْن ، والمهبلُ : الكثير اللحم ، الثَّقيلُ الحركة من السمن ، وقد روي « لم يَهبُلن .

العُلْقَةُ : بضم العين : البُلْغة من الطعام قَدْر مايمسك الرَّمق ، تريد : القليل . =

السِّنّ فَبَعَثُوا الجَمَلَ وَسَارُوا . وَوَجَدْتُ عِقْدِي بَعْدَ مَا اسْتَمَرَّ الجَيْشُ . فَجِئْتُ مَنَازِلَهُمْ وَلَيسَ بِهَا دَاعٍ وَلاَ مُجِيبٌ . فَتَيَمَّمْتُ مَنْزِلِي الَّذِي كُنْتُ فِيهِ . وَظَنَنْتُ أَنَّ الْقَوْمَ سَيَفْقِدُونِي فَيَرْجِعُونَ إِلَيَّ . فَبَيْنَا أَنَا جَالِسَةٌ فِي مَنْزِلِي غَلَبَتْنِي عَيْنِي فَنِمْتُ . وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ الْمُعَطَّلِ السُّلَمِيُّ ، ثُمَّ الذَّكْوَانِيُّ ، قَدْ عَرَّسَ مِنْ وَرَاءِ الجَيْشِ فَادَّلَجَ . فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِي . فَرَأَى سَوَادَ إِنْسَانٍ نَائِمٍ . فَأَتَانِي فَعَرَفَنِي حِينَ رَآنِي . وَقَدْ كَانَ يَرَانِي قَبْلَ أَنْ يُضْرَبَ الحِجَابُ عَلَيَّ . فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ حِينَ عَرَفَنِي . فَخَمَّرْتُ وجهي بِجِلْبَابِي . وَوَاللهِ ! مَا يُكَلِّمُنِي كَلِمَةً وَلاَ سَمِعْتُ مِنهُ كَلِمَةً غَيْرَ اسْتِرْجَاعِهِ . حَتَّى أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ فَوَطِئَ عَلَىٰ يَدِهَا فَرَكِبْتُهَا . فَانْطَلَقَ يَقُودُ بِي الرَّاحِلَةَ . حَتَّىٰ أَتَيْنَا الجَيْشَ . بَعْدَ مَا نَزَلُوا مُوغِرِينَ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ . فَهَلَكَ مَنْ هَلَكَ فِي شَأْنِي . وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ . عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ ابن سَلُول . فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ . فَاشْتَكَيْتُ ، حِينَ قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ ، شَهْراً . وَالنَّاسُ يُفِيضُونَ فِي قَوْلِ أَهْلِ الإِفْكِ . وَلاَ أَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ . وَهُوَ يَرِيبُنِي فِي وَجَعِي أَنِّي لاَ أَعْرِفُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ اللُّطْفَ الَّذِي كُنْتُ أَرَىٰ مِنْهُ حِينَ أَشْتَكِي . إِنَّمَا يَدْخُلُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَيُسَلِّمُ ثُمَّ يَقُولُ

= داع ولا مُجيب : أي ليس بها أحد ، لامن يدعو ، ولا من يرد جوابا .

عرس فادّلج : التعريس : نزول آخر الليل نزلة الاستراحة ، والإدّلاج ـ بالتشديد ـ : سير آخر الليل .

عرس من وراء الجيش : قال الحافظ في الفتح : قال أبو زيد : التعريس . النزول في السفر في أي وقت كان . وقال غيره : أصله : النزول من آخر الليل في السفر للراحة .

ووقع في حديث ابن عمر : بيان سبب تأخر صفوان ، وكان صفوان سأل النبي ﷺ : أن يجعله على الساقة ، فكان إذا رحل الناس قام يصلي ، ثم اتبعهم ، فمن سقط له شيء أتاه به . وفي حديث أبي هريرة وكان صفوان يتخلف عن الناس ، فيصيب القدح والجراب والإداوة وفي مرسل مقاتل بن حيان فيحمله فيقدم به فيعرفه أصحابه » وكذا في مرسل سعيد بن جبير نحوه .

الاسترجاع : هو قول القائل : (إنا لله وإنا إليه راجعون) .

بجلبابي : الجلبابُ : ما يتغطّى به الإنسانُ من ثوب أو إزار .

مُوغرينَ : الْوَغْرةُ : شدّةُ الحر ، ومنه يقال : وغَرَ صدرهُ يوغر : إذا اغْتاظَ وحميَ ، وأوغرهُ غيْرهُ ، فيكون قوله : مُوغرين ، أي : داخلين في شدة الحر .

نَحْر الظّهيرة : الظهيرةُ : شدة الحرّ ، ونَحرها : أولها ، ونحْرُ كل شيء : أوله .

كبْرُ الإفك : الكبر ـ بكسر الكاف وضمها هاهنا ـ معظم الإفك .

يفيضون : الإفاضةُ في الحديث : التّحدُّثُ به والخوض فيه بين الناس .

يَريبُني : رابَني الشيء يَريبني : شككْتُ فيه ، ولا يكون رَيْبا إلا في شكٍ مع تهمة .

=

« كَيْفَ تِيكُمْ ؟ » فَذَاكَ يَرِيبُنِي .

ولاَ أشْعرُ بالشَّرّ . حتّى خرجتُ بعدَ مَا نَقِهْتُ وخرجَتْ مَعي أمُّ مِسْطحٍ قِبلَ المناصِعِ . وهو مُتَبرَّزُنا . ولا نخرجُ إلا إلى ليْلٍ . وذٰلكَ قبلَ أن نتَّخذَ الكُنُفَ قريباً من بيوتنا . وأمْرُنا أمْرُ العربِ الأُوَلِ في التَّنَزُّهِ . وكنا نتأذّى بالكُنُفِ أنْ نَتَّخِذَها عندَ بُيوتنا . فانطلقتُ أنا وَأمُّ مِسْطَحٍ ، وَهِيَ بنتُ أبي رُهْم بن المُطَّلِب بن عَبْدِ مَنَافٍ . وَأُمُّهَا ابْنَةُ صَخْرِ بْنِ عَامِرٍ ، خَالَةُ أبِي بَكْرٍ الصِّديقِ . وَابْنُهَا مِسْطَحُ بْنُ أُثَاثَةَ بنِ عبادِ بنِ المُطَّلِبِ . فَأَقْبَلْتُ أنَا وَبِنْتُ أبِي رُهْمٍ قِبَلَ بَيْتِي . حِينَ فَرَغْنَا مِنْ شَأْنِنَا . فَعَثَرَتْ أمُّ مِسْطحٍ فِي مِرْطِهَا . فَقَالَتْ : تَعِسَ مِسْطَحٌ . فَقُلْتُ لَهَا : بِئْسَ مَا قُلْتِ . أتَسُبِّينَ رَجُلاً قَدْ شَهِدَ بَدْراً . قَالَتْ : أيْ هَنْتَاهْ ! أوَلم تَسْمعي مَا قَالَ ؟ قُلْتُ : وَمَاذَا قَالَ ؟ قَالَتْ ، فَأَخْبَرَتْنِي بِقَوْلِ أهْلِ الإفْكِ . فَازْدَدْتُ مَرَضاً إلَىٰ مَرَضِي . فَلَمَّا رَجَعْتُ إلَىٰ بيْتِي ، فَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ : فَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ « كَيْفَ تِيكُمْ ؟ » قُلْتُ : أتَأْذَنُ لِي أنْ آتِيَ أبَوَيَّ ؟ قَالَتْ ، وَأنَا حِينَئِذٍ أُرِيدُ أنْ أتَيَقَّنَ الخَبَرَ مِنْ قِبَلِهِمَا . فَأَذِنَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ . فَجِئْتُ أبَوَيَّ فَقُلْتُ لأُمِّي : يَا أُمَّتَاهْ ! مَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ ؟ فَقَالَتْ : يَابُنَيَّةُ ! هَوِّنِي عَلَيْكِ . فَوَاللهِ ! لَقَلَّمَا كَانَتِ امْرَأَةٌ قَطُّ وَضِيئَةٌ عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا ، وَلَهَا ضَرَائِرُ ، إلا كَثَّرْنَ عَلَيْهَا . قَالَتْ قُلْتُ : سُبْحَانَ اللهِ ! وَقَدْ تَحَدَّثَ النَّاسُ

= تيكم : بالمثناه المكسورة ، وهي إشارة للمؤنث مثل ذاكم للمذكر .

واستدلت عائشة بهذه الحالة على أنها استشعرت منه بعض جفاء ، ولكنها لما لم تكن تدري السبب ولم تبالغ في التنقيب عن ذلك حتى عرفته .

المَناصِع : المواضع الخالية تقضى فيها الحاجة من الغائط والبول ، وأصله : مكان فسيح خارج البيوت ، واحدها : مَنْصع .

الكُنُفُ : جمع كنيف . وهو الساتر ، والمراد به هنا : المكان المتخذ لقضاء الحاجة .

مِرْطها : المِرطُ : كساء من صوفٍ أو خزٍّ يؤتَزَرُ به ، وجَمْعُهُ مُروط .

تَعس : الإنسان : إذا عثر ، ويقال في الدعاء على الإنسان : تَعس فلانٌ ، أي : سقَطَ لوجهه .

هنتاه : يقال : امرأةٌ هَنتاه ، أي : بلهاء ، كأنها منسوبة إلى البله وقلة المعرفة بمكائد الناس وفسادهم .

وَضيئة : الوضاءَة : الحسن ، ووَضيئة : فَعيلةٌ بمعنى : فاعلة .

قلت سبحان الله : قال الحافظ في الفتح قوله : فقلت : سبحان الله استغاثت بالله متعجبة من وقوع مثل ذلك في حقها مع براءتها المحققة عندها .

=

بِهَذَا ؟ قَالَتْ ، فَبَكَيْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّىٰ أَصْبَحْتُ لاَ يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلاَ أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ . ثُمَّ أَصْبَحْتُ أَبْكِي . وَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ حِينَ اسْتَلْبَثَ الْوَحْيُ . يَسْتَشِيرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ . قَالَتْ : فَأَمَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ فَأَشَارَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِالَّذِي يَعْلَمُ مِنْ بَرَاءَةِ أَهْلِهِ ، وَبِالَّذِي يَعْلَمُ فِي نَفْسِهِ لَهُمْ مِنَ الْوُدِّ فَقَالَ : يَارَسُول اللهِ ! هُمْ أَهْلُكَ وَلاَ نَعْلَمُ إِلاَّ خَيْراً . وَأَمَّا عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ : لم يُضَيِّقِ اللهُ عَلَيْكَ . وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ . وَإِنْ تَسْأَلِ الْجَارِيَةَ تَصْدُقْكَ . قَالَتْ فَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بَرِيرةَ فَقَالَ « أَيْ بَرِيرَةُ ! هَلْ رَأَيْتِ مِنْ شَيْءٍ يَرِيبُكِ مِنْ عَائِشَةَ ؟ » قَالَتْ لَهُ بَرِيرَةُ : وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنْ رَأَيْتُ عَلَيْهَا أَمْراً قَطُّ أَغْمِصُهُ عَلَيْهَا ، أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ ، تَنَامُ عَنْ عَجِينِ أَهْلِهَا ، فَتَأْتِي الدَّاجِنُ فَتَأْكُلُهُ . قَالَتْ : فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ . فَاسْتَعْذَرَ مِنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيٍّ ، ابْنِ سَلُول . قَالَتْ : فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ :

= فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة .. : قال الحافظ : ظاهره : أن السؤال وقع بعد ما علمت بالقصة ، لأنها عقبت بكاءها تلك الليلة بهذا ، ثم عقبت هذا بالخطبة . ورواية هشام بن عروة تشعر بأن السؤال والخطبة وقعا قبل أن تعلم عائشة بالأمر ، فإن في رواية هشام عن أبيه عن عائشة لما ذكر من شأني الذي ذكر ، وما علمت به ، قام رسول الله ﷺ » فذكر قصة الخطبة الآتية ، ويمكن الجمع بأن الفاء في قولها (فدعا) عاطفة على شيء محذوف ، تقديره : وكان رسول الله ﷺ قبل ذلك قد سمع ما قيل ، فدعا عليا .

استلبث الوحي : قال الحافظ في الفتح : قوله استلبث الوحي بالرفع : أي طال لبث نزوله ، وبالنصب : أي استبطأ النبي ﷺ نزول الوحي .

هم أهلك : قال الحافظ في الفتح : « هم أهلك » أي العفيفة اللائقة بك ، ويحتمل أن يكون قال ذلك متبرئاً من المشورة ، ووكل الأمر إلى رأي النبي ﷺ ، ثم لم يكتف بذلك ، حتى أخبر بما عنده ، فقال (ولا نعلم إلا خيراً) وإطلاق (الأهل) على الزوجة شائع ، قال ابن التين أطلق عليها أهلاً ، وذكرها بصيغة الجمع ، حيث قال : (هم أهلك) إشارة إلى تعميم الأزواج بالوصف المذكور . ا . هـ ، ويحتمل أن يكون جمع لإرادة تعظيمها .

قال الكرماني حول قول علي : (لم يضيق الله عليك ، والنساء سواها كثير) : وإنما قال علي رضي الله عنه ذلك : تسهيلاً للأمر على رسول الله ﷺ ، وإزالة لما هو متلبس به ، تخفيفاً لما شاهده فيه ، لا عداوة لها ، حاشاهم عن ذلك .

إن رأيت : ما رأيت فيها مما تسألون عنه شيئاً أصلاً ، وأما من غيره : ففيها ما ذكرت من غلبة النوم لصغر سنها . ورطوبة بدنها ، قاله الحافظ في (الفتح) .

أغمصه : الغَمْصُ : العَيْب .

الدّاجن : الشاةُ التي تألف البيْتَ وتُقيمُ به ، يقال : دجن بالمكان إذا أقام به .

فاستعذر : يُقال : من يَعذِرني من فلان ، أي : من يقوم بعذري إن كافأتُهُ على سوء صَنيعه ، فلا يلُومني ، واستعْذَرَ : =

« يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ ! مَنْ يَعْـذِرُنِي مِنْ رَجُـل قَـدْ بَلَـغَ أَذَاهُ فِي أَهْـلِ بَيْتِي . فَوَاللهِ ! مَـا عَلِمْتُ عَلَىٰ أَهْلِي إِلا خَيْراً . وَلَقَـدْ ذَكَرُوا رَجُـلاً مَـا عَلِمْتُ عَلَيْـهِ إِلا خَيْراً . وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَىٰ أَهْلِي إِلا مَعِي » فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ الأَنْصَارِيُّ فَقَالَ : أَنَـا أَعْـذِرُكَ مِنْـهُ . يَـارَسُولَ اللهِ ! إِنْ كَـانَ مِن الأَوْسِ ضَرَبْنَـا عُنُقَـهُ . وَإِنْ كَـانَ مِنْ إِخْـوَانِنَـا الْخَزْرَجِ أَمَرْتَنَا فَفَعَلْنَا أَمْرَكَ قَالَتْ : فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ ، وَهُوَ سَيِّـدُ الْخَزْرَجِ ، وَكَـانَ رَجُلاً صَالِحاً . وَلَكِنِ اجْتَهَلَتْهُ الْحَمِيَّةُ . فَقَالَ لِسعدِ بْن مُعَـاذٍ : كَـذَبْتَ . لَعَمْرُ اللهِ ! لا تَقْتُلُـهُ وَلاَ تَقْـدِرُ عَلَىٰ قَتْلِـهِ . فَقَـام أُسَيْـدُ بْنُ حُضَيْرٍ ، وَهُـوَ ابْنُ عَمِّ سَعْـدِ بْنِ مُعَـاذٍ ، فَقَـالَ لِسَعْـدِ بْنِ عُبَادَةَ : كَذَبْتَ . لَعَمْرُ اللهِ ! لَنَقْتُلَنَّهُ . فَإِنَّـك مُنَـافِقٌ تُجَـادِلُ عَنِ الْمُنَـافِقِينَ . فَثَـارَ الْحَيَّـانِ الأَوْسُ وَالْخَـزْرَجُ . حَتَّىٰ هَمُّوا أَنْ يَقْتَتِلُـوا . وَرَسُـولُ اللهِ ﷺ قَـائِمٌ عَلَى الْمِنْبَرِ . فَلَمْ يَـزَلْ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُخفِّضُهُمْ حَتَّىٰ سَكَتُوا وَسَكَتَ . قَـالَتْ : وَبكَيْتُ يَـوْمِي ذَلِـكَ لا يَرْقَـأُ لِي دَمْعٌ وَلاَ أَكْتَحِـلُ بِنَـوْمٍ ثُمَّ بَكَيْتُ لَيْلَتِي الْمُقْبِلَـةَ لا يرقَـأُ لي دمْـعٌ ولاأكْتَحِلُ بِنَـوْمٍ . وَأَبَـوايَ يَظُنَّانِ أَنَّ الْبُكَاءَ فَالِقٌ كَبِدِي فَبَيْنَمَا هُمَا جَالِسَانِ عِنْدِي ، وَأَنَا أَبْكِي ، اسْتَأْذَنَتْ عَلَيَّ امْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَأَذِنْتُ لَهَا . فَجَلَسَتْ تَبْكِي . قَالَتْ : فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَىٰ ذَلِـكَ دَخَلَ عَلَيْنَـا رَسُولُ اللهِ ﷺ . فَسَلَّم ثُمَّ جَلَسَ : وَلَمْ يَجْلِسْ عِنْـدِي مُنْـذُ قِيـلَ لِي مَـا قِيـلَ . وَقَـدْ لَبِثَ شَهْراً لاَ

= استفعل من ذلك ، أي قال : من يعْذرني ؟ فقال له سعدُ بنُ معاذ : أنا أَعْذُرُك ، أي أقومُ بعذرك .

وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً : أي كامل الإصلاح .

قال الحافظ في الفتح حول قول أسيد لسعد بن عبادة فإنك منافق تجادل عن المنافقين :

أطلق أسيد ذلك مبالغة في زجره عن القول الذي قاله . وأراد بقوله : (فـإنـك منـافق) أي : تصنع صنيع المنافقين . وفسره بقوله (تجادل عن المنافقين) وقابل قول سعد بن معاذ (كذبت لا تقتله) بقولـه هو (كـذبت لنقتلنـه) وقـال المازري : إطلاق أسيد لم يرد به نفاق الكفر . وإنما أراد : أنه كان يظهر المودة لقومه الأوس . ثم ظهر منـــه في هـذه القصة ضد ذلك . فأشبه حال المنافق ، لأن حقيقة النفاق : إظهـار شيء وإخفـاء غيره . ولعل هـذا هو السبب في ترك إنكار النبي ﷺ .

اجْتَهَلَتْهُ الحمية : الاجتهـال : افتعـال من الجهل ، أي : حملتـه الحميـة ، وهي الأنفـة والغضب على الجهل ، واحْتَمَلَتْـهُ : افْتَعَلَتْهُ مَنْ الحَمْل .

يخفّضهم : يُهَوِّنُ عليهم ويُسكّنُهُم .

فأصبح عندي أبواي : قال الحافظ في « الفتح » : أي ، أنهما جاءا إلى المكان الذي كنت به من بيتها ، لا أنهـا رجعت من عندهم إلى بيتها ، ووقع في رواية محمد بن ثور عن معمر « وأنا في بيت أبويّ » .

فالِقٌ : فَاعِلٌ ، من فَلَقَ الشيء : إذا شَقَّهُ .

=

يُوحَىٰ إِلَيْهِ فِي شَأْنِي بِشَيْءٍ . قَـالَتْ : فَتَشَهَّـدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ جَلَسَ ثُمَّ قَـالَ : « أَمَّـا بَعْدُ . يَاعَائِشَةُ ! فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي عَنْكِ كَـذَا وَكَـذَا . فَـإِنْ كُنْتِ بَرِيئَـةً فَسَيُبَرِّئُـكِ اللهُ . وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمتِ بِـذَنْبٍ . فَـاسْتَغفِرِي اللهَ وَتُـوبِي إِلَيْـهِ . فَـإِنَّ الْعَبْـدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبٍ ثُمَّ تَابَ ، تَابَ اللهُ عَلَيْـهِ » قَـالَتْ : فَلَمَّـا قَضَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَقَـالَتَـهُ ، قَلَصَ دَمْعِي حَتَّىٰ مَا أُحِسُّ مِنْهُ قَطْرَةً . فَقُلْتُ لأَبِي : أَجِبْ عَنِّي رَسُولَ اللهِ ﷺ فِيمَا قَالَ . فَقَـالَ : وَاللهِ ! مَـا أَدْرِي مَـا أَقُولُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ . فَقُلْتُ لأُمِّي : أَجِيبِي عَنِّي رَسُولَ اللهِ ﷺ . فَقَالَتْ : واللهِ ! مَا أَدْرِي مَـا أَقُولُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ . فَقُلْتُ ، وَأَنَـا جَـارِيَـةٌ حَـدِيثَـةُ السِّنِّ ، لاَ أَقْرَأُ كَثِيراً مِنَ الْقُرْآنِ : إِنِّي ، وَاللهِ ! لَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّكُمْ قَدْ سَمِعْتُمْ بِهَـذَا حَتَّىٰ اسْتَقَرَّ فِي نُفُوسِكُمْ وَصَدَّقْتُمْ بِهِ . فَإِنْ قُلْتُ لَكُمْ إِنِّي بَرِيئَـةٌ ، وَاللهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَـةٌ ، لاَ تُصَـدِّقُونِي بِذَلِكَ . وَلَئِنِ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرٍ ، وَاللهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَـةٌ ، لَتُصَـدِّقُونَنِي . وَإِنِّي ، وَاللهِ ! مَـا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلاً إِلا كَمَا قَالَ أَبُو يُوسُفَ : فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ .

قَـالَتْ : ثُمَّ تَحَـوَّلْتُ فَـاضْطَجَعتُ عَلَىٰ فِرَاشِي . قَـالَتْ وَأَنَـا ، وَاللهِ ! حِينَئِـذٍ أَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ . وَأَنَّ اللهَ مُبَرِّئِي بِبَرَاءَتِي . وَلَكِنْ ، وَاللهِ ! مَـا كُنْتُ أَظُنُّ أَنْ يُنْزَلَ فِي شَـأْنِي وَحْيٌ

= أَلممتِ : الإلمام : المقاربة ، وهو من اللمم : صِغار الذنوب وقيل : اللمم : مُقاربة : المعصية من غير إيقاع فعلٍ .
قال في اللسان : الإلمام في اللغة ، يوجب أنك تأتي في الوقت . ولا تقيم على الشيء . فهذا معنى اللمم قال أبو منصور : ويدل على صواب قوله قول العرب : ألممت بفلان إلماماً ، وما تزورنا إلا لماماً .
قال أبو عبيد : معناه : في الأحيان ، على غير مواظبة .
(وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه) :
قال الداودي : أمرها بالاعتراف ، ولم يندبها إلى الكتمان ، للفرق بين أزواج النبي ﷺ وغيرهن . فيجب على أزواجه الاعتراف بما يقع منهن ، ولا يكتمنه إياه ، لأنه لا يحل لنبي إمساك من يقع منها ذلك . بخلاف نساء الناس ، فإنهن يندبن إلى الستر . وتعقبه عياض بأنه ليس في الحديث ما يدل على ذلك ، ولا فيه أنه أمرها بالاعتراف ، وإنما أمرها أن تستغفر الله ، وتتوب إليه ، أي فيما بينها وبين ربها . فليس صريحاً في الأمر لها بأن تعترف عند الناس بذلك ، قال الحافظ : وسياق جواب عائشة يشعر بما قال الداودي ، ولكن المعترف عنده ليس على إطلاقه ، فليتأمل . ويؤيد ما قال عياض : أن في رواية ابن حاطب ، قالت « فقال لي أبي : إن كنت صنعت شيئاً ، فاستغفري الله ، وإلا فأخبري رسول الله ﷺ بعذرك » .
قَلَص : قلص الدمع : انقطع جريانه .
لا أقرأ كثيراً من القرآن : قالت هذا ، توطئة لعذرها ، لكونها لم تستحضر اسم يعقوب عليه السلام . =

يُتْلَىٰ . وَلَشَأْنِي كَانَ أَحْقَرَ فِي نَفْسِي مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيَّ بِأَمْرٍ يُتْلَى . وَلَكِنِّي كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي اللهُ بِهَا . قَالَتْ : فَوَاللهِ : مَارَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَجْلِسَهُ ، وَلاَ خَرَجَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ أَحَدٌ ، حَتَّىٰ أَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَىٰ نَبِيِّهِ ﷺ . فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ الْبُرَحَاءِ عِنْدَ الْوَحْيِ . حَتَّىٰ إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الْجُمَانِ مِنَ الْعَرَقِ ، فِي الْيَوْمِ الشَّاتِ ، مِنْ ثِقَلِ الْقَوْلِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْهِ . قَالَتْ : فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وَهُوَ يَضْحَكُ ، فَكَانَ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا أَنْ قَالَ : « أَبْشِرِي يَاعَائِشَةُ ! أَمَّا اللهُ فَقَدْ بَرَّأَكِ » فَقَالَتْ لِي أُمِّي : قُومِي إِلَيْهِ . فَقُلْتُ : وَاللهِ ! لاَ أَقُومُ إِلَيْهِ . وَلاَ أَحْمَدُ إِلا اللهَ . هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ بَرَاءَتِي . قَالَتْ : فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ ﴾ [1] عَشْرَ آيَاتٍ . فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ هؤلاء الآيَاتِ بَرَاءَتِي . قَالَتْ : فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَىٰ مِسْطَحٍ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ وَفَقْرِهِ : وَاللهِ ! لاَ أُنْفِقُ عَلَيْهِ شَيْئاً أَبَداً . بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ . فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ وَلاَ يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ ﴾ [2] إِلَىٰ قَوْلِهِ ﴿ أَلاَ تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ ﴾ .

= مَارَامَ : أي ما بَرِحَ من مكانه ، يُقالُ : رامَ يريمُ : إذا برحَ وزال ، وقَلّما يُستَعْملُ إلا في النفي .
البُرَحاءُ : الشدة .

(١) النور : ١١ .

(٢) النور : ٢٢ .

الجُمَان : جمع جُمانَة : وهي الدُّرَّةُ ، وقيل : هي خَرَزَةٌ تعمل من الفضة مثل الدُّرَّة .
سُرِّي عنه : أي كشف عنه .
﴿ إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم ﴾ العشر الآيات :
قال الحافظ في « الفتح » : آخر العشر قوله ﴿ والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾ لكن وقع في رواية عطاء الخراساني عن الزهري فأنزل الله ﴿ إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم ـ إلى قوله ـ أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم ﴾ وعدد الآي إلى هذا الموضع : ثلاث عشرة آية فلعل في قولها : العشر الآيات ، مجازاً بطريق إلغاء الكسر .
وفي رواية الحكم بن عيينة مرسلاً عند الطبري « لما خاض الناس في أمر عائشة » فذكر الحديث مختصراً ، وفي آخره : فأنزل الله خمس عشرة آية من سورة النور ـ حتى بلغ ـ ﴿ الخبيثات للخبيثين ﴾ [النور : ٢٦] وهذا منه تجوز . فعدد الآي إلى هذا الموضع ست عشرة وفي مرسل سعيد بن جبير عند ابن أبي حاتم والحاكم في الإكليل : فنزل ثماني عشر آية متوالية كذبت من قذف عائشة « إن الذين جاءوا ـ إلى قوله ـ رزق كريم » وفيه ما فيه أيضاً . وتحرير العدة : سبع عشرة آية .
ولا يَأْتَلِ يأتل : يفتعلُ ، من الأَلِيَّةُ : وهي القسم ، يقال : آلى وائتلى وتألّى . =

قَالَ حِبَّانُ بْنُ مُوسَىٰ : قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ : هذِهِ أَرْجَىٰ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللهِ .

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : وَاللهِ ! إِنِّي لأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لِي . فَرَجَعَ إِلَىٰ مِسْطَحٍ النَّفَقَةَ الَّتي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ . وَقَالَ : لاَ أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَداً .

قَالَتْ عَائِشَةُ : وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَأَلَ زينبَ بنتَ جَحْشٍ زَوْجَ النَّبيِّ ﷺ عَنْ أَمْرِي : « مَا عَلِمْتِ ؟ أَوْ مَا رَأَيْتِ ؟ » فَقَالَتْ : يَارَسُولَ اللهِ ! أَحْمِي سَمْعِي وَبَصَرِي . وَاللهِ ! مَا عَلِمْتُ إِلا خَيْراً .

قَالَتْ عَائِشَةُ : وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ . فَعَصَمَها اللهُ بِالْوَرَعِ . وَطَفِقَتْ أُخْتُهَا حَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ تُحَارِبُ لَهَا . فَهَلَكَتْ فِيمَنْ هَلَكَ .

قَالَ الزُّهْرِيُّ : فَهَذَا مَا انْتَهىٰ إِلَيْنَا مِنْ أَمْرِ هَؤُلاءِ الرَّهْطِ .

ومن رواياته [1] : قالتْ عائشةُ : واللهِ إنّ الرجلَ الذي قيل له ما قيلَ ليقولُ : سبحانَ اللهِ فوالذي نفسي بيدِهِ ما كشفت من كَنَفِ أنثى قطُّ ، قالَت : ثم قُتِل بعدَ ذلكَ في سبيلِ الله .

ومنها [2] : قامَ رسولُ الله صلّى اللهُ عليهِ وسلم فيَّ خَطيباً فتشهدَ ثم قَالَ : « أَما بعدُ فأَشيرُوا علي في أناس أبنوا أهلي ، وأيم اللهِ ما علمتُ عَلى أهلي من سوءٍ قطُّ ، وأبَنُوهُم بمن واللهِ ما علمتُ عليه

= أحْمِي سَمْعِي : حميتُ سمعي وبَصَري : إذا منعتُها من أنْ أنسب إليهما مالم يُدركاه .

تُسامِيني : المُساماةُ : مُفاعلة من السُّمُوّ والعُلُوّ : أي أنها تَطلُبُ من السُّمُو والعلوّ مثلَ الذي أطْلُبُ .

فَعَصَمها اللهُ بالورع : أي منعها بالمعدلة ، ومُجَانبة مَالا يَحلُّ .

طَفِقَت : بكسر الفاء ، وحكي فتحها أي : جعلت أو شرعت .

تُحارب لها : أي : تجادل لها وتتعصب ، وتحكي ما قال أهل الإفك أي : لتنخفض منزلة عائشة ، وتعلو منزلة أختها زينب .

(١) البخاري مطولاً (٧ / ٤٣٥) ، ٦٤ ـ كتاب المغازي ـ ٣٤ ـ باب حديث الإفك .
ومسلم في نفس الموضع السابق (٤ / ٢١٣٨) .

كَنَف : الكنفُ : الجانبُ ، والمراد : ما كشفتُ على امرأةٍ ما سَتَرتْه من نفسها ، إشارةً إلى التّعَفُّف .

(٢) البخاري (٨ / ٤٨٧) ، ٦٥ ـ كتاب التفسير ـ ١١ ـ باب ﴿ إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ـ إلى قوله ـ والله غفور رحيم ﴾ .

أبنُوا أهْلي : التَّأبين على وجهين : فتأبينُ الحيِّ : ذِكرُهُ بالقَبيح ، ومنه قوله : أبنوا أهلي : أي ذَكَرُوهم بِسُوء . والثاني =

من سُوءٍ قطُّ ولا دخلَ بيتي قطُّ إلا وأنا حاضرٌ ، ولا غبتُ في سفرٍ إلا غاب معي » .

فقام سعدُ بن معاذ بنحوه * وفيه : فلما كانَ مساء ذلكَ اليوم خَرجتُ لبعضِ حاجتي ومعي أمُّ مِسْطَحٍ ، فَعَثَرتْ ، وقالتْ : تَعسَ مِسْطَحٌ ، فقلتُ لها : أي أمُّ أتسبّينَ ابنَك ؟ فسَكَتَتْ ، ثمْ عثرتِ الثانيةَ فقالتْ : تَعِسَ مِسْطَحٌ ، فقلتُ لها : أي أمُّ أتسبين ابنَكِ ؟ فسكتتْ ، ثم عثرت الثالثة فَقَالَتْ : تَعِسَ مِسْطَحٌ ، فانتهَرْتُها ، فقالت : واللهِ ما أسبُّه إلا فيكِ ، فقلتُ : في أي شأني ؟ فبقرتْ لي الحديثَ فقلتُ : وقدْ كان هذا ؟ قالتْ : نعم واللهِ فرجعتُ إلى بيتي كأن الذي خرجتُ له لا أجدُ منه قليلاً ولا كثيراً ووعِكْتُ * وفيه : وبكَيْتُ فسمعَ أبو بكرٍ صوتي وهو فوقَ البيتِ يقرأ فنزل فقالَ لأمي : ما شأنُها ؟ فقالت : بلغَها الذي ذُكِرَ من شأنِها ، ففاضَتْ عيناهُ ، وقال : أقسمتُ عليكِ يابنيةُ إلا رجَعتِ إلى بيتِك فرجَعْتُ ، ولقد جاء رَسولُ اللهِ ﷺ بيتي ، فسألَ عني خادِمي ، فقالَتْ : لا واللهِ ما علمتُ عليها عيباً إلا أنها كانتْ ترقُدُ حتى تدخُلَ الشاةُ فتأكلَ خبزَها أو عجينَها ، وانتهرَها بعضُ أصحابِه فقالَ : اصدُقي رسولَ اللهِ صلّى اللهُ عليهِ وَسلم حتّى أسقطوا لها به ، فقالت : سبحانَ اللهِ واللهِ مَا علمتُ عليها إلا ما يعلمُ الصائغُ علَى تبرِ الذهَبِ الأحمرِ * وفيه فأصبحَ أبواي عندي فلم يزالا حتّى دخلَ رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليهِ وسلمَ بنحوِه * وفيه : والتمستُ اسمَ يعقوبَ فلم أقدِر عليهِ إلا أبا يوسُفَ * وفيه : أبشري ياعائشةُ فقد أنزل اللهُ براءتَك ، قالتْ : وكنتُ أشدّ ما كنتُ غضَباً ، فقال لي أبواي : قومي إليه فقلتَ : لا واللهِ لا أقومُ إليه ولا أحمدُه ولا

= تأبينُ الميت : وهو مدحه بعد موته .

فبقرت : البَقْر : الفتح والتوسعة والشَّقُّ ، والمعنى : فَفتَحَتْ لي الحديث وكَشَفَتْهُ وأوْضَحَتْهُ .

وَأَيْمُ اللهِ : من ألفاظِ القسم ، وفيها لغات كثيرة .

وأسْقِطُوا لها به : أسْقَطُوا به : أي : قالوا لها السَّقَط من القول ، وهو الرديء ، يريد : أنهم سبُّوها ، وقوله « به » أي بسبب هذا المعنى : وهو الذي سُئلت عنه من أمر عائشة رضي الله عنها . فيكون المعنى : سبوها بهذا السبب . وقد رُويَ هذا اللفظ على غير ما قلناه ، والصحيح المحفوظ : إنما هو ما ذكرناه . والله أعلم .

والله ما علمت عليها إلا ما يعلم الصائغ على قبر الذهب الأحمر

قال الحافظ : أي كما لا يعلم الصائغ من الذهب الأحمر إلا الخلوص من العيب ، فكذلك أنا : لا أعلم منها إلا الخلوص من العيب .

وفي رواية ابن أبي حاطب عن علقمة « فقالت الجارية الحبشية : والله لعائشة أطيب من الذهب ولئن كانت صنعت ما قال الناس ، ليخبرنك الله . قالت : فعجب الناس من فقهها .

أحمدُكما ولكنْ أحمدُ اللهَ الذي أنزلَ براءتي لقد سمعتموه فما أنكرتُموه ولا غيّرتموه .

ومنها [١] : قال الزهري : قال لي الوليد بن عبد الملك : أبَلَغَكَ أن علياً كان فيمن قذَفَ عائشةَ ؟ قلتُ : لا ، ولكنْ قد أخبرني رجلان من قومك أبو سلمةَ بنُ عبد الرحمن وأبو بكر ابن عبد الرحمن بن الحارث أن عائشة قالت لهما : كان عليٌّ مسلّماً في شأنِها .

ومنها [٢] : أنه لم يسمَّ من أهل الإفكِ إلا ابنُ أُبيٍّ ، وحسانٌ ومِسطحٌ وحمنةُ وأن عائشة كانت تكرهُ أن يُسَبَّ عندَها حسانٌ وتقول : إنه الذي قال :

فإنَّ أبي ووالدتي وعِرضي لعرضِ محمدٍ منكم وِقاءُ

ومنها [٣] : قال مسروق : دخلتُ على عائشةَ وعندها حسانُ بنُ ثابتٍ يُنشِدُها شِعراً يُشَبِّبُ بأبيات له ، فقال : حَصَانٌ رزَانٌ ماتُزَنُّ بِرِيبةٍ * وتُصبحُ غرْثَي من لحومِ الغَوَافِل فقالت له عائشة : لكنك لَستَ كذلك ، قال مسروق : فقلتُ : لِمَ تأذنين له أنْ يدخَل عليكِ وقد قال اللهُ تعالى : ﴿ والذي تولّى كِبْره منهم لهُ عذابٌ عظيمٌ ﴾ [٤] فقالت : فأي عذاب أشدُّ من العَمى ؟ إنه كان يُنافِحُ أو يُهاجي عنْ رسولِ الله ﷺ .

---

(١) البخاري (٧ / ٤٣٥) ٦٤ ـ كتاب المغازي ـ ٣٤ ـ باب حديث الإفك .

كان علي مُسلماً في شأنها : بكسر اللام ، كذا رواه القابسي ، من التسليم وترك الكلام في إنكاره ، وفتحها الحموي من الخوض فيه . رواه بن أبي شيبة ، وعليه يدل فصول الحديث في غير من السلامة موضع ، وهو رضي الله عنه منزه أن يقول ما قال أهل الإفك . كما نص عليه في الحديث ، ولكن أشار بفراقها ، وشدد على بريرة في أمرها ، قاله الزركشي .

(٢) مسلم (٤ / ١٢٣٧) ٤٩ ـ كتاب التوبة ـ ١٠ ـ باب في حديث الإفك ، وقبول توبة القاذف .

(٣) البخاري (٧ / ٤٣٦) ٦٤ ـ كتاب المغازي ـ ٣٤ ـ باب حديث الإفك .

ومسلم (٤ / ١٩٣٤) ٤٤ ـ كتاب فضائل الصحابة ـ ٣٤ ـ باب فضائل حسان بن ثابت ، رضي الله عنه .

حَصانٌ رَزَانٌ : امرأةٌ حَصانٌ : بَيِّنَة الحصانة ، أي عفيفة حييّة ، وامرأةٌ رَزَانٌ : ثقيلة ثابتة .

تُزَنُّ : تُرمى وتُقذَفُ .

بريبَةٍ : أي بأمْرٍ يريبُ الناسَ ، كالزّنا ونحوه .

غرثَى : أي : جائعةً ، والمذكر : غرثان .

الغَوافِل : جمع غافِلة ، والمراد بها : الغفلةُ المحمودة ، وهي مالا يقدح في دين أو مُروءة .

ينافح : المنَافحةُ : المُناضَلة والمخاصَمة .

(٤) النور : ١١ .

وللبخـاري [١] عن أمّ رُومـانَ : بَيْنَـا أنـا قـاعـدةٌ وعـائشـةُ إذ وَلَجَتِ امرأةٌ من الأنصـارِ فقالت : فعَل اللهُ بفلانٍ وفعل بفلان ، فَقـالتْ أمُّ رومـان : ومـا ذاك ؟ قـالتِ : ابنِي فيمن حَدَّثَ الحديثَ ، قالتْ : وما ذاك ؟ قالتْ : كذا وكذا ، قالتْ عائشةُ : سَمِع رسولُ الله صلّى اللهُ عليهِ وَسلّم ؟ قالتْ : نعم ، قـالت : وأبو بكر ؟ قـالتْ : نعم ، فخرتْ مغشياً عليها ، فما أفاقت إلاّ عليهَا حُمّى بنـافِض ، فطرحْتُ عليها ثيـابَها فغطَّيتها ، فجـاءَ رسولُ اللهِ ﷺ فقـالَ « مـا شـأنُ هـذه » قلتُ : يـارسول الله ، أخـذتْها الحُمّى بنـافض ، قـال : « فلعلَّ في حـديث تُحَـدِّثَ بـه ؟ » قـالت : نعم ، فقعـدت عـائشـةُ فقـالتْ : واللهِ لئنْ حلفتُ لا تُصدِّقوني ، ولئنْ قلتُ لا تَعذِروني ، مَثَلِي ومَثَلُكم كيعقـوب وبنيـه ، واللهُ المستعـانُ على مـا تصفون ، بنحوه .

فوائد من حديث الإفك

قال محقق الجامع : قال العلماء : في هذا الحديث من الفوائد :

جواز الحـديث عن جمـاعـة ملفقـا مجملاً . وفيـه مشروعيـة القرعـة حتى بين النسـاء ، وفي المسافرة بهن ، والسفر بـالنســاء حتى في الغزو . وجواز حكايـة مـا وقع للمرء من الفضل ولو كان فيه مدح ناس وذم ناس إذا تضمن ذلك إزالة توهم النقص عن الحاكي إذا كان بريئاً عنـد قصد نصح من يبلغه ذلك لئلا يقع فيا وقع فيه من سهو ، وأن الاعتناء بالسلامة من وقوع الغير في الإثم أولى من تركـه يقـع في الإثم ، وتحصيـل الأجر للمـوقـوع فيـه ، وفيـه استعمال التوطئـة فيا يحتـاج إليـه من الكلام ، وأن الهودج يقوم مقـام البيت في حجب المرأة وجواز ركوب المرأة الهودج على ظهر البعير ، ولو كان ذلـك ممـا يشـق عليـه حيث يكـون مطيقـاً لذلك . وفيه خدمة الأجانب للمرأة من وراء الحجـاب ، وجواز تستر المرأة بـالشيء المنفصل عن البدن ، وتوجه المرأة لقضاء حاجتها وحدهـا وبغير إذن خـاص من زوجهـا ، بل اعتاداً على الإذن العـام المستنـد إلى العرف العـام ، وجواز تحلي المرأة في السفر بـالقلادة ونحـوهـا ، وصيـانـة المـال ولو قل للنهي عن إضـاعـة المـال ، فـإن عقـد عـائشـة لم يكن من ذهب ولا

---

(١) البخاري (٧ / ٤٣٦) ٦٤ ـ كتاب المغازي ـ ٣٤ ـ باب حديث الإفك .

حمى بنافض : أي برعدة شديدة كأنها نفضتها أي : حرّكتها .

جوهر ، وفيه شؤم الحرص على المال لأنها لو لم تظل في التفتيش لرجعت بسرعة . فلما زاد على قدر الحاجة أثر ما جرى . وتوقف رحيل الجند على إذن الأمير ، والاسترجاع عند المصيبة ، وتغطية المرأة وجهها عن نظر الأجنبي ، وإغاثة الملهوف ، وعون المنقطع ، وإنقاذ الضائع ، وإكرام ذوي القدر وإيثارهم بالركوب ، وتجشم المشقة لأجل ذلك ، وحسن الأدب مع الأجانب خصوصاً النساء ، ولا سيا في الخلوة ، والمشي أمام المرأة ليستقر خاطرها وتأمن مما يتوهم من نظره لما عساه ينكشف منها في حركة المشي ، وفيه ملاطفة الزوجة وحسن معاشرتها ، والتقصير من ذلك عند إشاعة ما يقتضي النقص وإن لم يتحقق ، وفائدة ذلك أن تتفطن لتغير الحال فتعتذر أو تعترف ، وأنه لا ينبغي لأهل المريض أن يعلموه بما يؤذي باطنه لئلا يزيد ذلك في مرضه ، وفيه السؤال عن المريض والإشارة إلى مراتب الهجران بالكلام والملاطفة ، وفيه أن المرأة إذا خرجت لحاجة تستصحب من يؤنسها أو يخدمها ممن يؤمن عليها ، وفيه ذب المسلم عن المسلم خصوصاً من كان من أهل الفضل ، وردع من يؤذيهم ولو كان منهم بسبيل ، وبيان مزيد فضيلة أهل بدر . وفيه البحث عن الأمر القبيح إذا أشيع ، وتعرف صحته وفساده بالتنقيب على من قيل منه ، واستصحاب حال من اتهم بسوء إذا كان قبل ذلك معروفاً بالخير إذا لم يظهر عنه بالبحث ما يخالف ذلك ، وفيه فضيلة قوية لأم مسطح لأنها لم تحاب ولدها في وقوعه في حق عائشة ، بل تعمدت سبه على ذلك ، وفيه مشروعية التسبيح عند سماع ما يعتقد السامع أنه كذب ، وفيه توقف خروج المرأة من بيتها على إذن زوجها ولو كانت إلى أبويها ، وفيه البحث عن الأمر المقول ممن يدل عليه المقول فيه ، والتوقف في خبر الواحد ولو كان صادقاً ، وطلب الارتقاء من مرتبة الظن إلى مرتبة اليقين ، وأن خبر الواحد إذا جاء شيئاً بعد شيء أفاد القطع ، لقول عائشة : لأستيقن الخبر من قبلها ، وأن ذلك لا يتوقف على عدد معين ، وفيه استشارة المرء أهل بطانته ممن يلوذ به بقرابة وغيرها ، وتخصيص من جربت صحة رأيه منهم بذلك ولو كان غيره أقرب ، والبحث عن حال من اتهم بشيء ، وحكاية ذلك للكشف عن أمره ، ولا يُعد ذلك غيبة ، وفيه استعمال « لانعلم إلا خيراً » في التزكية ، وأن ذلك كاف في حق من سبقت عدالته ممن يطلع على خفي أمره ، وفيه التثبت في الشهادة ، وفطنة الإمام عند الحادث المهم ، والاستنصار بالأخصاء على الأجانب ، وتوطئة العذر لمن يراد إيقاع العقاب

به أو العتاب له ، واستشارة الأعلى لمن هو دونه ، وأن من استفسر عن حال شخص فأراد بيان ما فيه من عيب فليقدم ذكر عذره في ذلك إن كان يعلم ، كما قالت بريرة في عائشة حيث عابتها بالنوم عن العجين فقدمت قبل ذلك أنها جارية حديثة السن ، وفيه أن النبي ﷺ كان لا يحكم لنفسه إلا بعد نزول الوحي ، لأنه ﷺ لم يجزم في القصة بشيء قبل نزول الوحي ، وأن الحمية لله ورسوله لا تذم ، وفيه فضائل جمة لعائشة ولأبويها ولصفوان ولعلي ابن أبي طالب وأسامة وسعد بن معاذ وأسيد بن حضير ، وفيه أن التعصب لأهل الباطل يخرج عن اسم الصلاح ، وجواز سب من يتعرض للباطل ، ونسبته إلى ما يسوؤه وإن لم يكن ذلك في الحقيقة فيه ، وإطلاق الكذب على الخطأ ، والقسم بلفظ (لعمر الله) وفيه الندب إلى قطع الخصومة وتسكين ثائرة الفتنة ، وسد ذريعة ذلك . واحتمال أخف الضررين بزوال أغلظهما ، وفضل احتمال الأذى ، وفيه مباعدة من خالف الرسول ولو كان قريباً حمياً ، وفيه أن من آذى النبي ﷺ بقول أو فعل يقتل ، لأن سعد بن معاذ أطلق ذلك ولم ينكره النبي ﷺ ، وفيه مساعدة من نزلت فيه بلية بالتوجع والبكاء والحزن ، وفيه تثبت أبي بكر الصديق في الأمور لأنه لم ينقل عنه في هذه القصة مع تمادي الحال فيها شهراً كلمة فما فوقها ، وفيه ابتداء الكلام في الأمر المهم بالتشهد والحمد والثناء وقول : (أما بعد) ، وتوقيف من نُقل عنه ذنب على ما قيل فيه بعد البحث عنه ، وأن قول : (كذا وكذا) يكنى بها عن الأحوال كما يكنى بها عن الأعداد ولا تختص بالأعداد ، وفيه مشروعية التوبة ، وأنها تقبل من المعترف المقلع المخلص ، وأن مجرد الاعتراف لا يجزئ فيها ، وأن الاعتراف بما لم يقع لا يجوز ولو عرف أنه يصدق في ذلك ، ولا يؤاخذ على ما يترتب على اعترافه ، بل عليه أن يقول الحق أو يسكت ، وأن الصبر تحمد عاقبته ويغبط صاحبه ، وفيه تقديم الكبير في الكلام ،وتوقف من اشتبه عليه الأمر في الكلام ، وفيه تبشير من تجددت له نعمة ، أو اندفعت عنه نقمة ، وفيه الضحك والفرح والاستبشار عند ذلك ، ومعذرة من انزعج عند وقوع الشدة لصغر سن ونحوه وإدلال المرأة على زوجها وأبويها ، وتدريج من وقع في مصيبة فزالت عنه لئلا يهجم على قلبه الفرح من أول وهلة فيهلكه ، وفيه أن الشدة إذا اشتدت أعقبها الفرج ، وفضل من يفوض الأمر لربه ، وأن من قوي على ذلك خف عنه الهم والغم ، وفيه الحث على الإنفاق في سبيل الخير خصوصاً في صلة الرحم ، ووقوع المغفرة

لمن أحسن إلى من أساء إليه أو صفح عنه ، وأن من حلف أن لا يفعل شيئاً من الخير استحب له الحنث ، وجواز الاستشهاد بآي القرآن في النوازل ، والتأسي بما وقع للأكابر من الأنبياء وغيرهم ، وفيه التسبيح عند التعجب واستعظام الأمر ، وذم الغيبة وذم سماعها ، وزجر من يتعاطاها لا سيا إن تضمنت تهمة المؤمن بما لم يقع منه ، وذم إشاعة الفاحشة وتحريم الشك في براءة عائشة رضي الله عنها .

وقال الزمخشري : لم يقع في القرآن من التغليظ في معصية ما وقع في قصة الإفك بأوجز عبارة وأشبعها ، لاشتماله على الوعيد الشديد ، والعقاب البليغ ، والزجر العنيف ، واستعظام القول في ذلك ، واستشناعه بطرق مختلفة ، وأساليب متقنة ، كل واحد منها كاف في بابه ، بل ما وقع من وعيد عبدة الأوثان ، إلا بما هو دون ذلك ، وما ذاك إلا لإظهار علو منزلة رسول الله ﷺ وتطهير من هو منه بسبيل . أ هـ .

تحقيق حول وجود سعد بن معاذ في قصة الإفك :

وحول ورود ذكر سعد بن معاذ في حادثة الإفك قال ابن حجر في الفتح :

قوله (فقام سعد بن معاذ الأنصاري) كذا هنا وفي رواية معمر وأكثر أصحاب الزهري ، ووقع في رواية صالح بن كيسان « فقام سعد أخو بني عبد الأشهل » وفي رواية فليح « فقام سعد » ولم ينسبه ، وقد تعين أنه سعد بن معاذ لما وقع في رواية الباب وغيره . وأما قول شيخ شيوخنا القطب الحلبي : وقع في نسخة سماعنا « فقام سعد بن معاذ » وفي موضع آخر « فقام سعد أخو بني عبد الأشهل » فيحتمل أن يكون آخر غير سعد بن معاذ ، فإن في بني عبد الأشهل جماعة من الصحابة يسمى كل منهم سعدا ، منهم سعد بن زيد الأشهلي شهد بدراً وكان على سبايا قريظة الذين بيعوا بنجد ، وله ذكر في عدة أخبار منها في خطبة النبي ﷺ في مرض وفاته ، قال فيحتمل أن يكون هو المتكلم في قصة الإفك . قلت : وحمله على ذلك ما حكاه عياض وغيره من الإشكال في ذكر سعد بن معاذ في هذه القصة ، والذي جوزه مردود بالتصريح بسعد بن معاذ في هذه الرواية الثالثة ، فأذكر كلام عياض وما تيسر من الجواب عنه ، قال عياض : في ذكر سعد بن معاذ في هذا الحديث

إشكال لم يتكلم الناس عليه ونبهنا عليه بعض شيوخنا ، وذلك أن الإفك كان في المريسيع وكانت سنة ست فيما ذكر ابن إسحاق ؛ وسعد بن معاذ مات من الرمية التي رميها بالخندق فدعا الله فأبقاه حتى حكم في بني قريظة ثم انفجر جرحه فمات منها ، وكان ذلك سنة أربع عند الجميع إلا ما زعم الواقدي أن ذلك كان سنة خمس ، قال : وعلى كل تقدير فلا يصح ذكر سعد بن معاذ في هذه القصة ، والأشبه أنه غيره ، ولهذا لم يذكره ابن إسحاق في روايته ، وجعل المراجعة أولا وثانيا بين أسيد بن حضير وبين سعد بن عبادة ، قال : وقال لي بعض شيوخنا : يصح أن يكون سعد موجوداً في المريسيع بناء على الاختلاف في تاريخ غزوة المريسيع ، وقد حكى البخاري عن موسى بن عقبة أنها كانت سنة أربع ، وكذلك الخندق كانت سنة أربع ، فيصح أن تكون المريسيع قبلها لأن ابن إسحاق جزم بأن المريسيع كانت في شعبان وأن الخندق كانت في شوال ، فإن كانا من سنة واحدة استقام أن تكون المريسيع قبل الخندق فلا يمتنع أن يشهدها سعد بن معاذ انتهى .

وقد قدمنا في المغازي أن الصحيح في النقل عن موسى بن عقبة أن المريسيع كانت سنة خمس وأن الذي نقله عنه البخاري من أنها سنة أربع سبق قلم ، نعم والراجح أن الخندق أيضاً كانت في سنة خمس خلافا لابن إسحاق فيصح الجواب المذكور . وممن جزم بأن المريسيع سنة خمس الطبري، لكن يعكر على هذا شيء لم يتعرضوا له أصلاً ، وذلك أن ابن عمر ذكر أنه كان معهم في غزوة بني المصطلق وهو المريسيع كما تقدم من حديثه في المغازي ، وثبت في الصحيحين أيضاً أنه عرض في يوم أحد فلم يجزه النبي ﷺ وعرض في الخندق فأجازه ، فإذا كان أول مشاهده الخندق وقد ثبت أنه شهد المريسيع لزم أن تكون المريسيع بعد الخندق فيعود الإشكال ، ويمكن الجواب بأنه لا يلزم من كون ابن عمر كان معهم في غزوة بني المصطلق أن يكون أجيز في القتال ، فقد يكون صحب أباه ولم يباشر القتال كما ثبت عن جابر أنه كان يمنح الماء لأصحابه يوم بدر وهو لم يشهد بدرا باتفاق . وقد سلك البيهقي في أصل الإشكال جواباً آخر بناء على أن الخندق قبل المريسيع فقال : يجوز أن يكون جرح سعد بن معاذ لم ينفجر عقب الفراغ من بني قريظة بل تأخر زمانا ثم انفجر بعد ذلك وتكون مراجعته في قصة الإفك في أثناء ذلك ، ولعله لم يشهد غزوة المريسيع

لمرضه ، وليس ذلك مانعا له أن يجيب النبي ﷺ في قصة الإفك بما أجابه ، وأما دعوى عياض أن الذين تقدموا لم يتكلموا على الإشكال المذكور فما أدري من الذين عناهم ، فقد تعرض له من القدماء إسماعيل القاضي فقال : الأولى أن تكون المريسيع قبل الخندق للحديث الصحيح عن عائشة ، واستشكله ابن حزم لاعتقاده أن الخندق قبل المريسيع ، وتعرض له ابن عبد البر فقال : رواية من روى أن سعد بن معاذ راجع في قصة الإفك سعد ابن عبادة وهم وخطأ ، وإنما راجع سعد بن عبادة أسيد بن حضير كما ذكره ابن إسحاق ، وهو الصحيح فإن سعد بن معاذ مات في منصرفهم من غزوة بني قريظة لا يختلفون في ذلك ، فلم يدرك المريسيع ولا حضرها . وبالغ ابن العربي على عادته فقال : اتفق الرواة على أن ذكر ابن معاذ في قصة الإفك وهم ، وتبعه على هذا الإطلاق القرطبي . أ هـ .

٤٨٧ - * روى الطبراني عن عائشة قالت : وقعد صفوانُ بنُ المعطَّلِ لحسانِ بنِ ثابتٍ بالسيفِ فضربه ضربةً ، فقال صفوان لحسان في الشعر حين ضربه :

تلقَّ ذبابَ السيفِ مني فإنني ... غلامٌ إذا هُوجيت ليس بشاعرِ
ولكنني أحمي حمايَ وأنتقمْ ... منَ الباهتِ الرامي البُرَاةِ الطواهرِ

ثم صاحَ حسانُ ، فاستغاثَ الناسَ على صفوان ، فلما جاء الناسُ فرَّ صفوانُ ، فجاء حسانٌ إلى النبيِّ صلّى اللهُ عليهِ وسلمَ فاستعداه علَى صفوانَ في ضربتِه إياه ، فسألَه النبيُّ صلّى اللهُ عليهِ وسلم أن يَهَبَ لهُ ضربةَ صفوانَ إياه فوهبها للنبيِّ صلّى اللهُ عليهِ وسلمَ ، فَعاضَهُ صلّى اللهُ عليهِ وسلم حَائطاً من نخلٍ عظيمٍ وجاريةً روميةً ، ويقال قبطية تدعى سيرينَ فولدتْ لحسان ابنَه عبدَ الرحمنِ الشاعرَ .

٤٨٨ - * روى البزار عن عَائِشة أنَّه لما نَزَلَ عُذْرُهَا قَبَّلَ أبو بَكْرٍ رَأْسَهَا فَقَالَتْ : ألاَ عَذرْتَني ؟ فَقَالَ : أيُّ سَمَاء تَظِلُّني أوْ أيُّ أَرْضٍ تقلّني إنْ قلْت مَالا أعْلَمُ .

---

٤٨٧ - المعجم الكبير مطولاً (٢٣ / ١١٣) .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٢٣٤) : رواه الطبراني ، ورجاله رجال الصحيح .

٤٨٨ - البزار : كشف الأستار (٣ / ٢٤٢) ، كتاب علامات النبوة ، باب مناقب عائشة زوج رسول الله ﷺ .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٢٤٠) : رواه البزار ، ورجاله رجال الصحيح .

ألاَعذرتني : تعني : قبل نزول القرآن .

٤٨٩ - * روى البزارُ والطبرانيُّ في الأوسط عن عَائِشَةَ قَالَتْ : لَمَّا رُمِيتُ بـه بمـا رُميتُ به ، أَرَدْتُ أَنْ أُلقِيَ نَفْسِي في قَلِيبٍ .

٢ - وفي هذه الغزوة قامت فتنةٌ بين المهاجرين والأنصار :

٤٩٠ - * روى البخاري ومسلم عن جابرٍ رضي الله عنه قـال : غَزَوْنـا معَ النبيّ صلّى اللهُ عليهِ وسلّم ، وقـد ثـابَ معـه نـاسٌ من المهـاجرين حتى كثروا . وكان من المهـاجرينَ رجلٌ لَعّابٌ ، فكَسَعَ أنصارِيّاً ، فغضِبَ الأنصـاريُّ غَضبـاً شـديـداً حتى تـداعَوا ، وقـال الأنصـاريُّ يا للأنصار ، وقال المهاجريُّ : ياللمهاجرين ، فخرجَ النبيُّ صلّى اللهُ عليهِ وسلّم فقالَ : « ما بـالُ دَعْوَى أهلِ الجـاهليـةِ ؟ » ثم قَـال : « مـا شـأنُهم ؟ » فـأُخْبِرَ بكَسْعـة المهـاجريِّ الأنصاريَّ قال فقال النبي ﷺ : « دعُوها فإنّها خَبيثَةٌ » وقال عبـدُ اللهِ بنُ أُبيٍّ بن سَلول : أقدْ تداعَوا علينا ؟ لئن رجَعنا إلى المدينة ليُخْرِجَنَّ الأعزُّ منهـا الأذلَّ ، فقـالَ عمرُ : ألا نقتلُ يانبيَّ اللهِ هذا الخبيثَ ؟ لعبدِ اللهِ . فقال النبي صلّى اللهُ عليهِ وسلمَ : « لا يتحدثُ النـاسُ أنه كان يقتلُ أصحابَه » .

وفي رواية (١) : فقالَ له ابنُه عبدُ اللهِ بنُ عبدِ اللهِ : لا تَنْفَلِتُ حتّى تُقِرَّ أنـكَ الـذليلُ ، ورسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليهِ وسَلم العزيزُ . ففعَلَ

٤٩١ - * روى البخاري ومسلم عن زيدِ بن أرقَم : خرجْنا مع النبيّ صلّى اللهُ عليـهِ وسلم في

---

٤٨٩ - البزار كشف الأستار (٣ / ٢٤١) ، كتاب علامات النبوة ، باب مناقب عائشة زوج رسول الله ﷺ .
وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٢٤٠) : رواه الطبراني في الأوسط والبزار ، ورجالهما ثقات .
قليب : بئر ، يذكر ويؤنث جمعه قلب وأقلبة .
أقول : قد تكون فكرت بالانتحار قبل أن يبلغها تحريمه لشدة ما رميت به على نفسها .

٤٩٠ - البخاري (٦ / ٥٤٦) ٦١ - كتاب المناقب - ٨ - باب ما ينهى من دعوى الجاهلية .
ومسلم نحوه (٤ / ١٩٩٨) ٤٥ - كتاب البر والصلة والآداب - ١٦ - باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً .

(١) الترمذي (٥ / ٤١٨) ٤٨ - كتاب تفسير القرآن - ٦٤ - بـاب « ومن سورة المنـافقين » ، وقـال : هـذا حـديث حسن صحيح .

٤٩١ - البخاري (٨ / ٦٤٧) ٦٥ - كتاب تفسير القرآن - ٢ - باب ﴿ وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم - إلى قوله - قاتلهم الله أنى يؤفكون ﴾ .
ومسلم (٤ / ٢١٤٠) ٥٠ - كتاب صفات المنافقين وأحكامهم - حديث (١) .

سَفَر أصابَ الناسَ فيهِ شِدَّةٌ ، فقالَ عبدُ اللهِ بنُ أُبَيٍّ لأصحابه . لا تُنْفِقُوا علَى مَنْ عندَ رسولِ اللهِ حتّى ينفضُّوا من حولِه ، وقالَ : لئن رجَعنـا إلَى المـدينـةِ ليخرجَنّ الأعزّ منهـا الأذَلَّ ، فأتيتُ النبيَّ صلّى اللهُ عليهِ وسلم فأخبرتُه ، فأرسل إلَى عبد الله بن أبيٍّ فسأله فاجتَهَدَ يمينَـه ما فعل ، قالُوا : كَـذَبَ زيـدٌ رسولَ اللهِ صلّى اللهُ عليـهِ وسلم ، فوقَعَ فِي نفسي مما قـالوا شـدةٌ ، حتى أنزلَ اللهُ عز وجل تصديقي في : ﴿ إذا جاءكَ المنافقون ﴾ (١) فدعـاهم صلّى اللهُ عليـهِ وسلَم ليستغفر لهم فَلَوَّوْا رءُوسَهم ، وقوله : ﴿ خُشُبٌ مسنَّدةٌ ﴾ (٢) قـال : كانوا رجـالاً أجملَ شيء .

وفي رواية (٣) : غَزَونا مع النبيّ صلّى اللهُ عليـهِ وسلم ، وكان معَنـا أُنـاسٌ من الأعراب ، فكنّا نَبْتدِرُ الماءَ ، وكانَ الأعرابُ يَسبقونَا إليـه ، فسبقَ أعرابيٌّ أصحـابـه فيملأُ الحوضَ ويجعلُ حولَه حِجارةً ، ويجعل النِّطْع عليهِ ، حتىّ يجيءَ أصحـابـهُ ، قـال : فـأتى رجلٌ منَ الأنصـار أعرابياً فأرخَى زِمام ناقته لتشربَ فأبى أن يَدَعَه ، فانتزَعَ قِبَاضَ المـاء فرفَع الأعرابيُّ خَشَبَتَـه فضربَ بها رأسَ الأنصاري فشجَّه ، فَأَتى عبـدَ اللهِ بنَ أبيٍّ رأسَ المنـافقين فـأخبرَه ، فغَضِب ، عبدُ الله بنُ أبيٍّ ثم قـال : لا تُنْفِقُوا على مَن عنـدَ رسولِ اللهِ حتّى يَنْفَضُّوا من حولِـه ، يعني الأعرابَ ، وكانـوا يَحضُرون النبيَّ صلّى اللهُ عليـه وسلم عنـدَ الطعَـام ، فقـالَ عبـدُ الله : إذَا انفضّوا من عندَ محمدٍ فَأْتوُا محمداً بالطعام فليأكلْ هو ومَن معه ، ثم قَال لأصحابه : لئن رجعتُم إلى المـدينـة ليُخْرِجَنَّ الأعزُّ منهـا الأذلَّ . قـال زيـدٌ : وأنـا رِدْفُ رسـول الله ﷺ قـــال : فسمعتُ عبدَ اللهِ بن أُبيٍّ ، فأخبرتُ عَمّي ، فانطلقَ فـأخبَرَ رسولَ اللهِ صلّى اللهُ عليـهِ وسلمَ ،

= (١) المنافقون : ١ .

(٢) المنافقون : ٤ .

(٣) الترمـذي (٥ / ٤١٥) ٤٨ ـ كتـاب تفسير القرآن ـ ٦٤ ـ بـاب « ومن سورة المنـافقين » ، وقـال : هـذا حـــديث حسن صحيح .

نبتدر : نتسابق ونسرع إليه .

النّطع : بساط من الجلد .

قِبَاض الماء : ما يقبض به الماء ويمسك من الحجـارة وغيرهـا . والمعنى أن الرجل الأنصـاري الذي أرخى زمـام نـاقته لتشرب الماء من الحوض نزع الحجارة التي جعلها الأعرابي حول الحوض ليمسك به الماء .

شجّه : شَجًا : شق جلد رأسه أو وجهه .

=

فَـأرسلَ إليـه رسولُ الله ﷺ ، فحلفَ وجَحَدَ ، فصـدّقـه رسولُ الله صلّى اللهُ عليـهِ وسلمَ ، وكذّبني ، فجاء عمي إليَّ ، فقال : مـا أردتَ إلا أنْ مقتَـكَ رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليـهِ وسلم ، وكذّبكَ المسلمونَ ، قال : فوقعَ عليَّ من الهمّ ما لم يقعْ على أَحَدٍ ، قـال : فبينـا أنـا أسيرُ مع النبيّ صلى اللهُ عليهِ وسلّم في سفرٍ قـد خَفَقْتُ برأسي منَ الهمّ ، إذ أتـانيَ النبيُّ صلّى اللهُ عليـه وسلّم فَعَرَكَ أذُني ، وضَحكَ في وجهي ، فما كانَ يسرُّني أنّ لي بها الخُلْدَ في الدنيـا ، ثم إنّ أبـا بكرٍ لحِقني ، فقال : ما قالَ لكَ النبيُّ صلّى اللهُ عليْـهِ وسلمَ ؟ قلتُ : مـا قـالَ شيئـاً إلا أنـه عَرَكَ أذني ، وضَحِـكَ في وجهي ، فقـال : أبشرْ ثم لحِقني عمرُ ، فقلتُ لـه مثـلَ قـولي لأبي بكرٍ ، فلما أصبحْنا قرأ رسول الله صلّى اللهُ عليه وسلّم سورةَ المنافقين .

وفي رواية [١] : أن ذلكَ في غزوة بني المُصطلِق .

* * *

= عَرَكَ : الجلد عَرْكًا : دلكه .

(١) الترمذي في نفس الموضع السابق (٥ / ٤١٨) . وقال : هذا حديث حسن صحيح .

فصل : في غزوة فَزَارة

٤٩٢ - * روى مسلم عن سَلَمَةَ بنِ الأكْوع قال : غَزَونا فَزَارَةَ وعلينـا أبو بكر أَمَّرَهُ رسول الله ﷺ فلما كان بيننا وبين الماء سـاعـة أمرنـا أبو بكر فَعَرَّسْنـا ، ثم شَنَّ الغـارَة فورَدَ المـاءَ فَقَتَلَ من قَتَلَ عليهِ وسبَا ، وأَنْظُرُ إلى عُنق من الناسِ فيهمُ الـذَّرَارِي ، فَخَشيتُ أنْ يسبقوني إلَى الجَبَلِ ، فَرَمَيتُ بسهم بينهم وبينَ الجَبلِ ، فَلمـا رأوْا السهمَ وَقفُـوا ، فَجئتُ بِهِمْ أَسُوقُهم ، وفيهمُ امْرأَةٌ من بني فَزَارَةَ عليهـا قِشْعٌ مِن أَدَمٍ (قـال : القشعُ النَّطْعُ) ، معهـا ابنـةٌ لهـا منْ أحسن العرب ، فسُقْتُهم حتّى أتيتَ بهم أبا بكر فنفّلَني أبو بكر ابنتها ، فقدمْنا المـدينـةَ ومـا كَشَفْتُ لها ثَوْباً ، فَلَقِيَني رَسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليـهِ وسلم في السُّوق فقـالَ : « يـاسَلَمـةُ هَبْ لِيَ المرأةَ » فَقلتُ : يارسولَ اللهِ والله لقدْ أعجبتْني وما كشفْتُ لها ثوبـاً ، ثم لقيَني منَ الغـدِ في السوقِ ، فقـال لي : « يـاسَلَمَـةُ هَبْ لِيَ المرأةَ للهِ أبوك » فقلتُ : هي لـك يـارسـولَ اللهِ ، فواللهِ ما كشفتُ لها ثوبـا ، فبعثَ بهـا رسولُ الله صلّى اللهُ عليـهِ وسلم إلَى أهلِ مَكّـةَ فَفَدَى بها ناساً مِن المسلمين كانوا أُسِرّوا بمكةَ .

قال النووي : فيـه جواز المفـاداة وجواز فـداء الرجـال بـالنسـاء الكافرات ، وفيـه جواز التفريق بين الأم وولدها البالغ ، ولا خلاف في جوازه عندنا ، وفيه جواز استيهـاب الإمـام أهل جيشه بعض ما غنموه ليفادي به مسلماً أو يصرفه في مصـالح المسلمين أو يتـألف بـه من في تألفه مصلحة كما فعل ﷺ هنا وفي غنائم حنين وفيـه جواز قول الإنسـان للآخر لله أبوك ولله درك .

وسبب هذه الغزوة أنـه كان بطن فزارة يريـد اغتيـال النبي ﷺ فبعث رسول الله ﷺ أبـا بكر فـأغـار عليهم وقتل وأسر وسبي ، وكان من شيـاطينهم أم قِرْفـة التي جهزت ثـلاثين فـارساً من أهل بيتهـا لاغتيـال رسول الله ﷺ فقُتِلوا وسُبِيَتِ ابنتُهـا ، (راجع الرحيق المختوم)

---

٤٩٢ - مسلم (٣ / ١٣٧٥) ٣٢ - كتاب الجهاد والسير - ١٤ - باب التنفيل وفداء المسلمين بالأسارى .

شن الغارة : الغارة : النهبُ ، وشنها : تفريقها في كل ناحية .

عُنقٌ : من الناس : أي جماعة (المرأة : هي أم قرفة واسمها فاطمة بنت ربيعة بن بدر) .

قشْع : القَشْعُ : الجلد اليابس ، وجمعة قِشَعٌ ، على غير قياس ، لأن واحد قَشْع قَشْعة ، مثل بَذْرة وبَذر .

النّطْع : نفس القَشْع .

فصل : في سريّة كُرْزِ بنِ جابرِ الفِهريّ إلى العُرَنِيّين

قال ابن كثير في البداية والنهاية :

قال الواقدي : في شوال سنة ست كانت سرية كرز بن جابر الفهري إلى العُرَنيين الذين قتلوا راعِي رسول الله ﷺ واستاقوا النَّعَمَ ، فبعث رسول الله ﷺ في آثارهم كرز بن جابر في عشرين فارساً فردوهُم .

٤٩٣ ـ *روى البخاري ومسلم عن أنس رضي اللّهُ عنه حدَّثهم أنَّ ناساً من عُكلٍ وعُرَينةَ قَدِموا المدينةَ على النبيِّ ﷺ وتكلَّموا بالإسلام ، فقالوا : يا نبيَّ الله إنّا كنا أهل ضَرْعٍ ولم نكن أهلَ رِيف ، واسْتَوْخَموا المدينةَ . فأمرَ لهم رسولُ اللهِ ﷺ بذَودٍ وراعٍ ، وأمرَهم أن يَخرُجوا فيه فيشرَبوا من ألبانها وأبوالها . فانطلَقوا ، حتىٰ إذا كانوا ناحيةَ الحَرَّةِ كفروا بعدَ إسلامهم ، وقَتَلوا راعيَ النبيِّ ﷺ ، واستاقوا الذَّودَ . فبلغَ النبيَّ ﷺ ، فبعثَ الطلبَ في آثارهم ، فأمرَ بهم فسمَروا أعيُنَهم وقَطعوا أيدِيَهم ، وتُركوا في ناحية الحرَّةِ حتىٰ ماتوا على حالهم .

وفي رواية للبخاري[١] : فأتى النبيَّ ﷺ الصريخُ ، فبعث الطلبَ في آثارهم ، فما ترجل النهارُ حتى أُتِيَ بهم ، فأمر بمساميرَ ، فأُحميت فكحلهم وقطع أيدِيَهم وأرجلَهم وما حَسَمَهم ثم أُلقُوا في الحرَّة يستسقون ، فما سُقُوا حتى ماتوا .

وفي رواية[٢] عن أنسٍ قال : فلقدْ رأيتُ أحدَهم يَكْدِمُ الأرض بفيه عطشاً حتى ماتوا .

---

٤٩٣ ـ البخاري (٧ / ٤٥٨) ٦٤ ـ كتاب المغازي ـ ٣٦ ـ باب قصة عكل وعرينة .

ومسلم (٣ / ١٢٩٧) ٢٨ ـ كتاب القسامة ـ ٢ ـ باب حكم المحاربين والمرتدين .

استوخموا : أي لم توافقهم وكرهوها لسقم أصابهم وفي سيرة ابن هشام : أنهم طحِلوا ، أي : أصابهم وجع الطحال .

فَسَمَرَوْا أعينهم : سَمَر : أي : كحلها بمسامير محمية .

الحرَّة : هي أرض ذات حجارة سود معروفة بالمدينة .

(١) البخاري (١٢ / ١١١) ٨٦ ـ كتاب الحدود ـ ١٧ ـ باب لم يُسقَ المرتدون المحاربون حتى ماتوا .

ترجَّل : ارتفع .

وما حسمهم : حَسَم العِرْق : قطعه وكواه لئلا يسيل دمه .

(٢) البخاري (١٠ / ١٤١) ٨٦ ـ كتاب الطب ـ ٥ ـ باب الدواء بألبان الإبل .

وأبو داود واللفظ له (٤ / ١٣١) ، كتاب الحدود ، باب ما جاء في المحاربة .

=

قال أبو قِلاَبة [١] : فهؤلاء قَتلوا وسَرَقوا وكفروا بعد إيمانهم وحارَبوا اللهَ ورسولَه ﷺ .

وفي صحيح مسلم[٢] إنما سمل النبي ﷺ أعين أولئك ؛ لأنهم سَمَلوا أعينَ الرعاء .

* * *

= يكدم : كدماً : أحدث فيه أثراً بعَضٍّ ونحوه .

(١) أخرجه البخاري (١ / ٣٣٥) ، ٤ ـ كتاب الوضوء ـ ٦٦ ـ باب أبوال الإبل والدواب والغنم ومرابضها . ومرابضها .

(٢) مسلم (٣ / ١٢٩٨) ٢٨ ـ كتاب القسامة ـ ٢ ـ باب حكم المحاربين والمرتدين .

فصل : في صلح الحديبية

١ ـ النصوص :

٤٩٤ ـ * روى البخاري عنِ المِسْوَرِ بن مَخْرَمةَ ومَروانَ ـ يُصدّقُ كلٌّ واحد منهما حديثَ صاحبِه ـ قالا : خَرَجَ رسولُ اللهِ ﷺ زمنَ الحُدَيبيةِ حتّىٰ إذا كانوا ببعضِ الطريقِ قال النبيُّ ﷺ : « إنَّ خالدَ بنَ الوَليدِ بالغَميم في خيلٍ لقُرَيش طَليعةٌ ، فخُذوا ذاتَ اليمينِ » فوَاللهِ ما شَعَرَ بهم خالدٌ حتّىٰ إذا هم بقَتَرة الجيشِ ، فانطَلَقَ يَرْكُضُ نَذيراً لقُريشٍ ، وسارَ النبيُّ ﷺ ، حتّىٰ إذا كان بالثَّنيَّةِ التي يُهبَطُ عليهم منها بَرَكَت بهِ راحلتُه ، فقال الناسُ : حَلْ حَل . فألَحَّتْ . فقالوا خَلأَتِ القصواء . فقال النبيُّ ﷺ : « ما خَلأَتِ القَصواء وما ذاك لها بخُلُق ، ولٰكن حَبَسَها حابسُ الفيل » ثم قال : « والذي نفسي بيدِهِ ، لا يَسْألونني خُطَّةً يُعظِّمون فيها حُرُماتِ اللهِ إلا أعطيتُهم إيّاها » ثم زجَرَها فوَثَبَتْ . قال : فَعَدَلَ عنهم حتّىٰ نَزَلَ بأقصىٰ الحُدَيبيةِ على ثَمَدٍ قليلِ الماء يَتَبرَّضُهُ الناسُ تَبرُّضاً ، فلم يُلَبِّثْهُ الناسُ حتّىٰ نَزَحوهُ ، وشُكِيَ إلى رسولِ اللهِ ﷺ العطشُ ، فانتَزَعَ سَهماً مِن كنانتِهِ ،

---

٤٩٤ ـ البخاري (٥ / ٣٢٩) ٥٤ ـ كتاب الشروط ـ ١٥ ـ باب الشروط في الجهاد ، والمصالحة مع أهل الحرب ، وكتابة الشروط .

قتَرةَ الجيش : هو الغبار الساطع منه ، ولا تكون القَتَرةُ إلا مع سواد في اللون .

نذيرٌ : النذير : الذي يُعلم القوم بالأمر الحادث .

بالثنيَّة : الثَّنيةُ : الطريق المرتفع في الجبل .

حَلْ حَلْ : زجر للناقة ، و « حَوب » زجر للجمل .

فألحت : ألَحَّ البعير : إذا حرَن ، وقيل : إنما يقال ذلك للجمل ، فأما الناقة فإنما يقال لها : خَلأَت .

القصواء : القصواءُ : اسم ناقة النبي ﷺ ، ولم تكن قصواء ، أي مشقوقة الأذن ، وإنما كان هذا لقباً لها .

حابس الفيل : الفيل : هو فيل أبرهة الذي جاء يقصد البيت ليخربه ، فحبس الله الفيل ، فلم يتقدَّم إلى مكة ، وردَّ رأسه راجعاً من حيث جاء ، فأرسل الله عليهم كما قال : ﴿ طيراً أبابيل ، ترميهم بحجارة من سجيل ﴾ والقصة مشهورة .

خُطة : الخطة : الحال والقضية والطريقة .

حُرُمات الله : جمع حرمة ، يريد بها : حُرْمة الحرم ، وحرمة الإحرام ، وحرمة الشهر الحرام .

يتبرَّض : التَّبرُّض : أخذ الشيء قليلاً قليلا ، وهو أيضاً التَّبَلُّغ بالشيء القليل .

ثَمَد : الثمد : الماء القليل الذي لا مادة له .

=

ثمَّ أمرَهم أن يَجعلوهُ فيه ، فوَاللهِ مازالَ يَجيشُ لهم بالرِّيِّ حتّىٰ صَدَرُوا عنه . فبينما هم كذٰلكَ ، إذ جاءَ بُدَيلُ بنُ وَرْقاءَ الخُزاعيُّ في نفرٍ مِن قومِهِ مِن خُزاعةَ - وكانوا عَيبةَ نُصحِ رسولِ اللهِ ﷺ مِن أهلِ تِهامةَ - فقال : إني تَركتُ كعبَ بنَ لُؤي وعامرَ بنَ لُؤيٍّ نزلوا أعدادَ مياه الحُدَيبيةِ ، ومعَهمُ العُوذُ المطافيلُ ، وهم مُقاتلوك وصادُّوكَ عنِ البيتِ . فقال رسولُ اللهِ ﷺ : « إنّا لم نَجئ لِقتالِ أحد ، ولكِنّا جِئنا مُعْتمِرينَ ، وإنَّ قُرَيشاً قد نَهِكَتْهمُ الحربُ وأضرَّتْ بهم ، فإن شاءوا مادَدْتُهم مُدَّةً ويُخَلُّوا بَيني وبينَ الناس ، فإن أظهَرْ فإن شاءوا أن يَدخُلوا فيما دَخَلَ فيه الناسُ فعَلوا ، وإلا فقد جَمُّوا . وإنْ هم أبَوا فوَالذي نفْسي بيدِهِ لأُقاتِلَنَّهم على أمري هٰذا حتّىٰ تَنفَرِدَ سالِفَتي ، وَلَيُنفِذَنَّ اللهُ أمرَه » فقال بُديلٌ : سأبلغُهم ما تقولُ . قال فانطَلَقَ حتّىٰ أتىٰ قُرَيشاً قال : إنّا جئناكم مِن هٰذا الرَّجُل ، وسمِعْناهُ يقولُ قَولاً ، فإنْ شئتم أنْ نَعرِضَهُ عليكم فعَلْنا . فقال سُفَهاؤهم : لا حاجةَ لنا أنْ تُخبِرونا عنهُ بشيء . وقال ذَوُو الرأيِ منهم : هاتِ ما سمِعتَهُ يقول : قال : سمعتُهُ يقولُ كذا وكذا . فحدَّثَهم بما قال النبيُّ ﷺ . فقامَ عُروةُ بنُ مَسعودٍ فقال : أيْ قَومِ ، ألستُم بالوالدِ ؟ قالوا بَلىٰ . قال : أولستُ بالوَلدِ ؟ قالوا : بلىٰ . قال : فهل تَتَّهِموني ؟ قالوا : لا . قال : ألستُم تَعلمونَ أنّي استَنفَرْتُ أهلَ عُكاظَ ، فلما بَلَّحوا عليَّ

=

يجيش : جاشت البئر بالماء : إذا ارتفعت وفاضت ، وجاشت القدر : إذا غَلَتْ .

بالري : الرّي : ضد العطش .

صَدَروا : الصَّدرُ : الرُّجوعُ بعد الورود .

عَيْبة نصح : يقال : فلانٌ عيبةُ نُصح فلان : إذا كان موضع سِرّه وثقته في ذلك .

أعداد مياه : الماءُ العدُّ : الكثير الذي لا انقطاع لمادته ، كماء العيون ، وجمعه : أعداد .

العُوذ : جمع عائذ : وهي الناقة إذا وضعت إلى أن يقوى ولدُها .

المطافيل : جمع مُطْفِل ، وهي الناقة معها فصيلها ، فاستعار ذلك للناس ، أراد به النساء والصبيان .

نَهكَتْهم الحرب : يقول : نهكته الحرب تنهكه ، أي : أضرت به وأثَّرت فيه ، من نَهْك الحُمَّى ، وهو ألمها وضررها .

مادَدتهم : ماددت القوم ، أي : جعلت بينك وبينهم مُدّة .

جَمُّوا : استراحوا ، والجمام : الراحة بعد التعب .

سالفتي : السالفة : صَفْحة العنق ، وانفرادها كناية عن الموت ، لأنها لا تنفرد عما يليها إلا بالموت .

استنفرت القومَ : دعوتُهم إلى قتال العدو .

بَلَّحوا : أصل التبليح : الإعياء والفتور ، والمراد : امتناعهم من إجابته وتقاعدهم به ، وفيه لغة أخرى (بَلَحُوا) بالتخفيف .

=

جئتُكم بأهلي ووَلَدي ومَن أطاعَني ؟ قالوا : بَلىٰ . قال : فإنّ هٰذا قد عَرَضَ عليكم خُطَّةَ رُشدٍ اقبَلوها ودَعوني آتِهِ . قالوا ائْتِه . فأتاهُ ، فجَعَلَ يُكلِّمُ النبيَّ ﷺ ، فقـال النبيُّ ﷺ نَحواً من قَولـهِ لِبُدَيل . فقـالَ عُروةُ عنـدَ ذٰلـكَ : أيْ محمـدُ ، أرأيتَ إنِ استَـأْصَلتَ أمرَ قومِـكَ ، هل سمعتَ بـأحَـدٍ منَ العَرَبِ اجْتـاحَ أهلَـهُ قبلَـكَ ؟ وإنْ تكُنِ الأخرىٰ ، فـإني واللهِ لا أرَىٰ وُجوهـاً ، وإني لأرى أشْوابـاً منَ النـاسِ خَليقـاً أنْ يَفِرُّوا ويَـدَعوكَ . فقـال لـهُ أبـو بكرٍ : امْصُصْ بَظْرَ اللاتِ ، أنحنُ نَفِرُّ عنه ونَدَعُهُ ؟ فقال : مَن ذا ؟ قـالوا : أبو بكر . قـال : أمـا والذي نَفْسي بيدِه ، لَوْلا يَدٌ كانتْ لـكَ عنـدي لم أجْزِكَ بهـا لأجَبْتُـكَ . قـال : وجعلَ يُكلِّمُ النبي ﷺ ، فكلما تَكلَّم كلمةً أخَذَ بلحيَتِه ، والمغيرةُ بنُ شُعبةَ قـائمٌ على رأسِ النبيِّ ﷺ ومعَـهُ السَّيفُ وعليهِ المِغْفَر ، فكلما أهْوَىٰ عُروةُ بيدِهِ إلىٰ لِحيةِ النبيِّ ﷺ ، ضَرَب يَـدَهُ بنَعْلِ السيفِ وقال له : أخِّرْ يدَكَ عن لِحيةِ رسولِ اللهِ ﷺ . فرَفعَ عُروةُ رأسَهُ فقال : مَنْ هٰـذا ؟ قـال : المغيرةُ بنُ شُعبة . فقال : أيْ غُدَر ، ألستُ أسعىٰ في غَدْرتِكَ ؟ وكان المغيرة صَحِبَ قومـاً في الجاهِليةِ فَقَتَلَهُمْ وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ ثُمَّ جاءَ فَأَسْلَم . فقال النبيُّ ﷺ : « أمَّا الإسلامَ فأقبلُ وأمـا المالَ فلستُ منهُ فِي شَيْءٍ » ثمَّ إنَّ عُروةَ جَعلَ يَرْمُقُ أصحَـابَ النبيِّ ﷺ بعَينَيـهِ . قـال : فَـوَاللهِ مـا تَنَخَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ نخامَـةً إلَّا وَقَعتْ فِي كفِّ رجُـلٍ منهم فـدَلَـكَ بهـا وَجهَـهُ وجِلْـدَه ، وإذا أمرَهُم ابتَـدَرُوا أمرَه ، وإذا تَوَضَّأَ كادُوا يَقْتَتِلونَ على وَضُوئِـه ، وإذا تَكلمـوا

= قد قُلِّدت : تقليد البُدن : هو أن يُجعَل في رقابها شيء كالقلائد من لحاء الشجر ، أو غيره ، ليعلم أنها هَدْي .

اجتاح : الاجتياح : إيقاع المكروه بالإنسان ، ومنه الجائحة ، والاجتياح والاستئصال متقاربان في مبالغة الأذى .

أشوابا : الأشواب والأوباش والأوشاب : سواء ، وهم الأخلاط من الناس والرَّعاع .

خطة : يقال : خطـة رشـد ، وخطـة غي ، والرشـد : خلاف الغَي والضلال ، والمراد : أنـه قـد طلب منكم طريقاً واضحاً في الهدى والاستقامة .

خليقاً : يقال : فلان خليق بكذا ، أي : جدير ، لا يبعد ذلك من خُلُقه .

امصص بَظْـرَ اللات : صنم كانوا يعبدونه والعبارة شتم يدور على ألسنتهم .

فاجر : أصل الفجور : الميل عن الحق والتكذيب به ، وكل انبعاث في شر فهو فجور .

لولا يدٌ : اليد : النِّعمَة ، وما يمتن الإنسان به على غيره .

المغفر : ما يلبسه الدّارع على رأسه من الزَّرَد .

غُدَر : معدول عن غادر ، وهوَ بناء للمبالغة .

نخامة : النُّخامة البصقة من أقصى الحلق .

خَفَضوا أصواتَهُم عِندَه ، وما يُحِدُّونَ إليهِ النَّظرَ تَعظيماً لهُ . فرجعَ عُروةُ إلى أصْحَابهِ فَقَالَ : أيْ قومِ ، واللهِ لقَد وفَدْتُ على الملوكِ ، ووَفدتُ على قَيْصَرَ وكِسْرَى والنَّجاشيِّ ، واللهِ إنْ رأيتُ مَليكاً قطُّ يعظِّمهُ أصحابُه ما يُعَظِّم أصحابُ مُحمدٍ ﷺ مُحمداً ، واللهِ إنْ يَتَنَخَّمُ نُخامةً إلا وَقعَتْ في كفِّ رجُلٍ فدلَكَ بها وَجهَهُ وجِلدَه ، وإذا أمرَهم ابتَدروا أمرَه ، وإذا تَوضأ كادوا يَقتَتِلونَ على وَضوئِه ، وإذا تَكلَّمُوا خَفَضوا أصواتَهم عِندَه ، وما يُحِدُّونَ إليهِ النَّظرَ تعظيماً لَهُ . وَإنَّهُ قد عَرَضَ عَلَيْكم خُطَّةَ رُشْدٍ فَاقبَلوها . فقال رجُلٌ مِن بني كِنانةَ : دَعوني آتيه فَقَالوا : ائتِهِ . فلمَّا أشرَفَ على النبيِّ ﷺ وأصحابِهِ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « هَذا فُلانٌ ، وهوَ مِن قومٍ يُعَظِّمونَ البُدْنَ ، فابْعَثوها لَه » فبُعِثَتْ لهُ ، واستقبلَهُ الناسُ يُلَبُّونَ . فَلمَّا رأى ذٰلكَ قَالَ : سُبحانَ اللهِ ، مَا يَنْبَغِي لِهَؤُلاء أن يُصَدُّوا عنِ البيتِ . فَلَمَّا رَجعَ إلى أصْحَابهِ قَال : رأيتُ البُدْنَ قد قُلِّدَتْ وأُشعِرَتْ ، فما أرَى أن يُصَدُّوا عنِ البيتِ . فقامَ رجُلٌ منهم يُقالُ لهُ : مِكرَزُ بنُ حَفصٍ فَقَالَ : دَعوني آتِهِ . فقالوا : ائتِهِ فلما أشرفَ عليهم قال النبيُّ ﷺ : « هٰذا مِكرَزٌ ، وهوَ رجلٌ فاجِر » فجَعَلَ يُكلِّمُ النبي ﷺ ، فبينما هوَ يُكلِّمُهُ إذ جاء سُهَيلُ بنُ عمرو . قال مَعْمَرٌ : فأخبرَني أيُّوبُ عن عِكرمةَ أنَّه لما جَاءَ سُهَيلُ بنُ عمرٍو قال النبي ﷺ : « قد سَهُلَ لكم من أمرِكم » قال معمر : قال الزهري في حديثه : فجاء سهيل بن عمرٍو فَقَالَ : هاتِ اكتُبْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكم كِتَاباً . فدَعا النبيُّ ﷺ الكاتِبَ ، فَقَالَ النبيُّ ﷺ « بسمِ اللهِ الرحمٰنِ الرحيم » ، فَقَالَ سُهيلٌ : أما « الرحمٰنُ » فوَاللهِ ما أدري ما هيَ ، ولٰكنِ اكتُبْ : باسمِكَ اللّهمَّ كما كُنتَ تكتُبُ ، فَقَال المسلمونَ : واللهِ لا نكتُبُها إلا « بسمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرحيم » ، فقال النبيُّ ﷺ : اكتبْ : « باسمِكَ اللّهمَّ » . ثمَّ قَالَ : « هٰذا ما قاضىٰ عليهِ محمدٌ رسولُ الله » فقال سُهيلٌ : واللهِ لو كنَّا نَعلَمُ أنكَ رسولُ اللهِ ما صَدَدْناكَ عنِ البيتِ ولا قاتَلْناك ، ولكن اكتُبْ « محمدَ بنَ عبدِ الله » ،

= يُحِدُّون : أحددتَ إليه النظر : إذا ملأت عينك منه ولم تهبه ، ولا استحييت منه .

فقال رجل من بني كنانة : سُمِّي : الحُلَيس بن علقمة أو ابن زبّان .

البُدْن : الإبل التي تُهدى إلى البيت في حج أو عمرة .

هذا مكرز ، وهو رجل فاجر : كان قبل ذلك قتل رجلاً من بني بكر غيلة .

قاضي : فاعل ، من القضاء ، وهو إحكام الأمر وإمضاؤه ، قال الأزهري : « قضى » في اللغة على وجوه ، مَرْجعها إلى انقطاع الشيء وتمامه . =

فقال النبيُّ ﷺ : « والله إني لرسولُ اللهِ وَإنْ كذَّبتُموني ، اكتُبْ محمدُ بنُ عبدِ اللهِ » قال الزُّهريُّ : وَذٰلكَ لِقولِهِ : « لا يَسألونني خُطّةً يُعظِّمون فيهَا حُرُماتِ اللهِ إلَّا أعطَيتُهم إيَّاهَا » فقَالَ لهُ النبيُّ ﷺ : « عَلىٰ أن تُخَلُّوا بيننَا وبينَ البيتِ فَنطوفَ به » فقال سُهَيلٌ : واللهِ لا تتحدَّثُ العَرَبُ أنا أخِذنا ضُغْطةً ، وَلكِنْ ذٰلكَ منَ العامِ المقبلِ ، فكَتَبَ ، فقَالَ سُهَيْلٌ : وَعَلىٰ أنهُ لاَ يَأتيكَ منَّا رَجلٌ - وَإنْ كَانَ عَلى دِينِكَ - إلا رَدَدْتَهُ إلَيْنا . قَالَ المسلمون : سُبحانَ اللهِ ، كيفَ يُرَدُّ إلى المشركِينَ وَقَدْ جَاءَ مُسلماً ؟ فَبينما هُمْ كذٰلكَ إذ دَخلَ أبو جَنْدَلِ بنُ سُهيلِ بن عمرٍو يَرسُفُ في قيودِهِ ، وقد خَرَجَ مِن أسفَلِ مكةَ حتّىٰ رَمىٰ بنفسِهِ بينَ أظهرِ المسلمين ، فقالَ سُهَيلٌ : هذا يا محمدُ أوّلُ مَن أقاضيكَ عليهِ أن تَرُدَّهُ إليَّ . فقال النبيُّ ﷺ : « إنا لم نَقضِ الكتابَ بعدُ » قال : فواللهِ إذاً لم أصَالِحْكَ عَلى شيءٍ أبَداً . قالَ النبيُّ ﷺ : « فأجِزْهُ لي » قَالَ : مَا أنا بِمُجيزِهِ لكَ ، قَالَ : بَلىٰ فافعَل ، قال : ما أنا بفاعِلٍ . قَالَ مِكرَزٌ : بل قد أجزْنَاهُ لك . قَالَ أبو جَندَلٍ : أيْ مَعْشَرَ المسلمين ، أُرَدُّ إلى المشركينَ وَقدْ جِئتُ مسلماً ؟ ألا تَرَونَ ما قَدْ لَقِيتُ ؟ وكَانَ قد عُذِّبَ عَذاباً شَديداً في اللهِ . قَالَ : فقَالَ عمرُ بنُ الخَطابِ : فأتيتُ نبيَّ اللهِ ﷺ فقُلتُ : ألستَ نبيَّ اللهِ حَقاً ؟ قَالَ : « بَلى » قُلتُ : ألَسنا على الحقِّ وعدوُّنا على الباطلِ ؟ قال : « بَلى » قلت : فلِمَ نُعطِي الدَّنيَّةَ في دِيننا إذاً ؟ قال : « إني رسولُ اللهِ ولستُ أعصيهِ ، وهوَ ناصِري » قلت : أوَليسَ كنتَ تحدِّثُنا أنّا سنأتي البيت فنَطُوفُ بهِ ؟ قال : « بَلى ، فأخبرتُكَ أنَّا نأتيهِ العامَ ؟ » قال قُلت : لا . قال : « فإنَّكَ آتيهِ ومطَوِّفٌ بهِ » . قال : فأتيت أبا بكرٍ فقلتُ : يا أبا بكرٍ ، أليس هٰذا نبيُّ اللهِ حقّاً ؟ قال : بَلىٰ . قلتُ : ألسنا على الحقِّ وعدوُّنا على الباطل ؟ قال : بَلىٰ . قلتُ : فلِمَ نُعطِي الدَّنيَّةَ في دِينِنا إذاً ؟ قال : أيها الرجُلُ إنهُ لَرسولُ اللهِ ﷺ ، وليسَ يَعصِي ربَّه ، وهو نَاصِرُه ، فاستمسِكْ بغَرْزِهِ فوَاللهِ إنهُ على الحقِّ . قلتُ : أليسَ كانَ

= ضُغْطة : الضُّغطة : القهر والضيق .

يرسُفُ : رسف المقيد في قيده : إذا مشى فيه .

فأجزه لي : يجوز أن يكون بالزاي والراء ، فأما بالزاي : فمعناه من الإجازة ، أي : اجعله جائزاً غير ممنوع ، ولا محرّم أو غيره ، وأطلقْه ، وإن كان بالراء المهملة : فمعناه من الإجارة : الحماية والحفظ ، وكلاهما صالح في هذا الموضع .

الدَّنية : القضية التي لا يُرضى بها ولا تُراد .

بغرزه : الغرز : الكور للناقة ، كالركاب لسرج الفرس ، إلا أنه من جلد ، فإذا كان من حديد أو خشب : فهو ركاب . =

يُحدِّثُنا أنّا سنأتي البيتَ ونَطوفُ به ؟ قال : بَلىٰ ، أفأخبَرَكَ أنكَ تَأتيهِ العامَ ؟ قلت : لا . قال : فإنكَ آتيهِ ومُطوِّفٌ به . قال الزُّهري : قال عمر : فعملتُ لذٰلكَ أعمالاً . قال : فلما فَرَغَ من قضيةِ الكتابِ قال رسولُ اللهِ ﷺ لأصحابِهِ : « قُومُوا فانْحَروا ثمَّ احْلِقوا » قال : فوَاللهِ ما قامَ منهم رجُلٌ ، حتى قال ذٰلكَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ ، فلمّا لم يَقُمْ منهم أحدٌ دَخلَ على أمِّ سَلمةَ فذَكرَ لها ما لَقِيَ منَ الناسِ ، فقالت أمُّ سَلمةَ : يا نبيَّ اللهِ أتُحِبُّ ذٰلك ؟ اخرُجْ ، ثمَّ لا تُكلِّمْ أحَداً منهم كلمةً حتى تَنْحَرَ بُدْنَك ، وتَدْعُو حالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ . فخرَجَ فلم يُكلِّمْ أحداً منهم حتى فعل ذلك : نحرَ بُدْنَهُ ، ودَعا حالِقَهُ فحلَقَه . فلما رأوا ذٰلكَ قاموا فنَحَروا ، وجَعلَ بعضُهم يَحلِقُ بعضاً ، حتى كادَ بعضُهم يَقتُلُ بعضاً غَمّاً . ثمَّ جاءَهُ نِسْوةٌ مُؤمِناتٌ ، فأنزَلَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ يا أيُّها الذينَ آمَنوا إذا جاءَكُم المؤْمِناتُ مُهاجراتٍ فامتحنوهنَّ ﴾ ـ حتى بَلَغَ ـ ﴿ بعِصَمِ الكوافِرِ ﴾[1] فطَلَّقَ عمرُ يومَئذ امرأتَين كانتا لهُ في الشِّرك ، فتزَوَّجَ إحداهما مُعاويةُ بنُ أبي سُفيانَ والأخرىٰ صفوانُ بنُ أُميةَ ، ثمَّ رَجَعَ النبيُّ ﷺ إلى المدينةِ ، فجاءَهُ أبو بصيرٍ رجُلٌ مِنْ قرَيْشٍ وهوَ مُسلم ، فأرسَلوا في طَلَبِهِ رجلَينِ فقالوا : العَهدَ الذي جعلتَ لنا ، فدفعَهُ إلى الرَّجلَين ، فخرجا بهِ حتّى بلغا ذا الحُليفَة ، فنزلوا يأكلونَ مِن تمرٍ لهم ، فقال أبو بصيرٍ لأحدِ الرَّجلَين : واللهِ إني لأرَى سيفَكَ هٰذا يا فُلانُ جيِّداً ، فاستَلَّهُ الآخَرُ فقال : أجَلْ واللهِ إنهُ لَجيِّدٌ ، لقد جَرَّبتُ بهِ ثمَّ جَرَّبتُ بهِ ثم جربتُ . فقال أبو بصيرٍ : أرِني أنظُرْ إليهِ ، فأمكنَهُ منه ، فضَربَه حتى بَرَد ، وفرَّ الآخَرُ حتى أتىٰ المدينةَ ، فدَخَلَ المسجدَ يَعْدو ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ حِينَ رآهُ : « لقد رأى هٰذا ذُعْراً » فلما انتهىٰ إلى النبي ﷺ قال : قُتِلَ واللهِ صاحِبي وإني لمقتول . فجاء أبو بصيرٍ فقال : يا نبي اللهِ ، قد واللهِ أوفىٰ اللهُ ذِمَّتَكَ قد ردَدْتَني إليهم ، ثمَّ أنجاني اللهُ منهم . قال النبيُّ ﷺ : « وَيلُ أمه مِسْعَرُ حَرب لو كان له أحد » فلما سَمِعَ ذلكَ عرفَ أنهُ سيَرُدُّهُ إليهم ؛ فخَرَجَ حتى أتى سِيفَ البحر . قال : وَينفَلِتُ منهم أبو جندَلِ بنُ سُهيلٍ فَلحقَ بأبي بصير ، فجعَلَ لاَ

= فعملت لذلك أعمالاً : تقربت إلى الله قُربات حتى يغفر لي فعلي .

(١) الممتحنة : ١٠ .

ويلُ أمّه مِسْعَر حَرْب : مسعر الحرب : مُوقدها ، يقال : سعرتُ النار وأسعرتُها : إذا أوقدتها ، والمسعر : الخشب الذي توقد به النار ، وقوله : « ويل أمه » كلمة يتعجب بها .

سِيفُ البحر : جانبه وساحله . قال البخاري : مَعرّة : العَرُّ : الجرب . =

يَخرجُ من قُرَيشٍ رجُلٌ قد أسلَم إلا لَحِق بأبي بصيرٍ ، حتى اجتمَعَتْ منهم عصابةٌ ، فوَاللهِ ما يَسمعونَ بعيرٍ خَرَجَتْ لقُرَيشٍ إلى الشَّامِ إلا اعْترضوا لها . فقَتَلوهم وأخذوا أموالهم . فأرسلَتْ قريشٌ إلى النبيِّ ﷺ تُناشِدُهُ اللهَ والرَّحِمَ لما أرسلَ فمن أتاهُ فهو آمِنٌ فأرسلَ النبيُّ ﷺ إليهم ، فأنزَلَ اللهُ تعالى : ﴿ **وهوَ الذي كفَّ أيديَهم عنكم وأيدِيَكم عنهم ببطنِ مكةَ مِنْ بَعدِ أن أظفَرَكم عليهم** ﴾ حتى بَلَغ ﴿ **الحميَّةَ حميةَ الجاهليةِ** ﴾[1] وكانت حميَّتهم أنهم لم يُقِرُّوا أنهُ نبيُّ اللهِ ، ولم يُقِرُّوا ببسمِ اللهِ الرحمٰنِ الرحيم ، وحالوا بينهم وبينَ البيت .

وقال عقيلٌ عنِ الزُّهريِّ[2] : « قالَ عُروةُ : فأخْبَرَتني عائِشَةُ أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كان يَمتحِنُهنَّ . وبَلَغنا أنهُ لما أنزَلَ اللهُ تَعالَى أن يَردوا إلى المشْرِكينَ ما أنفقوا على مَن هاجَرَ مِنْ أزْواجِهم ، وحَكَم على المسْلِمينَ أن لا يُمْسِكُوا بعِصَمِ الكَوافِرِ ، أنَّ عمرَ طَلَّقَ امرأتينِ - قُرَيبةَ بنتَ أبي أميَّة . وابنةَ جَرْوَلٍ الخُزاعي فتزوَّجَ قُرِيبةَ معاويةُ وتزوّجَ الأخرى أبو جهمٍ . فلَمَّا أبَى الكفّارُ أن يُقِرُّوا بأداء ما أنفقَ المسلمونَ على أزواجِهم أنزَلَ اللهُ تَعالَىٰ : ﴿ **وإن فاتكم شيءٌ مِنْ أزْوَاجِكُم إلى الكفّارِ فعاقَبتُم** ﴾[3] والعَقبُ ما يُؤدِّي المسلمونَ إلى مَن هاجَرَتِ امْرَأتهُ منَ الكُفّارِ ، فأمَرَ أن يُعْطَى مَنْ ذَهَب لهُ زَوجٌ منَ المسْلمين مَا أنفقَ مِن صداقِ نساءِ الكفارِ اللائي هاجَرنَ ، ومَا نَعلمُ أحَداً من المهاجراتِ ارتَدَّتْ بعدَ إيمانِها . وبلَغَنا أن أبا بصيرِ بنَ أسِيدٍ الثقفِيَّ قدِمَ على النبيِّ ﷺ مؤمِناً مُهاجراً في المدَّة ، فكتَبَ الأخْنَسُ بنُ شُرَيْقٍ إلى النبيِّ ﷺ يسألهُ أبا بصير » فذكرَ الحديث .

وأخرج أبو داود[4] أيضاً عن المِسْوَرِ ومروان : « أنهم اصطلحوا على وَضْعِ الحرب عشرَ سنين ، يأمنُ فيهنَّ الناسُ ، وعلى أن بيننا عَيْبَةً مكفوفةً وأنه لا إسلال ولا إغلال » .

= تَزَيَّلوا : انمازوا .

وحميتُ القومَ : منعتهم حماية . وأحميتُ الحمى : جعلتُه حمىً لا يُدْخَل . وأحميتُ الرجل : إذا أغضبته إحماءً .

(١) الفتح : ٢٤ - ٢٥ - ٢٦ .

(٢) البخاري في نفس الموضع السابق (٥ / ٣٣٣) .

بعصم الكوافر : العِصَم : جمع عِصْمَة ، وهو ما يتمسك به ، والكوافر : جمع كافرة ، وأراد بعصمها : عقْد نكاحها .

(٣) الممتحنة : ١١ .

(٤) أبو داود (٣ / ٨٦) ، كتاب الجهاد ، باب في صلح العدو .

عيبة مكفوفة : أصل العيبة : ما يجعل فيه الثياب ، و (مكفوفة) : أي مشدودة ممنوعة ، والمراد أن بينهم أمراً

وذكر رزين في روايةٍ زيادةً في حديث البخاري بعد قوله : اكتب : باسمك اللهم » قال : وفي رواية قال رسولُ الله ﷺ : « اكتب الشَّرْطَ بيننا وبينهم : بسم الله الرحمن الرحيم .. » وذَكَرَ مِثْلَ ما تقدَّم . وزاد بعد قوله : « كيف يُردُّ إلى المشركين وقد جاء مسلماً؟ » قال : وفي رواية زيادة « فكيف نكتبُ هذا ؟ قال : رسول الله ﷺ : « نعم ، من ذهب مِنّا إليهم أبعَدَهُ الله ، ومن جاءنا منهم ورَدَدْناه : سيجعلُ الله له فَرَجاً » وزاد بعد قوله : « وقد كان عُذّب عذاباً شديداً في الله » قال : « فقال عمرُ بنُ الخطاب : فأمكنتُ يدّه من السيف ليضرب به أباه ، فَضنَّ به ، وعلم بذلك رسولُ الله ﷺ ، فقال لي : ياعمر ، لعلّه أن يقوم في الله مقاماً يحمدُه عليه » .

قال في الفتح :

قال المحب الطبري : الحديبية : قرية قريبة من مكة أكثرها في الحرم ، ووقع في رواية ابن إسحاق في المغازي عن الزهري « خرج عام الحديبية يريد زيارة البيت لا يريد قتالاً » ووقع عند ابن سعد « أنه ﷺ خرج يوم الاثنين لهلال ذي القعدة » ، زاد سفيان عن الزهري في الرواية الآتية في المغازي وكذا في رواية أحمد عن عبد الرزاق « في بضع عشرة مائة ، فلما أتى ذا الحليفة قلّدَ الهديَ وأشعَرَه وأحرَم منها بعمرة ، وبعث عينا له من خُزاعة » وروى عبد العزيز الإمامي عن الزهري في هذا الحديث عند ابن أبي شيبة « خرج ﷺ في ألف وثمانمائة ، وبعث عينا له من خزاعة يدعى ناجية يأتيه بخبر قريش » كذا سماه ناجية ، والمعروف أن ناجية اسم الذي بعث معه الهدى كما صرح به ابن إسحٰق وغيره ، وأما الذي بعثه عينا لخبر قريش فاسمه بُسْر بن سفيان كذا سماه ابن إسحٰق ، وهو بضم الموحدة وسكون المهملة على الصحيح ، وسأذكر الخلاف في عدد أهل الحديبية في المغازي إن شاء الله تعالى . قوله : (حتى إذا كانوا ببعض الطريق) اختصر المصنف صدر هذا الحديث

= مطويًا في صدور سليمة ، وهو إشارة إلى ترك المؤاخذة بما تقدم بينهم من أسباب الحرب .

لا إسلال ولا إغلال : الإسلال : من السَّلة ، وهي السرقة ، والإغلال : الخيانة ، يقال : أغلّ الرجل إغلالاً : إذا خان ، وغل من الغَنيمة غلولا ، وقال بعضهم : إن الإسلال من سلّ السيوف في الحرب ، والإغلال : لبس الدروع ، وليس بمرضٍ .

مقاماً يحمده عليه : هذا القول من النبي ﷺ في حق سهيل بن عمرو : إشارة إلى ما كان عند وفاة النبي ﷺ ، وارتداد الناس بمكة ، فقام خطيباً ووعظهم ، وثبّتهم على الإسلام ، فكان هذا هو المقام الذي يحمده عليه .

الطويل مع أنه لم يسقه بطوله إلا في هذا الموضع ، وبقيته عنده في المغازي من طريق سفيان بن عيينة عن الزهري قال : « ونبأنيه معمر عن الزهري : وسار النبي ﷺ حتى كان بغدير الأشطاط أتاه عينه فقال : إن قريشاً جمعوا جوعاً وقد جمعوا لك الأحابيش ، وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت ومانعوك . فقال : « أشيروا أيها الناس علي ، أترون أن أميل إلى عيالهم وذراري هؤلاء الذين يريدون أن يصدونا عن البيت ، فإن يأتونا كان الله عز وجل قد قطع عيناً من المشركين ، وإلا تركناهم محروبين » قال أبو بكر : يارسول الله خرجتَ عامداً لهذا البيت لا تريد قتل أحد ولا حرب أحد ، فتوجه له ، فمن صدنا عنه قاتلناه . قال : « امضوا على اسم الله » إلى ههنا ساق البخاري في المغازي من هذا الوجه ، وزاد أحمد عن عبد الرزاق وساقه ابن حبان من طريقه قال : « قال معمر قال الزهري : وكان أبو هريرة يقول : ما رأيت أحداً قط كان أكثر مشاورة لأصحابه من رسول الله ﷺ اهـ » وهذا القدر حذفه البخاري لإرساله لأن الزهري لم يسمع من أبي هريرة ، وفي رواية أحمد المذكورة « حتى إذا كانوا بغَدِير الأشطاط قريباً من عُسفان اهـ » وغَدير بفتح الغين المعجمة والأشطاط بشين معجمة وطاءين مهملتين جمع شط وهو جانب الوادي كذا جزم به صاحب « المشارق » ، ووقع في بعض نسخ أبي ذر بالظاء المعجمة فيهما ، وفي رواية أحمد أيضاً : « أترون أن نميل إلى ذراري هؤلاء الذين أعانوهم فنصيبهم فإن قعدوا قعدوا موتورين محروبين ، وإن يجيئوا تكن عنقا قطعها الله » ونحوه لابن إسحاق في روايته في المغازي عن الزهري ، والمراد أنه ﷺ استشار أصحابه هل يخالف الذين نصروا قريشاً إلى مواضعهم فيسبي أهلهم ، فإن جاءوا إلى نصرهم اشتغلوا بهم وانفرد هو وأصحابه بقريش ، وذلك المراد بقوله « تكن عنقا قطعها الله » فأشار عليه أبو بكر الصديق بترك القتال والاستمرار على ما خرج له من العمرة حتى يكون بدء القتال منهم فرجع إلى رأيه . وزاد أحمد في روايته « فقال أبو بكر : الله ورسوله أعلم . يا نبي الله ، إنما جئنا معتمرين إلخ » والأحابيش بالحاء المهملة والموحدة وآخره معجمة واحدها أحبُوش بضمتين . وهم بنو الهُون ابن خُزَيمة بن مدركة وبنو الحارث بن عبد مَناة بن كنانة ، وبنو المصطَلِق من خزاعة ، كانوا تحالفوا مع قريش قيل تحت جبل يقال له الحُبْشي أسفل مكة ، وقيل سموا بذلك لتحبشهم أي تجمعهم والتحبّش التجمع والحُبَاشة الجماعة .

وقوله (وسار النبي ﷺ حتى إذا كان بالثنية) وفي رواية ابن إسحاق « فقال ﷺ : من يخرجنا على طريق غير طريقهم التي هم بها ؟ » قال : فحدثني عبد الله بن أبي بكر بن حزم أن رجلاً من أسلم قال : أنا يا رسول الله ، فسلك بهم طريقاً وعرا فأخرجوا منها بعد أن شق عليهم ، وأفضوا إلى أرض سهلة ، فقال لهم : استغفروا الله ، ففعلوا . فقال : والذي نفسي بيده إنها للحِطّة التي عرضت على بني إسرائيل فامتنعوا ، قال ابن إسحاق عن الزهري في حديثه « فقال : اسلكوا ذات اليمين بين ظهري الحَمْض في طريق تخرجه على ثنيّة المُرار مهبط الحديبية أ هـ .

قوله (وما ذاك لها بخلق) أي بعادة ، قال ابن بطال وغيره : في هذا الفصل جواز الاستتار عن طلائع المشركين ومفاجأتهم بالجيش طلبا لِغِرّتهم ، وجواز السفر وحده للحاجة وجواز التنكيب عن الطريق السهلة إلى الوعرة للمصلحة . وجواز الحكم على الشيء بما عرف من عادته وإن جاز أن يطرأ عليه غيره ، فإذا وقع من شخص هفوة لا يعهد منه مثلها لا ينسب إليها ويرد على من نسبه إليها ، ومعذرة من نسبه إليها ممن لا يعرف صورة حاله ، لأن خِلاء القصواء لولا خارق العادة لكان ما ظنه الصحابة صحيحاً ولم يعاتبهم النبي ﷺ على ذلك لعذرهم في ظنهم ، قال : وفيه جواز التصرف في ملك الغير بالمصلحة بغير إذنه الصريح إذا كان سبق منه ما يدل على الرضا بذلك ، لأنهم قالوا حَلْ حَلْ فزجروها بغير إذن ، ولم يعاتبهم عليه .

وفي المغازي من حديث البراء بن عازب في قصة الحديبية « أنه ﷺ جلس على البئر ثم دعا بإناء فمضمض ودعا الله ثم صبه فيها ثم قال : « دعوها ساعة ثم إنهم ارتووا بعد ذلك » ويمكن الجمع بأن يكون الأمران معا وقعا . وقد روى الواقدي من طريق أوس بن خولي « أنه ﷺ توضأ في الدلو ثم أفرغه فيها وانتزع السهم فوضعه فيها » وهكذا ذكر أبو الأسود في روايته عن عروة : أنه ﷺ تمضمض في دلو وصبه في البئر ونزع سهما من كنانته فألقاه فيها ودعا ففارت » وهذه القصة غير القصة الآتية في المغازي أيضاً من حديث جابر قال « عطش الناس بالحديبية وبين يدي رسول الله ﷺ ركوة فتوضأ منها فوضع يده فيها . فجعل الماء يفور من بين أصابعه » الحديث ، وكأن ذلك كان قبل قصة البئر والله أعلم . وفي

هذا الفصل معجزات ظاهرة ، وفيه بركة سلاحه وما ينسب إليه . وقد وقع نبع الماء من بين أصابعه في عدة مواطن غير هذه ، سيأتي في أول غزوة الحديبية حديث زيد بن خالد « أنهم أصابهم مطر بالحديبية » الحديث ، وكأن ذلك وقع بعد القصتين المذكورتين والله أعلم .

زاد ابن إسحاق في روايته « وكانت خزاعة عَيْبَة [١] رسول الله ﷺ مسلمها ومشركها لا يخفون عليه شيئاً كان بمكة » ووقع عند الواقدي (أنَّ بُدَيلاً قال للنبي ﷺ : لقد غزوت ولا سلاح معك ، فقال : « لم نجئ لقتال » فتكلم أبو بكر ، فقال له بديل : أنا لا أتهم ولا قومى أ هـ » وكان الأصل في موالاة خزاعة للنبي ﷺ أن بني هاشم في الجاهلية كانوا تحالفوا مع خزاعة فاستمروا على ذلك في الإسلام . وفيه جواز استنصاح بعض المعاهدين وأهل الذمة إذا دلت القرائن على نصحهم وشهدت التجربة بإيثارهم أهل الإسلام على غيرهم ولو كانوا من أهل دينهم ، ويستفاد منه جواز استنصاح بعض ملوك العدو استظهاراً على غيرهم ، ولا يعد ذلك من موالاة الكفار ولا موادة أعداء الله بل من قبيل استخدامهم وتقليل شوكة جمعهم وإنكاء بعضهم ببعض ، ولا يلزم من ذلك جواز الاستعانة بالمشركين على الإطلاق .

قوله (قائم على رأس النبي ﷺ بالسيف) فيه جواز القيام على رأس الأمير بالسيف بقصد الحراسة ونحوها من ترهيب العدو ، ولا يعارضه النهي عن القيام على رأس الجالس لأن محله ما إذا كان على وجه العظمة والكبر .

وقد اختلف العلماء في المدة التي تجوز المهادنة فيها مع المشركين : فقيل : لا تجاوز عشر سنين على ما في هذا الحديث وهو قول الشافعي والجمهور . وقيل تجوز الزيادة ، وقيل لا تجاوز أربع سنين ، وقيل ثلاثا ، وقيل سنتين ، والأول هو الراجح والله أعلم .

قال الخطابي : تأول العلماء ما وقع في قصة أبي جَنْدَل على وجهين : أحدهما : أن الله قد أباح التَّقية للمسلم إذا خاف الهلاك ، ورخص له أن يتكلم بالكفر مع إضمار الإيمان إن لم يمكنه التورية ، فلم يكن رَده إليهم إسلاماً لأبي جندل إلى الهلاك مع وجوده السبيل إلى

---

(١) عَيْبة : عيبة الرجل : خاصته ، والمقصود هنا أن خزاعة كان هو اها مع رسول الله ﷺ ، فهي خاصته بسبب ذلك .

الخلاص من الموت بالتقية . والوجه الثاني : إنه إنما رده إلى أبيه ، والغالب أن أباه لا يبلغ به الهلاك ، وإن عذبه أو سجنه فله مَندوحة بالتَّقية أيضاً ، وأما ما يخاف عليه من الفتنة فإن ذلك امتحان من الله يبتلي به صبر عباده المؤمنين . واختلف العلماء هل يجوز الصلح مع المشركين على أن يرد إليهم من جاء مسلما من عندهم إلى بلاد المسلمين أم لا ؟ فقيل : نعم على ما دلت عليه قصة أبي جندل وأبي بصير ، وقيل لا ، وأن الذي وقع في القصة منسوخ ، وأن ناسخه حديث « أنا بريء من مسلم بين مشركين » وهو قول الحنفية . وعند الشافعية تفصيل بين العاقل والمجنون والصبي فلا يردان . وقال بعض الشافعية : ضابط جواز الرد أن يكون المسلم بحيث لا تجب عليه الهجرة من دار الحرب والله أعلم ..

قال الزهري : فما فتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم من فتح الحديبية ، إنما كان القتال حيث التقى الناس ، ولما كانت الهدنة ووضعت الحرب وأمن الناس ، كلم بعضهم بعضا والتقوا وتفاوضوا في الحديث والمنازعة ولم يكلم أحد بالإسلام يعقل شيئاً في تلك المدة إلا دخل فيه ، ولقد دخل في تينك السنتين مثل من كان في الإسلام قبل ذلك أو أكثر . يعني من صناديد قريش ، ومما ظهر من مصلحة الصلح المذكور غير ما ذكره الزهري أنه كان مقدمة بين يدي الفتح الأعظم الذي دخل الناس عَقِبَه في دين الله أفواجاً ، وكانت الهدنة مفتاحاً لذلك . ولما كانت قصة الحديبية مقدمة للفتح سميت فتحا كما سيأتي في المغازي ، فإن الفتح في اللغة فتح المغلق ، والصلح كان مغلقاً حتى فتحه الله ، وكان من أسباب فتحه صد المسلمين عن البيت ، وكان في الصورة الظاهرة ضيْماً للمسلمين وفي الصورة الباطنة عزاً لهم . فإن الناس لأجل الأمن الذي وقع بينهم اختلط بعضهم ببعض من غير نكير ، وأسمع المسلمون المشركين القرآن ، وناظروهم على الإسلام جهرة آمنين ، وكانوا قبل ذلك لا يتكلمون عندهم بذلك إلا خفية ، وظهر من كان يخفي إسلامه فذل المشركون من حيث أرادوا العزة وأُفْهِروا [1] من حيث أرادوا الغلبة .

قوله (حتى اجتمعت منهم عصابة) أي جماعة ولا واحد لها من لفظها ، وهي تطلق على الأربعين فما دونها . وهذا الحديث يدل على أنها تطلق على أكثر من ذلك ، ففي رواية ابن

---

(١) أُفْهِروا : أي : أُلْقِمُوا حَجَراً ، والفِهْر : الحجر يملأ الكف .

إسحاق أنهم بلغوا نحواً من سبعين نفساً ، وفي رواية أبي المليح : بلغوا أربعين أو سبعين . وجزم عروة في المغازي بأنهم بلغوا سبعين ، وزعم السهيلي أنهم بلغوا ثلثمائة رجل ، وزاد عروة « فلحقوا بأبي بصير وكرهوا أن يقدموا المدينة في مدة الهدنة خشية أن يعادوا إلى المشركين » وسمى الواقدي منهم الوليد بن الوليد بن المغيرة . وفي رواية موسى بن عقبة عن الزهري « فكتب رسول الله ﷺ إلى أبي بصير يستقدمه وأصحابه إلى المدينة بطلب قريش ، فقدم كتابه وأبو بصير يموت ، فمات وكتاب رسول الله ﷺ في يده ، فدفنه أبو جندل مكانه وجعل عند قبره مسجداً . قال : وقدم أبو جندل ومن معه إلى المدينة فلم يزل بها إلى أن خرج إلى الشام مجاهداً فاستشهد في خلافة عمر ، قال : فعلم الذين كانوا أشاروا بأن لا يسلم أبا جندل إلى أبيه أن طاعة رسول الله ﷺ خير مما كرهوا ، وفي قصة أبي بصير من الفوائد جواز قتل المشرك المعتدي غيلة ، ولا يعد ما وقع من أبي بصير غدراً لأنه لم يكن في جملة من دخل في المعاقدة التي بين النبي ﷺ وبين قريش . لأنه إذ ذاك كان محبوساً بمكة ، لكنه لما خشي أن المشرك يعيده إلى المشركين درأ عن نفسه بقتله ، ودافع عن دينه بذلك ، ولم ينكر النبي قوله ذلك . وفيه أن من فعل مثل فعل أبي بصير لم يكن عليه قَوَدٌ ولا دِيَةٌ ، وقد وقع عند ابن إسحاق « أن سهيل بن عمرو لما بلغه قتل العامري طالب بديته لأنه من رهطه ، فقال له أبو سفيان : ليس على محمد مطالبة بذلك لأنه وفى بما عليه وأسلمه لرسولكم ، ولم يقتله بأمره . ولا على آل أبي بصير أيضاً شيء لأنه ليس على دينهم » . وفيه أنه كان لا يرد على المشركين من جاء منهم إلا بطلب منهم ، لأنهم لما طلبوا أبا بصير أول مرة أسلمه لهم ، ولما حضر إليه ثانياً لم يرسله لهم ، بل لو أرسلوا إليه وهو عنده لأرسله ، فلما خشي أبو بصير من ذلك نجا بنفسه . وفيه أن شرط الرد أن يكون الذي حضر من دار الشرك باقياً في بلد الإمام . ولا يتناول من لم يكن تحت يد الإمام ولا متحيزاً إليه . واستنبط منه بعض المتأخرين أن بعض ملوك المسلمين مثلا لو هادن بعض ملوك الشرك فغزاهم ملك آخر من المسلمين فقتلهم وغنم أموالهم جاز له ذلك ، لأن عهد الذي هادنهم لم يتناول من لم يهادنهم ، ولا يخفى أن محل ذلك ما إذا لم يكن هناك قرينة تعميم .

وفي هذا الحديث من الفوائد غير ما تقدم أشياء تتعلق بالمناسك : منها أن تقليد الهدي

وسوقه سنة للحاج والمعتمر فرضاً كان أو سنة ، وأن الإشعار سنة لا مُثلة ، وأن الحلق أفضل من التقصير ، وأنه نسك في حق المعتمر محصوراً كان أو غير محصور ، وأن المحصر ينحر هديه حيث أُحصر ولو لم يصل إلى الحرم ، ويقاتل من صده عن البيت ، وأن الأولى في حقه ترك المقاتلة إذا وجد إلى المسالمة طريقاً ، وغير ذلك مما تقدم بسط أكثره في كتاب الحج وفيه أشياء تتعلق بالجهاد : منها جواز سبي ذراري الكفار إذا انفردوا عن المقاتلة ولو كان قبل القتال . وفيه الاستتار عن طلائع المشركين ، ومفاجأتهم بالجيش لطلب غرتهم ، وجواز التنكب عن الطريق السهل إلى الطريق الوعر لدفع المفسدة وتحصيل المصلحة ، واستحباب تقديم الطلائع والعيون بين يدي الجيش ، والأخذ بالحزم في أمر العدو لئلا ينالوا غرة المسلمين ، وجواز الخداع في الحرب ، والتعريض بذلك من النبي ﷺ وإن كان من خصائصه أنه منهي عن خائنة الأعين ـ وفي الحديث أيضاً فضل الاستشارة لاستخراج وجه الرأي واستطابة قلوب الأتباع ، وجواز بعض المسامحة في أمر الدين ، واحتمال الضيم فيه ما لم يكن قادحاً في أصله إذا تعين ذلك طريقاً للسلامة في الحال والصلاح في المآل ، سواء كان ذلك في حال ضعف المسلمين أو قوتهم ، وأن التابع لا يليق به الاعتراض على المتبوع بمجرد ما يظهر في الحال بل عليه التسليم لأن المتبوع أعرف بمآل الأمور غالباً بكثرة التجربة ، ولا سيما مع من هو مؤيد بالوحي . وفيه جواز الاعتماد على خبر الكافر إذا قامت القرينة على صدقه ، قاله الخطابي مستدلاً بأن الخزاعي الذي بعثه النبي ﷺ عيناً له ليأتيه بخبر قريش كان حينئذ كافراً ، قال : وإنما اختاره لذلك مع كفره ليكون أمكن له في الدخول فيهم والاختلاط بهم والاطلاع على أسرارهم ، قال : ويستفاد من ذلك جواز قبول قول الطبيب الكافر . قلت : ويحتمل أن يكون الخزاعي المذكور كان قد أسلم ولم يشهر إسلامه حينئذ ، فليس ما قاله دليلاً على ما ادعاه ، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب أ. هـ الفتح .

٤٩٥ ـ * روى مسلم عن أنسِ بنِ مَالِك رَضِيَ اللهُ عنه أنَّ ثمانينَ رجُلاً مِنْ أهل مَكَّةَ ، هَبَطُوا عَلى رسولِ اللهِ ﷺ من جَبَلِ التَّنْعِيم مُتسلِّحِينَ ـ يُرِيدُونَ غِرَّةَ رسولِ الله ﷺ وأصحابه فَأَخذَهم سِلْماً ، فاسْتَحْيَاهُم ، فأنْزَل اللهُ عزَّ وجَلَّ : ﴿ وَهُوَ الذِىْ كَفَّ أيديهم عَنْكُم

٤٩٥ ـ مسلم (٣ / ١٤٤٢) ٣٢ ـ كتاب الجهاد والسير ـ ٤٦ ـ باب في قوله تعالى ﴿ وهو الذي كف أيديهم عنكم ﴾ . الآية .
استحياهم : استبقاهم ولم يقتلهم .

وَ أَيْدِيكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ﴾ [١] .

وَفِي رِوَايَةِ التِّرْمِذِي [٢] ، أَنَّ ثَمَانِينَ هبطوا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابه مِنْ جَبَلِ التَّنْعِيمِ ، عِندَ صَلاةِ الصُّبْحِ ، يُرِيدونَ أَنْ يقْتُلُوهُ ، فأُخِذُوا أَخْذاً ، فَأَعْتَقَهُم رسولُ اللهَ ﷺ فَأَنْزَلَ الله ﴿ وَهوَ الَّذِي كَفَّ أَيدِيَهُم عَنْكُم وَأَيْدِيَكُم عَنْهُم ... ﴾ الآية .

٤٩٦ ـ * وروى مسلم عن سَلمَةَ بنِ الأكوع قَالَ : قَدِمْنَا الحُدَيْبِيَةَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ . وَنَحْنُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ مِائَةً وَعَلَيْهَا خَمْسُونَ شَاةً لاَ تُرْوِيهَا . قَالَ : فَقَعَدَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى جَبَا الرَّكِيَّةِ . فإمَّا دَعَا وَإِمَّا بَسَقَ فِيهَا . قَالَ : فَجَاشَتْ . فَسَقَيْنَا وَاسْتَقَيْنَا . قَالَ : ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَعَانَا لِلْبَيْعَةِ فِي أَصْلِ الشَّجَرَةِ . قَالَ : فَبَايَعْتُهُ أَوَّلَ النَّاسِ . ثُمَّ بَايَعَ وبَايَعَ . حَتَّىٰ إِذَا كَانَ فِي وَسَطٍ مِنَ النَّاسِ قَالَ : « بَايِعْ . يا سَلَمةُ ! » قَالَ : قُلْتُ : قَدْ بَايَعْتُكَ يَارَسُولَ اللهِ ! فِي أَوَّلِ النَّاس . قَالَ : « وَأَيْضاً » قَالَ : وَرَآنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ عَزِلاً (يَعْنِي لَيْسَ مَعَهُ سِلاَح) . قَالَ : فَأَعْطَانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ حَجَفَةً أَوْ دَرَقَةً . ثُمَّ بَايَعَ حَتَّىٰ إِذَا كَانَ فِي آخِرِ النَّاسِ ، قَالَ : « أَلاَ تُبَايِعُنِي ؟ يَا سَلَمَةُ ! » قَالَ : قلت : قَدْ بَايَعْتُكَ يَارَسُولَ اللهِ فِي أَوَّلِ النَّاسِ وَفِي أَوْسَطِ النَّاسِ . قَالَ : « وَأَيضاً » قَالَ : فَبَايَعْتُهُ الثَّالِثَة . ثُمْ قَالَ لِي : « يَا سَلَمَةُ أَيْنَ حَجَفَتُكَ أَوْ دَرَقَتُكَ الَّتِي أَعْطَيْتُكَ ؟ » قَالَ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ! لَقِيَنِي عَمي عَامِرٌ عَزِلاً . فَأَعْطَيْتُهُ إِيَّاهَا قَالَ : فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقَال : « إِنَّكَ كَالَّذِي

---

(١) الفتح : ٢٤ .

(٢) الترمذي (٥ / ٣٨٦) ٤٨ ـ كتاب تفسير سير القرآن ـ ٤٩ ـ باب « ومن سورة الفتح » . وقال : هذا حديث حسن صحيح .

٤٩٦ ـ مسلم (٣ / ١٤٣٣) ٣٢ ـ كتاب الجهاد والسير ـ ٤٥ ـ باب غزوة ذي قرد وغيرها .

عليها خمسون شاة لا ترويها : يعني وبئرها ضعيفة لا تروي خمسين شاة .

جَبا الركية : الجبا ما حول البئر . والركيّ البئر . والمشهور في اللغة ركيّ ، بغير هاء ، ووقع هنا الركية بالهاء وهي لغة حكاها الأصمعيّ وغيره .

وإما بسق : هكذا هو في النسخ : بسق . وهي صحيحة . يقال : بزق وبصق وبسق . ثلاث لغات بمعنى . والسين قليلة الاستعمال .

فجاشت : أي ارتفعت وفاضت . يقال : جاش الشيء يجيش جيشانا ، إذا ارتفع .

عزلا : ضبطوه بوجهين : أحدهما فتح العين مع كسر الزاي . والثاني ضمها . وقد فسره في الكتاب بالذي لا سلاح معه . ويقال أيضاً : أعزل ، وهو الأشهر استعمالا .

حجفة أودرقة : هما شبيهتان بالترس .

=

قَـالَ الأَوَّلُ : اللَّهُمَّ أَبْغِنِي حَبِيبـاً هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي » ثُمَّ إِنَّ الْمُشْرِكِينَ رَاسَلُونَـا الصُّلْحَ حَتَّى مَشَى بعضنا فِي بَعْضٍ وَاصْطَلَحْنَا . قَالَ : وَكُنْتُ تَبِيعاً لِطَلْحَـةَ بن عُبَيْـدِ اللهِ . أَسْقِي فَرَسَهُ ، وَأَحُسُّهُ . وَأَخْدُمُهُ . وآكُلُ مِنْ طَعَامِهِ . وتَرَكْتُ أَهْلِي وَمَالِي ، مُهـاجراً إِلَى اللهِ وَرَسُولِـهِ ﷺ . قـالَ : فَلَمَّـا اصْطَلَحْنَـا نَحْنُ وَأَهْلُ مَكَّـةَ ، وَاخْتَلَـطَ بعْضُنَـا بِبَعْضٍ ، أَتَيْتُ شَجَرَةً فَكَسَحْتُ شَوْكَهَا . فَاضْطَجَعتُ في أَصْلِهَا . قَالَ فَأَتَـانِي أَرْبَعَـةٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ . فَجَعَلُوا يَقَعُونَ فِي رَسُولِ اللهِ ﷺ . فَـأَبْغَضْتُهُمْ . فَتَحَوَّلْتُ إِلَى شَجَرَةٍ أُخْرَى . وَعَلَّقُوا سِلاحَهُمْ . وَاضْطَجَعُوا . فَبَيْنَمَا هُمْ كذلِكَ إِذْ نَادَى مُنَادٍ مِنْ أَسْفَلِ الْوَادِي : يا لَلْمُهَاجِرِينَ ! قُتِـلَ ابْنُ زُنَيْمٍ قَـالَ : فَـاخْتَرَطْتُ سَيْفِي . ثُمَّ شَـدَدْتُ عَلَى أُولَئِـكَ الأَرْبَعَـةِ وَهُمْ رُقُـودٌ . فَأَخَذْتُ سِلاَحَهُمْ . فَجَعَلْتُهُ ضِغْثًا في يَدي . قَالَ : ثُمَّ قُلْتُ : وَالَّـذِي كَرَّمَ وَجْـهَ مُحَمَّـدٍ ! لاَ يَرْفَعُ أَحَدٌ مِنْكُمْ رَأْسَهُ إِلاَّ ضَرَبْتُ الَّذِي فِيـهِ عَيْنَـاهُ . قَـالَ : ثُمَّ جِئْتُ بِهِمْ أَسُوقُهُمْ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ : قَالَ : وَجَاءَ عَمِّي عَامِرٌ بِرَجُلٍ مِنَ الْعَبَلاَتِ ـ يُقَالُ لَـهُ مِكْرَزٌ ـ يَقُودُهُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ـ عَلَى فَرَسٍ مُجَفَّفٍ ـ فِي سَبْعِينَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ . فَنَظَرَ إِلَيهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَـالَ :

= إنك كالذي قال الأول : الذي صفة المحذوف . أي أنك كالقول الـذي قـالـه الأول . فـالأول ، بـالرفع ، فـاعل . والمراد به ، هنا ، المتقدم بالزمان . يعني أن شأنك هذا مع عمك يشبه فحوى القول الذي قاله الرجل المتقدم زمانه .

ابغني : أي أعطني .

راسلونا : هكذا هو في أكثر النسخ : راسلونا ، من المراسلة . أي أرسلنا إليهم وأرسلوا إلينا في أمر الصلح .

مشى بعضنـا في بعض : في هنا بمعنى إلى . أى مشي بعضنـا إلى بعض . وربمـا كانت بمعنى مع . فيكون مشى بعضنـا مع بعضنا .

كنت تبيعا لطلحة : أي خادماً أتبعه .

وأحسه : أي أحك ظهره بالمحسة لأزيل عنه الغبار ونحوه .

فكسحت شوكها : أي كنست ما تحتها من الشوك .

فاخترطت سيفي : أي سللته .

شددت : حملت وكَرَرْتُ .

ضغثاً : الضغث الحزمة . يريد أنه أخذ سلاحهم وجمع بعضه إلى بعض حتى جعله في يـده حزمـة . قـال في المصباح الأصل في الضغث أن يكون له قضبان يجمعها أصل واحد ، ثم كثر حتى استعمل فيا يجمع .

الذي فيه عيناه : يريد رأسه .

العبلات : قـال الجـوهري في الصحــاح : العَبَـلات مِن قريش ، وهم أميـة الصغرى والنسبـة إليهم عبليّ . تردّه إلى الواحد .

مجفف : أي عليه تجفاف وهو ثوب كالجُلّ يلبسه الفرس ليقيه السلاح . وجمعه تجافيف . =

« دَعْوهُمْ . يَكُنْ لَهُمْ بَدْءُ الْفُجُورِ وَثِنَاهُ » فَعَفَا عَنْهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ . وَأَنْزَلَ اللهُ ﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ﴾ [1] الآيَـةَ كُلَّهَا .

قَالَ : ثُمَّ خَرَجْنَا رَاجِعِينَ إِلَى الْمَدِينَةِ . فَنَزَلْنَا مَنْزِلاً . بَيْنَنَا وَبَيْنَ بَنِي لِحْيَانَ جَبَلٌ . وَهُمُ الْمُشْرِكُونَ فَاسْتَغْفَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِمَنْ رَقِيَ هَذَا الْجَبَلَ اللَّيْلَةَ . كَأَنَّهُ طَلِيعَةٌ لِلنبي ﷺ وَأَصْحَابِهِ ، قَالَ سَلَمَةُ : فَرَقِيتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاَثاً . ثُمَّ قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ . فَبَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِظَهْرِهِ مَعَ رَبَاحٍ غُلامِ رَسُولِ اللهِ ﷺ . وَأَنَا مَعَهُ . وَخَرَجْتُ مَعَهُ بِفَرَسِ طَلْحَةَ . أُنَدِّيهِ مَعَ الظَّهْرِ . فَلَمَّا أَصْبَحْنَا إِذَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْفَزَارِيُّ قَدْ أَغَارَ عَلَى ظَهْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ . فَاسْتَاقَهُ أَجْمَعَ . وَقَتَلَ رَاعِيَهُ .

وهذه القصّة الطويلة ، سنذكر قسما منها في الفصل اللاحق وقسما في غزوة خيبر من السنة السابعة .

٤٩٧ ـ * روى البخاري عن عبد الله بن عمرَ رَضِيَ اللهُ عنهما قال : رَجَعْنَا مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ ، فَمَا اجْتَمَعَ مِنَّا اثْنَانِ عَلَى الشجَرَةِ التي بَايَعْنَا تحتَها ، كانَتْ رَحْمَةً من الله فسألنا نَافِعاً : عَلَى أَيِّ شَيْءٍ بَايَعَهُم ؟ عَلَى الْمَوْتِ ؟ قَالَ : لاَ . بل بايَعَهُم عَلَى الصَّبْرِ .

قال في الفتح : وبيان الحكمة في ذلك وهو أن لا يحصل بها افتتان لما وقع تحتها من الخير ، فلو بقيت لما أمن تعظيم بعض الجهال لها حتى ربما أفضى بهم إلى اعتقاد أن لها قوة نفع أو ضر كما نراه الآن مشاهداً فيما هو دونها ، وإلى ذلك أشار ابن عمر بقوله « كانت رحمة من الله » أيْ كان خفاؤها عليهم بعد ذلك رحمة من الله تعالى . ويحتمل أن يكون معنى

= يكن لهم بدء الفجور وثناه : البدء هو الابتداء . وأما ثناه فمعناه عودة ثانية . قال في النهاية : أي أوله وآخره والثني الأمر يعاد مرتين .

وهم المشركون : هذه اللفظة ضبطوها بوجهين ذكرهما القاضي وغيره . أحدهما وَهُمُ المشركون على الابتداء والخبر . والثاني وَهَمَّ المشركون ، أي هموا النبي ﷺ وأصحابه وخافوا غائلتهم . يقال : همني الأمر وأهمني . وقيل : همني : أذابني . وأهمني : أغمني . وقيل : معناه همَّ أمر المشركين النبيَّ خوف أن يبيتوهم لقربهم منهم .

بظهره : الظهر الإبل تُعدُّ للركوب وحمل الأثقال .

(١) الفتح : ٢٤ .

٤٩٧ ـ البخاري (٦ / ١١٧) ٥٦ ـ كتاب الجهاد ـ ١٠ ـ باب البيعة في الحرب أن لايفروا ، وقال بعضهم : على الموت .

قوله رحمة من الله أي كانت الشجرة موضع رحمة الله ومحل رضوانه لنزول الرضا عن المؤمنين عندها .

٤٩٨ ـ * روى البخاري ومسلم عن يَزِيدَ بنِ أَبِي عُبيدٍ قال : قُلْتُ لِسَلَمةَ : عَلَى أيِّ شَيْءٍ بَايَعْتُم رَسُولَ اللهِ ﷺ يومَ الحدَيبيةِ ؟ قَالَ : عَلَى المَوْتِ .

وفِي روايـة (١) قَـالَ : بَـايَعنَـا النبيَّ ﷺ تَحتَ الشَّجَرَةِ ، فَقَـال لي : « ياسَلَمةُ : ألا تبايعُ ؟ » قُلتُ : يارسُولَ اللهِ ، قَدْ بَايَعْتُ في الأوَّلِ ، قَال : « وَفِي الثَّاني » .

وَفِي أُخْرَى (٢) قَالَ : بَـايعْتُ النبي ﷺ ، ثمَّ عَـدَلْتُ إلى ظِلِّ شَجَرةٍ ، فَلَمَّا خَفَّ النَّـاسُ قـال : « يـا ابنَ الأكْوَعِ : ألا تُبَـايعُ » قـال : قُلْتُ : قَـدْ بَـايَعْتُ يـا رسول الله قَـالَ : « وَأَيْضاً » فَبَايَعْتهُ الثَّانيةَ ، فَقُلْتُ له : يَا أَبَا مُسْلِمٍ ، عَلَى أيِّ شَيْءٍ كنتم تُبَايعُون يَوْمَئِـذٍ ؟ قَالَ : عَلَى المَوْتِ .

٤٩٩ ـ * روى البخاري عن عبد الله بنِ عُمَر رَضِيَ الله عَنْهُما قَالَ : إنَّ النـاسَ كَـانُوا مَعَ النَّبي ﷺ يَوْمَ الحُـديبيَـة ، تَفَرَّقُوا في ظِلال الشَّجرِ ، فَـإذَا النـاسُ ، مُحْـدِقُون بـالنبيِّ ﷺ ، فَقَـالَ عمرُ : يَـا عَبـد اللهِ ، انْظُرْ مَـاشَـأنُ النـاسِ قـد أَحْـدَقُوا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ ؟ فَـوَجَـدَهُم يُبَايعُون ، فَبَايَعَ ، ثُمَّ رَجَعَ إلى عُمَرَ ، فَخَرجَ فَبَايَعَ .

٥٠٠ ـ * روى البخاري عن نافع ـ مَوْلى ابنِ عُمَر ـ رَحِمهُ اللهُ قَالَ : إنَّ الناسَ يَتَحدَّثُون

---

٤٩٨ ـ البخاري (٧ / ٤٤٩) ٦٤ ـ كتاب المغازي ـ ٣٥ ـ باب غزوة الحديبية ، وقول الله تعالى [١٨ الفتح] : ﴿ لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة ﴾ .

ومسلم (٣ / ١٤٨٦) ٣٣ ـ كتاب الإمارة ـ ١٨ ـ باب استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال ، وبيان بيعة الرضوان تحت الشجرة .

(١) البخاري (٣ / ١٩٩) ٩٣ ـ كتاب الأحكام ـ ٤٤ ـ باب من بايع مرتين .

(٢) البخاري (٦ / ١١٧) ٥٦ ـ كتاب الجهاد ـ ١١٠ ـ باب البيعة في الحرب أن لا يفروا .

٤٩٩ ـ البخاري (٧ / ٤٥٦) ٦٤ ـ كتاب المغازي ـ ٣٥ ـ باب غزوة الحديبية ، وقول الله تعالى ﴿ لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة ﴾ .

أحدق : أحاط .

الشأن : الحال والأمر .

٥٠٠ ـ البخاري (٧ / ٤٥٥) ٦٤ ـ كتاب المغازي ـ ٣٥ ـ باب غزوة الحديبية.

=

أنَّ ابن عُمَرَ أَسْلَم قَبْلَ عُمَر ، وَلَيْسَ كَذَلِك ، وَلَكنَّ عُمَر عَامَ الحديبيةِ أَرْسَلَ عبدَالله إلى فَرَسٍ لَهُ عِنْدَ رَجُلٍ مِنَ الأنْصَارِ يَأْتِي بِهِ لِيُقَاتِلَ عَلَيْهِ ، وَرَسُولُ الله ﷺ عند الشَّجَرَةِ ، وَعُمَرُ لاَ يَدْرِي بِذَلِكَ ، فَبَايَعَهُ عَبدُ الله ، ثم ذَهَبَ إلى الفَرَسِ ، فَجَاءَ بِهِ إلى عُمَرَ وَعُمَرُ يَسْتَلْئِمُ للقتَالِ ، فَأَخْبَرَهُ أنَّ رَسُولَ الله ﷺ يُبَايِعُ تَحْتَ الشَّجَرةِ ، قَالَ : فانْطَلَقَ فَذَهَبَ مَعَهُ حتى بَايَعَ رَسُولَ الله ﷺ فهي التي يَتَحدَّثُ الناسُ أنَّ ابن عمرَ أسلم قَبْلَ عُمَرَ .

٥٠١ - * روى مسلم عن أبي الزبير أنه سَمِعَ جَابراً يُسأَلُ : كَمْ كَانُوا يَوْمَ الحُدَيبيَةِ ؟ قَالَ : كُنَّا أَرْبَعَ عَشْرةَ مائةً ، فَبَايَعْنَاهُ ، وعُمَرُ آخِذٌ بِيَدِهِ تحت الشَّجَرَةِ ، وَهِيَ سَمُرَةٌ ، فَبَايَعْنَاهُ ، غَيْرَ جَدِّ بنِ قيسٍ الأنصاريِّ اختبأ تحتَ بَطْنِ بعيره .

زادَ في رواية [1] : وَقَالَ : بَايَعْنَاهُ عَلَى أَن لاَ نَفِرَّ ، ولَمْ نُبَايِعْهُ عَلَى المَوْتِ .

(قال العلماء) : هذه الرواية تجمع المعاني كلّها وتبيّن مقصود كل الروايات فالبيعة على أن لانفرّ معناه الصبر حتّى نظفر بعدوّنا أو نقتل ، وهو معنى البيعة على الموت ، أي نصبر وإنْ آل منا ذلك إلى الموت لا أنّ الموت مقصود في نفسه وكذا البيعة على الجهاد أي والصبر فيه ، والله أعلم .

٥٠٢ - * وروى مسلم عن أبي الزبير أنّه سمع جابراً يُسأل : هَلْ بَايَعَ النبيُّ ﷺ بذِي الحليفةِ ؟ فَقَال : لاَ ، وَلكِنْ صَلَّى بِهَا ، وَلَم يُبَايِعْ عِنْدَ شَجَرَةٍ ، إلا الشَّجَرَةَ التي بالحُدَيبيَة

قَال ابنُ جُرَيْج : وَأَخْبَرَني أبو الزُّبَيْر : أَنَّهُ سَمِعَ جَابرَ بنَ عبْد الله يَقولُ : دَعَا النبيُّ ﷺ على بئرِ الحديبيةِ .

٥٠٣ - * روى البخاري ومسلم عن طارق بن عبد الرحمن قال : انطَلَقتُ حاجاً ، فَمَرَرْتُ

= استلأم المحاربُ : إذا لبس لأمته ، وهي الدرع وآلة الحرب .

٥٠١ - مسلم (٣ / ١٤٨٣) ٣٣ - كتاب الإمارة - ١٨ - باب استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال ، وبيان بيعة الرضوان تحت الشجرة .

(١) مسلم (٣ / ١٤٨٣) ٣٣ - كتاب الإمارة - ١٨ - باب استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال .

٥٠٢ - مسلم (٣ / ١٤٨٣) ٣٣ - كتاب الإمارة - ١٨ - باب استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال .

٥٠٣ - البخاري (٧ / ٤٤٧) ٦٤ - كتاب المغازي - ٣٥ - باب غزوة الحديبية . =

بقوم يُصَلون ، قلتُ : مَا هَذا المسجدُ ؟ قَالُوا : هَذهِ الشَّجَرَةُ حَيْثُ بَايَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْعةَ الرِّضوَانِ ، فَأَتيتُ سَعِيدَ بنَ المسيَّبِ فَأَخْبَرتُـهُ ، فَقَـالَ سَعِيْـدٌ حـدثني أبي أنـه كان فيمن بـايَع رسولَ الله ﷺ تحتَ الشجَرةِ ، قَال : فَلَمَّا خَرَجْنَا من العامِ المُقبل نَسِيناها ، فَلَم تقدرْ عَلَيهـا ، فَقَالَ سَعيد : إنَّ أصحاب مُحَمدٍ ﷺ لم يَعْلموها وعَلمتُمُوها أنتم ؟ فَأَنتُم أَعْلَمُ ! .

وفي رواية [1] قال : ذُكِرَتْ عِندَ سعيدِ بنِ المسيبِ الشجرةُ فَضَحِك فقال : أَخْبَرني أبي ، وَكَانَ شَهِدها .

وَفي روايـة [2] عن ابنِ المُسيبِ عَنْ أَبيـهِ قـال : لَقَـدْ رَأَيتُ الشَّجَرَةَ ثم أتيتُهـا بَعـدُ فَلَم أعرفْها .

٥٠٤ ـ * روى الترمذي عن أنسِ بنِ مَالِك رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ : لَمَّا أُمِرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِبَيْعَةِ الرِّضْوَانِ ، كَانَ عُثْمَانُ بنُ عفَّانَ رَسُولَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ ، قَـالَ : فَبَـايَعَ النَّاسُ ، قال فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « إنَّ عُثْمانَ في حَاجَةِ اللهِ وَحَاجَةِ رَسُولِـهِ » فَضَرَبَ بِإحْدَى يَديْهِ عَلَى الأُخْرَى ، فَكَانَتْ يدُ رَسُول اللهِ ﷺ لِعثمَانَ خَيْراً مِنْ أَيْدِيهم لأنفُسِهم .

ذكر ابن إسحاق : أن النبي ﷺ أرسل عثمان بن عفان إلى مكة ليبلغ أبا سفيان وأشراف قريش أن رسول الله ﷺ لم يأتِ لحرب وإنما جاء زائراً لهـذا البيت ومعظماً لحرمتـه . ففعل ذلك عثمان رضي الله عنه ، فقال له أهل مكة : إن شئت أن تطوف بالبيت فَطُفْ ، فقال : ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ ، واحتبسته قريش عندهـا ، فبلغ رسول الله

= ومسلم نحوه مختصراً (٣ / ١٤٨٥) ٣٣ ـ كتاب الإمارة ـ ١٨ ـ باب استحباب مبايعة الإمام الجيش عنـد إرادة القتال ، وبيان بيعة الرضوان تحت الشجرة .

بَيْعةُ الرِّضوان : الرضوان : الرضى ، وسميت بيعة الحديبية [بيعة] الرضوان ، لقوله تعالى : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ المُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرة ﴾ .

فأنتم أعلم ! : استفهام تعجبي ، يتعجب سعيد بن المسيب من زعم بعض التابعين معرفة الشجرة .

(١) البخاري (٧ / ٤٤٧) ٦٤ ـ كتاب المغازي ٣٥ ـ باب غزوة الحديبية .

(٢) مسلم (٣ / ١٤٨٦) ٣٣ ـ كتـاب الإمـارة ١٨ ـ بـاب استحبـاب مبـايعـة الإمـام الجيش عنـد إرادة القتـال .

٥٠٤ ـ الترمذي (٥ / ٦٢٦) ٥٠ ـ كتاب المناقب ـ ١٩ ـ باب في مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه . وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب ، وهو كما قال فشاهده في الصحيح .

ﷺ أن عثمان قد قُتل فقال رسول الله ﷺ « لا نبرح حتى نناجز القوم فدعا إلى البيعة » .

٥٠٥ - * روى البخاري عن عَبّادِ بنِ تَميم قالَ : لَمّا كَانَ يومُ الحَرَّةِ ، وَالنَّاسُ يُبَايِعُونَ لِعَبد اللهِ بنِ حَنْظَلَةَ ، فَقَالَ ابنُ زَيد على ما يُبَايِعُ ابنُ حَنْظَلَةَ النَّاسَ ؟ قيلَ لَهُ : عَلَى المَوْتِ ، قَالَ : لا أُبايِعُ على ذلك أحداً بعد رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وَكَانَ شَهِدَ مَعَهُ الحُدَيبية .

٥٠٦ - * روى مسلم عن أنسِ بنِ مالِك رَضِيَ اللهُ عنهُ : أنَّ قُرَيْشاً صَالَحُوا النبيَّ ﷺ ، وفيهم سُهَيْلُ بنُ عَمرو ، فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ لِعَلِيٍّ : « اكْتُبْ بِسْمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمْ » قَالَ سُهَيْلٌ : أمَّا بِسْمِ اللهِ ، فَمَا نَدْرِي مَا « بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرحيم ؟ » وَلكِنْ اكْتُبْ مَا نَعْرِفُ : باسْمِكَ اللهُمَّ ، فَقَالَ : اكْتُبْ : « مِنْ مُحمدٍ رَسُولِ اللهِ » قَالُوا : لَوْ عَلِمْنَا أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ لاتَّبَعْنَاكَ ، وَلكِنْ اكْتُبْ اسمَكَ وَاسْمَ أَبِيكَ ، فَقَالَ النبيُّ ﷺ اكْتُبْ : « مِنْ مُحمدِ بن عَبْدِ اللهِ » فَاشْتَرَطُوا عَلى النَّبيِّ ﷺ : أَنَّ مَنْ جَاءَ مِنْكُم ، لَمْ نَرُدَّه عَلَيكم ، وَمَنْ جَاءَكُم مِنَّا رَدَدْتُموهُ عَلَيْنَا فَقَالُوا : يَا رَسُولَ الله ، أَنَكْتُبُ هذَا ؟ قَالَ : « نَعَمْ ، إِنَّهُ مَنْ ذَهَبَ مِنَّا إِلَيْهِم فَأَبْعَده الله ، وَمَنْ جَاءَنَا مِنْهُم ، سَيَجْعَل اللهُ لَهُ فَرَجاً وَمَخرَجاً » .

قال العلماء في شرح هذا الحديث : وافقهم النبي ﷺ في ترك كتابة بسم الله الرحمن الرحيم وأنّه كتب باسمك اللهم ، وكذا وافقهم في محمد بن عبد الله وترك كتابة رسول الله ﷺ ، وكذا وافقهم في ردّ من جاء منهم إلينا دون من ذهب منّا إليهم ، وإنّما وافقهم في هذه الأمور للمصالح المهمّة الحاصلة بالصلح مع أنّه لا مفسدة في هذه الأمور .

---

٥٠٥ - البخاري (٧ / ٤٤٨) ٦٤ - كتاب المغازي - ٣٥ - باب غزوة الحديبية .

ومسلم نحوه (٣ / ١٤٨٦) ٣٣ - كتاب الإمارة - ١٨ - باب استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال ، وبيان بيعة الرضوان تحت الشجرة . ولكن عن عبد الله بن زيد .

قال ابن الأثير : يومُ الحَرَّة : الحَرَّةُ : أرض ذات حجارة سودٍ ، وأراد بها : حَرَّة من حِرار المدينة ، ويومها : هو اليوم المشهور الذي جرى من أهل الشام فيه ما جرى من قتل أهل المدينة ونهبها ، وسبي النساء والولدان في زمن يزيد ابن معاوية بن أبي سفيان .

أقول : والمقصود بقوله : حَرّة من حِرار المدينة : هي هنا الحَرَّةَ الشرقية حرة واقم .

٥٠٦ - مسلم (٣ / ١٤١١) ٣٢ - كتاب الجهاد والسير - ٣٤ - باب صلح الحديبية في الحديبية .

٥٠٧ ـ * روى الطبراني عَن عَبْدِ اللهِ بنِ السَّائِبِ أنَّ النَّبي ﷺ عَامَ الحديبيَةِ حِينَ أَخْبَرَهُ عُثمان أن سُهَيْلاً أَرسَلَهُ إليْهِ قومُه فَصَالَحوه عَلَى أَنْ يَرْجِعَ عَنْهُم هَـذَا العَام وَيُخْلُوهَا قَابلاً ثَلاثاً فَقَالَ النبيُّ ﷺ : « سُهَيلٌ سَهَّلَ عَلَيْكُم الأَمْر » .

٥٠٨ ـ * روى البخاري عن البراء رضي اللهُ عنه قال : لما اعتَمرَ النبي ﷺ في ذي القعدةِ فأبىٰ أهلُ مكةَ أن يَدَعوه يدخلُ مكةَ حتىٰ قاضاهم على أن يُقيم بها ثلاثة أيام فلما كتبوا الكتابَ كتبوا : هذا ما قاضىٰ عليهِ محمدٌ رسولُ الله ، قالوا : لا نقرُّ لك بهذا ، لو نعلمُ أنكَ رسولُ الله ما مَنَعْنَاكَ شيئاً ، ولكنْ أنتَ محمدُ بن عبدِ الله . فقال : « أنا رسولُ الله ، وأنا محمدُ بن عبدِ الله » ثمّ قال لعليّ : « امحُ رسولَ الله » قال عليّ : لا واللهِ لا أمحوك أبداً . فأخذ رسولُ الله ﷺ الكتابَ ـ وليس يُحسِنُ يكتب ـ فكتبَ : هذا ما قاضى محمدُ ابن عبد الله ، لا يُدخِلُ مكةَ السلاحَ إلاَّ السيفَ في القِراب ، وأن لا يَخرُجَ مِن أهلها بأحدٍ إن أراد أن يَتبعَه ، وأن لا يمنَع من أصحابه أحداً إذا أراد أن يقيمَ بها . فلما دخلها ومضى الأجلُ أتَوا علياً فقالوا : قُل لصاحبكَ اخرجْ عنّا فقد مضىٰ الأجل . فخرج النبيُّ ﷺ ، فَتَبِعَتْه ابنةُ حمزةَ تُنادِي : يا عمِّ يا عمِّ ، فتناولها عليّ فأخذَ بيدها وقال لفاطمة عليها السلامُ : دُونكِ ابنةَ عمكِ حمِّليها . فاختصم فيها عليٌّ وزيدٌ وجعفرٌ : قال عليٌّ : أنا أخذتُها وهي بنتُ عمي . وقال جعفرٌ : ابنةُ عمي وخالتُها تحتي . وقال زيدٌ : ابنةُ أخي . فقضىٰ بها النبيُّ ﷺ لخالتِها وقال : « الخالةُ بمنزلة الأم » وقال لعليٍّ : « أنتَ مني وأنا منك » وقال : لجعفر : « أشْبَهْتَ خَلقي وخُلُقي » وقال لزيد : « أنتَ أخونا ومَولانا » وقال عليّ : ألا تتزوَّجُ بنت حمزة ؟ قال : « إنها ابنةُ أخي منَ الرَّضَاعة » .

قال في الفتح حول « فأخذ رسول الله ﷺ الكتاب ... فكتب » :

قوله (فأخذ رسول الله ﷺ الكتاب وليس يحسن يكتب ، فكتب . هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله) تقدم هذا الحديث في الصلح عن عبيد الله بن موسى بهذا الإسناد وليست

---

٥٠٧ ـ أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٤٦) ، وقال : رواه الطبراني ، وفيه مؤمل بن وهب المخزومي ، تفرد عنه ابنه عبد الله ، وقد وُثق ، وبقية رجاله رجال الصحيح .

٥٠٨ ـ البخاري (٧ / ٤٩٩) ٦٤ ـ كتاب المغازي ـ ٤٣ ـ باب عمرة القضاء .

قاضاهم : مشتقة من القضاء ، والمراد هنا : إحكام الأمر وإمضاؤه .

فيه هذه اللفظة « ليس يحسن يكتب » ولهذا أنكر بعض المتأخرين على أبي مسعود نسبتها إلى تخريج البخاري وقال : ليس في البخاري هذه اللفظة ولا في مسلم ، وهو كما قال عن مسلم فإنه أخرجه من طريق زكريا بن أبي زائدة عن أبي إسحاق بلفظ « فأراه مكانها فمحاها وكتب : ابن عبد الله » انتهى وقد عرفت ثبوتها في البخاري في مظنة الحديث ، وكذلك أخرجها النسائي عن أحمد بن سليمان عن عبيد الله بن موسى مثل ما هنا سواء ، وكذا أخرجها أحمد عن حجين بن المثنى عن إسرائيل ولفظه (فأخذ الكتاب ـ وليس يحسن أن يكتب ـ فكتب مكان رسول الله ﷺ : هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله) وقد تمسك بظاهر هذه الرواية أبو الوليد الباجي فادّعى أن النبي ﷺ كتب بيده بعد أن لم يكن يحسن يكتب . فشنع عليه علماء الأندلس في زمانه ورموه بالزندقة ، وأن الذي قاله مخالف القرآن حتى قال قائلهم :

برئت ممن شرى دنيا بآخرة ... وقال إن رسول الله قد كتبا

فجمعهم الأمير فاستظهر الباجي عليهم بما لديه من المعرفة وقال للأمير : هذا لا ينافي القرآن ، بل يؤخذ من مفهوم القرآن لأنه قيد النفي بما قبل ورود القرآن فقال ﴿ **وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك** ﴾ وبعد أن تحققت أميته وتقررت بذلك معجزته وأمن الارتياب في ذلك لا مانع من أن يعرف الكتابة بعد ذلك من غير تعليم فتكون معجزة أخرى . وذكر ابن دحية أن جماعة من العلماء وافقوا الباجي في ذلك ، منهم شيخه أبو ذر الهروي وأبو الفتح النيسابوري وآخرون من علماء إفريقية وغيرها ، واحتج بعضهم لذلك بما أخرجه ابن أبي شيبة وعمر بن شبة من طريق مجاهد عن عون بن عبد الله قال : « ما مات رسول الله ﷺ حتى كتب وقرأ » قال مجاهد : فذكرته للشعبي فقال : صدق قد سمعت من يذكر ذلك . ومن طريق يونس بن ميسرة عن أبي كبشة السلولي عن سهل ابن الحنظلية « أن النبي ﷺ أمر معاوية أن يكتب للأقرع وعيينة ، فقال عيينة : أتراني أذهب بصحيفة المتلمس ؟ فأخذ رسول الله ﷺ الصحيفة فنظر فيها فقال : « قد كتب لك بما أمر لك » قال يونس فنرى أن رسول الله ﷺ كتب بعد ما أنزل عليه . قال عياض : وردت آثار تدل على معرفة حروف الخط وحسن تصويرها كقوله لكاتبه « ضع القلم على

أذنك فإنه أذكر لك » وقوله لمعاوية « ألق الدواة وحرف القلم وأقم الباء وفرق السين ولا تعور الميم » وقوله « لا يمد بسم الله » قال : وهذا وإن لم يثبت أنه كتب فلا يبعد أن يرزق علم وضع الكتابة ، فإنه أوتي علم كل شيء . وأجاب الجمهور بضعف هذه الأحاديث . وعن قصة الحديبية بأن القصة واحدة والكاتب فيها علي وقد صرح في حديث المسور بأن عليا هو الذي كتب ، فيحمل على أن النكتة في قوله﴿ فأخذ الكتاب وليس يحسن يكتب ﴾ لبيان أن قوله ﴿ أرني إياها ﴾ أنه ما احتاج إلى أن يريه موضع الكلمة التي امتنع علي من محوها إلا لكونه كان لا يحسن الكتابة ، وعلى أن قوله بعد ذلك﴿ فكتب ﴾ فيه حذفٌ تقديره فمحاها فأعادها لعلي فكتب . وبهذا جزم ابن التين وأطلق كتب بمعنى أمر بالكتابة ، وهو كثير كقوله : كتب إلى قيصر وكتب إلى كسرى ، وعلى تقدير حمله على ظاهره فلا يلزم من كتابة اسمه الشريف في ذلك اليوم وهو لا يحسن الكتابة أن يصير عالماً بالكتابة ويخرج عن كونه أمياً ، فإن كثيراً ممن لا يحسن الكتابة يعرف تصور بعض الكلمات ويحسن وضعها بيده وخصوصاً الأسماء ولا يخرج بذلك عن كونه أمياً ككثير من الملوك . ويحتمل أن يكون جرت يده بالكتابة حينئذ وهو لا يحسنها فخرج المكتوب على وفق المراد فيكون معجزة أخرى في ذلك الوقت خاصة ، ولا يخرج بذلك عن كونه أمياً . وبهذا أجاب أبو جعفر السمناني أحد أئمة الأصول من الأشاعرة وتبعه ابن الجوزي وتعقب ذلك السهيلي وغيره بأن هذا وإن كان ممكنا ويكون آية أخرى لكنه يناقض كونه أمياً لا يكتب ، وهي الآية التي قامت بها الحجة وأفحم الجاحد وانحسمت الشبهة فلو جاز أن يصير يكتب بعد ذلك لعادت الشبهة ، وقال المعاند : كان يحسن يكتب لكنه كان يكتم ذلك ، قال السهيلي : والمعجزات يستحيل أن يدفع بعضها بعضا ، والحق أن معنى قوله ﴿ فكتب ﴾ أي أمر عليا أن يكتب انتهى . وفي دعوى أن كتابة اسمه الشريف فقط على هذه الصورة تستلزم مناقضة المعجزة وتثبت كونه غير أمي نظر كبير ، والله أعلم . أ هـ من الفتح

٥٠٩ - * روى البخاري ومسلم عن البَراء بن عازبٍ رضي اللهُ عنهما قال : لمَّا صالَحَ

---

٥٠٩ - البخاري (٥ / ٣٠٣) ٥٣ - كتاب الصلح - ٦ - باب كيف يُكتب « هذا ما صَالَح فلانُ بنُ فلانٍ فلانَ بنَ فلانٍ » وإن لم ينسبه إلى قبيلته أو نسبه .

ومسلم (٣ / ١٤١٠) ٣٢ - كتاب الجهاد والسير - ٣٤ - باب صلح الحديبية في الحديبية .

=

رسولَ اللهِ ﷺ أهلَ الحُدَيبيةِ كتبَ عليٌّ بن أبي طالب رضوانُ الله عليه بينَهم كِتاباً ، فكتبَ « محمدٌ رسولُ اللهِ » فقال المشركونَ : لاتكتبْ محمدٌ رسولُ اللهِ ، لو كنتَ رسولاً لم نُقاتِلْكَ . فقال لعليٍّ : « امْحُه » فقال عليٌّ : ما أنا بالذي أمحاهُ ، فمحاهُ رسولُ اللهِ ﷺ بيده ، وصالحهم على أنْ يدخُلَ هوَ وأصحابه ثلاثةَ أيامٍ ، ولا يدخلوها إلا بجُلُبَّانِ السلاحِ ، فسألوه : ما جُلُبَّانُ السلاح ؟ فقال : « القِرابُ بما فيه » .

٥١٠ ـ * روى البخاري عن عروة أنه سمع مَرْوانَ والمِسْورَ يُخْبِرَان عَنْ أصحابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ : « لَمَّا كَاتبَ سُهيل بنُ عمرو يَوْمئذٍ ، كَانَ فيما اشْتَرَطَ سُهَيْلُ بنُ عمرو عَلَى النبيِّ ﷺ : أنَّه لاَ يأتيكَ منَّا أَحَدٌ وَإن كَانَ عَلَى دِينِكَ إلا رَدَدتَه إلَينا ، وخلَّيتَ بينَنا وَبيْنَهُ ، فَكَرِهَ المؤمِنُونَ ذلكَ ، وامْتَعَضُوا منهُ ، وَأَبى سُهَيْلٌ إلا ذلكَ ، فَكَاتَبَهُ النبيُّ ﷺ عَلَى ذلكَ ، فَرَدَّ يَوْمئذٍ أبا جندلٍ إِلَى أَبيهِ سُهَيلِ بنِ عَمْرٍو ، وَلَم يأْتِهِ أَحَدٌ مِنَ الرجَالِ إِلَّا رَدَّهُ فِي تِلْكَ المدَّة وَإِنْ كَانَ مُسْلماً ، وَجَاءَ المؤمِنَاتُ مُهَاجراتٍ ، وَكَانَتْ أمُّ كلثومَ بنتَ عُقبةَ بنِ أبي مُعيطٍ مِمَّن خَرَجَ إلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمئذٍ وَهِي عَاتِق ، فَجَاءَ أَهْلُها يَسْأَلُونَ النبيَّ ﷺ أن يَرْجِعَها إِلَيْهِم ، فَلَمْ يَرْجِعها إِلَيهم لما أَنْزَلَ اللهُ فِيهنَّ ﴿ إذَا جاءَكُم المؤمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللهُ أَعْلَمُ بإيمانِهنَّ فإنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤمِنَاتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إلى الكُفَّارِ لاَ هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلاَ هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ﴾ (١) .

ـ قال عروةُ : فَأَخْبَرَتْنِي عَائِشَةُ : أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَمتَحِنُهنَّ بهذِهِ الآيةِ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمنُوا إذَا جَاءَكُمُ المُؤمِنَاتُ مُهَاجِراتٍ فَامْتَحنُوهُنَّ اللهُ أَعْلَمُ بإيمَانِهنَّ فإنْ عَلِمْتُموهُنَّ مُؤمِنَاتٍ فَلاَ تَرْجِعُوهُنَّ إلى الكُفَّارِ لا هنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلاَ هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُمْ مَا أنفقُوا وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُم أنْ تَنْكِحُوهُنَّ إذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ولاَ تُمْسِكُوا بِعِصَمِ

= جُلُبَّان : السلاح القراب بما فيه ، وقيل القرابُ : الغِمدُ ، والجلبان شبه الجراب من الأدم ، يوضعُ فيه السيف مغموداً ، ويطرح فيه الراكب سوطه وأداته ، ويعلّقه من آخرة الرحل وواسطته ، وقد روي بضم الجيم واللام وتشديد الباء ، وهو أوعية السلاح .

٥١٠ ـ البخاري (٥ / ٣١٢) ٥٤ ـ كتاب الشروط ـ ١ ـ باب ما يجوز من الشروط في الإسلام ، والأحكام ، والمبايعة .

امتعضوا : كرهوا .

(١) الممتحنة : ١٠ .

الكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُم وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكُم حُكْمُ اللهِ يَحْكُم بَيْنَكُم وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * وَإِنْ فَاتَكُم شَيءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلى الكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللهَ الَّذي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ * يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ المؤمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لاَ يُشْرِكْنَ بِاللهِ شَيئاً ولاَ يَسْرِقْنَ ولاَ يَزْنِينَ ولاَ يَقْتُلْنَ أَوْلادَهنَّ ولاَ يَأْتِينَ بِبهتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وأَرْجُلِهِنَّ ولاَ يَعْصِينَكَ في مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ واسْتَغفِرْ لَهُنَّ اللهَ إِنَّ الله غَفُورٌ رَحِيم ﴾ (١) .

قال عروة : قالت عائشة : فمن أقرَّ بهذا الشرْطِ منهنَّ ، قَالَ لَهَا رَسُولُ الله ﷺ : قَدْ بايَعْتُكِ كَلاماً يُكلِّمها به ، وَاللهِ مَا مَسَّتْ يدُهُ يدَ امرأةٍ قَطُّ في المُبَايَعَة ، مَا بَايَعَهُنَّ إلا بِقَوْلِه .

٥١١ - * روى الحاكم عن عبدِ اللهِ بنِ مغفل المزني رَضِيَ اللهُ عنْه قَالَ : كنا مَعَ رَسُولِ اللهِ صلَّى الله عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّم بالحديبيةِ في أصْلِ الشجرةِ التي قَالَ تَعَالَى فِي القرآن وَكَانَ غُصْنٌ مِنْ أَغْصَانِ تِلْكَ الشَّجَرَةِ على ظَهْرِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى الله عليهِ وَآلِه وَسَلَّم ، فَرَفَعْتُهُ عَنْ ظَهْرِهِ ، وَعَلِيُّ بنُ أَبي طَالِبٍ وَسُهَيْلُ بنُ عمرٍو جَالِسَانِ بَيْنَ يَدَي رسُول اللهِ صلَّى الله عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عَلَيْهِ وَآلِه وَسَلَّم لِعلي : « اكْتُبْ » فَذَكَرَ مِنَ الحَديثِ أَسْطُرًا مُخرَّجة في الكتابَيْنِ مِنْ ذكر سُهَيْل بنِ عَمْرٍو : قَالَ عَبْدُ اللهِ بنُ مُغفل : فَبينَا نَحنُ كَذلِكَ ، إِذْ خَرَجَ عَلَيْنا ثَلاثُونَ شَاباً عَلَيْهِمُ السِّلاحُ فَثَارُوا في وُجُوهِنا فَدَعَا عَلَيْهِم النبيُّ صَلَّى اللهَ عَلَيْه وَآلِهِ وَسَلَّم ، فَأَخَذَ اللهُ بِأَبْصَارِهم فَقُمنا إِليهم ، فَأَخَذْنَاهُم فَقَال لَهُمْ رسولُ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم : « هَل جِئْتُم في عَهْدِ أَحَدٍ ؟ أو هَل جَعَلَ لَكُمْ أَحَدٌ أَمَانًا » فقالُوا : اللهم لاَ . فَخَلَّى سَبيلَهُم فَأنزلَ الله عَزَّ وَجَل ﴿ وَهُوَ الذي كَفَّ أَيْدِيَهُم عَنكم وَأَيْدِيكُم عَنْهم بِبَطْنِ مَكَةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُم عَلَيهِمْ وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلونَ بَصِيرا ﴾ (٢) .

---

(١) الممتحنة : ١٠ - ١٢ .

٥١١ - المستدرك (٢ / ٤٦١) ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ؛ إذ لا يبعد سماع ثابت من عبد الله بن مغفل ، وقد اتفقا على إخراج حديث معاوية بن قُرَّة ، وعلى حديث حُميد بن هلال عنه ، وثابت أسن منهما جميعاً وقد أقره الذهبي .

ثار : هاج وانتشر .

(٢) الفتح : ٢٤ .

٥١٢ ـ * روى البخاري ومسلم عن أبي وَائل قال : قامَ سهْلُ بنُ حُنَيْفٍ يوم صِفّين ، فَقالَ : أيُّها النـاسُ ، اتَّهِمُوا أنْفُسَكم لقد كُنَّا مع رسول الله ﷺ يومَ الحـدَيْبِيَـةِ ، وَلَو نَرَى قِتَالاً لَقاتَلْنَا . وذَلِكَ في الصُّلح الذي كَانَ بَيْن رَسُولِ اللهِ ﷺ وبينَ المُشْركين فَجَاءَ عُمرُ بنُ الخطَّابِ ، فَأتى رَسُولَ اللهِ ﷺ ، فقال : يَارَسُولَ اللهِ ، أَلَسْنَا عَلَى حَقٍّ وَهُمْ عَلَى بَاطِلٍ ؟ قَالَ : « بَلَى » قال : أَلَيْسَ قَتْلانَا في الجَنَّـةِ وَقَتْلاهُم في النَّـارِ ؟ قَـالَ : « بَلَى » قَـالَ : فَفِيمَ نُعطي الدَّنِيَّةَ في دِيننا ، وَنَرْجِعُ وَلما يَحكُم اللهُ بيننا وَبَيْنَهم ؟ فَقَالَ : « يا ابنَ الخَطَّاب ، إنِّي رَسُولُ اللهِ ، وَلَنْ يُضَيِّعَني اللهُ أَبَداً » قال : فَـانْطَلَق عُمَر فَلم يَصبر مُتغيِّظـاً ، فَـأَتى أبا بَكْرٍ ، فَقَالَ : « يَا أبا بَكْرٍ ، أَلَسْنَا عَلَى حَقٍّ وَهُمْ عَلَى بَاطِل ؟ قال : بلى ، قَالَ : أَلَيْسَ قَتْلانَا في الجَنَّـةِ وَقَتْلاهُم فِي النَّـارِ ؟ قَـالَ : بَلَى ، قَـالَ فَعَلامَ نُعْطِي الـدَّنِيَـة ، وَنَرجِعُ وَلَما يَحْكُم الله بَيْنَنَا وَبَينهم ؟ » فقال : « يا ابنَ الخطَّاب إنَّه رَسُولُ اللهِ وَلَنْ يُضَيِّعـه الله أبـداً وقـال : فنزل القُرآنُ عَلَى رَسولِ اللهِ ﷺ بـالفَتْحِ ، فَـأَرْسَلَ إلى عُمَر ، فَأَقْرَأَهُ ، إيَّاهُ ، فَقَالَ : يَارَسُولَ اللهِ ، أو فَتْح هُوَ ؟ قَال : « نَعَمْ » فَطَابَت نفسُهُ ورَجَعَ .

وَفي رِوَاية (١) : فَنَزَلتْ سورةُ الفَتْح ، فَقرأَهَا رَسُولُ الله ﷺ عَلَى عُمَر .

وَفِي أخْرى (٢) أنَه سَمِعَ سَهْلَ بنَ حُنَيْف يقُولُ : يـا أيُّها النـاسَ اتَّهِموا رَأْيَكم على دينكُم ، لَقَدْ رأيتُني يَومَ أبي جَنْدَلٍ ، وَلَو أَسْتَطِيعُ أن أَرُدَّ أمرَ رسول اللهِ ﷺ لَرَددتُه ، وَمَا وَضَعْنَا سُيوفَنَا عَلَى عَوَاتِقِنَا إلى أمر يُفظِعُنَا إلا أَسْهَلَن بِنَا إلى أمرٍ نَعرِفُهُ ، غَيْر هَـذَا الأَمْرِ . قـال : وقال أبو وائل : شهدت صفِّين وبِئْستْ صفِّين .

---

٥١٢ ـ البخاري (٦ / ٢٨١) ٥٨ ـ كتاب الجزية والموادعة ـ ١٨ ـ باب حدثنا عبدان .

ومسلم واللفظ له (٣ / ١٤١١) ٣٢ ـ كتاب الجهاد والسير ـ ٣٤ ـ باب صلح الحديبية في الحديبية .

الدنيّة : القضية التي لا يرضى بها ولا تراد .

(١) البخاري في نفس الموضع السابق .

(٢) البخاري في نفس الموضع السابق ، وأيضاً في : (١٣ / ٢٨٢) ٩٦ ـ كتاب الاعتصام بالسنة والكتاب ـ ٧ ـ باب ما يـذكر من ذم الرأي وتكلف القياس .

ومسلم في الموضع السابق .

إلى أمر يُفظعنا : الأمر الفظيع : الشنيع الشديد ، وقوله « يُفظِعنا » أي : يُوقعنا في أمر فظيع شديدٍ علينا .

زاد في رواية [١] : ما نَسُدُّ منه خُصْماً إلا تفجَّر علينا خُصْمٌ ، ما ندري كيف نأتي له ؟

وفي أخرى [٢] : لما قَدِمَ سهلُ بنُ حُنَيف من صِفِّينَ أتيناه نَسْتَخْبِرُهُ فقال : اتهموا الرَّأيَ ... وذكر نحوه .

وفي أخرى [٣] : أتيتُ أبا وائل أسأله ؟ فقال : كُنا بِصِفِّين ، فقال رجلٌ : ألم تر إلى الذين يُدْعون إلى كتاب الله ؟ فقال عليٌّ : نعم ، فقال سَهْلُ بنُ حُنَيْفٍ : اتَّهموا أنفسكم ... وذكر الحديث .

٥١٣ ـ * روى أحمد عن أبي سَعيد الخُدريِّ أنَّ النبي ﷺ لما كانَ يَوم الحدَيْبيَةِ ، قَال : « لا تُوقِدُوا نَاراً بِلَيْل » فَلما كَان بَعْدَ ذلكَ ، قَالَ : « أَوْقِدُوا وَاصْطَنِعُوا فإنَّه لا يُدرِكُ قومٌ بعدَكم صَاعَكُم ولا مُدَّكُم » .

٥١٤ ـ * روى البخاري عن عبدِ اللهِ بن عُمرَ رضي الله عنهما أنَّ رَسُولَ الله ﷺ خَرَجَ مُعْتَمِراً ، فَحَالَ كُفَّارُ قُرَيْش بينَهُ وَبَيْنَ البيتِ ، فَنَحرَ هدْيَهُ ، وَحَلَقَ رَأْسَهُ بِالْحدَيْبيَةِ ،

---

(١) البخاري (٧ / ٤٥٧) ٦٤ ـ كتاب المغازي ـ ٣٥ ـ باب غزوة الحديبية .

خُصْماً : الخُصْم : الطَرف ، وخُصم كل شيء : طَرَفهُ ، وأراد بقوله : (ما نسدُّ خُصْماًإلا تفجّر علينا خُصم) : الإخبار عن انتشار الأمر وشدته ، وأنه لا يتهيأ إصلاحه وتلافيه ، لأنه بخلاف ما كانوا عليه من الاتفاق ، ولذلك قال : (إلا أسْهَلْن) أي رأينا في عاقبة السلوك فيه سهولة ، كأنه ركب السَّهْلَ في طريقه ، ولم يَرَ فيه مكروها .

(٢) البخاري في نفس الموضع السابق .

(٣) البخاري (٨ / ٥٨٧) ٦٥ ـ كتاب التفسير ـ ٥ ـ باب « إذ يبايعونك تحت الشجرة » .

اتهموا أنفسكم : يعني : لاتنكروا على أمير المؤمنين عليٍّ قبوله التحكيم واتهموا رأيكم .

٥١٣ ـ أحمد في مسنده (٣ / ٢٦) .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٤٥) : رواه أحمد ، ورجاله ثقات .

لا يدرك قوم بعدكم صاعكم ولا مدكم : أي لا يدرك أحد أجر صاعكم ولا مدكم .

والصاع والمد : من المكاييل .

تعليق : الظاهر أن رسول الله ﷺ منعهم من إيقاد النار في اليوم الأول من أجل مصلحة عسكرية أمنية ، وسماحه لهم في اليوم الثاني لعله كان رخصة بسبب برد أو لأنه أحكم الجانب الأمني أو عرف أنه لا خطر عليهم من إيقاد النار .

٥١٤ ـ البخاري (٥ / ٣٠٥) ٥٣ ـ كتاب الصلح ـ ٧ ـ باب الصلح مع المشركين .

وأيضاً البخاري (٧ / ٤٩٩) ٦٤ ـ كتاب المغازي ـ ٤٣ ـ باب عمرة القضاء .

وقَاضَاهُم عَلَى أَنْ يعْتَمِر العَامَ المقبلَ ، وَلاَ يَحْمِلَ سِلاَحاً عَلَيْهم إلا سُيُوفاً ، وَلا يُقِيمُ بها إلا مَا أَحَبُّوا ، فَاعْتَمَرَ مِنَ العَامِ المُقْبِلِ ، فَدَخَلَهَا كَمَا كَان صَالَحهُم ، فَلَمَّا أن أَقَامَ بِهَا ثَلاثاً ، أَمَرُوهُ أَنْ يَخْرُجَ ، فخرَجَ .

قال في الفتح تعليقا على قول البخاري : (باب النحر قبل الحلق في الحصر) :

ذكر فيه حديث المِسْوَرِ « أن رسول الله ﷺ نحر قبلَ أن يحلق وأمر أصحابه بذلك » وهذا طرف من الحديث الطويل الذي أخرجه المصنف في الشروط من الوجه المذكور هنا ، ولفظه في أواخر الحديث (فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله ﷺ لأصحابه قوموا فانحروا ثم احلقوا) فذكر بقية الحديث وفيه قول أم سلمة للنبي ﷺ (اخرج ، ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بدنك ، فخرج فنحر بدنه ودعا حالقه فحلقه) وعرف بهذا أن المصنف أورد القدر المذكور هنا بالمعنى ، وأشار بقوله في الترجمة « في الحصر » إلى أن هذا الترتيب يختص بحال من أحصر ، وقد تقدم أنه لا يجب في حال الاختيار في (باب إذا رمى بعد ما أمسى أو حلق قبل أن يذبح » ولم يتعرض المصنف لما يجب على من حلق قبل أن ينحر ، وقد روى ابن أبي شيبة من طريق الأعمش عن إبراهيم عن علقمة قال : عليه دم . قال إبراهيم : وحدثني سعيد بن جبير عن ابن عباس مثله . ثم أورد المصنف حديث ابن عمر الماضي قبل بباب مختصراً وفيه (فنحر بدنه وحلق رأسه) ، وقد أورده البيهقي من طريق أبي بدر شجاع بن الوليد ـ وهو الذي أخرجه البخاري من طريقه بإسناده المذكور ـ ولفظه (أن عبد الله بن عبد الله وسالم بن عبد الله كلّما عبد الله ابن عمر ليالي نزل الحجاج بابن الزبير وقالا : لا يضرك أن لا تحج العام ، إنا نخاف أن يحال بينك وبين البيت . فقال : خرجنا فذكر مثل سياق البخاري وزاد في آخره (ثم رجع) ، وكذا ساقه الإسماعيلي من طريق أبي بدر إلا أنه لم يذكر القصة التي في أوله ، وساقه من طريق أخرى عن أبي بدر أيضاً فقال فيها عن ابن عمر أنه قال (إن حيل بيني وبين البيت فعلت كما فعل رسول الله ﷺ وأنا معه ، فأهل بالعمرة) الحديث . قال ابن التيمي : ذهب مالك إلى أنه لا هدي على المحصر ، والحجة عليه هذا الحديث لأنه نقل فيه حكم وسبب ، فالسبب الحصر والحكم النحر ، فاقتضى الظاهر تعلق الحكم بذلك السبب . والله أعلم .

٥١٥ - * روى أبو داود والترمذي عن علي بنِ أبي طالب رَضيَ الله عَنْه قَالَ : خَرَجَ عَبْدَانِ إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ يعني يَومَ الحديبيَة - قبلَ الصُلْحِ ، فكَتَب إليْهِ مَوَاليهم فقالوا : يَا محمد ، وَاللهِ مَا خَرَجُوا إليكَ رَغْبَةً في دِينِكَ ، وإنَّمَا خَرَجُوا هَرَباً مِنَ الرِّقِّ ، فَقَالَ نَاسٌ : صَدَقُوا يَا رَسُولَ اللهِ رُدَّهُم إليْهِم ، فَغَضِبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقَالَ : « مَا أرَاكُم تَنْتَهُونَ يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، حَتَّى يَبْعَثَ الله عَلَيْكُم مَنْ يَضْرِبُ رِقَابَكُم عَلَى هَذَا » وَأَبَى أَنْ يَرُدَّهُم ، وَقَالَ : « هُمْ عُتَقَاءُ اللهِ عزَّ وَجلَّ » .

قال في الفتح الرباني : إنما تغير وجه رسول الله ﷺ لكونهما لم يوافقا الصواب ، ويستفاد من ذلك أن من ادعى الإسلام يقبل منه مطلقا كما يدل على ذلك القرآن والسنة ، وأنه لا يجوز البحث عن الدوافع التي دفعته إلى الإسلام سواء أسلم مخلصاً أو متعوذاً أو طامعاً ، وقد جاء عند أبي داود بدل قوله فتغير وجه رسول الله ﷺ (قال فغضب رسول الله ﷺ وقال : ما أراكم تنتهون يا معشر قريش حتى يبعث الله عليكم من يضرب رقابكم على هذا ، وأبى أن يردهم وقال هم عتقاء الله عز وجل) قال الخطابي . هذا أصل في أن من خرج من دار الكفر مسلما وليس لأحد عليه يد قدرة فإنه حر ، وإنما يعتبر أمره بوقت الخروج منها إلى دار الإسلام .

٥١٦ - * روى البخاري ومسلم عن عمرِو بنِ دينار قَال : سَمِعْتُ جابرَ بنَ عبدِ الله رَضيَ الله عَنهُمَا قال : قَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَومَ الحُدَيْبِيَةِ : « أنتم خيرُ أَهْلِ الأَرْضِ » وَكنا أَلفاً وأَرْبعمائة ولَوْ كُنْتُ أُبصرُ اليوْم ، لأَرَيْتُكم مَكَانَ الشَّجَرَة .

---

٥١٥ - أبو داود (٣ / ٦٥) كتاب الجهاد ، باب في عبيد المشركين يلحقون بالمسلمين فيسلمون .

والترمذي نحوه (٥ / ٦٣٤) ٥٠ - كتاب المناقب - ٢٠ - باب مناقب عليّ بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث رِبْعي عن عليّ .

والحاكم نحوه في المستدرك (٢ / ١٢٥) ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وأقره الذهبي .

على هذا : أي ما ذكر من التعصب أو الحكم بالرد .

٥١٦ - البخاري (٧ / ٤٤٣) ٦٤ - كتاب المغازي - ٣٥ - باب غزوة الحديبية .

ومسلم نحوه (٣ / ١٤٨٤) ٣٣ - كتاب الإمارة - ١٨ - باب استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال ، وبيان بيعة الرضوان تحت الشجرة .

لو كنت أبصر : يدل قوله على أن كلامه هذا كان حين عمي ، والمعروف أن جابراً عمي آخر حياته .

٥١٧ ـ * روى مسلم عن أمِّ مُبَشِّر الأنْصَارية رَضِيَ الله عَنْها أنَّها سَمِعَتْ النبيَّ ﷺ يقولُ عِنْدَ حَفْصَةَ : « لا يدْخلُ النَّارَ ـ إنْ شاءَ اللهُ ـ مِنْ أصْحَابِ الشجَرَةِ أحدٌ . الذينَ بَايَعُوا تَحْتَها » قَالَتْ : بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ ، فَانْتَهَرَهَا فَقَالَتْ حَفْصَةُ : ﴿ وَإنْ مِنْكُم إلاّ وَارِدُهَا ﴾ [1] فَقَالَ النبيُّ ﷺ : قَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ ثم نُنَجِّي الذين اتَّقَوْا ونَذَرُ الظَّالمِينَ فِيها جِثِياً ﴾ [2] .

قال النووي : قوله : « لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد » . الخ قال العلماء : معناه : لا يدخلها أحد منهم قطعا : كما صرح به في غير هذا الحديث ، وإنما قال : « إن شاء الله » للتبرك ، لا للشك ، وأما قول حفصة « بلى » وانتهار النبي ﷺ لها ، فقالت : (وإن منكم إلا واردها) فقال عليه الصلاة والسلام : وقد قال : « ﴿ ثم ننجي الذين اتقوا ﴾ » ففيه دليل للمناظرة والاعتراض ، والجواب على وجه الاسترشاد ، وهو مقصود حفصة ، لا أنها أرادت رد مقالته ﷺ . والصحيح : أن المراد بالورود في الآية : المرور على الصراط ، وهو جسر منصوب على جهنم ، فيقع فيها أهلها ، وينجو الآخرون . أ . هـ

٥١٨ ـ * روى الترمذي عن جابر بنِ عبد الله رَضِيَ اللهُ عنهُمَا عن النبي ﷺ قال : « لَيَدْخُلَنَّ الجنَّةَ مَنْ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ، إلا صَاحِبَ الجَملِ الأَحْمَرِ » .

٥١٩ ـ * روى مالك والبخاري عن أسلمَ مولى عمر رضي الله عنه أن رسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يسيرُ في بَعْضِ أسْفَارِهِ ، وَعُمَرُ بنُ الخطَّابِ يَسيرُ مَعَهُ لَيْلاً فَسَأَلَهُ عُمَرُ عَنْ شَيءٍ فَلَمْ يُجِبْهُ ،

---

٥١٧ ـ مسلم (٤ / ١٩٤٢) ٤٤ ـ كتاب فضائل الصحابة ـ ٣٧ ـ باب من فضائل أصحاب الشجرة ، أهل بيعة الرضوان ، رضي الله عنهم .

أصْحَابُ الشَّجَرَة : هُم الصَّحَابةُ الذينَ بَايَعُوا رَسُول الله ﷺ بَيْعَة الرِّضْوَانِ في الحديبيَةِ ، وَكَانَتِ الشَّجَرَةُ سَمُرة .

جثياً : جمع جاثٍ : وهو الذي يقعد على ركبتيه .

(١) مريم : ٧١ .

(٢) مريم : ٧٢ .

٥١٨ ـ الترمذي (٥ / ٦٩٦) ٥٠ ـ كتاب المناقب ـ ٥٩ ـ باب حدثنا محمود بن غيلان ، وقال : هذا حديث حسن غريب ، وهو كما قال .

٥١٩ ـ الموطأ (١ / ٢٠٣) ١٥ ـ كتاب القرآن ـ ٤ ـ باب ما جاء في القرآن .

والبخاري (٧ / ٤٥٢) ٦٤ ـ كتاب المغازي ـ ٣٥ ـ باب غزوة الحديبية .

=

ثُمَّ سَأَلَهُ فَلَمْ يُجِبْهُ ، ثُمَّ سَأَلَهُ فَلَمْ يُجِبْهُ ، فَقَال عُمَرُ : ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ عُمَر ، نَزَرْتَ رَسُولَ الله ﷺ ثَلاَثَ مَرات ، كلُّ ذَلِكَ لا يُجيبك ، قَالَ عُمَرُ : فَحَرَّكت بَعِيري ، حَتّى إذا كنت أَمَامَ النَّاسِ ، وَخشيتُ أنْ ينزلَ فيَّ قُرآنٌ ، فَمَا نَشِبْتُ أنْ سَمِعْتُ صَارِخاً يَصْرُخُ بي ، قال : فَقُلْتُ : لَقَدْ خَشيت أَنْ يَكون نَزَلَ فيَّ قُرْآنٌ ، قال : فَجِئْتُ رَسُولَ الله ﷺ ، فَسلَّمْتُ عَلَيْهِ ، فَقَال : « لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَليَّ هذه اللَّيلَة سُورةٌ ، لَهِيَ أَحَبُّ إليَّ مِمَّا طَلَعتْ عَلَيهِ الشَّمْسُ ، ثمَّ قرَأ : ﴿ إنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً ﴾ [1] » .

وأخْرَجَهُ التِرْمِذي [2] عَنْ أَسْلم ، قَالَ : سَمِعْتُ عُمَر بنَ الخطَّابِ يَقُولُ : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ في بَعْضِ أسفارِهِ ... الحديث .

٥٢٠ ـ * روى البخاري عن أنسِ بنِ مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ﴿ إنَّا فتحنا لَكَ فتحاً مُبيناً ﴾ قال : الحُدَيْبِيَة . قَالَ أَصحابُه : هنيئاً مَريئاً ، فما لنا ؟ فأَنْزَلَ الله : ﴿ لِيُدْخِلَ المؤمنينَ والمؤمنات جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأَنْهَارُ ﴾ [3] قالَ شعبةُ : فقَدِمْتُ الكوفةَ ، فحَدَّثتُ بهذا كُلِّه عَنْ قَتَادَةَ ، ثُمَّ رجعْتُ فَذَكَرْتُ لَهُ ، فَقَالَ : أَمَّا ﴿ إنَّا فَتَحْنَا لَكَ ﴾ فَعَن أَنسٍ ، وَأَمَّا « هنيئاً مريئاً » فَعَنْ عِكْرِمَةَ .

وأخرجهُ مسلمٌ [4] عن قَتادَة عن أنسٍ قَالَ : لَمَّا نزلَتْ ﴿ إنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبيناً لِيَغْفِرَ لَكَ الله ﴾ إلى قوله ﴿ فوزاً عظيما ﴾ [5] مَرْجِعَهُ من الحديبيةِ ـ وهم يُخَالِطُهُم الحزنُ والكآبةُ وقد نحر الهَدْيَ بالحديبية ، فقال : « لقد أُنزِلَتْ عليَّ آيةٌ هي أحبُّ إليَّ من

= نَزَرْتَ : فلاناً : إذا ألححت عليه في السؤال .

فما نشبتُ : أي : ما لبثتُ .

(١) الفتح : ١ .

(٢) الترمذي (٥ / ٣٨٥) ٤٨ ـ كتاب تفسير القرآن ـ ٤٩ ـ باب « ومن سورة الفتح » وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب ، ورواه بعضهم عن مالك مرسلاً .

٥٢٠ ـ البخاري (٧ / ٤٥٠) ٦٤ ـ كتاب المغازي ـ ٣٥ ـ باب غزوة الحديبية .

(٣) الفتح : ٥ .

(٤) مسلم (٣ / ١٤١٣) ٣٢ ـ كتاب الجهاد والسير ـ ٣٤ ـ باب صلح الحديبية في الحديبية .

الهَدْي : ما يُهديه الحاج أو المعتمر إلى البيت من النَّعم لينحره بالحرم .

(٥) الفتح : ١ ـ ٥ .

الدنيا جميعاً » .

وأخرجه الترمذي [(١)] عن قتادة عن أنس رضي الله عنه قال : نَزَلَتْ عَلَى النبي ﷺ ﴿ ليغفر لكَ اللهُ مَا تَقدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ مرجعَهُ من الحديبيةِ ، فقَالَ النبي ﷺ : « لقد نَزلْت عَلَيَّ آيةٌ أحبُّ إليَّ مِمَّا عَلى الأرض » ثُم قرأَهَا النبي ﷺ عليهم فقَالُوا : هنيئاً مريئاً يا نبي اللهِ قد بيَّنَ الله لَكَ مَاذا يُفْعَلُ بِكَ ، فَمَاذَا يُفعَل بِنَا ؟ فَنَزَلتْ عَلَيه ﴿ لِيُدخِلَ المؤمنينَ والمؤمناتِ جَنَّاتٍ تجري مِنْ تَحتِهَا الأنهارُ ﴾ حتى بَلَغَ - : ﴿ فوزاً عَظيماً ﴾ .

٥٢١ * روى الحاكم عن المِسْوَرِ بن مَخْرَمَةَ ومروانَ بن الحكم قالا : أُنزِلتْ سُورةُ الفَتْح بَيْنَ مكة والمدينَة في شَأْنِ الحديبيةِ مِنْ أَوَّلها إِلَى آخِرها .

٥٢٢ * روى الحاكم عن مُجمِّع بن جَارِيةَ الأَنْصَاريِّ وكان أَحَدَ القُرَّاء الذِينَ قرأوا القرآنَ قَال : شَهِدنَا الحدَيبيَة مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّم فَلَمَّا انصرَفْنَا عَنْها إذ النَّاسُ يَهُزُّونَ بالأباعر ، فَقَالَ بَعضُ الناسِ لِبَعْضٍ : ماللناسِ ؟ قَالُوا : أُوحِيَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسلَّمَ ، فَخَرَجْنَا مَعَ النَّاسِ نُوجِفُ فَوَجَدْنَا النبيَّ صلَّى الله عَلَيهِ وآلِهِ وَسَلم واقِفاً عَلَى رَاحِلتهِ عِند كُراع الغَميم ، فَلَمَّا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ النَاسُ قرَأَ عَلَيْهِم ﴿ إنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبينا ﴾ فَقَالَ رَجُل : يَا رَسُول اللهِ أَفَتْحٌ هُوَ ؟ قَالَ : « نَعم وَالذي نفسُ مُحمدٍ بيَدِهِ إنهُ لَفَتحٌ » فَقُسِّمَتْ خَيْبَرُ عَلَى أَهْلِ الحدَيْبيَةِ ، فَقَسَّمَهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى الله عَليهِ وَآلِهِ وَسَلَّم على ثلاثةَ عشرَ سَهْماً وَكَانَ الجيشُ أَلفا وخمسَ مائة فِيهِمْ ثلاث مائةِ فارِسٍ ، فَأَعْطى الفارسَ سَهْمَين وأَعْطى الراجِلَ سَهماً .

---

(١) الترمذي (٥ / ٣٨٦) ٤٨ - كتاب تفسير القرآن - ٤٩ - باب « ومن سورة الفتح » ، وقال : هذا حديث حسن صحيح .

٥٢١ - المستدرك (٢ / ٤٥٩) ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وأقره الذهبي .

٥٢٢ - المستدرك (٢ / ١٣١) ، وقال : هذا حديث كبير صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقال الذهبي : صحيح .

نوجف : نسرع .

كراع الغميم : مكان بين مكة والمدينة .

٢ ـ في الصلح : بُنوده وحِكَمُه :

قال في الرحيق المختوم ذاكرا بنود الصلح :

١ ـ الرسول ـ ﷺ ـ يرجع من عامه ، فلا يدخل مكة ، وإذا كان العام القابل دخلها المسلمون فأقاموا بها ثلاثا ، معهم سلاح الراكب ، السيوف في القرب ، ولا نتعرض لهم بأي نوع من أنواع التعرض .

٢ ـ وضع الحرب بين الطرفين عشر سنين ، يأمن فيها الناس ، ويكف بعضهم عن بعض .

٣ ـ من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه ، وتعتبر القبيلة التي تنضم إلى أي الفريقين جزءا من ذلك الفريق ، فأي عدوان تتعرض له أي من هذه القبائل يعتبر عدوانا على ذلك الفريق .

٤ ـ من أتى محمداً من قريش من غير إذن وليه ـ أي هاربا منهم ـ رده عليهم ، ومن جاء قريشاً ممن مع محمد ـ أي هاربا منه ـ لم يرد عليه .

وقد علَّق صاحب الرحيق المختوم على هذه البنود وهذا بعض كلامه :

هذه هي هدنة الحديبية ، ومن سَبَرَ أغوار بنودها مع خلفياتها لا يشك أنها فتح عظيم للمسلمين ، فقريش لم تكن تعترف بالمسلمين أي اعتراف ، بل كانت تهدف استئصال شأفتهم ، وتنتظر أن تشهد يوماً ما نهايتهم ، وكانت تحاول بأقصى قوتها الحيلولة بين الدعوة الإسلامية ، وبين الناس ، بصفتها ممثلة الزعامة الدينية والصدارة الدنيوية في جزيرة العرب ، ومجرد الجنوح إلى الصلح اعتراف بقوة المسلمين ، وأن قريشا لا تقدر على مقاومتهم ، ثم البند الثالث يدل بفحواه على أن قريشا نسيت صدارتها الدنيوية وزعامتها الدينية ، وأنها لا تهمها الآن إلا نفسها ، أما سائر الناس وبقية جزيرة العرب فلو دخلت في الإسلام بأجمعها ، فلا يهم ذلك قريشا ، ولا تتدخل في ذلك بأي نوع من أنواع التدخل . أليس هذا فشلا ذريعاً بالنسبة إلى قريش ؟ وفتحاً مبيناً بالنسبة إلى المسلمين ؟ ، وقد كسب المسلمون لأجل هذه الحرية نجاحاً كبيراً في الدعوة ، فبينما كان عدد المسلمين لا يزيد

على ثلاثة آلاف قبل الهدنة صار عدد الجيش الإسلامي في سنتين عند فتح مكة عشرة آلاف .

أما البند الثاني فهو جزء ثان لهذا الفتح المبين ، فالمسلمون لم يكونوا بادئين بالحروب ، وإنما بدأتها قريش ، يقول الله تعالى ﴿ **وهم بدءوكم أول مرة** ﴾ [١] .

أما البند الأول فهو حد لصد قريش عن المسجد الحرام ، فهو أيضا فشل لقريش ، وليس فيه ما يشفي سوى أنها نجحت في الصد لذلك العام الواحد فقط .

أعطت قريش هذه الخلال الثلاث للمسلمين ، وحصلت بإزائها خلة واحدة فقط ، وهي ما في البند الرابع ، ولكن تلك الخلة تافهة جداً ، ليس فيها شيء يضر بالمسلمين ، فمعلوم أن المسلم ما دام مسلماً لا يفر عن الله ورسوله ، وعن مدينة الإسلام ، ولا يفر إلا إذا ارتد عن الإسلام ظاهراً أو باطناً ، فإذا ارتد فلا حاجة إليه للمسلمين وانفصاله من المجتمع الإسلامي خير من بقائه فيه . أ هـ .

قال ابن القيّم بمناسبة ذكره لبعض حِكَم صلح الحديبية :

فمنها : أنها كانت مُقَدِّمة بين يدي الفتح الأعظم الذي أعزَّ اللهُ به رسولَه وجنده ، ودخل الناس به في دين الله أفواجاً ، فكانت هذه الهُدنة باباً له . ومفتاحاً . ومؤذِناً بين يديه ، وهذه عادةُ الله سبحانه في الأمور العظام التي يقضيها قدراً وشرعاً ، أن يُوطِّئ لها بين يديها مقدمات وتوطئات ، تؤذِنُ بها ، وتدُلُّ عليها .

ومنها : أن هذه الهدنة كانت من أعظم الفُتوح ، فإن الناسَ أمِنَ بعضُهم بعضاً ، واختلطَ المسلمون بالكفار ، وبادؤوهم بالدعوة ، وأسمعوهم القرآن وناظروهم على الإسلام مهرة آمنين وظهر من كان مختفياً بالإسلام ودخل في مدة الهدنة من شاء الله أن يدخل ولهذا سماه الله فتحا مبيناً . أ هـ .

٣ ـ فقهيات

قال ابن القيّم بمناسبة ذكره لبعض الفوائد الفقهيّة المستخرجة من حادثة الحديبية :

---

(١) التوبة : ١٣ .

ومنها : استحبابُ مُغايظة أعداء اللهِ ، فإنّ النبيَّ ﷺ أهدى في جُملة هديه جملاً لأبي جهل في أنْفِهِ بُرَةٌ مِن فضةٍ يَغيظُ به المشركين . وقد قال تعالى في صفة النبي ﷺ وأصحابه : ﴿ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الكُفَّارَ ﴾ (١) ، وقال عزّ وجل : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلا نَصَبٌ وَلا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلا يَطَؤُونَ مَوْطِئاً يَغِيظُ الكُفَّارَ وَلا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلاً إِلا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ المُحْسِنِينَ ﴾ (٢) .

ومنها : أن أميرَ الجيش ينبغي له أن يبعثَ العُيونَ أمامه نحوَ العدو .

ومنها : أن الاستعانَةَ بالمُشرِكِ المأمونِ في الجهاد جائزةٌ عند الحاجة ،لأن عينه الخزاعيَّ كَانَ كافراً إذ ذاك ، وفيه مِن المصلحة أنه أقربُ إلى اختلاطه بالعدوّ ، وأخذه أخبارهم .

ومنها : استحبابُ مشورة الإمام رعيّته وجيشه ، استخراجاً لوجه الرأي ، واستطابة لنفوسهم ، وأمناً لعتبهم ، وتعرفاً لمصلحةٍ يختصُ بعلمها بعضُهم دونَ بعض ، وامتثالاً لأمر الربّ في قوله تعالى : ﴿ وشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ ﴾ (٣) ، وقد مدّح سبحانه وتعالى عباده بقوله : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾ (٤) .

ومنها : جواز سبي ذراري المشركينَ إذا انفردُوا عن رجالهم قبل مقاتلة الرجال .

ومنها : أن تسميةَ ما يُلابسه الرجلُ مِن مراكبه ونحوها سُنَّة .

ومنها : جوازُ الحلف ، بل استحبابُه على الخبر الديني الذي يريد تأكيده ، وقد حُفِظَ عن النبي ﷺ الحلف في أكثر من ثَمَانِينَ موضعاً وأمره الله تعالى بالحَلِفِ على تصديق ما أخبر به في ثلاثة مواضع : في (سورة يونس) ، و (سبأ) ، و(التغابن) .

ومنها : أن المُشْركين ، وأهلَ البدَع والفجور ، والبُغَاة ، والظلَمة ، إذا طَلَبُوا أمراً

---

(١) الفتح : ٢٩ .

(٢) التوبة : ١٢٠ .

(٣) آل عمران : ١٥٩ .

(٤) الشورى : ٣٨ .

يُعَظِّمُون فيـه حُرمـة من حُرُمـات الله تعـالى . أجيبوا إليـه وأعطوه ، وأُعينـوا عليـه ، وإنْ مُنِعـوا غيره ، فيُعـاونـون على مـا فيـه تعظيم حرمـات الله تعـالى ، لا على كفرهم وبغيهم ، ويُمنعون مما سوى ذلك ، فكُلٌّ من التمس المعاونـةَ على محبوب للهِ تعـالى مُرْضٍ لـه ، أجيبَ إلى ذلك كائناً من كان ، ما لم يترتَّب على إعانته على ذلـك المحبوبِ مبغوضٌ لله أعظمُ منـه ، وهذا مِن أدقّ المواضع وأصعبِها . وأشقِّها على النفوس .

ومنها : جوازُ ابتداء الإمام بطلب صلحِ العدُوّ إذا رأى المصلحـة للمسلمين فيه . ولا يَتوقّفُ ذلك على أن يكون ابتداءُ الطلب منهم .

ومنها : استحبابُ التفـاؤل ، وأنّـهُ ليس مِن الطِّيَرةِ المَكْرُوهـة . لقولـه لما جـاء سهيل : « سَهُلَ أمْرُكُم » .

ومنها : أن مصالحة المشركين ببعض ما فيه ضَيْمٌ على المسلمين جائزةٌ للمصلحة الراجحـة ، ودفع ما هو شر منه ، ففيه دفعُ أعلى المفسدتين باحتمال أدناهما .

ومنهـا : جـوازُ صُلـح الكفّـار على ردّ من جـاء منهم إلى المسلمين وألا يُرد مَنْ ذهب من المسلمين إليهم . هذا في غير النساء . وأما النساء . فلا يجوزُ اشتراط رَدّهن إلى الكفار . وهذا موضعُ النسخ خـاصـة في هـذا العقـد بنص القرآن ، ولا سبيل إلى دعوى النسخ في غيره بغير موجب .

ومنها : أن ردّ من جاء من الكفار إلى الإمـام لا يتنـاول من خرج منهم مسلمـاً إلى غير بلدِ الإمام . وأنه إذا جاء إلى بلد الإمام . لا يجبُ عليه ردُّه بدون الطلب . فـإن النبي ﷺ لم يَرُدَّ أبا بصير حين جاءه . ولا أكرهـه على الرجوع . ولكن لما جـاؤوا في طلبـه . مكّنهم من أخذه ولم يكرهْهُ على الرجوع .

ومنها : أن المعاهدين إذا تسلّموه وتمكنوا منه فقتل أحداً منهم لم يضمنه بـديـةٍ ولا قودٍ . ولم يضمنه الإمام . بل يكون حكمه في ذلك حُكْم قتلـه لهم في ديـارهم حيث لا حكم للإمـام عليهم . فإن أبا بصيرٍ قتل أحد الرجلين المعاهدَيْنِ بـذي الحُلَيْفـة . وهي من حكم المـدينـة . ولكن كان قد تسلّموه .

ومنها : أن المعاهدين إذا عاهدوا الإمام . فخرجت منهم طائفة ، فحاربتهم ، وغَنِمَتْ أموالهم . ولم يَتَحَيَّزُوا إلى الإمام . لم يجب على الإمام دفعهم عنهم . ومنعُهم منهم . وسواءٌ دخلوا في عقدِ الإمام وعهده ودينه . أو لم يدخلوا . والعهدُ الذي كان بين النبيِّ ﷺ وبين المشركين ، لم يكن عهداً بين أبي بصير وأصحابه وبينهم ، وعلى هذا فإذا كان بين بعضِ ملوكِ المسلمين وبعضِ أهل الذِّمةِ من النصارى وغيرهم عهد ، جاز لملك آخر مِن ملوك المسلمين أن يَغْزُوَهُم ، ويغنمَ أموالهم إذا لم يكن بينه وبينهم عهد . كما أفتى به شيخُ الإسلام في نصارى مَلَطْيَةَ وسبيهم ، مستدلاً بقصة أبي بصير مع المشركين . اهـ .

ومن الأحكام الفقهيّة كذلك المستنبطة من حادثة الحديبية ما ذكره الدكتور البوطي بقوله :

(**الاستعانة بغير المسلمين فيما دون القتال**) ، قلنا أن النبي ﷺ أرسل بسر بن سفيان عيناً إلى قريش ليأتيه بأخبارهم ، وبسر بن سفيان كان مشركاً من قبيلة خزاعة . وفي هذا تأكيد لما كنا قد ذكرناه سابقاً من أن أمر الاستعانة بغير المسلم يتبع الظرف وحالة الشخص الذي يستعان به . فإن كان ممن يطمأن إليه ولا تخشى منه بادرة غدر أو خديعة ، جازت وإلا فلا . وعلى كلٍ فإن النبي ﷺ ، في كل الحالات ، إنما استعان بغير المسلمين بما دون القتال ، كإرساله عيناً على الأعداء أو استعارة أسلحة منهم وما شابه ذلك . والذي يبدو أن الاستعانة بغير المسلمين في القضايا السلمية أشبه بالجواز منها في أعمال القتال والحرب .

(**التبرك بآثار النبي ﷺ**) ، قلنا ، إن عروة بن مسعود ، جعل يرمق أصحاب النبي ﷺ بعينيه ، قال : فوالله ما تنخم رسول الله ﷺ نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده . وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وَضوئه ، وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده ، ما يُحدُّون النظر إليه تعظيماً له .

إنها لصورة بارزة حيةً ، وأوضحها عروة بن مسعود لمدى محبة أصحاب رسول الله ﷺ له . وإن فيها لدلالات هامة يجب أن يقف عليها كل مسلم .

إنها تدل أولاً على أنه لا إيمان برسول الله ﷺ بدون محبة له ، وليست المحبة له معنى

عقلانياً مجرداً ، وإنما هي الأثر الذي يستحوذ على القلب فيطبع صاحبه بمثل الطابع الذي وصف به عروة بن مسعود أصحاب رسول الله ﷺ .

وهي تدل ثانياً ، على أن التبرك بآثار رسول الله ﷺ أمر مندوب إليه ومشروع . ولقد وردت أحاديث صحيحة ثابتة عن تبرك الصحابة رضي الله عنهم بشعر النبي ﷺ ، وعَرَقه ووَضوئه ، وبُصَاقه ، والقدح الذي كان يشرب فيه . أ هـ .

تعليقات على قصة الحديبية :

١ ـ من أوّل ما يطالعك في قصّة الحديبية إحكام التدبير ، **أوّلا :** في الشّعار الذي رفع . **وثانياً :** في الطريق الذي سلك . **وثالثا :** في الحوار الذي تمّ والمفاوضات التي جرت والحجج التي قيلت . **ورابعاً :** في أخذ البيعة على عدم الفرار أو الموت . **وخامسا :** في ضبط النفس عن القتال مع وجود أسبابه . **وسادساً :** في الاحتياطات الأمنيّة التي اتخذت . **وسابعاً :** في الجو الذي أحيطت به المفاوضات . **وثامناً :** في بنود الصلح .

٢ ـ هناك صورتان متكاملتان في هذه القصة : فمن أجل الثأر لعثمان عندما أُشِيع نبأ قتله أُخِذَتِ البيعة على الموت ، ومن أجل مجموعة من المؤمنين والمؤمنات المستضعفين في مكّة صرف الله المسلمين عن القتال ﴿ **ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤوهم فتصيبَكم منهم مَعَرّةٌ بغير علم ....** ﴾[١] .

ومن هاتين الصورتين ندرك كم للمسلم من قيمة عند الله وعند إخوانه ، فلا تفريط فيه بل حرص عليه ، بل قد يُتخذ قرار حرب من أجله ، وهذا يعطينا عِبَراً كثيرة ، أبسطها : أن نعرف للمسلم حرمته ، وأن نعرف له قيمته فلا نُضيّعه بل نحاول القيام بحقوقه كاملة .

٣ ـ في هذه القصة موقف لم يستطع أصحاب رسول الله ﷺ إدراكَ أبعاده ، وهذا يعطينا درساً في العمل الإسلامي : أن نستشرف دائماً أبعاد معركتنا ، وأن نتفهّم الآراء المطروحة أمامنا ، وأن نتأنّى في الحكم على تصرفات القادة الذين يكرمهم الله عز وجل بتحمل المسؤولية ، فكثيرا ما نُصْدِرُ أحكاماً مستعجلة ، ظاهرها الصواب وباطنها الخطأ .

---

(١) الفتح : ٢٥ .

٤ ـ ومن أعظم دروس الحديبية أنّ على القائد أن يمتلك القدرة على الحرب والسلام ، وكثيراً ما يحدث أنّ القائد يستطيع السيطرة في الحرب فإذا ما أراد السلام ظهرت أمامه عقبات ، فالمتحمسون ، والمتشددون ، وبالنسبة لغير الصحابة المزايدون ، وههنا تحدث أزمات ومآس إنّ علينا أن ندرك أنه ليس الهدف هو الحرب أو السلم ، إنّما الهدف أن يتقدّم هذا الدين ، فحيثما رأت القيادات الرشيدة والشورى المبصرة أنّ المصلحة في شيء فههنا محطّ الرّحَال ، ولا يصلح أحد للقيادة إذا لم يكن قادراً على قَرَارَيْ السلم والحرب بآن واحد ، ولقد كان رسول الله ﷺ هو النموذج الأرقى في هذا وفي غيره .

٥ ـ وفي قصة الحديبية تجد المستوى الرفيع من الأدب والانضباط اللذيْن وصل إليهما أصحاب رسول الله ﷺ بفضل تربيته : فعثمان لا يطوف بالبيت على حبّه لذلك ما دام رسول الله ﷺ لم يَطُفْ ، والصحابة كانوا كالسكارى عند توقيع الصلح وتأخير العمرة ، ولكن لم يقولوا هُجْرا ولم يخرجوا عن انضباط . ومن مظاهر ما ذكرناه ههنا ما أشار إليه الشيخ الغزالي في كتابه فقه السيرة : (ومن السكينة التي تنزّلت على المسلمين أنّ رسل قريش كانت تغدو على رسول الله ﷺ وتروح ، فلا يعترضها أحد ، أمّا رسل المسلمين إلى قريش فقد تعرّضت للهلاك ، كاد خِرَاشُ بن أمية الخُزَاعيُّ يُقتل ، لولا أن أنقذه الأحابيش ، فرجع وقد عُقر جَمَلُه وكان النبي عليه الصلاة والسلام أرسله ليبلغ أهل مكة حقيقة مجيئه ، وأنّه يريد العبادة لا الحرب .. والرسل لا تقتل ، بَيْد أنّ غليان قريش أفقدها الوعي .

* * *

وصل

هجوم عبد الرحمن الفَزَاري على المدينة المنوّرة

سمى ابن هشام هذا الهجوم بغزوة ذي قَرَد .

وكان ذلك مقفله عليه الصلاة والسلام من الحديبية كما ذكر سلمة بن الأكوع في رواية مسلم ـ وقد ذكرنا قسما من رواية سلمة من قبل وأخرنا بعضها إلى هنا ، والسطور الأوائل مذكورة هنا وهناك لربط ما له علاقة بهذه الغزوة بسياقها الذي مر معنا من قبل .

٥٢٣ ـ * روى مسلم عن سلمة بن الأكوع قال : فلما أصبحنا إذا عبد الرحمن الفَزَارِيُّ قد أغار على ظهر رسول الله ﷺ فاستاقه أَجْمَعَ وقتل راعيَهُ قال فقلت : يا رَبَاحُ ! خُذْ هَذَا الْفَرَسَ فَأَبْلِغْهُ طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللهِ . وَأَخْبِرْ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ قَدْ أَغَارُوا عَلَىٰ سَرْحِهِ . قَالَ : ثُمَّ قُمْتُ عَلَىٰ أَكَمَةٍ فَاسْتَقْبَلْتُ الْمَدِينَةَ . فَنَادَيْتُ ثَلاثاً : يَا صَبَاحَاهْ ! ثُمَّ خَرَجْتُ فِي آثَارِ الْقَوْمِ أَرْمِيهِمْ بِالنَّبْلِ . وَأَرْتَجِزُ . أَقُولُ :

أَنَا ابْنُ الأَكْوَعِ   وَالْيَوْمَ يَوْمُ الرُّضَّعِ

فَأَلْحَقُ رَجُلاً مِنْهُمْ . فَأَصُكُّ سَهْماً فِي رَحْلِهِ حَتَّىٰ خَلَصَ نَصْلُ السَّهْمِ إِلَىٰ كَتِفِهِ . قَالَ قُلْتُ :

خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ الأَكْوَعِ   وَالْيَوْمُ يَوْمُ الرُّضَّعِ

قَالَ ! فَوَاللهِ مَازِلْتُ أَرْمِيهِمْ وَأَعْقِرُ بِهِم . فَإِذَا رَجَعَ إِلَيَّ فَارِسٌ أَتَيت شَجَرَةً فَجَلَسْتُ فِي أَصْلِهَا ، ثُمَّ رَمَيْتُهُ فَعَقَرْتُ بِهِ . حَتَّىٰ إِذَا تَضَايَقَ الْجَبَلُ فَدَخَلُوا فِي تَضَايُقِهِ ، عَلَوْتُ الْجَبَلَ ،

---

٥٢٣ ـ مسلم مطولا (٣ / ١٤٣٣) ٣٢ ـ كتاب الجهاد والسير ـ ٤٥ ـ باب غزوة ذي قرد وغيرها .

عبد الرحمن الفزاري : هو عبد الرحمن بن عيينة الفزاري وقيل عيينة بن حصن أبوه .

فأصك سهما في رحله : أي أضرب .

أرميهم وأعقربهم : أي أرميهم بالنبل وأعقر خيلهم . وأصل العقر ضرب قوائم البعير أو الشاة بالسيف . ثم اتسع حتى استعمل في القتل كما وقع هنا . وحتى صار يقال : عقرت البعير أي نحرته .

حتى إذا تضايق الجبل فدخلوا في تضايقه : التضايق ضد الاتساع . أي تدانى . فدخلوا في تضايقه أي المحل المتضايق =

فَجَعَلْتُ أرَدِّيهِمْ بِالْحِجَارَةِ . قَالَ : فَمَازِلْتُ كَذَلِكَ أَتْبَعُهُمْ حَتَّىٰ مَا خَلَقَ اللهُ مِنْ بعيرٍ مِنْ ظَهْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إلا خَلَّفْتُهُ وَرَاءَ ظَهْرِي . وَخَلَّوْا بَيْنِي وَبَيْنَهُ . ثُمَّ اتَّبَعْتُهُمْ أرْمِيهِمْ ، حَتَّىٰ أَلْقَوْا أَكْثَرَ مِنْ ثَلاثِينَ بُرْدَةً وَثَلاثِينَ رُمْحاً يَسْتَخِفُّونَ ، وَلاَ يَطْرَحُونَ شَيْئاً إلا جَعَلْتُ عَلَيْهِ آرَاماً مِنَ الْحِجَارَةِ ، يَعْرِفُهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُه . حَتَّىٰ أَتَوْا مُتَضَايِقاً مِنْ ثَنِيَّةٍ . فَإِذَا هُمْ قَدْ أَتاهُمْ فُلاَنُ بنُ بَدْرٍ الْفَزَارِيُّ فَجَلَسُوا يَتَضَحَّوْنَ (يَعْنِي يَتَغَدَّوْنَ) . وَجَلَسْتُ عَلَىٰ رَأْسِ قَرْنٍ . قَالَ الْفَزَارِيُّ : مَا هَذَا الذي أَرَىٰ ؟ قَالُوا : لَقِينا ، مِنْ هٰذا ، الْبَرْحَ . وَاللهِ ! مَا فَارَقَنَا مُنْذُ غَلَسٍ يَرْمِينَا ، حَتَّى انتَزَعَ كُلَّ شَيْءٍ فِي أَيْدِينَا . قَالَ : فَلْيَقُمْ إِلَيْهِ نَفَرٌ مِنْكُمْ ، أَرْبَعَةٌ . قَالَ : فَصَعِدَ إلَيَّ مِنْهُمْ أَرْبَعَةٌ فِي الجَبَلِ . قَالَ : فَلَمَّا أَمْكَنُونِي مِنَ الْكَلاَمِ قَالَ قُلْتُ : هَلْ تَعْرِفُونِي ؟ قَالُوا : لاَ . وَمَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ قُلْتُ : أَنَا سَلَمَةُ بنُ الأكْوَعِ . وَالَّذي كَرَّمَ وَجهَ مُحَمَّدٍ ﷺ ! لاَ أَطْلُب رَجُلاً مِنْكُمْ إلا أَدْرَكْتُهُ . وَلاَ يَطْلُبُني رَجُلٌ مِنكم

= منه بحيث استتروا به عنه ، فصار لا يبلغهم ما يرميهم به من السهام .

فجعلت أرديهم بالحجارة : يعني لما امتنع عليّ رميهم بالسهام عدلت عن ذلك إلى رميهم من أعلى الجبل بالحجارة التي تسقطهم وتهوّرهم . يقال : ردّى الفرس راكبه إذا أسقطه وهوّره .

حتى ما خلق الله من بعير من ظهر رسول الله ﷺ : من ، هنا زائدة . أتى بها لتأكيد العموم . وإنما سميت زائدة لأن الكلام يستقيم بدونها فيصح أن يقال : ما خلق الله بعيراً . ومن ، في قوله : من ظهر ، بيانية . والمعنى أنه ما زال بهم إلى أن استخلص منهم كل بعير أخذوه من إبل رسول الله ﷺ .

إلا خلفته وراء ظهري : خلفته أي تركته . يريد أنه جعل في حوزته وحال بينهم وبينه .

ثم اتبعتهم : هكذا هو في أكثر النسخ : اتبعتهم . وفي نسخة : أتبعتهم ، بهمزة القطع . وهي أشبه بالكلام وأجود موقعا فيه . وذلك أن تبع المجرد واتّبع بمعنى مشى خلفه على الإطلاق وأما أتبع الرباعي فمعناه لحق به بعد أن سبقه ومنه قوله تعالى ﴿ فأتبعهم فرعون بجنوده ﴾ أي لحقهم مع جنوده بعد أن سبقوه . وتعبيره هنا بثم المفيدة للتراخي يشعر أنه بعد أن استخلص منهم جميع الإبل توقف عن اتباعهم ولعل ذلك ريثما جمع الإبل وأقامها على طريق يأمن عليها فيه . والمعنى على هذا الوجه : وبعد أن توقفت عن اتباعهم حتى سبقوني ، تبعتهم حتى لحقت بهم .

يستخفون : أي يطلبون بإلقائها الخفة ليكونوا أقدر على الفرار .

آراما من الحجارة : الآرام هي الأعلام . وهي حجارة تجمع وتنصب في المفازة ليهتدى بها . واحدها إرم كعنب وأعناب .

حتى أتوا متضايقاً من ثنية : الثنية العقبة والطريق في الجبل . أي حتى أتوا طريقاً في الجبل ضيقة .

على رأس قرن : هو كل جبل صغير منقطع عن الجبل الكبير .

البرح : أي الشدة .

غلس : الغلس : ظلمة آخر الليل إذا اختلطت بضوء الصباح . =

فَيُدْرِكُنِي قَالَ أَحَدُهُمْ : أَنَا أَظُن . قَالَ : فَرَجَعُوا . فَمَا بَرِحْتُ مَكَانِي حَتَّىٰ رَأَيْتُ فَوَارِس رَسُولِ اللهِ ﷺ يَتَخَلَّلُونَ الشَّجَر . قَالَ : فَإِذَا أَوَّلُهُمُ الأَخْرَمُ الأَسَدِيُّ . عَلَىٰ إِثْرِهِ أَبُو قَتَادَةَ الأَنْصَارِيُّ . وَعَلَىٰ إِثْرِهِ الْمِقْدَادُ بْنُ الأَسْوَدِ الكِنْدِي . قَالَ : فَأَخَذْتُ بِعِنَانِ الأَخْرَمِ . قَالَ : فَوَلَّوا مُدْبِرِينَ . قُلْتُ : يَاأَخْرَمُ ! احْذَرْهُم . لاَ يَقْتَطِعُوكَ حَتَّىٰ يَلْحَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُه . قَالَ : يَا سَلَمَة ! إِنْ كُنْتَ تُؤمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ، وَتَعْلَمُ أَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌ وَالنَّارَ حَقٌ ، فَلا تَحُل بَيْنِي وبَيْنَ الشَّهادَةِ . قَالَ : فَخَلَّيْتُهُ ، فَالْتَقَىٰ هُوَ وَعَبْدُ الرَّحْمَن . قَالَ : فَعَقَرَ بِعَبْدِ الرَّحْمَن فَرَسَهُ . وَطَعَنَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَقَتَلَهُ . وَتَحَوَّلَ عَلَىٰ فَرَسِهِ .

وَلَحِقَ أَبُو قَتَادَةَ ، فَارِسُ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِعَبْدِ الرَّحْمن . فَطَعَنَهُ فَقَتَلَهُ . فوالَّذي كَرَّمَ وَجهَ مُحَمد ﷺ ! لَتَبِعْتُهُمْ أَعْدُو علىٰ رِجْلَيّ . حَتَّىٰ مَا أَرَىٰ وَرَائي ، مِن أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَلاَ غُبَارِهِمْ ، شَيْئاً . حَتَّىٰ يَعْدِلُوا قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ إِلَىٰ شِعْبٍ فِيهِ مَاءٌ . يُقَالُ لَهُ ذَا قَرَدٍ . لِيَشْرَبُوا مِنْهُ وَهُمْ عِطَاشٌ . قَالَ : فَنَظَرُوا إِلَيّ أَعْدُو وَرَاءَهُم . فَحَلَّيْتُهُمْ عَنْهُ (يَعْنِي أَجْلَيْتُهُمْ عنهُ) فَمَا ذَاقُوا مِنْهُ قَطْرَةً . قَالَ : وَيَخْرُجُونَ فَيَشْتَدُّونَ فِي ثَنِيَّة . قَال : فَأَعْدُو فَأَلْحَقُ رَجُلاً مِنهُمْ . فَأَصُكُّهُ بِسَهْمٍ فِي نُغْضِ كَتِفِهِ . قَالَ قُلْتُ : خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ الأَكْوَعِ . وَالْيَوْمُ يومُ الرُّضَّعِ . قال : يَاثَكِلَتْهُ أُمُّهُ ! أَكْوَعُهُ بُكْرَةَ . قَالَ قُلْتُ : نَعَمْ . يَا عَدُوَّ نَفْسِهِ ! أَكْوَعُكَ بُكْرَةَ . قَالَ : وَأَرْدَوا فَرَسَيْنِ عَلَىٰ ثَنِيَّةٍ . قَالَ : فَجِئْتُ بِهِمَا أَسُوقُهُمَا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ

= قال أحدهم : أنا أظن : يعني : صدقت .

يتخللون الشجر : أي يدخلون من خلالها ، أي بينها .

ذا قرد : هكذا هو في أكثر النسخ المعتمدة : ذا قرد ، وفي بعضها : ذو قرد ، وهو الوجه .

فحليتهم عنه : أي طردتهم عنه . وقد فسرها في الحديث بقوله : يعني أجليتهم عنه . قال القاضي : كذا روايتنا فيه هنا غير مهموز . قال وأصله الهمز ، فسهله . وقد جاء مهموزاً بعد هذا في الحديث .

نغض : هو العظم الرقيق على طرف الكتف . سمي بذلك لكثرة تحركه . وهو الناغض أيضاً .

قال : يا ثكلته أمه ! أكوعه بكرة : معنى ثكلته أمه ، فقدته أمه ، وقوله : أكوعه ، هو برفع العين ، أي أنت الأكوع الذي كنت بكرة هذا النهار ؟ ولهذا قال : نعم . وبكرة منصوب غير منون . قال أهل العربية : يقال أتيته بكرة ، بالتنوين ، إذا أردت لقيته باكراً في يوم غير معين . قالوا : وإن أردت بكرة يوم بعينه ، قلت أتيته بكرة ، غير مصروف لأنها من الظروف المتمكنة .

وأردوا : قال القاضي : رواية الجمهور بالدال المهملة ورواه بعضهم بالمعجمة . قال : وكلاهما متقارب المعنى . فبالمعجمة معناه خلفوهما . والرذي الضعيف من كل شيء . وبالمهملة معناه أهلكوهما وأتعبوهما حتى أسقطوهما وتركوهما ومنه التردية . وأردت الفرس الفارس أسقطته . لحقني عامر : أي عمه وقد استشهد في خيبر .
=

ﷺ . قَالَ : وَلَحِقَنِي عَامِر بِسطيحـةٍ فِيهَا مَـذْقَـةٌ مِنْ لَبَنٍ وَسَطِيحـةٍ فِيهَا مـاءٌ . فَتَوَضَّأتُ وَشَرِبْتُ . ثُمَّ أَتَيْتُ رسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى الْمَـاء الَّـذي حَلأْتُهُمْ . عَنْـهُ . فَإِذَا رَسُـولُ اللهِ ﷺ قَدْ أَخَذَ تِلْكَ الإِبلَ وكُل شَيْءٍ اسْتَنْقذْتُـهُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَكُلَّ رُمْحٍ وبُرْدَةٍ وإذا بلاَل نَحَرَ نـاقَـة مِنَ الإِبِـلِ الَّـذي اسْتَنْقَـذْتُ مِنَ الْقَـوْمِ إِذَا هُـوَ يَشْـوِي لِرَسُـولِ اللهِ ﷺ مِنْ كَبِـدهَـا وَسَنَامِهَا . قَالَ قُلْتُ : يَارَسُولَ اللهِ ! خَلِّنِي فَأَنْتَخبُ مِنَ الْقَوْمِ مِائَةَ رَجُلٍ ، فَأَتَّبِعُ الْقَوْمَ فلاَ يَبْقَىٰ مِنْهُمْ مُخْبِرٌ إلا قَتَلْتُـهُ قَـالَ : فَضَحِـكَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ حَتَّىٰ بَـدَتْ نَـوَاجِـذُهُ فِي ضَـوْءِ النَّـارِ . فقَـالَ : « يَـا سَلَمَـةُ ! أَتُرَاكَ كُنْتَ فَـاعِلاً ؟ » قُلْتُ : نَعَمْ . وَالَّـذِي أَكْرَمَـكَ ! فَقَالَ : « إِنَّهُمْ الآنَ لَيُقْرَوْنَ فِي أَرْضِ غَطَفَانَ » قَالَ : فَجَـاءَ رَجُلٌ مِنْ غَطَفَـانَ فَقَـال : نَحَرَ لَهُمْ فُلاَنٌ جَزُوراً ، فَلَمَّا كَشَفُوا جِلْـدَهَـا رَأَوْا غُبَـاراً . فَقَـالُوا : أَتَـاكُمُ الْقَوْمُ ، فَخَرَجُـوا هَارِبِينَ . فَلَمَّا أَصْبَحْنَـا قَـالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « كَـانَ خَيْر فُرْسَـانِنَـا الْيَوم أَبُو قَتَـادَةَ . وَخَيْرَ رَجَّـالَتِنَـا سَلَمَـةُ » قَـالَ : ثُمَّ أَعْطَـانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ سَهْمَيْنِ : سَهْمُ الْفَـارِسِ وَسَهْمُ الرَّاجِلِ . فَجَمَعَهمَا لِي جَمِيعـاً . ثُمَّ أَرْدفَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ وَرَاءه على الْعَضبـاء رَاجِعِينَ إِلَى الْمَدِينَةِ . قَالَ : فَبَيْنَا نَحْنُ نَسِيرُ . قَـالَ : وَكَـانَ رَجُل مِنَ الأَنْصَـارِ لاَ يُسْبَقُ شـداً ، قَـالَ : فَجَعَل يَقُولُ : أَلا مُسَابِقٌ إِلَى الْمَدِينةِ ؟ هَلْ مِنْ مُسَابِقٍ ؟ فَجَعَل يُعِيدُ ذَلِكَ . قَـالَ : فَلَمَّـا سَمِعْتُ كَلاَمَهُ قُلْتُ : أَما تُكْرِمُ كَرِيماً ، ولا تَهَابُ شَرِيفاً ؟ قَالَ : لاَ إِلاَّ أَنْ يَكُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ . قَـالَ قُلْتُ : يَـا رَسُولَ اللهِ ! بِأَبِي وَأُمِّي ! ذَرْنِي فَـلأُسَـابِق الرَّجُـلَ . قَـالَ : « إِنْ

= بسطيحة فيها مذقة من لبن : السطيحة إناء من جلود سطح بعضها على بعض . والمذقة قليل من لبن ممزوج بماء .

حلأتهم : كذا هو في أكثر النسخ : حلأتهم . وفي بعضها حلّيتهم . وقد سبق بيانه قريباً .

من الإبل الذي : كذا في أكثر النسخ : الذي . وفي بعضها : التي . وهو أوجه . لأن الإبل مؤنثة ، وكذا أسماء الجموع من غير الآدميين . والأول صحيح أيضاً . وأعاد الضمير إلى الغنيمة ، لا إلى لفظ الإبل .

نواجذه : أي أنيابه .

ليقرَوْنَ : أي يضافون ، والقرى الضيافة .

جزورا : الجزور : البعير ذكراً كان أو أنثى .

العَضْباء : هو لقب ناقة النبيّ ﷺ . والعضباء مشقوقة الأذن ، ولم تكن ناقته ﷺ كذلك وإنما هو لقب لزمها .

شداً : أي عدواً على الرجلين . =

شِئْتَ » قَالَ . قُلْتَ : اذْهَبْ إِلَيْكَ . وَثنيْتُ رِجْلِيَّ فَطَفَرْتُ فَعَدَوْتُ . قَالَ : فَرَبَطْتُ عَلَيْهِ شَرَفاً أَوْ شَرَفَيْنِ أَسْتَبْقِي نَفَسِي . ثُمَّ عَدَوْتُ فِي إِثْرِهِ . فَرَبَطْتُ عَلَيْهِ شَرَفاً أَوْ شَرَفَيْنِ . ثُمَّ رَفَعْتُ حَتَّى أَلْحَقَهُ .

قَالَ : فأَصُكُّهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ . قَالَ قُلْتُ : قَدْ سُبِقْتَ وَاللهِ ! قَالَ : أَنَا أَظُنُّ . قَالَ : فَسَبَقْتُهُ إِلَى الْمَدِينَةِ .

وللحديث تمّة متعلقة بخيبر سنذكرها في أحداث السنة السابعة .

* * *

= فَطَفَرْتُ : أي وثبت وقفزت .

فربطت عليه شرفا أو شرفين أستبقي نَفَسي : معنى ربطت حبست نفسي عن الجري الشديد ، والشرف ما ارتفع من الأرض . وقوله : أستبقي نَفَسي ، أي لئلا يقطعني البهر .

رفعت حتى ألحقه : أي أسرعت . قوله : حتى ألحقه . حتى ، هنا ، للتعليل بمعنى كي . وألحق منصوب بأن مضمرة بعدها .

أظن : أي أظن ذلك ، حذف مفعوله للعلم به .

فصل في : مكاتبته عليه الصلاة والسلام الملوك والأمراء

قال المباركفوري :

في أواخر السنة السادسة حين رجع رسول الله ﷺ من الحديبية كتب إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام .

ولما أراد أن يكتب إلى هؤلاء الملوك قيل له : إنهم لا يقبلون إلا وعليه خاتم ، فاتخذ النبي ﷺ خاتما من فضة ، نقشه : محمد رسول الله ، وكان هذا النقش ثلاثة أسطر : محمد سطر ، رسول سطر ، والله سطر ، هكذا : الله رسول محمد .

واختار من أصحابه رسلاً لهم معرفة وخبرة ، وأرسلهم إلى الملوك ، وقد جزم العلاّمة المنصور فوري أن النبي ﷺ أرسل هؤلاء الرسل غرة المحرم سنة سبع من الهجرة قبل الخروج إلى خيبر بأيام .

أقول : الذي يبدولي أنّ المكاتبة بدأت في أواخر السنة السادسة واستمرّت بعد ذلك فنها ما وقع في السنة السادسة ومنها ما وقع بعدها ، ويصعب تحديد الزمن لكلّ مراسلة ، وأصل المراسلة ثابت في الصحيحين وغيرهما ، أمّا نصوص هذه الرسائل فبعضها موجود في الصحيحين وغيرهما من كتب السنّة وبعضها موجود في كتب السير وهناك مراسلات لا شكّ فيها كرسالته عليه الصلاة والسلام إلى المُقَوْقِس لكنّ تفصيلاتها موجودة في كتب السيرة ، ومن أجود ما استوعب هذا الموضوع من المحققّين قديما ابن القيّم رحمه الله ، وممّن استوعبه حديثاً المباركفوري في الرحيق المختوم مستفيداً من تحقيقات المحدّثين ونحن سننقل من التحقيقين لتكمل صورة الحركة في السنة السادسة .

ذكر ابن القيّم رسائله عليه الصلاة والسلام إلى هرقل ، والكتاب معروف محفوظ حتى الآن ، وإلى كسرى وقد أشار إليه البخاري ومسلم ، وإلى النجاشي وهو غير الأوّل الذي توفّي في حياته عليه الصلاة والسلام وصلّى عليه صلاة الغائب ، وقد أشار إلى هذه الرسالة مسلم ، وإلى المُقَوْقِس عظيم مصر والإسكندرية ، وإلى المنذر بن ساوَى عظيم البحرين ، وإلى ابني الجُلَنْدَي عظيمي عُمان ، وإلى هَوْذَة بن علي عظيم اليمامة ، وإلى الحارث بن أبي شمر

الغساني عظيم دمشق . قال المباركفوري :

وبهذه الكتب كان النبي ﷺ قد أبلغ دعوته إلى أكثر ملوك الأرض . فمنهم من آمن به ومنهم من كفر . ولكن شغل فكر هؤلاء الكافرين ، وعرف لديهم باسمه ودينه .

وقد عثر على أكثر من رسالة من رسائله عليه الصلاة والسلام وألفت في ذلك كتب ، وهذا جهد مشكور مأجور إن شاء الله تعالى ، ونحن هنا نذكر ما ورد في أصول كتابنا على شرطنا :

٥٢٤ - * روى مسلم عن أنسٍ أن نبيَّ الله ﷺ كتبَ إلى كسرى ، وإلى قيصرَ ، وإلى النجاشيِّ ، وإلى كل جبّار ، يدعُوهم إلى الله تعالى ، وليس بالنجاشي الذي صلى عليه النبي ﷺ .

٥٢٥ - * روى البخاري عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ بعث بكتابه إلى كسرى مع عبد الله بن حُذَافةَ السَّهمي ، فأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين ، فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى ، فلما قرأه ، مَزَّقه ، فحسِبت (القائل : هو الزهري) أن ابن المسيب قال : فدعا عليه رسول الله ﷺ أنْ يمزَّقوا كلَّ مُمَزَّق .

٥٢٦ - * روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : حدَّثني أبو سفيان بن حرب من فيه إلى فيَّ ، قال : انطلقت في المدّة التي كانت بيني وبين رسول الله ﷺ ، قال : فبينا أنا بالشام ، إذ جيء بكتاب من النبي إلى هِرَقْل ، قال : وكان دِحيةُ الكلبيُّ جاء به ، فدفعه إلى عظيم بُصرى ، فدفعه عظيم بُصرى إلى هِرَقْل ، قال فقال هرقل : هل هاهنا أحدٌ من قوم هذا الرجل الذي يزعُم أنه نبيٌّ ؟ فقالوا : نعم ، قال فَدُعيتُ في نَفرٍ

---

٥٢٤ - مسلم (٣ / ١٣٩٧) ٣٢ - كتاب الجهاد والسير - ٢٧ - باب كتب النبي ﷺ إلى ملوك الكفار يدعوهم إلى الله عز وجل .

٥٢٥ - البخاري (٨ / ١٢٦) ٦٤ - كتاب المغازي - ٨٢ - باب كتاب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر .

٥٢٦ - البخاري (٨ / ٢١٤) ٦٥ - كتاب التفسير - ٤ - باب « قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله » .

ومسلم (٣ / ١٣٩٣) / ٣٢ - كتاب الجهاد والسير - ٢٧ - باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام ولكن دون قول الزهري .

=

من قرَيش ، فدخلنا على هِرَقل ، فأجلَسَنا بين يديه ، فقال : أيُّكم أقربُ نسباً من هذا الرجل الذي يزعم أنه نبيٌّ ؟ فقال أبو سفيان : فقلت : أنا ، فأجلَسوني بين يديه ، وأجلَسوا أصحابي خَلْفي ، ثم دعا بتَرْجُمَانه ، فقال : قل لهم : إني سائلٌ هذا عن هذا الرجل الذي يزعم أنه نبيٌّ ، فإن كَذَبَني فكذّبوه ، قال أبو سفيان : وايْمُ الله ، لولا أن يُؤْثِرُوا عَليَّ الكَذبَ لكذبت ، ثم قال لترجمانه ، سَلْهُ : كيف حَسَبُه فيكم ؟ قال : قلت : هو فينا ذو حَسَب ، قال : فَهَل كان من آبائه من مَلِكٍ ؟ قال قلت : لا ، قال : فهل كنتم تتهمونَهُ بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قلت : لا ، قال أيتَّبِعه أشرافُ الناس أم ضُعفاؤهم ؟ قال : قلت : لا بل ضعفاؤهم ، قال : يزيدون أو يَنقُصون ؟ قلت : لا ، بل يزيدون ، قال : هل يَرتَدُّ أحد منهم عن دينه بعد أن يدخل فيه سَخْطةً له ؟ قال : قلت : لا ، قال : فهل قاتلتموه ؟ قال قلت نعم ، قال : فكيف كان قتالكم إياه ؟ قال : قلت : تكون الحربُ بيننا وبينه سِجالاً ، يُصيب منّا ونُصيبُ منه ، قال : فهل يَغدِر ؟ قال : قلت : لا ، ونحن منه في هذه المدة ، لا ندري ما هو صانع فيها ؟ ـ قال : والله ما أمكنني من كلمة أُدْخِلُ فيها شيئاً غير هذه ـ قال : فهل قال هذا القولَ أحدٌ قبلَه ؟ قلت : لا ، ثم قال لتَرْجُمانه : قل له : إني سألتك عن حَسَبِه فيكم ، فزعمتَ أنه فيكم ذو حسب ، وكذلك الرسل تُبْعَثُ في أحساب قومها ، وسألتك : هل كان في آبائه مَلِكٌ ؟ فزعمتَ أنْ لا ، فقلتُ : لو كان من آبائه مَلِكٌ ، قلتُ : رجل يطلب مُلكَ آبائه ، وسألتك عن أتباعه : أضُعَفاؤهم ، أم أشرافهم ؟ فقلتَ : بل ضعفاؤهم ، وهم أتباع الرسل ، وسألتك : هل كنتم تتهمونه بالكَذِب قبلَ أن يقول ما قال ، فزعمت : أن لا ، فعرفتُ أنه لم يكن لِيَدَعَ الكذبَ على الناس ، ثم يذهبُ فيكذبُ على الله ، وسألتك : هل يرتدُّ أحد منهم عن دينه بعد أن يدخل فيه سَخطةً له ؟ فزعمت : أن لا ، وكذلك الإيمان إذا خالط بشاشةَ القلوب ، وسألتك : هل يزيدون أم يَنقُصون؟ فزعمت : أنهم يَزيدون وكذلك الإيمانُ حتى يتم ، وسألتك : هل قاتلتموه ؟

= يُؤْثِرُوا عليّ الكذبَ : أي : يَرْوُوا عنّي وينسبون إليّ .

الحرب سِجال : متاثلة : تارة لهؤلاء ، وتارة لهؤلاء ، وهو من المساجلة : المفاخرة ، وهي أن تصنع مثل صنيع قِرنك ، وأصله من السَّجْل ، وهو الدلو لأن لِكلِّ واحدٍ من الواردين دَلواً مثل ما للآخر ، أو لكلِّ واحدٍ منهم يوم في الاستقاء .

البشاشة : انشراح القلب بالشيء ، والفرح بقبوله ، وأصله في اللقاء ، وهو الملاطفة في الملقى . =

فزعمت : أنكم قاتلتموه ، فتكون الحرب بينكم وبينه سِجالاً ، ينال منكم وتنالون منه ، وكذلك الرسُل تُبتَلَى ، ثم تكون لها العاقبة ، وسألتك : هل يغدِر ؟ فزعمت : أنه لا يغدر ، وكذلك الرسل لا تَغدِرُ ، وسألتك : هل قال أحدٌ هذا القول قبله ؟ فزعمت : أن لا ، فقلتُ : لو كان قال هذا القولَ أحد قبلَه ، قلت : رجلٌ ائتمّ بقول قيل قبلَه ، قال : ثم قال : بِمَ يأمرُكم ؟ قال : قلت : يأمُرنا بالصلاة ، والزكاة ، والصِّلة ، والعَفاف ، قال : إن يَكُ ما تقول حقاً ، فإنه نبي ، وقد كنتُ أعلم أنه خارجٌ ، ولم أكُ أظنه منكم ، ولو أني أعلم أني أخلُصُ إليه لأحْبَبْتُ لقاءَهُ ، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه ، وليبلُغَنَّ ملكُه ما تحت قَدَميَّ ، ثم دعا بكتاب رسولِ الله ﷺ ، فقرأه ، فإذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله ، إلى هرقل عظيم الروم ، سلامٌ على من اتَّبعَ الهُدَى ، أما بعد : فإني أدعوكَ بدِعايةِ الإسلام ، أسْلِمْ تَسْلَمْ ، وأسْلِمْ يُؤتِكَ الله أجرَكَ مرتين ، فإن تولَّيت فإن عليك إثمَ الأريسيين ، و ﴿ **يا أهل الكتاب تعَالَوْا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لاَ نعبدَ إلا الله ولا نُشرِك به شيئاً ولا يتخذَ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولَّوْا فقولوا أشهدوا بأنَّا مسلمون** ﴾ [1] .

فلما فرغ من قراءة الكتاب ارتفعت الأصواتُ عنده ، وكَثُرَ اللَّغَطُ ، وأُمِرَ بنا فأُخْرِجنا ، قال : فقلت لأصحابي حين خرجنا : لقد أَمِرَ أَمْرُ ابنِ أبي كَبْشة ، إنه ليخافُهُ

= الغَدْر : ضد الوفاء ، وهو نقض العهد .
صلة الأرحام : كل ما أمر الله به أن يوَصل إلى الأقارب ، من أنواع البر والإحسان .
العِفّة والعَفَاف : الكف عمّا لا يحلُّ لك .
الأريسّيين : اختلفوا في المراد بهم على أقوال : أصحها وأشهرها أنهم الأكارون ، أي الفلاحون والزارعون ، ومعناه : إن عليك إثم رعاياك الذين يتبعونك وينقادون بانقيادك .
اللغط : اختلافُ الأصوات ، واختلاطُها ، والهَذَرُ من القول .
لقد أَمِرَ أَمْرُ ابن أبي كبشة : أي : كبر شأنه وعظم واتّسع ، وكان المشركون ينسبون النبي ﷺ إلى أبي كبشة ، لأن أبا كبشة الخزاعي ، واسمه وَجْز ، كان خالف قريشاً في عبادة الأوثان ، وعبد الشِّعْرى العبور ، وهو النجم المعروف في نجوم السماء فلما خالفهم النبيُّ ﷺ في عبادة الأصنام شبّهوه به ، وقيل : كان جدٌ جدّ النبي ﷺ لأُمّه ، أرادوا : أنه نزع إليه في الشبه .

(١) آل عمران : ٦٤ .

مَلِكُ بَني الأصفر ، فمازلتُ مُوقِناً بأمر رسول الله ﷺ أنه سيظهر ، حتى أدخل اللهُ عَلَيَّ الإسلامَ .

قال الزهري : فدعا هِرَقْلُ عظماءَ الروم ، فجمعهم في دارٍ له ، فقال : يا معشر الروم ، هل لكم في الفلاح والرُّشدِ آخرَ الأبد ، وأن يثبت لكم مُلككم ؟ قال : فحاصُوا حَيصةَ حُمُر الوحش إلى الأبواب فوجدوها قد غُلِقَتْ ، فقال : عَلَيَّ بهم ، فدعا بهم ، فقال : إني إنما اختبرتُ شِدَّتكم على دِينكم ، فقد رأيت منكم الذي أحببتُ ، فسجدوا له ورضُوا عنه .

وللبخاري في رواية [(١)] أخرى نحو حديث معمر ، وفيه : قال :ماذا يأمُرُكم ؟ قلت : يقول : اعبُدُوا الله وحده ، ولا تشركوا به شيئاً ، واتركوا ما يقول آباؤكم ، ويأمرنا بالصلاة ، والصدق ، والعَفاف ، والصِّلة . وقال في الجواب أيضاً إعادة هذا الحديث .

وفي أخرى [(٢)] : والله فمازلت ذليلاً مستيقناً بأن أمره سيظهر ، حتى أدخل الله قلبي الإسلام وأنا كاره .

وقال في رواية [(٣)] : وكان ابنُ الناطُور ـ صاحبُ إيلياء وهرقْلُ ـ سُقُفاً على نصارى الشام يُحَدِّث : أن هرقل حين قَدِمَ إيلياء أصْبَح يوماً خبيثَ النفْس ، فقال بعض بطارقته : قد استنكرْنا هَيئَتَك ، قال ابن الناطور : وكان هرقل حزَّاءً ، ينظر في النجوم ، فقال لهم حين سألوه : إني رأيت الليلة حين نظرت في النجوم مَلِكَ الخِتان قد ظهر ، فمن يَخْتَتِنُ من هذه الأمة ؟ قالوا : ليس يختتن إلا اليهود ، فلا يَهُمَّنَّك شأنُهم ، واكتب إلى مدائن مُلْكِك فيقتلوا مَنْ فيهم من اليهود ، فبينما هم على أمرهم أُتِيَ هرقلُ برجل أرسل به مَلِكُ غَسَّانَ يُخْبِرُ عن خبر رسول الله ﷺ ، فلما استخبره هرقلُ ، قال : اذهبوا ،

= بني الأصفر : بنو الأصفر : هم الروم ، سموا بذلك لما يعرض لألوانهم في الغالب من الصفرة .

حاصوا حَيْصة : أي : نفروا نفرةً ، وجالوا جَوْلَةً ، وهو من الحيص : المهرب ، والملجأ ، والميل من جهة إلى أخرى .

الحـزَّاء والحازي : الذي يحزر الأشياء ويقدِّرها بظنه ، ويقال لحارص النخل : الحازي ، تقول منه : حَزَوت الشيء أحزوه وأحزيه ، لغتان ، ويقال للذي ينظر في النجوم : حَزَّاء ، من قِبل هذا ، لأنه ينظر في النجوم وأحكامها بظنه وتقديره ، فربما أصاب .

(١) البخاري (١ / ٣٢) ١ ـ كتاب بدء الوحي ـ ٦ ـ باب حدثنا أبو اليمان ....

(٢) البخاري (٦ / ١١١) ٥٦ ـ كتاب الجهاد ـ ١٠٢ ـ باب دعاء النبي ﷺ الناس إلي الإسلام والنبوة .

(٣) البخاري (١ / ٣٢) ١ ـ كتاب بدء الوحي ـ ٦ ـ باب حدثنا أبو اليمان ....

=

فانظروا : أمُخْتَتِنٌ هو أم لا ؟ فنظروا إليه ، فحدّثوه أنه مختتِن ، وسأله عن العرب ؟ فقال : هم يَخْتَتِنُونَ ، فقال هرقل : هذا مَلِكُ هذه الأمة قد ظهر ، ثم كتب هرقلُ إلى صاحب له برومِيّة - وكان نظيرَه في العلم - وسار هرقل إلى - حمْص ، فلم يَرِمْ حِمْصَ حتى أتاه كتابٌ من صاحبه ، يوافق رأيَ هرقل على خروج النبيِّ ﷺ ، وأنه نبي ، فأذنَ هرقلُ لعظماء الروم في دَسْكَرةٍ له بحمص ثم أمر بأبوابها فَغُلِّقَتْ ، ثم اطَّلَعَ فقال : يا معشر الرُّوم ، هل لكم في الفلاح والرشد ، وأن يَثْبُتَ مُلْكُكم ، فتبايعوا هذا النبيّ ؟ فحاصوا حَيْصةَ حُمُر الوحش إلى الأبواب ، فوجدوها قد غلّقت ... ثم ذكر نحو ما في حديث معمرٍ إلى آخر هذا الفصل - ثم قال : فكان ذلك آخرَ شأن هرقل .

تعليقا على ما ذكره ابن سعد في طبقاته أن رسول الله ﷺ اتّخذ خاتما لمراسلة الملوك عندما أبلغ أنّ الملوك لا يقبلون رسالة غير مختومة . قال البوطي :

دل عمل رسول الله ﷺ هذا على مشروعية اتخاذ الخاتم ، وكان خاتمه ﷺ من فضة ، كما دل على مشروعية نقش اسم صاحبه عليه . وقد استدل كثير من العلماء بذلك على استحباب وضع خاتم من فضة في الأصبع التي كان ﷺ يضع خاتمه فيها ، وهي أصبع الخنصر .

أقول : وهذا أصل في مراعاة البروتوكول العالمي .

* * *

= فلم يَرِم : رام يريم : إذا زال من مكانه ، ولم يرم من مكانه ، أي : لم يبرح .
الدَّسْكرة : واحدة الدساكر ، وهي القصور .

فوائد عامة من أحداث السنة السادسة

١ ـ حسن التعامل مع النفس البشريّة شرط النجاح في العمل السياسي أو العسكري أو التربوي أو التعليمي أو الإداري أو الإعلامي ،بل عَمِّمْ ذلك على كل شيء في الحياة البشريّة فمن لا يحسن التعامل مع النفس البشريّة ساقط حكماً في القيادة . والذين يحسنون التعامل مع النفس البشريّة نوعان : فنوع يتعامل معها من خلال أهوائها وغرائزها وشهواتها وهؤلاء هم الأخسّ من القادة ، ونوع يحسن التعامل معها من خلال معرفتها وإدراك جوانب الخير فيها والارتقاء بهذه الجوانب ، ومحمد ﷺ من بين هؤلاء هو المثل الأعلى ، فهو أكثر خلق الله إدراكا للنفوس ومعرفة بها ، وهو أكثر خلق الله معرفة بالتعامل مع النفوس في أي موطن ، وبذلك نجح في إيصال دعوته إلى القلوب ونجح في الانتقال بالأنفس من طور إلى طور على مستوى الأفراد وعلى مستوى الأمّة ، وهذا شيء تلحظه في الصغيرة والكبيرة من تصرفاته ، ولقد مرّت معنا في أحداث هذه السنة أكثر من حادثة تعتبر نموذجاً على ما ذكرناه ، فحادثة ثُمَامةَ بنِ أُثَال واستخراج الإيمان منه ، وحادثة إثارة الإبل في وجه سيد الأحابيش تعتبران نموذجين كاملين على ما ذكرناه ، ففي حادثة ثمامة تجد طريقة من التعامل مع عدوٍّ شديد العداوة وتتمخضّ عن إيمان وحبّ ، ومع أنّه عليه الصلاة والسلام في الظاهر لم يَدْعه ولم يناقشه ، وحادثة إثارة البدن في وجه سيّد الأحابيش نقلت الأحابيش كلّهم من الضديّة إلى المعيّة دون أن يجري أيّ حوار ، إنّك عندما تتأمّل حياته عليه الصلاة والسلام تجد من أبرز معانيها القدرة العليا على التعامل مع النفس البشريّة ومن ثَمّ نجح رسول الله ﷺ النجاح الذي لم يعرفه غيره إلا لماما ، ولا غرابة فمن جملة مهمّاته عليه الصلاة والسلام كما حدّدها القرآن :

﴿ ويزكيهم ﴾ وكيف يستطيع التزكية من لا يعرف النفس البشريّة ويحسن التعامل معها ، انظر كيف تعامل مع فتنة المنافقين يوم قال قائل يالـلأنصار وقال الآخر ياللمهاجرين ، وكيف أنّه أنهى هذه الفتنة الكبيرة من خلال الحركة السريعة المباشرة المتقنة فَصَرَفَ الأذهان عمّا حدث .

إنّ حسن التعامل مع النفس البشريّة يقتضي من صاحبه أن يتصرّف مع كل نفس بما

يناسب وضعها وبما يحقق مردودا على الجماعة وبما ترتقي به هذه النفس وأن يتصرّف القائد مع كل الناس التصرّف المناسب للمقام بما يلائم الحال وبما تتقبله النفوس وبما يحقّق مردودا للأمّة وبما يقرّب من الهدف القريب والبعيد دنيا وأخرى فهذا شيء فوق الطاقة ، ولا أعرف أحداً في تاريخ هذا العالم وصل في هذا كلّه إلى بعض ما وصل فيه محمد رسول الله ﷺ وذلك من توفيق الله .

٢ ـ القادة قسمان : فقسم لا يستشير وهذا مآله إلى الدّمار أو التدمير ، وقسم يستشير وهؤلاء نوعان : نوع يستفيد من الشورى ، ونوع تضيّعه الشورى ، فالذي يستفيد من الشورى هو الذي يستطيع أن يدرك بسرعة الرأي الصحيح فيأخذ به ويرجّحه من أين أتى هذا الرأي ، أمّا النوع الآخر فهؤلاء تتجاذبهم الآراء ذات اليمين وذات الشمال ، وكثيراً ما يفرطون وكثيراً ما تذهب أوقاتهم سُدًى وكثيراً ما يتبنّون الرأي الأضعف . أمّا رسول الله ﷺ فلقد كان أكثر الناس استشارة ـ هذا مع أنّه يوحى إليه ـ وفي الوقت نفسه كان أكثر خلق الله إدراكاً لسلامة الرأي ، وأكثر خلق الله مسارعة للأخذ بالرأي الراجح ولعلّ موقفه من رأى أمّ سلمة يوم الحديبية يمثّل هذا الجانب الذي ذكرناه ، ولكنّه ليس موقفا يتيماً ، فوقفه من رأي الحباب بن المنذر يوم بدر ، وموقفه من اقتراح سلمان يوم الخندق كل ذلك نماذج على ما ذكرناه .

٣ ـ يكثر الكلام في عصرنا على الاستراتيجيّة والتكتيك ، والمراد بالاستراتيجيّة الموقف الأحكم في قضية ما على ضوء النظرة الشاملة والبعيدة المدى ، والمراد بالتكتيك الحركة الآنيّة التي تناسب المقام ، والقائد الناجح هو الذي يدرك الموقف الاستراتيجي الأجود ويتحرك حركة آنية مناسبة على ضوء ذلك ومن فاته إدراك الموقف الاستراتيجي الأحكم أو التكتيك المناسب الأسلم في موقف ما خَسِر أو فشل ، وكثيراً ما يسقط قادة في التكتيك ، أو في الاستراتيجيّة ، وبعض القادة تطريهم النجاحات الجزئيّة فيسقطون في النهاية لتفضيلهم ما هو تكتيكي على ما هو استراتيجي ، ومحمد ﷺ ـ من بين القادة ـ كان أعظم الخلق على الإطلاق في الرؤية الشاملة البعيدة المدى وكان أعظم خلق الله في الإدارة الناجحة والحركة الصحيحة في كل موقف ، وصلح الحديبية والتحرّك قبله وبعده يعطيك نموذجاً على ذلك ، فلقد مهد

لهذا الصلح وتجنّب الصدام المباشر مع خالد وغيره قبله وتنازل لقريش حتىّ أرضاها فيما ظاهره ضعف وباطنه قوّة ، وبما أنهى قريشاً من الناحية الاستراتيجيّة وأعطاه مركز القيادة إلى الأبد ، ذلك بعض مظاهر الكمال في شخصيته عليه الصلاة والسلام وكيف لا يكون كذلك وهو رسول الله ﷺ الخاتم .

٤ ـ نلاحظ أنّ رسول الله ﷺ قد أمضى صلح الحديبية على كره من أصحابه فهل هذا دليل لمن يقول بعدم إلزاميّة الشورى ؟ والذي نقوله في هذا المقام ما يلي :

لقد استشار رسول الله ﷺ أصحابه في الطريق في تثبيت الأحابيش فلمّا أشار أبو بكر عليه بألا يفعل ترك ذلك ، فهناك طرح الأمر على الشورى ونزل على رأي مستشاره الأوّل ، لكن نلاحظ أنّه في صلح الحديبية فاوض وأمضى الأمر ولم يطرح المسألة على الشورى أصلا فما السبب في ذلك ؟ الأمر يدور عندنا على ثلاثة محامل :

المحمل الأول : أنّ ذلك كان بوحي وعندئذ فلا محلّ للشورى . وفي النصوص ما يشير إلى هذا من مثل (إنّي عبد الله لن أعصيه .....) . وقد تكون المسألة من باب الفهم عن الله دون وحي ، ويشير إلى مثل هذا فهمه عليه الصلاة والسلام لبروك ناقته وأنّه حبسها حابس الفيل ، وتعليقه على ذلك أنّه لن تدعوه قريش إلى أمر تعظم فيه حرمات الله إلا فعل .

المحمل الثاني : أنّه أراد رسول الله ﷺ أن يفهم الأمّة أنّ هناك حالات ينبغي أن يعطى الإمام فيها فرصة البتّ في الأمور ، وعلى هذا فعلى الأمّة أن تستخرج من مجموع أفعاله وأقواله عليه الصلاة والسلام صلاحيّات الإمام ، ومتى تَلْزَمُه الشورى ومتى لا تلزمه ، إنّ التفاوض مع العدوّ له أحكامه ، فإن يُظْهِر القائد التردد ، أو أن يظهر في كل لحظة أنّه بحاجة إلى استشارة خاصة والقائد هو رسول الله الذي يدعوهم إلى الإيمان بنبوته ، كل ذلك له وزنه في فهم هذه الحادثة .

المحمل الثالث : أنّ الأمّة الإسلاميّة وقتذاك في طور التأسيس والصحابة كلّهم في حجر التربية ونحن نرى أنّه مادامت الجماعات الإسلاميّة في طور التأسيس ، والأفراد في حجر

التربية ؛ فالشورى وقتذاك معلمة لا ملزمة كما ذكرنا ذلك في كتابنا : (دروس في العمل الإسلامي) وبعد هذا نقول :

لا أرى أخطر على حاضر الإسلام ومستقبله من الفكرة التي تقول بعدم إلزاميّة الشورى دون تفصيل ، بل إنّي أقول : إنّ المسلمين لم يؤتوا خلال تاريخهم إلا من هذه الفكرة ، فبسبب هذه الفكرة انتقلت الأمّة الإسلاميّة من خلافة راشدة إلى ملك عضوض ، ومن توزيع عادل للأموال إلى تبديد للثروات في غير ما حق ، ومن أنظمة تُرضي اللهَ ورسولَه والمؤمنين إلى أنظمة يلعنها الله ورسوله والمؤمنون . إنَّه لابدّ من تقعيد لتنفيذ أمر الله ﴿ وشاورهم في الأمر ﴾ [١] ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾ [٢] سواء لمرحلة ما قبل الحكم أو للحكم ، وعلى ضوء ما يتّفق عليه أهل الإسلام يكون السير .

إنّ هذا وحده هو الذي يسع عصرنا ، ويسع العاملين للإسلام ، نجد عشرة من الناس يلتقون على أمير ، وشوراهم لأميرهم غير ملزمة ، وآراء هؤلاء الأمراء متناقضة ، فكيف يتحد المسلمون ؟ وإذا اتحد المسلمون فهل يتحدون على مبادئ وقواعد ؟ أو يتّحدون على شخص ؟ وإذا اتّحدوا على شخص وليس بيده سلطة تنفيذية فهل آراؤه وحدها تسعهم إذا كانت الشورى غير ملزمة ؟ وإذا وصل الإسلاميّون إلى الحكم فهل الأمر يناط بشخص بلا قيد ولا شرط ؟ أو أنّ الأمر يحتاج إلى ضوابط وقواعد ؟ إنّ الذين يقولون بعدم إلزاميّة الشورى يضعون الأمّة الإسلامية - وهي الآن في أخطر مرحلة - في إطار قدرات الأفراد وأمزجتهم ؟ فأي سير للإسلام والمسلمين في عصرنا المعقد إذا ما سير على مثل هذا الاجتهاد ؟ ! .

ترى هل يصل واحد من الناس الآن إلى مثل فضل معاوية بن أبي سفيان وهو صحابي ؟ ومع ذلك جعل ابنه يزيد خليفة للمسلمين ، من الذي يضمن مادامت الشورى غير ملزمة أن يتصرّف أمير مثل هذه التصرفات ؟ ويا مسلمون اسمعوا وأطيعوا .

٥ - عندما يتهادن فريقان فهناك ثلاث صور :

---

(١) آل عمران : ١٥٩ .

(٢) الشورى : ٣٨ .

الصورة الأولى : أن يكون لكل من الفريقين دعوة ورسالة .

الصورة الثانية : أن يكون لأحد الفريقين دعوة ورسالة وفكرة .

الصورة الثالثة : ألّا يكون لكلّ من الفريقين دعوة ورسالة .

في الصورة الأولى : الفكر الأقوى هو الذي سينتصر إذا أُتيح له دعاة متحمسون أقوياء ، **وفي الصورة الثانية**أصحاب الدعوة هم الرابحون إذا عملوا ، **وفي الصورة الثالثة** : يتساوى الربح والخسارة عند الطرفين إذا تعادلوا باليقظة والسهر . من هنا نقول : إنّ يوم الحديبية كان ربحا كلّه ؛ لأنّه كان هدنة بين أصحاب دعوةورسالة وبين ناس ورثوا معاني وألفوها ، ولذلك فإنّ الصف الإسلامي كان يتنامى على حساب الصف الآخر ومن هنا نرى أنّ أعداد المسلمين تضاعفت مرّات بعد صلح الحديبية ، وكل ذلك كان على حساب الصف الآخر ، وهذه قضيّة ندر من يفطن لها ، بل الغفلة عنها كانت عاملا من عوامل انحسار الإسلام في عصرنا ، فلقد وُجِدَتْ على الأرض الإسلاميّة دعوات باطلة ، في وقت خبت فيه روح الدعوة عند المسلمين وسكت المسلمون على هذه الدعوات وهادنتها حكومات فكان أن سجّلت كثير من هذه الدعوات انتصاراتٍ على الأرض الإسلاميّة وقد ورثنا نحن ذلك والله المستعان .

أمّا رسول الله ﷺ فذلك شأن آخر بأبي هو وأمّي .

٦ ـ من وجهة النظر السياسيّة كان صلح الحديبية اعترافا من مكة بدولة المدينة ، واعترافاً من قريش بسلطان رسول الله ﷺ ، وقد أتبع رسول الله ﷺ هذا الأمر مباشرة إرساله الرسائل للملوك والأمراء فحقق بهذا أكثر من هدف : دعا هؤلاء إلى الله وهذا هو الهدف الأكبر ، أشْعَر من لم يشعر من هؤلاء بوجوده ، ليفكروا بتحديد موقف من الدين الجديد والدولة الناشئة ، وضع أساساً للحركة السياسية والعسكرية المقبلتين في حياته أو بعد وفاته عليه الصلاة والسلام ، أخرج الدعوة من إطارها العربي إلى إطارها العالمي .

٧ ـ ليس هناك من واجب على الحاكم يعدل واجب توفير الأمن للمواطن على عرضه وماله وحياته ، ومن عرف جزيرة العرب في الجاهليّة وطبيعة بداوتها وقسوة الحياة فيها

أدرك أنّ فكرة الأمن المعروفة تكاد تكون معدومة ، ولكن انظر إلى الدولة التي أقامها رسول الله ﷺ كيف أنّها استطاعت أن تحقّق أكبر قدر ممكن من الأمن بأقصر فترة متصورة فأصبحت حوادث القتل داخل المجتمع الإسلامي قليلة ، والمعاهدون محميين ماداموا لا يخلون بعهدهم ثمّ إن أي خطر خارجي كان يرد عليه بسرعة وأي إخلال داخلي بالأمن كان يعامل بحزم وكان لا يسكت على غدر ، وفي أحداث هذه السنة نجد حادثتين بارزتين تعتبران نموذجا على بعض ما ذكرناه ، معاملته عليه الصلاة والسلام للعُرَنيين الذين قتلوا راعيه وسملوا عينيه وسلبوا الأموال ، واسترجاع ما أخذته بنو فَزَارة في هجومها على سَرْح المدينة . لقد كان المجتمع المدني يتوسّع كثيرا ؛ لأنّ الهجرة كانت مفروضة على كلّ من أسلم ، ومع ذلك فكم هي حوادث الإخلال بالأمن التي حدثت داخل هذا المجتمع ؟ إنّها لقليلة جدا وذلك كلّه أثر من آثار السياسة النبوية التي قللت دوافع الجريمة ووسعت حوافز الفضيلة واجتمع فيها حزم القانون وعدالة القضاء ، وحزم الحاكم وهدي النبوّة .

* * *

تقويم الموقف في نهاية السنة السادسة

بالصلح بين رسول الله ﷺ وبين قريش لم يعد هناك رأس يتجمّع حوله المشركون جميعا وبذلك ماتت إلى الأبد فكرة أن تتجمّع الجزيرة العربيّة ضد رسول الله ﷺ ، وهكذا أصبح رسول الله ﷺ أمام وضع يعطيه فرصا في الحرب وفي السلم ، في الدعوة داخل الجزيرة العربية وخارجها ، ولم يكن الأمر يحتاج إلى تفكير كثير لاستثمار هذا الوضع فالوحي يتنزل ويسدد ويرشد ، ورسول الله ﷺ هو القائد ولقد تحرك رسول الله ﷺ سلماً وحربا ، وكان من آثار ذلك العجب الكبير :

خلال فترة وجيزة كسبت الدعوة أضعافاً مضاعفة ، فقد خرج رسول الله ﷺ يوم الحديبية بألف وخمسمائة بينما انطلق إلى مكة عام الفتح بعشرة آلاف ، وفي السنة السابعة أنهى الكيان السياسي لليهود إنهاءً تاما في جزيرة العرب . ليست هناك لحظة تمر إلا بعمل هادف .

فإلى أحداث السنة السابعة .

* * *

السَّنَة السَّابعة لِلهجْرَة

أهم أحداث هذه السنة في سطور

* في المحرّم وصفر من السنة السابعة تمّت غزوتا خيبر ووادي القرى ، فسقطت بذلك آخر معاقل يهود في الجزيرة العربيّة بعد أن استسلم يهود تيماء ودخلوا في صلح مع رسول الله ﷺ .

* وفي هذه السنة قدم جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ومن معه من مهاجري الحبشة وبعض الأشعريين الذين كانوا معه وكان ذلك على إثر فتح خيبر كما تزوّج رسول الله ﷺ من صفيّة بنت حيي رضي الله عنها ، وعلى إثر خيبر حاولت اليهوديّة زينب بنت الحارث أن تسمّه ﷺ ولكنّ الله عصمه .

* وفي صفر سنة سبع للهجرة أرسل رسول الله ﷺ أبان بن سعيد بن العاص في سريّة إلى نجد لإرهاب أعرابها فلا يفكرون في غزو المدينة وهو يصارع اليهود في خيبر ووادي القرى .

* وفي شهر ربيع الأوّل غزا رسول الله ﷺ نجدا ولقي جمعا من غطفان فتوافقوا ولم يكن بينهم قتال ، وهي الغزوة التي لفّ بها بعض الصحابة على أرجلهم الخرق عندما نقبت فاختلطت بغزوة ذات الرقاع التي كانت سنة أربع ، فلنسم هذه غزوة الرقاع وتلك غزوة ذات الرقاع .

* وفي صفر أو ربيع الأوّل أرسل رسول الله ﷺ سريّة غالب بن عبد الله الليثي إلى بني المُلَوّح بقُدَيد .

* وفي جمادى الأولى لسنة سبع أسلم باذان عامل كسرى على اليمن بعد أن قتل شيرويه ابن كسرى أباه وأخبر بذلك رسول الله ﷺ رسولي باذان في اليوم التالي فكانت معجزةً أسلم بسببها باذان ومن معه من أهل فارس في اليمن .

* وفي هذه السنة أرسل رسول الله ﷺ زيد بن حارثة إلى حِسْمَى وراء وادي القرى في خمسمائة رجل فشنّ زيد الغارة على جـذَام التي سلبت دِحْية بن خليفة الكلبي رسول رسول

الله ﷺ إلى هرقل فقتل فيهم زيد قتلا ذريعا .....

* ومن سرايا هذا العام :

- سرية عمر بن الخطاب إلى تُرَبة في شعبان سنة ٧ هـ . ومعه ثلاثون رجلا كانوا يسيرون الليل ويستخفون في النهار ، وأتى الخبر إلى هَوازِن فهربوا ، وجاء عمر إلى محالّهم فلم يلق أحدا فانصرف راجعا إلى المدينة .

- سرية بشير بن سعد الأنصاري إلى بني مُرّة بناحية فَدك في شعبان سنة ٧ هـ في ثلاثين رجلا . خرج إليهم واستاق الشاء والنعم ، ثم رجع فأدركه الطلب عند الليل ، فرموهم بالنبل حتى فني نبل بشير وأصحابه ، فقتلوا جميعاً إلا بشير فإنه ارتُثَّ إلى فَدَك ، فأقام عند يهود ، حتى برأت جراحه ، فرجع إلى المدينة .

- سرية غالب بن عبد الله الليثي في رمضان سنة ٧ هـ إلى بني عوال ، وبني عبد بن ثعلبة بالميفعة ، وقيل إلى الحرقات من جهينة في مائة وثلاثين رجلا ، فهجموا عليهم جميعاً ، وقتلوا من أشرف لهم ، واستاقوا نعما وشاء ، وفي هذه السرية قتَل أسامةُ بن زيد نهيكَ بنِ مِرْادس بعد أن قال : لا إله إلا الله . فقال النبي ﷺ « هلاّ شققت عن قلبه فتعلم أصادق هو أم كاذب ؟ » .

- سرية عبد الله بن روَاحة إلى خَيبرَ في شوال سنة ٧ هـ في ثلاثين راكبا . وذلك أن أُسير أو بشير بن زارم كان يجمع غطفان لغزو المسلمين ، فأخرجوا أسيرا في ثلاثين من أصحابه ، وأطمعوه أن الرسول ﷺ يستعمله على خيبر ، فلما كانوا بِقَرْقَرَةِ ثِبار وقع بين الفريقين سوء ظن أفضى إلى قتل أسير وأصحابه الثلاثين .

- سرية بشير بن سعد الأنصاري إلى يَمْن وجَبَار (بالفتح ، أرض لغطفان وقيل لفَزَارة وعُذْرة) في شوال سنة ٧ هـ في ثلاثمائة من المسلمين ، للقاء جمع كبير تجمعوا للإغارة على أطراف المدينة ، فساروا الليل وكمنوا النهار ، فلما بلغهم مسير بشير هربوا ، وأصاب بشير نعما كثيرة ، وأسر رجلين ، فقدم بهما إلى المدينة ، إلى رسول الله ﷺ فأسلما .

- سرية أبي حَدْرد الأسلمي إلى الغابة ، ذكرها ابن القيم في سرايا السنة السابعة قبل عمرة

القضاء ، وملخصها أن رجلا من جُشَم بن معاوية أقبل في عدد كبير إلى الغابة ، يريد أن يجمع قيسا على محاربة المسلمين . فبعث رسول الله ﷺ أبا حدرد مع رجلين فاختار أبو حدرد خطة حربية حكية ، وهزم العدو هزيمة منكرة ، واستاق الكثير من الإبل والغنم .

* ولما أهلّ هلال ذي القعدة خرج رسول الله ﷺ لعمرة القضاء في ألفين من أصحابه سوى النساء والصبيان ، وقد خرج معه كلّ من شهد الحديبية إلا من استشهد ، وفي هذه العمرة تزوج رسول الله ﷺ بميمونة بنت الحارث العامريّة رضي الله عنها .

* وفي ذي الحجة من سنة سبع أرسل رسول الله ﷺ ابن أبي العوجاء في سريّة قوامها خمسون رجلا إلى بني سُلَيم ليدعوهم إلى الإسلام فقالوا : لا حاجة لنا إلى ما دعوتنا ثمّ قاتلوا قتالا شديداً جرح فيه ابن أبي العوجاء وأسر رجلان من العدوّ .

* ومن أحداث هذه السنة ردّه عليه الصلاة والسلام ابنته زينب على زوجها أبي العاص ابن الربيع بعدما أسلم .

وكعادتنا في هذا القسم نذكر فيه ما هو ألصق بما اصطلح على تسميته بالسيرة النبوية ونركز على ما ورد فيه قرآن أو ما ورد له ذكر في أصول هذا الكتاب أو ما اشتهر من أحداث السيرة بحيث لا يليق بالكتاب ألا يعرج عليه ، ولقد أشير في القرآن إلى غزوة خيبر وعمرة القضاء وإلى حادثة أسامة فنحن عاقدون لهذه ثلاثة فصول ، وقد ذكرت في أصولنا غزوة الرقاع وقدوم جعفر وسريّة أبان بن سعيد ونحن عاقدون لكلّ منها فصلا على تسلسل وقوعها :

فصل : : في سريّة أبان بن سعيد إلى خيبر .

فصل : في غزوة خيبر .

فصل : في غزوة الرقاع .

فصل : في سريّة غالب بن عبد الله الليثي إلى بني المُلَوَّح .

فصل : في عمرة القضاء .

ولنلق قبل البدء نظرة كليّة على أحداث هذه السنة :

بعد صلح الحديبيـة أمن الرسول ﷺ أمنـا مبـاشرا من قريش ومن دخل معها في هـذا الصلح ، وأمن بالتالي من أن تجتمع عليه الجزيرة العربية كلّها مرّة ثانية ، ولم يعد هنـاك مـا يمكن أن يشكّل تهديدا مباشرا للدولة إلا جهة واحـدة وهي جهـة الشمال ، ففي هـذه الجهـة أربع تجمعات لليهود في خيبر ووادي القرى وفدك وتيماء ، وهذه التجمعـات متّصلـة اتّصـالاً مباشراً بعدد من القبائل العربيّة أهمّها غطَفان ، فلو أنّها اتّحـدت لشكلت خطرا أمّـا من عـدا هؤلاء وإلى دائرة واسعة حول المدينة المنورة فلا خطر فهناك قبـائل متفرقـة لاتُفكّر إلا في السلب والنهب وكانت سياسة الرسول مع هذه القبائل تقوم على إشعارها بالحركـة المستّمرة من خلال البعوث والسرايـا ، وهـذه البعوث والسرايـا كانت تحقـق هـدفين : إشعـار هـؤلاء بـالإسـلام ليفكّروا ، وتثبيتهم حتّى لا يهاجموا ، وتحركات رسـول الله ﷺ وصلت في هـذا العـام إلى الطائف (تربة) وإلى نجد (غزوة الرقاع) ، أمّا خيبر ووادي القرى وفدك وتيماء فقـد قرر السيطرة عليها وكانت خطّته ألا يعطيها فرصة التجمّع مع غطفـان وقـد نجح في إنهـاء خيبر ولم تستطع غطفان أن تفعل شيئاً ثمّ ذابت بعد ذلك في الإسلام .

وهكذا أصبحت دائرة أمن المـدينـة ممتـدة غربـا حتّى السـاحل وجنوبـا حتّى الطـائف وشمالاً حتّى حدود الشام وشرقا حتّى حدود نجد ، وأمّا الدائرة التي تلي هـذا فقـد اخترقتهـا الدعوة الإسلاميّة السلمية بواسطة الرسائل والدعاة فـأصبح قسم كبير من الخليج مسلـما وقسم كبير من اليمن مسلما ، وبقيت جهات كثيرة تفكر وتنتظر ، وكلّ يوم يأتي كان يـدنيهـا من الإسلام والطاعة والانقيـاد ، وجـاءت ضربـة خيبر فـأزالت الكثير من التردد ، ثم جـاء فتح مكة في السنة الثامنة منه فكانت الضربة النهائية .

* * *

فصل : في سريّة أبانَ بن سعيد إلى خيبر

٥٢٧ - * روى البخاري وأبو داود عن عَنبَسةَ بن سعيد أنّ أبا هريرةَ رضي الله عنه أتى النبيَّ ﷺ فسألَهُ ، قال له بعض بني سعيدِ بن العاص : لا تُعطهِ ، فقال أبو هريرةَ : هذا قاتلُ ابن قَوقَل ، فقال : واعجباً لوَبْرٍ تَدلّى من قَدوم الضأن .

وفي رواية (١) : « أنَّ أبانَ بن سعيد أقبلَ إلى النبي ﷺ فسلّمَ عليه ، فقال أبو هريرةَ : يا رسولَ الله ، هذا قاتلُ ابن قوقل . وقال أبان لأبي هريرة : واعجباً لك وَبْرٌ تَدَأْدأَ من قَدوم ضأن ، يَنعىٰ عليَّ امرَءاً أكرَمهُ اللهُ بيدي ، ومنعَه أن يُهينَني بيده .

قال البخاري (٢) ويُذكر عن الزُّبيديّ عنِ الزُّهريّ قال : أخبرَني عَنبسةُ بن سعيد أنه سمعَ أبا هريرةَ يُخبرُ سعيدَ بن العاص قال: بعثَ رسولُ اللهِ ﷺ أبانَ على سَريةٍ منَ المدينة قِبلَ نَجد ، قال أبو هريرةَ : فَقدِمَ أبانُ وأصحابهُ على النبي ﷺ بخيبر بعدَما افتتَحها وإنَّ حُزْمَ خَيلهم لَليفٌ . قال أبو هريرة : قلت يا رسول الله ، لا تَقسِم لهم . قال أبانُ : وأنتَ بهذا ياوَبْرُ تَحدَّرَ من رأس ضأن . فقال النبيُّ ﷺ : « يا أبانُ أجلِس » فلم يَقسِمْ لهم .

قال في الفتح : وأما أبان فهو ابن سعيد بن العاص بن أمية ، وهو عم سعيد بن العاص الذي حدثه أبو هريرة ، وكان إسلام أبان بعد غزوة الحديبية ، وقد ذكرنا أولا في قصة

---

٥٢٧ - البخاري (٧ / ٤٩١) ٦٤ - كتاب المغازي - ٣٨ - باب غزوة خيبر .

وأبو داود (٣ / ٧٣) كتاب الجهاد - باب فيمن جاء بعد الغنيمة لاسهم له .

هذه رواية البخاري وأبي داود ، إلا أن أبا داود قال في الروايتين : « قَدوم ضال » .

لوبْرٍ تدَلّيَ من قَدوم ضالٍ : تَدلّى : تعلّقَ من فوق إلى أسفل ، والقَدوم : ما تَقدّم من الشّاة ، وهو رأسُها ، وقادمةُ الرّجُل : خلاف آخرَته ، وإنّما أراد احتقاره ، وتَصغّر قَدْره عنده ، وأنه مَثلُ الوَبْر الذي يتدلّى من رأس الضأن ، يعني : الشاء ، في قلة المنفعة والمبالاة .

(١) البخاري (٧ / ٤٩١) .

في الرواية الأخرى « تدأدأ » إن كانت صحيحة ، فنرى : أنها من الدَّيداء : وهو أشدُّ عدو البعير ، يقال : دأدأ وتَدأدأ دأدأة وديداءً .

وقال الخطابي : (الوبر) : جمع وبرة ، وهي دُوَيْبة في مقدار السِّنَّور أو نحوه .

(٢) البخاري (٧ / ٤٩١) .

قوله : « وأنت بهذا » كلامٌ فيه اختصارٌ وإضمارٌ ، معناه : وأنت المتكلم بهذه الكلمة .

و « ضالٌ » باللام : جبل أو موضع فيما يقال ، يريد بهذا الكلام : تصغير شأنه ، وتوْهينَ أمرِهِ

الحديبية في الشروط وغيرها أن أبان هذا أجار عثمان بن عفان في الحديبية حتى دخل مكة وبلغ رسالة رسول الله ﷺ ، وتقدم في هذه الغزوة أن غزوة خيبر كانت عقب الرجوع من الحديبية ، فيشعر ذلك بأن أبان أسلم عقب الحديبية حتى أمكن أن يبعثه النبي ﷺ في سرية ، وقد ذكر الهيثم بن علي في الأخبار سبب إسلام أبان ، فروى من طريق سعيد بن العاص قال : قتل أبي يوم بدر ، فرباني عمي أبان ، وكان شديداً على النبي ﷺ يسبه إذا ذكر ، فخرج إلى الشام فرجع فلم يسبه ، فسئل عن ذلك ، فذكر أنه لقي راهبا فأخبره بصفته ونعته ، فوقع في قلبه تصديقه ، فلم يلبث أن خرج إلى المدينة فأسلم ، فإن كان هذا ثابتا احتمل أن يكون خروج أبان إلى الشام كان قبل الحديبية .

قيل وقع في إحدى الطريقين ما يدخل في قسم المقلوب ، فإن في رواية ابن عيينة أن أبا هريرة السائل أن يقسم له ، وأن أبان هو الذي أشار بمنعه . وفي رواية الزبيدي أن أبان هو الذي سأل ، وأن أباهريرة هو الذي أشار بمنعه ، وقد رجح الذهلي رواية الزبيدي . ويؤيد ذلك وقوع التصريح في روايته بقول النبي ﷺ يا أبان اجلس . ولم يقسم لهم ، ويحتمل أن يجمع بينهما بأن يكون كل من أبان وأبي هريرة أشار أن لا يقسم للآخر ، ويدل عليه أن أبا هريرة احتج على أبان بأنه قاتل ابن قوقل ، وأبان احتجّ على أبي هريرة بأنّه ليس ممن له في الحرب يد يستحق بها النفل ، فلا يكون فيه قلب ، وقد سلمت رواية السعيدي من هذا الاختلاف ، فإنّه لم يتعرض في حديثه لسؤال القسمة أصلا . والله أعلم . ا . هـ فتح .

فائدة : الذي يبدو لي أنّ هذه السريّة كانت للفت الأنظار عن غزوة خيبر ، وتثبيت بعض القبائل التي يحتمل أن تمدّ خيبر ، فقد ورد في ابن هشام عن ابن إسحاق :

فبلغني أنّ غَطفان لما سمعت بِمَنْزِل رسول الله ﷺ من خَيْبَرَ جمعوا له ، ثم خرجوا لِيُظَاهِروا يهود عليه ، حتى إذا ساروا منقلة ـ مرحلة ـ سمعوا خَلْفَهم في أموالهم وأهْلِيهم حسا ، وظَنُّوا أن القوم قد خالفوا إليهم ، فَرجعوا على أعقابهم ، فأقاموا في أهليهم وأموالهم ، وخلّوا بين رسولِ الله ﷺ وبين خيبر .

* * *

فصل : في غزوة خيبر ووادي القرى

تقديم :

- في شمال المدينة المنورة وفي الطريق إلى الشام تقع خيبر وفدك ووادي القرى وتيماء وهي مناطق خصبة وتتشابك هذه المناطق الأربعة بصلات واسعة مع بدو المنطقة غطفان .

- ولو أنّ الرسول ﷺ سيطر على هذه المنطقة لترتّب على ذلك أن تتوسّع دائرة نفوذ الدولة ويصبح الطريق إلى الشام مفتوحا ويقوى اقتصاد الدولة الناشئة ويسقط السلطان السياسي لمركز من مراكز التجمّع ، وينتهي احتمال من احتمالات خطر التألب .

- ولكنّ الخصوم أقوياء والحصون كثيرة فهناك ثمانية حصون رئيسيّة في منطقة خيبر وحدها ومع ذلك فقد سيطر رسول الله ﷺ على خيبر وفدك ووادي القرى وتيماء وأنهى أيّ تطلّع عند القبائل للإمداد فدخلت في سلطانه بعد ذلك . وكانت خسائره في هذا كلّه على أعلى تقدير ثلاثة وعشرين شهيداً ، وكانت وسائله في ذلك إحكام الخطّة والسّرية والمفاجأة ، فلقد ثبت القبائل فلا تمدّ خيبر من خلال عمليّات بسيطة أشعر بها هذه القبائل أنّها مستهدفة وأن غزوة متّجهة إليها فقطع بذلك الإمداد وفاجأ خيبر دون أن يعطيها فرصة فلمّا انتهت انتهى كلّ شيء تقريبا ، وخيبر هذه سمّها منطقة أو مقاطعة أو بلدا ، لكنّها في كل الأحوال تتألّف من مجموعة حصون وقلاع .

قال المباركفوري :

وكانت خيبر منقسمة إلى شطرين ، شطر فيها خمسة حصون :

١ - حصن ناعم .

٢ - حصن الصعب بن معاذ .

٣ - حصن قلعة الزبير .

٤ - حصن أبي .

٥ - حصن النزار .

والحصون الثلاثة الأولى تقع في منطقة يقال لها النَّطاة ، وأما الحصنان الآخران فيقعان في منطقة تسمى بالشق .

أما الشطر الثاني ، ويعرف بالكتيبة . ففيه ثلاثة حصون فقط :

١ ـ حصن القَموص (كان حصن بني أبي الحُقَيق من بني النضير) .

٢ ـ حصن الوَطيح .

٣ ـ حصن السُّلالم .

وفي خيبر حصون وقلاع غير هذه الثانية ، إلا أنها كانت صغيرة لا تبلغ إلى درجة هذه القلاع في مناعتها وقوتها . أ هـ .

وقد افتتح رسول الله ﷺ هذه المنطقة كلّها مع وادي القرى بأبسط جهد وأقلّ خسارة . قال المباركفوري :

وجملة من استشهد من المسلمين في معارك خيبر ستة عشر رجلا ، أربعة من قريش وواحد من أشجع ، وواحد من أسلم ، وواحد من أهل خيبر ، والباقون من الأنصار .

ويقال : إن شهداء المسلمين في المعارك ١٨ رجلا وذكر العلامة المباركفوري ١٩ رجلاً ثم قال : إني وجدت بعد التفحص ٢٣ اسما ، واحد منها في الطبري فقط ، وواحد عند الواقدي فقط ، وواحد مات لأجل أكل الشاة المسمومة وواحد اختلفوا هل قتل في بدر أو خيبر ، والصحيح أنه قتل في بدر .

أما قتلى اليهود فعددهم ثلاثة وتسعون قتيلا . أ هـ .

وفي ذلك درس للذين يقودون العمل الإسلامي أن يعرفوا كيف يحققون أعظم الأهداف من أقرب طريق وهاك خريطة تعينك على الرؤية البصيرة للحركة العسكريّة بما فيها التحرّك نحو خيبر ووادي القرى نقلا عن السيرة النبويّة لأبي الحسن الندوي .



مساكن القبائل الهامة ومواقع الغزوات الإسلامية
البحر المتوسط
الفرات
دجلة
تغلب
همدان
غذرة
لخم
بلي
مؤتة
الكوفة
دومة الجندل
كلب
جذام
طي
أسد
عبس
غطفان
تبوك
قضاعة
وادي القرى
خيبر
ذات الرقاع
سليم ومزينة
عامر
المدينة
تميم
يربوع
حنيفة
الخليج العربي
عبد القيس
بحر عمان
مسقط
عمان
الأزد
هوازن
لحيان
ثقيف
ذكوان
رابغ
مكة
جدة
مذحج
همدان
خثعمة
كندة
الأزد (شنوءة)
الحارث
خولان
صنعاء
البحر الأحمر
١- الحديبية
٢- الطائف
٣- حنين
٤- الأبواء
٥- صفوان
٦- حمراء الأسد
٧- بدر
٨- ذو العشيرة
٩- بواط
١٠- قينقاع
١١- أحد
١٢- الأحزاب
١٣- قرقرة الكدر
١٤- السويق
مدن كبيرة
مواقع الغزوات
مساكن القبائل
أميال
١٠٠ ٠ ١٠٠ ٢٠٠ ٣٠٠ ٤٠٠ ٥٠٠

٥٢٨ - * روى مسلم عن سلمة بن الأكوع بعد أن تحدّث عن مطاردته لعبد الرحمن الفزاري قال : فَوَاللهِ ! مَا لَبِثْنَا إلا ثَلاثَ لَيَالٍ حَتَّىٰ خَرَجْنَا إلىٰ خَيبر مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ : فَجَعَلَ عَمِّي عَامِرٌ يَرْتَجِزُ بِالْقَوْمِ :

تَاللهِ ! لَوْلا اللهُ مَا اهْتَدَيْنَا وَلا تَصَدَّقْنَا وَلا صَلَّيْنَا
وَنَحْنُ عَنْ فَضْلِكَ مَا اسْتَغْنَيْنَا فَثَبِّتِ الأَقْدَامَ إن لاقَيْنَا
وَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ « مَنْ هَذَا ؟ » قَالَ : أَنَا عَامِرٌ . قال : « غفر لك ربُّك »قَالَ : وَمَا اسْتَغْفَر رَسُولُ اللهِ ﷺ لإنْسَانٍ يَخُصُّهُ إلا اسْتُشْهِدَ . قَالَ : فَنَادَىٰ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ ، وَهُوَ عَلىٰ جَمَلٍ لَهُ : يَانبي اللهِ ! لَوْلا مَا مَتَّعْتَنَا بِعَامِرٍ . قَالَ : فَلَمَّا قَدِمْنَا خَيْبَرَ قَالَ : خَرَجَ مَلِكُهُمْ مَرْحَبٌ يَخطِرُ بِسَيفِهِ وَيَقُولُ :

قَدْ عَلِمتْ خَيْبَرُ أَنّي مَرْحَبُ شَاكِي السِّلاَحِ بَطَلٌ مُجَرَّبُ
إذَ الْحُرُوبُ أَقْبَلَتْ تَلَهَّبُ

قَالَ : وَبَرَزَ لَهُ عَمي عامر ، فَقَالَ :

قَدْ عَلِمتْ خَيْبَرُ أَنّي عَامِرُ شَاكِي السِّلاح بَطَلٌ مُغَامِرُ

قَالَ : فَاخْتَلَفَا ضَرْبَتَينِ . فَوَقَعَ سَيْفُ مَرْحَبٍ فِي تُرْسِ عَامِرٍ . وَذَهَب عَامِرٌ يَسْفُلُ لَهُ . فَرَجَعَ سَيْفُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ . فَقَطَعَ أَكْحَلَهُ . فَكَانَتْ فِيها نَفْسُهُ .

---

٥٢٨ - مسلم (٣ / ١٤٤٠) ٣٢ - كتاب الجهاد والسير - ٤٥ - باب غزوة ذي قرد وغيرها .

فجعل عمي : هكذا قال : هنا : عمي . وقد سبق في حديث أبي الطاهر عن ابن وهب أنه قال : أخي . فلعله كان أخاه من الرضاعة ، وكان عمه من النسب .

يخطر بسيفه : أي يرفعه مرة ويضعه أخرى . ومثله : خطر البعير بذنبه يخطر ، إذا رفعه مرة ووضعه أخرى .

شاكي السلاح : أي تام السلاح : يقال : شاكي السلاح ، وشاكّ السلاح ، وشاكٌ في السلاح ، من الشوكة وهي القوة . والشوكة أيضاً السلاح . ومنه قوله تعالى ﴿ وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ﴾ .

بطل مجرب : أي مجرب بالشجاعة وقهر الفرسان ، والبطل الشجاع ، يقال بطُل الرجل يبطل وبطولة إذا صار شجاعاً .

يسفل له : أي يضربه من أسفله .

قَالَ سَلَمَةُ : فَخرجْتُ فَإذَا نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ يَقُولُونَ : بَطَلَ عَمَلُ عَامِرٍ . قَتَلَ نَفْسَهُ . قَالَ : فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَأَنَا أَبْكِي . فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ! بَطَلَ عَمَلُ عَامِرٍ ؟ . قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ « مَنْ قَالَ ذَلِك ؟ » قَالَ قُلْتُ : نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِكَ .قَالَ :« كَذَبَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ ، بَلْ لَهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ » . ثُمَّ أَرْسَلَنِي إِلَىٰ عَلِي ، وَهُوَ أَرْمَدُ . فَقَالَ : « لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ رَجُلاً يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ ، أَوْ يُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ » قَالَ : فَأَتَيْتُ عَلِيًّا فَجِئْتُ بِهِ أَقُودُهُ ، وَهُوَ أَرْمَدُ . حَتَّىٰ أَتَيْتُ بِهِ رَسُولَ اللهِ ﷺ . فَبَسَقَ فِي عَيْنَيْهِ فَبَرَأَ وَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ . وَخَرَجَ مَرْحَبٌ فَقَالَ :

قَدْ عَلِمتَ خَيْبَرُ أَنِّي مَرْحَبُ شَاكِي السِّلاحِ بَطَلٌ مُجَرَّبُ
إِذَا الْحُرُوبُ أَقْبَلَتْ تَلَهَّبُ

فَقَالَ عَلِيٌّ :

أَنَا الَّذِي سَمَّتْنِي أُمِّي حَيْدَرَهْ كَلَيْثِ غَابَاتٍ كَرِيهِ الْمَنظَرَهْ
أُوفِيهِمْ بِالصَّاعِ كَيْلَ السَّنْدَرَهْ

قَالَ : فَضَرَبَ رَأْسَ مَرْحَب فَقَتَلَهُ . ثُمَّ كَانَ الْفَتْحُ عَلَىٰ يَدَيْه .

قال النووي في تهذيب الأسماء واللغات :

اختلفوا في قاتل مرحب فقيل علي بن أبي طالب ، وقال ابن عبد البر في كتابه مختصر السيرة قال محمد بن إسحاق : إن محمد بن مسلمة هو الذي قتل مرحبا اليهودي بخيبر ، قال وخالفه غيره فقال بل قتله علي بن أبي طالب (قال ابن عبد البر) هذا هو الصحيح عندنا . ثم روى ذلك بإسناده عن بريدة وسلمة بن الأكوع ، (قال الشافعي) في المختصر : نفل النبي

= كذب من قال : كذب ، هنا بمعنى أخطأ .

وهو أرمد : قال أهل اللغة : يقال رمِد الإنسان يرمَد رمدا فهو رَمِد وأرمد . إذا هاجت عينه .

أنا الذي سمتني أمي حيدرة : حيدرة اسم للأسد . وكان عليّ رضي الله عنه قد سُمي أسداً في أول ولادته . وكان مرحب قد رأى في المنام أن أسدا يقتله . فذكره عليّ رضي الله عنه بذلك ليخيفه ويضعف نفسه . وسمي الأسد حيدرة لغلظه . والحادر الغليظ القويّ . ومراده : أنا الأسد في جراءته وإقدامه وقوته .

أوفيهم بالصاع كيل السندرة : معناه أقتل الأعداء قتلا واسعا ذريعا . والسندرة مكيال واسع . وقيل : هي العجلة . أي أقتلهم عاجلا . وقيل : مأخوذ من السندرة : وهي شجرة الصنوبر يعمل منها النبل والقسيّ .

ﷺ يوم خيبر محمد بن مسلمة سلب مرحبا ذكره في أول باب جامع السير، وهذا تصريح منه بأن قاتله محمد بن مسلمة، (وقال ابن الأثير) الصحيح الذي عليه أكثر أهل السير والحديث أن عليا هو قاتله، قال المصنف رحمه الله : قلت : وفي صحيح مسلم بإسناده عن مسلمة بن الأكوع التصريح بأن عليا هو الذي قتله انتهى ما ذكره النووي في التهذيب . أ هـ .

٥٢٩ - * روى البخاري عن سويد بن النُّعمان رضي الله عنه أنه خرج مع النبيِّ ﷺ عام خيبرَ حتى إذا كنا بالصَّهْباء - وهي أدنى خيبر - صلى العصرَ، ثم دعا بالأزوادِ، فلم يُؤتَ إلا بالسَّوِيق، فأمَرَ به ،فثُرِّيَ فأكل وأكلنا، ثم قام إلى المغرِب، فمضمض ومضمضنا، ثم صلَّى ولم يتوضأ .

٥٣٠ - * روى البخاري عن أنس بن مَالِكٍ رَضي الله عنه أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أتى خيبرَ ليْلاً، وَكَانَ إذَا أَتَى قَوْماً بِلَيْلٍ لَمْ يقربْهم حَتَّى يُصْبح، فلما أصبح خَرَجَت اليَهودُ بمساحيهمْ وَمَكَاتِلِهِمْ، فَلَمَّا رَأَوهُ قَالُوا : مُحمدٌ وَاللهِ، محمدٌ والخميسُ، فَقالَ النبي ﷺ : « خَرِبتْ خَيْبَرُ إنَّا إذا نَزلنَا بِسَاحَةِ قومٍ فَسَاءَ صَبَاحُ المُنْذَرِينَ » .

٥٣١ - * روى الإمام أحمد عن أبي طَلْحة قَالَ : صَبَّحَ نبي الله ﷺ خَيْبَر وَقَدْ أَخذُوا مسَاحِيهم وَغَدَوْا إلى حُرُوثِهم فلما رأوا نبيَّ اللهِ ﷺ مَعَه الجَيْشُ نَكَصُوا مُدْبِرين . فَقَال نَبي الله

---

٥٢٩ - البخاري (٧ / ٤٦٣) ٦٤ - كتاب المغازي - ٣٨ - باب : غزوة خيبر .

والنسائي (١ / ١٠٨) كتاب الطهارة - المضمضة من السويق ، والموطأ (١ / ٢٦) .

فثرى : من ثرى : الترية تثرية بلّها . وصبّ عليه ماء ثمّ لتّه أي دقّه وسحقه .

٥٣٠ - البخاري (٧ / ٤٦٧) ٦٤ - كتاب المغازي - ٣٨ - باب غزوة خيبر .

ومسلم (٣ / ١٤٢٧) ٣٢ - كتاب الجهاد والسير - ٤٣ - باب غزوة خيبر .

الخميس : الجيش الكبير .

٥٣١ - أحمد (٤ / ٢٨) .

وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٤٩) وقال : رواه أحمد والطبراني بأسانيد ، ورجال أحمد رجال الصحيح .

المسحاة : المجرفة من الحديد ، والمكتل كالزنبيل يسع خمسة عشر صاعاً .

نكص : أحجم ورجع .

والحديث يدلّ على أنّ المفاجأة كانت كاملة .

ﷺ : « الله أكبرُ الله أكبر خَرِبَتْ خَيْبَر ، إنَّا إذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْم فَسَاءَ صباح المُنْذرين » .

٥٣٢ ـ * روى البخاري عن عبد اللهِ بن مغفل رَضِي اللهُ عنهُ قَالَ : كُنا مُحاصِري خَيبَر ، فَرَمَى إنسانٌ بِجِرَاب فيه شَحْم ، فَنَزَوْتُ لآخُذَهُ ، فَالتَفَتُّ ، فإذا النبيُّ ﷺ ، فاسْتَحْيَيتُ .

ولمسلم (١) قال : أصبْتُ جِرَاباً مِن شَحْمٍ يومَ خَيْبَر ، قَالَ : فَالتَزَمْتُهُ ، فقلت ، لا أُعْطِي اليَوْمَ أحداً مِنْ هَذَا شَيْئاً ، فَالتَفَتُّ ، فَإذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مُتَبَسِّماً .

وَفي روَاية أبي داودَ والنَّسائي (٢) قَال : دُلِّيَ جِرابٌ من شَحْم عمرٍو يوم خَيْبَر ، فأتيتُه فالتزمتُه ، قَال : ثم قُلتُ ... وَذَكَر رواية مسلمٍ ـ وَقَالَ : يَتَبَسَّمُ إليَّ .

٥٣٣ ـ * روى الإمام أحمد عن أبي اليَسر كعب بنِ عُمَرو قَالَ : واللهِ إنا لَمَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشيةً ، إذْ أقْبلتْ غنمٌ لِرَجُلٍ مِنْ يَهُودٍ تُرِيدُ حِصْنَهُم ، وَنَحْنُ مَحَاصِرُوهُم ، إذ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلم « مَنْ رجل يُطْعِمُنَا مِنْ هذهِ الغنم » قلت : أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ ، قَالَ : « فافْعل » : فَخَرَجْتُ اشْتَدُّ مِثْل الظَّلِيم ، فَلَمَّا نَظَرَ إلىَّ رسولُ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم مُوَلِّياً ، قَالَ : « اللهمَّ أَمْتِعْنَا به » قال فَأدْرَكتُ الغَنَمَ وَقَد دخلت أوَائلها الحِصْنَ ، فَأَخَذْتُ شَاتَيْنِ مِنْ أخراها فاحتَضَنْتُهما تَحْتَ يَدِي ، ثُمَّ أقْبلتُ بهمَا أشْتَد ، كَأنَّه لَيْسَ مَعيَ شَيءٌ حَتَّى أَلْقيتُهُمَا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَذَبَحُوهُمَا وَأَكَلُوهُمَا ، فَكَانَ أَبُوْ اليَسَر مِنْ آخِرِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى الله عَليهِ وَسَلَّمَ هَلاكا ، فَكَانَ إذَا حَدَّثَ بِهذَا الحَدِيثِ بَكَى ، ثُمَّ يَقُولُ : أُمْتِعوا بِي لَعَمري كُنْتُ آخرَهُم .

---

٥٣٢ ـ البخاري (٧ / ٤٨١) ٦٤ ـ كتاب المغازي ـ ٣٨ ـ باب : غزوة خيبر .

فَنَزَوْتُ : النَّزْو : الوثوب على الشيء .

(١) مسلم (٣ / ١٣٩٣) ٣٢ ـ كتاب الجهاد والسير ـ ٢٥ ـ باب جواز الأكل من طعام الغنية في دار الحرب .

(٢) أبو داود (٣ / ٦٥) كتاب الجهاد ـ باب في إباحة الطعام في أرض العدو .

والنسائي (٧ / ٢٣٦) كتاب الضحايا باب ذبائح اليهود .

٥٣٣ ـ أحمد (٣ / ٤٢٧) ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٤٩) .

الظليم : ذكر النعام .

توفي أبو اليَسَرَ بالمدينة سنة خمس وخمسين وقد زاد على المائة .

٥٣٤ ـ * روى البخاري عن سلمةَ بن الأكوعِ رضي الله عنه قال : خرجنَا معَ النبي ﷺ إلى خَيْبرَ ، فَسِرْنا ليلاً ، فَقَالَ رَجُل مِنَ القَوْمِ لِعَامرٍ يا عامر ألا تُسْمِعُنا من هُنَيْهَاتِك ؟ وكان عامرٌ رَجُلاً شَاعراً ، فنزل يَحْدو بالقَوْمِ ، يقول :

اللَّهُم لولا أنتَ مَا اهتَدَيْنَا ... وَلا تَصَدَّقْنَا ولا صَلَّيْنَا
فَاغفِرْ فِداءً لَكَ مَا اتقينا ... وثَبِّتِ الأقْدَامَ إنْ لاقيْنَا
وَأَلْقِيَنْ سَكينَةً عَلَيْنَا ... إنَّا إذَا صيحَ بِنَا أبينا
وَبِالصِّياحِ عَوَّلُوا عَلَيْنَا

فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ :« مَنْ هَذَا السَّائِقُ ؟ » قَالُوا : عامرُ بن الأكْوَع ، قال : « يَرْحَمُهُ الله » قَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ : وَجَبَتْ يا نبيَّ اللهِ ؛ لَولاَ أَمْتَعْتَنابه ! قَالَ : فَأَتَيْنَا خيبرَ ، فَحَاصرْنَاهُم ، حتَّى أصابتنا مَخْمَصَةٌ شديدةٌ ، ثم إنَّ الله تعالى فَتَحَهَا عَلَيْهِمْ ، فلَمَّا أمْسَى النَّاسُ مساءَ اليومِ الذي فُتِحَت عَلَيْهِم أوقَدُوا نيراناً كَثيرةً ، فقال النبي ﷺ : « مَا هذهِ النيرانُ ؟ عَلَى أيِّ شيءٍ تُوقِدُونَ ؟ » قَالُوا : عَلَى لَحْمٍ ، قَالَ : « عَلَى أيِّ لَحْمٍ ؟ » قَالُوا : لَحمَ حُمُرِ الإنسية فقال النبي ﷺ : « أهْرِيقُوهَا واكْسِرُوها » فَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللهِ ، أو نُهَرِيقُهَا ونَغسِلُها ؟ قَالَ : « أوْ ذَاكَ » فَلَما تصافَّ القومُ كان سَيفُ عامرٍ فيهِ قِصَراً ، فَتَنَاوَلَ به ساق يَهُودِي لِيَضْرِبه ، ويرجع ذُبابُ سَيفِهِ ، فَأَصَابَ عَيْن رُكبة عامرٍ فمات منه ، فَلَمَّا قَفَلوا ، قَالَ سَلَمةُ : رَآني رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ آخذ بِيَدي قال :

---

٥٣٤ ـ البخاري (٧ / ٤٦٣) ٦٤ ـ كتاب المغازي ـ ٣٨ ـ باب غزوة خيبر . ومسلم (٣ / ١٤٢٧) ٣٢ ـ كتاب الجهاد والسير ـ ٤٣ ـ باب غزوة خيبر .

هُنَيْهاتِكَ : هنيهاتك وهُنَيَّاتك ، يعني : الأشياءَ التي تظهر منه مما يُستغربُ ويستظرف ويُسْتَحْسَن ويُشتهى ونحو ذلك .

وَجَبَتْ : قوله : وجبت ، أي وجبت الرحمة والمغفرة التي تَرَحَّم بها عليه ، يعني : أنه باستغفاره له وجبت له المغفرة ، وأنه يُقتَل شهيداً .

مَخمصَةٌ : المخمصةُ : المجاعة .

ذُبَاب السيف : طرفُه الذي يُضربُ به .

قَفَلُوا : قفل المسافر : إذا رجع من سفره .

=

« مَالَكَ ؟ » قُلتُ لَهَ : فداكَ أبي وَأُمِّي ، زَعَمُوا أنَّ عَامِراً حَبِطَ عَمَلُهُ ، قَالَ رَسُولَ اللهِ ﷺ : « كَذَبَ مَنْ قَالَهُ ، إنَّ لَهُ لأَجْرَيْن » وَجَمَعَ بَيْنَ إصْبعيهِ « إنَّهُ لَجَاهِدٌ مجاهدٌ ، قَلَّ عَربي مشى بِها مثْلَهُ » وفي رواية :« نَشَأَ بِها » .

ولم يقل مسلم : « نشأ بها » .

ولمسلم [١] قَالَ سَلَمَةُ : لَمَّا كَانَ يَوْمُ خَيْبَر قَاتَلَ أخِي قِتَالاً شَدِيداً مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَارْتَدَّ عَلَيه سَيْفهُ فَقَتَلَهُ ، فَقَالَ أصحابُ رسول الله ﷺ فِي ذلِكَ ـ وشكُّوا فيه ـ رجلٌ مات في سِلاَحِه وشكُّوا في بعض أمره قَالَ سلمةُ : فَقَفَل رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ خيبرَ ، فَقُلتُ : يا رسولَ اللهِ ، ائْذَنْ لي أنْ أَرْجزَ بِكَ ، فأذِنَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، فَقَالَ عمرُ بنُ الخطابِ : أَعلمُ ما تقولُ ، فقلتُ :

والله لولا اللهُ مَا اهْتَدَيْنَا ولا تصَدَّقْنا ولا صلّيْنَا

فقال رسولُ الله ﷺ : صَدَقْتَ .

فأنزِلَنْ سكينةً علَيْنَا وثبّت الأقْدامَ إنْ لاقَيْنَا
والمشركونَ قد بَغَوْا عَلَيْنا

فلما قضيتُ رَجَزي ، قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « مَن قَالَ هذا ؟ » قلتُ : قَالَه أخِي ، فَقَالَ رسولُ الله ﷺ : « يرحَمُه الله » قَالَ : فقلتُ : يا رسولَ اللهِ إن ناساً ليَهابُون الصلاةَ عَلَيْهِ ، يقولون : رجُلٌ ماتَ بسلاحِهِ ، فَقَالَ رسولُ الله ﷺ : « كَذَبُوا ، مات جاهِداً مُجاهِداً » .

قال ابن شهاب : ثم سألتُ ابناً لسلمةَ بن الأكوع ؟ فحدَّثني عن أبيهِ مثلَ ذلِك ، غير أنه قال ـ حينَ قلتُ : إنّ ناساً يهابُون الصلاة عليه فقال رسولُ الله ﷺ : « كَذَبُوا ، ماتَ

= حَبِطَ : عمله ، أي : بطل ، وضاع أجرهُ .

(١) مسلم (٣ / ١٤٢٩) ٣٢ ـ كتاب الجهاد والسير ـ ٤٣ ـ باب غزوة خيبر .

وقاله أخي : لعله أخوه من الرضاعة وعمه من النسب .

جاهداً : الجاهدُ : المبالغُ في الأمر الذي ينتهي إلى آخر ما يَجد ، والمجاهد : الغازي في سبيل الله تعالى .

يهابون الصلاة عليه : يعني الترحم .

جاهِداً مجاهِداً ، فله أجره مرتين ، وأشار بإصبَعَيْـه » .

وأخرجه أبو داود [١] مُخْتَصَراً قَالَ : لما كانَ يومُ خيبرَ قَاتَلَ أخِي قِتَالاً شَدِيداً ، فـارتـدَّ عَلَيْـهِ سيفُـه فقَتَلَـه ، فَقَـالَ أصحـابُ رسولِ اللهِ ﷺ في ذلِـك ـ وشكُّوا فِيـهِ : رجـلٌ مَـاتَ بِسِلاحِهِ ، فَقَالَ رسولُ الله ﷺ : « ماتَ جاهداً مُجاهداً » .

قال ابن شهاب : ثمَّ سألتُ ابناً لسلمةَ بنِ الأكوع . وذكر باقي الحديثِ إلى آخره .

وأخرجه النسائي [٢] مثل رواية مسلم المفردة بطولها ، وزاد : وأشار بإصبَعيْهِ .

٥٣٥ ـ * روى البخاري عن يزيد بن أبي عُبَيد قَالَ : رَأَيْتُ أَثَرَ ضَرْبَةٍ فِي سَاقِ سَلَمَةَ ، فَقُلتُ : يَاأَبَا مُسْلِم ، مَا هـذِهِ الضربـة فَقَـالَ : هـذِهِ ضَرْبَـةٌ أصـابتهـا يَوْمَ خَيْبَرَ ، فَقَـال النَّاسُ : أُصيب سَلَمَةُ ، فَـأَتَيْتُ النبي ﷺ ، فَنَفَثَ فيـه ثلاث نَفَثَـاتٍ ، فَمَـا اشْتَكيتُ حَتَّى السَّاعةَ .

٥٣٦ ـ * روى الحاكم عن الأَسْودِ بن سَرِيع رَضِي الله عَنْه ، أنَّ رسُولَ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْـهِ وَآلِهِ وَسَلَّم بَعَثَ سَرِيَّةً يَوم خَيبر فَقَاتَلوا المشْركِينَ فَأَمْضَى بِهِم القَتْلُ إلى الـذُّرِّيَّـة فَلَمَّـا جَـاءوا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيهِ وَآله وَسَلَّم : « مَا حَمَلَكم عَلَى قَتل الذرية » فَقَالُوا : يا رَسُولَ اللهِ إنما كانوا أَوْلادَ المشركِينَ قَال : « وَهَلْ خَيَاركُم إلا أَوْلادَ المشركِينَ ، وَالذي نَفْسُ مُحمـدٍ بيَده مَا مِنْ نسمَةٍ تولَدَ إلا على الفِطْرةِ ، حتى يُعربَ عنها لسَانُها » .

٣٥٧ ـ * روى الإمام أحمد عن بُرَيْـدةَ قَـالَ : حَـاصَرْنـا خَيبَرَ ، فَـأَخَـذَ اللِّوَاءَ أبو بَكْرٍ ، فَانْصَرفَ وَلَمْ يُفْتَحْ لَهُ ، ثُمَّ أَخَذَهُ مِن الغَدِ عُمَرُ ، فَخَرَجَ فَرَجَعَ وَلَم يُفْتَحْ لَهُ ، وَأَصَابَ الناسَ يَومَئِذٍ شِدّةٌ وَجَهْدٌ ، فَقَـالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « إِنِّي دَافِعُ اللِّوَاء غَـداً إِلَى رَجُلٍ يُحِبُّـهُ اللهُ

---

(١) أبو داود (٣ / ٢٠) كتاب الجهاد ، باب في الرجل يموت بسلاحه .

(٢) النسائي (٦ / ٣٠) كتاب الجهاد ، باب من قاتل في سبيل الله فارتد عليه سيفه فقتله .

٥٣٥ ـ البخاري (٧ / ٤٧٥) ٦٤ ـ كتـاب المغـازي ـ ٣٨ ـ بـاب غزوة خيبر .

وأبو داود (٣ / ١٢) كتاب الجهاد ، باب كيف الرقي ؟

٥٣٦ ـ الحاكم (٢ / ١٢٣) وسكت عنه ، وأقره الذهبي وقال : تابعه يونس عن الحسن حدثنا الأسود بهذا .

٥٣٧ ـ أحمد (٥ / ٣٥٣) . وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٥٠) وقال : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

ورَسُولَـهُ وَيُحبُّ اللهَ وَرَسُولَـهُ ، لاَ يرْجِعُ حَتَّى يُفْتَـحَ لَـهُ » فبِتْنَـا طَيِّبَـةً أنفُسُنَـا أنَّ الفَتْحَ غداً ، فَلَمَّا أصْبَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلَّى الغَـداة ، ثمَّ قَامَ قائِماً ، فَـدَعَـا بـاللِّوَاء والنَّـاسُ عَلَى مَصَافِّهِم ، فَدَعَا علياً وَهُوَ أرْمَـدُ ، فَتَفَل فِي عَيْنَيـهِ ، وَدَفَعَ إِليْـهِ اللِّوَاءَ ، وَفُتِحَ لَـهُ قَـالَ بُرَيْدةُ . وَأنَا فِيمَنْ تطَاوَلَ لَهَا .

٥٣٨ - * روى الطبراني عن عبْدِ الرَّحْمنِ بن أبي لَيْلَى قَـالَ : خَرَجَ عَلَيْنَـا عَليُّ بنُ أبي طَالِب فِي الحَرِّ الشَّدِيدِ وَعَليه ثِيَابُ الشتَاء وَخَرجَ عَلَينا فِي الشِّتَاء وَعَلَيْهِ ثِيَـابُ الصَّيْف ثُمَّ دَعَا بِمَا نَشُدُّ به ثمَّ مسَحَ العَرَق عَنْ جَبْهَتهِ ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى بَيْتِهِ ، فَقُلتُ لأَبي : يـاأَبَتَـاهُ ، أما رَأيْتَ مَا صَنَعَ أميرُ المؤمنين خَرَجَ عَلَيْنَا فِي الشِّتَـاء عَليْـه ثِيَـابُ الصَيْفِ ، وَخَرَجَ عَلَيْنَـا فِي الصَّيْفِ وَعَلَيهِ ثِيَابُ الشتاء فَقَالَ أبو لَيْلَى : مَا فَطِنْت ، فَأَخَذَ بِيَدِ ابنه ، فَأتى علياً فَقَالَ لَـهُ الذي صَنَعَ ، فَقَـالَ لَـهُ عَلِي : إنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيـهِ وَسَلَّم كَـانَ بَعَثَنِي وَأنَـا أرْمَـدُ ، فَبَزَقَ فِي عَيْنِي ، ثُمَّ قَالَ : افْتَح عَيْنَيكَ ، فَفَتَحْتُهَا فَمَا اشْتَكَيْتُهَا حَتَّى السَّـاعـةِ ، وَدَعَـا لِي فَقَالَ : « اللهمَّ أذْهِبْ عَنْهُ الحَرَّ وَالبَرْدَ » فَمَا وَجَدْتُ حَرًّا وَلا بَرْدا حَتَّى يَوْمِي هَذَا .

وفِي روايةٍ أُخْرَى عِنْدَه عن سُوَيدِ بنِ غَفَلَةَ قَالَ : لقينَـا علياً وعليـه ثوبـانِ فِي الشتـاء فقُلنا لا تَغتر بأرْضِنَا هذه فَـإنَّ أرضنـا هـذِهِ مَقَرَّةٌ ليستْ مثلَ أرضِـكَ . قَـالَ : فـإنِّي كُنتُ مَقْرورًا ، فَلَمَّـا بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْـهِ وَسلَّم إلى خَيبر قلت إنِّي أرْمَـدُ فَتَفَـلَ فِي عَيني فَمَا وَجَدْتُ حرًّا وَلا بَرْدا وَلا رَمِدتْ عَيْنَايَ .

٥٣٩ - * روى أحمد عن أبي سَعيدِ الخُدْري أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أخَذَ الرَّايَة فَهَزَّهَـا ثمَّ قَـالَ : « مَنْ : يَأْخُذُهَا بحَقِّها ؟» فَجَاءَ فُلانٌ فَقَـالَ : أنـا قـال: « أمِـطْ » ، ثُمَّ جَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ : « أمِطْ » ثمَّ قَـالَ النبيُّ ﷺ : « والـذِي كَرَّمَ وَجْـهَ مُحمـدٍ لأُعْطِينَّهـا رَجُلاً لاَ يَفِرُّ ، هَاكَ يَا عَلِيُّ » فَانْطَلَقَ حَتَّى فَتَحَ اللهُ عَلَيهِ خَيْبَرَ وفَدْكَ وَجَاءَ بِعَجْوَتِهما وَقَدِيدِهمَا .

---

٥٣٨ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ١٢٢) وقال : رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن .

عليه ثوبان : أي عليه ثياب خفيفة .

مَقَرَّة : أي باردة .

٥٣٩ - أحمد (٣ / ١٦) ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٥١) وقال : رواه أحمد ورجاله ثقات .

أمط : كلمة زجر بمعنى : تنحَّ .

٥٤٠ - * روى البخـاري عن سهلِ بن سَعـدٍ رَضيَ الله عَنـهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قـال يوم خيبر : « لأُعْطِيَنَّ الرَّايةَ غداً رَجلاً يَفْتَح اللهُ عَلَى يَدَيْهِ ، يحِـبُّ اللهَ وَرَسُولـه ، وَيُحبُّـهُ الله وَرَسُولُهُ » قَالَ : فَبَاتَ النَّاس يَدُوكُونَ لَيلَتَهُم أَيُّهم يُعطَاهَا ، فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّـاسُ غَـدَوْا عَلَى رَسُـولِ اللهِ ﷺ ، كُلُّهُم يَرْجُـو أَن يُعطَـاهَـا ، فَقَـالَ : « أَيْنَ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَـالِب ؟ » فَقِيلَ : هُوَ يَارَسُول اللهِ يَشْتَكِي عينيه قَالَ : « فَـأَرْسِلُوا إليـهِ »فَـأُتِي بـهِ فَبَصَقَ في عينيـه ودَعَا لـهُ ، فَبَرأ حتىَّ كَـأَنْ لم يَكُنْ بـهِ وَجَعٌ ، فَـأَعطـاهُ الرايـة ، فَقَـال عَلِيٌّ : يَـارَسُولَ اللهِ أُقَاتِلُهم حَتَّى يكُونوا مِثْلَنـا ؟ قَـالَ : « انْفُـذْ عَلَى رِسْلِـكَ ، حَتَّى تَنزلَ بِسَـاحتهِم ، ثُمَّ ادْعُهُم إلى الإسلام ، وَأَخبِرْهُم بِمَا يَجبُ عَلَيهِم مِنْ حَقِّ اللهِ فيـه فَوَاللهِ لأَن يَهْـدِيَ الله بكَ رَجُلاً وَاحداً خَيْرٌ لَكَ مِن أن يكون لكَ حُمْرُ النَّعَم » .

٥٤١ - * روى مسلم عن أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْـهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَـالَ يَـوْمَ خَيْبَر : « لأُعْطِيَنَّ هذهِ الرَّايةَ رَجُلاً يُحبُّ اللهَ ورَسُولَـه ، يَفْتَحُ الله عَلى يَـدَيْـهِ » قَـالَ عُمَرُ ابنُ الخطَّابِ : ما أَحْبَبْتُ الإمَارَةَ إلا يَوْمَئِذٍ ، قَالَ : فتَسَاوَرْتُ لَهَا رجَاء أَنْ أُدْعَى لَهَـا ، فَـدَعَـا رَسُولُ اللهِ ﷺ عليَّ بنَ أبي طَالِبٍ فَأَعْطَاهُ إيَّـاهَـا ، وَقَـالَ: «امْشِ وَلاَ تَلْتَفِتْ حَتَّى يَفْتَحَ اللهُ عَلَيكَ » ، قَالَ : فَسَارَ عليٌّ شَيْئاً ، ثُمَّ وَقَفَ وَلَم يَلْتفتْ ، فَصَرَخَ : يَا رسُولَ الله ، عَلَى مَاذا أُقَاتِلُ النَّاسَ ؟ قـال : « قَـاتِلْهُم حَتَّى يَشْهَـدُوا أَنْ لا إِلهَ إلا اللهُ ، وأَنَّ مُحَمَّـداً رَسُولُ اللهِ ، فَإذَا فَعَلُوا ذلِكَ فَقَدْ مَنَعُوا مِنْكَ دِمَاءَهُمَ وَأَمْوَالَهُم إلا بِحَقِّها ، وَحِسَـابُهم عَلَى اللهِ » .

---

٥٤٠ - البخاري (٧ / ٤٧٦) ٦٤ - كتاب المغازي - ٣٨ - باب : غزوة خيبر . وكـذا في (٦ / ١٤٤) ٥٦ - كتـاب الجهاد - ١٤٣ - باب : فضل من أسلم على يديه رجل .

ومسلم (٤ / ١٨٧٢) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٤ - باب : من فضائل علي بن أبي طالب .

يدوكون : بات القوم يدوكون دوكاً : إذا وقعوا في أخلاطٍ ودوران وخاضوا في أمر .

نَفَذ : في الأمر : إذا مضى فيه .

وعلى رِسْلك : أي : على حالتك وهيئتك .

٥٤١ - مسلم (٤ / ١٨٧١) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٤ - باب : من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

تَسَاوَرتُ لها : أي : ثُرْتُ وانزعجتُ وتطلَّعت ، والسُّورة : الثورة والحركة بحدّة ، يقـال : سـار الرجل يسور ، وهو سوَّار ، إذا ثار وزال عنه السكون الذي كان عليه ، هذا أصله ، ثم قد يكون عن غضب أو عن شيء يَتْبَعـه نفسـه ، فيريد أن يقف عليه .

٥٤٢ - * روى الطبراني عن أم سَلَمَـةَ وَكَـانَتْ فِيَ غَـزْوةِ خَيْبَرَ قَـالَتْ : سَمِعْتُ وَقْـعَ السَّيْفِ في أَسْنَان مَرْحبٍ .

٥٤٣ - * روى النسائي عن أنس أن النبي ﷺ غَزا خيبرَ فصلَّينا عندَهـا الغـداةَ بغَلَسٍ ، فركِب النبي ﷺ وركِبَ أبو طلحةَ ، وأنا رديفُ أبي طلحةَ ، فأخـذ نبي الله صلى الله عليـه وسلم في زُقَاقِ خيبرَ وإنّ رُكبتي لَتَمَسُّ فخذَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وإني لأرى بياضَ فخذِ نبي الله صلى الله عليه وسلم . فلمّا دخَل القريةَ قـالَ : « الله أكبرُ خَرِبتْ خيبرُ ،إنّـا إذا نزلنا بسـاحـةِ قومٍ فسـاءَ صبـاحُ المنـذَرين » قـالهـا ثلاث مرات . وخرجَ القومُ إلى أعمالهم . قال عبد العزيز : فقالُوا : محمدٌ والخميسُ وأصبناها عَنوة ، فجمع السبي ، فجاء دحيةُ فقالَ : يَارسولَ اللهِ أعطني جاريةً مِن السبي فقال : « اذهب فخذ جاريةً » فأخـذ صفيـةَ بنتَ حُيَيٍّ فجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يانبي اللهِ أعطيتَ دِحيةَ صَفية بنت حُيَيٍّ سيدة قُريظةَ والنضيرِ ما تصلُح إلا لك قال : « ادعُوه بِها » فجاء بها ، فلما نظر إليها ﷺ قال : « خُذْ جاريةً من السَّبْيِ غيرها » وأنَّ نبيَّ الله ﷺ أعتقها وتزوجها .

٥٤٤ - * روى الطبراني عن ابن شِهَابٍ فِي تسْمِيَـة مَنْ استُشهِـد يوم خَيْبَرَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ الأَنصارِ ثُمَّ بَني حارِثَة : محمودُ بنُ مسلمةَ فَذكروا أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لِمحَمَّـد بنِ مَسْلَمَة : « أَخُوك لَهُ أجْرُ شَهِيديْن » وَمِنْ بني زُرِيقٍ : مسعودُ بنُ سعدِ بن قَيس .

٥٤٥ - * روى أبو داود عَن أنس بن مَـالِـك أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ غَزَا خَيْبَر ، فَأَصَبْنَـاهَـا عَنْوةً ، فَجُمِعَ السَّبْي .

---

٥٤٢ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٥٢) وقال : رواه الطبراني ورجاله ثقات .

٥٤٣ - النسـائي (٦ / ١٣١) مطـولاً - كتـاب النكاح ، بـاب البنـاء في السفر . وكـذا في (١ / ٢٧١) كتـاب المواقيت - باب التغليس في السفر .

ومسلم (٣ / ١٤٢٦) ٣٢ - كتاب الجهاد والسير - ٤٣ - باب : غزوة خيبر .

عنوة : فتحت البلدة عنوة أي قهرا بغير صلح .

السّبي : سبى عدوّه سبيا وسباء : أسره . السبي : المأسور .

٥٤٤ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٥٥) وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

٥٤٥ - أبو داود (٣ / ١٥٩) كتاب الخراج والإمارة والفيء ، باب ما جاء من حكم أرض خيبر .

العنوة : القسر . السبي : الأسارى . ويطلق على النساء والصبيان خاصة .

٥٤٦ ـ * روى مسلم عن عَبـدِ اللهِ بنِ عَبَّـاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما قَـالَ : حَـدَّثني عمر بن الخطاب قَالَ : لَمَّا كَانَ يَوم خيبر أَقْبَلَ نفَرٌ مِن صحابـةِ النبيِّ ﷺ ، فَقَـالُوا : فُلانٌ شَهِيـدٌ ، فلانٌ شهيدٌ ، حَتَّى مَرُّوا عَلَى رَجُلٍ فَقَالُوا : فُلانٌ شَهِيـدٌ ، فَقَـالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « كلا ، إنِّي رأيتُهُ في النَّـارِ في بُرْدَةٍ غَلَّهـا ـ أو عَبـاءةٍ » ـ ثم قَـالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « يـا ابن الخطَّـابِ ، اذْهبْ فنـادِ في النَّـاسِ : إنَّـهُ لا يَـدْخُلُ الجنـة إلا المؤمنـونَ » ـ قَـال : فَخَرَجْتُ ، فَنَادَيْتُ : أَلا إنهُ لا يَدخُلُ الجنَّةَ إلا المؤمنونَ .

٥٤٧ ـ * روى أبو داود عن زيد بن خَالِدٍ الجُهَني رَضِيَ الله عَنْهُ ؛ أنَّ رَجُلاً مِنْ أَصْحَابِ النبيِّ ﷺ تُوفِّي يـوْمَ خيبرَ ، فَـذكَرُوا ذلِـكَ لرَسُول اللهِ ﷺ ، فَقَـالَ : « صَلُّـوا عَلَى صَاحِبِكم » فتَغَيَّرتْ وجُوهُ النَّاس لِـذلِـكَ ،فقَـالَ : « إنَّ صَـاحِبَكُم غَلَّ فِي سَبِيل اللهِ » فَفَتَّشْنَا متَاعَهُ ، فَوَجَدْنَا خَرزاً من خَرَز يَهُود ، لا يسَاوِي دِرهَمَيْنِ .

فـائـدة : اعتـذر النبي ﷺ من الصلاة عليـه وسمح لهم أن يصلوا عليـه زجراً للنـاس عن فعله .

٥٤٨ ـ * روى الترمـذي عن عمير ، مَـولى آبي اللحم قَـالَ : شَهِـدْتُ خَيبرَ مـع سَـادَتي ، فَكَلَّمُوا فِيَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ وكلموه أني مملوك قال : فأمرني فقُلِّدْتُ سيْفاً ، فـإذَا أنـا أجُرُّهُ ، فأمَرَ لي بشيءٍ مِنْ خُرتِيِّ المَتَاعِ ، وَعَرَضتُ عَليهِ رُقْيَةً كنْتُ أَرْقِي بها المجانينَ ، فـأمَرني بِطَرْحِ بعْضِها ، وَحبْسِ بعضِها .

والعمل على هذا عند بعض أهل العلم لا يسهم للمملوك ولكن يرضخ لـه بشيء وهو قول الثوري والشافعي وأحمد وإسحاق .

---

٥٤٦ ـ مسلم (١ / ١٠٧) ١ ـ كتاب الإيمان ـ ٤٨ ـ باب غلظ تحريم الغلول وأنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون .
غلّها : سرقها وأخفاها .

٥٤٧ ـ أبو داود (٣ / ٦٨) كتاب الجهاد ، باب في تعظيم الغلول .
غلّ : خان في المغنم أو في مال الدولة .

٥٤٨ ـ الترمـذي (٤ / ١٢٧) كتـاب السير ـ بـاب هـل يُسهم للعبـد وأبـو داود (٣ / ١٥٠) إلا أن روايـة أبي داود انتهت قوله : المتاع . والحاكم (١ / ٣٢٧) وسكت عنه وأقره الذهبي .
خُرتي : المتاع : أثاث البيت .

٥٤٩ ـ * روى أبو داود عن ابن عمرَ ، أن النبي ﷺ قـاتَل أهل خيبرَ فغلب على النخلِ والأرض ، وألجأهم إلى قصرهم ، فصالَحوه على أن لرسول الله ﷺ الصفراءَ والبيضاءَ والحَلْقـةَ ، ولهم ما حملت رِكابهم ، على أن لا يكتمُوا ولا يُغَيِّبُوا شيئاً ، فإن فعلوا فلا ذمةَ لهم ولا عهدَ ، فغَيَّبُوا مَسْكاً لحييٍّ بن أخطب ، وقـد كان قتل قبل خيبر ، كان احتمله معه يومَ بني النضير حين أُجْلِيَت النضير ، فيها حُلِيُّهُمْ ، قال : فقال النبي ﷺ لسَعيَةَ : « أين مَسْكُ حُيَيٍّ بنِ أخْطَب ؟ » قال : أذهبتـه الحروب والنفقـات ، فوجـدوا المسـك ، فقتل ابن الْحُقَيْقِ وسبىَ نساءهم وذرارِيهم ، وأراد أن يُجْلِيَهم، فقـالوا : يـا محمـد ، دعنـا نعمل في هـذه الأرض ولنـا الشطر ما بدا لـك ، ولكم الشطر ، وكان رسول الله ﷺ يعطي كل امرأة من نسـائـه ثمـانينَ وَسقاً من تمر وعشرين وَسقا من شعير .

وفي أُخرى لأبي داود [1] قال : إنّ عمر قال : أيها النـاسُ ، إنّ رسولَ الله ﷺ كان عـامَلَ يهـودَ خَيبرَ على أن يُخْرجَهُم إذا شـاءَ ، فمن كان لـه مـالٌ فلْيَلْحَـقْ بـه ، فـإني مُخْرِجٌ يهـودَ ، فأخرجَهم .

٥٥٠ ـ * روى البخـاري عن نـافع مـولى ابن عمرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قـالَ : لَمَّـا فَـدَعَ أهـلُ خَيْبَرَ عبدَ اللهِ بنَ عُمَرَ ، قَامَ عمرُ خطيباً ، فَقَالَ: إن رَسُولَ اللهِ ﷺ عامل يهودَ خَيْبَرَ عَلَى أمْوالِهِمْ ، وَقَالَ : « نُقِرُّكُمْ ما أقرَّكم اللّه » وَإنّ عبـدَ اللهِ بنَ عُمَرَ : خَرَجَ إلى مَـالِـه هُنَـاكَ ، فَعُدِيَ عَلَيْهِ مِنَ اللَّيلِ ، فَفُدِعَتْ يَـدَاهُ وَرِجْلاهُ ، ولَيْسَ لـهُ هُنَـاكَ عـدوٌّ غيرَهُم ، هُم عَـدُوُّنـا

---

٥٤٩ ـ أبو داود (٣ / ١٥٧) كتاب الخراج والإمارة والفيء ـ باب ما جاء في حكم أرض خيبر .

الصفراء والبيضاء : الصفراء : الذهب ، والبيضاء : الفضة .

الحلقة : قيل المراد بها السلاح ، وقيل المراد بها الدروع ؛ لأنها في حلق مسلسلة .

مَسْكاً : المسك الجلدُ ، والمراد به هنا : ذخيرةٌ من صامتٍ وحُلي كانت لحُيَيٍّ بن أخطب وكانت يُدْعى مَسْكُ الجمل ، ذكروا : أنها قُومت عشرة آلاف دينارٍ ، وكانت لا تُزفُّ امرأة إلا استَعيرَ لها ذلك الحليُّ ، قيل : إنهـا كانت في مَسْكِ جمل ثم في مَسْكِ ثورٍ ثم في مَسْكِ حَمَلٍ .

(١) أبو داود (٣ / ١٥٨) كتاب الخراج والإمارة والفيء ـ باب ما جاء في حكم أرض خيبر .

٥٥٠ ـ البخاري (٥ / ٣٢٧) ٥٤ ـ كتاب الشروط ـ ١٤ ـ باب إذا اشترط في المزارعة « إذا شئت أخرجك » .

فَدعَ : رجل أفْدعُ : بَيِّنُ الفَدَع ، وهو المُعْوَجُّ الرسغ من اليد أو الرِّجل ، فيكون مُنْقَلب الكف أو القـدمِ إلى مـا يلي الإبهام ، وذلك الموضع هو الْفَدَعَةُ .

فَعُدِي عليه : عُدي عليه ، أي : ظلم ، والعدوان : الظلم المجاوز للحد .

وتُهْمَتُنا ، وَقَدْ رَأَيْتُ إجْلاءَهُم ، فَلَمَّا أَجْمَعَ عُمَرُ عَلَى ذلِكَ ، أَتَاهُ أَحَدُ بَنِي أَبِي الحُقَيْقِ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ ، أَتُخْرِجُنَا وَقَدْ أَقَرَّنَا محمدٌ ﷺ وَعَامَلَنَا عَلَى الأَمْوالِ ، وَشَرطَ ذَلِكَ لَنَا فقال عُمَر : أَظَنَنْتَ أَنِّي نسيتُ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ : « كَيفَ بِكَ إِذَا أُخرِجْتَ مِنْ خَيبَر ، تَعْدُو بِكَ قَلُوصك لَيْلَة بَعْدَ لَيْلَةٍ ؟ » فَقَالَ : كَانَ ذَلِكَ هُزَيلةً مِنْ أَبِي القَاسِم ، فقال : كَذَبْتَ يَا عَدُوَّ الله فَأَجْلاَهُم عُمَرُ ، وَأَعطَاهُم قِيمَةَ مَا كَانَ لَهُمْ مِنَ الثَّمَرِ : مَالاً وَإِبلاً ، وعروضاً من أَقْتَابٍ ، وَحِبالٍ ، وَغيرِ ذلِكَ .

٥٥١ ـ * روى أبو داود عن عبد اللهِ بن أَبِي أَوْفَى رَضِيَ اللهُ عَنهُ قِيلَ لَهُ : هَلْ كُنْتُم تُخَمِّسُون ـ يعني الطعام ـ في عهد رَسُول الله ﷺ ؟ فقال أَصَبْنَا طَعَاماً يَوْمَ خَيْبَر ، فَكَانَ الرَّجُل يَجيءُ ، فَيأْخُذُ مِنهُ مِقْدارَ مَا يَكْفِيهِ ثُمَّ يَنْصَرِفُ .

٥٥٢ ـ * روى أبو داود عَنْ عَبد الرَّحْمَن بن غَنْم قَال : رابَطْنَا مَدِينَةَ قِنَّسْرِيْنِ مع شُرَحْبِيل بن السِّمْطِ ، فَلَمَّا فَتَحها أَصَاب فِيها غَنَماً وَبقَراً ، فَقَسَم فينا طَائفةً مِنْهَا ، وَجعل بَقيتَها فِي المَغْنَم ، فَلَقيتُ مُعاذَ بن جَبَل ، فَحَدَّثْتُه فَقَالَ مُعاذٌ : غَزَوْنا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ خيبرَ ، فأَصَبْنَا فِيها غَنَماً ، فَقَسَم فِينا رسُول الله ﷺ طائفةً ، وَجَعَلَ بقيَّتها في المغنم .

٥٥٣ ـ * روى الترمذي عن أَبِي مُوسى الأَشْعَري قَالَ : قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ في

= هزيْلة : تصغير : هَزْلَة ، وهو المرة الواحدة من الهزل ضد الجد .

أجلاهم : الإجلاء : الإخراج من الوطن كُرْها .

قلوصك : القلوصُ : الناقةُ الشَّابة ، وقيل : القوية على السير ، ولا يسمى الذَّكر قَلُوصاً .

أقتاب : جمع قَتَبٌ وهو الرحل الصغير على قدر سنام البعير .

٥٥١ ـ أبو داود (٣ / ٦٦) كتاب الجهاد ـ باب في النهي عن النُّهبى إذا كان في الطعام قلة في أرض العدو .

وأخرجه الحاكم (٢ / ١٢٦) وقال : هـذا حديث صحيح على شرط البخاري ، فقد احتج بمحمد وعبد الله ابني أبي المجالد جميعاً ولم يخرجاه ، وأقره الذهبي على تصحيحه .

التخميس : أي يرفع الخمس لأصحاب الخمس المعينين ويقسم الباقي على المقاتلين .

٥٥٢ ـ أبو داود (٣ / ٦٧) كتاب الجهاد ـ باب في بيع الطعام إذا فضل عن الناس في أرض العدو .

طائفة : أراد بالطائفة : قدر الحاجة للطعام ، وترك الباقي .

قسم فينا : نقسمه بينهم على قدر السهام ، لكن ضرورةَ حاجتهم إلى الطعام والعلف أباحت لهم ذلك .

٥٥٣ ـ الترمذي (٤ / ١٢٨) كتاب السير ـ باب ما جاء في أهل الذمة يغزون مع المسلمين هل يسهم لهم . وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب .

نَفَرٍ مِنَ الأَشعريينَ خيبر ، فأسْهَم لنا مع الذين افتتحوها .

وَفِي رِوَايَة أَبِي داود [1] قَالَ : قَدِمْنا فوافقْنَا رسول الله ﷺ ، حين افْتَتَحوا خَيبَر ، فَأسهم لَنَا ـ أَوْ قَال : فَأَعْطَانَا مِنْها ـ وَمَا قَسم لأَحدٍ غَابَ عَنْ فَتْح خَيبرَ مِنها شَيئاً ، إلا لِمَن شَهِدَ مَعَهُ ، إلا أَصْحاب سفينتنا : جَعْفَرٍ وأَصحابه ، فَأَسْهَمَ لَهُم مَعَهُم .

والعمل على هذا عند بعض أهل العلم . قال الأوزاعي ، من لحق بالمسلمين قبل أن يسهم للجيش أسهم له .

٥٥٤ ـ * روى أبو داود عن سَهْل بن أبي حَثْمةَ قال : قَسَمَ رسول اللهِ خَيْبَرَ نصفين : نِصْفا لنوائبه وحاجته ونصفاً بَيْن المسلمين ، قَسَمها بينَهم عَلَى ثمانيةَ عشر سَهماً .

قال ابن الأثير .

(لِنوائبه) النوائبُ : جَمْع نَائبة ، وَهُوَ ما يَنوبُ الإنسان ، أي ينزل به من المهات والحوائج ، والظاهرُ من أمر خيبر : أنها فتحت عَنوة ، إذا كانت عَنوة فهي مغنومة ، وحصة النبي ﷺ من الغنية خمس الخمس فكيف جعل نصيبه منها النِّصفَ حتى يصرفه في حوائجه ومهامِّه ؟ ووجه ذلك عند من تتبع الأخبار المروية في فتح خيبر واضح .

٥٥٥ ـ * روى مسلم عَنِ ابن عُمَرَ . قال : أَعْطَى رَسُولُ الله ﷺ خَيْبَرَ بِشَطْرِ مَا يَخْرُجُ مِنْ ثَمَرٍ أَوْ زَرْعٍ . فَكَانَ يُعْطِي أَزْوَاجَهُ كُلَّ سنةٍ مِائَةَ وَسْقٍ : ثَمَانين وَسْقاً مِنْ تمرٍ ، وَعِشْرينَ وَسْقاً مِنْ شَعِير . فَلَمَّا وَلِي عُمَرُ قَسَمَ خَيْبر . خَيَّرَ أَزْوَاجَ النَّبيِّ ﷺ ، أَنْ يُقْطِعَ لَهُنَّ الأَرْض وَالماء ، أَوْ يَضْمنَ لَهُنَّ الأَوْسَاق كُلَّ عَام فَاخْتَلفنَ . فَمِنْهُن مَنِ اختار الأَرْض وَالْماءَ . وَمِنهُنَّ مَنِ اخْتَار الأَوْسَاقَ كُل عَامٍ . فَكَانَتْ عَائِشةُ وَحَفْصَةُ مِمنْ اخْتَارَتا الأَرْضَ وَالْماءَ .

وَفِي رِوَايةِ [2] أَبِي دَاود قَال : لَمَّا : افتُتِحتْ خَيبرُ سَأَلتْ يهودُ رَسُولَ اللهِ ﷺ : أَن يُقرَّهم

---

(١) أبو داود (٣ / ٧٣) كتاب الجهاد ـ باب فين جاء بعد الغنية لاسهم له .

٥٥٤ ـ أبو داود (٣ / ١٥٩) كتاب الخراج والإمارة والفيء ـ باب ما جاء في حكم أرض خيبر ـ وإسناده قوي .

٥٥٥ ـ مسلم (٣ / ١١٨٦) ٢٢ ـ كتاب المساقاة ـ ١ ـ باب المساقاة والمعاملة بجزء من الثمر والزرع .

الأوساقُ : جمع وَسْق ، وهي ستون صاعاً

(٢) أبو داود (٣ / ١٥٨) كتاب الخراج والإمارة والفيء ، باب ما جاء في حكم أرض خيبر .

=

عَلَى النِّصف مما خَرَج مِنْهـا . فَقَـالَ رَسُول اللهِ ﷺ : « أُقِرُّكم فِيهـا عَلَى ذَلِـكَ مـا شِئْنا » فكَانُوا عَلَى ذلكَ ، وَكَانَ التَّمر يُقْسَمُ عَلَى السُّهْمَانِ من نصف خَيْبر ، وَيَأْخُـذُ رَسُول الله ﷺ الخُمسَ ، وَكَانَ رَسُول الله ﷺ أَطْعَمَ كُل امرأة مِنْ أَزْواجهِ مِنَ الخُمس مائَـة وَسْقٍ تمرًا وعشرين وسقاً شعيراً ، فَلَمّا أَرَادَ عُمر إخْرَاجَ اليَهُودَ ، أرسل إلى أَزْوَاج النبي ﷺ ، فَقَـالَ لَهنَّ : مَنْ أَحَب مِنكُن أن أَقْسمَ لهن نَخْلاً بخرصها مـائـة وسْقٍ ، فَيَكونُ لَهـا أَصلُهـا وأَرضهـا ومَاؤها ، وَمن الزرع مَزرَعةً خَرص عشرين وَسْقاً فعلْنا ، ومن أَحب أَنْ نَعْزِل الـذي لهـا في الخُمس كَما هُوَ ، فَعَلْنَا .

وذلك : أنَّ خيبر كانت لهـا قرى . وضِيـاع خـارجـة عنهـا ، مثل : الوطيحـة ، والكُتَيْبَـةِ ، والشق . والنطـاة ، والسلاليم ، فكان بعضهـا مغنومـاً ، وهو مـا غلب عليـه رسـول الله ﷺ والنَّاس . وسبيل ذلك القسمةُ ، وكان بعضهـا فيئـا لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب . وذلـك خاص لرسول الله ﷺ ، يضعه حيث شاء ، فنظروا إلى مبلغ ذلك كله ، فكان نصفهُ بقـدر ما يخص النبي ﷺ من الفيء ، وسهمه من الغنيمة ، فجعل النصفَ لهُ ، والنصف للغـانمين ، وَقَدْ بَيَّنَ ذلك ابنُ شهابٍ ، قال : « إن خيبر كَانَ بعضها عَنوة وبعضُها صلحاً » .

٥٥٦ ـ * روى أبو داود عن بشير بن يسارٍ رَحمه الله قَالَ : لَمَّا أَفـاءَ اللهُ عَلَى نبيـه ﷺ خيبرَ قَسَمَهَـا عَلَىَ ستَّةٍ وثلاثينَ سَهْماً ، جَمَع كلُّ سهمٍ مـائـة سهمٍ ، فعزل نصفهـا لِنَوائبـه وَمَـا يَنْـزِلُ بـه : من الـوطيحـة والكُتَيبـةِ ، ومـا أُحيز مَعَهُما ، وعَـزل النصف الآخر ، فقسمـهُ بين المسلمين : الشِّق والنطاة ، وما أُحيز مَعَها ، وكان سهمُ رسول الله ﷺ فيما أُحيز مَعَهُما .

= استدل بهذا الحديث ، على جواز المساقاة والمزارعة مجتمعتين ، وجواز كل واحدة منها منفردة ، وهو قول أحمد وابن أبي ليلى وأبي يوسف ومحمد وفقهاء الحديث . قال النووي : وهذا هو الظاهر المختار لحديث خيبر ، ولا يقبل دعوى كون المزارعة في خيبر ، إنما جازت تبعاً للمساقاة ، بل جازت مستقلة ولأن المعنى المجوز للمساقاة موجود في المزارعة قياساً على القراض ، فإنه جائز بالإجماع ، وهو كالمزارعة في كل شيء ، ولأن المسلمين في جميع الأمصار والأعصار ، مستمرون على العمل بالمزارعة .

٥٥٦ ـ أبو داود (٣ / ١٥٩) كتاب الخراج والإمارة والفيء ـ باب ما جاء في حكم أرض خيبر .

والوطيح : بفتح الواو وكسر الطاء ـ حصن من حصون خيبر هو أمنعها وأحصنها وآخرها فتحاً .

والكُتَيبة : بضم الكاف ، على صورة مصغرة ، وقيل : بفتحها ، وهي إحدى قرى خيبر .

والشِّق : بفتح الشين أو كسرها . والكسرُ أعرف وأشهر ـ حصن من حصون خيبر .

والنَّطاة : بفتح النون والطاء وآخره تاء تأنيث ـ حصن بخيبر ، أو عين تسقي بعض نخيل قراها .

وفي رواية [١] : أَنَّهُ سَمِعَ نَفَراً من أصحاب النبي ﷺ ، قالوا فذكر هذا الحديث ـ قالَ : فَكَانَ النِّصْفُ سِهامَ المُسْلِمين ، وَسَهْمَ رسول اللهِ ﷺ ، وَعَزَلَ النصف للمسلمين لمَا يَنُوبهُ من الأُمور والنوائب .

وفي أخرى [٢] عَنْ رِجَالٍ مِنْ أصحاب النبي ﷺ : أنَّ رسول الله ﷺ : لما ظَهَرَ عَلَى خَيْبَرَ ، قَسَمَها على ستَّة وثلاثينَ سَهماً ، جَمَعَ كل سَهمٍ مِائة سَهم ، فكَانَ لرسول الله ﷺ وللمسلمينَ النِّصف مِن ذلكَ ، وعَزل النصف الباقي لمن نزل به من الْوفُود وَالأمور ونوائب النَّاسِ .

وفي رواية [٣] أن رسول الله ﷺ لَمَّا أَفَاء الله عليه خَيْبَرَ ، قَسَمَهَا سِتَّةً وَثَلاثين سَهماً جَمَعَ ، فَعَزَل للمسلمينَ الشَّطر : ثمانيةَ عَشْر سَهْماً ، يجمع كلُّ سهم مائةً النبي ﷺ مَعَهُم ، لَه سَهمٌ كسَهم أحدهم ، وَعَزَلَ رَسُول الله ﷺ ثمانية عَشَرَ سَهماً ، وَهوَ الشَّطرُ لِنَوائبه وَمَا يَنزلُ به مِنْ أمْر المسْلِمِينَ ، فكَانَ ذلك : الْوطيحَ ، والكُتَيبةَ ، والسلالم وتوابعها فَلَما صَارت الأموال بيد النبي ﷺ والمسلمين ، لَمْ يَكنْ لهم عُمَّال يَكْفُونهم عَملَها ، فَدَعَا رَسول الله ﷺ اليهود ، فَعامَلَهُم .

قال ابن حجر : قوله (بشطر ما يخرج منها) هذا الحديث هو عمدة من أجاز المزارعة والمخابرة لتقرير النبي ﷺ لذلك واستمراره على عهد أبي بكر إلى أن أجلاهم عمر كما سيأتي بعد أبواب . واستدل به على جواز المساقاة في النخل والكرم وجميع الشجر الذي من شأنه أن يثمر بجزء معلوم يجعل للعامل من الثمرة ، وبه قال الجمهور . وخصه الشافعي في الجديد بالنخل والكرم ، وألحق المُقْل [٤] بالنخل لشبهه به . وخصه داود بالنخل ، وقال أبو حنيفة وزفر : لا يجوز بحال لأنها إجارة بثمرة معدومة أو مجهولة ، وأجاب من جوزه بأنه عقد على عمل في المال ببعض نمائه فهو كالمضاربة ، لأن المضارب يعمل في المال بجزء من نمائه وهو معدوم ومجهول ، وقد صح عقد الإجارة مع أن المنافع معدومة فكذلك هنا . وأيضاً فالقياس في

---

(١) أبو داود (٣ / ١٥٩) كتاب الخراج والإمارة والفيء ـ باب ماجاء في حكم أرض خيبر .

(٢) أبو داود (٣ / ١٥٩) الموضع السابق .

(٣) أبو داود (٣ / ١٦٠) كتاب الخراج والإمارة والفيء ـ باب ما جاء في حكم أرض خيبر بإسناد صحيح ، وفي الرواية الأولى والأخيرة إرسال .

(٤) المُقْلُ : نوعٌ من الشجر يشبه النخل وله ثمر أو هو صمغ شجرة .

إبطال نص أو إجماع مردود . وأجاب بعضهم عن قصة خيبر بأنها فتحت صلحاً ، وأقروا على أن الأرض ملكهم بشرط أن يعطوا نصف الثمرة ، فكان ذلك يؤخذ بحق الجزية فلا يدل على جواز المساقاة . وتعقب بأن معظم خيبر فتح عنوة كما سيأتي في المغازي ، وبأن كثيراً منها قسم بين الغانمين كما سيأتي . وبأن عمر أجلاهم منها . فلو كانت الأرض ملكهم ما أجلاهم عنها . واستدل من أجازه في جميع الثمر بأن في بعض طرق حديث الباب « بشطر ما يخرج منها من نخل وشجر » وفي رواية حماد بن سلمة عن عبيد الله بن عمر في حديث الباب « على أن لهم الشطر من كل زرع ونخل وشجر » وهو عند البيهقي من هذا الوجه ، واستدل بقوله على شطر ما يخرج منها لجواز المساقاة بجزء معلوم لا مجهول ، واستدل به على جواز إخراج البذر من العامل أو المالك لعدم تقييده في الحديث بشيء من ذلك ، واحتج من منع بأن العامل حينئذ كأنه باع البذر من صاحب الأرض بمجهول من الطعام نسيئة وهو لا يجوز ، وأجاب من أجازه بأنه مستثنى من النهي عن بيع الطعام بالطعام نسيئة جمعاً بين الحديثين وهو أولى من إلغاء أحدهما . قوله (فكان يعطي أزواجه مائة وسق : ثمانون وسق تمر وعشرون وسق شعير) كذا للأكثر بالرفع على القطع ، والتقدير : منها ثمانون ومنها عشرون . وللكشميهني « ثمانين وعشرين » على البدل ، وإنما كان عمر يعطيهن ذلك لأنه ﷺ قال : « ما تركت بعد نفقة نسائي فهو صدقة » وسيأتي في بابه .

٥٥٧ ـ * روى النسائي عن عبد الله بن الزبَير أنَّهُ كَانَ يَقُول : ضَرَبَ رَسُولُ الله ﷺ عَامَ خَيْبَرَ للزُّبَيْر بنِ الْعَوَّام أربَعَةَ أسهم : سَهْماً لِلزُّبير وَسَهْماً لذي الْقُربى لصفية بنْت عَبد المطلب أمِّ الزُّبَيْر وَسَهْمَيْن للْفَرَس .

٥٥٨ ـ * روى الحاكم عن ابن عَباس رَضِيَ الله عنهما أن النبي صَلَّى الله عليه وآلِهِ وَسَلَّم قَسمَ لمائتي فَرَس يَوْمَ خَيْبَر سَهْمين سَهمَيْن .

٥٥٩ ـ * روى الطبراني عن زينب امرأة عبد الله الثقفية أن النبي ﷺ أَعطَاهَا بَخَيبر خَمسين وَسْقاً تمراً وَعِشرين وَسقاً شَعيراً بالمدينةِ .

---

٥٥٧ ـ النسائي (٦ / ٢٢٨) كتاب الخيل ، باب سهمان الخيل . بإسناد حسن .

٥٥٨ ـ الحاكم (٢ / ١٣٨) وقال : هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه بهذا اللفظ ، وقد احتج البخاري بيحيى بن أيوب وكثير المخزومي .

٥٥٩ ـ الطبراني (٢٤ / ٢٨٧) في مسند زينب امرأة عبد الله بن مسعود الثقفية .

٥٦٠ ـ * روى الحاكم عن ابن عَبّاس رَضي اللهُ عَنْهما قَالَ : نَهى رَسُول الله ، صلى الله عليه وَآله وَسَلَّم يَوْمَ خَيْبَرَ عَنْ بيع المغانم حَتَّى تُقْسَمَ .

٥٦١ ـ * روى الحاكم عن ابن عَباس رَضي الله عَنهما قال : نَهى رَسُول الله صلى الله عَلَيه وآلهِ وَسَلَّمَ يَوْم خَيْبَر عَنْ لحوم الحُمر الأَهْلية ، وَعَن النِّسَاء الحَبَالى أَن يوطَئنَ حَتَّى يَضَعْن مَا فِي بُطونِهنَّ ، وَعَنْ كُلِّ ذي نَابٍ من السِّبَاع ، وَعَن بيع الخُمس حَتَّى يُقسَم .

٥٦٢ ـ * روى البخاري عن أَسلَم مولى عُمر رَضي الله عَنه أَنهُ سمع عمرَ يقول : أَمَا والذي نفْسي بيده ، لَولا أَن أَترك آخر النَّاس بَبَّاناً ، لَيْس لهم شيءٌ ، ما فُتِحتْ عليَّ قرية إلا قَسَمْتهَا ، كَمَا قسم النبي ﷺ خَيبَر ، وَلَكني أَتْرُكُهَا خِزانة لهم يقتسمُونَهَا .

وفي رواية أخرى [1] : قَالَ عمرُ : لَولا آخر المسلمين ، ما فتَحْتُ عليهم قرية إلا قسمْتها كما قَسمَ النبي ﷺ خَيبرَ .

٥٦٣ ـ * روى البخاري عن عبد الله بن عُمر رَضي الله عَنْهما قال : مَا شَبِعْنَا حَتَّى فَتحْنَا خَيْبَر .

٥٦٤ ـ * روى البخاري عن عائشةَ رَضي الله عَنْهَا قَالَت : لما فُتِحَتْ خيبرُ ، قُلنا : الآن نَشبع مِنَ التَّمر .

---

٥٦٠ ـ المستدرك (٢ / ١٣٧) وقال : وقد روي بعض هذا المتن بإسناد صحيح على شرط الشيخين وأقره الذهبي .

٥٦١ ـ المستدرك (٢ / ١٣٧) وصححه الذهبي .

النساء الحبالى : المقصود اللواتي وقعن في السبي ، فبعد القسمة لا يوطئن حتى يضعن حملهن .

٥٦٢ ـ البخاري (٧ / ٤٩٠) ٦٤ ـ كتاب المغازي ـ ٣٨ ـ باب غزوة خيبر . وأحمد في مسنده (١ / ٤٠) .

ببَّاناً : ببَّاناً : واحداً : أي شيئاً واحداً ، مثل قوله : باجاً واحداً ، ومعنى الحديث : أنه قال : لولا أنْ أترك آخر الناس ـ وهم يجيئون بعده ـ شيئاً واحداً متساويين في الفقر . وليس لهم شيء ، لكنتُ كلما فتحت على المسلمين قرية قسمتُها ، كما قَسَمَ رسول الله ﷺ خيبر ، وذلك : أنه قسمها على الغانمين ، فصار لكل واحد منهم حصةٌ مفردةٌ من أرض خيبر ، يتصرف فيها . فقال عمر : لو قسمتُها كقسمة خيبر ، جاء آخر الناس وليس لهم حصة في البلاد المفتتحة ، فيكون بَبَّاناً واحداً ، ليس لهم شيء ، فلذلك جعل عُمرُ البلاد في أيدي المسلمين يتولونها لبيت المال ، ولم يقسم على الغانمين إلا الغنائم وحدها دونَ البلاد .

(١) البخاري (٧ / ٤٩٠) ٦٤ ـ كتاب المغازي ـ ٣٨ ـ باب غزوة خيبر .

٥٦٣ ـ البخاري (٧ / ٤٩٥) ٦٤ ـ كتاب المغازي ـ ٣٨ ـ باب غزوة خيبر .

٥٦٤ ـ البخاري (٧ / ٤٩٥) ٦٤ ـ كتاب المغازي ـ ٣٨ ـ باب غزوة خيبر .

٥٦٥ - * روى مالكٌ عن سعيدِ بن المسيب رَحمة الله أنَّ رَسُول الله ﷺ قال لِيهُودِ خَيبرَ - يَوْمَ افتَتَحَ خَيبر - أُقرُّكُم فيها مَا أَقرَّكُم الله عز وجل عَلَى أنَّ الثَّمر بَيْنَنَا وَبينكم قَالَ : فَكانَ رَسُولُ الله ﷺ يبْعَث عبدَ الله بنَ رَوَاحَةَ فَيخرُص بينهُ وَبَيْنَهم ، ثُم يَقُول : إن شِئْتُم فلكم ، وإنْ شِئْتُم فَلي ، فكانوا يَأْخُذونهُ .

٥٦٦ - * روى مالك عن سليمانِ بن يَسَارَ : أَنَّ رَسُول الله ﷺ كَانَ يَبْعَثُ عَبْدَ الله بنَ رَوَاحَةَ رَضِيَ الله عَنهُ إلى خَيْبرَ ، فَيَخْرِصُ بَيْنَه وَبَيْنَ يَهودِ خَيْبَرَ قَالَ : فَجَمَعُوا لَهُ حَلْياً من حَلي نِسَائهمْ ، فَقَالُوا : هذَا لكَ ، وَخَفِّفْ عَنَّا وتَجَاوزْ في القَسْمِ ، فَقَالَ عَبْدُ الله بن رواحة : يَا مَعْشَرَ الْيهودِ وَالله إنَّكُم لَمِنْ أَبْغَض خَلقِ الله إليَّ ، وَمَا ذلكَ بحَاملي عَلَى أن أَحِيفَ عَلَيْكُم ، فَأَمَّا مَا عَرَضتم مِنَ الرِّشْوةِ فإنَّها سُحْتٌ ، وَإنَّا لا نَأكُلها ، فَقَالُوا : بِهذا قَامَتِ السمواتُ والأرضُ

٥٦٧ - * روى مسلم عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه قال : أَصابَتْنَا مجاعةٌ لَيَاليَ خَيْبَرَ ، فلما كان يومُ خيبرَ وقعْنا في الحُمُر الأهلية ، فانْتَحرنَاها . فلما غَلَت بها القُدُورُ نادى مُنَادي رسول الله ﷺ : أن أَكفئوا القُدور ، ولا تأكلوا من لحَم الحُمر شيئاً فقال ناسٌ : إنما نَهى عنها رسولِ الله ﷺ لأنها لم تُخَمَّس ، وقال آخرون : نَهى عنها أَلبتَّةَ .

وفي رواية النسائي [1] قال : أَصَبْنا يومَ خيبرَ حُمُراً خارجاً من القريـة ، فطبخْنـاها ،

---

٥٦٥ - مالك (٢ / ٧٠٣) ٣٣ - كتاب القسامة - ١ - باب ما جاء في المساقاة بإسناد صحيح ، وهو مرسل .

فَيَخرُص : خرص الرطب : حزر ما فيه تخميناً وتقديراً .

٥٦٦ - مالك (٢ / ٧٠٣) ٣٣ - كتاب القسامة - ١ - باب ما جاء في المساقاة . وهو حديث حسن .

يخرص : خرص النخل : حزر ما عليه من الرطب والتمر ، ومن العنب زبيبا .

حَيْفَ : الحَيف : الظلم .

الرِّشْوةُ : البرطِيلُ .

سحتٌ : السُحتُ : الحرام .

٥٦٧ - مسلم (٣ / ١٥٣٩) ٣٤ - كتاب الصيد والذبائح - ٥ - باب تحريم أكل لحم الحمر الانسية .

والبخاري (٧ / ٤٨١) ٦٤ - كتاب المغازي - ٣٨ - باب غزوة خيبر .

أكفئوا القدور : كفأتُ القِدْرَ : إذا قلبتَها وكبَبْتَها ، وكذلك أكفأتُها .

تُخمَّس : الخُمسُ : ما يجب إخراجه من الغنيمة ، وتَخْميسُ الغنيمة أخذُ خمسها .

ألبتة : تجوز بهمز الألف وبدونه .

(١) النسائي (٧ / ٢٠٣) كتاب الصيد والذبائح ، باب تحريم أكل لحوم الحمر الأهلية .

فنادى مُنادي النبي ﷺ : إن رسول الله ﷺ قد حرّم لُحوم الحُمُر ، فأكفِئوا القدُورَ بما فيها ، فأكْفَأناها .

٥٦٨ ـ * روى الحاكم عن عبد الرحمن بن أبي لَيلَى ، عَن أَبيه رَضيَ الله عَنْه قال : شَهدت فتح خَيبر مَعَ رَسُول الله عَلَيْهِ وَآله وَسَلمَ فَلما انْهَزَمَ القَوْمُ وَقعنا في رحالهم فأخذ الناس مَا وَجَدُوا مِنْ جزر قال زَيدٌ : وهي المواشي فَلَمْ يَكُنْ بأَسْرع مِنَ أنْ فَارتْ القُدُور فَلَمَّا رَأى ذلك رسُول الله صَلّى الله عَلَيْه وَآله وَسَلم أَمَرَ بالقدور فأكْفئت ثم قسم بيننا فجعل لكل عَشَرة شاة .

٥٦٩ ـ * روى الطبراني عن الشعبي قال : لَمَّا أَتىَ رَسُولَ الله ﷺ فَتحُ خَيبَرَ قِيلَ له : قَدْ قَدِم جَعْفَر من عِندِ النجاشي ، فقال النبي ﷺ : « لا أدري بأَيِّهما أنا أَشَدُّ فَرحاً بقدُوم جَعفر او فتح خيبر » فأتاه فَقَبّل مَا بَيْنَ عَينَيه فَقَط .

٥٧٠ ـ * عن أَسماءَ بنتِ عُميس رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت : قال لِيَ النبيُّ صَلّى الله عَلَيْه وَآله وَسَلمَ : « للناس هِجرة ، وَلَكُم هِجْرتان » .

٥٧١ ـ * روى مسلم عن أبي هُرَيْرةَ رَضيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : خَرجْنَا مَعَ النبي ﷺ إلى خَيبَرَ ، ففتح الله علينا فَلَمْ نَغْنَم ذَهَباً وَلاَ ورقاً غنمنا المتاعَ والطعام والثِّياب ، ثُمَّ انطَلَقْنَا إلى الْوادِي ـ يَعْني : وَادِي القُرَى ـ ومَعَ رَسُول الله ﷺ عَبْدٌ لَهُ ، وهَبَهُ لَهُ رجل من جُذام يُدْعى رِفَاعَةَ بنَ زَيْدٍ ، مِنْ بني الضُّبَيْب ، فَلَمَّا نَزَلْنا الوادِي قَامَ عبدُ رسولِ اللهِ ﷺ يَحُلُّ رَحْلَهُ ، فَرُمِيَ بسَهْمٍ ، فَكَانَ فِيه حَتْفُهُ ، فَقُلْنَا : هَنيئاً لَهُ الشَّهادةُ يَارَسُول الله ، فَقالَ رَسُولُ الله ﷺ : « كَلا ، والذي نَفْسُ مُحمدٍ بيده ، إنَّ الشَّمْلَةَ لَتَلْتهبُ عَلَيهِ نَاراً ، أَخَذَها

---

٥٦٨ ـ المستدرك (٢ / ١٣٤) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وأقره الذهبي .

الجزَرُ : ما يصلح أن يذبح من الشياه .

٥٦٩ ـ أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٢٧٢) وقال : رواه الطبراني مرسلاً ، ورجاله رجال الصحيح .

٥٧٠ ـ الحاكم في المستدرك : وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

٥٧١ ـ مسلم (١ / ١٠٨) ١ ـ كتاب الإيمان ـ ٤٨ ـ باب غلظ تحريم الغلول وأنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون

والبخاري (٧ / ٤٨٧) كتاب المغازي ـ ٣٨ ـ باب غزوة خيبر .

الشَّمْلةُ : إزارٌ يُتَّشحَ به .

بِشراك : الشِّراك : سَيْرٌ من سُيور النَّعْلِ التي على وجهها .

مِنَ الغنائم يَوْم خَيبَرَ ، لَم تُصبْها المقَاسِم » قَال : فَفزِعَ النَّاسُ ، فَجَاءَ رجُلٌ بشراكٍ ، أو شراكَيْن ، فَقَالَ : أَصَبْتُهُ يَوْمَ خيبر ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « شِرَاكٌ مِنْ نَار ، أو شراكَان مِنْ نَار » .

وفي رواية (١) نحوه ، وَفيه : وَمَعهُ عبدٌ يُقالُ لَهُ : مِدْعَمٌ ، أَهْدَاه لـه أَحَـدُ بَني الضِّبـاب ، إذْ جاءهُ سَهْمٌ عائرٌ .

٥٧٢ ـ * روى الإمام أحمد عن عقبةَ بنِ سُوَيْدٍ الأنْصاري أَنَّه سَمع أَبَاهُ وَكَانَ مِنْ أَصْحاب النبي ﷺ قَـالَ : قفلنـا مَعَ النبي ﷺ مِنْ غَزْوة خَيْبَرَ فَلَمَّا بَـدَا لَـهُ أحـدٌ قَـالَ النبي ﷺ : « اللهُ أَكْبَرُ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّه » .

٥٧٣ ـ * روى أبو داود عن العِرْباض بن ساريةَ السُّلَميِّ رضي الله عنه قـال : نَزَلْنـا مع رسول الله ﷺ خَيْبَرَ ـ ومعه مَنْ معه مِنْ أصحابه ـ وكان صاحبُ خيبَر رَجلاً مارداً مُنكراً ، فـأقبل إلى النبيِّ ﷺ فقـال : يـامحمـد ، ألكم أن تَـذْبَحوا حُمُرَنـا ، وتـأكلوا ثَمرَنـا ، وتضربـوا نساءَنا ؟ فَغَضبَ رسول الله ﷺ ، وقال : « يـاابن عوفٍ ، اركبْ فرسـكَ ، ثم نَـادِ ألا إنَّ الجنَّة لاتَحِل إلا لمؤمن وأن اجتمعوا للصلاة » قال : فاجتمعوا ، ثم صلى بهم النبي ﷺ ثم قام فقال : « أيَحسِبُ أحـدُكم ـ مُتَّكئـاً على أريكتِـه ـ قـد يظن أن الله لم يُحرِّم شيئـاً إلا مـا في هـذا القرآن ؟ ألا وإني والله ، قـد وَعَظْتُ وأمرتُ ونَهيتُ عن أشيـاء ، إنهـا لَمثلُ القرآن أو أكثرُ ، وإن الله عز وجل لم يحل لكم أن تـدخُلوا بيوتَ أهل الكتـاب إلا بـإذن ، ولا ضرب نِسـائِهم ، ولا أكلَ ثِمـارِهم ، إذا أعطَوْكم الذي عليهم » .

* * *

(١) البخاري (٧ / ٤٨٧) ٦٤ ـ كتاب المغازي ـ ٣٨ ـ باب غزوة خيبر .

سهم عائر : إذا لم يُدْرَ من أين جاء .

٥٧٢ ـ أحمد في مسنده (٣ / ٤٤٣) وعقبة ذكره ابن أبي حاتم ، وقال : روى عنه عبد العزيز ولم يجرحه وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٥٥) وقال : وروى عنه الزهري عند أحمد ، وبقية رجاله رجال الصحيح . قال ابن حجر عن عقبة : مجهول ، وصحح ابنُ عبد البرّ حديثه .

٥٧٣ ـ أبو داود (٣ / ١٧٠) كتاب الخراج ـ باب في تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا بالتجارات . وفي سنده لين ، لكن لبعضه شاهد بسند صحيح .

مارداً : المارد من الرجال : العاتي الشديد .

أريكته : السرير في الحجلة . والحَجَلَة ساتر كالقبة .

فقهيّات

من تعليقات الدكتور البوطي على غزوة خيبر هذه المسائل :

(جواز الإغارة على من بلغتهم الدعوة الإسلامية وحقيقتها ، بدون إنذار مسبق أو دعوة مجددة) ، وهو مذهب الشافعية وجمهور الفقهاء ، فذلك ما فعله رسول الله ﷺ في إغارته على خيبر . وأما بلوغ الدعوة وتفهّم الإسلام فهماً صحيحاً على وجهه فهو شرط بالاتفاق .

(جواز إشراك غير المقاتلين في الغنيمة ممن حضر مكان القتال) ، وذلك بعد استئذان أصحاب الحق فيها . فقد أشرك النبي ﷺ جعفر بن أبي طالب ومن معه في الغنائم ، بإذن من الصحابة . حينما عادوا من الحبشة واليمن .

واعلم أن رواية البخاري في هذا خالية عن التقييد باستئذان المسلمين ، ولكن زاد البيهقي في روايته أن النبي ﷺ قبل أن يقسم لهم كلم المسلمين فأشركوهم ، وزيادة العدل مقبولة والذي زاد من قيمة القيد الذي رواه البيهقي أن النبي ﷺ لم يُسهم لأبان بن سعيد ، وقد كان أرسله على سرية قِبل نجد فعاد منها إلى خيبر بعد انتهاء القتال ، وقال له ﷺ : اقسم لنا يارسول الله . فلم يقسم له ، وإنما يجمع بين الخبرين بحمل الأول منهما على إذن الجماعة في القسمة . والثاني على عدمه .

ولعلك تسأل : فما مصير حكم الغنائم هذا ، مع ما تطورت إليه اليوم حالة الحروب والجند وسياسة عطاءاتهم ومرتباتهم ؟ .

والجواب : أنك قد علمت مما سبق أن الأموال غير المنقولة من الغنائم لا توزع بين المحاربين عند مالك وأبي حنيفة على نحو ما مر بيانه إلا إذا دعت المصلحة أو الضرورة . أما الأموال المنقولة منها فيجب أن توزع على الغانمين بنفس الطريقة التي كان يسلكها رسول الله ﷺ مع ملاحظة ما تطورت إليه وسائل القتال وطرائقه في تفاوت درجات المقاتلين .

ولا مانع من أن توزع عليهم حصصهم على شكل علاوات أو مرتبات متلاحقة إنما المهم أن الدولة لا يجوز لها أن تستملك شيئاً من هذه الأموال لنفسها .

أقول : لابد من التفريق بين ما إذا كان الجيش نظامياً يأخذ الفرد فيه مرتباً من

الدولة فهذا حكمه حكم الأجير فليس ههنا إلزام على الدولة أن تدفع لـه سهمـه من أربعـة أخمـاس الغنيمة .

وقال : (مشروعية تقبيل القادم والتزامه) . وهو مما لا نعلم فيه خلافاً معتداً بـه إذا كان قادماً من سفر أو طال العهد به ، واستدل العلماء في ذلـك بتقبيل رسول الله ﷺ جعفر بن أبي طالب بين عينيه والتزامه إياه عند قـدومـه من الحبشـة . والحـديث رواه أبو داود بسنـد صحيح . وروى الترمذي عن عائشة رضي الله عنها قـالت : قـدم زيـد بن حـارثـة المـدينـة ورسول الله ﷺ في بيتي فأتاه فقرع الباب . فقام إليه النبي ﷺ يجرّ ثوبه . فاعتنقه وقبلـه

ويشكل عليه في الظاهر ما رواه الترمـذي أيضـاً عن أنس رضي الله عنـه قـال : قـال رجل : يارسول الله . الرجل منا يلقى أخاه أو صـديقـه أينحني لـه ؟ قـال : لا . قـال : أفيلتزمـه ويقبله ؟ قال : لا . قال فيأخذ بيده ويصافحه ؟ قال : نعم .

وجواب الإشكال أن سؤال الرجل في هذا الحديث عن اللقاءات العاديـة المتكررة بين الرجل وصاحبه . والتقبيل أو الالتزام أمر غير مرغوب فيه في مثل هذه الحال . أما مـا فعلـه رسول الله ﷺ من ذلك بالنسبة لجعفر وزيد فإنما كان ذلك ـ كما قد علمت على أثر قـدوم من سفر فالحالتان مختلفتان .

* * *

وصل : قصة الحجّاج بن عِلاط

أسلم سرا ولم يعلم بإسلامه أهل مكة :

٥٧٤ ـ * روى الإمام أحمد عن أَنس قَالَ : لَمَّا افْتَتَحَ رَسول الله ﷺ خَيْبَر قَال الحجاجُ ابن عِلاط : يارَسول الله إنَّ لي بمكة مَالاً وَإنَّ لي بها أهلاً وإني أُريدُ أن آتيهم فأنا في حل إنْ أنا نِلتُ منك أوْ قُلتُ شَيْئاً ؟ فَأذن لَهُ رَسُول الله ﷺ أن يَقُول مَا شَاءَ فَأَتى امْرَأتَهُ حينَ قَدِم فَقَال اجمعي لي مَا كَانَ عِنْدك ، فَإني أريدُ أن أشْتري مِنْ غَنَائم محمدٍ وأصحابه ، فإنهم قَد اسْتُبيحُوا وَأُصيبت أَموَالُهم ، قَال : وَفَشَا ذلك بِمكة وانْقمع المسْلمونَ وَأظهرَ المشركُونَ فَرَحاً وَسُرُوراً قَال : وَبَلَغَ الخبرُ العباسَ بنَ عبد المطلب فعُقِر ، وجعل لايستَطيعُ أنْ يقوم قال مَعْمرٌ : فأخبرني عثمانُ الجزريُّ عَنْ مِقسم قال : فَأَخذَ ابناً لهُ يُقَالُ لهُ قثمٌ فاستلقى فَوَضعه عَلَى صَدره وَهُو يقولُ :

حبّي قُثَمْ شبيـــــه ذي الأنف الأشَمْ
نبيٍّ ذي النعم ، برغم من رَغِمْ

قال ثَابت عن الحجاج عَنْ أنس ثُمَّ أرسلَ غُلاماً إلَى الحَجّاج بن عِلاط فقال : وَيلَكَ مَا جئتَ به وَمَاذَا تَقُول فما وَعد الله عَزَّ وَجَلَّ خير مِمَّا جئت به ، قال الحَجَّاجُ بنُ عِلاطٍ لغلامه : اقرأ عَلَى أبي الفَضْلِ السلامَ وَقُلْ لهُ فَلْيَخْلِ لي في بعض بُيُوتهِ لآتيه فإنَّ الخبَر عَلَى مَا يَسُرُّهُ فَجاءَ غلامُه فَلَمَّا بَلَغَ بَابَ الدَّار قال : أَبْشِرْ أبَا الفَضْل فَوَثَبَ العَبَّاسُ فَرحاً حَتى قَبَّلَ بَيْنَ عَيْنَيه فأخْبَرَهُ مَا قَالَ الحجَّاجُ فَأعتَقَهُ قَالَ : ثم جَاء الحجَّاجُ فأخبَرهُ أنَّ رَسُول الله ﷺ قَدِ افتَتَحَ خَيبَرَ وَغَنمَ أَمْوَالَهُم وَجَرتْ سِهامُ الله عزَّ وَجلَّ في أمْوَالِهم واصطَفى رَسُولُ الله ﷺ صَفيةَ بنتَ حُيَيٍّ ، فَاتخذَهَا لِنَفْسِهِ وَخيرَها أنْ يُعْتِقَهَا وَتكونَ زَوْجَتَهُ أو تَلحَقَ بأهْلها ، فَاخْتارت أن يُعتِقهَا وَتكُونَ زَوْجَتَهُ ، وَلَكني جِئْتُ لِمَالٍ كَانَ لي ههنا أردت أن أجْمعه فأذهب بِهِ ، فَاسْتَأذَنْتُ رَسولَ الله ﷺ فَأذِنَ لي أنْ أقول مَا شِئتُ ، فَأخف عَني ثَلاثاً ثم

---

٥٧٤ ـ أحمد في مسنده (٣ / ١٣٨) وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٥٤) وقال : رواه أحمد وأبو يعلى والبزار والطبراني ورجاله رجال الصحيح .

عُقِرَ الرَّجل عقراً بقي مكانه لم يتقدم ولم يتأخر لفزع أصابه كأنه مقطوع الرجل .

اذكُرْ مَا بَدَا لَكَ . قَالَ فَجمعَتِ امرأتهُ مَا كَانَ عِندَهَا مِنْ حُلي أو مَتَاع فَدَفَعَتْه إليه ثم استمر به فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ثَلاثٍ أَتى العبَّاسُ امرأَةَ الحجَّاجِ فَقَالَ : مَا فَعلَ زَوجُك فَأَخْبرتـه أنـه قـد ذَهبَ يَوْم كَذَا وَكَذَا وَقَالَت : لاَ يُخزيك الله يا أبا الفَضْل ، لَقَدْ شَقّ عَلَينـا الـذي بَلَغـك ، قال أَجلْ لاَيخزيني الله وَلَمْ يكن بحمد الله إلا ما أَحْبَبْنَـا ، فَتَحَ اللهُ خَيْبَرَ عَلَى رَسوله ﷺ وجرت فيها سهـام اللهِ واصطَفى رَسُول الله ﷺ صَفيَّةَ بنت حي لنَفْسـه ، فَإن كَـانَ لَـك حَاجةٌ في زَوْجِكِ فالحَقي به ، قَالَتْ : أَظُنُّك وَالله صَادقاً . قَالَ : فإني صَـادقٌ ، وَالأَمر على مَا أَخْبرتك فَذَهبَ حَتى أَتى مَجَالسَ قُرَيْش وَهُم يقُولُون إذا مَرَّ بهمْ : لا يُصيبكَ إلا خَير يـا أبا الفَضل . قال : لم يُصبني إلا خَير بحمد الله قَدْ أَخْبَرَني الحجاج بن عِلاط أَنَّ خَيبَر فَتَحهَـا الله عَلَى رَسولِه وَجَرَت فِيها سِهامُ الله ، واصطفى صَفية لِنَفْسه ، وَقَدْ سَـأَلني أن أَخْفي عَنـهُ ثلاثاً وَإنما جَاءَ ليَأخُذَ مَالهُ وَما كَانَ لَهُ مِنْ شَيءٍ هَا هُنَا ثُمَّ يُذهبُ قال : فَردَّ الله الكَآبة التي كَـانت بِـالمسلمين عَلَى المشركين ، وَخَرَجَ المسْلمُون وَمَنْ كَـانَ دَخَـل بَيتَـه مُكْتَئبـاً حَتىَّ أَتـوا العباس ، فَأَخبرهم الخبر ، فَسُرَّ المسلمُون وَرَدَّ اللهُ يَعْني مَا كَانَ مِنْ كَآبةٍ أَوْ غَيْظ أَو حُزْنٍ عَلَى المشرِكين .

* * *

فصل : في غزوة الرقاع

٥٧٥ - * روى مسلم عن أبي موسى الأشعري رضي اللهُ عَنْه قالَ : خَرَجنَا مَع رَسُولِ الله ﷺ في غَـزَاة ونحن سِتَّـة نَفَر ، بيننـا بعيرٌ نَعتقبـهُ ، فَنَقِبَتْ أقـدامُنـا ، فَنَقِبَتْ قـدمـايَ ، وسقطت أظفاري ، فَكُنَّا نَلُفُّ عَلَى أرجُلِنَا الخِرَقَ ، فسُميتْ : غزوةَ ذاتِ الرِّقَاع ، لِمَا كنَّـا نُعَصِّبُ على أرجلنا من الخِرَق . قال : وَحَدَّث أبو موسَى بِهَذَا الحديثِ ، ثُمَّ كَرِهَ ذلـك ، قـالَ: مَاكُنتُ أصنعُ بأن أذكُرَهُ ؟ كأنه كَرِهَ أن يكُونَ شيئاً مِنْ عَمَلِهِ أفشَاهُ .

قال أبو أُسامة : وزَادَنِي غيرُ بُرَيدٍ : واللهُ يَجْزِي به .

قَـالَ البخَـارِي : [1] وَهِيَ غزوة مُحَـاربِ خَصَفَـة مَن بَني ثَعْلَبَـةَ ، مِنْ غَطَفَـانَ ، فَنَـزَل نَخْلاً ، وَهِيَ بَعْدَ خَيْبَرَ ، لأنَّ أبَا مُوسَى جَاء بَعدَ خَيْبَرَ .

٥٧٦ - * روى البخـاري عن أبي هُرَيرة : صَلَّيتُ مَـعَ النبي ﷺ فِي غَـزْوَةِ نَجْـدٍ صـلاةَ الخَوفِ ، وَإِنَّمَا جَاءَ أَبُو هُرَيرَةَ إِلَى النبي ﷺ أيامَ خَيبَرَ .

مرت معنا غزوة ذات الرقاع وهي غير غزوة الرقاع هـذه وأشرنـا إلى اختلاف الرواة في هذا الشأن فليلاحظ القارئ ذلك .

* * *

---

٥٧٥ - مسلم (٣ / ١٤٤٩) ٣٢ - كتاب الجهاد والسير - ٥٠ - باب : غزوة ذات الرقاع .

والبخاري (٧ / ٤١٧) ٦٤ - كتاب المغازي - ٣١ - باب : غزوة ذات الرقاع .

نعتقِبُه : اعتِقاب المَركُوب : هو أن يركَبهُ واحدٌ بَعْدَ واحدٍ .

نقِب : البعير ، بالكسر : إذا رَقَّت أخْفَافُه ، والمراد به : تقرَّحت .

(١) البخاري (٧ / ٤١٦)في الموضع السابق .

٥٧٦ - البخاري (٧ / ٤٢٦) ٦٤ - كتاب المغازي - ٣١ - باب غزوة ذات الرقاع .

فصل : في سرية غالب بن عبد الله الليثي إلى بني الملوح

٥٧٧ ـ * روى الطَبَراني عن جُنْدَب بن عبد الله الجُهَني قال : بعثَ رسول اللهِ ﷺ غالب بن عبد الله الكلْبيّ ، كَلْب عوف بن لَيْث في سَريةٍ كُنْتُ فيهم ، فأمره أن يَشُنَّ الغارةَ على بني المُلَوّح بالكَدَيْدِ قال : فخرجنا حتى إذَا كُنّا بقُدَيْد لقينا الحارث بن بَرْصاء الليثي فأخذناه قال : إنما جئتُ لأُسْلِمَ ، إنما خَرجتُ أُريدُ رسولَ الله ﷺ . قال : قلنا إن تكنْ مُسْلِماً فلن يضرك رِباطُ ليلة ، وإن تكن غيرَ ذلك فسنوثق منك ، فأوثقناه رِباطاً ، ثم خَلَّفْنا عليه رويجلا لنا أسود كان معنا فقلنا له : إن نازعك فَاحتزَّ رأسه ، ثم أتينا الكَدِيد مع مَغرِب الشمس وكنا في ناحية من الوادي وبعثَني أصحابي رَبيئةً لهم إلى تل مُشْرِف على الحاضر قال : فأسندت فيه حتى إذا كنت على ظهره ونظرت إلى القوم انبطحت ، فوالله إني لعليه أنظر إذ خرج رجل من خبائه فقال لامرأته : والله إني لأرى سواداً ما رأيته في أول النهار ، فانظري في أوعيتك لا يكون الكلاب اجترت بعضَها . فنظرتْ قالت : فوالله ماأفقدُ من أوعيتي شيئا . قال : أعطيني قوسي . فأعطته قوساً وسهمين معها قال : فرمى بسهم فوالله ماأخطأ جنْبي قال : فانتزعتُه وثَبَتُّ ، قال : ثم رمى بالآخر فوضعه في مَنْكِبي فانتزعته وثَبَتُّ ، فقال لامرأته : لو كانت زائلةً لقد تحرك بعدُ لقد خالطَه سهماي فإذا أنت أصبحتِ فابتغيهما فَخُذِيهما لا تضيعُهما الكلاب . قال : ثم دخل حتى إذا راحت رائحةُ الناس من إبلهم وغنمهم قد احتلبوا وغبطوا واطمأنوا شَنَنَّا عليهم الغارة فقتلنا واستَقْنا الغنم ، ثم وجهناها وخرج صَريخ القوم في قومهم ، فجاءهم الدَّهْم فجاءوا في طلبنا حتى مررنا بابن البَرْصاء

---

٥٧٧ ـ المعجم الكبير (٢ / ١٧٨) بلفظه .

وأحمد في مسنده (٣ / ٤٦٧) .

الربيئة : الطليعة .

الحاضر : الجماعة النازلون على الماء .

أسندت : ارتقيت .

زائلة : أي لو كان ممن يزول .

شننا عليهم الغارة : مزقنا عليهم الخيل المغيرة .

صريخ القوم : مستغيثهم .

الدهم : الجماعة الكثيرة .

فانطلقنا به معنا وبصاحبنا الذي خلفناه قال : فأدركَنا القومُ حتى نظرنا إليهم ما بينَنا وبينَهم إلا الوادي على ناحيته موجهين ومن ناحية الأخرى في طلبنا إذ جاء الله به من حيث شاء ما رأينا قبل ذلك مطرا ما يقدِر أحد على أن يجيزه ، لقد رأيتهم وقوفا ينظرون إلينا ونحن نَحْدوها مايقدر رجل منهم أن يصل إلينا حتى إذا عرجناها ما أنسى قول راجز من المسلمين وهو يَحْدوها في أعقابها :

أبى أبو القاسم أنْ تعَرَّ بي في خَطَلٍ نَباتُه مُغْلَوْلِبِ

صُفْرٍ أعاليهِ كلَوْنِ المُذْهَبِ

* * *

سرية غالب الليثي إلى الحُرَقات من جهينة

وهي معروفة ببعث أسامة بن زيد :

٥٧٨ - * روى البخاري عن أبي ظَبيانَ قَالَ : سَمِعْتُ أسَامَةَ بنَ زيْدٍ يقول : بَعَثَنا رسُولُ اللهِ ﷺ إلى الحُرَقة ، فَصَبَّحْنَا القَوْمَ فَهَزَمْناهُم ، وَلَحِقْتُ أنا ورجُلٌ مِنَ الأنصَار رَجُلا مِنهُمْ ، فَلَمَّا غشيناهُ ، قَالَ : لا إلهَ إلا اللهُ ، فَكفَّ الأنصاريُّ فطعَنْتُهُ بِرُمحي ، حَتَّى قَتَلتهُ ، فَلَمَّا قدمنا ، بلَغَ النبي ﷺ ، فَقَالَ : « يَا أُسامةُ ، أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَال : لا إلَه إلا الله ؟ » قُلْتُ : كان مُتَعوِّذاً ، فَمَا زَال يُكَرِّرُها حَتَّى تمنيتُ أَنِّي لم أكُن أسْلَمْتُ قَبلَ ذَلِكَ اليَوْمِ .

وفي رواية [1] قَالَ : بَعَثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ في سَرِيَّةٍ ، فَصبَّحْنا الحُرَقاتِ مِنْ جُهينةَ ،

---

٥٧٨ - البخاري (٧ / ٥١٧) ٦٤ - كتاب المغازي - ٤٥ - باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد إلى الحرقات من جهينة .

الحُرَقة : بطن من جهينة . صبّحنا القوم : هجمنا عليهم صباحاً .

غَشيناه : أدركناه ولحقناه ، كأنهم أتوهُ من فَوقه .

مُتعوِّذاً : المُتعوِّذ الملتجئ خوفاً من القتل . وفي مسلم معتصما .

حتّى تمنّيت أنّي لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم : أي تمنّى أن يكون ذلك الوقت أوّل دخوله في الإسلام ، لأنّ الإسلام يَجُبُّ ماقبله .

(١) مسلم (١ / ٩٦) ١ - كتاب الإيمان - ٤١ - باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال : لاإله إلا الله .

فَأَدْرَكْتُ رَجُلا ، فَقَالَ : لا إلهَ إلا اللهُ . فَطَعنتُه ، فَوَقَع في نَفسِي مِن ذَلِك ، فَذَكَرْتُهُ للنبيِّ ﷺ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « أَقَالَ : لا إلَهَ إلا اللهُ . وَقَتَلْتَهُ ؟ » قَالَ : قُلتُ : يارَسُولَ اللهِ ، إنما قَالها خَوْفاً مِنَ السلاح ، قَالَ : « أَفلا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ ، حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَها ، أَمْ لا ؟ » فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا عَلَيَّ ، حَتَّى تَمنَّيْتُ أَنِّي أَسْلَمْتُ يَوْمَئذٍ ، قَال : فَقَالَ سعْدٌ : وَأَنا واللهِ لاَ أَقْتُلَ مسْلماً حَتَّى يَقْتُلَه ذُو البُطَين ـ يعني : أسامةَ ـ قَالَ : قَالَ رَجُلٌ : أَلَمْ يقلِ اللهُ ﴿ وَقَاتِلُوهم حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ ، ويَكُونَ الدِّينُ كُلُّه للهِ ﴾ [1] .

فَقَالَ سعْدٌ : قَدْ قَاتلْنَا حَتَّى لاتكونَ فتنةٌ ، وأنتَ وأصحابُك تُريدُون أن تقاتِلُوا حَتَّى تَكُونَ فتنةٌ .

قال ابن الأثير :

قُلتُ : هذَا سعدٌ المذكورُ في الحَديثِ هُوَ سَعْدُ بنُ أبي وقاصٍ ، وَسَبب هذَا القولِ مِن سَعْدٍ ، أَنَّ أُسَامَة لَمَّا سَمِعَ هذَا القولَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَمْ يُقاتِلْ مُسْلِماً ، وَلا شَهِدَ شَيْئاً مِنَ الفتَنِ الحادِثَةِ بين الصَّحَابةِ ، وَكَذلِكَ سَعْدٌ اعتَزلَ عَن الفِتنِ ، فَلَمْ يَشْهَدْ مِنها شَيْئاً ، وقَالَ : إنَّني لاأقتُل إلا مَنْ يَقتُلهُ أُسَامةُ ، وَلَيْسَ لِقوْلِه هذَا في الحديْثِ مَدْخَلٌ ، وَلاَ لهُ به تَعَلُّقٌ .

* * *

قال في الفتح : وهذه السرية يقال لها سرية غالب بن عبد الله الليثي ، وكانت في رمضان سنة سبع فيما ذكره ابن سعد عن شيخه ، وكذا ذكره ابن إسحاق في المغازي (حدثني شيخ من أسلم عن رجال من قومه قالوا : بعث رسول الله ﷺ غالب بن عبد الله الكلبي ثم الليثي إلى أرض بني مرة وبها مِرداس بن نَهيك حليف لهم من بني الحُرَقَة فقتله أسامة) فهذا يبين السبب في قول أسامة (بعثنا إلى الحرقات من جهينة) والذي يظهر أن قصة الذي قتل ثم مات فدفن ولفظته الأرض غير قصة أسامة ، لأن أسامة عاش بعد ذلك دهراً طويلا ، وترجم البخاري في المغازي (بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد إلى الحرقات من جهينة) فجرى الداودي في شرحه على ظاهره فقال فيه (تأمير من لم يبلغ) وتعقب من وجهين : أحدهما أنه ليس فيه تصريح بأن أسامة كان الأمير إذ يحتمل أن يكون جعل

---

(١) الأنفال : ٣٩ .

الترجمة باسمه لكونه وقعت له تلك الواقعة لا لكونه كان الأمير ، والثاني أنها إن كانت سنة سبع أو ثمان فما كان أسامة يومئذ إلا بالغا لأنهم ذكروا أنه كان له لما مات النبي ﷺ ثمانية عشر عاماً .

قوله (أقتلته بعد ماقال) في رواية الكشميهني (بعد أن قال) قال ابن التين : في هذا اللوم تعليم وإبلاغ في الموعظة حتى لايقدم أحد على قتل من تلفظ بالتوحيد ، وقال القرطبي : في تكريره ذلك والإعراض عن قبول العذر زجر شديد عن الإقدام على مثل ذلك . وقال الخطابي : لعل أسامة تأول قوله تعالى ﴿ فلم يكُ ينفعهم إيمانُهم لما رأوا بأسنا ﴾ [١] ولذلك عذره النبي ﷺ فلم يلزمه دية ولاغيرها . قلت : كأنه حمل نفي النفع على عمومه دنيا وأخرى ، وليس ذلك المراد ، والفرق بين المقامين أنه في مثل تلك الحالة ينفعه نفعا مقيدا بأن يجب الكف عنه حتى يختبر أمره هل قال ذلك خالصا من قلبه أو خشية من القتل ، وهذا بخلاف ما لو هجم عليه الموت ووصل خروج الروح إلى الغرغرة وانكشف الغطاء فإنه إذا قالها لم تنفعه بالنسبة لحكم الآخرة وهو المراد من الآية ، وأما كونه لم يلزمه دية ولاكفارة فتوقف فيه الداودي وقال : لعله سكت عنه لعلم السامع أو كان ذلك قبل نزول آية الدية والكفارة ، وقال القرطبي : لايلزم من السكوت عنه عدم الوقوع ، لكن فيه بعد لأن العادة جرت بعدم السكوت عن مثل ذلك إن وقع ، قال : فيحتمل أنه لم يجب عليه شيء لأنه كان مأذونا له في أصل القتل فلا يضمن ماأتلف من نفس ولامال كالخاتن والطبيب ، أو لأن المقتول كان من العدو ولم يكن له ولي من المسلمين يستحق ديته ، قال : وهذا يتمشى على بعض الآراء ، أو لأن أسامة أقر بذلك ولم تقم بذلك بينة فلم تلزم العاقلة الدية وفيه نظر . قال ابن بطال : كانت هذه القصة سبب حلف أسامة أن لايقاتل مسلماً بعد ذلك ، ومن ثم تخلّف عن علي في الجمل وصفين قلت : وكذا وقع في رواية الأعمش المذكورة أن سعد بن أبي وقاص كان يقول : لاأقاتل مسلما حتى يقاتله أسامة . واستدل به النووي على رد الفرع الذي ذكره الرافعي فيمن رأى كافرا أسلم فأُكرِم إكراما كثيراً ، فقال : ليتني كنت كافرا فأسلمت لأكرم ، فقال الرافعي : يكفر بذلك ، ورده

---

(١) غافر : ٨٥ .

النووي بأنه لايكفر لأنه جازم الإسلام في الحال والاستقبال وإنّما تمنّى ذلك في الحال الماضي مقيّدا له بالإيمان ليتمّ له الإكرام واستدلّ بقصّة أسامة ثمّ قال : ويمكن الفرق . اهـ .

* * *

فصل : في عمرة القضاء

٥٧٩ ـ * روى البخاري عنِ البَراء رضيَ اللهُ عنه قال : اعتمَرَ النبيُّ ﷺ في ذي القَعْدةِ ، فأبى أهلُ مكةَ أن يَدَعوهُ يدخُلُ مكةَ ، حتّى قاضاهُم على أن يُقيمَ بها ثلاثةَ أيام . فلما كَتبوا الكتابَ كَتبوا : هٰذا ماقاضى عليهِ محمدٌ رسولُ اللهِ ﷺ ، فقالوا : لا نقرُّ بها ، فلو نَعلمُ أنَّك رسولُ اللهِ مامَنَعناك ، لكنْ أنت محمدُ بن عبدِ الله . قال : « أنا رسولُ اللهِ ، وأنا محمدُ ابنُ عبدِ الله » ثمَّ قال لعليّ : « اُمْحُ رسولَ الله » قال : لاوالله لا أمحوكَ أبداً ، فأخذَ رسولُ اللهِ ﷺ الكتابَ فكتبَ : هذا ماقاضَى عليه محمدُ بنُ عبدِ اللهِ ، لايدخُلُ مكةَ سلاحٌ إلا في القِراب ، وأن لايَخرُجَ من أهلِها بأحد إن أرادَ أن يَتبعَهُ ، وأن لايَمنعَ أحداً من أصحابهِ أراد أن يُقيمَ بها . فلمّا دَخلَها ومَضىٰ الأجَلُ أتوا عليًّا فقالوا : قلْ لصاحبكَ اخرجْ عنّا فقد مضٰى الأجَل . فخرَجَ النبي ﷺ ، فتبعَتْهم ابنةُ حمزةَ ـ ياعَمّ ، ياعَمّ ـ فتناوَلَها عليٌّ فأخذَ بيدِها وقال لفاطمةَ : دُونَكِ ابنةَ عمِّكِ احمليها . فاختصَم فيها عليٌّ وزيدٌ وجَعفرٌ . فقال عليٌّ : أنا أحقُّ بها وهي ابنة عمّي وخالتُها تحتي . وقال زيدٌ : ابنةُ أخي . فقضىٰ بها النبي ﷺ لخالتها وقال : « الخالةُ بمنزلةِ الأمّ » وقال لعلي :« أنتَ مني وأنا منك » وقال لجعفر :« أشبهتَ خَلْقي وخُلقي » وقال لزيد : « أنتَ أخونا ومَولانا » .

وفي رواية (١) قال : لَمّا صَالَحَ رَسُولُ الله ﷺ أهلَ الحُدَيْبِيَةِ : كتب علي بينَهُم كِتَاباً ، فكَتَب : محمدٌ رَسُولُ اللهِ . فَقالَ المُشْرِكُون : لاتَكْتُبْ : محمدٌ رَسُولُ اللهِ ، لَوْ كُنتَ رَسُولاً لم نُقاتِلْكَ . فَقَالَ لِعَلِيٍّ :« امْحُه » فقَالَ عَلِيٌّ : مَا أنا بالذي أمحاه . فَمَحَاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بيده، وَصَالَحَهُم عَلَى أنْ يَدْخُلَ هُو وأَصْحابُهُ ثَلاَثَة أيَّام ، وأن لا يَدخلوها إلا بِجُلُبَّان السلاح ، فَسأَلُوه : ما جُلُبّانُ السلاح ؟ فَقَالَ : « القِرَابُ بما فِيه » .

---

٥٧٩ ـ البخاري (٥ / ٣٠٣) ٥٣ ـ كتاب الصلح ـ ٦ ـ باب كيف يُكتب : « هذا ماصالح فلانُ بنُ فلانِ فلانَ ابنَ فلانٍ» ، وإن لم ينسبه إلى قبيلته أو نسبه .

(١) البخاري (٥ / ٣٠٣) ٥٣ ـ كتاب الصلح ـ ٦ ـ باب كيف يُكتب : « هذا ماصالح فلانُ بنُ فلانٍ فلانَ بنَ فلانٍ » . ومسلم نحوه (٣ / ١٤٠٩) ٣٢ ـ كتاب الجهاد والسير ـ ٤٣ ـ باب صلح الحديبية في الحديبية .

جُلُبّان السلاح : الجَلبان أيضاً ، يقال للقِراب ومافيه : جُلُبّان .

القِرابُ : قِرَابُ السيف : مايوضَع فيه بغِمْدِه ، شبيه بالجراب ، وأرادوا في صلحهم أن يستروا السلاح ولايظهروه . =

وفي رواية [١] قال : صَالحَ النبيُّ ﷺ المُشركِينَ يومَ الحُدَيْبية عَلَى ثَلاثَةِ أَشْياءَ : عَلَى أَنَّ من أَتاهُ مِنَ المُشْركينَ رَدَّه إليهم ، ومَنْ أَتاهُم مِنَ المسْلِمِينَ لَمْ يَردُّوه ، وَعَلَى أَنْ يَدخُلَهَا مِنْ قَابل ، ويُقيمَ بها ثَلاثَة أيام ، وَلا يدخُلَها إلا بِجُلُبَّانِ السلاحِ - السَّيفِ والقوْس وَنَحْوِه - فَجَاءَ أَبُو جَنْدَلٍ يَحْجُل في قُيُوده ، فَردَّه إِلَيهم .

- وفي أخرى [٢] : أن النبي ﷺ لما أراد أن يَعْتَمرَ أَرْسَل إلى أهل مكة يستأذِنُهم ليدخلَ مكة ، فاشترطوا عليه : أن لا يقيمَ بها إلا ثلاثَ ليالٍ ، ولا يدخلها إلا بجُلُبَّان السلاح ، ولا يَدْعُوَ منهم أحداً ، قال : فأخذ يكتُبُ الشَّرْطَ بينهم عليٌّ بنُ أبي طالب ، فكتب : هذا ماقاضى عليه محمدٌ رسولُ الله ، فقالوا : لو علمنا أنَّكَ رسولُ الله ، لم نمنعْكَ ، وَلَتَابعْناك . ولكن اكتب هٰذا ماقاضى عليه محمدُ بنُ عبد الله ، فقال : « أنا والله محمدُ بنُ عبد الله ، وأنا والله رسُول الله » قال : وكان لايكتب قال ، فقال لعليٍّ : « امْحُ رسولَ الله » فقال عليٌّ : والله لاأمحاه أبداً ، قال : « فأَرِنِيه » . قال : فأراه إياه ، فمحاه رسولُ الله ﷺ بيده ، فلما دخل ومضتِ الأيام أَتَوْا عليًّا ، فقالوا : مُرْ صاحبَك فَلْيَرتحِلْ ، فذكر ذلك عليٌّ لرسول الله ﷺ ، فقال : « نعم » . فارْتَحَلَ .

وفي أخرى [٣] : ثم قال لعليٍّ : « امْحُ رسول الله » قال : لا ، والله لاأمحوك أبداً ، فأخذ رسولُ الله ﷺ الكتاب فكتب : هذا ماقاضى عليه محمدُ بنُ عبد الله ... الحديث . وفيه ذكر بنت حمزة ، والأخذ لها ، والخصومة فيها .

قال في الفتح : قوله (ثم قال لعلي : امح رسول الله) أي امح هذه الكلمة المكتوبة من

= وقال الأزهري : القِراب : غِمْدُ السيف ، والجلبّان : شبه الجراب من الأدم يوضع فيه السيف مغموداً ، ويَطرح فيه الراكب سَوطَه وأداته ، ويعلقه في آخرة الرَّحْل ، أو واسطته ، وكأن اشتقاقه من الجُلْبة ، وهي الجلدة التي تجعل على القَتَب ، وهي كالغشاء للقِراب ، وكذلك الجلدة التي تُغَشَّى بها التمية تسمى جُلْباناً ، وقال ابن قتيبة « جُلُبّان » ، بضم الجيم واللام وتشديد الباء ، قال : ولا أراه سُمّي بذلك إلا لجفائه ، ولذلك قيل للمرأة الغليظة الجافية : جُلُبّانة وفي بعض الروايات « ولايدخلها إلا بجُلُبّان السلاح : السيفِ ، والقوس ونحوهما » يريد : ماكان مُغمَداً يحتاج في إظهاره إلى معاناةٍ ، لابالرّماح والقنا ، لأنها أسلحة مُظْهَرةٌ يمكن تعجيل الأذى بها ، قال الهروي : والقول ماقال الأزهري .

(١) البخاري (٥ / ٣٠٤) ٥٣ - كتاب الصلح - ٧ - باب الصلح مع المشركين .

(٢) البخاري (٦ / ٢٨٢) ٥٨ - كتاب الجزية والموادعة - ١٩ - باب المصالحة على ثلاثة أيام أو وقت معلوم .

(٣) البخاري (٥ / ٣٠٣) ٥٣ - كتاب الصلح - ٦ - باب كيف يُكتب « هذا ماصالح فلانُ بنُ فلان فلانَ بنَ فلان » .

الكتاب ، فقال : لاوالله لاأمحوك أبداً ، وللنسائي من طريق علقمة بن قيس عن علي قال : (كنت كاتب النبي ﷺ يوم الحديبية فكتبت : هذا ماصالح عليه محمد رسول الله ، فقال سهيل : لو علمنا أنه رسول الله ماقاتلناه ، امحها فقلت : هو والله رسول الله ﷺ وإن رغم أنفك ، لاوالله لاأمحوها) وكأن عليا فهم أن أمره له بذلك ليس متحتما ، فلذلك امتنع من امتثاله . ووقع في رواية يوسف بعد (فقال لعلي : امح رسول الله ، فقال : لاوالله لاأمحاه أبدا . قال . فأرنيه ، فأراه إياه فمحا النبي ﷺ بيده) ونحوه في رواية زكريا عند مسلم وفي حديث علي عند النسائي وزاد (وقال : أما إن لك مثلها ، وستأتيها وأنت مضطر) يشير ﷺ إلى ماوقع لعلي يوم الحكمين فكان كذلك .

قوله (فخرج النبي ﷺ) في رواية يوسف (فذكر ذلك علي فقال : نعم فارتحل) وفي مغازي أبي الأسود عن عروة (فلما كان اليوم الرابع جاءه سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى فقالا : ننشدك الله والعهد إلا ماخرجت من أرضنا ، فرد عليه سعد بن عبادة ، فأسكته النبي ﷺ وآذن بالرحيل) . وأخرج الحاكم في (المستدرك) من حديث ميمونة في هذه القصة (فأتاه حويطب بن عبد العزى) وكأنه كان دخل في أوائل النهار فلم يكمل الثلاث إلا في مثل ذلك الوقت من النهار الرابع الذي دخل فيه بالتلفيق ، وكان مجيئهم في أول النهار قرب مجيء ذلك الوقت . ويؤخذ منه أن الخالة في الحضانة مقدمة على العمة لأن صفية بنت عبد المطلب كانت موجودة حينئذ ، وإذا قدمت على العمة مع كونها أقرب العصبات من النساء فهي مقدمة على غيرها ، ويؤخذ منه تقديم أقارب الأم على أقارب الأب . وعن أحمد رواية أن العمة مقدمة في الحضانة على الخالة ، وأجيب عن هذه القصة بأن العمة لم تطلب . فإن قيل : والخالة لم تطلب ، قيل : قد طلب لها زوجها ، فكما أن للقريب المحضون أن يمنع الحاضنة إذا تزوجت فللزوج أيضا أن يمنعها من أخذه ، فإذا وقع الرضا سقط الحرج . وفيه من الفوائد أيضا تعظيم صلة الرحم بحيث تقع المخاصمة بين الكبار في التوصل إليها وأن الحاكم بين دليل الحكم للخصم ، وأن الخصم يدلي بحجته ، وأن الحاضنة إذا تزوجت بقريب المحضونة لاتسقط حضانتها إذا كانت المحضونة أنثى أخذا بظاهر هذا الحديث قاله أحمد ، وعنه لافرق بين الأنثى والذكر ، ولايشترط كونه محرما لكن يشترط أن

يكون فيه مأمونا ، وأن الصغيرة لاتشتهى ، ولاتسقط إلا إذا تزوجت بأجنبي ، والمعروف عن الشافعية والمالكية اشتراط كون الزوج جَدًّا للمحضون ، وأجابوا عن هذه القصة بأن العمة لم تطلب وأن الزوج رضي بإقامتها عنده ، وكل من طلبت حضانتها لها كانت متزوجة فرجح جانب جعفر بكونه تزوج الخالةَ .

٥٨٠ ـ * روى أبو داود عن عبد الله بن عباسٍ رضي الله عنهما : أن رسول الله ﷺ أقامَ في عُمْرَةِ القَضَاءِ ثلاثاً .

٥٨١ ـ * روى الطبراني عن ابنِ شهابٍ قالَ : لما اعتمر رَسُولُ الله ﷺ عُمْرَةَ القَضَاء أمَرَ أصْحَابَهُ ، فَقَال « اكْشِفُوا عَنِ المَنَاكِب واسْعَوا في الطَّوَاف » لِيَرِيَ المُشْرِكِينَ جَلَدَهُم وَقوَّتَهُم ، وَكَان يكيدُهم بكُلِّ مَا استَطَاعَ فَانْكفَأ أهلُ مكةَ : والرجالُ والنساءُ والصِّبيَانُ يَنْظرون إلى رَسُول اللهِ ﷺ وأصْحَابه وَهُمْ يَطوفونَ بالبَيْت ، وَعَبدُ اللهِ بنُ رواحة يَرْتجزُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُول اللهِ ﷺ مُتوشِّحًا بالسَّيف يقُول :

خَلُّوا بَني الكُفَّار عَنْ سبيله	خلُّوا فكلُّ الخَير في رسوله
فَاليَومَ نضْربُكم عَلَى تَأويله	كَمَا ضَرَبْنَاكُم عَلَى تَنْزيله
ضَرْباً يُزيلُ الْهام عَنْ مَقيله	ويُذهِلُ الخليلَ عَنْ خَليله

وبَعَثَ رجالاً مِنْ أشْرافِ المشْركِينَ كرَاهيَة أن يَنظرُوا إلى رَسُولِ الله ﷺ غَيْظاً وَحَنَقاً وَنَفَاسَةً وَحَسداً خَرَجُوا إلى نَوَاحي مَكَّة فقضى رَسُولُ اللهِ ﷺ نُسُكَهُ وَأقَام ثلاثاً .

٥٨٢ ـ * روى البخاري عن عبدِ الله بنِ أبي أوْفَى رَضِي الله عنهُ سَمِعَ ابنَ عباسٍ

---

٥٨٠ ـ أبو داود (٢ / ٢٠٦) ، كتاب المناسك ، باب المقام في العمرة . ومعناه في الصحيحين .

٥٨١ ـ أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٤٦) ، وقال : رواه الطبراني ، ورجاله رجال الصحيح . وهو مرسل .

الهامَ : جمع هامة ، وهي الرأس .

مقيله : مَقَرُّه .

حنَقاً : غيظاً .

٥٨٢ ـ البخاري (٧ / ٥٠٨) ٦٤ ـ كتاب المغازي ـ ٤٣ ـ باب عمرة القضاء .

يَقُول :لـمَّا اعْتَمَرَ رَسُولُ الله ﷺ سَتَرنـاهُ مِن غلمـان المُشْرِكِينَ وَمِنْهُم أَنْ يُـؤْذُوا رسُـول اللهِ ﷺ » .

٥٨٣ ـ * روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : اعتمر رسولُ اللهِ ﷺ أربعَ عُمَرٍ كلُّهنَّ في ذي القَعدة ، إلاّ التي كانت مع حجته : عمرةً من الحُديبية في ذي القعدة ، وعمرةً من العـام المقبـل في ذي القعـدة ، وعمرةً من الجِعْرانـة حيث قسم غنـائم حُنَين في ذي القعدة ، وعمرة مع حَجَّتِه .

وفي رواية أبي داود زيادة في لفظه [١] قال : والثانيةُ : حين تَوَاطؤوا على عُمْرَةِ قـابل ، وقال في الرابعة : التي قَرَن مَع حَجَّتِه .

***

تعليقات على عمرة القضاء :

قال الدكتور البوطي :

هذه العمرة تعتبر تصديقاً إلهيًّا لما وعد به النبي عليه الصلاة والسلام أصحابه من دخولهم مكة وطوافهم بالبيت . وقد رأيت كيف سأل عمر رسول الله ﷺ أثناء صلح الحديبية : أولست كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به ؟ فأجابه : « بلى ، أفأخبرتك أنك تـأتيـه عامك هذا ؟ » قال : لا . قال : « فإنك آتيه ومطوّف به » .

فهذا هو مصداق وعد رسول الله ﷺ . وقد نبه الله عز وجل عباده إلى هـذا التصديق في قوله ﴿ **لقد صدق اللهُ رسولَه الرُّؤيا بالحق لتدخلُنَّ المسجدَ الحرامَ إن شاء اللهُ آمنين محلقين رؤوسكم ومقصّرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دُون ذلك فتحاً قريباً** ﴾ [٢] .

---

٥٨٣ ـ البخاري (٧ / ٤٣٩) ٦٤ ـ كتاب المغازي ـ ٣٥ ـ باب غزوة الحديبية .

ومسلم (٢ / ٩١٦) ١٥ ـ كتاب الحج ـ ٣٥ ـ باب بيان عدد عُمَر النبي ﷺ .

(١) أبو داود (٢ / ٢٠٦) ، كتاب المناسك ، باب العمرة .

عمرة قابل : قال قتيبة : يعني : عمرة القضاء في ذي القعدة .

(٢) الفتح : ٢٧ .

وقال : ذهب بعض الفقهاء إلى جواز عقد النكاح حالة الإحرام بحج أو عمرة ، اعتماداً على الرواية التي نقلت أنه ﷺ ، عقد على ميمونة أثناء إحرامه .

والذي عليه جماهير الفقهاء أنه لايجوز للمحرم أن يعقد نكاحاً لا لنفسه ولا وكالة عن غيره مطلقاً . وذهبت الحنفية إلى أنه يحرم للمحرم أن يتولى عقد النكاح لغيره ممن لم يكن محرماً .

هذا وقد اعتمر رسول الله ﷺ أربع عمرات وحج حجة واحدة . أ.هـ

أقول :

كانت عمرة القضاء مقدّمة لفتح مكّة فهي نفسها كانت من قريش استسلاماً وهي أشعرت قريشاً ومن معها بقوّة المسلمين ، والأهمّ من هذا أنّها أسقطت أكبر حجج قريش لو أراد رسول الله ﷺ غزوها وهي حماية بيت الله الحرام ، لقد كان بالإمكان أن تدّعي أن محمداً ﷺ عدو للبيت الحرام ولأهله وأنّه لايحترمه ولايقدسه بل يريد إنهاءه وإبطال مناسكه ، ومن خلال ذلك كان بإمكانها أن تحشد ، ولكن بهذه العمرة انتهت هذه الحجج كلّها ؛ ولذلك فإن فتح مكّة فيما بعد لم يرافقه أي تحشّد خارجي بجانب قريش .

* * *

نظرة على أحداث السنة السابعة

أي أفق ذلك الأفق الذي نطلّ عليه ونحن نقرأ سيرة رسول الله ﷺ ، حيث الكفاءة من جهة والتأييد الإلهي أوّلاً وأخيرا من جهة ثانية ، لم يكن بين رسول الله ﷺ ويهود خيبر عهد ولا عقد ، وكان المتوقّع أن يثأروا لإخوانهم بني قريظة وبني النضير وبني قينقاع ، كما كان من المتوقّع أن يلعبوا دورهم في التأليب على رسول الله ﷺ وقد رأينا في أحداث السنة السادسة أنّ بني سعد راسلوا يهود خيبر للعمل المشترك على أن يعطيهم اليهود تمر خيبر ، ولكنّ سريّة علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقتذاك أجهضت الفكرة ، وإذن لابدّ من عمل ضدّ خيبر ، ولكنّ رسول الله ﷺ أجّل ذلك عاما كاملا حتّى وادع قريشاً وبذلك أُسقِطَ في أيدي أهل خيبر أن يجتمعوا حول قريش أو أن تأتيهم نصرة من قبلها وقبل أن يصل إلى ديارهم أرسل سريّة إلى غَطَفان فحال بينها وبين إمداد خيبر ، وأُسقِطَ في أيدي اليهود أن يأتيهم مدد من هذا الجانب ، ومن قبل غزا بني سعد وأفقدهم قوّتهم التي يمكن أن يتحرّكوا بها نحو خيبر وبهذا كلّه لم يعد أمام خيبر إلا التسليم ، والتسليم وليس الاستئصال هو هدف رسول الله ﷺ الاستراتيجي إلا إذا كانت هناك أسباب تتطلب غير ذلك كما حدث في أوّل قيام الدولة ، ومن خلال هذه النظرة البعيدة المدى وصل في النهاية فعلا إلى أن سلّمت له العرب جميعا ، وجاءته وفودها من كل حَدَب وصوب ، وهكذا وبأقل الخسائر وحّد الجزيرة العربية تحت سلطانه بالهيبة والرعب وبالتربية والحب وبالدعوة والعِلْم ولن نستبق الأحداث ، فأحداث السنة الثامنة كانت هي القنطرة لهذا كلّه ، وذلك بعد أن أزال سلطان قريش السياسي وسلطان اليهود السياسي فلم يبق أمامه شيء .

تظهر لك في أحداث هذه السنة وغيرها حوادث تدلّك على التأديب المستمر الذي كان رسول الله ﷺ يرتقي به بأصحابه ، كحادثة قتل أسامة لمن أسلم تحت السيف . هذه الحوادث تَدُلُّك على ملاحقة رسول الله ﷺ أخطاء النفس البشرية حتّى خلصت لله زاكية مُزكّاة .

* * *

السَّنَةُ الثَّامِنَةُ لِلهِجْرَة

أحداث السنة الثامنة في سطور

ذكر ابن كثير في أحداث هذه السنة إسلام خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعثمان بن طلحة ، فنقل عن الواقدي أنهم قَدِمُوا لهلال صفر سنة ثمان ، وسريّة شجاع بن وهب الأسدي إلى هوازن ، وسرية كعب بن عمير إلى قضاعة ، ثم ذكر غزوة مؤتة ، وفصّل في رسائل رسول الله ﷺ ههنا مع أنه ذكر أنّ هذه الرسائل كانت في أواخر سنة ست ، والراجح ذلك أو أنها في بداية سنة سبع ، ثم ذكر سرية ذات السلاسل ، وذكر سرية أبي عبيدة إلى سيف البحر ، مع أنّ الراجح أنها كانت قبل صلح الحديبية ، لذلك أوردناها في سنة ست ، ثمّ ذكر غزوة الفتح ، ثمّ ذكر بعث خالد بن الوليد إلى بني جَذِيمَةَ ، ثم بَعثَه لهدم العُزَّى ، ثم ذكر غزوة هوازن ويومَ حُنَينٍ ، ثمّ سريةَ أَوْطاس ، وحصارَ الطائف ، ثم مرجِعَه منها وقسمة الغنائم ، ثمّ عمرتَه عليه الصلاة والسلام من الجِعْرانةِ ، ثمّ ذكر عودتَه إلى المدينة المنورة ، ومَقْدَمَ كعبِ بنِ زُهير وإسلامه ، وذكر فيها هدمَ الكعبة اليمانيّة وهي سريّة ذي الخَلَصَة .

ومن كلام ابن كثير وهو يختم الكلام عن هذه السنة :

قال الواقدي : وفي هذه السنة بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص إلى جَيْفَرٍ وعمرٍو ابني الجُلُنْدَي من الأزد ، وأخذت الجزية من مجوس بلدهما ومن حولها من الأعراب ، قال : وفيها تزوج رسول الله ﷺ فاطمة بنت الضحاك بن سفيان الكلابي في ذي القعدة فاستعاذت منه عليه السلام ففارقها . وقيل بل خيّرها فاختارت الدنيا ففارقها . قال : وفي ذي الحجة منها ولد إبراهيم ابن رسول الله ﷺ من مارية القبطية وكانت قابلتها فيه سلمى مولاة رسول الله ﷺ فخرجت إلى أبي رافع فأخبرته ، فذهب فبشر به رسول الله ﷺ ، فأعطاه مملوكا ودفعه رسول الله ﷺ إلى أم برة بنت المنذر بن أسيد بن خدَاش بن عامر بن غَنْم بن عديٍّ بن النجار ، وزوجها البراء بن أوس بن خالد بن الجَعْد بن عَوْف بن مَبْذول ، قال الواقدي : وفيها كان هدم سُوَاع الذي كانت تعبده هذيل ، هدمه عمرو بن العاص رضي الله عنه ، وفيها هدم مناة بالمشَلَّل ، وكانت الأنصار أوسها وخزرجها يعظمونه ، هدمه سعد بن

زيد الأشهلي رضي الله عنه ا . هـ .

وقد تتبّع المباركفوري أحداث هذه السنة من زاد المعاد ، ورحمة للعالمين ، وتلقيح فهوم أهل الأثر وكتب الحديث الشريف وبعض شروحها وابن هشام ومختصر سيرة الرسول فأعطانا خلاصة ذكرها متفرّقة في سياقات مختلفة وها نحن نقدّمها تارة بلفظه وتارة باختصار .

* في صفر أرسل رسول الله ﷺ سرية غالب بن عبد الله إلى مصاب أصحاب بشير بن سعد بفدك في مائتي رجل ، فأصابوا من العدو نعماً ، وقتلوا منهم قتلى .

* وفي ربيع الأول كانت سرية ذات أطلاح إلى بني قضاعة فقد حشدت بنو قضاعة جموعاً كبيرة للإغارة على المسلمين ، فبعث إليهم رسول الله ﷺ كعب بن عمير الأنصاري في خمسة عشر رجلا ، فلقوا العدو ، فدعوهم إلى الإسلام فلم يستجيبوا لهم ورشقوهم بالنَّبْل حتى استشهدوا كلهم إلا رجلاً واحدا ، فقد أُرتُثَّ [1] من بين القتلى .

* وفي ربيع الأول كانت سرية ذات عرق إلى بني هوازن (وهي أشبه أن تكون سرية استطلاع) فقد كانت بنو هوازن أمدت الأعداء مرة بعد أخرى فأرسل إليهم شجاع بن وهْب الأسدي في خمسة وعشرين رجلاً ، فاستاقوا نَعَماً من العدو ولم يلقوا كيداً .

* وفي جمادى الأولى سنة ـ ٨ ـ للهجرة حدثت معركة مؤتة وكان سببها قتل شرحبيل ابن عمرو الغساني لرسول رسول الله ﷺ الحارث بن عمرو الأزدي ، فأرسل له رسول الله ﷺ جيشا قوامه ثلاثة آلاف مقاتل ، وكانت هذه المعركة هي المقدّمة والتمهيد لفتح بلاد الشام .

* وفي جمادى الآخرة أرسل رسول الله ﷺ سريّة على رأسها عمرو بن العاص وكان قوامها ثلاثمائة مقاتل ، وقد أمره رسول الله ﷺ أن يجنّد في طريقه من يستطيع تجنيده من القبائل التي يمرّ بها ، وكان هدفها فصل التلاحم بين بعض القبائل العربيّة والرومان ، وقطع الطريق على غزو القبائل المتاخمة للشام للمدينة المنورة ، وهذه السريّة تسمى سريّة

---

(١) ارْتُثَّ فلانٌ : ضُرب في الحرب فأُثْخِنَ وحُمل وبه رَمَقٌ ثم مات .

ذات السلاسل وقد أمدّ الرسول ﷺ عمرو بن العاص بمائتين على رأسهم أبو عبيدة بن الجراح ، وقد سيطرت هذه السرايا على المناطق الشماليّة للجزيرة العربيّة وأخضعتها .

* وفي شعبان سنة ـ ٨ ـ أرسل رسول الله ﷺ أبا قتادة في خمسة عشر رجلا في عمليّة خاطفة إلى بني غطفان في نجد الذين كانوا يتحشّدون لرسول الله ﷺ في خضرة فقتل وسبا وغنم فأجهض بهذه العمليّة فكرة التحشّد .

* وفي رمضان سنة ـ ٨ ـ تمّ فتح مكّة بعد أن غدرت قريش بحلفاء رسول الله ﷺ من بني خزاعة .

* ومن مكّة بعد فتحها أرسل رسول الله ﷺ عددا من السرايا :

١ ـ سريّة خالد بن الوليد إلى العزّى لخمس بقين من شهر رمضان سنة ـ ٨ ـ للهجرة ليهدمها ، وكانت بنخلة ، وكانت لقريش وجميع بني كنانة ، وهي أعظم أصنامهم . وكان سدنتها بني شيبان ، فخرج إليها خالد في ثلاثين فارساً حتى انتهى إليها ، فهدمها . ولما رجع سأله رسول الله ﷺ : « وهل رأيت شيئاً ؟ » قال : لا ، قال : « فإنك لم تهدمها فارجع إليها فاهدمها » فرجع خالد متغيظا قد جرد سيفه ، فخرجت إليه امرأة عريانة سوداء ناشرة الرأس ، [1] فجعل السادن يصيح بها ، فضربها خالد فجزلها باثنتين ، ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره ، فقال : « نعم ، تلك العزى ، وقد أيست أن تعبد في بلادكم أبدا » .

٢ ـ ثم بعث عمرو بن العاص في نفس الشهر إلى سُوَاع ليهدمه ، وهو صنم لهُذَيل ، على ثلاثة أميال من مكة ، فلما انتهى إليه عمرو قال له السادن : ماتريد ؟ قال : أمرني رسول الله ﷺ أن أهدمه ، قال : لاتقدر على ذلك ، قال : لم ؟ قال : تُمنع . قال : حتّى الآن أنت على الباطل ؟ ويحك ، فهل يسمع أو يبصر ؟ ثم دنا فكسره ، وأمر أصحابه فهدموا بيت خزانته ، فلم يجدوا فيه شيئا . ثم قال للسادن : كيف رأيت ؟ قال : أسلمت لله .

(١) امرأة عريانة سوداء ناشرة الرأس : الظاهر أنها شيطانة .

٣ ـ وفي نفس الشهر بعث سعد بن زيد الأشهلي في عشرين فارسا إلى مناة وكانت بالمشلّل عند قُدَيد للأوس والخزرج وغسانَ وغيرهم ، فلما انتهى سعد إليها قال له سادنها : ماتريد ؟ قال : هدم مناةَ ، قال : أنت وذاك ، فأقبل إليها سعد ، وخرجت امرأة عُريانة سوداء ثائرة الرأس ، تدعو بالويل ، وتضرب صدرها ، فقال لها السادن : مناةُ دونَك بعضَ عُصاتِك . فضربها سعد فقتلها ، وأقبل إلى الصنم فهدمه وكسره ، ولم يجدوا في خزانته شيئا .

٤ ـ ولما رجع خالد بن الوليد من هدم العُزّى بعثه رسول الله ﷺ في شوال من نفس السنة ـ ٨ هـ ـ إلى بني جَذِيمة داعيا إلى الإسلام لامقاتلا . فخرج في ثلاثمائة وخمسين رجلا من المهاجرين والأنصار وبني سُلَيم ، فانتهى إليهم فدعاهم إلى الإسلام ، فلم يحسنوا أن يقولوا : أسلمنا ، فجعلوا يقولون : « صبأنا صبأنا » فجعل خالد يقتلهم ويأسرهم [١] ، ودفع إلى كل رجل ممن كان معه أسيرا ، فأمر يوما أن يقتل كل رجل أسيره ، فأبى ابن عمر وأصحابه حتى قدموا على النبي ﷺ ، فذكروا له ، فرفع ﷺ يديه وقال : « اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد » مرتين .

وكانت بنو سليم هم الذين قتلوا أسراهم دون المهاجرين والأنصار ، وبعث رسول الله ﷺ عليًّا فودَى لهم قتلاهم ومـاذهب منهم ، وكان بين خالد وعبد الرحمن بن عوف كلام في ذلك ، فبلغ النبي ﷺ فقال : « مهلا ياخالد ، دع عنك أصحابي ، فوالله لو كان أُحُد ذهباً ، ثم أنفقته في سبيل الله ماأدركت غدوة رجل من أصحابي ولاروحته » .

* وفي السادس من شوال سنة ـ ٨ هـ ـ توجّه رسول الله ﷺ في اثني عشر ألف مقاتل نحو هوازن وثقيف ومن التفّ حولهم وكانت معركة حنين في ١٠ شوال وكانت عاقبتها للمسلمين ثمّ تابع فُلُولَهمْ فكانت معركة أَوْطَاس .

* وبعد حنين توجّه رسول الله ﷺ إلى الطائف في شوال كذلك مقدّما خالد بن الوليد في ألف مقاتل ، وقد حاصرها ﷺ ثمّ فكّ الحصار عنها ، وكلّف مالك بن عوف بعد أن أسلم أن يضغط عليها ، وكان من ثمار ذلك أن أسلمت ثقيف بعد فترة .

---

(١) **فجعل خالد يقتلهم ويأسرهم** : وذلك ؛ لأنه لم يفهم من كلمتهم أنهم يعلنون إسلامهم ، بل فهم أنهم يُصِرُّون على كفرهم .

* وبعد عودة رسول الله ﷺ إلى المدينة وفد عليه كعب بن زهير ، وقد كانت عودة رسول الله ﷺ إلى المدينة المنورة لِستٍّ بَقِينَ من ذي القعدة وبعودته دخلت الدعوة الإسلاميّة في طَوْر جديد ، طور الدخول في دين الله أفواجا ، فبدأت الوفود تَتْرَى إلى المدينة المنورة داخلة في الإسلام ، مقدّمة الطاعة والولاء لرسول الله ﷺ . ا هـ .

وإذ لم يكن السرد التاريخي هدفا لنا في هذا الكتاب إلا بالقدر الذي يلقي أضواء على الفهم العام للسيرة النبويّة ، فسنكتفي بأن نعقد فصولا للأحداث التي يعتبر التفصيل فيها هدفا من أهداف هذا القسم .

كانت سياسة الرسول ﷺ ألا يسكت على اعتداء ، فهناك فارق كبير بين الاعتداء الشخصي وبين الاعتداء على الدولة ، لقد تحمّل رسول الله ﷺ من الاعتداء على شخصه ما تنوء به الجبال وكلّ ذلك في الله وبالله ، وما من عاقل إلا ويعلم أنّ رسول الله ﷺ لم تكن تصرفاته أثرا عن هوى ، ولكنها الحكمة التي تضع الأمور مواضعها ، والسكوت على الاعتداء على الدولة يفقدها هيبتها ويزيد طمع الطامعين بها ويُؤَلِّبُ عليها أعداءها ، كما أنّ من سياسة رسول الله ﷺ ألا ينتظر الاعتداء حتّى يقع ؛ لأنّ درهم وقاية خير من قنطار علاج ، بل هو عليه الصلاة والسلام كان يفجأ المعتدي قبل استكمال أدوات اعتدائه ، ولقد كانت هذه المعاني وراء أهم أحداث السنة الثامنة .

* * *

فصل : في إسلام خالد وعمرو وعثمان بن طلحة

أسلم هؤلاء الثلاثة قبل الفتح بإجماع ، وهناك روايات تذكر أنهم أسلموا مع بعضهم ، وعامة أهل السير يقولون : إنهم أسلموا في السنة الثامنة ، وكلّ منهم له دور ما في الأحداث من قبل ومن بعد على تفاوت في ذلك ، وليس لنا ماتقوله ههنا أو ننقله فستأتي تراجمهم فيما بعد ولكن نحبّ أن نذكر تعليقا بسيطا على إسلامهم لأنّ له دلالات هامّة ! فههنا ثلاث شخصيات كلّ منها له طابع مميّز :

أمّا عمرو فبعيد النظريزن الأمور بميزان الأرباح والخسائر وهو ذو عقل استراتيجي درّاك لمّاح وأمّا خالد فشجاع مقدام مقاتل حرّ النفس .

وأمّا عثمان فمن آل بيت يتألّهون ، أليست لهم حجابة الكعبة ، فعندما يأتي هؤلاء جميعًا إلى محمد ﷺ مسلمين فإنّك تدرك تغيّر الميزان وتدرك أنّ تغيّرات كبيرة قد طرأت على النفسيّات كلّها ، وأنّ من لم يزل بعيدا عن الإسلام إنّما تحكمه عقد نفسيّة أو تمنعه قوة الاستمرار عن الانتقال إلى الوضع الجديد .

* * *

فصل : في سريّة شجاع بن وهب

ذكر ابن كثير في البداية والنهاية رواية الواقدي عن سرية شجاع بن وهب في أربعة وعشرين رجلا إلى جمع من هوازن وأمره أن يُغِيرَ عليهم فأمر أصحابه ألا يمعنوا في الطلب وأغار عليهم .... ثمّ قال ابن كثير : وقد تكون هذه السريّة هي المذكورة فيما رواه الشافعي [1] عن مالك عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ بَعَثَ سَرِيَّة قِبَلَ نجد فكان فيهم عبد الله بن عمر ، قال : فأصبنا إبلا كثيراً فبلَغتْ سِهامنا اثني عشرَ بعيراً ونفّلنا رسولُ اللهِ ﷺ بعيراً بعيراً .

٥٨٤ ـ * وروى أبو داودَ عن ابن عمرَ قال : بعثَ رسول الله ﷺ سَريةً إلى نجدٍ فخرجتُ معها فأصبْنا نَعَمًا كثيرة فنفَلَنا أميرُنا بعيرا بعيراً لكل إنسان ، ثم قَدِمنا على رسول الله ﷺ فقسَم بيننا غنيمتنا فأصاب كلٌّ رجل منا اثني عشر بعيراً بعد الخمس وما حاسبَنا رسول الله ﷺ بالذي أعطانا صاحبُنا ولا عاب عليه ماصنع فكان لكل منا ثلاثةَ عشرَ بعيراً بنَفَله .

* * *

---

(١) البخاري (٨ / ٥٦) ٦٤ ـ كتاب المغازي ـ ٥٧ ـ باب السرية التي قبل نجد .

ومسلم واللفظ له (٣ / ١٣٦٨) ٣٢ ـ كتاب الجهاد والسير ـ ١٢ ـ باب الأنفال .

٥٨٤ ـ أبو داود (٣ / ٧٨) ، كتاب الجهاد ، باب في نفل السرية تخرج من العسكر .

فصل : في غزوة مؤتة من أرض الشام

قال ابن حجر في الفتح : قال ابن إسحق : هي بالقرب من البلقاء ، وقال غيره هي على مرحلتين من بيت المقدس . ويقال : إن السبب فيها أن شُرَحبيلَ بن عمرو الغسانيّ - وهو من أمراء قيصر على الشام - قتل رسولا أرسله النبي ﷺ إلى صاحب بُصري ، واسم الرسول الحارث بن عمير ، فجهز إليهم النبي ﷺ عسكرا في ثلاثة آلاف . وفي (مغازي أبي الأسود) عن عروة : بعث رسول الله ﷺ الجيش إلى مؤتة في جمادى من سنة ثمان وكذا قال ابن إسحاق وموسى بن عقبة وغيرهما من أهل المغازي لايختلفون في ذلك ، إلا ما ذكر خليفة في تاريخه أنها كانت سنة سبع . أ.هـ

٥٨٥ - * روى الطبراني عن عُرْوَةَ بن الزُّبَيْرِ قَالَ : بَعَثَ النبيُّ ﷺ بَعْثاً إلى مُؤتَةَ في جُمَادىٰ الأوْلَى مِنْ سَنَةِ ثَمانٍ واسْتَعْمَلَ عَلَيْهِم زَيْدَ بنَ حَارِثَةَ ، فَقَالَ لَهُم : « إنْ أُصِيبَ زَيْدٌ فجَعْفَر بنُ أبي طَالِب عَلَى النَّاسِ ، فَإنْ أصيبَ جَعْفَر فَعَبْدُ اللهِ بن رَوَاحَة عَلَى النَّاس » فَتجَهَّز النَاسُ ثمَّ تهيئوا للْخرُوج وَهُمْ ثَلاثَةُ آلافٍ فَلَمَّا حَضَرَ خُروجُهُم ودعَ النَّاسُ أُمَرَاءَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَسَلَّمُوا عَلَيْهِم . فَلَمَّا وُدِّعَ عَبْدُ الله بنُ رَوَاحةَ مَعَ مَنْ وُدِّعَ بَكَى ، فَقيل له : مَايُبْكيك يـاابنَ رَوَاحةَ فَقَالَ : وَاللهِ مَابِي حُبُّ الدنْيَا وصَبَابَة ولكنْ سَمِعتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يقرأ آية مِنْ كِتَاب اللهِ يَذْكُرُ فِيها النَّار﴿ وَإنْ مِنكُم إلاّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى ربِّك حَتماً مقْضيًّا ﴾ [1] فَلسْت أدْري كَيْفَ لِي بالصَّدْرِ بَعْدَ الورودِ فَقَال لَهُم المُسْلِمُون : صَحِبَكُمُ اللهُ وَدَفَعَ عَنْكُم وَرَدَّكُم إلَيْنَا صَالِحينَ فَقَالَ عَبدُ اللهِ بنُ رَوَاحَة :

لٰكنّي أسْألُ الرحْمٰنَ مَغْفِرةً ... وَضَرْبَةً ذَاتَ فَرْغٍ تَقْذِفُ الزَّبَدَا

أو طَعْنَةً بيَدي حَرّانَ مُجْهِزَةً ... بِحَرْبَةٍ تُنفِذُ الأحْشَاءَ وَالكَبِدَا

حَتَّى يَقُولُوا إذَا مَرُّوا عَلَى جَدَثي ... أرْشَدَهُ اللهُ مِنْ غَازٍ وَقَدْ رَشَدَا

---

٥٨٥ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٥٧) ، وقال : رواه الطبراني ، ورجاله ثقات إلىٰ عروة . ا هـ وهو مرسل .

(١) مريم : ٧١ .

ذات فَرْغ : ذات سعة .

الزبد : رغوة الدم .

=

ثُمَّ إنَّ القَوْم تَهيئوا لِلْخُرُوج فَأتَى عَبْدُ الله بنُ رَوَاحَة رَسُولَ اللهِ ﷺ يُوَدِّعهُ فَقَالَ :

يُثَبت اللهُ مَــا آتَــاك مِنْ حَسَن ... تَثبيت مُوسَى وَنَصْرا كَـالـذي نُصِرُوا

إني تفَرَّسْتُ فيــك الخَير نَــافِلَــة ... فِرَاسَــة خَــالَفتُهم فِي الـذِي نَظَروا

أنْتَ الرَّسُــول فَمَنْ يُحْرَم نَــوَافِلَــهُ ... والـوجْـهَ مِنـهُ فَقَـدْ أزْرَى بِـهِ القَـدَرُ

ثُمَّ خَرَجَ القَــوْمُ وَخَرَجَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ يُشيِّعُهُم حَتَّى إذا وَدَّعَهُم وَانْصَرَفَ عَنْهُم قَــالَ عَبدُ اللهِ بنُ رَوَاحَة :

خَلَفَ السَّـلامُ على امرئ وَدَّعْتُــه ... فِي النَّخْـلِ خيرِ مُشَيِّـع وخَليــل

ثُمَّ مَضَوْا حَتَّى نَزَلُوا مَعَانَ مِنْ أرْضِ الشَّامِ فَبَلَغَهُم أنَّ هِرقْل في مـابِ مِنْ أرْضِ البلْقَـاءِ في مائة ألفٍ مِنَ الرُومِ وقَدِ اجْتَمَعت إلَيْـهِ المُسْتَعْرِبـة مِنْ لخمٍ وَجُـذَام وَبلقين وبَهْراءَ وبلى في مائة ألفٍ ، عَلَيْهم رَجل بِلِي أخذَ رَايتهم يُقَالُ لهُ مـالـك بن زافلـة فَلَمَّـا بَلغَ ذلِـك المسْلمينَ قَامُوا بمَعَانَ ليْلَتَين ، ينظُرونَ في أمْرِهِم ، وَقَالُوا : نَكْتُبُ إلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَنُخبِرُهُ بِعَـددِ عَدوِّنَا ، فَإمَّا أن يمِدَّنَا وَإما أنْ يأمُرنا بِأمْرِهِ فَنَمْضي لـهُ فَشَجَّعَ عبْـدُ اللهِ بنُ رواحَـةَ النَّـاسَ . وقال : ياقومِ واللهِ إنّ الذي تكْرَهون للذي خرجتم لـه تَطْلُبون الشهـادةَ ومـا نقـاتلُ النـاسَ بعَدَدٍ وَلا قُوةٍ وَلا كثـرَة إنَّما نُقاتلُهم بِهٰذَا الدينِ الذِي أكرمَنَـا اللهُ بـه ، فَـانْطَلِقُوا ، فَـإنَّما هِي إحْدَى الحُسْنَيين إمَّا ظهور وَإمَّا شَهادَة قَال ابنُ إسحاق : حَدَّثَني عَبْدُ اللهِ بنُ أبي بَكْرٍ ، أنَّـه حَدَّث عَنْ زَيْدِ بنِ أرْقَمَ قالَ : كُنتُ يتيماً لعَبـدِ اللهِ بنِ رَواحَـةَ في حِجْرِهِ فَخَرجَ في سَفْرَتِـهِ تلْك مُرْدِفي عَلَى حَقيبةِ رَاحِلَتِهِ ووَاللهِ إنا لنَسير ليْلة إذْ سَمعتُه يَتمثَّل ببيْتِه هٰذا :

إذا أدَّيْتني وَحَمَلْتَ رَحْلِي ... مَسيرةَ أرْبـع بعــدَ الحِســاء[1]

فلمّا سمِعْتُه منه بكيتُ فخَفَقَني بالدِّرَّةِ ، وقالَ : ما عليك يـالُكع أن يرزقني اللهُ الشهـادةَ

= أزرى : أدخل عليه عيباً .

حقيبة الرحل : هي الزيادة التي تجعل في مؤخرة القَتَب ، والوعاء الذي يجمع فيه الرجل زاده .

والقَتَبُ : هو الرحل الصغير على قدر سنام البعير .

(١) أقول في سيرة ابن هشام : أربعة أبيات بعد هذا البيت يتوقع فيها الشهادة .

وترجعُ بين شُعْبَتِي الرَّحْلِ ومضى النـاسُ حتى إذا كانوا بتُخُـومِ البَلْقـاء لَقِيَتْهم جُمُـوعُ هِرَقْـلَ من الرومِ والعربِ بقريةٍ من قُرَى البلقاء يُقالُ لها : مابٌ ، ثم دنا العدو وانحـاز المسلمون إلى قرية يقال لها : مؤتة ، فالتقى الناس عندهـا وتعبأ المسلمون فجعلوا على مَيْمنَتِهم رجلاً من بني عذرة يُقال له: قُطبةُ بنُ قتادَةَ، وعلى مَيْسَرَتِهم رَجُلاً مِنَ الأنْصَارِ يُقالُ لهُ عُبادةُ بنُ مَالـكٍ، ثمَّ التقى النَّاسُ وَاقْتَتَلُوا فَقَاتَل زَيْدُ بنُ حَارِثَة برايَـة رَسُول اللهِ ﷺ حتَّى شَـاطَ فِي رِمَـاحِ القَوْمِ ثمَّ أخَذَهَا جَعفَرٌ فَقَاتَل بِهَـا حتَّى إذَا ألْجمـه القِتَـالُ اقْتَحَم عَنْ فَرَس لَـهُ شَقْرَاءَ فَعَقَرهَـا فَقَاتَل القَوْمَ حتَّى قُتِلَ ، وَكان جَعْفَرٌ أوَّلَ رجُلٍ مِنَ المسْلِمينَ عَقَرَ فِي الإسْلاَمِ .

٥٨٦ ـ * روى الطبراني عن عبّـادِ بن عبـدِ اللهِ بنِ الـزبيْرِ قـالَ : حَـدَّثني أبِي الـذِي أرضعني ، وَكَـان أحَـدَ بَني مُرَّةَ بنِ عَوفٍ ، وَكَـانَ فِي تلـكَ الغَزَاةِ غَزوةِ مـؤتـةَ قـالَ : وَاللهِ لكَـأني أنظرُ إلى جَعْفر بنِ أبي طَـالِب حين اقتحم عن فرس لـه شقراء ثم عقرهـا ، ثم قـاتل القومَ حتى قُتل ، فلما قُتل جعفر أخَذ عَبدُ اللهِ بنُ رَواحة الرَّايَةَ ثُمَّ تَقَدَّم بِهَا وَهُوَ عَلَى فَرَسِهِ فَجَعَل يَسْتَنْزِل نَفْسَهُ وَتَرَدَّدَ بَعْضَ الترَدُّد ثُمَّ قال :

أقسَمْتُ يَـــا نَفْسي لَتَنْـزِلنَّـــهْ ... طَـــائِعَـــةً أو لَتُكْرَهِنَّـــــه

مَـــا لِي أراك تكرَهين الجَنَّـــــه ... إن أجْلَبَ النَّـــاسُ وَشَـدُّوا الرَّنَّـــه

لَطَـــالَمَا قَـــدْ كُنْتِ مُطْمَئِنَّـــه ... هَـلْ أنْتِ إلاَّ نُطفـــةٌ في شَنَّـــه

= شعبتي الرحل : طرفاه المقدم والمؤخر .

تَعَبَّأ المسلمون : يقال : عَبَأتُ الجَيْشَ عبأً ، وعبّـأتُهم تعْبئَـةً وتَعْبِيئـاً ، وقـد يُتْرَكُ الهمْزُ فيقـال : عَبَّيْتُهم تعْبِيَـةً : أي رتَّبتُهم في مواضِعِهم وهيَّأتُهم للحَرْب .

شاط الرجل : إذا سال دمه وهلك .

ألجمه القتال : أحاط به .

عقر فرسه : ضرب قوائمها بـالسيف . ويحتمل أنـه قتلهـا والهدف من كلا التفسيرين ألا يستفيد منها العدو ، وحتى لاتراوده نفسه على الهرب عليها .

٥٨٦ ـ أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٥٩) ، وقال : رواه الطبراني ، ورجاله ثقات .

أجلب : صاح .

الرنّة : صوت فيه ترجيع شبيه بالبكاء .

نطفة : الماء القليل .

شنة : السقاء البالي . أي فيوشك أن تهراق النطفة أو ينخرق السقاء . ضرب ذلك مثلاً لنفسه في جسده . =

وَقَال عبدُ اللهِ بنُ رَوَاحَةَ :

يـــا نَفْسُ إنْ لا تُقْتَلي تَمُــوتي ... هٰـذَا حِمَـام المـوْتِ قَـدْ صَلِيت
وَمـــا تَمَنيْتِ فَقَـــدْ لَقيتِ ... إنْ تَفْعَلي فِعْلَهُما هُـــــدِيتِ

ثُمَّ نَزَلَ ، فَلَمَّا نَزل أتاهُ ابنُ عَمٍّ لَهُ بِعَظْمٍ مِنْ لَحْمٍ فقَالَ : اشـدُد بهٰـذا صُلْبَـك فـإنَّـكَ قـدْ لَقيتَ في أيامِك هٰذه مَا قَدْ لقيتَ ، فأَخذه مِنْ يَدِهِ ، فَانْتَهسَ مِنْـه نَهْسَةً ، ثُمَّ سَمِعَ الحَطْمَـةَ في نَاحِيَةِ النَّاسِ فَقَال : وأنتَ في الدنيا ثُمَّ أَلقَاهُ مِنْ يَده ثم أَخَـذَ سَيْفَـه فتَقَـدمَ فَقَـاتَل حتَّى قُتِلَ فأَخَذ الرَّايـة ثَـابتُ بنُ أَقرَم أحَدُ بني العجلان وَقَـالَ : يـا أَيُّهـا النَّـاسُ اصْطَلحُوا عَلَى رَجُل مِنكُم قَالوا : أَنْتَ ، قَال : مَا أَنَا بفاعِل ، فاصْطَلَحَ النَّـاسُ عَلَى خَـالـدِ بن الوليـد ، فلما أخَذَ الرَّايَة دَافَعَ القومَ ، ثمَّ انحَازَ حَتَّى انْصَرَفَ فلَمَّا أصيبُوا قَال رسول الله ﷺ : « أَخَذَ الرَّايـةَ زيدُ بنُ حارِثةَ فَقَاتَل بِها حَتَّى قُتِلَ شَهيـداً ، ثم أَخَـذَهـا جَعْفر فَقَـاتَل بِهَـا حَتَى قتل شهيداً » ثم صَمَـتَ النبي ﷺ حَتَّى تغيَّرتْ وجُوهُ الأنصار ، وظَنُّوا أنَّه كانَ في عبدِ اللهِ ابنِ روَاحَةَ بعضُ مايَكْرَهُونَهُ قَالَ :« ثُمَّ أَخَذَهَا عَبْدُ اللهِ بنُ رَواحَة فَقَـاتَل بِهَـا ، حَتَّى قُتِلَ شَهيداً ، ثُمَّ قَالَ :« لَقد رُفِعُوا إليّ في الجَنَّةِ فيما يَرَى النَّائِمُ عَلَى سُرُرٍ مِنْ ذَهَبٍ فَرأَيْتُ في سَرير عَبْـد اللهِ بنَ رَواحـةَ ازوِرَاراً عَنْ سَرِيرِيْ صَـاحِبَيـه ، فقلتُ : بِمَ هٰذا فَقيل لي : مَضَيَا وَتَردَّد عبدُ اللهِ بن رَوَاحَة بعْضَ التَرَدُّدِ وَمَضَى » .

٥٨٧ ـ * روى أحمد عن أبي قَتادَة الأَنْصَاريِّ فَـارِسِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قـال : بعثَ رسولُ اللهِ ﷺ جَيْشَ الأمَرَاءِ ، فقال :« عَلَيْكُم زَيدُ بنُ حَارِثَة ، فَإِن أُصيبَ زَيْـدٌ فجعفرُ بنُ أبي طَـالـبِ ، فـإِنْ أُصيبَ جَعفرٌ فَعَبْـدُ اللهِ بنُ رَوَاحَــةَ الأَنْصَـاريّ » فَـوَثَبَ جَعفَرٌ فَقَالَ : بأبي أَنْتَ وَأمّي يَارَسُولَ اللهِ مَا كُنْتُ أَرْهَبُ ، أَنْ تَسْتَعْمِل عَليَّ زَيْداً ، قَـالَ : «امضِ فَإِنَّك لا تَـدْري أيُّ ذلِـكَ خَيْرٌ» . فَـانْطَلَقُوا فَلَبِثُوا مَـا شَـاء اللهُ ، ثُمَّ إنَّ رَسُولَ الله ﷺ

= نَهَسَ : أخذ منه بِفَمِه يسيراً .
الحَطْمَة : زحام الناس وحطم بعضهم بعضا .

٥٨٧ ـ أحمد في مسنده (٥ / ٣٠٠) .
قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٥٦) : رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح غير خالد بن شُمَيْر ، وهو ثقة .
أرهب : بمعنى أخاف ، والمراد : ماكنت أتوقع .

صَعِد المِنْبَرَ وَأَمَرَ أن يُنَادى الصَّلاة جامعة ، فَقَال رَسُول الله ﷺ : « نَابَ خَيْرا ـ أو بَاتَ خيرا أو ثَابَ خيْرا » شَكَّ عبْدُ الرَّحْمن ـ أي الراوي ـ « ألا أُخْبِرُكُم عَنْ جَيْشِكُم هـذا الغَازي ؟ إنهم انْطَلَقوا فَلقوا العَدُوّ، فأُصيبَ زَيْدٌ شَهيدا فاسْتَغْفِرُوا لَهُ ـ فاستغفر لـه ـ النَّاسُ. ثمَّ أخَذَ اللِّواءَ جَعْفَرُ بنُ أَبي طَالِب فَشَدَّ عَلَى القَوْم حَتَّى قُتِل شَهيداً، أشهدُ لَـهُ بالشَّهَادَةِ فاسْتَغْفِرُوا لَه ثُمَّ أخَذَ اللِّواء عَبدُ اللهِ بنُ رَوَاحة فأثبَتَ قَدمَيْـهِ حَتَّى قُتِلَ شَهيداً فَاسْتَغْفِرُوا لَهُ . ثُمَّ أخَذَ اللِّواءَ خَالدُ بنُ الوَليـدِ وَلَمْ يَكُن مِنَ الأُمَرَاءِ هُوَ أَمَّرَ نفسَهُ » ثُمَّ رَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أصْبَعَهُ فَقَالَ : « اللهمَّ هو سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِكَ فَـانصُرْه » فَمِنْ يَوْمئذٍ سُمِّيَ خَالِدٌ سَيْفَ اللهِ ثمَّ قَالَ : « انفِرُوا فأَمِدُّوا إِخْوَانكم ولا يَتَخَلَفَنَّ أحَدٌ » . قَالَ : فَنَفَر النَّاسُ في حَرٍّ شَديدٍ مُشَاةً ورُكْباناً .

وفي رواية للطبراني [١] عن ابن شِهَـاب قَـالَ : ثُمَّ بَعَثَ النبيُّ ﷺ جَيْشـاً إلى مُؤتَـة وأَمَّرَ عَليهِمْ زَيدَ بنَ حارثَةَ ، فَإِنْ أُصيبَ زَيْـدٌ فَجَعْفَرَ بنُ أَبي طـالب أميرُهَم ، فـإن أُصيبَ جَعْفَرٌ فَعَبْدُ اللهِ بنُ رَوَاحَةَ أميرُهَم فَانْطَلَقُوا حَتَّى لَقَوا ابنَ أَبي سَبْرَةَ الغسَّاني بمُؤتَةَ ، وبِهَا جُمُوعٌ مِنْ نَصـارى العَرَب والرُّوم ، وَبِهَـا تَنوخٌ وبَهْراء فـأغْلَقَ ابنُ أَبي سَبْرة دُونَ المسْلمين الحصْنَ ثَلاثـةَ أيـام ، ثمَّ خَرَجوا فَـالتقوا عَلَى زَرْع أخْضَر فـاقْتَتَلُوا قِتَـالاً شَـديـداً ، وأَخَـذَ اللِّـواءَ زيـد بنُ حَارِثَة ، فَقُتِلَ ، ثمَّ أخَذه جَعْفَرٌ ، فقُتِلَ ، ثمَ أَخَذَهُ ابنُ رَوَاحة فَقُتِلَ ثمَّ اصْطَلَحَ المسْلمُونَ بَعْـدَ أمَراءِ رَسولِ اللهِ ﷺ عَلَى خَالدِ بنِ الوَليدِ فَهَزمَ اللهُ العـدُوَّ وَأَظْهَرَ المسْلمِينَ وَبَعثَهُم رَسُولُ اللهِ ﷺ في جُمَادَى الأولَى .

٥٨٨ ـ * روى أحمـد والطبراني عنْ عبْدِ اللهِ بن جعفر قَـالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ جَيْشًـا، استَعمَلَ عَلَيْهم زيْـدَ بنَ حـارثـة فـإنْ قُتِلَ زَيْـدٌ أو استُشْهِـدَ فَـأميرُكَم جعفَر ، فَـإنْ قُتِـلَ أو استُشْهِدَ فَأميرُكَم عبدُ اللهِ بنُ رَوَاحَة ، فَأَخَذَ الرَّايَةَ زَيْـدٌ فَقَـاتَلَ حتَّى قُتِلَ ، ثمَّ أخَـذَ الرَّايَـةَ جَعْفَرٌ فَقَاتَل حَتَّى قُتِلَ ، ثم أخذهـا عبـد اللهِ بنُ رَوَاحَـةَ ، فقـاتل حتى قُتِلَ ثم أخـذ الرايـة

---

(١) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٦٠) ، وقال : رواه الطبراني ، ورجاله ثقات . وهو مرسل .

٥٨٨ ـ أحمد في مسنده (١ / ٢٠٤) .

قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٥٦) : رواه أحمد والطبراني ، ورجالهما رجال الصحيح .

=

خالدُ بنُ الوليدِ فَفَتَحَ اللهُ عَلَيه وَأَتَى خَبَرُهُم النَّبيَّ ﷺ ، فَخَرجَ إلي النَّاس فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْه وَقَال : « إنَّ إخْوَانكُم لَقُوا العَدُوَّ ، وَإنَّ زَيْداً أَخَذَ الرَّايَـة فَقَـاتَلَ ، حَتَّى قُتِلَ أو اسْتُشْهِـدَ ثُمَّ أَخَـذَ الرَّايَـة بَعْـدَهُ جعْفَرُ بنُ أَبِي طَـالِب ، فَقَـاتَـل حَتَّى قُتِـلَ أَو اسْتُشْهِدَ ، ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ عَبدُ اللهِ بنُ رَوَاحَـةَ ، فقَـاتَل حَتَّى قُتِلَ أو اسْتُشْهِـدَ ، ثُمَّ أَخَذَ الرَّايـة سَيفٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ خَـالِـدُ بنُ الوَلِيـد ، فَفَتَحَ اللهُ عَلَيْـه » ثمّ أَمْهَلَ آلَ جَعْفَر ثَلاثـاً أنْ يَـأْتيهُم ، ثمّ أتـاهُم فَقَـال : « لاتَبْكُوا عَلَى أَخِي بَعْـدَ اليَوْمِ ، ادْعُوا لي بَنَي أَخِي » قَالَ فَجيء بِنَا كَأنَّنَا أَفْرُخٌ قال : « أُدْعُوا لي الحَلاقَ » فَجيء بالحلاق ، فَحَلَقَ رؤوسَنا ثمّ قال : « أَما محمّـدٌ فَشِبْـهُ عَمِّنَـا أبي طَـالِب ، وَأَمَّا عَبْـدُ اللهِ فَشَبيـهُ خَلْقِي وَخُلُقِي » ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِيَّ فأَشَالَها فَقَال : « اللهمَّ اخْلُفْ جعْفَراً فِي أَهلِـهِ وَبَـارِك لِعَبْـد اللهِ فِيْ صَفقَةِ يَمِينِه » قالهـا ثَلاثَ مَرَّات ، قـال : فَجَـاءَتْ أُمُّنـا فَـذكَرَتْ يُتْمَنـا فقـال : « العَيْلَةَ تخافينَ عليهم وَأَنا وَلِيُّهُم فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة » .

قال ابن حجر بمناسبة إشارته إلى هذه الرواية :

وذكر ابن إسحـاق بإسنـاد حسن وهو عنـد أبي داود من طريقـه عن رجل من بني مرة قال : والله لكأني أنظر إلى جعفر بن أبي طالب حين اقتحم عن فرس له شقراء فعقرهـا ، ثم تقدم فقاتل حتى قتل . قـال ابن إسحـاق وحـدثني محمـد بن جعفر عن عروة قـال : ثم أخـذ الراية عبد الله بن رواحة فالتوى بها بعض الالتواء ثم تقدم على فرسه ثم نزل فقاتل حتى قتل ثم أخذ الرايـة ثـابت بن أقرم الأنصـاري فقـال : اصطلحوا على رجل ، فقـالوا : أنت لهـا ، قال : لا ، فاصطلحوا على خالد بن الوليد وروى الطبراني من حـديث أبي اليَسَر الأنصـاري قال : « أنا دفعت الراية إلى ثابت بن أقرم لما أصيب عبد الله بن رواحة ، فدفعها إلى خالـد ابن الوليد وقال له : أنت أعلم بالقتال مني » .

٥٨٩ ـ * روى البخاري عن أنسِ بنِ مالك رضي الله عنه قال : قال النبيُّ ﷺ : « أَخَذَ الرايـةَ زيـدٌ ، فـأُصيبَ ، ثم أخـذهـا جعفرٌ ، فـأُصيبَ ، ثم أخـذهـا عبـدُ الله بنُ

= فأشالها : فرفعها .

٥٨٩ ـ البخاري (٦ / ١٦) ٥٦ ـ كتاب الجهاد ـ ٧ ـ باب تمني الشهادة . =

رَوَاحـةَ ، فـأُصيبَ » ـ وإن عَيْنَيْ رسولِ الله ﷺ لَتَـذْرِفـانِ ـ « ثم أخـذهـا خـالـدُ بنُ الوليد من غير إمرةٍ ، ففُتِحَ له » .

وفي رواية [١] قال خطبَ النبيُّ ﷺ ، فقال : « أخـذَ الرايَـة زيـدٌ ، فـأُصيبَ » ... وذكر نحوه ، وقـال في آخره : « ومـا يَسُرُّنـا أنَّهم عنـدنـا » قـال أيـوب : أو قـال : « ما يسرُّهم أنهم عندَنا » وعيناه تَذْرِفان .

وفي أخرى : [٢] أن النبيَّ ﷺ نَعَى زيداً وجعفراً وابنَ رَوَاحَـةَ للنـاس ، قبل أن يـأتيَهم خبرُهم ، فقال : أخذَ الرايةَ زيدٌ ... فذكرهم ، وقال في آخره : « حتى أخـذَ الرايـةَ سَيْفٌ من سيوف اللهِ حتَّى فَتَحَ اللهُ عليهم » .

٥٩٠ ـ * روى البخاري عن عبدِ اللهِ بنِ عمَرَ رَضِيَ اللهُ عنهما قـالَ : أمَّرَ رسولُ الله ﷺ في غَزْوةِ مُؤْتَةَ زَيْدَ بنَ حَارِثـةَ ، فَقَـالَ رسول الله ﷺ : « إنْ قُتِلَ زَيْـدٌ فَجَعْفرٌ ، وَإِنْ قُتِلَ جَعْفرٌ فَعَبْدُ اللهِ بنُ رواحَةَ » قال عبـد الله فَكُنْتُ فيهم في تِلْـكَ الغَزْوَةِ ، فَـالْتَمسْنَـا جَعْفَرَ بن أبي طالب فَوَجَدْنَاهُ في القَتْلَى ، وَوَجَـدْنـا مـافي جَسَـدِهِ بِضْعـاً وتسعين من طَعْنَـةٍ وَرَمْيَةٍ .

وفي أخرى[٣] : أنَّـه وَقَفَ عَلَى جَعْفَرٍ يَـوْمَئِـذٍ وَهـو قَتِيـلٌ ، فَعَـدَدْتُ بِـهِ خَمسينَ ، بيْنَ طَعْنَةٍ وَضَرْبَة ، لَيْسَ مِنْهَا شَيءٌ في دُبُرِهِ ـ يعني في ظهره ـ .

٥٩١ ـ * روى البخاري عن قَيْس بنِ أبي حَازِمٍ قَالَ: سَمِعْتُ خَالِدَ بن الوليـد يَقُولُ: لَقَـدْ انْقَطَعَتْ في يدي يَوم مُؤتَةَ تِسعةُ أسْيَافٍ ، فَمَا بَقِيَ فِي يَدِي إلاَّ صَفِيحةٌ يَمَانِيَّةٌ .

= لتذرفان : ذرفت العين : سال دمعها .

(١) البخاري (٦ / ١٦) ٥٦ ـ كتاب الجهاد ـ ٧ ـ باب تمني الشهادة .

(٢) البخاري (٧ / ٥١٢) ٦٤ ـ كتاب المغازي ـ ٤٤ ـ باب غزوة مؤتة من أرض الشام .

٥٩٠ ـ البخاري (٧ / ٥١٠) ٦٤ ـ كتاب المغازي ـ ٤٤ ـ باب غزوة مؤتة من أرض الشام .

(٣) البخاري (٧ / ٥١٠) ٦٤ ـ كتاب المغازي ـ ٤٤ ـ باب غزوة مؤتة من الشام .

٥٩١ ـ البخاري (٧ / ٥١٥) ٦٤ ـ كتاب المغازي ـ ٤٤ ـ باب غزوة مؤتة من أرض الشام .

الصفيحة : السيف العريض .

٥٩٢ ـ * روى الطبراني عن جابرِ بن عَبْدِ اللهِ قال : بارَزَ عقيلُ بنُ أبي طَالبٍ رَجلاً يَوْمَ مُؤْتَةَ فقتلهُ فَنَفَّلَه رَسُولُ اللهِ ﷺ خاتَمه وسَلَبَهُ .

٥٩٣ ـ * روى الحاكم عن عائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى الله عليه وآله وسلم قالت : لَمَّا أتَى نَعْيُ جَعفرٍ عَرَفْنَا في وَجْهِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم الحُزْنَ .

٥٩٤ ـ * روى الطبراني عن ابن عباس قال : بَيْنَما رَسُولُ اللهِ ﷺ جَالِسٌ وَأسْماءُ بنتُ عُمَيْسٍ قَريبَةٌ منْه رَدَّ السَّلامَ ثُمَّ قالَ : « ياأسْماءُ هٰذا جَعْفَرُ بنُ أبي طَالِبٍ مَعَ جبْريلَ وميكَائِيلَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِما مَرُّوا فَسَلَّموا عَلَيْنا ، فَرَدَدْتُ عَلَيهمُ السَّلامَ وَأخْبَرني أنَّه لَقِيَ المُشْرِكِين يَوْمَ كَذَا وكَذَا ، فَأُصِبْتُ في جَسَدِي مِنْ مقادِمِي ثَلاثاً وَسَبعينَ بَيْن طَعْنَةٍ وَضَرْبَةٍ ، ثُمَّ أخَذْت اللواءَ بِيَدي اليُمْنى ، فَقُطِعَتْ ، ثُمَّ أخَذْتُه باليَسارِ فَقُطِعَتْ ، فَعوَّضَني اللهُ مِنْ يَدَيَّ جَنَاحَيْنِ أطِيرُ بِهِمَا مَعَ جبْريلَ وَميكائِيلَ في الجَنَّةِ أنزِلُ بِهما حَيْثُ شِئْتُ وَآكُلُ من ثِمارِهَا مَاشِئْتُ » فَقَالَتْ أسْماءُ : هَنِيئًا لِجعفر مَا رَزَقهُ اللهُ مِنَ الخَيْرِ ، وَلٰكنِّي أخَافُ أنْ لا يصَدِّقَنِي النَّاسُ ، فَاصْعَدِ المِنْبَرَ فَأخْبِرِ النَّاسَ يَارَسُولَ اللهِ فَصَعِدَ المِنْبَرَ فحَمِدَ اللهَ وأثْنَى عَلَيهِ ثُمَّ قالَ : « أيُّها النَّاسُ إنَّ جَعْفَرَ بنَ أبي طَالِبٍ مَعَ جبْرِيلَ وَميكائِيلَ له جَنَاحَانِ عَوَّضَه اللهُ مِنْ يَدَيْه يَطِيرُ بِهِمَا في الجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَ ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ فأخْبَرَ كَيْفَ كَانَ أمْرُهُم حِينَ لَقِيَ المُشْرِكِينَ ، فَاسْتَبَانَ لِلنَّاسِ بَعْدَ ذَلِكَ ، أنَّ جَعْفَراً لَقِيَهُم ، فَسُمِّي جَعْفَرَ الطَّيَّارَ في الجَنَّةِ ذا جَنَاحَيْنِ ، يَطِيرُ بِهِمَا ، حَيثُ شاء مَخْضُوبَة قوادِمُهُ بالدِّماء » .

٥٩٥ ـ * روى أبو داودَ عن عَوْفِ بن مالكٍ الأشْجَعِي ، قال : خرجت مع زيد بن

---

٥٩٢ ـ مجمع الزوائد (٥ / ٣٣١) وقال : رواه الطبراني في الأوسط وفيه عبد الله بن محمد بن عقيل وهو حسن الحديث وفيه ضعف ، وبقية رجاله ثقات .

وقد أسلم عقيل قبل الحديبية ، وهاجر سنة ثمان ، وشهد مؤتة : (تهذيب التهذيب) .

٥٩٣ ـ المستدرك (٣ / ٢٠٩) ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه . وأقره الذهبي .

٥٩٤ ـ أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٢٧٢) ، وقال : رواه الطبراني بإسنادين ، وأحدهما حسن .

٥٩٥ ـ أبو داود (٣ / ٧١) ، كتاب الجهاد ، باب في الإمام يمنع القاتل السلب إن رأى ، والفرس والسلاح من السلب . =

حارثة في غزوة مُؤْتَة فرافقني مَدَدِيٌّ من أهل اليمن ليس معه غيرُ سيفه ، فنحر رجل من المسلمين جَزوراً ، فسأله المدديُّ طائفةً من جلده ، فأعطاء إيّاه ، فاتخذه كهيئة الدَّرَقِ ، ومَضَينا فلَقِينا جموعَ الروم وفيهم رجل على فرس له أشقرَ عليه سَرْجٌ مُذْهَب وسلاح مذهب فجعل الرومي يُغْري بالمسلمين ، فقعد له المدديُّ خلفَ صخْرة ، فمر به الرومي فعَرْقَبَ فرسه ، فخرَّ ، وعلاه فقتله وحاز فرسه وسلاحه ، فلما فتح الله عز وجل للمسلمين بعث إليه خالدَ بن الوليد فأخذ من السَّلَب ، قال عوف : فأتيته فقلت : ياخالدُ ، أما عَلِمْتَ أن رسول الله ﷺ قضى بالسلب للقاتل ؟ قال : بلى ، ولكني استكثرته ، قلت : لتَرُدَّنَّه عليه أو لأُعَرِّفنَّكَهَا عند رسول الله ﷺ فأبى أن يَرُدَّ عليه ، قال عوف : فاجتمعنا عند رسول الله ﷺ فقصصت عليه قصةَ المددي ومافعل خالدٌ ، فقال رسول الله ﷺ « ياخالدُ ، ما حملَك على ما صنعت » ؟ قال : يا رسول الله استكثرته ، فقال رسول الله ﷺ : « ياخالدُ رُدَّ عليه ماأخذتَ منه » قال عوف : فقلت له دونَك ياخالد ألم أفِ لك ؟ فقال رسولُ الله ﷺ : « وما ذلك » ؟ فأخبرته ، قال : فغضب رسول الله ﷺ فقال : « يا خالدُ لا تردَّ عليه ، هل أنتم تاركون لي أمَرائي ؟لكم صِفْوَةُ أمرهم وعليهم كَدَرُهُ » .

وفي رواية مسلم [1] قال : خَرَجْتُ مَعَ مَنْ خَرَجَ مع زَيدِ بنِ حَارِثَةَ في غَزْوَةِ مُؤْتَةَ ، وَرَافَقَني مَدَدِيٌّ منَ اليَمَنِ .. وَسَاق الحَديثَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بنَحْوِهِ هٰكَذا قال مُسْلِمٌ ، وَلَم يَذْكُر لَفظَهُ ، وَيَعني بنَحْوِهِ : الرواية التي تَجيءُ لَهُ بَعْدَ هٰذِه ، فإنَّه ذَكَرها في كِتَابِهِ قَبْلَ هٰذِهِ ، قالَ : غيْرَ أنَّهُ قالَ في الحَديثِ : قَالَ عَوْفٌ : فَقُلتُ : ياخَالِدُ ، أمَا عَلِمْتَ أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَضَى بالسَّلَبِ للقَاتِلِ ؟ قال : بَلَى ، وَلٰكنِّي اسْتَكْثَرْتُهُ .

= مَدَدِي : أي رجل من المدد الذين جاءوا يمدون جيش مؤتة .
لأُعَرِّفنَّكَهَا : أي : لأجازينك بها ، حتى تعرف صَنيعك هذا .
دونك ، أي : خُذْ ، كأنه وافقه على ماوعده .
صِفْوةُ الشيء ـ بكسر الصاد ـ : خالصه وماصفا منه ، إذا أثْبَتَّ الهاء كسرتَ الصاد ، وإذا حذفتَها فتحتَها ، فقلت : صَفْوُ الشيء .

(١) مسلم (٣ / ١٣٧٢) ٣٢ ـ كتاب الجهاد والسير ـ ١٣ ـ باب استحقاق القاتل سلب القتيل .

وَلَه في رِوَاية (١) قَالَ عَوْفُ بنُ مَالِك : قَتَلَ رجلٌ من حِميرَ رَجُلاً مِنَ العَدُوّ ، فَأَرَادَ سَلَبَهُ ، فَمَنَعَهُ خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ ، وَكَانَ وَالِياً عَلَيْهِم ، فَأَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ عَوْفُ بنُ مَالِكٍ فأخْبَرَهُ ، فَقَالَ لِخَالِدٍ : « مَامَنَعَكَ أن تُعْطِيَهُ سَلَبَهُ ؟ » قَالَ : اسْتَكْثَرْتُهُ يارَسُولَ اللهِ ، قَال : « ادفَعْه إليْه » فمرَّ خالدٌ بعَوْفٍ فجَرَّ بِردائِه ، ثم قال : هَلْ أَنْجزْتُ لَكَ مَاذَكَرتُ لكَ مِنْ رسولِ اللهِ ﷺ ؟ فَسَمِعَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فاستُغْضِبَ ، فَقَالَ : « لاَتُعْطِهِ ياخَالِدُ لاَتُعْطِهِ ياخَالِدُ ، هَلْ أَنْتُم تَارِكُون لِي أُمَرَائي ؟ إنَّما مَثَلُكُم وَمَثَلُهُم : كَمَثَل رَجُلٍ استُرْعِيَ إبلاً أَوْ غَنَماً فَرَعَاهَا ، ثُمَّ تَحيَّنَ سَقْيَها ، فَأَوْرَدَها حَوْضاً ، فَشَرَعَتْ فيه ، فَشَرِبت صَفْوَهُ وَتَرَكَتْ كَدَرَهُ فَصَفْوَهُ لكم ، وكَدَرُهُ عليهم » .

* * *

(١) مسلم في نفس الموضع السابق (٣ / ١٣٧٣) .

تَحَيَّن : تحيَّنتَ وقتَ الشيء : إذا انتظرتَه وترقَّبْتَهُ ، وهو طلب الحين .

فصَفْوُهُ لكم ، وكَدَرُهُ عليهم أي : لاتثقلوا على أمرائكم فكما عليهم واجبات لهم حقوق يجب مراعاتها ومنها احترامهم وطاعتهم .

فصل : في غزوة ذات السَّلاسل

قَالَ البُخَارِيُّ : وَهِيَ غَزْوَةُ لَخْمٍ وجُذَامٍ ، قَالَه إِسْمَاعِيلُ بنُ أَبِي خَالِدٍ . وَقَالَ ابنُ إِسْحَاقَ : عَنْ يَزِيد عَنْ عُرْوَةَ : هِيَ بِلَادُ بَلِيّ وعُذْرَةَ وبني القَيْنِ وفي نُسْخَة : بني العَنْبَرِ .

٥٩٦ - * روى البخاري ومسلم عن أبي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ : أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعَثَ عَمْرَو ابنَ العاص عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السلاسِلِ ، قَالَ : فأَتيتُه ، فقُلْتُ : أيُّ الناسِ أحبُّ إليكَ ؟ قَالَ : « عَائِشَةُ » قُلْتُ : مِنَ الرِّجالِ ؟ قَالَ : « أَبُوهَا » قلتُ : ثم مَنْ ؟ قَالَ : « عمر » فَعَدَّ رِجَالاً ، فَسَكَتُّ ، مَخَافَة أَنْ يَجْعلني في آخِرِهِم .

قال ابن حجر : وذكر ابن سعد أنها وراء وادي القرى وبينها وبين المدينة عشرة أيام ، قال : وكانت في جمادى الآخرة سنة ثمان من الهجرة . وأما القبائل التي ذكرها فالثلاثة بطون من قضاعة ، أما بَلِيّ فبفتح الموحدة وكسر اللام الخفيفة بعدها ياء النسب : قبيلة كبيرة ينسبون إلى بلي بن عمرو بن الحاف بن قضاعة ، أما عُذْرَة فبضم العين المهملة وسكون الذال المعجمة : قبيلة كبيرة ينسبون إلى عذرة بن سعد هذيم بن زيد بن ليث بن سويد بن أسلُم بضم اللام ابن الحاف بن قضاعة ، وأما بنو القَيْن فقبيلة كبيرة أيضا ينسبون إلى القين ابن جسر ، ويقال كان له عبد يسمى القين حضنه فنسب إليه ، وكان اسمه النعمان ابن جسر ابن شَيْع الله بكسر المعجمة وسكون التحتانية بعدها عين مهملة ابن أسد بن وبرة ابن ثعلب ابن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ، ووهم ابن التين فقال : بنو القين قبيلة من بني تميم ، وذكر ابن سعد أن جمعا من قضاعة تجمعوا وأرادوا أن يدنوا من أطراف المدينة ، فدعا النبي ﷺ عمرو بن العاص فعقد له لواء أبيض وبعثه في ثلاثمائة من سَراة المهاجرين والأنصار ، ثم أمده بأبي عبيدة بن الجراح في مائتين ، وأمره أن يلحق بعمرو وأن لا يختلفا

---

٥٩٦ - البخاري (٨ / ٧٤) ٦٤ - كتاب المغازي - ٧٤ - باب غزوة ذات السلاسل .

ومسلم (٤ / ١٨٥٦) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - (١) باب من فضائل أبي بكر الصديق ، رضي الله عنه .

ذات السلاسل : هو ماء لبني جُذَام بناحية الشام .

قيل : سُمِّيَتْ ذات السلاسل ؛ لأنّ المشركين ارتبط بعضهم إلى بعض مخافة أن يفرّوا .

وقيل : لأنّ بها ماء يقال له السلسل .

فأراد أبو عبيدة أن يؤم بهم فمنعه عمرو وقال : إنما قدمت عليَّ مددا وأنا الأمير ، فأطاع له أبو عبيدة فصلى بهم عمرو ، وتقدم في التيمم أنه (احتلم في ليلة باردة فلم يغتسل وتيمم وصلى بهم) الحديث . وسار عمرو حتى وطئ بلاد بلي وعذرة ، وكذا ذكر موسى بن عقبة نحو هذه القصة ، وذكر ابن إسحاق أن أم عمرو بن العاص كانت من بلي فبعث النبي ﷺ عمرا يستنفر الناس إلى الإسلام ويستألفهم بذلك ، وروى إسحاق بن راهويه والحاكم من حديث بريدة أن عمرو بن العاص أمرهم في تلك الغزوة أن لايوقدوا نارا ، فأنكر ذلك عمر ، فقال أبو بكر : دعه فإن رسول الله ﷺ لم يبعثه علينا إلا لعلمه بالحرب ، فسكت عنه . فهذا السبب أصح إسنادا من الذي ذكره ابن إسحاق ، لكن لايمنع الجمع . وروى ابن حبان من طريق قيس بن أبي حازم عن عمرو بن العاص (أن رسول الله ﷺ بعثه في ذات السلاسل ، فسأله أصحابه أن يوقدوا نارا فمنعهم ، فكلموا أبا بكر فكلمه في ذلك فقال : لايوقد أحد منهم نارا إلا قذفته فيها قال فلقوا العدو فهزمهم ، فأرادوا أن يتبعوهم فمنعهم ، فلما انصرفوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ فسأله فقال : كرهت أن آذن لهم أن يوقدوا نارا فيرى عدوهم قلتهم ، وكرهت أن يتبعوهم فيكون لهم مدد . فحمد أمره . فقال : يارسول الله من أحب الناس إليك ؟ الحديث . فاشتمل هذا السياق على فوائد زوائد ، ويجمع بينه وبين حديث بريدة بأن أبا بكر سأله فلم يجبه فسلم له أمره ، وألحوا على أبي بكر حتى يسأله فسأله فلم يجبه .

قوله (فأتيته) في رواية معلى بن منصور المذكورة (قدمت من جيش ذات السلاسل ، فأتيت النبي ﷺ) وعند البيهقي من طريق علي بن عاصم عن خالد الحذاء في هذه القصة قال عمرو : فحدثت نفسي أنه لم يبعثني على قوم فيهم أبو بكر وعمر إلا لمنزلة لي عنده ، فأتيته حتى قعدت بين يديه فقلت : يارسول الله من أحب الناس إليك) الحديث . قوله (فعد رجالا) في رواية علي بن عاصم قال قلت في نفسي لاأعود لمثلها أسأل عن هذا وفي الحديث جواز تأمير المفضول على الفاضل إذا امتاز المفضول بصفة تتعلق بتلك الولاية ومزية أبي بكر على الرجال وبنته عائشة على النساء ، وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك في المناقب ، ومنقبة لعمرو بن العاص لتأميره على جيش فيهم أبو بكر وعمر وإن كان ذلك لايقتضي

أفضليته عليهم لكن يقتضي أن له فضلا في الجملة . وقد روينا في (فوائد أبي بكر بن أبي الهيثم) من حديث رافع الطائي قال (بعث النبي ﷺ جيشا واستعمل عليهم عمرو بن العاص وفيهم أبو بكر) قال : وهي الغزوة التي يفتخر بها أهل الشام [1] . وروى أحمد والبخاري في الأدب وصححه أبو عوانة وابن حبان والحاكم من طريق علي بن رباح عن عمرو بن العاص قال (بعث إلي النبي يأمرني أن آخذ ثيابي وسلاحي فقال : « ياعمرو ، إني أريد أن أبعثك على جيش فيغنمك الله ويسلمك » قلت : إني لم أسلم رغبة في المال . قال : « نعم المال الصالح للمرء الصالح » وهذا فيه إشعار بأن بعثه عقب إسلامه .

* * *

(١) قوله : (وهي الغزوة التي يفتخر بها أهل الشام) : أي : زمن معاوية حين وقعت الفتنة .

فصل : في فتح مكّة

تقديم :

تقوم ـ فيما يبدو لي ـ استراتيجيّة العمل عند رسول الله ﷺ حتّى فتح مكة على نقطتين رئيسيتين :

أوّلا : تجميع كل المسلمين في المدينة المنورة ، وبهذا كان المجتمع الإسلامي في تنام مستمر .

ثانيا : الحركة السياسيّة والدعويّة والعسكريّة المستمّرة نحو الخارج ، وبهذا جعل المجتمع الإسلامي دائم التعبئة كامل الحشد قادرا على الهجوم ، متمركزة قوّاته وهي دائما على أعلى مستوى قتالي .

وكانت القوى المعادية تحيط بالرسول ﷺ من كل جانب ، وكان هناك طابور خامس داخل المدينة ، هذه القوى الخارجيّة تتمثّل بأربع ، كلّ منها تشكّل خطرا مباشرا ، القبائل النجدية وقبائل الشمال وعلى رأسهم غطفان وقريش ومن يتلاحم معها واليهود وكانت الجزيرة العربيّة تشكّل البعد الاستراتيجي لهذه القوى ، ولقد حاول الرسول ﷺ ما استطاع ألا يجعل هذه القوى تتضافر ضده من خلال المعاهدات أو الحركة الخاطفة والدقيقة .

وكانت سياسته مع القبائل ألا يعطيها فرصة التحشّد والتجمع وأن يفاجئها قبل أن تفاجئه وقد استطاع تثبيتها بشكل مستمرّ سواء كانت شماليّة أو نجديّة شرقية . وأما سياسته مع قريش فكانت الاستهداف الدائم والتعرض الدائم ، وكان أن انجلت هذه السياسة عن صلح الحديبية . وكانت سياسته مع اليهود المعاهدات والوفاء بها حتى يغدروا ، فمن غدر أنهاه ، وسكت عن يهود خيبر وأبقاهم محاربين حتى تفرغ لهم بعد صلح الحديبية فأنهى كيانهم السياسي ، حتّى إذا نقضت قريش عهدها بتواطئها مع بكر ضدّ بني خزاعة أحلافه عليه الصلاة والسلام ، استطاع أن ينهي سلطان قريش السياسي والديني ، وإذا به عليه الصلاة والسلام فجأة أمام قطف ثمرات سياسته الحكيمة فلقد كانت كل القوى المباشرة قد استسلمت فلم يَبْقَ لبعدها الاستراتيجي إلا أن يستسلم ، وهكذا جاءت الجزيرة العربيّة أفواجا مؤيدة ومبايعة .

﴿ إذا جاء نصر الله والفتح * ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا * فسبّح بحمد ربّك واستغفره إنّه كان توّابا ﴾ [1] .

لقد سيطر الرسول ﷺ استراتيجيا على الجزيرة العربيّة منذ أنهى خيبر وفتح مكّة . إنّ أحدا في تاريخ هذا العالم لايعدل محمدا ﷺ في أنّه حقّق ماحقّق ووضع الأساس راسخا إلى الأبد دون أن يرتكب خطأً سياسياً أو استراتيجيّا أو تكتيكيّا واحدا ، إنّه التوفيق الإلهي ، وإنّها الرسالة والنبوّة .

إنّ القبائل في الجزيرة العربية كانت تشكّل خطرا عندما كان لها رأس يمكن أن تتجمّع حوله ، أو عندما يوجد مركز تنطلق منه ، وقد فاتها ذلك بانتهاء خيبر وفتح مكّة ، واجتمعت الدعوة مع القوة فجعلتها تفكّر في السير على الطريق المستقيم .

وقد استثمر رسول الله ﷺ الفتح أيّما استثمار ، فأرسل البعوث والسرايا الكثيرة ، وبلغه أنّ القبائل المحيطة بالطائف وأهل الطائف يحشدون له فسارع إليهم ، وكانت معركة حنين ، ولمّا انهزم أهلها تابعهم ، فكان من آثار ذلك معركة أوطاس ثمّ توجّه رسول الله ﷺ إلى الطائف عاصمة الحجاز الثالثة بعد مكّة والمدينة ، ولو أنّها فتحت له لأصبح الحجاز كلّه صافيا له داخلا دخولا مباشرا في دولته ، ولكنّ ذلك تأخر إلى السنة التاسعة كما سنرى .

كانت رحلة الفتح مليئة بالأحداث ، فقد استمرت أكثر من سبعين يوماً ، فقد خرج رسول الله ﷺ من المدينة في ١٠ رمضان سنة ٨ هـ ، ورجع إليها لستٍّ ليالٍ بَقِينَ من ذي القعدة على قول .

ومن أهم أحداثها : فتح مكّة ، وغزوة حنين ، ومعركة أوطاس ، وحصار الطائف ، وإرساله عليه الصلاة والسلام السرايا والبعوث ، فمن مكة أرسل سرايا على حسب تتبعات المباركفوري .

* * *

---

(١) النصر : ١ ـ٣ .

٥٩٧ ـ * روى أحمد والطبراني عَن ذِي الجَوْشَنِ الضِّبَابِي ، قال : أتيْتُ النَّبِيَّ ﷺ بعد أن فَرَغ مِن أهْلِ بَدْرٍ بابنِ فَرَسٍ لي يُقَالُ لها : القَرْحَاءُ : فَقُلْتُ : يامُحمدُ إني قَدْ جِئْتُكَ بـابْنِ القَرْحَاء لتَتخذَه قـال : « لا حَـاجَـةَ لِي فيـه ، وإن أردْت أقيضَـكَ بهـا المُخْتَـارَةَ مِنْ دُروع بَدْرٍ فَعَلْتَ ؟ » قال : ما كُنْتَ لأُقِيضَه اليَومَ بغُرَّةٍ ، قال : « لاَحَاجَـةَ لِي فِيـه » ثمَّ قـالَ : « يَـاذا الجَوشنِ ألاْ تُسْلِم فَتَكُـونَ مِنْ أَوَل أهـلِ هـذا الأَمرِ ؟ » فقلت : لاَ قـالَ : « لم » قُلْتُ : إنِي رَأَيْتُ قَوْمَـكَ وَلِعُوا بِـكَ قَـالَ : « فكَيْفَ بَلَغَـكَ عَنْ مَصَـارِعِهِمْ بِبَدْرٍ ؟ » قُلْتُ : قَد بَلَغَنِي ، قَالَ : « فَأَنَّى يَهْدِي لَكَ ؟ » قُلْتُ : إنْ تَغلبْ عَلَى الكَعْبَةِ وتقْطُنْها . قَالَ : « لعَلكَ إنْ عِشْتَ تَرَىٰ ذلِك » ثمَّ قَالَ : « يابلال خُذْ حَقِيبَةَ الرَّجُلِ فَزَوِّدْهُ مِنَ العَجْوةِ » . فلما أدْبَرتُ قَالَ : « أمَا إنَّه مِنْ خَيْرِ فُرْسَانِ بَنِي عَامِرٍ» قـالَ : فَوَ اللهِ إني بِأَهْلِي بالغَوْرِ ، إذ أَقْبَل رَاكِبٌ ، فَقلتُ : مَـافَعَلَ النَّـاسُ ؟ قَـالَ : واللهِ قَـدْ غَلَبَ مُحمـد عَلَى الكَعبَـةِ وَقَطَنَهَـا . فَقُلْتُ : هَبَلَتْنِي أُمّي وَلَـوْ أَسْلَمْتُ يَـوْمَئِـذٍ ثمّ أسْأَلُـهُ الحِيرَةَ لأَقْطَعَنِيهَا .

وَفِي رِوَايَة [(١)] فَقَالَ لَهُ النَّبي ﷺ : « مَايَمْنَعُكَ مِنْ ذلِكَ ؟ » قَالَ : رَأَيْتُ قومَكَ قَـدْ كَذَّبُوكَ وَأَخْرَجُوكَ وَقَاتَلوكَ فَأنظرُ مَا تَصْنَعُ فَـإنْ ظَهَرْتَ عَلَيْهِم آمَنْتُ بِـكَ واتَّبَعْتُـكَ ، وَإنْ ظَهَرُوا عليك لَم أتَّبِعْكَ ـ وذكر الحديث بنحوه .

ذكرنا هذا الحديث هنا للإشعار بأنّ العرب كانوا ينتظرون نهاية الصراع بين رسول الله ﷺ وأهل مكّة ليتخذوا قرارهم النهائي .

---

٥٩٧ ـ أحمد في مسنده (٤ / ٦٧) .

قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٦٢) : رواه عبد الله بن أحمد وأبوه ولم يَسُق المتن ، والطبراني ، ورجـالهما رجـال الصحيح .

الغُرّة : تأتي الغرة بمعنى الأمة أو العبـد والمراد هنـا الفرس كما ذكر ابن الأثير في النهـايـة . قـال : يريـد أنـه مـا كان ليقيض به فرساً فكيف يقيض به ماهو دونه وهو الدرع .

أنَّى : بمعنى آن والتقدير أما آن أن تهتدي بهذا .

العَجْوَةُ : ضرب من أجود التمر بالمدينة .

هبلتني أمّي : أي فقدتني .

(١) أحمد في مسنده (٤/ ٦٨).

٥٩٨ - * روى البخاري عن ابنِ عبّاسٍ رضِيَ اللهُ عَنْهُما في قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ لرَادُّكَ إلى مَعَادٍ ﴾ [1] قَالَ : إلىَ مَكَّة .

٥٩٩ - * روى البزار عن أبي هُريرةَ أن قائد خُزَاعةَ قال :

اللهم إني نَاشِدٌ مُحمَّداً حِلْفَ أبينا وَأبِيهِ الأَتْلَدا
فانْصُرْ هَدَاكَ اللهُ نَصْراً أعْتَدَا وَادْعُ عِبَادَ الله يَأْتُوا مَدَدا

٦٠٠ - * روى أبو يعلى عن عائِشَة قالتْ : لَقَدْ رَأيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ غَضِبَ فِيمَا كَانَ مِنْ شَأن بَنِي كَعْبٍ غَضَباً لم أرَه غَضِبَه مُنْذ زَمَانٍ ، وقال : « لا نصرني اللهُ إنْ لَمْ أنْصُر بَنِي كَعْبٍ » قالت : وقال لي : « قُولي لأبي بكْرٍ وعُمَرَ يَتَجهَّزَا لهذا الغَزْوِ » قال : فجاءا إلى عائِشَةَ ، فقالا : أينَ يريدُ رسولُ اللهِ ﷺ ؟ قال : فقالت : لَقَدْ رَأيْتُه غَضِبَ فيما كَانَ من شأن بني كَعْبٍ غَضَباً لَمْ أرَه غَضِبَه مُنْذُ زَمَانٍ مِنَ الدَّهْرِ .

٦٠١ - * روى البخاري ومسلم عن عُبيدِ الله بن أبي رافع قال : سَمِعتُ علياً رضيَ الله عنه يقول : بَعثَني رسولُ اللهِ ﷺ أنا والزُّبيرَ والمقدادَ فقال : « انطلِقوا حتّى تأتوا روضةَ

---

٥٩٨ - البخاري (٧ / ٥٠٩) ٦٥ - كتاب التفسير - ٢ - باب ﴿ إن الذي فرض عليك القرآن ﴾ الآية .

﴿ لرادُّك إلى معاد ﴾ : أي : لراجعك إلى مكة ، كذا جاء في التفسير في البخاري .

(١) القصص : ٨٥ .

٥٩٩ - البزار : كشف الأستار (٢ / ٣٤٢) ، كتاب الهجرة والمغازي ، باب غزوة الفتح .

قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٦٢) : رواه البزار ، ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن عمرو ، وحديثه حسن .

٦٠٠ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٦١) ، وقال : رواه أبو يعلى عن حزام بن هشام بن حبيش عن أبيه عنهما ، وقد وثّقهما ابن حبان ، وبقية رجاله رجال الصحيح .

وقال صاحب الجرح والتعديل : حزام بن هشام بن حبيش : شيخ محله الصدق . وسكت عن أبيه .

بنو كعب : خزاعة حلفاء النبي ﷺ ، والأصل أن بني كعب هم أكبر بطون خزاعة فأطلق اسمهم على بني خزاعة جميعاً .

٦٠١ - البخاري (٧ / ٥١٩) ٦٤ - كتاب المغازي - ٤٦ - باب غزوة الفتح ، وما بعث به حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة يخبرهم بغزو النبي ﷺ .

ومسلم (٤ / ١٩٤١) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٣٦ - باب من فضائل أهل بدر ، رضي الله عنهم ، وقصة حاطب بن أبي بلتعة .

خاخٍ ، فإنَّ بها ظَعينةً معها كتاب فخذوا منها » قال فانطلَقنا تَعادَى بنا خيلُنا حتى أتينا الروضةَ ، فإذا نحنُ بالظَّعينةِ ، قلنا لها : أخرجي الكتابَ ، قالت : مامعي كتاب . فقلنا : لتُخرجنَّ الكتابَ أو لنُلقينَّ الثيابَ . قال فأخرجَتْهُ من عِقاصِها ، فأتينا بهِ رسولَ الله ﷺ ، فإذا فيه : من حاطبِ بن أبي بَلْتَعَةَ ـ إلى ناس بمكةَ منَ المشركين ـ يُخبرُهم ببعضِ أمرِ رسولِ اللهِ ﷺ : فقال رسولُ الله ﷺ : « ياحاطبُ ماهذا ؟ » قال : يارسولَ الله ، لاتعجَلْ علَيّ ، إني كنتُ امرَءاً مُلصَقاً في قريش ـ يقول : كنتُ حَليفاً ـ ولم أكن من أنفُسِها ، وكانَ من معكَ منَ المهاجرينَ من لهم بها قَراباتٌ يَحمونَ أهليهم وأموالَهم ، فأحْببتُ إذ فاتني ذلكَ منَ النسب فيهم أن أتخِذَ عندهم يداً يَحمُونَ قَرابتي ، ولم أفعلهُ ارتداداً عن ديني ولا رِضاً بالكفر بعدَ الإسلام فقال رسولُ اللهِ ﷺ : « أمَا إنه قد صَدَقَكم » فقال عمرُ : يارسولَ الله ، دَعْني أضربْ عنُقَ هذا المنافق . فقال « إنهُ قد شَهِدَ بدراً ، ومايُدريكَ لعلَّ اللهَ اطَّلَع على من شَهِدَ بدراً قال : اعملوا ماشئتم فقد غفرتُ لكم » فأنزلَ اللهُ السورةَ : ﴿ ياأيُّها الذين آمنوا لاتتَّخِذوا عدُوِّي وعدوَّكم أولياءَ تُلقون إليهم بالمودَّة وقد كفروا بما جاءكم من الحق ﴾ إلى قوله ﴿ فقد ضلَّ سواء السبيل ﴾ [١] .

كان حاطب كتب كتاباً إلى قريش يخبرهم بسير رسول الله ﷺ والمسلمين إليهم وأرسله مع جارية إلى مكة ، وكان حاطب من المهاجرين وممن شهد بدراً .

وفي رواية أبي عبد الرحمن السُّلَمي [٢] عن عليٍّ قال : بعثني رسول الله ﷺ وأبا مَرْثَدٍ ـ وَالزُّبَيْرَ ـ وكلُّنا فارس .... ثم ساقه بمعناه ولم يذكر نزول الآية .

= خاخ : مكان بين مكة والمدينة ، بقرب المدينة .

الظَّعينة : في الأصل . المرأة مادامت في الهَوْدج ، ثم جُعِلت المرأةُ إذا سافرتْ ظعينة ، ثم نقل إلى المرأةِ نفسها ، سافرت أو أقامت ، وظعَن يَظْعَن : إذا سافر .

عِقاصِها : العِقاص : جمع عَقْصة أو عقيصة ، وهي الضفيرة من الشَّعْر إذا لُوِيتْ وجُعلت مثل الرُّمانة ، أو لم تُلْوَ ، والمعنى : أخرجت الكِتابَ من ضفائرها المعقوصة .

مُلصَقاً : الملصَق : هو الرجل المقيم في الحي ، وليس منهم بنسب .

(١) الممتحنة : ١ .

(٢) البخاري (٧ / ٣٠٤) ٦٤ ـ كتاب المغازي ـ ٩ ـ باب فضل من شهد بدراً . =

وفي رواية نحوه [١] ، وفيه : قال فأدركْناها تسيرُ على جَملٍ لها حيث قال لنا رسولُ الله ﷺ قال قلنا : أينَ الكتابُ الذي معكِ ؟ قالت: ما معي كتاب فأنَخْنا بها فابتغَينا في رحلها ، فما وَجَدْنا شيئا . قال صاحبايَ : مانرَى كتابا . قال قلتُ : لقد علمتُ ماكذَب رسولُ الله ﷺ، والذي يَحلَفُ به لتُخرجنَّ الكتابَ أو لأُجَرِّدَنَّكِ. قال : فلما رأتِ الجِدَّ مني أهوَتْ بيدها إلى حُجْزَتِها ـ وهي محتجزة بِكساء ـ فأخرَجَتِ الكتابَ . قال فانطلقنا به إلى رسولِ الله ﷺ ..... وذكر الحديث .

قال في الفتح :

قوله (بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد) كذا في رواية عبيد الله بن أبي رافع ، وفي رواية أبي عبد الرحمن السلمي عن علي كما تقدم في فضل من شهد بدرا « بعثني وأبا مرثد الغنوي والزبير بن العوام ، فيحتمل أن يكون الثلاثة كانوا معه ، فذكر أحد الراويين عنه مالم يذكره الآخر ولم يذكر ابن إسحاق مع علي والزبير أحدا ، وساق الخبر بالتثنية . قال « فخرجا حتى أدركاها فاستنزلاها الخ » فالذي يظهر أنه كان مع كل منهما آخر تبعا له .

قوله (إني كنت امرءا ملصقا في قريش) أي حليفا ، وقد فسره بقوله « كنت حليفا ولم أكن من أنفسها » وعند ابن إسحاق « وليس في القوم من أصل ولاعشيرة » وعند أحمد « وكنت غريبا » قال السهيلي : كان حاطب حليفا لعبد الله بن حميد بن زهير بن أسد بن عبد العزى ، واسم أبي بلتعة عمرو ، وقيل كان حليفا لقريش . قوله (يحمون بها قرابتي) في رواية ابن إسحاق « وكان لي بين أظهرهم ولد وأهل ، فصانعتهم عليه » وسيأتي تكملة شرح هذا الحديث في سورة الممتحنة ، وذكر بعض أهل المغازي وهو في « تفسير يحي بن سلام » أن لفظ الكتاب « أما بعد يامعشر قريش فإن رسول الله ﷺ جاءكم بجيش كالليل ، يسير

= ومسلم (٤ / ١٩٤٢) ٤٤ ـ كتاب فضائل الصحابة ـ ٣٦ ـ باب من فضل أهل بدر ، رضي الله عنهم ، وقصة حاطب بن أبي بلتعة .

(١) البخاري (١١ / ٤٦) ٧٩ ـ كتاب الاستئذان ـ ٢٣ ـ باب من نظر في كتاب مَنْ يُحذَرّ على المسلمين ليستبين أمره .
ابتَغَيْنَا : الابتغاءُ : الطلب .
حُجْزة : احْتَجزَ الرجل : شدّ إزاره على وسطه ، والحُجزَةُ : موضع الشدّ .

كالسيل ، فوالله لو جاءكم وحده لنصره الله وأنجز له وعده . فانظروا لأنفسكم والسلام » كذا حكاه السهيلي . وروى الواقدي بسند له مرسل أن حاطبا كتب إلى سهيل بن عمرو وصفوان ابن أمية وعكرمة « أن رسول الله ﷺ أذن في الناس بالغزو ، ولاأراه يريد غيركم ، وقد أحببت أن يكون لي عندكم يد » .

٦٠٢ - * روى البخاري عن عَبدِ الله بنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ الله عَنهما : أَن رسُولَ اللهِ ﷺ غَزا غَزْوَةَ الفَتْحِ في رَمَضَانَ .

قَال الزُّهْرِيُّ : وَسَمِعْتُ سَعِيْدَ بنَ المسيِّب يَقُولُ مِثْلَ ذٰلِكَ .

٦٠٣ - * روى البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما : أَنَّ النبيَّ ﷺ خَرَجَ في رَمَضَان من المَدِينَةِ ، وَمَعَهُ عَشَرةُ آلافٍ ، وَذٰلِكَ عَلَى رَأْسِ ثَمَانِ سِنِينَ ونِصْفٍ مِنْ مَقدمِهِ المدينةَ ، فَسَارَ هو ومن مَعَهُ مِن المُسْلِمينَ إلى مَكَّةَ ، يَصُومُ ويَصُومُونَ ، حَتَّى بَلَغَ الكَدِيدَ - وَهُوَ ماءٌ بَيْنَ عُسْفَانَ وَقُدَيْد - أَفْطَرَ وَأَفْطَرُوا .

إلا أنَّ لَفْظَ البُخاري أَتَمُّ وَأَطْوَلُ ، وَهُو هٰذا .

٦٠٤ - * روى الطبراني عَنْ ابنِ عبَّاس قَالَ: ثُمَّ مَضَى رسُولُ اللهِ ﷺ ، واستعمَلَ عَلَى المدينَةِ أبا رُهْمٍ كلثُومَ بنَ الحُصَيْنِ الغِفَاري ، وَخَرَجَ لِعَشْرٍ مَضَيْنَ مِنْ رَمَضَانَ فَصَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَصَامَ النَّاسُ مَعَهُ حَتَّى إذا كَانَ بالكَدِيدِ - ماء بَيْنَ عُسْفانَ وأمج - أَفْطَرَ ثُمَّ مَضَى حَتَّى نَزلَ مَرَّ الظَّهْران في عَشْرَةِ آلافٍ مِنَ المُسْلِمينَ ، وألفٍ مِنْ مُزَيْنَةَ وسُلَيْمٍ وفي كُلِّ القَبَائِلِ عِدَدٌ وَسِلاحٌ وَأَوْعَبَ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ المُهاجِرُونَ والأنْصَارُ لَمْ يَتَخَلَّفْ مِنْهُم أحَدٌ

---

٦٠٢ - البخاري (٨ / ٣) ٦٤ - كتاب المغازي - ٤٨ - باب غزوة الفتح في رمضان .

٦٠٣ - البخاري في نفس الموضع السابق .

ومسلم نحوها (٢ / ٧٨٤) ١٣ - كتاب الصيام - ١٥ - باب جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر في غير معصية إذا كان سفره مرحلتين فأكثر .

٦٠٤ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٦٤) ، وقال : رواه الطبراني ، ورجاله رجال الصحيح . والزيادة التي بين الأقواس من سيرة ابن هشام (٤ / ١٧) .

في عشرة آلاف من المسلمين وألف من مُزَيْنة وسُلَيْم : الألفُ ضمن العشرة آلاف ، وليس المراد أنها زائدة عليها . =

فَلمَّــا نَــزَل رَسُــولُ اللهِ ﷺ مَرَّ الظَّهران وَقَــد عُمِّيت الأَخْبَــارُ على قريْش، فَلَمْ يَــأْتِهِمْ عَنْ رسُولِ اللهِ ﷺ خَبَرٌ وَلَمْ يَـدْرُوا مَـاهُـوَ فَـاعِـل، وَخَرَجَ في تِلْـكَ اللَيْلَـةِ أَبُـو سُفْيَـانَ بنُ حَرْبٍ وَحَكِيمُ ابنُ حِزَامٍ وَبُدَيْلُ بن وَرْقَاءَ يَتَحَسسُون ، ويَنْظُرُونَ ، هَلْ يَجِـدُونَ خَبَراً ، أَوْ يَسْمَعُون بهِ وَقَدْ كانَ العبَّاسُ بنُ عَبْدِ المطَّلب تلقَّى رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ عند الجُحْفَةِ وَقَـدْ كَانَ أَبُو سُفْيَانَ بنُ الحارث بن عَبْدِ المطَّلب وَعَبْدُ الله بنُ أَبِي أُمَيَّـة بن الْمُغِيرَةِ قَـد لَقِيـا رسُولَ اللهِ ﷺ فيما بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ بِنِيْقِ العُقَاب ، والتَمَسَا الـدُّخولَ عَلَيْـه فكلمتْـهُ أُمُّ سَلَمَـةَ فِيهِما فَقَالت : يَارَسُولَ اللهِ ابنُ عَمِّكَ ، وابنُ عَمَّتِكَ وَصِهْرُكَ . قَالَ : « لاحَاجَةَ لِي بِهِمَا ، أَمَّـا ابنُ عَمِّي فَهَتَكَ عِرْضِي بمكةَ ، وأما ابنُ عمتي وَصِهْري فَهُوَ الذِي قَالَ لِي بِمكَّـة مـا قَالَ » فلمَّا خَرَجَ الخبر إليْهِمَا بْذلِـكَ وَمَع أبي سُفْيَـان بُنَيٌّ لَـهُ ، فقـالَ : وَاللهِ ليـأْذَنن لِي أو لآخُذَنَّ بِيَدِ بُنَيٌّ هٰذَا، ثُمَّ لَنَذْهَبَنَّ بالأَرْضِ حَتَّى نموتَ عَطَشاً وَجُوعاً . فلما بَلَغَ ذٰلِـكَ رَسُول اللهِ ﷺ : رَقَّ لَهُمَـا، ثُمَّ أَذِنَ لَهُمَـا ، فَـدَخَلا فَـأَسلَما، فَلَمَّا نَزَلَ رَسُـولُ الله ﷺ بَمَرِّ الظَّهران قَـال العبَّـاسُ : وَاصَبَـاحَ قُريشٍ، والله لَئِنْ دَخَـلَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ مَكَّـةَ عَنْـوَةً قَبْـلَ أَنْ يَسْتَـأْمِنُـوهُ إنَّه لَهلاكُ قُرَيْشٍ آخِرَ الدَّهْرِ . قَالَ : فَجَلَسْتُ عَلَى بَغْلَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ البَيْضَـاءِ ، فَخَرَجْتُ عَلَيْها حَتَّى جِئتُ الأَرَاكَ . فَقُلتُ : لَعَلِّي أَلْقَى بَعضَ الحطَّابَةِ أَوْ صَاحِبَ لَبَنٍ أو ذَا حَاجة ، يَأْتِي مَكَّةَ فَيُخْبِرَهُم بمكَان رَسُولِ اللهِ ﷺ فَيَسْتـأْمِنُوه قبلَ أَنْ يَـدْخُلَهـا عَنْوَةً . قَـالَ : فَوالله إِنِّي لأَسِيرُ عَلَيهـا وَأَلْتَمِسُ مَـا خَرَجْتُ لَـهُ إذ سَمِعْتُ كَلامَ أَبِي سُفْيَـانَ وَبُـدَيْلِ بنِ وَرْقَـاءَ وهُما يَتَراجَعَانِ ، وَأَبُو سُفيَانَ يَقُولُ : مَارأيتُ كاليومِ قطُّ نِيرَاناً وَلاَ عَسْكراً قَـالَ : يَقُول بـدَيل : هٰذه والله نِيرانُ خُزَاعَةَ حَمَشَتْها الحرْبُ ، قَالَ يَقُولُ أَبُو سُفْيَـان : خُزَاعَة وَاللهِ أَذَلُّ وألأَمُ مِنْ أَنْ تكُونَ هٰذِهِ نِيرَانها وَعَسْكَرَهَا . قَالَ : فعرفتُ صَوْتَـهُ فَقُلْتُ : يَـاأَبـا حَنْظَلَـةَ فَعَرفَ صَوْتِي فَقَالَ : أَبُو الفَضْلِ ؟ فَقُلتُ : نعمْ ، فقَال : مَالكَ فِدَاكَ أَبِي وَأُمي ؟ فَقُلْت ! وَيْحَـك يـاأَبَـا سُفيَان ، هٰذا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي النَّاسِ ، وَاصَبَاحَ قريشٍ وَاللهِ ، قَالَ : فَمَا الحِيلةُ فِـدَاكَ أَبِي وَأمي ؟ قَالَ : قلت : لِئن ظَفِرَ بِك لَيَضْرِبَنَّ عُنُقَكَ ، فَارْكَبْ معِي هٰذِه البَغْلَةَ حتى آتِي بِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، فَأَسْتَأْمِنَهُ لَكَ ، قال : فَرَكِبَ خَلْفِي وَرَجَعَ صَاحِباهُ وَحركتُ بـه ، فَكَلَّمَـا

= حَمَشَتْها : أحرقتها . =

مَرَرْتُ بِنَارٍ مِنْ نِيرانِ المُسْلِمِينَ قَالُوا : مَنْ هٰذا ؟ فَإِذَا رَأَوا بَغْلَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالُوا : عَمُّ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَى بَغْلَتِهِ ، حَتَّى مَرَرْتُ بِنارِ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ ، فَقَالَ : مَنْ هٰذا ؟ وَقَامَ إِلَيَّ فَلَمَّا رَأَى أبو سفيَان عَلَى عَجُزِ الْبَغْلَةِ قَالَ : أبو سُفيانَ عَدُوُّ اللهِ ، الحمدُ للهِ الذي أمكَنَ مِنْكَ بِغَيْرِ عَقْدٍ وَلاَ عَهدٍ . ثُمَّ خَرَجَ يَشْتَدُّ نحو رَسُولِ اللهِ ﷺ وَرَكَضْتُ البَغْلَةَ ، فَسَبَقَتْهُ بِمَا تَسْبِقُ الدَّابةُ الرَّجُلَ البطيءَ فَاقْتَحَمْتُ عَنِ البَغْلَةِ ، فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وَدَخَلَ عُمرُ فَقَالَ : يارَسُولَ اللهِ هٰذَا أبو سُفْيَانَ قَد أمْكَنَ اللهُ مِنْهُ بِغَيرِ عَقْدٍ وَلاَ عَهْدٍ فَدَعْنِي ، فَلأَضْرِب عُنُقَه ، فَقُلْتُ : يَارسُولَ اللهِ إنِّي أجَرْتُه ، ثُمَّ جَلَسْتُ إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فقُلْت : لاَ واللهِ لا يُنَاجِيهِ اللَّيْلَةَ رَجُلٌ دوني . قال : فلما أكْثَرَ عُمَرُ في شَأْنِهِ ، قلت : مَهْلاً ياعُمَرُ ، أمَا وَاللهِ أنْ لو كان من رجَالِ بَني عَدِيٍّ بن كَعْبٍ مَاقُلتَ هٰذا ، وَلٰكِنَّكَ عَرفتَ أنَّه مِنْ رِجَالِ بَني عَبْدِ مَنافٍ . فَقَالَ : مَهْلاً يَاعَبَّاسُ ، واللهِ لإِسْلاَمُكَ يومَ أسْلَمْتَ أحَبُّ إلَيَّ مِنْ إسلامِ الخَطَّابِ أبي لو أسْلَمَ ، وَمَا بي إلا أنِّي قَدْ عَرَفْتُ أن إسْلاَمَكَ كَانَ أحَبُّ إلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ من إسْلاَمِ الخَطَّابِ لو أسلم فقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « اذْهَبْ بِهِ إلَى رَحْلِكَ يَاعبَّاسُ فَإذا أصْبَحْتَ فَائتِني بِهِ » فَذَهَبتُ بِهِ إلَى رَحْلي ، فبَاتَ عِنْدي فلمَّا أصْبَحَ غَدوتُ بِه عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَلَمَّا رَآهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ : « وَيْحكَ يَاأبَا سُفيَانَ ألَمْ يَأنِ لَكَ أن تَشْهَدَ أنْ لاَ إلٰهَ إلا الله ؟ » قَالَ : بِأبي أنْتَ وَأمِّي مَاأكْرَمَكَ وَأحْلَمَكَ وَأوْصَلَكَ ، لَقَدْ ظَنَنْتُ أنْ لَوْ كَانَ مَعَ اللهِ إلٰهٌ غَيْرُه لَقَد أغْنَى عَنِّي شَيْئاً قال : « وَيْحكَ يَاأبَا سُفيَانَ ألَمْ يأنِ لك أنْ تعلَمَ أنِّي رَسُولُ الله ؟ » قال : بِأبي أنْتَ وَأمِّي مَاأحْلَمكَ وأكْرَمَكَ وأوْصَلَكَ ، هٰذِهِ وَاللهِ كَانَ فِي النَّفْسِ مِنْها شَيءٌ حَتَّى الآنَ ، قَالَ العبَّاسُ : وَيْحكَ يَاأبا سُفْيَانَ . أسْلِمْ وَاشهَدْ أنْ لاَ إلٰهَ إلا اللهُ وَأنَّ محمداً رَسُولُ اللهِ قَبْلَ أنْ يُضْرَبَ عُنُقُكَ ، قَالَ : فَشَهِدَ شَهَادَةَ الحَقِّ وَأسْلَمَ ، قُلْتُ : يَارَسُولَ اللهِ إنَّ أبا سُفْيَانَ يُحِبُّ هٰذا الفَخْرَ فَاجْعَلْ لَهُ شَيْئاً قَالَ : « نَعَم ، مَنْ دَخَلَ دَارَ أبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ وَمَنْ أغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ وَمَنْ دَخَلَ المَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ » فَلَمَّا ذَهَبَ لِيَنْصَرِفَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ « يَاعَبَّاسُ احْبِسْهُ بالْوَادِي عِنْدَ حُطَمِ الجَبَلِ حَتَّى تمُرَّ بِهِ جُنُودُ اللهِ فَيَرَاهَا » قَالَ : فَخَرَجْتُ بِهِ

=

= الحُطَم من الجبل : مضيقه حيث يزدحم الناس بعضهم بعضاً .

حتّى حَبَسْتُه بِمَضِيقِ الوَادي حَيْثُ أَمَرَني رَسُول اللهِ ﷺ أن أَحْبِسَه . قَال : وَمَرَّتْ بِهِ القَبَائِلُ عَلَى رايَاتِها ، فَكُلَّما مَرَّتْ قبيلَةٌ قَال : مَنْ هَؤُلاءِ يَاعَبَّاسُ فَأَقُولُ : بَنُو سُلَيْم . فَيقُول : مَالي وَلِسُلَيم ، قَال : ثمَّ تمر القَبيلَةُ ، فيقُول : مَنْ هٰؤلاء فَأقُول : مُزينَةُ ، فَيَقُول : مَالي ولمزَيْنَة حَتَّى نَفَدَتِ القبَائِل يَعْني جَاوَزَتْ ، لاتمرُّ قَبيلةٌ إلا قَالَ : مَنْ هٰؤلاء ؟ فَأقُول : بَنُو فُلاَنٍ . فَيَقُول : مَالي وَلِبني فُلاَنٍ حَتَّى مرَّ رَسُول اللهِ ﷺ في الخَضْرَاء (أي في كتيبةٍ خضراءَ) والأنصارُ لا يُرى مِنْهم سوَى الحَدَق قالَ : سُبْحَانَ الله مَنْ هٰؤلاء يَا عبَّاس ؟ قلتُ : هٰذا رَسُول اللهِ ﷺ في المَهَاجِرين والأَنْصَار . قَالَ : مَا لأَحَدٍ بهؤلاء قِبَلٌ وَلا طَاقَةٌ ، وَاللهِ يَاأَبَا الفَضْلِ ، لَقَدْ أصْبَحَ مُلكُ ابنِ أَخِيكَ الغَدَاةَ عَظِيما . قُلتُ : يَاأَبا سُفيَانَ إنهَا النُّبوَةُ . قَالَ : فَنَعَم إذاً ، قلت : التَجئ إلى قَوْمِكَ ، قَال : فَخَرجَ حتَّى جَاءَهُم صَرَخَ بأَعْلَى صَوْتِهِ : يَاقُرَيشُ هٰذا محمدٌ قَدْ جَاءَكُم بمَا لا قِبَلَ لَكُم بِهِ فَمَنْ دَخَلَ دَارَ أبي سُفيَانَ فَهوَ آمِنٌ ، فَقَامَتْ إلَيْهِ امْرَأَته هِندُ بنتُ عُتْبَةَ ، فَأَخَذَت بِشَارِبِهِ فَقَالَت : اقْتُلوا الحَمِيتَ (الدَّسِمَ) الأَحْمَس فَبئسَ طَلِيعةُ قَومٍ . قال : وَيْحَكُم لاتَغرَّنَّكم هٰذه مِنْ أَنفسِكُم ، فَإنَّه قَدْ جَاءَ بمَا لا قِبَلَ لَكُمْ بِهِ ، مَنْ دَخَل دَارَ أبي سُفْيَانَ فهُوَ آمِنٌ قَالُوا : ويْحَكَ وَمَا تُغْنِي عَنَّا دَارُك قَالَ : وَمَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُو آمِنٌ وَمَنْ دَخَلَ المَسْجِدَ فَهوَ آمِنٌ ، فَتَفرقَ النَاسُ إلى دُورِهِم وإلى المَسْجِدِ .

٦٠٥ ـ * روى البزار عن أنس قَالَ : لما قَدِمَ رَسولُ اللهِ ﷺ مكةَ ، كان قيس (أي: ابن سعد) في مُقَدِّمَتِهِ ، فَكَلَّمَ سَعْدٌ النَّبيَّ ﷺ أن يَصْرِفَهُ عن الموضع الذي هُو فيهِ مَخَافَةَ أَنْ يُقْدِمَ عَلَى شَيء فَصَرَفَه عَنْ ذٰلك .

٦٠٦ ـ * روى البخاري عن عُرْوَةَ بنِ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللهُ عنهما قَال : لَمَّا سَارَ رَسُولُ اللهِ

= الحميت : زق السّمن . في النهاية : « الحميتَ الأحمس » قالتها في معرض الذم .

الدّسِم : الكثير الوَدَك ، والوَدَك : دسم اللحم .

الأحمس : الشديد اللحم . لاقِبَلَ : أي : لاطاقة .

٦٠٥ ـ البزار في كشف الأستار (٢ / ٣٤٢) ، كتاب الهجرة والمغازي ، باب غزوة الفتح .

قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٧٥) : رواه البزار ، ورجاله رجال الصحيح .

٦٠٦ ـ البخاري (٨ / ٥) ٦٤ ـ كتاب المغازي ٤٨ ـ باب أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح ؟ =

ﷺ عـامَ الفتْـحِ ، فَبَلَـغ ذَلِـكَ قُرَيْشـاً ، خَرَجَ أَبـو سُفْيَـانَ بنُ حَربٍ ، وَحَكِيمُ بنُ حِزَامٍ ، وبُـدَيْلُ بنُ وَرقـاءَ ، يَلْتَمِسُـونَ الخَبَر عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فـأَقْبلُـوا يَسيرونَ ، حتّى أَتـوا مَرَّ الظَّهْرَانِ ، فَإذا هُمْ بِنيرَانٍ ، كَأَنَّهَا نِيرَانُ عَرَفَةَ ، فَقَال أَبُو سُفْيَـان : مَـاهٰـذِهِ ؟ لَكَـأَنَّهـا نيرانُ عَرَفةَ ، فقَال بُديْلُ بنُ وَرْقَاءَ : نِيرانُ بَني عَمْروٍ ، فَقَـالَ أبو سُفْيَـانَ : عَمرٌو أَقلُّ مِنْ ذٰلِـك ، فَرَآهُم نَاسٌ مِنْ حَرَس رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَأَدْرَكُوهُم فَـأَخَـذُوهُم ، فـأَتوا بِهم رَسُولَ الله ﷺ ، فَأَسْلَمَ أبو سُفْيَانَ ، فَلَمَّا سَـارَ قَـالَ للعبَّـاسِ : « احْبِسْ أَبـا سُفْيَـانَ عِنْـدَ خطْمِ الجَبَلِ ، حَتَّى يَنظُرَ إلى المسْلِمين » ، فَحَبَسَهُ العبَّاسُ ، فَجَعَلَتِ القَبَـائلُ تمرُّ مَعَ النبيِّ ﷺ ، تَمُرُّ كتيبةً كتيبةً عَلَى أَبي سُفْيَان ، فمرَّت كَتيبةٌ ، فَقَال : ياعبَّـاسُ ، مَنْ هٰـذِهِ ؟ فَقَـالَ : هٰـذِهِ غِفَارٌ ، قَال : مَالِي ولغِفَارٍ ، ثُمَّ مَرَّتْ جُهينةُ ، وقَالَ مِثْلَ ذٰلِـك ، ثُمَّ مرَّتْ سَعْـدُ بنُ هُـذَيم ، فَقَالَ مِثْل ذٰلِكَ ومَرَّتْ سُلَيمُ ، فَقَال مِثلَ ذلِكَ ، حَتَّى أَقبلَتْ كَتيبةٌ لَمْ يُرَ مثلُهَا ، قَالَ : مَن هٰذِه ؟ قَالَ : هٰؤلاَءِ الأَنْصَارُ ، عَلَيْهِم سَعْدُ بنُ عُبـادَةَ مَعَـهُ الرَّايـةُ . فَقَـالَ سعـدُ بنُ عبـادةَ : يَاأَبا سُفْيَانَ اليومَ يومُ المَلْحَمَةِ ، اليَوْمَ تُستَحَلُّ الكَعْبَةُ . فَقَالَ أَبُو سُفْيان : يـاعبَّـاسُ ، حَبَّـذا يَوْمُ الذِّمَار ، ثمَّ جَاءَتْ كَتيبةٌ ، وَهِيَ أَقل الكَتَائبِ ، فِيهم رَسُولُ الله ﷺ وَأَصْحَابُهُ ، وَرَايةُ النبيِّ ﷺ مع الزُّبَيرِ بن العوام ، فَلَمَّا مَرَّ رسُولُ اللهِ ﷺ بـأَبي سُفْيَـان ، قَـالَ : أَلَمْ تَعْلَم مَـا قَالَ سَعْدُ بنُ عُبَادَةَ ؟ قَالَ : « مَا قَالَ » قَال : قَالَ كَـذَا وَكَـذَا ، فَقَـالَ : « كَـذَبَ سَعْـدٌ ، وَلٰكِنْ هٰـذَا يَوْمٌ يُعظِّمُ اللهُ فِيـهِ الكَعْبَـةَ ، ويـومٌ تُكْسَى فيـه الكَعْبَـةُ » قَـالَ : وَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَن تُركَزَ رَايتُـه بـالحَجُونِ ، قَـالَ عُرْوَةُ : وأَخْبَرَنِي نَـافِـعُ بنُ جُبَيْرِ بنِ مطْعِمٍ قَال : سَمِعْتُ العبَّاسَ يقُولُ للزُبيْرِ بنِ العَوَّام : يَاأَبا عَبْدِ الله ، هَـاهُنَـا أَمَرَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ تُرَكِّز الرَّايَةَ ؟ « قَالَ : نَعَمْ » ، قَالَ : وَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ خَـالِـدَ بنَ الوَلِيـدِ أَنْ

=

خطم الجبل : أنفه ، وهو شيء يخرج منه يضيق به الطريق .

كتيبة : الكتيبة : واحدة الكتائب ، وهي العساكر المرتبة .

الملحمة : الحربُ والقتال الذي لامخلص منه .

الذّمار : مالزمك حفظه ، يقال : فلان حامي الذّمـار : يحمي مـايجب عليـه حفظـه . والمراد بـه هنـا الـدفـاع عن الأرواح والأعراض والأموال .

كذب سعد : أي أخطأ .

بالحَجُون : الحجون : أحد جبلي مكة من جهة الغرب والشمال .

=

يَدْخُلَ مِنْ أَعْلَى مَكَّةَ مِنْ كَـدَاءَ ، وَدَخَلَ النبيُّ ﷺ من كُـدَى ، فَقُتِلَ مِنْ خَيْلِ خَـالِـدِ بنِ الوَلِيد رضي الله عنه يَوْمَئِذٍ رَجُلَانِ : حُبَيْشُ بنُ الأَشْعَرِ ، وكُرْزُ بنُ جَابِرِ الفِهْرِي .

قال الحافظ في الفتح : قوله : وأمر رسول الله ﷺ يومئذ خـالـد بن الوليـد أن يـدخل من أعلى مكة من كـداء ، أي : بـالمـد ، ودخل النبي ﷺ من كـدى ، أي : بـالقصر ، قـال الحافظ : وهذا مخالف للأحاديثِ الصحيحة الآتية أن خـالـداً دخل من أسفل مكـة ، والنبي ﷺ من أعلاها ، وكذا جزم ابن إسحاق أن خالداً دخل من أسفل مكة ، ودخل النبي ﷺ من أعلاها ، وضربت له هناك قبة ، وقد ساق ذلك موسى بن عقبة سياقاً واضحاً ، فقـال : وبعث رسول الله ﷺ الزبير بن العوام على المهاجرين وخيلهم ، وأمره أن يدخل من كَـدَاء من أعلى مكة ، وأمره أن يغرز رايته بالحجون ولايبرح حتى يأتيه ، وبعث خالد بن الوليد في قبائل قضاعة وسليم وغيره وأمره أن يدخل من أسفل مكـة ، وأن يغرز رايتـه عنـد أدنى البيوت ، وبعث سعـد بن عبـادة في كتيبـة الأنصـار في مقـدمـة رسـول الله ﷺ وأمرهم أن يكفوا أيديهم ولايقاتلوا إلا من قاتلهم . أ هـ .

وقـال في الفتح : قولـه (فبلغ ذلـك قريشـا) ظـاهره أنهم بلغهم مسيره قبل خروج أبي سفيان وحكيم بن حزام ، والذي عند ابن إسحـاق وعنـد ابن عـائـذ من مغـازي عروة : ثم خرجوا وقادوا الخيول حتى نزلوا بمر الظهران ولم تعلم بهم قريش . وكـذا في روايـة أبي سلمـة عنـد ابن أبي شيبــة أن النبي ﷺ أمر بـالطرق فحبست ، ثم خرج ، فَـغُمَّ على أهـل مكــة الأمر ، فقال أبو سفيان لحكيم بن حزام : هل لـك أن تركب إلى أمر لعلنـا أن نلقى خبرا ؟ فقال له بديل بن ورقاء : وأنا معكم ، قالا : وأنت إن شئت فركبوا . وفي روايـة ابن عـائـذ من حـديث ابن عمر رضي الله عنهما قـال : لم يغـز رسـول الله ﷺ قريشـا حتى بعث إليهم ضمرة يخيرهم بين إحدى ثلاث : أن يُودوا قتيل خزاعة [١] ، وبين أن يبرأوا من حلف بكر ، أو ينبـذ إليهم على سواء . فـأتـاهم ضمرة فخيرهم ، فقـال قرظـة بن عمرو : لانـودي ولانبرأ ، ولكنا ننبذ إليه على سواء . فانصرف ضمرة بذلك . فأرسلت قريش أبا سفيـان يسـأل رسول الله

= من كَدَاء : كَداء بالفتح والمدّ : ثَنِيَّة من أعلى مكة ، مما يلي المقبرة ، وكُدَى ـ بالضم والقصر ـ ثَنِيَّة من أسفل مكة .

(١) قوله : أن يودوا قتيل خزاعة : أي : يدفعوا ديته ، وخزاعة : حلفاء النبي ﷺ ، وقد قتلته بكر حليفة قريش .

ﷺ في تجديد العهد وكذلك أخرجه مسدد من مرسل محمد بن عباد بن جعفر ، فأنكره الواقدي وزعم أن أبا سفيان إنما توجه مبادرا قبل أن يبلغ المسلمين الخبر ، والله أعلم . وفي مرسل عكرمة عند ابن أبي شيبة ونحوه في مغازي عروة عند ابن إسحاق وابن عائذ « فخافت قريش ، فانطلق أبو سفيان إلى المدينة فقال لأبي بكر : جدد لنا الحلف ، قال : ليس الأمر إليّ . ثم أتى عمر فأغلظ له عمر . ثم أتى فاطمة فقالت له : ليس الأمر إليّ . فأتى عليّا فقال : ليس الأمر إليّ . فقال : مارأيت كاليوم رجلاً أضل ـ أي من أبي سفيان ـ أنت كبير الناس ، فجدد الحلف . قال : فضرب إحدى يديه على الأخرى وقال : قد أجرت بين الناس . ورجع إلى مكة فقالوا له : ماجئتنا بحرب فنحذر ، ولابصلح فنأمن » لفظ عكرمة وفي رواية عروة « فقالوا له : لعب بك علي وإن إخفار جوارك لهين عليهم » فيحتمل أن يكون قوله « بلغ قريش » أي غلب على ظنهم ذلك لاأن مبلغا بلغهم ذلك حقيقة .

وقوله (نيران عرفة) إشارة إلى ما جرت به عادتهم من إيقاد النيران الكثيرة ليلة عرفة ، وعند ابن سعد أن النبي ﷺ أمر أصحابه في تلك الليلة فأوقدوا عشرة آلاف نار .

قوله (فقال بديل بن ورقاء : هذه نيران بني عمرو) يعني خزاعة ، وعمرو يعني ابن لحي (فقال أبو سفيان : عمرو أقل من ذلك) ومثل هذا في مرسل أبي سلمة ، وفي مغازي عروة عند ابن عائذ عكس ذلك وأنهم لما رأوا الفساطيط وسمعوا صهيل الخيل فراعهم ذلك فقالوا : هؤلاء بنو كعب ـ يعني خزاعة ، وكعب أكبر بطون خزاعة ـ جاشت بهم الحرب . فقال بديل : هؤلاء أكثر من بني كعب مابلغ تأليبها هذا . قالوا : فانتجعت هوازن أرضنا ، والله مانعرف هذا ، أنه هذا المثل صاح الناس . قوله (فرآهم ناس من حرس رسول الله ﷺ فأدركوهم فأخذوهم) في رواية ابن عائذ « وكان رسول الله ﷺ بعث بين يديه خيلا تقبض العيون ، وخزاعة على الطريق لايتركون أحدا يمضي ، فلما دخل أبو سفيان وأصحابه عسكر المسلمين أخذتهم الخيل تحت الليل » وفي مرسل أبي سلمة (وكان حرس رسول الله ﷺ نفرا من الأنصار ، وكان عمر بن الخطاب عليهم تلك الليلة فجاءوا بهم إليه فقالوا : جئناك بنفر أخذناهم من أهل مكة ، فقال عمر : والله لو جئتموني بأبي سفيان مازدتم ، قالوا قد أتيناك بأبي سفيان) وعند ابن إسحاق(أن العباس خرج ليلا فلقي أبا سفيان وبديلا ، فحمل أبا

سفيان معه على البغلة ورجع صاحباه) ويمكن الجمع بأن الحرس لما أخذوهم استنقذ العباس أبا سفيان . وفي رواية ابن إسحاق (فلما نزل رسول الله ﷺ مر الظهران قال العباس : والله لئن دخل رسول الله ﷺ مكة عَنوة قبل أن يأتوه فيستأمنوه إنه لهلاك قريش ، قال : فجلست على بغلة رسول الله ﷺ حتى جئت الأراك [1] فقلت : لعلّي أجد بعض الحطابة أو ذا حاجة يأتي مكة فيخبرهم ، إذ سمعت كلام أبي سفيان وبديل بن ورقاء ، قال : فعرفت صوته فقلت : ياأبا حنظلة ، فعرف صوتي فقال : أبا الفضل ؟ قلت : نعم . قال : ماالحيلة ؟ قلت : فاركب في عجز هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله ﷺ فأستأمنه لك ، قال : فركب خلفي ورجع صاحباه) وهذا مخالف للرواية السابقة أنهم أخذوهم ، ولكن عند ابن عائذ(فدخل بديل وحكيم على رسول الله ﷺ فأسلما) فيحمل قوله (ورجع صاحباه) أي بعد أن أسلما . واستمر أبو سفيان عند العباس لأمر رسول الله ﷺ له أن يحبسه حتى يرى العساكر . ويحتمل أن يكونا رجعا لما التقى العباس بأبي سفيان فأخذهما العسكر أيضا . وفي مغازي موسى ابن عقبة مايؤيد ذلك ، وفيه (فلقيهم العباس فأجارهم وأدخلهم إلى رسول الله ﷺ ، فأسلم بديل وحكيم ، وتأخر أبو سفيان بإسلامه حتى أصبح) ويجمع بين ماعند ابن إسحاق ومرسل أبي سلمة بأن الحرس أخذوهم ، فلما رأوا أبا سفيان مع العباس تركوه معه . وفي رواية عكرمة (فذهب به العباس إلى رسول الله ﷺ ، ورسول الله ﷺ في قبة له فقال : « ياأبا سفيان أسلم تسلم » قال : كيف أصنع باللات والعزى ؟ قال فسمعه عمر فقال : لو كنت خارجا من القبة ماقلتها أبدا ، فأسلم أبو سفيان ، فذهب به العباس إلى منزله ، فلما أصبح ورأى مبادرة الناس إلى الصلاة أسلم » . قوله (احبس أبا سفيان) في رواية موسى بن عقبة أن العباس قال لرسول الله ﷺ لاآمن أن يرجع أبو سفيان فيكفر ، فاحبسه حتى تريه جنود الله ، ففعل ، فقال أبو سفيان : أغدرا يابني هاشم ؟ قال العباس . لاولكن لي إليك حاجة فتصبح فتنظر جنود الله للمشركين وما أعد الله للمشركين ، فحبسه بالمضيق دون الأراك حتى أصبحوا . قوله (عند خطم الجبل) في رواية النسفي والقابسي بفتح الخاء المعجمة وسكون المهملة وبالجيم والموحدة أي أنف الجبل ، وهي رواية ابن إسحاق

---

(١) حتى جئت الأراك : هي منطقة قرب مكة يكثر فيها شجر الأراك الذي يُتخذ منه السواك .

وغيره من أهل المغازي ، وفي رواية الأكثر بفتح المهملة من اللفظة الأولى وبالخاء المعجمة وسكون التحتانية (أي عند حَطْمِ الخَيل) أي ازدحامها ، وإنما حبسه هناك لكونه مضيقا ليرى الجميع ولايفوته رؤية أحد منهم .

هناك ثلاثة أقوال فيمن دفعت إليه الراية التي نزعت من سعد . والذي يظهر في الجمع أن عليا أرسل بنزعها ، وأن يدخل بها ، ثم خشي تغير خاطر سعد فأمر بدفعها لابنه قيس ، ثم إن سعدا خشي أن يقع من ابنه شيء ينكره النبي ﷺ فسأل النبي ﷺ أن يأخذها منه فحينئذ أخذها الزبير . وهذه القصة الأخيرة قد ذكرها البزار من حديث أنس بإسناد على شرط البخاري ولفظه « كان قيس في مقدمة النبي ﷺ لما قدم مكة ، فكلم سعد النبي ﷺ أن يصرفه عن الموضع الذي فيه مخافة أن يقدم على شيء ، فصرفه عن ذلك » .

وعند البيهقي بإسناد حسن من حديث ابن عمر قال : لما دخل رسول الله ﷺ عام الفتح رأى النساء يلطمن وجوه الخيل بالخمر ، فتبسم إلى أبي بكر فقال : ياأبا بكر كيف قال حسان ؟ فأنشده قوله :

عَدِمْتُ بُنَيّتي إنْ لم تَرَوْها ... تُثيرُ النَّقْعَ [1] مَوْعِدُها كَدَاءُ [2]
يُنَازِعْنَ الأسِنَّةَ مُسْرَجاتٍ ... يُلَطِّمُهنّ [3] بالخُمُرِ [4] النّساءُ

فقال (ادخلوها من حيث قال حسان) . وذكر ابن إسحاق أن أصحاب خالد لقوا ناسا من قريش ، منهم سهيل بن عمرو وصفوان بن أمية كانوا تجمعوا بالخَنْدَمَة بالخاء المعجمة والنون مكان أسفل مكة ليقاتلوا المسلمين ، فناوشوهم شيئا من القتال ، فقتل من خيل خالد سَلَمَةُ بنُ المَيْلاء الجُهَني ، وقتل من المشركين اثنا عشر رجلا أو ثلاثة عشر وانهزموا ، وفي ذلك يقول حِماسُ بن قيس بن خالد البكري ـ قال ابن هشام : ويقال هي للمرعاش الهذلي ـ يخاطب امرأته حين لامته على الفرار من المسلمين :

---

(١) النّقع : الغبار .

(٢) كَدَاء : بوزن سحاب ، ثنية بأعلى مكة .

(٣) يُلَطِّمُهن : تضرب النساء وجوه الخيل لتردهن .

(٤) الخُمُر : جمع خمار وهو ماتغطي به المرأة رأسها ووجهها . أي إن النساء كن يضربن وجوه الخيل بخمرهن يوم الفتح .

إنـك لـو شهـدت يـوم الخنـدمـه   إذ فر صفـــوان وفر عكرمـــــه
واستقبلتنـــا بـــالسيـوف المسلمـــه   يقطعن كل ســـاعـــد وجمجمـــه
ضربـــا فـــلا يسمــع إلا غمغمـــه   لم تنطقي في اللـــوم أدنى كلمـــه

وعند موسى بن عقبة : واندفع خالد بن الوليد حتى دخل من أسفل مكة ، وقد تجمع بها بنو بكر وبنو الحارث بن عبد مناة وناس من هذيل ومن الأحابيش الذين استنصرت بهم قريش ، فقاتلوا خالدا ، فقاتلهم ، فانهزموا وقتل من بني بكر نحو عشرين رجلا ومن هذيل ثلاثة أو أربعة ، حتى انتهى بهم القتل إلى الحَزْوَرَة إلى باب المسجد حتى دخلوا في الدور ، وارتفعت طائفة منهم على الجبال ، وصاح أبو سفيان : من أغلق بابه وكف يده فهو آمن ، قال : ونظر رسول الله ﷺ إلى البارقة فقال : « ما هذا وقد نهيت عن القتال ؟» فقالوا : نظن أن خالدا قوتل وبدئ بالقتال فلم يكن له بد من أن يقاتل . ثم قال : وقال رسول الله ﷺ بعد أن اطمأن لخالد بن الوليد : « لم قاتلت وقد نهيتك عن القتال ؟ » فقال : هم بدءونا بالقتال ووضعوا فينا السلاح ، وقد كففت يدي مااستطعت . فقال : « قضاء الله خير » وذكر ابن سعد أن عدة من أصيب من الكفار أربعة وعشرون رجلا ، ومن هذيل خاصة أربعة ، وقيل مجموع من قتل منهم ثلاثة عشر رجلا . وروى الطبراني من حديث ابن عباس قال خطب رسول الله ﷺ فقال :« إن الله حرم مكة » الحديث ، فقيل له : هذا خالد بن الوليد يقتل ، فقال : « قم يافلان فقل له فليرفع القتل » فأتاه الرجل فقال : إن نبي الله يقول لك اقتل من قدرت عليه ، فقتل سبعين ثم اعتذر الرجل إليه ، فسكت » قال : وقد كان رسول الله ﷺ أمر أمراءه أن لايقتلوا إلا من قاتلهم ، غير أنه أهدر دم نفر سماهم . وقد جمعت أسماءهم من مفرقات الأخبار وهم : عبد العُزّى بن خَطَل ، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح ، وعكرمة بن أبي جهل ، والحويرث بن نُقَيد بنون وقاف مصغراً ، ومِقْيَس بن صُبَابة بمهملة مضمومة وموحدتين الأولى خفيفة ، وهَبّار بن الأسود . وقينتان كانتا لابن خطل كانتا تغنيان بهجو النبي ، وسارة مولاة بني المطلب وهي التي وجد معها كتاب حاطب . فأما ابن أبي سرح فكان أسلم ثم ارتد ثم شفع فيه عثمان يوم الفتح إلى النبي ﷺ فحقن دمه وقبل إسلامه . وأما عكرمة ففر إلى اليمن

فتبعته امرأته أم حكيم بنت الحارث بن هشام فرجع معها بأمان من رسول الله ﷺ . وأما الحويرث فكان شديد الأذى لرسول الله ﷺ بمكة فقتله عليّ يوم الفتح . وأما مِقْيَسُ بنُ صُبَابَة فكان أسلم ثم عدا على رجل من الأنصار فقتله ، وكان الأنصاري قتل أخاه هشاما خطأ ، فجاء مقيس فأخذ الدية ثم قتل الأنصاري ثم ارتد ، فقتله نُميلة بن عبد الله يوم الفتح . وأما هَبّارٌ فكان شديد الأذى للمسلمين وعرض لزينب بنت رسول الله ﷺ لما هاجرت فنخس [1] بعيرها فأسقطت ، ولم يزل ذلك المرض بها حتى ماتت ، فلما كان يوم الفتح بعد أن أهدَرَ النبي ﷺ دمه أعلن بالإسلام فقبل منه فعفا عنه . وأما القينتان فاسمها فِرْتَنَي وقرينة ، فاستؤمن لإحداهما فأسلمت وقتلت الأخرى . وأما سارة فأسلمت وعاشت إلى خلافة عمر . وقال الحميدي : بل قتلت . وذكر أبو معشر فيمن أهدر دمه الحارث بن طلاطل الخزاعي قتله علي . وذكر غير ابن إسحاق أن فرتني هي التي أسلمت وأن قرينة قتلت وذكر الحاكم أيضا ممن أهدر دمه كعب بن زهير وقصته مشهورة ، وقد جاء بعد ذلك وأسلم ومدح . ووحشي بن حرب وهند بنت عتبة امرأة أبي سفيان وقد أسلمت . وأرنب مولاة ابن خطل أيضا قتلت فيما ذكر ابن إسحاق فكملت العدة ثمانية رجال وست نسوة ويحتمل أن تكون أرنب . وأم سعد هما القينتان اختلف في اسمها أو باعتبار الكنية واللقب .

وعند موسى بن عقبة في المغازي ـ وهي أصح ما صنف في ذلك عند الجماعة ـ ما نصه « أن أبا سفيان وحكيم بن حزام قالا : يارسول الله كنت حقيقا أن تجعل عدتك وكيدك بهوازن ، فإنهم أبعد رحما وأشد عداوة ، فقال : « إني لأرجو أن يجمعها الله لي : فتح مكة وإعزاز الإسلام بها ، وهزيمة هوازن وغنيمة أموالهم » . فقال أبو سفيان وحكيم : فادع الناس بالأمان ، أرأيت إن اعتزلت قريش فكفت أيديها آآمنون هم ؟ قال : « من كف يده وأغلق داره فهو آمن » قالوا : فابعثنا نؤذن بذلك فيهم : قال : « انطلقوا ، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن دخل دار حكيم فهو آمن » ودار أبي سفيان بأعلى مكة ودار حكيم بأسفلها . فلما توجها قال العباس : يارسول الله إني لاآمن أبا سفيان أن يرتد ، فرده حتى تريه جنود الله . قال : « أفعل » فذكر القصة ، وفي ذلك تصريح بعموم التأمين ، فكان

---

(١) نَخَسَ الدابة : طعن مؤخرها أو جنبها بالمنخاس لتنشط .

هذا أمانا منه لكل من لم يقاتل من أهل مكة ، فمن ثم قال الشافعي : كانت مكة مأمونة ولم يكن فتحها عنوة ، والأمان كالصلح . وأما الذين تعرضوا للقتال أو الذين استثنوا من الأمان وأمر أن يقتلوا ولو تعلقوا بأستار الكعبة فلا يستلزم ذلك أنها فتحت عنوة . ويمكن الجمع بين حديث أبي هريرة في أمره ﷺ بالقتال وبين حديث الباب في تأمينه ﷺ لهم بأن يكون التأمين علق بشرط وهو ترك قريش المجاهرة بالقتال ، فلما تفرقوا إلى دورهم ورضوا بالتأمين المذكور لم يستلزم أن أوباشهم الذين لم يقبلوا ذلك وقاتلوا خالد بن الوليد ومن معه فقاتلهم حتى قتلهم وهزمهم أن تكون البلد فتحت عنوة ، لأن العبرة بالأصول لابالأتباع وبالأكثر لا بالأقل ، ولاخلاف مع ذلك أنه لم يجر فيها قسم غنيمة ولا سبي من أهلها ممن باشر القتال أحد ، وهو ما يؤيد قول من قال لم يكن فتحها عنوة . وعند أبي داود بإسناد حسن «عن جابر أنه سئل : هل غنمتم يوم الفتح شيئا ؟ قال : لا » وجنحت طائفة ـ منهم الماوردي ـ إلى أن بعضها فتح عنوة لما وقع من قصة خالد بن الوليد المذكورة ، وقرر ذلك الحاكم في « الإكليل » . والحق أن صورة فتحها كان عنوة ومعاملة أهلها معاملة من دخلت بأمان ، ومنع جمع منهم السهيلي ترتب عدم قسمتها وجواز بيع دورها وإجارتها على أنها فتحت صلحا ، أما أولا فلأن الإمام مخير في قسمة الأرض بين الغانمين إذا انتزعت من الكفار وبين إبقائها وقفا على المسلمين ، ولا يلزم من ذلك منع بيع الدور وإجارتها . وأما ثانيا فقال بعضهم : لاتدخل الأرض في حكم الأموال ، لأن من مضى كانوا إذا غلبوا على الكفار لم يغنموا الأموال ، فتنزل النار فتأكلها وتصير الأرض عموما لهم كما قال الله تعالى ﴿ **ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم** ﴾ [1] الآية . وقال ﴿ **وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها** ﴾ [2] الآية . والمسألة مشهورة فلا نطيل بها هنا . اهـ .

٦٠٧ ـ * روى مسلم عن عبدِ الله بنِ رباح عن أبي هريرة قالَ : وَفَدَتْ وفودٌ إلى

---

(١) المائدة٢١ .

(٢) الأعراف١٣٧ .

٦٠٧ ـ مسلم (٣ / ١٤٠٥) ٣٢ ـ كتاب الجهاد والسير ـ ٣١ ـ باب فتح مكة .

مُعاوية ـ وَذلكَ في رَمَضَانَ ـ فَكانَ يَصْنَعُ بَعضُنا لبعْضٍ الطعامَ فكَانَ أبو هُرَيْرة مِمَّا يُكْثِرُ أنْ يَدْعُوَنا إلَى رَحْلِه ، فَقُلتُ : ألاَ أصْنَعُ طَعَاماً فَأدْعُوَهُم إلى رَحْلي ؟ فَأمَرْتُ بطعام يُصنَع ، ثم لَقيتُ أبا هريرة من العَشيِّ ، فقلت : الدعوةُ عِنْدي الليلةَ ، فقال : سَبَقْتَني ؟ قلت : نَعمْ ، فَدَعَوتُهُم ، فَقَال أبو هُرَيرَة : ألا أُعْلِمُكم بحديثٍ مِنْ حَديثكُم يَامَعْشَرَ الأنصَار ؟ ... ثُم ذَكَرَ فَتْحَ مَكةَ ، فَقَال : أقبَلَ رَسُولُ الله ﷺ حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ ، فَبَعَثَ الزبَيرَ على إحدَى المُجَنِّبَتَيْنِ بَعَثَ خَالداً على المُجَنِّبَةِ الأُخْرَى ، وَبَعَثَ أبَا عُبَيْدة على الحُسَّر ، فَأخَذُوا بَطْنَ الوَادي وَرَسُولُ الله ﷺ في كَتيبَةٍ ، قَال : فَنَظر فرآني ، فقال : « أبُو هُرَيْرَةَ ؟ » قُلْتُ : لَبَّيْكَ يارَسُولَ الله ، فَقَال : « لا يَأتيني إلا أنْصَاري » زاد غيرُ شَيْبَانَ ـ (أي الراوي) ـ فقال : « اهْتِفْ لي بالأنْصَار » قَالَ : فَأطَافوا به ، وَوَبَّشتْ قُرَيشٌ أوباشاً لَها وَأتْبَاعا ـ فَقَالوا : نُقدِّم هؤلاء ، فَإنْ كَانَ لَهُمْ شيءٌ كُنَّا مَعَهُم ، وإن أُصيبُوا أعطَيْنا الذي سُئِلْنَا ، فَقَال رَسُولُ الله ﷺ : « تَرَونَ إلى أوْبَاش قُرَيْشٍ وأتْبَاعِهم ؟ » ثم قَالَ بيَدَيْه ـ إحْدَاهُمَا عَلى الأُخْرَى ـ ثُمَّ قَالَ : « حَتَّى تُوافُوني بالصَّفا » قال : فَانْطَلَقْنا ، فَما شَاءَ أحدٌ منَّا أن يَقْتُل أحَداً إلا قَتَلَهُ ، وَمَا أحَدٌ مِنهُم يُوَجِّه إلَيْنَا شَيْئاً ، قَالَ : فَجَاءَ أبُو سُفيَانَ فَقَال : يارَسُولَ الله ، أُبيحَت خَضْرَاءُ قُرَيشٍ ، لاقريشَ بَعْدَ اليَوم ، ثم قَال : « مَنْ دَخَل دَارَ أبي سُفْيَان فَهوَ آمنٌ » فَقَالتِ الأنْصَارُ بعضُهم لبَعْضٍ : أمَّا الرَّجلُ فَأدْرَكَتْهُ رَغبةٌ في قَرْيَتِه ، ورأْفَةٌ بعَشيرَته ، قَالَ أبُو هُريْرةَ : وَجَاءَ الوَحْيُ ـ وَكَانَ إذا جَاء الوَحْيُ لاَ يَخْفَى عَلَينَا ، فَإذا جَاءَ فليْسَ أحَدٌ يَرْفَعُ طَرْفَهُ إلى رَسُولِ الله ﷺ حَتَّى يَنْقَضِيَ الوَحْيُ ـ فَلَمَّا انقضى الوَحيُ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « يَامَعْشَرَ الأنْصَار » قَالُوا : لَبَّيك يَارَسُولَ الله ، قَال : « قُلْتم : أمَّا الرَّجُلُ فَأدْرَكَتْهُ رَغْبَةٌ في قَرْيَتِه ؟ » قَالُوا : قَدْ كَانَ ذلكَ ، قَالَ :

= المُجنِّبَتَين : المُجنِّبَةُ : جَانِبُ العسكر ، وله مُجَنِّبتان : ميمنة وميسرة .

على الحُسَّر : جمع حاسر ، وهو الذي لادِرْعَ عليه ولامِغْفَر .

أطافوا به : أحاطوا ، وإنما خصهم لثقته بهم ورفعا لمراتبهم وإظهارا لجلالتهم وخصوصيتهم .

وَبَّشتْ أوباشا لها : الأوباش : الجموع من قبائل شتى ، والتوبيش : الجمع ، أي : جمعت لها جموعاً من أقوام متفرِّقين في الأنساب والأماكن .

أُبيحَتْ خضراء قريش : أي : استُؤصِلَتْ وأُهلكت ، وخضراؤها : سوادها ومعظمها ، والعرب تُعبِّر بالخُضرة عن السواد ، وبالسواد عن الكثرة . =

« كـلا ، إنّي عَبْـدُ اللهِ وَرَسُولُـهُ ، هَـاجَرْتُ إلى اللهِ وإلَيكُم ، والمحْيـا مَحْيَـاكُم ، وَالمَمَاتُ مَمَاتُكم » فَأَقْبَلوا إلَيهِ يَبْكُون ، وَيَقُولُون : وَاللهِ مَاقُلْنـا الـذِي قُلْنـا إلاّ الضَّنَّ بـاللهِ وَبِرَسُولِه ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « إنَّ اللهَ ورسولَهُ يُصدِّقَانِكُم ، وَيَعْـذِرَانِكُمْ » قَـالَ : فَأَقْبَلَ النَّاسُ إلى دَارِ أَبِي سُفْيَانَ ، وَأَغْلَقَ النَّاسُ أبوابَهُم ، قَـال : وَأَقْبَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى أَقْبلَ إلى الحَجَر فاسْتَلَمَهُ ، ثُمَّ طَافَ بالبيْتِ . قال : فـأتى عَلَى صَنَمٍ إلى جَـانبِ البَيتِ كَـانُوا يَعْبُدونَهُ : قَال : وَفِي يَـدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَوْسٌ ، وَهو آخِـذٌ بِسِيَـةِ القَوْسِ ، فَلَمَّـا أَتَى عَلَى الصَّنَمِ جَعَلَ يَطْعَنُ في عيْنِـهِ ، وَيَقُولُ : « جَـاء الحَقُّ ، وَزَهَقَ البَـاطِـلُ » فَلَمَّـا فَرَغَ مِنْ طَوافِـهِ أتى الصَّفَـا ، فَعَـلا عَلَيـهِ حتَّى نَظَر إلَى البَيْتِ ، وَرَفَـع يَـديـه ، فَجَعَـل يَحمَدُ اللهَ وَيَدْعُو مَاشَاء أَنْ يَدْعُوَ . .

وفي رِواية [١] بِهذَا الحديثِ ، وَزَادَ في الحديث : ثمَّ قَالَ بِيَدَيْهِ ، إحداهُمَا عَلَى الأُخْرَى : « احْصُدُوهُم حَصْداً » وقَالَ فِي الحَدِيث : قَالُوا : قُلْنَا : ذَاكَ يَارَسُولَ اللهِ ، قَـالَ : « فَمَـا اسْمِي إذاً ؟ كَلاَّ ، إِني عبدُ اللهِ وَرَسُولُه » .

وَفِي أُخرَى [٢] قَالَ : وَفَدْنا إلى مُعَاوِيةَ بن أَبي سُفْيانَ ، وَفِينـا أَبُو هُرَيْرَةَ ، فَكَـان كُلُّ رَجُلٍ مِنَّا يصْنَعُ طَعاماً يَوماً لأَصْحَابه ، فَكَانَت نَوْبَتِي ، فَقُلْتُ : يَاأَبَا هُرَيْرة ، اليَومَ نوبتي ، فَجَاؤوا إلَى المَنْزِلِ ، وَلَم يُدرِكْ طَعَامُنَا ، فَقُلْتُ : يَاأَبـا هُرَيْرَة ، لو حـدَّثْتَنَـا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى يُدرِكَ طَعَامُنا ؟ فَقَـال : كُنَّـا مَعَ رَسُول الله ﷺ يَومَ الفَتْحِ ، فجَعَل خـالـدَ بنَ الوَليدِ عَلَى المُجَنِّبَةِاليُمْنَى . وجعلَ الزُّبيرَ على المُجَنِّبَةِ اليُسْرَى وجَعَلَ أبا عُبيدةَ عَلَى البَيَاذِقَـةِ

= هاجرت إلى الله وإليكم : أي هاجرت إلى الله تعالى وإلى دياركم لاستيطانها فلا أتركها ولا أرجع عن هجرتي الواقعة لله تعالى .

الضَّنُّ : البخل والشُّحُّ ، ضَنِنْتُ أَضِنُّ ، وضَنَنْتُ أَضِنُّ .

فاسْتَلَمَهُ : استلام الحجر الأسود : لَمْسهُ باليد .

سِيَة القوس : مخففاً : طرفها إلى موضع الوَتر .

زهق الباطل : أي اضْمَحَلَّ وذهب ضائعاً .

(١) مسلم (٣ / ١٤٠٧) ٣٢ ـ كتاب الجهاد والسير ـ ٣١ ـ باب فتح مكة .

(٢) مسلم في نفس الموضع السابق .

البياذقة : الرَّجَّالة ، سموا بذلك لخفة حركتهم وأنهم ليس معهم ما يثقلهم . =

وبَطْنِ الـوَادِي ، فَقَـالَ : « يَـاأَبـا هُرَيْرةَ ، ادْعُ لي الأنصَـارَ» فَـدَعَـوْتُهمْ ، فَجَـاؤوا يُهَرولُون ، فَقَـالَ : « يَـامَعْشَرَ الأَنْصَـارِ ، هَلْ تَرَوْنَ أَوْبـاشَ قُريش ؟ » قَـالُـوا : نَعَم قالَ : « انظُروا إذا لَقِيتُموهُم غَداً : أن تحصُدُوهم حَصْداً » وأَخفَى بيـده ، ووَضَعَ يمِينَـه على شِمالِه ـ وَقَـال : « مَوعِـدُكُم الصَّفـا » ، قَـال : فما أَشْرَف يومَئِـذٍ لهم أَحَـدٌ إلا أَنـامُوه ، قَال : وصَعِدَ رسولُ اللهِ ﷺ الصَّفَا وجاءت الأنصارُ ، فَأَطافُوا بالصَّفَـا ، فَجَـاء أَبو سُفْيَـانَ ، فَقَالَ : يَارسُولَ اللهِ ، أُبيدَتْ خضراءُ قُرَيْشٍ ، لاقُريشَ بعـدَ اليوم ، قَـال أبو سُفيـانَ : قـال رسولُ الله ﷺ : « مَنْ دَخَل دارَ أبي سُفيـانَ فهو آمِن ومَن أَلقى السّلاحَ فَهُـو آمِنٌ ، ومَن أغلَق بابه فهو آمِن » فَقالتِ الأَنْصَارُ : أمَّا الرجلُ ، فَقَـدْ أَخـذتْـه رأفـةٌ بعَشِيرتِـهِ ، وَرَغْبَةٌ في قَرْيتـه ، ونَزلَ الوَحي عَلَى رَسولِ الله ﷺ قَـالَ : « قلتُم : أمَّـا الرجلُ : فَقـدْ أخذتْهُ رأْفةٌ بعشيرتِهِ ، ورَغبةٌ في قريَتِهِ ؟ أَلاَ فما اسْمِي إذاً ؟ ! ـ ثلاثَ مراتٍ ـ أنا مُحمَّدٌ عبدُ اللهِ ورسولهُ ، هَاجَرْتُ إلى اللهِ وإلَيكُم ، فالمحيا مَحْيَـاكُم ، والمماتُ ممَـاتُكم » قَـالوا : وَاللهِ ، مَـاقُلْنَـا إلا ضِنًّـا بـاللهِ وَرَسولِـه ، قـال : « فـإنَّ اللهَ ورسولَـهُ يُصَـدّقَـانِكم ويَعْذِرَانِكُم» .

وَفي رواية أبي داودَ [1] عن عبدِ اللهِ بن رَبَاحٍ الأنصـاريِّ عنْ أبي هُريرة قـالَ : إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ لما دخَلَ مكّةَ سرَّحَ الزبيرَ بنَ العوامِ ، وأبا عُبيـدةَ بنَ الجَرّاح ، وخـالـدَ بنَ الوليـدِ عَلى الخيـلِ ، وقـال : « يـاأبـا هريرة ، اهْتِفْ بـالأَنصَـارِ» قـالَ : « أُسلُكـوا هَـذا الطـريقَ ، فلا يُشْرِفَنَّ لكُم أحـدٌ إلا أَنمتُمُـوه » فَنَادَى مُنَـادٍ : لا قُرَيْش بعْدَ اليَـومِ ، فَقَـالَ رَسُـولُ الله ﷺ : « مَن دَخَـلَ دَاراً فهـو آمِنٌ ، ومن أَلْقَى السِّـلاحَ فَهـوَ آمِن » وعَمَد صَنَاديدُ قُرَيْش فَدَخلوا الكَعْبة ، فَغَصَّ بهم ، وَطَـافَ النبيُّ ﷺ وَصلَّى خَلْفَ المقَام ، ثم أخَذ بجَنَبَتي البابِ ، فَخَرجُوا ، فَبَايَعُوا النبيَّ ﷺ عَلى الإسْلام .

= احْصُدُوهم : الحصد : كناية عن الاستئصال والمبالغة في القتل .

أخفَى : قال الحميديُّ : أخفَى بيده : أشار بحافَّتها ، وصفاً للحصد والقتل .

أنامُوه : أي قتلوه ، ومنه سمي السيف مُنِيماً ، أي : مُهلكاً .

(١) أبو داود (٣ / ١٦٣) ، كتاب الخراج والإمارة والفيء ، باب ماجاء في خبر مكة .

٦٠٨ - * روى البخاري ومسلم عن عبدِ الله بنِ مُغَفَّلٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ - يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ عَلَى نَاقَتِهِ - يَقْرأُ سُورَةَ الفَتْحِ قَالَ : فَقَرأَ ابنُ مُغَفَّلٍ وَرَجَّعَ فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : لَوْلاَ النَّاسُ لأَخَذْتُ لكُم بِذلِكَ الذِي ذَكرهُ ابنُ مُغَفَّلٍ عَنِ النبيِّ ﷺ .

وفي روايةِ أبي داود [(١)] قال : رأيتُ رسول الله ﷺ يومَ فتْحِ مكةَ - وهو على ناقةٍ - يقْرَأُ بسورة الفتح ، وهو يُرَجِّعُ .

٦٠٩ - * روى البخاري ومسلم عن عائشةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أن النبي ﷺ دخلَ عَامَ الفَتْحِ مِنْ كَدَاءٍ التي بأَعْلَى مَكَّةَ .

وَفي رِوَايةٍ [(٢)] : أنَّ النبيَّ ﷺ لَمَّا جَاءَ إلى مكَّةَ دَخَلَها مِن أعْلاَهَا ، وَخَرَجَ من أسفَلِها .

---

٦٠٨ - البخاري بنحوه (٨ / ١٣) ٦٤ - كتاب المغازي - ٤٨ - باب أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح ؟ .

ومسلم بلفظه (١ / ٥٤٧) ٦ - كتاب صلاة المسافرين وقصرها - ٣٥ - باب ذكر قراءة النبي ﷺ سورة الفتح يوم فتح مكة .

الترجيع : هو تقارب ضروب الحركات في القراءة ، وأصله : الترديد ، وترجيع الصوت : ترديده في الحلق ، وقد جاء تفسيره في حديث عبد الله بن مغفل في كتاب التوحيد من صحيح البخاري « أ ا أ » بهمزة مفتوحة بعدها ألف ساكنة ثم همزة أخرى ، كذا ضبطه الحافظ وغيره ، وقال العلامة علي القاري : الأظهر أنها ثلاث ألفات ممدودات . ثم قالوا : يحتمل أمرين .

أحدهما : أن ذلك حدث من هز الناقة .

والآخر : أنه أشبع المد في موضعه ، فحدث ذلك ، قال الحافظ : وهذا الثاني أشبه بالسياق ، فإن في بعض طرقه « لولا أن يجتمع الناس ، لقرأت لكم بذلك « اللحن » أي : النغم ، وقد ثبت الترجيع في غير هذا الموضع ، فأخرج الترمذي في « الشمائل » والنسائي وابن ماجه وأبو داود واللفظ له من حديث أم هانئ « كنت أسمع صوت النبي ﷺ وهو يقرأ . وأنا نائمة على فراشي - يرجع القرآن » ، وقال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة ، معنى الترجيع : تحسين التلاوة ، لاترجيع الغناء ، لأن القراءة بترجيع الغناء ، تنافي الخشوع الذي هو مقصود التلاوة .

(١) أبو داود (٢ / ٧٤) ، كتاب الصلاة ، باب استحباب الترتيل في القراءة .

٦٠٩ - البخاري (٨ / ١٨) ٦٤ - كتاب المغازي - ٤٩ - باب دخول النبي ﷺ من أعلى مكة .

ومسلم نحوه (٢ / ٩١٨) ١٥ - كتاب الحج - ٣٧ - باب استحباب دخول مكة من الثنية العليا والخروج منها من الثنية السفلى .

(٢) البخاري بنحوه (٣ / ٤٣٧) ٢٥ - كتاب الحج - ٤١ - باب من أين يخرج من مكة ؟ .

ومسلم بلفظه (٢ / ٩١٨) ١٥ - كتاب الحج - ٣٧ - باب استحباب دخول مكة من الثنية العليا والخروج منها من الثنية السفلى .

زَادَ في رِوَايَـة (١) : قَـالَ هِشَـام (أي ابـن عـروة بن الزبير) : فَكَـانَ أَبي يَـدْخُلُ مِنهما كلَيْهما ، وَكَان أَكثَرُ ما يَدخُلُ مِنْ كَدَاءِ .

وَفي رواية أبي داود (٢) : دَخَل رَسُولُ اللهِ ﷺ عـامَ الفتحِ منْ كَـدَاءِ من أَعْلَى مَكَّـة ، ودَخَلَ في العُمْرةِ مِن كُدَى ، قَال : وكَـانَ عروَة يَـدْخلُ مِنها جَميعاً ، وَكَـانَ أكْثرُ مـا كان يَدخلُ مِنْ كُدَى ، وَكَان أَقرَبهما إلى مَنْزله .

٦١٠ - * روى مسلم عن جـابرِ بن عَبـدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنهما : أَنَّ رسُـولَ اللهِ ﷺ دَخَـل يَومَ فَتح مَكَّة وعَلَيْه عِمامَةٌ سَوْدَاءُ بَغَيْرِ إحْرامٍ . وفي رواية قتيبة . قـال : حـدثنـا أبو الزبير عن جابر .

وزاد النسائي في أخرى (٣) : أرخى طرفها بين كتفيه .

قولـه : (وعليـه عمـامـة سوداء) فيـه جواز لبس الثيـاب السـود وفي الروايـة (الأخرى خطب الناس وعليـه عمـامـة سوداء) فيـه جواز لبـاس الأسود في الخطبـة وإن كان الأبيض أفضل منه ، كما ثبت في الحديث الصحيح « خير ثيابكم البيـاض » (٤) . وأمّـا لبـاس الخطبـاء السواد في حال الخطبة فجائز ولكن الأفضل البياض كما ذكرناه وإنّما لبس العمامة السوداء في هذا الحديث بيانا للجواز والله أعلم . اهـ (شرح صحيح مسلم) .

وفي رواية للبخاري ومسلم (٥) عن أنسِ بنِ مـالـك أنّ النبيَّ ﷺ دخلَ مكّـةَ عـامَ الفتحِ وعلى رأسِه المِغْفَر .

---

(١) مسلم في نفس الموضع السابق (٢ / ٩١٩) .

(٢) أبو داود (٢ / ١٧٤) ، كتاب المناسك ، باب دخول مكة .

٦١٠ - مسلم (٢ / ٩٩٠) ١٥ - كتاب الحج - ٨٤ - باب جواز دخول مكة بغير إحرام .

(٣) النسائي (٨ / ٢١١) ، كتاب الزينة ، باب إرخاء طرف العمامة بين الكتفين .

(٤) أخرجه ابن ماجه (١ / ٤٧٣) ٦ - كتاب الجنائز - ١٢ - باب ماجاء فيما يستحب من الكفن .

وأخرج الترمذي نحوه (٥ / ١١٧) ٤٤ - كتـاب الأدب - ٤٦ - بـاب مـاجـاء في لبس البيـاض . وقـال : هـذا حـديث حسن صحيح .

(٥) البخاري (١٠ / ٢٧٥) ٧٧ - كتاب اللباس - ١٧ - باب المِغْفَر .

ومسلم (٢ / ٩٩٠) ١٥ - كتاب الحج - ٨٤ - باب جواز دخول مكة بغير إحرام .

=

٦١١ ـ * روى الطبراني عنْ عَبدِ الله بن عمرو قَـال : لَمَّا فُتِحَت مَكَّـةُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ قَـالَ : « كُفُّوا السِّـلاَحَ إلا خُـزاعـةَ عنْ بَني بكر » فَـأَذِنَ لَهُم حَتَّى صَلَّى العَصْرَ ثمَّ قَـالَ : « كُفُّوا السِّلاح » فَلَقِي رَجُلٌ مِنْ خُـزاعَـةَ رَجُـلاً مِنْ بَني بَكْرٍ مِن غَـدٍ بـالْمُـزْدَلِفَـة ، فَقَتَله ، فَبَلَغَ ذلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقام خَطِيباً فَقَال ، وَرَأَيْتُه وَهوَ مُسْنِدٌ ظَهْرِه إلى الكَعْبَةِ : « إنَّ أَعْدى النَّـاس عَلَى اللهِ مَنْ قَتَلَ في الحَرَمِ ، أو قَتَل غيْرَ قَـاتلـه أو قَتَل بذُحُـول الجاهِلِيَّةِ » فقام رجُلٌ فقالَ : إنَّ فُلاناً ابْني ، فَقَـال رَسُولُ الله ﷺ : « لا دِعْوَةَ في الإسْلامِ ذَهَبَ أَمرُ الجاهِلِيَّةِ ، الوَلَـدُ للفِراش ، وَلِلْعَـاهِرِ الأثلَب » قـالوا : ومـا الأَثْلَبُ ؟ قَـالَ « الحَجَر » وَقَـالَ : « لا صَلاةَ بَعْـدَ الغَـدَاةِ حَتَّى تَطْلُـع الشَّمْسُ وَلا صَـلاةَ بَعْـدَ العَصْرِ حَتَّى تَغربَ الشَّمْسُ » قَالَ : « وَلاَ تُنكحُ المَرْأَةُ عَلَى عَمَّتِهَا وَلا عَلَى خَالَتها » .

٦١٢ ـ * روى أبو داود والنسائي عن عبد اللهِ بنِ عمرو بن العـاص رضي الله عنهما : أن رسولَ الله ﷺ خطبَ يومَ الفتح بمكـةَ فكبَّر ثـلاثـاً ، ثم قـال : « لا إلَـهَ إلا اللهُ وحـدَه صَدَقَ وَعْـدَهُ ، ونصر عبـدَه ، وهزمَ الأَحزابَ وحـدَهُ : ألا إنَّ كلَّ مَـأْثُرَةٍ كانت في الجاهليـة تُـذْكَرُ وتُـدْعى مِنْ دَمٍ ، أو مـالٍ تَحْتَ قَـدَميَّ ، إلا مـا كان من سِقَـايَـةِ الحاجِّ ، وسِدَانَةِ البيت » ثم قال : « ألا إنَّ دِيَةَ الخطأ شِبْهِ العمد ـ ما كان بـالسَّوْطِ والعصا ـ : مائة من الإبل ، منها أَربعون في بُطُونها أولادُها » .

= قوله (وعلى رأسه المِغْفَر) : بكسر الميم وسكون الغين المعجمة وفتح الفاء ، وهو المنسوج من الدرع على قدر رأسه . ولاتعارض بينه وبين حديث : (وعليه عمامة سوداء) إذ يحتمل أن تكون العمامة فوق المغفر أو العكس أو كان أوّل دخوله على رأسه المغفر ثمّ أزاله ولبس العمامة بعد ذلك أ . هـ وقاله السِّندي .

٦١١ ـ أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٧٧) ، وقال : رواه الطبراني ، ورجاله ثقات .

ذُحُول : جمع ذَحْل ، والذَّحْل الحقد والعداوة ، يقال : طلب بذحله : أي طلب بثأره .

دِعْوة : في النسب بالكسر وهو أن ينتسب الإنسان إلى غير أبيه وعشيرته وقد كانوا يفعلونه . فنهى عنه وجعل الولد للفراش . الأَثْلَب : الحجارة .

٦١٢ ـ أبو داود (٤ / ١٨٥) ، كتاب الديات ، باب في الخطأ شبه العمد .

والنسائي بعضه (٨ / ٤٠) ، كتاب القسامة ، باب كم دية شبه العمد ؟

مَأْثُرَة المأْثُرَةُ : واحدةُ المآثِرِ المَرويَّةِ عن العَربِ ، وهي مكارم أخلاقها ، التي يحدَّثُ بها عنها .

سِقَايَةُ الحاج : ماكانوا يسقُونه الحَجيجَ من الزَّبيب المَنْبوذِ في الماء .

سِدَانَةُ البيت : خِدْمَتُه ، والبيتُ : بيتُ الله الحرام .

- وفي أخرى لأبي داود [(١)] ، قال : « عَقْلُ شِبهِ العَمدِ مُغَلَّظَةٌ مِثلُ عَقْلِ العمْدِ ، ولا يُقْتَلُ صاحِبُهُ » .

زاد في رواية [(٢)] « وذلك أنْ يَنْزُوَ الشيطانُ بين النـاس ، فتكونَ دِمـاءٌ في عِمِيًّا في غير ضَغِينةٍ ، ولاَحَمْلِ سِلاحٍ» .

٦١٣ - * روى البخـاري ومسلم عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه قـال : لمـا فتـح اللهُ على رسولـهِ ﷺ مكـةَ ، قـامَ في النـاس فحمِـدَ اللهَ وأثنى عليـه ثمّ قـال : « إنَّ اللهَ حَبسَ عن مكةَ الفيلَ وسَلَّطَ عليها رسولَـهُ والمؤمنينَ ، فـإنها لاَتَحِلُّ لأحـد كان قَبْلي ، وإنها أُحلّتْ لي ساعةً من نهارٍ ، وإنها لن تحِلَّ لأحَدٍ من بعدي فلا يُنفَّرُ صَيـدُهـا ، ولا يُخْتَلَى شَوْكُها ، ولا تَحِلُّ سـاقِطَتُهـا إلا لـمُنشـدٍ . ومَن قُتِلَ لـهُ قتيلٌ فهـو بخير النَّظَرَينِ : إمَّا أن يُفدَى ، وإما أن يُقِيدَ » فقـال العبـاسُ : إلا الإذخِرَ ، فـإنَّا نجعلهُ لقُبورنـا وبُيوتِنـا . فقـال رسولُ اللهِ ﷺ : « إلا الإذخِرَ » فقـامَ أبو شـاهٍ - رجُلٌ مِن أهـلِ

---

(١) أبو داود (٤ / ١٩٠) ، كتاب الديات ، باب ديات الأعضاء .

العَقْل : الـدِّيـة ، وأصلهـا : أن القـاتل كان إذا قتل قتيلاً جمع الـدِّيـة من الإبل فَعَقَلهَـا بِفنـاءِ أوليـاء المقتـول لِيَقبلُوها منه ، فَسُميت ، الدِّية عقلاً ، وأصل الدِّية : الإبل ، ثم قُوِّمت بعد ذلك بالـذهب والوَرِقِ وغيرهمـا .
والعَاقِلةُ : هم العصبة والأرقاب من قِبل الأب ، الذين يعطون دية قتيل الخطأ .

(٢) أبو داود (٤ / ١٩٠) ، كتاب الديات ، باب ديات الأعضاء .

يَنزُو : النَّزْوُ : الوُثُوبُ .

عِمِيًّا : أي : جهالـة . والمراد بـه : الخطـأ . والمعنى : أن يَترامى القوم فيوجـد بينهم قَتِيلٌ لايُـدْرَى مَن قتلـه ، ويَعْمىَ أمرُه فلا يتبين ، ففيه الدِّية .   ضَغِينة : الضَّغِينةُ : الحِقْدُ .

٦١٣ - البخاري (٥ / ٨٧) ٤٥ - كتاب اللقطة - ٧ - باب كيف تُعرَّف لقطة أهل مكة ؟ .

ومسلم (٢ / ٩٨٨) ١٥ - كتاب الحج - ٨٢ - باب تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرهـا ولقطتهـا ، إلا لمنشـد ، على الدوام .

ولايُختَلى : الخلا : العُشْب ، واختلاؤه : قطعه .

ساقطتها إلا لمُنْشِد : الساقطة : هي اللقطة ، وهو الشيء الذي يُلقى على الأرض لاصاحب له يُعرَف ، وقولـه : « **لاتحل إلا لمنشد** » يعني : لمعرِّف ، وهو من نشدتَ الضَّالـة : إذا طلبتهـا ، فـأنت نـاشـد ، وأنشـدتَهـا : إذا عرَّفتها ، فأنت منشِـد ، واللقطـة في جميع البلاد لاتحل إلا لمن أنشـدهـا سَنَـةً ، ثم يتملَّكهـا بعـد السَّنَـة ، بشرط الضمان لصاحبه إذا وجده ، فأمّا مكة ، فإن في لقطتها وجهين ، أحدهما : أنها كسـائر البلاد ، والثاني : لاتحل ، لقوله ﷺ : « **لاتحلّ لقطتها إلا لمنشد** » والمراد به : منشدٌ على الـدوام ، وإلا فـأيُّ فـائـدة لتخصيص مكـة بالإنشاد ؟ .

اليَمنِ ـ فقال : اكتبوا لي يارسولَ اللهِ ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ : « آكْتُبُوا لأَبي شاهٍ » . قلتُ للأوزاعيِّ : ما قولُه اكتبوا لي يارسولَ اللهِ ؟ قال : هذه الخُطبةَ التي سمِعَها من رسول الله ﷺ » .

قال في الفتح : واستدل بحديثي ابن عباس وأبي هريرة المذكورين في هذا الباب على أن لقطة مكة لا تلتقط للتمليك بل للتعريف خاصة ، وهو قول الجمهور ، وإنما اختصت بذلك عندهم لإمكان إيصالها إلى ربها ، لأنها إن كانت للمكي فظاهر ، وإن كانت للآفاقي فلا يخلو أفق غالبا من وارد إليها ، فإذا عرفها واجدها في كل عام سهل التوصل إلى معرفة صاحبها ، قاله ابن بطال . وقال أكثر المالكية وبعض الشافعية : هي كغيرها من البلاد ، وإنما تختص مكة بالمبالغة في التعريف لأن الحاج يرجع إلى بلده وقد لايعود فاحتاج الملتقط بها إلى المبالغة في التعريف . واحتج ابن المنير لمذهبه بظاهر الاستثناء ، لأنه نفى الحل واستثنى المنشد فدل على أن الحل ثابت للمنشد لأن الاستثناء من النفي إثبات ، قال : ويلزم على هذا أن مكة وغيرها سواء ، والقياس يقتضي تخصيصها . والجواب أن التخصيص إذا وافق الغالب لم يكن له مفهوم ، والغالب أن لقطة مكة ييأس ملتقطها من صاحبها وصاحبها من وجدانها لتفرق الخلق إلى الآفاق البعيدة ، فربما داخل الملتقط الطمع في تملكها من أول وهلة فلا يعرفها فنهى الشارع عن ذلك وأمر أن لا يأخذها إلا من عرفها ، وفارقت في ذلك لقطة العسكر ببلاد الحرب بعد تفرقهم فإنها لاتعرف في غيرهم باتفاق ، بخلاف لقطة مكة فيشرع تعريفها لإمكان عود أهل أفق صاحب اللقطة إلى مكة فيحصل متوصل إلى معرفة صاحبها وقال إسحاق بن راهويه : قوله « إلا لمنشد » أي لمن سمع ناشداً يقول : من رأى لي كذا ؟ فحينئذ يجوز لواجد اللقطة أن يعرفها ليردها على صاحبها ، وهو أضيق من قول الجمهور لأنه قيده بحالة للمعرف دون حالة ، وقيل : المراد بالمنشد الطالب حكاه أبو عبيد ، وتعقبه بأنه لايجوز في اللغة تسمية الطالب منشدا . قلت : ويكفي في رد ذلك قوله في حديث ابن عباس : « لايلتقط لقطتها إلا معرف » والحديث يفسر بعضه بعضا ، وكأن هذا

= بخير النظرين : خيرالنَّظرين : أَوْفَقُ الأمرين له ، فإما أن يدوا ، أي : يُعطوا الدية ، وهي العقل ، وإما أن يُقادَ ، أي : يُقْتَل قِصاصاً ، فأي الأمرين اختار وَليُّ الدم كان له ، وهو مذهب الشافعي ، وقال أبو حنيفة : من وجب له القصاص لم يجز له تَرْكَهُ وأخذ الدية .

هو النكتة في تصدير البخاري الباب بحديث ابن عباس ، وأما اللغة فقد أثبت الحربي جواز تسمية الطالب منشدا وحكاه عياض أيضا واستدل به على أن لقطة عرفة والمدينة النبوية كسائر البلاد لاختصاص مكة بذلك ، وحكى الماوردي في « الحاوي » وجها في عرفة أنها تلتحق بحكم مكة لأنها تجمع الحاج كمكة ولم يرجح شيئا ، وليس الوجه المذكور في « الروضة » ولاأصلها ، واستدل به على جواز تعريف الضالة في المسجد الحرام بخلاف غيره من المساجد ، وهو أصح الوجهين عند الشافعية . والله أعلم . ا.هـ

قال النووي : قوله ﷺ (اكتبوا لأبي شاه) هذا تصريح بجواز كتابة العلم غير القرآن ومثله حديث علي رضي الله عنه ماعنده إلا مافي هذه الصحيفة ومثله حديث أبي هريرة : كان عبد الله بن عمرو يكتب ولاأكتب وجاءت أحاديث بالنهي عن كتابة غير القرآن فمن السلف من منع كتابة العلم وقال جمهور السلف بجوازه ثم أجمعت الأمة بعدهم على استحبابه ، وأجابوا عن أحاديث النهي بجوابين : أحدهما : أنّها منسوخة وكان النهي في أوّل الأمر قبل اشتهار القرآن لكل أحد ، فنهى عن كتابة غيره خوفا من اختلاطه واشتباهه ، فلمّا اشتهر وأمنت تلك المفسدة أذن فيه . والثاني : أنّ النهي تنزيه لمن وثق بحفظه وخيف اتّكاله على الكتابة والإذن لمن لم يوثق بحفظه ، والله أعلم . أ.هـ

٦١٤ ـ * روى الترمذي عن عبدِ الله بن عمَرَ رَضِيَ اللهُ عنهما : أنَّ رسول اللهِ ﷺ خطب النـاسَ يومَ فَتحِ مَكـةَ ، فقَـال : « يـاأيُّهَـا النَّـاسُ ، إنَّ اللهَ قَـدْ أذْهبَ عَنكُم عُبِّيَّـةَ الجاهليةِ ، وتعَاظُمَها بآبائها ، فالنـاسُ رجُلانِ : بَرٌّ تقيٌّ كريم على الله عزَّ وجل ، وفـاجرٌ شَقِيٌّ هَيِّنٌ عَلى اللهِ عزَّ وجل والنـاسُ كُلُّهم بنـو آدمَ ، وَخَلَـقَ اللهُ آدم مِنْ تُرابٍ قال الله تعـالى : ﴿ يـاأيُّهـا النَّـاس إنّا خلقنـاكم من ذكرٍ وأُنثى ﴾ إلى ﴿ إنّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِير ﴾ [1] » .

٦١٥ ـ * وعَنْ عَبدِ اللهِ بن زَرِيرٍ قَـالَ : قـال عَليٌّ للعَبَّـاسِ : قُلْ لِلنبي يُعْطِيـكَ الخِزانَـةَ

٦١٤ ـ الترمذي (٥ / ٣٨٩) ٤٨ ـ كتاب تفسير القرآن ـ ٥٠ ـ باب « من سورة الحجرات » . وإسناده حسن .

عُبِّيَّة : العُبية : بضم العين وكسرها ، وتشديد الباء والياء ، مأخوذ من العبء : الثِّقل .

(١) الحجرات ١٣ .

٦١٥ ـ أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ، وقال : رواه أبو يعلى وهو مرسل ، عبد الله بن زرير لم يدرك القصة . =

فسألهُ العبّاسُ فَقَالَ لَهُ النبيُّ ﷺ : « أُعْطِيكُم مَـا هُوَ خَيرٌ لَكُمْ مِنْ ذلِـك مَـا يَرْزَؤكُم وَلا تَرْزَؤنَها فَأَعْطَاهُم السِّقَاية » .

وفي رواية (١) عن عَبدِ اللهِ بن أَبي زُرْير عَنْ عَليّ عَنْ أَبيهِ قَال : قلت للعبّاسِ : سَلْ لَنَا رَسُول اللهِ ﷺ الحِجَابَة ، فَسَألهُ فَقَالَ :« أُعْطِيكُم السِّقَايَةَ تَرْزَؤكُم وَلاَ تَرْزَؤنَهَـا » وَقُلتُ للعَبَّاسِ : سَلْ رَسُولَ الله ﷺ يستَعمِلْكَ عَلَى الصَّدَقَـاتِ فَقَـال : « مَـا كُنْتُ لأَسْتَعْمِلَـك عَلَى غُسَالَةِ ذُنُوبِ النَّاس » .

٦١٦ ـ * روى النسائي وابن ماجه عن جابرِ بنِ عبدِ اللهِ أنَّ النبيَّ ﷺ دخلَ مكّـةَ يوم الفتْحِ ولواؤه أبيضُ .

٦١٧ ـ * روى البخاري عن عَبـدِ الله بنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما : أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ أَقْبَلَ يَومَ الفَتْحِ مِنْ أَعْلَىَ مَكَّةَ على رَاحِلَته ، مُرْدِفاً أُسَامَةَ بنَ زيدٍ ، وَمَعـه بلالٌ ، ومعـهُ عثمانُ بنُ طَلْحَةَ من الحجبَةِ ، حتَّى أَناخ في المسْجِدِ ، فأَمَرَه أن يأْتِيَ بمفتـاحِ البَيْتِ فَـدَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، ومَعَهُ أُسَامـةُ بن زَيْـدٍ وبِلالٌ وعُثْمانُ بن طلحـة ، فَمكَثَ فيـهِ نَهـاراً طَويلاً ثُمَّ خَرَجَ فَـاسْتَبَقَ النَّـاسُ ، فَكَـانَ عبْـدُ اللهِ بنُ عمرَ أَوَّلَ مَنْ دَخَل ، فَوجـد بلالاً وراءَ البـابِ قَـائِماً ، فَسَألـهُ : أيْنَ صَلَّى النبيُّ ﷺ ؟ فـأشـار لـه إلى المكَـانِ الـذِي صلَّى فيـه ، قـالَ عَبْدُ اللهِ : فنَسِيتُ أن أسألهُ : كَم صلَّى سَجْدَةً ؟» .

قال في الفتح : وعند ابن إسحاق بإسناد حسن عن صفية بنت شيبـة قـالت : « لما نزل رسول الله ﷺ واطمأن الناس خرج حتى جاء البيت فطاف به ، فلما قضى طوافه دعـا عثمان ابن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة ففتح له فدخلهـا ، ثم وقف على بـاب الكعبـة فخطب »

= الخزانة : السدانة والحجابة .

الرزء : المصيبة .

(١) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد وقال : رواه البزار ، ورجاله ثقات .

٦١٦ ـ النسائي (٥ / ٢٠٠) ، كتاب المناسك ، باب دخول مكة باللواء . ولكن دون قوله : « يوم الفتح » .

وابن ماجه (٢ / ٩٤١) ٢٤ ـ كتاب الجهاد ، ٢٠ ـ باب الرايات والألوية .

٦١٧ ـ البخاري (٨ / ١٨) ٦٤ ـ كتاب المغازي ـ ٤٩ ـ باب دخول النبي ﷺ من أعلى مكة .

الحَجَبَة : جمع حاجب ، وهو سادن البيت .

=

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض أهل العلم أنه ﷺ قام على باب الكعبة ، فذكر الحديث ، وفيه : ثم قال « يامعشر قريش ، ماترون أني فاعل فيكم ؟ » قالوا : خيرا ، أخ كريم وابن أخ كريم . قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء » ثم جلس فقام عليٌّ فقال : اجمع لنا الحجابة والسقاية ، فذكره . وروى ابن عائذ من مرسل عبد الرحمن بن سابط أن النبي ﷺ دفع مفتاح الكعبة إلى عثمان فقال : « خذهاخالدة مخلدة ، إني لم أدفعها إليكم ولكن الله دفعها إليكم، ولا ينزعها منكم إلا ظالم » ومن طريق ابن جريج أن عليا قال للنبي ﷺ : اجمع لنا الحجابة والسقاية ، فنزلت : ﴿ **إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها** ﴾ [1] فدعا عثمان فقال : « خذوها يابني شيبة خالدة تالدة ، لاينزعها منكم إلا ظالم » ومن طريق علي بن أبي طلحة أن النبي ﷺ قال : « يابني شيبة ، كلوا مما يصل إليكم من هذا البيت بالمعروف » وروى الفاكهي من طريق محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه أن النبي ﷺ لما ناول عثمان المفتاح قال له : « غيبه » قال الزهري : فلذلك يغيب المفتاح . ومن حديث ابن عمر أن بني أبي طلحة كانوا يقولون : لايفتح الكعبة إلا هم ، فتناول النبي ﷺ المفتاح ففتحها بيده . ا.هـ

٦١٨ ـ * روي البخاري عن عَبدِ الله بن عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُما : أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ دَخَلَ مَكَّةَ مِنْ كَدَاءٍ ، مِن الثَّنِيَّةِ العُلْيَا التي عِنْد البَطْحَاءِ ، وَخَرَجَ مِنَ الثنية السُّفْلَى .

وَفي رِوَايَةٍ لَهُ ولمسلم [2] : أن رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَخْرُجُ مِنْ طريق الشَّجرة ، ويَدْخُل مِنْ طَرِيقِ الُمعرَّسِ .

زاد البخاري [3] : وأن رَسُولَ اللهِ ﷺ كان إذا خرج إلى مكة يُصلي في مَسْجدِ الشجَرةِ ، فإذا رَجَع صَلَّى بذِي الحُلَيْفَةِ ببطْنِ الوَادِي ، وباتَ حتَّى يُصْبحَ .

= (١) النساء : ٥٨ .

٦١٨ ـ البخاري (٣ / ٤٣٦) ٢٥ ـ كتاب الحج ـ ٤٠ ـ باب من أين يدخل مكة ؟ .

الثَّنِيَّةُ : موضعٌ مُرْتَفِعٌ من الأرض .

كَدَاء : بفتح الكاف ممدوداً : من أعلى مكة ، وبضمها مقصوراً : من أسفلها .

(٢) البخاري (٣ / ٣٩١) ٢٥ ـ كتاب الحج ـ ١٥ ـ باب خروج النبي ﷺ على طريق الشجرة .

ومسلم (٢ / ٩١٨) ١٥ ـ كتاب الحج ـ ٣٧ ـ باب استحباب دخول مكة من الثنية العليا والخروج منها من الثنية السفلى .

(٣) البخاري في نفس الموضع السابق .

وَعِنْد مُسْلِم [١] : وَإذا دَخَلَ مَكّةَ دَخلَ من الثَّنيَّةِ العُلْيَا التي بالبطْحَاء ويَخْرُجَ من الثَّنيَّة السُّفْلَى .

قال النووي : قيل إنما فعل النبي ﷺ هذه المخالفة في طريقه داخلا وخارجاً تفاؤلا بتغير الحال إلى أكمل منه كما فعل في العيد ، وليشهد له الطريقان وليتبرك به أهلها ومذهبنا أنه يستحب دخول مكة من الثنية العليا والخروج منها من السفلى لهذا الحديث ولا فرق بين أن تكون هذه الثنية على طريقه كالمدني والشامي أو لاتكون كاليمني فيستحب لليمني وغيره أن يستدير ويدخل مكة من الثنية العليا وقال بعض أصحابنا : إنما فعلها النبي ﷺ لأنها كانت على طريقه ولايستحب لمن ليست على طريقه كاليمني وهذا ضعيف والصواب الأول وهكذا يستحبّ له أن يخرج من بلده من طريق ويرجع من أخرى لهذا الحديث .

٦١٩ - * روى الطبراني عن الزُّهْرِيِّ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قَالَ لِعثمانَ يَومَ الفتح : « ائْتِنِي بِمِفْتَاحِ الكَعْبةِ » فَأبطأَ عليهِ ، وَرَسول اللهِ ﷺ قائِم يَنْتَظِره حَتَّى إنَّه لَيَتحدَّر مِنهُ مِثلُ الجمانِ مِنَ العَرَقِ ، ويَقُول : « ما يَحْبِسه ؟ » فَسَعَى إليهِ رَجُل ، وَجَعلتِ المرأة التي عِندَها المِفْتَاحُ - حَسِبتُ أنَّه قَال أمُّ عثمانَ - تقول : إن أخَذَهُ مِنْكُم لَمْ يُعْطِيكُمُوه أبَدا فلم يَزَل بِهَا عُثْمانُ ، حَتَّى أعْطَتْهُ المِفْتَاحَ فَانطَلَقَ بِه إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَفَتَح البَابَ ، ثُمَّ دَخَل البيْتَ ، ثُمَّ خَرَجَ والنَّاسُ مَعَه فَجَلسَ عِنْدَ السِّقايَة فَقَال عَليُّ بنُ أبِي طَالِب : يَارَسُول اللهِ لئِن كُنَّا أُوتِينَا النُّبوَّةَ ، وأُعْطِينا السِّقَايَةَ ، وَأُعْطِينا الحِجابَة مَا قَومٌ بِأعظم نصيباً منَّا فَكأنَّ النبيَّ ﷺ كَرِهَ مقالتَه ، ثُمَّ دَعا عثمانَ بنَ طَلحَةَ فَدَفَعَ إليه المفتاحَ وَقَال : « غَيِّبُوه » قَالَ عَبدُ الرَّزَّاقِ : فَحَدَّثْتُ به ابنَ عُيَيْنَةَ فَقَال : أَخْبَرني ابنُ جُرَيج أحْسَبُهُ قَال عَنْ ابْن أبي مُلَيْكَةَ أن النبيَّ ﷺ قَالَ لَعليٍّ يَومَئِذٍ حين كَلَّمَهُ في المِفتَاح : « إنمَا أعطيكم مَا تُرْزَؤُونَ ولم أعْطِكم مَاتَرْزَؤُونَ » يَقُولُ أُعْطِيكُم السِّقَايَةَ لأنَّكُم تُغرَمُونَ فِيها وَلَمْ أُعطِكُم البَيْتَ أَيْ إنهم يَأخُذونَ مِنْ هَدِيَّته ، هذا قَولُ عبْدِ الرزاق .

---

(١) مسلم في الموضع السابق .

٦١٩ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٧٦) ، وقال : رواه الطبراني مرسلاً ، ورجاله رجال الصحيح .

تُرْزَؤُون : تصابون . أعطيكم ماتُرْزَؤُون لاما تَرْزَؤُون : أعطيكم ماهو نقص لكم ولا ينقصني .

٦٢٠ - * وروى الطبراني عن ابن عبّاس قَالَ : دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَومَ الفَتْحِ وَعَلى الكَعْبَةِ ثلثمائة وستون صَنَماً وقد شَدَّ لَهُمْ إبليسُ أَقْدَامَهُم بالرَّصَاص ، فَجَاءَ وَمَعَة قَضِيبُه فَجَعَل يَهْوِي بِه إلى كُلِّ صَنَم مِنْها فَيَخِرّ لِوجْهِهِ وَيقُول : « جاء الحَقُّ وَزَهَقَ البَاطِلُ إنَّ البَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً » حَتَّى مَرَّ عَلَيْها كلها .

وفي رواية البخاري ومسلم [1] عن عبدِ الله بن مَسْعُودٍ رَضِيَ الله عَنهُ قَالَ : دَخَلَ رَسُولُ اللهِ مكةَ يَومَ الفَتحِ ، وَحَوْلَ الكعبَةِ سِتُّون وثلاثمائةِ نُصُبٍ ، فَجعَلَ يَطعَنُها بعُودٍ في يَدِهِ ، ويَقُول : « جَاءَ الحَقُّ وَزَهقَ الباطِلُ ، جاءَ الحق وما يُبدِئ الباطلُ ومَا يُعيدُ » .

قال ابن حجر : قوله (بعود في يده ويقول : جاء الحق) في حديث أبي هُريرة عند مسلم (يطعن في عينيه بسِيَةِ القوس) وفي حديث ابن عمر عند الفاكهي وصححه ابن حبان (فيسقط الصنم ولا يمسه) ، وللفاكهي والطبراني من حديث ابن عباس (فلم يبق وثن استقبله إلا سقط على قفاه ، مع أنها كانت ثابتة بالأرض ، وقد شد لهم إبليس أقدامها بالرصاص) وفعل النبي ﷺ ذلك لإذلال الأصنام وعابديها ، ولإظهار أنها لاتنفع ولا تضر ، ولاتدفع عن نفسها شيئاً . ا.هـ

٦٢١ - * روى أحمد وأبو داود عن جابرِ بنِ عَبدِ اللهِ رَضِيَ الله عَنْهما : أن النبيَّ ﷺ أَمَرَ عمرَ بنَ الخطابِ زَمَنَ الفتحِ وَهو بالبَطْحاءِ ، أن يَأْتِيَ الكَعْبَةَ فَيَمْحُوَ كلَّ صُورةٍ فيها ، فَلَمْ يَدْخُلْهَا النَّبِيُّ حَتَّى مُحِيَتْ كلُّ صورة فِيها .

قال في بذل المجهود : والظاهر أن ماأمره ﷺ عمر بن الخطاب كان مختصاً بما نقش من

---

٦٢٠ - المعجم الكبير (١٠ / ٣٣٩) .

والبزار مختصراً : كشف الأستار (٢ / ٣٤٥) .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٧٦) : رواه الطبراني ، ورجاله ثقات ، ورواه البزار باختصار .

(١) البخاري (٨ / ١٥) ٦٤ - كتاب المغازي - ٤٨ - باب أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح ؟ .

ومسلم (٣ / ١٤٠٨) ٣٢ - كتاب الجهاد والسير - ٣٢ - باب إزالة الأصنام من حول الكعبة .

نُصُب : النُّصُب : بضم الصاد وسكونها : الصنم ، وجمعها أنصاب .

٦٢١ - أحمد في مسنده (٣ / ٣٣٥) .

وأبو داود (٤ / ٧٤) ، كتاب اللباس ، باب في الصور . وإسناده حسن .

الصور على الجدران ، فأمره بمحوها ، وأما الأصنام وذي الأجرام منها فبقيت فيها حتى دخل رسول الله ﷺ الكعبة فأزالها بنفسه كما ثبت أن رسول الله ﷺ دخلها وفيها ثلاثمائة وستون نصباً ، فيطعن فيها ويقول : « جاء الحق وزهق الباطل » .

٦٢٢ - * روى أبو داود عن وَهْبِ بن مُنَبِّه قال : سَأَلْتُ جَابِرًا : هَلْ غنمُوا يوم الفتح شَيْئاً ؟ قَالَ : لاَ .

٦٢٣ - * روى الطبراني عن سَعِيدِ بن يربوع وكان يُسمّى الصّرم أن رسُولَ الله ﷺ قال يومَ فتح مكةَ : « أربعةٌ لاَ أؤمنُهم في حِلٍّ ولا حَرَمٍ : الحوْيرِثُ بنُ نُفَيْل ، ومِقْيَسُ ابنُ صُبَابة ، وهلالُ بنُ خَطْل ، وعبْدُ الله بنُ أبي سرح » فأما حويرث فقتله عليٌّ رضي الله عنه ، وأما مِقْيَسُ بن صُبَابَةَ فقتلهُ ابنُ عم له بلِحَاءٍ ، وأما هلالُ بن خطل فقتله الزُّبَيْر ، وَأمّا عبْدُ اللهِ بنُ سَعدِ بن أبي سَرحٍ فاستأمن له عثمانُ بن عفان رضي الله عنه وكان أخاه مِنَ الرَّضَاعَة . وَقَيْنَتَيْنِ كَانتا لِمقْيَسٍ تغنيان بهجَاءِ رَسُولِ الله ﷺ قُتِلَتْ إحْدَاهُما وأفْلَتتِ الأُخْرَى فَأسْلَمَتْ .

وفي رواية للحاكم [(١)] عن سعدِ بنِ أبي وقاصٍ قال : لما كان يومُ فَتحِ مَكةَ آمَنَ رَسُول الله صلى الله عليه وآله وسلم النَاسَ إلا أربعةَ نفرٍ ، وَامْرَأتَيْنِ ، وَقَالَ : « اقْتُلُوهم وَإنْ وَجَدْتموهُم مُتَعَلّقين بأَسْتَارِ الكعبةِ : عِكْرِمَةُ بن أبي جَهْلٍ ، وَعَبْدُ اللهِ بنُ خَطَلٍ ، ومَقْيَسُ بنَ صُبَابَةَ ، وعبدُ الله بنُ سعدِ بنِ أبي سَرْحٍ » .

* وفي رواية لأبي داود [(٢)] عن سعدِ بنِ أبي وَقّاص رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ : لَمّا كَانَ يَومُ فَتْحِ مَكةَ أمَّنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ النَّاسَ إلا أَرْبعةَ نفرٍ ، وامرأتين ، وسَمَّاهُم ، وابنَ أبي سَرْحٍ . فَذَكَر الحديث ، قَالَ : وَأمّا ابنُ أبي سَرْحٍ ، فَإنّه اختبأ عِنْدَ عُثمانَ بن عفان ، فَلَمّا دَعا رَسُولُ اللهِ ﷺ النَّاسَ إلى البَيْعَةِ ، جاءَ بِهِ حتّى أَوْقَفَهُ عَلَى النبيِّ ﷺ ، فَقَالَ : يَانبيَّ اللهِ ، بَايعْ

٦٢٢ - أبو داود (٣ / ١٦٣) ، كتاب الخراج والإمارة والفيء ، باب ماجاء في خبر مكة . وإسناده حسن .

٦٢٣ - المعجم الكبير (٦ / ٦٦) .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٧٣) : رواه الطبراني ، ورجاله ثقات .

(١) المستدرك (٢ / ٥٤) ، وسكت عنه . وأقره الذهبي .

(٢) أبو داود (٣ / ٥٩) ، كتاب الجهاد ، باب قتل الأسير ولا يعرض عليه الإسلام .

=

عبدَ اللهِ ، فَرَفَعَ رَأْسَه ، فَنَظَر إلَيْه ثَلاثاً ، كلُّ ذلك يَأْبى، فبَايَعه بَعْدَ ثَلاثٍ ، ثُمّ أقبلَ عَلى أصْحَابه ، فَقَالَ : « أمَا كَانَ فِيكُم رَجُلٌ رَشِيدٌ يَقومُ إلى هٰذَا حيثُ رَآني كَفَفْتُ يَدِي عَنْ بَيْعَتِه فيقتُلَه ؟ » قَالُوا : مَا نَدْري يَا رَسُولَ اللهِ مَا في نَفْسِكَ ، ألاَ أوْمَأْتَ إلَيْنَا بِعَيْنِك ؟ قَالَ : « إنَّه لاَ يَنْبَغِي لِنَبيٍّ أنْ تَكُونَ له خائِنَةُ الأعْيُنِ » .

قال أبو داود : وَكَانَ عبدُ اللهِ أخَا عُثمَانَ مِنَ الرَّضَاعَةِ .

وفي روايةٍ للنَّسائي [1] قَالَ : لـمَّا كَانَ يَومُ فتحِ مَكَّةَ أمَّنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ النَاسَ إلا أربعةً ، وامرأتين ، وقَالَ : « اقْتُلُوهُم وَإنْ وَجدْتُمُوهُم مُتعَلِّقينَ بأَسْتَارِ الكَعْبَةِ : عِكْرِمةُ بنُ أبي جَهْلٍ ، وعبدُ اللهِ بنُ خَطَلٍ ، ومِقْيَسُ بنُ صُبَابَةَ ، وعبدُ الله بنُ أبي السَّرْحِ » فَأمَّا عبدُ اللهِ بنُ خَطَلٍ ، فأُدرِكَ وَهُوَ مُتَعَلِّق بأسْتَارِ الكَعْبةِ ، فاستَبقَ إلَيْهِ سَعيدُ بنُ حريثٍ وَعَمَّارُ بنُ ياسرٍ ، فَسَبقَ سعيدٌ عمَّاراً - وَكَانَ أشبَّ الرجُلَيْنِ - فَقَتلَهُ . وأمَّا مِقْيَسُ بنُ صُبَابَةَ ، فَأدْرَكه النَّاسُ في السُّوقِ فَقَتَلُوهُ ، وأما عِكْرِمَةُ فَرَكِبَ البَحْرَ ، فأصابتهم عاصِفٌ ، فقال أصحابُ السَّفِينةِ : أخْلِصُوا ، فإنَّ آلهتَكم لا تُغني عَنْكُمْ شَيْئًا هَاهُنا ، فقالَ عِكْرِمَةُ : وَاللهِ ، لَئِن لَمْ يُنْجِني مِنَ البَحْرِ إلاَّ الإخلاصُ ، لا يُنجيني في البرِّ غَيْرُه ، اللهم إنَّ لَكَ عَهْداً إنْ أنتَ عَافَيْتَني مِمَّا أنَا فِيهِ أنْ آتِيَ مُحمداً ﷺ حتَّى أضَعَ يَدِي في يَدِهِ ، فَلأَجِدَنَّه عَفُوّاً كريماً . فَجَاءَ فأسْلَمَ. وَأمَّا عَبْدُ اللهِ بنُ أبي السَّرْحِ ، فَإنَّه اخْتبَأ عِنْدَ عُثمانَ بن عفان ، فَلَمَّا دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ النَّاسَ إلى البَيْعَةِ جَاءَ بِهِ حَتَّى أوْقَفَه عَلَى النبيِّ ﷺ ، قَالَ يَارَسُولَ اللهِ .... وَذَكَرَ الحديث إلى آخِرِهِ مثلَ أبي داود .

٦٢٤ - * روى البخاري ومسلم عن أنسِ بنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنه : أنَّ النبيَّ ﷺ دَخَلَ مَكَّةَ يَومَ الفتْحِ وَعلَى رَأْسِهِ المِغْفَرُ ، فَلَمَّا نَزَعَه جَاءَ رَجُلٌ ، فَقَالَ : ابنُ خَطَلٍ مُتعلِّقٌ بأَسْتَارِ

= رشيد : رجل رشيد ، أي : لبيب عاقل ، له فطنة .

خائنة الأعين : كناية عن الرمز والإشارة ، كأنها مما تخونه العين ، أي : تسرقه ، لأنها كالسرقة من الحاضرين .

(١) النسائي (٧ / ١٠٥) ، كتاب تحريم الدم ، باب الحكم في المرتد . وهو حديث حسن .

عاصف : ريح عاصف ، أي : شديد الهبوب .

٦٢٤ - البخاري (٨ / ١٥) ٦٤ - كتاب المغازي - ٤٨ - باب أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح ؟ .

ومسلم (٢ / ٩٨٩) ١٥ - كتاب الحج - ٨٤ - باب جواز دخول مكة بغير إحرام .

=

الكَعْبةِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « اقتلُوهُ » .

وفي الـمُوطَّأ (١) : وَلَمْ يَكُن النَّبيُّ ﷺ فِيما نَرى يَوْمَئِذٍ - وَاللهُ أَعْلَمُ - مُحْرِمًا .

وقال أبو داود (٢) : اسمُ ابنِ خَطَلٍ : عَبْدُ اللهِ ، وَكَانَ أَبو بَرزَةَ الأَسْلَمِيُّ قَتَلَهُ .

٦٢٥ - * روى البخاري ومسلم عن أمِّ هَانئ رَضِيَ اللهُ عنها أُختِ عَليّ بنِ أَبي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ قالت : ذَهَبْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ عَامَ الفَتْحِ ، فَوَجَدْتُه يَغْتَسِلُ ، وَفَاطِمَةُ ابنتُهُ تَستُرُهُ بثَوْبٍ ، فَسلَّمْتُ عَليهِ ، فَقَالَ : « مَنْ هٰذِهِ ؟ » فَقُلْتُ : أنا أم هَانِئ بنتُ أَبي طَالِبٍ ، فَقَالَ : « مَرْحَباً بِأُمِّ هَانِئ » فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ غُسْلِهِ ، قَامَ فَصَلَّى ثَمانِيَ رَكَعَاتٍ مُلْتَحفاً في ثَوْبٍ وَاحِدٍ ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قُلْتُ : يَارَسُولَ اللهِ ، زَعَمَ ابْنُ أُمِّي عَليٌّ : أنَّه قَاتِلٌ رجلاً قد أَجَرْتُهُ - فلانَ ابنَ هُبَيْرَةَ - فقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « قَدْ أَجَرْنَا مَنْ أَجَرْتِ يَاأُمَّ هَانِئ » ، قَالَتْ أُمُّ هَانِئ : وَذٰلِكَ ضُحَى .

وفي رِوَايةِ التِّرْمِذي (٣) : أَنَّ أُمَّ هَانِئ قَالَتْ : أَجَرْتُ رَجُلَيْنِ مِن أَحمائي ، فَقَال رَسُولُ اللهِ ﷺ : « قَدْ آمَنَّا مَنْ آمَنْتِ » .

وَفي رِوَايَةِ أَبي دَاوُدَ (٤) : أَنَّها أَجَارَتْ رَجُلاً مِن المُشْرِكينَ يَومَ الفَتْحِ ، فَأَتتِ النبيَّ ﷺ ، فَذَكَرت لَهُ ذٰلِكَ ، فَقَالَ : « قد أَجَرْنا مَنْ أَجرتِ ، وَآمَنَّا مَن آمَنْتِ » .

قال الحافظ في الفتح : قال ابن المنذر : أجمع أهل العلم على جواز أمان المرأة إلا شيئاً ذكره عبد الملك بن الماجشون صاحب مالك لا أحفظ ذلك عن غيره قال : إن أمر الأمان إلى الإمام ، وتأول ماورد مما يخالف ذلك على قضايا خاصة .

= (١) مالك في الموطأ (١ / ٤٢٣) ٢٠ - كتاب الحج - ٨١ - باب جامع الحج .

(٢) أبو داود (٣ / ٥٩) ، كتاب الجهاد ، باب قتل الأسير ولا يعرض عليه الإسلام .

٦٢٥ - البخاري (١ / ٤٦٩) ٨ - كتاب الصلاة - ٤ - باب الصلاة في الثوب الواحد ملتحفاً به .

ومسلم (١ / ٤٩٦) ٦ - كتاب صلاة المسافرين وقصرها - ١٣ - باب استحباب صلاة الضحى .

أجرنا : أجرتَ الرجل : منعتَ من يريده بسوء ، وآمَنْتَه شرَّه وأذاه .

(٣) الترمذي (٤ / ١٤٢) ٢٢ - كتاب السير - ٢٦ - باب ماجاء في أمان العبد والمرأة .

(٤) أبو داود (٣ / ٨٤) ، كتاب الجهاد ، باب في أمان المرأة .

٦٢٦ ـ * روى أحمد عَنْ مُطِيعِ بنِ الأَسْوَدِ ، وكَـانَ اسمُـه العَـاصِي فَسمَّـاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُطِيعاً قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ حِينَ أَمَرَ بِقَتْل هٰؤلاءِ الرَّهطِ بِمَكَّـةَ يقُولُ : « لاتُغْزَى مكَّةُ بَعْدَ هٰذا العَامِ أَبداً » .

وفي رواية [1] : (يوم فتح مكة) ، « ولا يقتل رجل من قريش بعد العام صبرا أبـدا » هذا الحديث محمول على ألّا تغزى مكّة على الكفر ، وهو من معجزاته عليـه الصلاة والسلام ، فقد ارتدّت العرب بعد وفاته إلّا قليلا ، وكان ممّن لم يرتدّ مكّة .

٦٢٧ ـ * روى النسائي عن يعْلَى بن أُميّـةَ رضي الله عنـه قـال : جئتُ رسولَ الله ﷺ بأبي أميةَ يومَ الفتح ، فقلتُ : يـارسول الله ، بـايعْ أبي على الهجرة ، فقـال رسولُ الله ﷺ : « أُبايعُهُ على الجهاد ، وقد انقطَعَتِ الهجرةُ » .

٦٢٨ ـ * روى الحاكم عن أنسٍ ، قال : جَاء أبو بَكر رَضِيَ الله عَنْه يَومَ فَتحِ مَكَّة بِـأبيـه أَبِي قُحَـافَـةَ إلى رَسُول اللهِ صلى الله عليـه وآلـه وسلم ، فقـال رَسُولُ اللهِ صلى الله عَليـهِ وآلـه وَسَلم : « لو أقرَرْتَ الشَّيْخَ فِي بَيْتِهِ لأَتَيْنَاهُ » .

٦٢٩ ـ * روى البخاري ومسلم عن ابنِ عباسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا : أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قـال يَومَ الفَتْحِ : « لا هِجْرَةَ بعْدَ الفَتْحِ ، وَلٰكِنْ جهادٌ ونيَّةٌ وَإذَا استُنْفِرْتُم فانفِرُوا » .

---

٦٢٦ ـ أحمد في مسنده (٣ / ٤١٢) .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه أحمد ، ورجاله ثقات .

(١) أحمد في مسنده (٣ / ٤١٢) .

٦٢٧ ـ النسائي (٧ / ١٤١) ، كتاب البيعة ، باب البيعة على الجهاد .

وأبو داود بمعناه (٣ / ٣) كتاب الجهاد ، باب في الهجرة ، هل انقطعت ؟ وللحديث شواهد تُحسّنُه .

٦٢٨ المستدرك (٣ / ٢٤٤) ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

وقال الذهبي : على شرط البخاري .

٦٢٩ ـ البخاري (٦ / ٣) ٥٦ ـ كتاب الجهاد ـ ٣١ ـ باب فضل الجهاد والسير .

ومسلم (٢ / ٩٨٦) ١٥ ـ كتاب الحج ـ ٨٢ ـ باب تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها ولقطتها ، إلا لمنشد على الدوام.=

٦٣٠ - * روى الطبراني عن ابنِ عبّاسٍ قَالَ : شَهِدَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يومَ فَتْحِ مَكـة أو حُنينٍ ألفٌ مِنْ بَني سُلَيْمٍ .

٦٣١ - * وروى الطبراني عَنِ العَداءِ بنِ خَالِدِ بنِ هَوذةَ قال : قَاتلْنَـا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَلَمْ يَنْصُرنَا اللهُ وَلم يَظْهِرْنا .

* * *

= الهجرة : مُفارقة الوطن إلى جهة أُخرى بنية المقام فيها ، وكان المهاجر في الشريعة : من فـارق أهلـه ووطنـه متوجهاً إلى النبي ﷺ رغْبَةً في الإسلام .

جهادٌ : الجهادُ : محاربة الكفار .

نِيَّةٌ : النيةُ : إخلاصُ الجهاد لله تعالى ، يعني أنه لم يبق بعد الفتح هجرة ، إنما الإخلاص في الجهـاد وقتـال الكفـار

اسْتُنْفِرْتُم فـانفروا : الاستنفـارُ : الاستنجـادُ والاستنصـارُ ، أي : إذا طلبَ منكم النُّصْرة فـأجيبوه . أو انْفِرُوا خارجين إلى نُصْرتِه .

٦٣٠ - المعجم الكبير (١١ / ٣٧١) .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٧٧) : رواه الطبراني ، ورجاله رجال الصحيح غير زايـد النحوي وعبـد الله بن أحمد بن حنبل ، وكلاهما ثقة .

٦٣١ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٨٦) ، وقال : رواه الطبراني ، ورجاله ثقات .

دروس من فتح مكة

قال الدكتور السباعي :

* أما فتح مكة ، ففيها من الدروس والعظات ماتضيق عن شرحه هذه الصفحات القلائل ، ففيها نجد طبيعة الرسول ﷺ الداعية الذي لايجد الحقد على مقاوميه إلى نفسه سبيلاً ، فقد منّ عليهم بعد كفاح استمر بينه وبينهم إحدى وعشرين سنة لم يتركوا فيها طريقاً للقضاء عليه وعلى أتباعه وعلى دعوته إلا سلكوها ، فلما تم له النصر عليهم ، وفتح عاصمة وثنيتهم ، لم يزد على أن استغفر لهم ، وأطلق لهم حريتهم ، وما يُفعل مثل هذا في التاريخ ولكنّ ما يفعله رسول كريم لم يرد بدعوته ملكاً ولا سيطرة ، وإنما أراد له الله أن يكون هادياً وفاتحاً للقلوب والعقول ، ولهذا دخل مكة خاشعاً شاكراً لله ، لابزهو كما يفعل عظماء الفاتحين .

* وفيما فعله الرسول ﷺ مع أهل مكة حكمة أخرى ، فقد علم الله أن العرب سيكونون حملة رسالته إلى العالم ، فأبقى على حياة أهل مكة وهم زعماء العرب ليدخلوا في دين الله ، ولينطلقوا بعد ذلك إلى حمل رسالة الهدى والنور إلى الشعوب ، يبذلون من أرواحهم وراحتهم ونفوسهم ماأنقذ تلك الشعوب من عمايتها ، وأخرجها من الظلمات إلى النور .

ـ ومما نذكره من دروسها ودروس معاركه الحربية ﷺ ، هي العبرة البالغة بما انتهت إليه دعوة الله من نصر في أمد لايتصوره العقل ، وهذا من أكبر الأدلة على أن محمداً رسول الله ﷺ ، وعلى أن الإسلام دعوة الله التي تكفل بنصرها ونصر دعاتها والمؤمنين بها والحاملين للوائها والله لا يتخلى عن دعوته وهي حق ورحمة ونور ، والله هو الحق وهو الرحمن الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء ، والله نور السماوات والأرض ، فمن يستطيع أن يطفئ نور الله ! . وكيف يرضى للباطل أن ينتصر النصر الأخير على الحق ، وللهمجية والقسوة والفساد أن تكون لها الغلبة النهائية على الرحمة والصلاح .

ولقد أصاب رسولَ الله ﷺ والمسلمين جراح في معركتي أحد وحنين ، ولابد في الدعوة من ابتلاءٍ وجراح وضحايا ﴿ **ولينصرنّ الله من ينصره إن الله لقوي عزيز** ﴾ اهـ بتصرف .

فصل : في سريّة خالد بن الوليد إلى بني جَذِيمة

٦٣٢ - * روى البخاري عن عبدِ الله بنِ عمرَ قـال : بعثَ النبيُّ ﷺ خـالـدَ بن الوليـد إلى بني جَذِيمةَ فدَعاهم إلى الإسلام فلم يُحسِنوا أن يقولوا : أسلَمْنا ، فجعلوا يقولون : صَبَأْنـا . فجعل خـالـدٌ يَقتُلُ منهم ويـأسِرُ . ودَفعَ إلى كلِّ رجلٍ منـا أسِيرَه . حتّى إذا كان يـومٌ أمرَ خـالـدٌ أن يَقتُـلَ كلُّ رجـلٍ منـا أسيرَه ، فقلت : واللهِ لاأَقتُـلُ أسيري ، ولا يقتُـلُ رجـل من أصحابي أسيرَه . حتّى قَدِمنا على النبيِّ ﷺ فذكرناه ، فرفعَ النبيُّ ﷺ يدَيه فقال : « اللّهمَّ إني أبرَأُ إليك مما صَنعَ خالد » مرَّتين .

قال ابن حجر :

قوله : (باب بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جَذِيمة) بفتح الجيم وكسر المعجمة ثم تحتانية ساكنة ، أي ابن عامر بن عبد مناة بن كنانـة . ووهم الكرمـاني فظن أنـه من بني جذيمة بن عوف بن بكر بن عوف قبيلة من عبـد قيس ، وهـذا البعث كان عقب فتح مكـة في شوال قبل الخروج إلى حنين عنـد جميع أهل المغـازي ، وكانـوا بـأسفـل مكـة من نـاحيـة يلملم ، قـال ابن سعـد : بعث النبي ﷺ إليهم خـالـد بن الـوليـد في ثـلاثمـائـة وخمسين من المهاجرين والأنصار داعيا إلى الإسلام لا مقاتلا .

قوله (فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا ، فجعلوا يقولون : صبأنـا صبـأنـا) هـذا من ابن عمر راوي الحديث يدل على أنه فهم أنهم أرادوا الإسلام حقيقة . ويؤيـده فهمـه أن قريشـا كانوا يقولون لكل من أسلم صبأ حتى اشتهرت هذه اللفظة وصاروا يطلقونها في مقـام الـذم ، ومن ثم لما أسلم ثمامة بن أثال وقـدم مكـة معتمرا قـالوا لـه : صبـأت ؟ قـال : لابل أسلمت . فلما اشتهرت هذه اللفظة بينهم في موضع أسلمت استعملها هؤلاء ، وأما خالد فحمل هذه اللفظة على ظاهرها لأن قولهم صبأنا أي خرجنا من دين إلى دين ، ولم يكتف خـالـد بـذلـك حتى يصرحوا بـالإسلام . وقـال الخطـابي : يحتمـل أن يكـون خـالـد نقم عليهم العـدول عن لفـظ

---

٦٣٢ - البخاري (٨ / ٥٧) ٦٤ - كتاب المغازي - ٥٨ - باب بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جَذِيمة .

صبأنا : صبأ : إذا خرج من دينٍ إلى دينٍ غيره .

الإسلام لأنـه فهم عنهم أن ذلـك وقع منهم على سبيـل الأنفـة ولم ينقـادوا إلى الـدين فقتلهم متأولا قولهم .

قولـه (فجعل خـالـد يقتل منهم ويـأسر) في كـلام ابن سعـد أنـه أمرهم أن يستـأسروا فـاستـأسروا فكتف بعضهم بعضـا ، وفرقهم في أصحـابـه ، فيجمع بـأنهم أعطوا بـأيـديهم بعـد المحاربة .

قولـه (فقلت والله لاأقتل أسيري ولايقتل رجل من أصحـابي أسيره) ، وعنـد ابن سعـد « فأما بنو سليم فقتلوا من كان في أيديهم ، وأما المهاجرون والأنصـار فـأرسلوا أسراهم » وفيـه جواز الحلف على نفي فعل الغير إذا وثق بطـواعيتـه. قـولـه (اللهم إني أبرأ إليـك ممـا صنـع خـالـد) قـال الخطـابي : أنكر عليـه العجلـة وترك التثبت في أمرهم قبـل أن يعلم المراد من قـولهم صبـأنـا . قـولـه (مرتين) زاد ابن عسـاكر عن عبـد الرزاق « أو ثـلاثـة » أخرجـه الإسماعيلي ، وفي رواية البـاقين « ثلاث مرات » وزاد البـاقر في روايتـه « ثم دعـا رسول الله ﷺ عليا فقال : « اخرج إلى هؤلاء القوم واجعل أمر الجاهليـة تحت قـدميـك » فخرج حتى جاءهم ومعه مال فلم يبق لهم أحـد إلا وَدَاه » وذكر ابن هشـام في زيـاداتـه أنـه انفلت منهم رجل فأتى النبي ﷺ بالخبر ، فقـال : « هل أنكر عليـه أحـد ؟ » فوصف لـه صفـة ابن عمر وسالم مولى أبي حذيفة . وذكر ابن إسحاق من حديث ابن أبي حَدْرَدٍ الأسلمي قال : « كنت في خيل خالد فقال لي فتى من بني جَذِيمة قد جمعت يـداه في عنقـه برُمَّـة : يـافتى هل أنت آخذ بهذه الرمة فقائدي إلى هؤلاء النسوة ؟ فقلت : نعم ، فقدته بها فقال : اسلمي حبيش ، قبل نفاد العيش .

أريتـــك إن طـــالبتكم فـــوجـــدتكم بحليـــــة أو أدركتكم بـــالخـــوانـــق

الأبيـات ، قـال فقـالت لـه امرأة منهن : وأنت نجيت عشرا ، وتسعـا ووترا ، وثمـانيـا تترى . قال : ثم ضربت عنق الفتى ، فأكبت عليه فـمازالـت تقبلـه حتى مـاتت » وقـد روى النسائي والبيهقي في « الـدلائل » بـإسنـاد صحيح من حـديث ابن عبـاس نحو هـذه القصـة وقال فيها « فقـال إني لست منهم ، إني عشقت امرأة منهم فـدعوني أنظر إليهـا نظرة ـ قـال فيه ـ فضربوا عنقه ، فجاءت المرأة فوقعت عليه فشهقت شهقة أو شهقتين ثم ماتت ، فذكروا

ذلـك للنبي ﷺ فقـال : « أمـا كان فيكم رجل رحيم » ؟ وأخرجـه البيهقي من طريـق ابن عاصم عن أبيه نحو هذه القصة وقال في آخرها « فانحدرت إليه من هودجها فحنت عليه حتى ماتت » .

تعليق :

رغم أن خالداً رضي الله عنه قد أخطأ في قتل نـاس لم يحسنوا أن يقولوا : أسلمنـا ، فـإن النبي ﷺ لم يشتد عليه وأصلح خطأه بـالتعويض عن القتلى والأموال . وفي هـذا درس لنـا أن الذي يعمل معرض للخطأ فعلينا أن نترفق به وعلى الأقل ألا نحملـه إثم مـا جرى بسبب خطئه مادام محلا للاجتهاد وقد أنيط به أن يجتهد .

* * *

فصل : في غزوة حنين

قال ابن حجر في الفتح :

قال أهل المغازي : خرج النبي ﷺ إلى حنين لستٍّ خلت من شوال : وقيل لليلتين بقيتا من رمضان . وجمع بعضهم بأنه بدأ بالخروج في أواخر رمضان وسار سادس شوال ؛ وكان وصوله إليها في عاشره ، وكان السبب في ذلك أن مالك بن عوف النصري جمع القبائل من هوازن ووافقه على ذلك الثقفيون ، وقصدوا محاربة المسلمين ، فبلغ ذلك النبي ﷺ فخرج إليهم . قال عمر بن شبة في « كتاب مكة » : حدثنا الحزامي يعني إبراهيم بن المنذر حدثنا ابن وهب عن ابن أبي الزناد عن أبيه عن عروة أنه كتب إلى الوليد : أما بعد : فإنك تكتب إليَّ تسألني عن قصة الفتح ، فذكر له وقتها ، فأقام عامئذ بمكة نصف شهر ، ولم يزد على ذلك حتى أتاه أن هوازن وثقيفا قد نزلوا حنينا يريدون قتال رسول الله ﷺ وكانوا قد جمعوا إليه ورئيسهم مالك بن عوف .

٦٣٣ - * روى الحاكم عن ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ الله عنهما : أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى الله عَلَيهِ وآلِهِ وَسَلَّم ، اسْتَعَارَ مِنْ صَفْوَانَ بن أُمَيَّةَ أَدْرُعًا وسلاحاً في غَزْوَةِ حُنَيْنٍ فقَال : يارَسُولَ اللهِ أعارِيةٌ مُؤَدَّاةٌ ؟ قَال : « عَارِيَّةٌ مُؤَدَّاةٌ » .

٦٣٤ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هُرَيرة رَضِيَ اللهُ عَنهُ قال : قال رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ - أَرَادَ حُنَيناً - : « مَنزِلُنا غَداً إِنْ شَاءَ اللهُ بِخَيْفِ بني كِنَانَةَ ، حَيثُ تَقَاسَمُوا على الكُفْرِ » .

وفي رواية(١)« منزلُنا إنْ شاء اللهُ إذا فَتَحَ اللهُ الخَيْفَ، حَيثُ تَقَاسَمُوا عَلَى الكُفرِ».

---

٦٣٣ - المستدرك (٢ / ٤٧) ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه . وأقره الذهبي .

٦٣٤ - البخاري (٨ / ١٤) ٦٤ - كتاب المغازي - ٤٨ - باب أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح .

ومسلم (٢ / ٩٥٢) ١٥ - كتاب الحج - ٥٩ - باب استحباب النزول بالمحصب يوم النفر .

(١) البخاري (٨ / ١٤) ٦٤ - كتاب المغازي - ٤٨ - باب أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح .

قال رسول الله ﷺ حين أراد حنينا : أي في غزوة الفتح ؛ لأن غزوة حنين عقب غزوة الفتح .

بخيْف : الخَيْف : ماانحدر عن غلظ الجبل ، وارتفع عن مسيل الماء . .

حيث تقاسموا : يعني قريشا .

على الكفر : أي لمّا تحالفت قريش ألاّ يبايعوا بني هاشم ولايناكحوهم ولايؤوهم وحصروهم في الشِّعْب .

٦٣٥ ـ * روى أبو داود عن سَهْلِ بنِ الحنظليَّةِ رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ : إنَّهُمْ سَارُوا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يومَ حُنَيْن ، فأطْنَبُوا السَّيْرَ ، حَتَّى كَانَت عَشِيَّةٌ ، فَحَضرتُ الصَّلاةَ عنـدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَجَاء رَجُلٌ فَارِسٌ فقَال : يَارَسُولَ اللهِ ، إنِّي انْطَلَقْتُ بيْنَ أيْديكُم حَتَّى طَلَعْتُ عَلَى جَبَـلِ كَـذَا وَكَـذَا ، فَـإذَا أنَـا بِهَـوَازِن عَنْ بَكْرَةِ أبِيهِم بظُعُنِهِم ونَعَمِهِم وَشَـائِهم اجْتَمَعُوا إلى حُنَيْنٍ ، فَتبسم رَسُولُ اللهِ ﷺ وقَالَ : « تِلْكَ غَنِيمَةُ المُسْلِمينَ غداً إنْ شَاءَ الله تعالى » ثُمَّ قَالَ : « مَن يَحْرُسُنا الليلةَ ؟ » قَالَ أنَسُ بنُ أبِي مَرْثَدٍ الغَنَوي : أنَـا يَـارَسُولَ اللهِ ، قَـالَ : « فَـارْكَبْ » ، فَرَكِبَ فَرَساً لَـهُ ، فَجَـاءَ إلى رسـولِ اللهِ ﷺ ، فَقَـالَ لَـهُ رَسُـولُ اللهِ ﷺ « اسْتَقْبِلْ هذا الشِّعْبَ حَتَّى تَكونَ في أعلاهُ ، وَلاَ نغرَّنَّ مِنْ قَبلِـك الليلـةَ » ، فَلَمَّا أصْبَحْنَـا خَرَجَ رسول الله ﷺ إلى مُصَلاَّهُ ، فَركَـع ركْعَتَين ، ثُمَّ قَـالَ : « هَـل أحْسَسْتُم فَارِسَكم ؟ » قال : قالوا : يـارَسُولَ اللهِ ، مَـاأحسَسْنـاه ، فثُوِّب بـالصَّلاَةِ ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يصلي وهـو يَلْتَفِتُ إلى الشِّعْبِ ، حَتَّى إذا قَضَى صَلاتـه وَسَلَّم قَـالَ : « أَبشِرُوا فقَـد جَـاءَكُم فَـارِسُكم » فَجَعَلنـا ننظُرُ إلى خِلالِ الشَّجَرِ في الشِّعْبِ ، فَإذَا هُوَ قَـدْ جَـاءَ ، حَتَّى عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فسلَّم فَقَـالَ : إنِّي انطلقتُ ، حتى كنتُ في أعلى هـذا الشِّعبِ ، مرني رسـولُ الله ﷺ ، فَلَمَّـــا أصْبَحْتُ طَلَعْتُ الشِّعْبَين كِلَيْهِما ، فَنَظَرْتُ ، فَلَمْ أرَ فَقَـالَ لَـهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « هَـلْ نَـزَلْتَ الليلَـةَ ؟ » قَـالَ : لاَ ، إلاَّ مُصَلِّيـاً ، أو حـاجةً ، فَقَـالَ لَـهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « قَـدْ أوْجَبْتَ ، فَلاَ عَلَيْـكَ أنْ لا تَعْمَـلَ » .

٦٣٦ ـ * روى مسلم عن أنس بن مالـك قـال : افتَتَحْنَـا مكَّـةَ ، ثُمَّ إنـا غَزَوْنـا حُنَيْنـاً ،

ـ أبو داود (٣ / ٩) ، كتاب الجهاد ، باب في فضل الحرس في سبيل الله تعالى .

. بإسناد حسّنه الحافظ في الفتح .

عن بَكْرةِ أبيهم : يقال : جاء القوم على بكرة أبيهم : إذا جاؤوا بأسرهم ولم يتخلّف منهم أحد .

ونَعَمهم : والنَّعَم في الأصل : الإبل ، وقد تقع على البقر والغنم .

هل نزلت الليلة ؟ : أي : من ظَهْر حصانك .

قد أوْجبْتَ : يقال : أوجب فلان : إذا فعل فعلاً وجبت له به الجنة أو النار ، والمراد به هاهنا الجنة .

٦٣٦ ـ مسلم (٢ / ٧٣٦) ١٢ ـ كتاب الزكاة ـ ٤٦ ـ باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوي إسلامه .

قد بلغنا ستة آلاف : قال القاضي : هذا وهم من الراوي عن أنس . والصحيح ماجاء في رواية أخرى أنهم عشرة آلاف =

قَالَ : فَجَاء المُشْرِكُونَ بِأَحْسنِ صُفُوفٍ رَأَيتُ ، قَالَ فصُفَّتِ الخَيْل ، ثُمَّ صُفَّتِ المُقَاتِلَةُ ، ثُمَّ صُفَّتِ النِّسَاءُ من وراء ذلك ، ثم صُفَّتِ الغَنَمُ ، ثُمَّ صُفَّتِ النَّعَمُ ، قَالَ : وَنَحْن بَشرٌ كَثِيرٌ قَدْ بَلَغْنَا سِتَّةَ آلافٍ ، وعلى مُجَنِّبَةِ خيْلِنَا خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ ، قَالَ : فَجَعَلَتْ خيلُنا تَلْوِي خَلْفَ ظُهُورِنَا ، فَلَم نَلْبَثْ أن انكَشَفَت خَيْلُنَا ، وفَرَّتِ الأعرابُ ، ومَن نَعْلَمُ مِنَ النَّاسِ ، قَالَ : فَنَادَى رَسُولُ اللهِ ﷺ : « يالَلْمُهاجِرِينَ ، يالَلمهاجِرِين » ثُمَّ قَالَ : « يالَلأنْصَارِ ، يالَلأنصَارِ » ـ قال : قَالَ أنسٌ : هٰذا حَدِيثُ عِمِّيَّةٍ ـ قَالَ : قُلْنَا : لَبَّيْكَ يَارَسُولَ الله ، قَالَ : فَتَقَدَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، قال : وَايمُ اللهِ ، ماأتيناهُم حَتَّى هَزَمَهُم الله . قَالَ : فَقَبَضْنَا ذٰلِكَ المَالَ ، ثُمَّ انْطَلَقْنَا إلى الطَّائِف ، فَحَاصرنَاهُم أرْبَعِينَ لَيلَةً ، ثُمَّ رَجَعْنَا إلى مَكَّةَ ، فَنَزَلْنا ، قَالَ : فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُعْطِي الرجل المائة من الإبل .

٦٣٧ ـ * روى أحمد وأبو يعلى عن جابر بن عَبْدِ اللهِ قَالَ: لـمَّا اسْتَقْبَلْنَا وَادِي حُنَيْنٍ قَالَ:

= ومعه الطلقاء ؛ لأنّ المشهور في كتب المغازي أنّ المسلمين كانوا يومئذ اثني عشر ألفاً : عشرة آلاف شهدوا الفتح وألفان من أهل مكّة ، ومن انضاف إليهم .

تلوي : تعطف وترجع .

عَمِّيَةْ : قال النووي في شرح مسلم : هذه اللفظة ضبطوها في صحيح مسلم على أوجه .

أحدها : عِمِيّة ، بكسر العين والميم وتشديد الميم والياء ، قال القاضي : كذا روينا هذا الحرف عن عامة شيوخنا ، قال : وفسره بالشدة .

والثاني : عُمية ، كذلك إلا أنه بضم العين .

والثالث : عَمِيّه ، بفتح العين وكسر الميم المشددة وتخفيف الياء ، وبعدها هاء السكت ، أي : حدثني به عمي ، قال القاضي على هذا الوجه معناه عندي : جماعتي ، أي : هذا حديثهم ، قال صاحب العين : العم هنا : الجماعة ، وأنشد عليه ابن دريد في (الجمهرة) :

أفنيت عماً وجبرت عماً .

قال القاضي : وهذا أشبه بالحديث ، والوجه الرابع : كذلك إلا أنه بتشديد الياء ، وهو الذي ذكره الحميدي صاحب الجمع بين الصحيحين ، وفسره بعمومتي ، أي : هذا حديث فضل أعمامي ، أو هذا الحديث الذي حدثني به أعمامي ، كأنه حدث بأول الحديث عن مشاهدة ، ثم لعله لم يضبط هذا الموضع لتفرق الناس ، فحدثه به من شهده من أعمامه أو جماعته الذين شاهدوه .

وايم الله : هذا من جملة ألفاظ القسم ومعناه فيما يقوله النحويون : أنّه جمع يمين ، وأصله : أيمن ، ثمّ حذفت النون في القسم تخفيفاً لكثرة الاستعمال ، وفيه لغات كثيرة تذكر في كتب النحو .

٦٣٧ ـ أحمد في مسنده (٣ / ٣٧٦) .

والبزار مختصراً في كشف الأستار (٢ / ٣٥١) ، كتاب الهجرة والمغازي ، باب غزوة الفتح .

وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٧٩) ، وقال : رواه أحمد وأبو يعلى ، ورواه البزار مختصراً ، وفيه ابن إسحق =

انْحدَرْنَا في وَادٍ مِنْ أوْدِيةِ تِهَامَةَ أجْوفَ حَطُوطٍ ، إنما نَنْحَدِرُ فيه انْحِدَاراً قَالَ : وَفي عَمَايَةِ الصُّبْحِ وَقَدْ كَانَ القَومُ كَمَنُوا لَنَا في شَعابِهِ وَفي أجْنَابه وَمَضَائِقِهِ قَد أجْمَعُوا وَتهيئُوا وَأعَدوا قَالَ : فَواللهِ مَارَاعَنَا وَنحنُ مُنحطُّونَ إلا الكَتَائبُ قَد شَدَّت عَلَيْنَا شَدَّةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ وانْهَزَمَ النَّاسُ راجعينَ فَانْشَمَرُوا لايلْوِي أحَدٌ عَلَى أحَدٍ ، وَانْحازَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ذاتَ اليَمِينِ ، ثمَّ قَالَ : « إليَّ أيها النَّاسُ هلُمَّ إليَّ ، أنا رسولُ الله ، أنا محمدُ بنُ عبدِ الله » قَالَ : فلاشيء احْتَمَلَتِ الإبل ، بعضها بعضا ، فانطلقَ النَّاسُ ، إلا أنَّ مع رَسُولِ اللهِ ﷺ رَهْطاً مِنَ المُهاجِرِينَ والأنْصَارِ وَأهْلِ بَيْتِه غَيرَ كثيرٍ ، وَفيمَنْ ثَبتَ مَعَهُ أبُو بَكرٍ وَعُمَرُ وَمِنْ أهلِ بَيْتِهِ عَلَيُّ بنُ أبي طَالِبٍ والعبَّاسُ بنُ عَبْدِ المطَّلبِ وابنُه الفضلُ بنُ عَبَّاسٍ ، وَأبُو سُفيان بنُ الحارث ، وربيعةُ بنُ الحارث وَأيْمَنُ بنُ عُبَيْدٍ وَهُو ابنُ أمِّ أيْمَنَ وأسَامةُ بنُ زَيدٍ . قَالَ ورَجُلٌ مِنْ هَوَازِنَ عَلَى جَمَلٍ لَهُ أحْمرُ في يَدِهِ رَايةٌ له سَوْدَاءُ ، في رَأسِ رُمْحٍ طَويلٍ له أمَامَ الناسِ وَهَوازنُ خَلفه ، فإذا أدْرَكَ طَعَنَ بِرُمْحِهِ ، فإذَا فَاتَه النَّاسُ رفعَه لِمَنْ وَراءَهُ ، فَاتَّبعُوهُ . قَالَ ابنُ إسْحَاق : وَحدَّثني عاصِمُ بنُ عُمَرَ بن قَتَادَةَ عَنْ عَبْدِ الرحْمَنِ بنِ جَابرٍ عَنْ أبيهِ جَابرِ بنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ : بَيْنَما ذَلِكَ الرَّجُلُ مِنْ هَوَازِنَ صاحبُ الرايةِ عَلَى جَمَلِهِ ذلِك يَصْنَعُ مَايَصْنَعُ ، إذ هَوَى لهُ عَلِيُّ بنُ أبي طَالبٍ وَرَجلٌ مِنَ الأنْصَارِ يُرِيدانِه ، قَالَ : فيأتِيهِ عَلِيٌّ مِنْ خَلْفِه فَيَضْرِبُ عُرقُوبَيِ الجَملِ فَيُوقِعَ عَلَى عَجُزِه ، وَوَثَبَ الأنْصَاري عَلَى الرَّجُلِ فَضَرَبَهُ ضَرْبَةً أطَنَّ قَدَمَهُ بِنصفِ سَاقِه فَانْجَعَفَ عَنْ رَحْلِهِ واجْتلدَ النَّاسُ فَوَاللهِ مَارَجَعَتْ رَاجِعَةُ النَّاسِ من هزيمَتِهم حتى وجدوا الأسَارَي مُكَتَّفِينَ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ . وزاد أبو يعلَى: وَصَرَخَ حِينَ كَانَتِ الهزيمةُ كَلَدَةُ وكَانَ أخا صفوانَ ابنِ أمَيَّةَ يومئذٍ مُشركاً في المدَّة

= وقد صرّح بالسماع في رواية أبي يعلى ، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح .

أجوف : متسع .

حَطُوط : مُنْحَدر .

عَمَايَةُ الصبح : ظلامه قبل أن يتبين .

كمنوا : استخفوا متربّصين .

انشمروا : انفضوا وانهزموا .

فلاشيء حملت الإبل ، بعضها على بعض : أي أن الإبلَ لم تُرْكَب وأنها كانت متراجحة .

أطنّ قدمه : قطعها .

انْجَعَفَ : سقط صريعاً .

=

التي ضَرَبَ لَـهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ : ألا بطَلَ السِّحْرُ اليومَ . فَقَـال لـهُ صَفْوان : اسكُت فَضَّ اللهُ فاكَ فَوالله لأن يَرُبَّني رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ أَحبُّ إليَّ مِنْ أنْ يَرُبَّني رَجُلٌ مِنْ هَوازِنَ .

٦٣٨ ـ * روى مسلم عن سلمةَ بنِ الأكْوَعِ رَضِيَ اللهُ عَنْه قَال : غَزَوْنـا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ هَوَازِنَ ، فبَينا نحن نَتَضحَّى مع رسولِ اللهِ ﷺ إذْ جَاءَ رَجُلٌ عَلَى جَمَلٍ أَحْمَرَ ، فَـأَنـاخَـه ، ثُمَّ انتزَعَ طَلَقاً مِنْ حَقَبِهِ ، فَقَيَّدَ بِهِ الجملَ ثُمَّ تَقَـدَّم يتَغَـدَّى مَعَ القَوْمِ ، وَجَعَلَ يَنْظُر ، وَفِينَـا ضَعْفَةٌ ، ورِقَّةٌ مِنَ الظَّهْرِ ، وَبَعْضُنَا مُشاةٌ ، إذْ خَرَجَ يَشْتَدُّ ، فَـأَتى جَمَلَه فَـأَطْلَقَ قَيْـدَهُ ، ثُمَّ أَناخَهُ ، وقَعَد عَلَيه ، فَأَثَـارهُ ، فَـاشْتَـدَّ بِـه الجَمَلُ ، فَـاتَّبَعَـهُ رَجُلٌ عَلَى نَـاقَـةٍ وَرْقَـاءَ ، قَـالَ سَلَمَـةُ : وَخَرَجْتُ أَشْتَـدُّ ، فَكُنْتُ عنـدَ وَرِكِ النَّـاقَـةِ ، ثُمَّ تَقَـدَّمتُ حَتَّى كُنْتُ عِنْـدَ وَرِكِ الجملِ ، ثُمَّ تقدَّمت حَتَّى أَخَـذْتُ بِخِطَـامِ الجَملِ ، فَـأَنَختُـه ، فَلَمَّا وَضَع رُكْبَتَـهُ في الأَرْضِ أَخْتَرطْتُ سَيْفي ، فَضَربْتُ رأسَ الرَّجُل فَنَـدَرَ ، ثُمَّ جِئْتُ بِـالجَمَـل أَقُـودُه عَلَيْـه رَحْلُـهُ وَسِلاَحُه ، فاسْتَقْبَلَني رَسُولُ الله ﷺ والنَّاسُ مَعَهُ ، فَقَالَ : « مَنْ قَتَل الرَّجُلَ ؟ » قَـالوا : ابنُ الأَكْوَع ، قَال : « لهُ سَلَبُه أجمعُ » .

وفي رِوَايَـةٍ [1] قَـالَ : أَتى النَّبيَّ ﷺ عَيْنٌ مِنَ الْمُشْرِكينَ وَهُـوَ فِي سَفَر ، فَجَلَسَ عِنْـدَ أَصْحَـابِه يَتَحـدَّثُ ، ثُمَّ انفتَـلَ ، فَقَـال النبيُّ ﷺ : « اطْلُبُـوهُ واقْتُلُـوه » فَقَتَلْتُـهُ ، فنفَّلَني سَلَبَهُ .

= فَضَّ اللهُ فاكَ : أسقط أسنانَك .
يَرُبُّني : يسودني .

٦٣٨ ـ مسلم (٣ / ١٣٧٤) ٣٢ ـ كتاب الجهاد والسير ـ ١٣ ـ باب استحقاق القاتل سلب القتيل .
نتضحَّى : أي : نتغدَّى وقت الضحَى .
طلقاً : الطَّلَقُ : قيد يتخذ من الجلودِ .
من حَقَبِه : الحَقَب : حبل يشد على بطن البعير مما يلي مؤخَّره .
ورِقَّة من الظهر : الظهر : المركوب ، والرِّقَّة في حال الضَّعف .
ورقاء : ناقة ورقاء : ذات لون أسمر ، والوُرْقَةُ : السُّمْرَةُ .
أَشْتَدُّ : أعدو بشدَّة .
فندَرَ : نَدَرَ رأسُه ، أي : طار عن بَدَنِهِ .

(١) البخاري (٦ / ١٦٨) ٥٦ ـ كتاب الجهاد ـ ٧٣ ـ باب الحربي إذا دخل دار الإسلام بغير أمان .

٦٣٩ - * روى مسلم عن سَلَمةَ بنِ الأكوعِ رضي الله عنه قال : غَزَوْنا مع رَسُولِ اللهِ ﷺ حُنَيْناً فَلَمَّا وَاجهْنا العَدُوَّ تقدَّمْتُ ، فَأَعْلُو ثَنِيَّةً ، فاسْتَقبلَني رَجُلٌ من العَدُوِّ ، فَأَرْمِيه بسَهم ، فَتَوَارَى عَنِّي ، فَمَا دَرَيْتُ مَا صَنَعَ وَنَظَرْتُ إلى القَوْمِ ، فَإذا هُم قَدْ طَلَعُوا مِنْ ثنيَّة أُخْرَى ، فَالْتَقوا هُم وصحابة النبيِّ ﷺ ، فَوَلَّى صحابة النبيِّ ﷺ ، وأَرْجِعُ مُنْهَزِماً وَعَليَّ بُردَتان ، مُتَّزِرٌ بإحْدَاهُما ، مُرْتَدٍ بالأُخرى ، فاسْتَطْلَقَ إزَاري ، فَجَمَعْتُهما جَميعاً ، ومَرَرْتُ عَلى رَسُولِ الله ﷺ مُنهزِماً ، وَهُوَ عَلَى بَغْلَتِه الشَّهباء فَقَال رسول الله ﷺ : « لَقَدْ رَأَى ابنُ الأَكْوَعِ فَزَعًا » فَلَمَّا غَشُوا رَسُولَ الله ﷺ نَزلَ عن البغلة ، ثم قَبضَ قَبْضَةً من تُرابٍ من الأَرْضِ ، ثمَّ استَقْبل به وَجُوهَهم ، فقَال : « شَاهَتِ الوجُوهُ » فَما خَلَقَ اللهُ مِنْهُم إنْساناً إلا مَلأَ عَيْنَيْه تُرَاباً بتِلْكَ القَبْضَةِ ، فولَّوْا مُدبرين ، فَهَزَمهُم الله عز وجل ، وقَسَمَ رَسُولُ الله ﷺ غَنائِمهم بَيْنَ المُسلمين .

٦٤٠ - * روي البزار عَنْ بُرَيْدَةَ قَال : تَفرقَ النَاسُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَومَ حُنين فلم يَبْقَ مَعَه إلا رجُلٌ يُقَالُ له زيْدٌ وَهُوَ آخِذٌ بعِنَانِ بَغْلة رَسُولِ اللهِ ﷺ الشَّهباء ، فَقَال لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « ويْحَكَ ادْعُ النَّاسَ » فَنَادَى زيدٌ يَاأَيُّهَا النَّاسُ هذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْعُوكُم ، فَلَمْ يَجِئْ أَحَدٌ فَقَال : « ادعُ الأَنْصَارَ » فَقَالَ : يَامَعْشَرَ الأَنْصَارِ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْعُوكُمْ ، فَلَم يجئْ أَحَدٌ فَقال : « ويْحَكَ خُصَّ الأَوسَ والخَزْرَجَ » . فَنَادى : يَامَعشَر

---

٦٣٩ - مسلم (٣ / ١٤٠٢) ٣٢ - كتاب الجهاد والسير - ٢٨ - باب في غزوة حنين .

مُنهزماً : قال العلماء : قوله منهزماً ، حال من ابن الأكوع ، كما صرّح أولا بانهزامه ، ولم يرد أنّ النبي ﷺ انهزم . وقد قالت الصحابة كلهم رضي الله عنهم : أنه ﷺ ماانهزم . ولم ينقل أحد قط أنه انهزم ﷺ في موطن من المواطن . وقد نقلوا إجماع المسلمين على أنه لايجوز أن يعتقد انهزامه ﷺ ولايجوز ذلك عليه .

فاستطلق إزاري : أي انحلّ لاستعجالي .

فلمّا غشوا رسول الله ﷺ : أي أتوه من كلِّ جانب .

شاهت الوجوه : أي قبحت .

٦٤٠ - البزار : كشف الأستار (٢ / ٣٤٧) ، كتاب الهجرة والمغازي ، باب غزوة الفتح .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٨١) : رواه البزار ، ورجاله ثقات . **أقول** : يروي ابن إسحاق عن العباس ابن عبد المطلب أنه هو الداعي للمنهزمين بأمر النبي ﷺ وأنه صرخ ياللأنصار ، يا أصحاب السَّمُرَة . وروى مسلم مثله عن العباس .

كما ذكر أنه رجع من الأنصار مائة هم الذين خاضوا المعركة مع الذين ثبتوا معه وانتصروا .

والظاهر أن في رواية البزار فجوة يملؤها ماذكره ابن إسحاق ومسلم عن العباس .

الأَوْسِ وَالخَزرَج هٰذا رَسُولُ الله ﷺ يَدعوكم ، فَلَمْ يَجئ أحدٌ فَقَالَ : « وَيْحَكَ خُصَّ المهاجِرينَ ، فَإِنَّ لِي فِي أَعْنَاقِهم بَيْعةً » قَال فَحَدَّثَنِي بُرَيْدَةُ أَنَّهُ أَقبَلَ مِنْهم أَلفٌ قَدْ طَرحُوا الجُفُونَ حَتَّى أَتَوا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَمَشَوا قُدُماً حَتَّى فَتَحَ اللهُ عَلَيهم .

٦٤١ - * روى الطبراني عن الحارثِ بنِ بدلٍ قال : شَهِدتُ رسولَ اللهِ ﷺ يومَ حُنَيْنٍ فانهزمَ أصحابُه أجمعونَ إلا العبّاسَ بنَ عبدِ المطّلبِ وأبا سفيانَ بنَ الحارثِ ، فرَمَى رسولُ اللهِ ﷺ وجوهنا بقَبْضَةٍ من الأرض ، فانهزمْنا فما يُخَيَّلُ إليَّ أنَّ شجرةً ولا حجراً إلا وهو في آثارنا .

٦٤٢ - * روى البخاري عن أبي إسحاقَ أنه سَمِعَ البراءَ - وسأله رجلٌ من قيس : أفررتم عن رسول الله ﷺ يومَ حنين ؟ - فقال : لكنَّ رسولَ اللهِ ﷺ لم يَفِرَّ ، كانت هَوازنُ رُماةً وإنّا لما حملنا عليهم انكشفوا فأكْبَبنا على الغَنائم ، فاستُقبِلْنا بالسهام . ولقد رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ على بغلته البَيضاء ، وإنَّ أبا سُفيانَ بن الحارث آخذٌ بزِمامِها وهو يقول : « أنا النبيُّ لا كذِب » قال إسرائيلُ وزُهير : نزل النبيُّ ﷺ عن بغلتهِ .

٦٤٣ - * روى الحاكم عن أنسِ بنِ مَالك رَضِي اللهُ عَنه قَالَ : الْتَقى يَوْمَ حُنَيْنٍ أَهْلُ مَكَّةَ وَأَهْل المدينةِ واشتَدَّ القِتالُ فَولَّوا مُدْبِرينَ فَنَدَبَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم الأنصَار ، فَقَال : « يَامَعْشَرَ المُسلِمينَ أَنَا رَسُولُ الله » فَقَالوا : إلَيْكَ وَاللهِ جِئنا فَنكَّسُوا رُؤُوسَهُم ثُمَّ قَاتَلُوا حَتَّى فَتَح اللهُ عَلَيْهِم .

٦٤٤ - * روى الترمذي عن عبدِ الله بنِ عُمَر رَضِيَ اللهُ عَنهُما قَالَ : لَقد رَأَيتُنا يَوْمَ

---

٦٤١ - المعجم الكبير (٣ / ٢٦٧) .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٨١) : رواه الطبراني ، ورجاله ثقات .

٦٤٢ - البخاري (٨ / ٢٨) ٦٤ - كتاب المغازي - ٥٤ - باب قول الله تعالى ﴿ ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً ﴾ - إلى قوله - ﴿ غفور رحيم ﴾ .

٦٤٣ - المستدرك (٣ / ٤٨) ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وأقره الذهبي .

٦٤٤ - الترمذي (٤ / ٢٠٠) ٢٤ - كتاب الجهاد - ١٥ - باب ماجاء في الثبات عند القتال .

وقال : هذا حديث حسن غريب من حديث عبيد الله ، لانعرفه إلا من هذا الوجه ، وحسن إسناده الحافظ في (الفتح) وقال : وهذا أكثر ما وقفت عليه من عدد من ثبت يوم أحد ، قال : وروى أحمد والحاكم من حديث =

حُنينٍ ، وإنَّ الفِئَتَيْنِ لَمُولِّيتان - يَعْني : المُهاجرين والأنْصارَ - وَمَا مَعَ رسُولِ اللهِ ﷺ مائَةُ رَجُلٍ .

٦٤٥ - * روى أبو داود عن البَراء بن عَازبٍ رَضِيَ اللهُ عنه قال : لَمَّا لَقِيَ النبيُّ ﷺ المُشْرِكِينَ يومَ حُنينٍ ، فانكشفوا ، نَزَلَ عَنْ بَغْلَتِهِ فترجَّلَ .

٦٤٦ - * روى مسلم عن العباسِ بنِ عَبْدِ المطَّلِبِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ ، فَلَزِمْتُ أَنَا وَأَبُو سُفْيَانَ بنُ الحَارِثِ بنِ عبدِ المطَّلِب رَسُولَ اللهِ ﷺ ، فَلَمْ نُفارِقْهُ ، وَرسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى بَغْلَةٍ لَهُ بيضاءَ أَهْداها لَهُ فَروةُ بنُ نُفاثةَ الجُذاميُّ . فَلَمَّا التَقَى المُسْلِمُون والكُفَّارُ ، وَلَّى المُسْلِمُون مُدْبِرِينَ ، فَطفِقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَرْكُضُ بَغْلَتَهُ قِبَلَ الكُفَّارِ ، قَالَ عَبَّاسٌ : وَأَنا آخِذٌ بلجامِ بغلةِ رسول الله ﷺ أَكُفُّها إرادةَ أن لا تُسْرِعَ وأبو سفيانَ آخِذٌ بِركَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « أَيْ عَبَّاسُ ، نَادِ أَصْحَابَ السَّمُرَةِ » فقَالَ عَبَّاسٌ - وَكَانَ رَجُلاً صَيِّتاً - فَقُلْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي : أَيْنَ أَصْحَابُ السَّمُرة ؟ قَالَ : فَوَاللهِ ، لَكَأَنَّ عَطْفَتَهُمْ حِينَ سَمِعُوا صَوْتِي عَطْفَةُ البَقَرِ عَلَى أَوْلادِها ، فَقَالُوا : يَالَبَّيكَ ، يَالَبَّيكَ ، قَالَ : فَاقْتَتَلُوا والكُفَّارَ ، والدَّعْوةُ في الأَنْصارِ ، يَقُولُونَ : يَامَعْشَرَ الأَنْصارِ ، يَامَعْشَرَ الأنصَارِ ، قَال : ثُمَّ قُصِرَت الدَّعْوةُ عَلَى بَنِي الحَارِثِ ابنِ الخَزْرَجِ فقالوا : يابَنِي الحَارِثِ بنِ الخَزْرَجِ ! يابني الحارث بن الخزرج ! فَنَظَرَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ عَلَى بَغْلَتِهِ كَالمُتَطاوِلِ عَلَيْها إلى قتالهم فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « هٰذَا حِينَ حَمِيَ الوَطِيسُ » قَالَ : ثُمَّ أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَصَيات ، فَرَمَى بِهِنَّ وُجوهَ الكُفَّارِ ثُمَّ قَالَ : « انهَزَمُوا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ »

= عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه ، قال : كنت مع النبي ﷺ يوم حنين ، فولى عنه الناس ، وثبت معه ثمانون رجلاً من المهاجرين والأنصار ، فكنا على أقدامنا ولم نولهم الدبر ، وهم الذين أنزل الله عليهم السكينة ، قال : وهذا لايخالف حديث ابن عمر ، فإنه نفى أن يكونوا مائة ، وابن مسعود أثبت أنهم كانوا ثمانين .

٦٤٥ - أبو داود (٣ / ٥٠) كتاب الجهاد ، باب في الرجل يترجَّل عند اللقاء . وإسناده حسن .

٦٤٦ - مسلم (٣ / ١٣٩٨) ٣٢ - كتاب الجهاد والسير - ٢٨ - باب في غزوة حنين .

أصحاب السّمرة : السمرة التي بايعوا تحتها بيعة الرضوان يوم الحديبية .

صَيِّتاً : رجل صَيِّتٌ رَفِيعُ الصَّوتِ عَالِيَهُ .

حَمِيَ الوَطِيسُ : اشْتَدَّ الحَرْبُ والأَمْرُ ، قالَ الخَطَّابيُّ : هذه الكَلِمَةُ لم تسمع قبل أن يقولها النبيُّ ﷺ من العرب ، وهي مماقتضبه وأنشأه ، والوطيس في اللغة : التَّنُّور .

حدَّهم كليلاً : حدّ كليل : لايقطع ، وطَرْفٌ كليل : لايحقّق النظر .

قَالَ : فَذَهَبْتُ أَنْظُرُ ، فإذا القِتَالُ عَلَى هيْئَتِه فِيا أرَىٰ ، قَالَ : فَواللهِ ، مَا هُوَ إلا أَنْ رَمَاهُم بِحَصياتِه ، فَمازِلْتُ أَرَىٰ حَدَّهُم كَلِيلاً ، وَأَمْرَهُم مُدْبراً .

فَواللهِ ، مَا هُوَ إلا أَنْ رَمَاهُم بِحَصياتِه ، فَمازِلْتُ أَرَىٰ حَدَّهُم كَلِيلاً ، وَأَمْرَهُم مُدْبراً .

وَفي رِوَايَةٍ نَحْوهُ (١) ، غيْرَ أَنَّهُ قَالَ : فَروةُ بنُ نَعَامَةَ الجُذَامِي. وَقَالَ : « انهَزِمُوا وَرَبِّ الكَعْبَةِ ، انهَزِموا وَرَبِّ الكَعْبَةِ » وَزَادَ في الحَدِيثِ : حتى هزمهم الله ، قال : وكأني أنظر إلي النبيِّ ﷺ يَرْكُضُ خَلْفَهم على بغلته .

قال النووي : حنين وادٍ بين مكة والطائف وراء عرفات بينه وبين مكة بضعة عشر ميلاً وهو مصروف كما جاء به القرآن العزيز .

وقال : قال العلماء : وركوبه ﷺ البغلة في موطن الحرب وعند اشتداد البأس هو النهاية في الشجاعة والثبات .

ولأنه أيضا يكون معتَمداً ، يرجع المسلمون إليه وتطمئن قلوبهم به وبمكانه . وإنما فعل هذا عمداً، وإلا فقد كانت له ﷺ أفراس معروفة ومما ذكره في هذا الحديث من شجاعته ﷺ تقدمه يركض بغلته إلى جمع المشركين وقد فر الناس عنه . وفي الرواية الأخرى أنه نزل إلى الأرض حين غَشُوه وهذه مبالغة في الثبات والشجاعة والصبر . وقيل فعل ذلك مواساة لمن كان نازلا على الأرض من المسلمين وقد أخبرت الصحابة رضي الله تعالى عنهم بشجاعته ﷺ في جميع المواطن . وفي صحيح مسلم قال : إن الشجاع منا الذي يحاذي به وإنهم كانوا يتقون به أ.هـ .

٦٤٧ ـ * روى البخاري ومسلم عن أنس بن مَالِك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: لما كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ أقبلَتْ هَوَازنُ وغَطَفانُ وغيرُهُم بنَعَمِهم وذراريهم ومعَ النبيِّ ﷺ عشرةُ آلافٍ ومنَ الطُّلَقاء ، فأدبرُوا عنه حتى بقي وحدَه ، فنادَى يومئذٍ نداءين لم يَخلِطْ بينهما : التفتَ عن يَمينه

---

(١) أخرجها مسلم (٣ / ١٣٩٨) ٣٢ ـ كتاب الجهاد والسير ـ ٢٨ ـ باب في غزوة حنين .

٦٤٧ ـ البخاري (٨ / ٥٣) ٦٤ ـ كتاب المغازي ـ ٥٦ ـ باب غزوة الطائف في شوال سنة ثمان .

ومسلم (٢ / ٧٣٣) ١٢ ـ كتاب الزكاة ـ ٤٦ ـ باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوي إيمانه .

الطلقاء : جمع طليق . وهوالذي خلي ، وأطلق سبيله ، وهم أهل مكّة الذين أسلموا بعد الفتح .

فقال : « يامَعشرَ الأنصارِ » قالوا : لبَّيك يارسولَ الله ، أبشِرْ نحنُ معكَ . ثم التفت عن يَسارِهِ فقال : « يامَعشرَ الأنصارِ » قالوا لبَّيكَ يارسولَ الله ، أبشِرْ نحن معك . وهو على بغلةٍ بيضاء ، فنزَلَ فقال : « أنا عبدُ اللهِ ورسولُه » فانهزمَ المشركون ، فأصابَ يومئذٍ غنائمَ كثيرةً ، فقسَمَ في المهاجرينَ والطُّلقاء ولم يُعطِ الأنصارَ شيئاً ، فقالتِ الأنصارُ : إذا كانت شديدةٌ فنحنُ نُدعَى ، ويُعطَى الغنيمةَ غيرُنا . فبَلَغَهُ ذلك ، فجمَعَهم في قبةٍ فقال : « يامعشرَ الأنصار ، ماحديثٌ بلغني عنكم ؟ » فَسكتوا . فقال : « يامعشرَ الأنصار ، ألا ترضَوْنَ أن يَذهبَ الناسُ بالدنيا ، وتذهبونَ برسولِ اللهِ ﷺ تحوزُونَهُ إلى بيُوتكم ؟ » قالوا : بلى . فقال النبيُّ ﷺ : « لو سَلكَ الناسُ وادياً : وسَلكَتِ الأنصار شِعباً ، لأخذتُ شِعبَ الأنصار » وقال هشام : قلت ياأبا حمزةَ ، وأنت شاهدٌ ذلك ؟ قال : وأين أغيبُ عنه ؟ .

٦٤٨ ـ * روى الحاكم عن عِياض بنِ الحَارِثِ الأنصَاري : أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم أتى هَوَازِنَ في اثني عَشَرَ ألفاً ، فقُتِل مِنْ أَهْلِ الطَّائفِ يَوْمَ حُنَيْنٍ مِثْلُ مَنْ قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم كَفًّا مِنْ حَصىً ، فَرَمَى بِهَا وُجُوهَنَا ، فانهزَمْنَا .

٦٤٩ ـ * وروى الحاكم عن أنسِ بن مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عنه أن هَوَازِنَ جَاءَت يوم حُنين بالنِّساء والصِّبْيَان وَالإبلِ وَالغَنَمِ فصفُّوهم صُفوفًا لِيَكْثُرواعَلَى رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم فالتقى المُسْلِمونَ والمشركُونَ ، فَوَلَّى المسْلِمُون مُدْبِرين كَمَا قَالَ الله تَعَالى . فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم : « أنا عَبدُ اللهِ وَرَسُولُهُ » . وقَالَ : « يامَعْشَرَ الأَنْصَارِ أنا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُه » فهَزَم اللهُ المشْرِكِينَ وَلَم يُطعَنْ برُمْحٍ وَلَم يُضرَبْ بِسَيف فَقَال النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ وَسَلَّم يَوْمَئِذٍ : « مَنْ قَتَلَ كافِرًا فَلَهُ سَلبُه » فَقَتَل أَبُو قَتَادَةَ يَوْمَئِذٍ عِشْرِينَ رَجُلاً وَأَخَذَ أَسلابَهم ، فَقَالَ أَبُو قَتَادَةَ : يَارَسُولَ اللهِ ضَرَبْتُ رَجُلاً عَلىَ حَبْلِ العَاتِق

---

٦٤٨ ـ المستدرك (٢ / ١٢١) ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وأقره الذهبي .

أقول : عياض بن الحارث الأنصاري راوي هذه الرواية يقال له : الثقفي ، وقد تأخر إسلامه ، وظاهر كلامه أنه كان في صف المشركين يوم حنين .

٦٤٩ ـ المستدرك (٢ / ١٣٠) ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه . وأقره الذهبي .

وَعَلَيهِ دِرْعٌ لَهُ فَأُعْجِلْتُ عَنْهُ أن آخُذَ سَلَبَهُ ، فَانظُرْ مَنْ هُوَ يَارَسُولَ اللهِ ، فَقَالَ رَجلٌ : يَارَسُولَ اللهِ أَنَا أخَذْتُهَا فَأَرْضِهِ مِنْهَا فَأَعْطِنِيهَا . فَسَكَتَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وآلِهِ وَسلَّم ، وَكَان لا يُسْأَلُ شيئًا إلا أَعْطَاه أَوْ سَكَتَ فَقَالَ عُمَرُ : لاَ وَاللهِ لاَ يُفيءُ اللهُ عَلَى أَسَدٍ مِنْ أُسْدِهِ وَيُعْطِيكَهَا ، فضحكَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم .

٦٥٠ - * روى البخاري ومسلم عن أبي قتَادة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَامَ حُنين ، فَلَمَّا التَقَيْنا كَانَتْ للْمُسْلِمينَ جَوْلَةٌ ، قَالَ : فَرَأَيْتُ رجلاً من المشركين قد علا رجلاً من المُسْلِمِينَ ، فاستدرْتُ إليه حتَّى أتَيْتُه مِنْ وَرَائِهِ ، فَضَرَبْتُهُ عَلَى حَبْلِ عاتِقِهِ ، وأَقْبَلَ عليَّ ، فضَمَّني ضَمَّةً وَجَدْتُ منها رِيحَ الموتْ ، ثُمَّ أدْرَكَهُ المَوْت فَأَرْسَلَنِي ، فَلَحِقت عُمَرَ ابنَ الخطَّاب ، فَقَالَ : مَا للنـاسِ ؟ فَقُلْتُ : أَمْرُ اللهِ ، ثُمَّ إنَّ النَّاسَ رَجَعُوا ، وَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، فَقَال : « مَن قَتَلَ قَتِيلاً لَهُ عَلَيْهِ بَيِّنَةٌ فَلَهُ سَلَبُهُ » قال : فَقُمْتُ فَقُلْتُ : مَن يَشهدُ لِي ؟ ثُمَّ جَلَسْتُ ، ثُمَّ قـال مِثْلَ ذلِك ، فقـال : فَقمْت فقُلتُ : مَنْ يَشهد لِي ؟ ثُمَّ جَلَسْتُ ، ثُمَّ قَال ذلِكَ الثالثَةَ ، فَقُمتُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « مَالَكَ يَاأَبا قَتَادَةَ ؟ » فَقَصَصْتُ عَلَيْهِ القِصَّةَ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ : صَدَقَ يـا رسُولَ اللهِ ، سَلَبُ ذَلِكَ القَتِيلِ عندي ، فَأَرْضِهِ من حقِّه ، وقال أبو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ : لاَهَا اللهِ إذاً ، لاَ يَعْمِدُ إلىَ أَسَدٍ مِنْ أُسْدِ اللهِ يُقاتِلُ عَنِ اللهِ وَرَسُولِه ، فيُعْطيكَ سَلَبَهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « صَدَقَ ، فَأَعْطِهِ إيَّاه » فَأَعْطَانِي ، فَبِعتُ الدِّرْعَ ، فابتَعْتُ به مَخْرَفاً فِي بني سَلمةَ ، فَإِنَّه لأَوَّلُ مَالٍ تَأَثَّلْتُهُ في الإِسْلامِ .

---

٦٥٠ - البخاري (٨ / ٣٥) ٦٤ - كتاب المغازي - ٥٤ - باب قول الله تعالى : [٢٥ : التوبة] ﴿ ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً ﴾ - إلى قوله - ﴿ غفور رحيم ﴾ .

ومسلم (٣ / ١٣٧٠) ٣٢ - كتاب الجهاد والسير - ١٣ - باب استحقاق القاتل سلب القتيل .

حبل عاتقه : حبل العاتق : عَصَبُه ، والعاتق : موضع الرداء من المنكب .

لاها اللهِ إذاً : قال الخطَّابيُّ رحمه الله : هكذا جاء الحديث : « لآها الله إذاً » والصواب (لاها الله ذا) بغير ألف قبل الذال ، ومعناه في كلامهم : (لا والله لايكون ذا) يجعلون الهاء مكان الواو .

مَخْرَفاً : المَخْرَفُ بفتح الميم البستان الذي تُخْتَرف ثماره ، أي : تُجتَنى وتُقْطفُ ، وأراد به هاهنا : حائط نخل ، والمِخْرَف بكسر الميم : الظرف الذي تُجنى فيه الثمار ، والخراف ، يشبه أن يكون جمع خُرفة - بالضم - وهو ما يُجتَنى من الفواكه ، وأراد به أيضاً البستان ، فسمَّى الشجر باسم ثمره .

تأثلته : تأثلتُ المال ، أي : اكتسبتُه وجمعتُه وادَّخرتُه .

وَفِي رِوَايَةٍ [1] قال : لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ نَظَرْتُ إلى رَجُلٍ مِن المُسلِمِينَ يُقَاتِلُ رَجُلاً مِن المُشْرِكِين ، وَآخَرُ مِنَ المُشْرِكِين يَخْتِلُه مِنْ وَرائِه لِيقْتُلَهُ ، فَأَسْرَعْتُ إلى الذي يَخْتِلُهُ ، فَرَفَعَ يَدَهُ لِيَضْرِبَنِي ، وَأَضْرِبُ يَدَهُ ، فَقَطَعْتُها ، ثُمَّ أَخَذَنِي فَضَمَّنِي ضَمّاً شَدِيداً حَتَّى تَخَوَّفتُ ثُمَّ تَرَكَ فَتَحلَّلَ ، وَدَفعتُه ثُمَّ قَتَلتُه ، وانْهزَمَ المُسْلِمُونَ وانهَزَمْتُ مَعَهُم ، فَإذا بِعُمَرَ بنِ الخَطَّابِ في النَّاسِ ، فَقُلْتُ لَهُ : مَا شَأْنُ النَّاسِ ؟ فَقَالَ : أَمْرُ اللهِ ، ثُمَّ تَرَاجَعَ النَّاسُ إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « مَنْ أَقَامَ بَيِّنَةً عَلَى قَتِيلٍ قَتَلَهُ فَلَهُ سَلَبُهُ » فَقُمْتُ لأَلْتَمِسَ بَيِّنَةً عَلَى قَتِيلِي ، فَلَمْ أَرَ أَحَداً يَشْهَدُ لِي ، فَجَلَسْتُ ، ثُمَّ بَدَا لِي فَذكرتُ أَمْرَهُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ جُلَسَائِهِ : سِلاحُ هذَا القَتِيلِ الذي يَذكرُ عِنْدِي ، فَأَرْضِهِ مِنْهُ ، فَقَالَ أَبُو بَكر : كَلَّا ، لا يُعْطِه أُصَيْبِغَ مِن قُرَيْشٍ ، ويَدَعُ أَسَداً مِنْ أُسْدِ اللهِ يُقَاتِلُ عَنِ اللهِ وَرَسُولِه ، قَالَ : فَقَامَ رسولُ الله ﷺ ، فأَدَّاه إليَّ ، فاشتريتُ منه خِرافاً ، فكان أَوَّلَ مَالٍ تَأَثَّلْتُه في الإسلام .

٦٥١ - * روى البزار عَنْ أَنَسٍ أن رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ يَومَ حُنَيْنٍ : « جُزُّوهُم جَزّاً » وأَوْمَأَ بِيَدِه إلى الحَلْق .

٦٥٢ - * روى الطبراني عن يَزِيدَ بن عَامِرٍ السُّوَائِي أنه قال : عِند انكشافَةِ انْكَشَفَها

---

(١) البخاري في الموضع السابق .

نَخْتِله : الخَتلُ : المكر والخداع .

أصيبغ : قال القاضي : اختلف رواة كتاب مسلم في هذا الحرف على وجهين : أحدهما رواية السمرقندي : أصيبغ ، بالصاد المهملة والغين المعجمة . والثاني رواية سائر الرواة : أضيبع . بالضاد المعجمة والعين المهملة . فعلى الثاني هو تصغير ضبع على غير قياس . كأنه لما وصف أبا قتادة بأنه أسد ، صغّر هذا بالإضافة إليه . وشبه بالضُّبيع ، لضعف افتراسها وماتوصف به من العجز والحمق . وأما على الوجه الأول ، فوصفه به لتغير لونه . وقيل : حقّره وذمه بسواد لونه . وقيل: معناه أنه صاحب لون غير محمود ، وقيل : وصفه بالمهانة والضعف . قال الخطابيّ : الأُصيبغ نوع من الطير . قال : ويجوز أنه شبهه بنبات ضعيف يقال له الصيبغا ، أول مايطلع في الأرض يكون مما يلي الشمس منه أصفر .

٦٥١ - البزار : كشف الأستار (٢ / ٣٤٩)

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٨١) : رواه البزار ، ورجاله ثقات .

جزّوهم : اذبحوهم وقطّعوهم .

٦٥٢ - المعجم الكبير (٢٢ / ٢٣٧) .

الْمُسْلِمُونَ يَوْمَ حُنَيْنٍ فَتَبِعَتْهُم الكُفَّار ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَبْضَةً مِنَ الأَرْض ، فَرَمَى بِهَا وُجُوهَهُم ، وَقَالَ « ارْجِعُوا شَاهَتِ الوُجُوهُ » فَما مِنَّا مِنْ أحَدٍ يَلْقَى أخَاهُ إلَّا وَهُو يَشْكُو القَذَى وَيَمْسَحُ عَيْنَيْهِ .

٦٥٣ - * وروى الطبراني عَن يَزِيدَ بنِ عَامِرٍ السُّوَائِي وكان شَهِدَ حُنَيْناً مَعَ الْمُشْرِكينَ ثمَّ أسْلَمَ قَالَ : سَأَلناهُ عَنِ الرُّعبِ الذِي ألقَاهُ اللهُ في قُلوبِهِم يومَ حُنَيْن ، كيفَ كَانَ ؟ فَأَخَذَ حَصَاةً ، فَرَمَى بِهَا طَسْتاً فطَنَّ قَال : كُنَّا نَجِدُ في أجْوافِنا مثل هذا .

٦٥٤ - * روى الطبراني عن عَمرو بن دِينَار قَالَ : لا أعْلَمه إلا عَنْ جَابِرٍ أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، قَال يَوْم حُنَيْن : « الآنَ حَمِيَ الوَطِيسُ » ثمَّ قَالَ : « هُزِمُوا وَرَبِّ الكَعْبَة » .

٦٥٥ - * روى الحاكم عن العباس بن عبدِ المطَّلِب قال : شَهِدتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّم يَومَ حُنَيْن فَلقَدْ رأيتُه وَمَا مَعَه إلا أنَا وَ أبُو سُفيان بنُ الحَارث بنِ عَبْدِ المطَّلِب ، وَهو آخِذٌ بلِجام بَغْلَةِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلّم وَهُو رَاكِبها وأبُو سُفْيَانَ لاَ يألُو أنْ يُسْرِعَ نَحْو الْمُشْرِكينَ .

٦٥٦ - * روى الطبراني عن زَيدِ بنِ أرْقَم قَال : انْهَزَمَ النَّاسُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَومَ حُنَيْنٍ فقَال :

أنَا النبيُّ لا كَذِبْ ... أنَا ابنُ عبدِ المطَّلِب

٦٥٧ - * روى البخاري ومسلم عن أبي إسحاق السَّبِيعِيّ قال : جاء رجل إلى البراء ، فقال

= وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٨٢) : رواه الطبراني ، ورجاله ثقات .

٦٥٣ - المعجم الكبير (٢٢ / ٢٣٧) .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٨٣) : رواه الطبراني ، ورجاله ثقات .

٦٥٤ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٨٢) ، وقال : رواه الطبراني في الأوسط ، ورجاله رجال الصحيح .

٦٥٥ - المستدرك (٣ / ٢٥٥) ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . وأقره الذهبي .

لا يألو : لا يُقصِّر .

٦٥٦ - المعجم الكبير (٥ / ١٩٠) . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٨٢) : رواه الطبراني ، ورجاله ثقات .

٦٥٧ - البخاري (٨ / ٢٧) ٦٤ - كتاب المغازي - ٥٤ - باب قول الله تعالى [٢٥ : التوبة] : ﴿ ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً ﴾ - إلى قوله - ﴿ غفور رحيم ﴾ . =

أكنتم ولَّيتم يومَ حُنين ، ياأبا عُمارةَ ؟ فقال : أشهدُ على نبيِّ الله ﷺ ماولَّى ، ولكنه انْطَلق أخِفَّاءُ من الناس وحُسَّرٌ إلى هذه الحي من هوازن ، وهم قومٌ رُماة ، فَرَمَوْهم بِرَشْقٍ من نَبْلٍ ، كأنها رِجْلٌ من جراد ، فانكشفوا ، فأقبل القومُ إلى رسولِ الله ﷺ ، وأبو سفيان بن الحارث يقود بغلته ، فنزل ودعا واستنصر ، وهو يقول :

أنــــا النبيُّ لا كــــذبْ   أنــــا ابنُ عبــــدِ المُطَّلِب

« اللهم نَزِّلْ نَصْرك » - زاد أبو خيثمة : ثم صفَّهم - قال البراء : كنَّا والله إذا احمرَّ البَأْسُ نتَّقي به ، وإن الشجاعَ الذي يُحاذي به - يعني النبيَّ ﷺ .

ولمسلم قال : [1] قال رجل للبراء : ياأبا عُمارةَ ، فررْتُم يومَ حنين ؟ قال : لاوالله ، ماولَّى رسولُ الله ﷺ ، ولكنَّه خرج شُبَّان أصحابه وأخفَّاؤهم حُسَّرًا ، ليس عليهم سلاحٌ - أو كثير سلاح - فَلَقُوا قوماً رُمَاةً ، لايكاد يسقُط لهم سهم - جمعُ هَوَازِنَ وبني نصرٍ - فَرشَقُوهم رِشْقاً ، مايكادون يخطئون ، فأقبلوا هناك إلى رسول الله ﷺ ، ورسول الله ﷺ على بغلته البيضاء ، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب يقودُ به ، فنزل واسْتَنْصَرَ وقال :

أنــــا النبيُّ لا كــــذبْ   أنــــا ابنُ عبــــدِ المُطَّلِب

ثم صفَّهم .

وفي رواية نحوه [2] ، وفيه : وإنَّا لمَّا حَمَلْنا عليهم انكشفوا ، فأكْبَبنا على الغنائم ،

= ومسلم واللفظ له (٣ / ١٤٠١) ٣٢ - كتاب الجهاد والسير - ٢٨ - باب في غزوة حنين .

أخِفَّاء : الأخِفَّاءُ : جمع خفيف : وهم المسرعون من الناس الذين ليس لهم مايعوّقهم .

حُسَّر : الحُسَّر ، جمع حاسر ، وهو من لا درع عليه ، وقد ذكرناه .

يرشق : رَشَقَ يرشُق رَشْقاً : بفتح الراء - إذا رمى ، وبكسر الراء ، وهو الاسم من الرمي ، وهو المراد في الحديث ، يقال : إذا رمى القوم بأسرهم في جهة واحدة : رَمينا رِشقاً .

رِجْل : الرِّجلُ من الجراد : القطعة الكبيرة منه .

انكشفوا : أي : انهزموا ، ومنه رجل أكشفُ : وهو الذي لاتُرْسَ معه .

احمرّ البأس : البأسُ : الشدّة والخوفُ ، ومعنى (أحمر البأسُ) اشتدّ الحربُ ، لأنهم يقولون : مَوْتٌ أحمرُ ، للقتل .

سَرَعَان : سَرَعَان القوم : أولهم .

نتّقي به : أي : نتخذه جُنَّة ندفع به الأذى .

(١) مسلم (٣ / ١٤٠٠) ٣٢ - كتاب الجهاد والسير - ٢٨ - باب في غزوة حنين .

(٢) مسلم في نفس الموضع السابق .

فاستُقْبِلْنا بالسهام ، ولقد رأيت النبي ﷺ على بغلته البيضاء ، وإن أبا سفيان بن الحارث آخِذٌ بزِمامها ، وهو ـ أي النبي ﷺ ـ يقول :

أنــــا النبيُّ لا كَــــذِبْ أنــــا ابنُ عبــدِ المُطَّلِب

وفي رواية لهما وللترمذي[1] قال : قال له رجل : أَفَرَرْتُم عن رسولِ الله ﷺ يا أبا عُمارةَ ؟ قال : لاوالله ، ماولَّى رسولُ الله ﷺ ، ولكن وَلَّى سَرَعَانُ الناسِ ؟ تلَقَّتْهم هوازنُ بالنَّبْل ، ورسولُ الله ﷺ على بغلته ، وأبو سفيانَ بن الحارث بن عبد المطلب آخِذٌ بلِجامها ، ورسولُ الله ﷺ يقول :

أنــــا النبيُّ لاكَــــذِبْ أنــــا ابنُ عبــدِ المُطَّلِب

قال في الفتح : قوله (أما أنا فأشهد على النبي ﷺ أنه لم يول) تضمن جواب البراء إثبات الفرار لهم ، لكن لاعلى طريق التعميم ، وأراد أن إطلاق السائل يشمل الجميع حتى النبي ﷺ لظاهر الرواية الثانية ، ويمكن الجمع بين الثانية والثالثة بحمل المعية على ماقبل الهزيمة فبادر إلى استثنائه ثم أوضح ذلك ، وختم حديثه بأنه لم يكن أحد يومئذ أشد منه ﷺ . قال النووي : هذا الجواب من بديع الأدب ، لأن تقدير الكلام فررتم كلكم ، فيدخل فيهم النبي ﷺ ، فقال البراء : لا والله ما فر رسول الله ﷺ ، ولكن جرى كيت وكيت ، فأوضح أن فرار من فر لم يكن على نية الاستمرار في الفرار ، وإنما انكشفوا من وقع السهام .

وأما نسبته إلى عبد المطلب دون أبيه عبد الله فكأنها لشهرة عبد المطلب بين الناس لما رزق من نباهة الذكر وطول العمر ، بخلاف عبد الله فإنه مات شابا ، ولهذا كان كثير من العرب يدعونه ابن عبد المطلب ، كما قال ضمام بن ثعلبة لما قدم : أيكم ابن عبد المطلب ؟ وقيل لأنه كان اشتهر بين الناس أنه يخرج من ذرية عبد المطلب رجل يدعو إلى الله ويهدي الله الخلق على يديه ويكون خاتم الأنبياء ، فانتسب إليه ليتذكر ذلك من كان

---

(١) البخاري (٦ / ٧٥) ٥٦ ـ كتاب الجهاد ـ ٦١ ـ باب بغلة النبي ﷺ البيضاء .
ومسلم نحوها في نفس الموضع السابق .
والترمذي (٤ / ١٩٩) ٢٤ ـ كتاب الجهاد ـ ١٥ ـ باب ماجاء في الثبات عند القتال . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن .

يعرفه ، وقد اشتهر ذلك بينهم ، وذكره سيف بن ذي يزن قديما لعبد المطلب قبل أن يتزوج عبد الله آمنة وأراد النبي ﷺ تنبيه أصحابه بأنه لابد من ظهوره وأن العاقبة له لتقوى قلوبهم إذا عرفوا أنه ثابت غير منهزم ، وأما قوله « لاكذب » ففيه إشارة إلى أن صفة النبوة يستحيل معها الكذب ، فكأنه قال : أنا النبي ، والنبي لايكذب ، فلست بكاذب فيما أقول حتى أنهزم ، وأنا متيقن بأن الذي وعدني الله به من النصر حق ، فلا يجوز عليّ الفرار . وقيل : معنى قوله « لاكذب » أي أنا النبي حقا لاكذب في ذلك .

وفي الحديث من الفوائد حسن الأدب في الخطاب ، والإرشاد إلى حسن السؤال بحسن الجواب . وذم الإعجاب . وفيه جواز الانتساب إلى الآباء ولو ماتوا في الجاهلية ، والنهي عن ذلك محمول على ماهو خارج الحرب . ومثله الرخصة في الخيلاء في الحرب دون غيرها . وجواز التعرض إلى الهلاك في سبيل الله . ولا يقال كان النبي ﷺ متيقنا للنصر لوعد الله تعالى له بذلك وهو حق ، لأن أبا سفيان بن الحارث قد ثبت معه آخذا بلجام بغلته وليس هو في اليقين مثل النبي ﷺ . وقد استشهد في تلك الحالة أيمن بن أم أيمن . وفيه ركوب البغلة إشارة إلى مزيد الثبات ، لأن ركوب الفحولة مظنة الاستعداد للفرار والتولي ، وإذا كان رأس الجيش قد وطن نفسه على عدم الفرار وأخذ بأسباب ذلك كان ذلك أدعى لأتباعه على الثبات . وفيه شهرة الرئيس نفسه في الحرب مبالغة في الشجاعة وعدم المبالاة بالعدو أ . هـ

قال النووي : ومعنى قوله ﷺ أنا النبي لاكذب أي أنا النبي حقا فلا أفر ولاأزول وفي هذا دليل على جواز قول الإنسان في الحرب أنا فلان وأنا ابن فلان ومثله قول سلمة أنا ابن الأكوع وقول علي رضي الله عنه : أنا الذي سمتني أمي حيدرة ، وأشباه ذلك . وقد صرح بجوازه علماء السلف ، وفيه حديث صحيح قالوا : وإنما يكره قول ذلك على وجه الافتخار ؛ كفعل الجاهلية . والله أعلم أ . هـ

٦٥٨ - * روى الحاكم عن جابر رَضِيَ الله عنه قَالَ : نَدَبَ رَسُول اللهِ صلى اللهِ عليه وآله وسلم ، يَوْمَ حُنَيْنٍ الأَنصارَ فَقَال : « يامَعْشَرَ الأنصار » فَأَجَابُوه لَبَّيكَ بأبينا أَنْتَ وَأُمِّنَا

---

٦٥٨ - المستدرك (٣ / ٤٨) ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وأقره الذهبي .

=

يَارَسُولَ اللهِ قَالَ : « أَقْبِلُوا بُوجُوهِكُم إِلَىَ اللهِ وَإِلَىَ رَسُولِه ، يُدْخِلْكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأَنْهارُ » فأقبلُوا وَلَهُم حَنِينٌ ، حَتَّى أَحْدَقُوا بِهِ كَبْكَبَةً تَحاكُّ مَنَاكِبُهم يُقاتِلُون حَتَّى هَزَمَ اللهُ الْمُشْرِكِينَ .

٦٥٩ ـ * روى مسلم عن أنس بنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عنه : أَنَّ أُمَّ سُلَيْمٍ اتَّخَذَتْ يوم حنين خِنْجَراً فَكَانَ مَعَهَا ، فَرآها أَبُو طَلْحَةَ ، فَقَالَ : يارسُولَ اللهِ هذِه أُمُّ سُلَيْمٍ مَعَها خِنْجَرٌ . فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ : « مَاهٰذا الخِنْجَرُ ؟ » قَالت : اتَّخَذْتُه إِنْ دَنَا مِنِّي أَحَدٌ مِنَ المشرِكِين بَقَرْتُ به بطنَهُ ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يضْحَكُ ، قالتْ : يَارَسُولَ اللهِ ، اُقْتُلْ مَنْ بَعْدَنَا من الطُّلَقاء انْهَزَمُوا بِكَ . فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « يَاأُمَّ سُلَيْمٍ ، إِنَّ اللهَ قَدْ كَفَى وَأَحْسَنَ » .

وَفِي رِوَايَةِ أَبِي دَاودَ [1] قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ ـ يَعْنِي يَوْمَ حُنَيْنٍ ـ : « مَن قَتَلَ كَافِراً فَلَه سَلَبُهُ » فَقَتَل أبو طَلْحةَ يَومَئِذٍ عِشْرِين رَجُلاً ، وَأَخَذَ أَسْلاَبَهم ، وَلَقِي أبو طلْحَة أُمَّ سُلَيْمٍ وَمَعَها خِنْجَرٌ ، فَقَالَ : ياأُمَّ سُلَيم ، مَاهٰذا مَعَكِ ؟ قَالَتْ : أَرَدْتُ وَاللهِ إِنْ دَنَا مِنِّي بعْضُهمْ أَبْعَجُ به بطْنَهُ ، فَأَخْبَرَ بِذٰلك أبو طلحة رَسُولَ اللهِ ﷺ .

٦٦٠ ـ * روى أحمد والبزار عن عبدِ اللهِ بن مَسْعود قَالَ : كنتُ مَعَ النبيِّ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ قال : فَوَلَّى النَاسُ وَثَبَتَ مَعَهُ ثمانُونَ رَجُلا مِنَ المُهَاجِرِين وَالأَنْصَارِ فَنَكَصْنَا على أَقْدامِنَا نحواً مِنْ ثَمانين قَدَماً ، وَلَمْ نُوَلِّهِمُ الدُّبُرَ وَهم الذِينَ أَنْزَلَ اللهُ عَز وَجلَّ عليهم السَّكِينَةَ ، قَالَ : ورسولُ الله ﷺ على بغلتِه يمضي قدُماً ، فحادت بهِ بغلتُه فمال عن السَّرْجِ ، فقلت : ارْتَفِعْ رَفَعَكَ اللهُ . فَقَال : « نَاوِلْنِي كَفًّا مِنْ تُرابٍ » فَضَرَبَ بِهِ

= كبكبة : الجماعة الملتفة .

٦٥٩ ـ مسلم (٣ / ١٤٤٢) ٣٢ ـ كتاب الجهاد والسير ـ ٤٧ ـ باب غزوة النساء مع الرجال .

بقرتُ بطنه : إذا شققتُها ، والبَقْر : الشَّقُّ .

(١) أبو داود (٣ / ٧١) ، كتاب الجهاد ، باب في السلب يُعْطَى القاتل .

أبعج : بَعَجَ بَطْنَهُ بالسكين يَبْعَجُها بَعْجاً : إذا شقها ، فهو مبعوج .

٦٦٠ ـ أحمد في مسنده (١ / ٤٥٣) .

والبزار نحوه في كشف الأستار (٢ / ٣٤٨) .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٨٠) : رواه أحمد والبزار والطبراني ، ورجال أحمد رجال الصحيح غير الحارث ابن حصيرة ، وهو ثقة .

وجوهَهُم فَامْتَلأتْ أَعْيُنُهُم تُرابًا ، قال : « أَيْنَ المُهَاجِرُون وَالأَنصَارُ ؟ » قلْتُ : هُمْ أُولاَء ، قَالَ : « اهْتِفْ بِهِم » فَهتَفْتُ بِهِمْ فَجَاءوا وسُيُوفُهم بـأَيْمانهم كأنَّها الشُّهُبُ ، وَوَلَّى المُشْرِكُون أَدْبَارَهُم .

٦٦١ - * روى النسائي عن عبادةَ بنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللهُ عَنْه قَالَ : أَخَذ رَسُولُ الله ﷺ يَومَ حنين وَبَرَةً من جَنْبِ بَعيرٍ . فَقَالَ : « ياأَيُّها الناسُ ، إِنَّهُ لا يَحِلُّ لِي مِمَّا أَفَاءَ اللهُ عَلَيْكُم قَدْرَ هٰذِهِ ، إِلَّا الخُمُسُ والخُمُسُ مَرْدُودٌ عليكم » .

٦٦٢ - * روى البخاري عن جُبَيْرِ بن مطعِمٍ رَضِيَ اللهُ عنْـهُ : أَنَّـه بَيْنَمَا هُوَ يَسِيرُ مَعَ رسول الله ﷺ ، ومَعَهُ النَّاسُ ، مَقْفَلَهُ منْ حُنَيْنٍ ، فعلقَتِ النَّاسُ يَسْأَلُونَـه حتَّى اضْطَرُّوهُ إلى سَمُرَةٍ ، فخَطِفَتْ رِدَاءَهُ ، فوقَفَ النبيُّ ﷺ فَقَالَ : « أَعْطُونِي رِدَائي ، لَـو كَـانَ لِي عَدَدُ هٰذِه العِضَاهِ نَعَماً لَقَسَمْتُهُ ، ثم لاتَجِدُونِي بَخيلاً وَلاَ كذوباً وَلاَ جَبَاناً » .

٦٦٣ - *روى البخاري ومسلم عن عبدِ الله بنِ زيدِ بنِ عَاصمٍ قَالَ : لَمَّا أفاءَ الله عَلَى رَسُولِهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ قَسَمَ في النَّاس فِي المؤلَّفةِ قُلوبُهُم ، وَلَم يُعطِ الأَنصَارَ شيئاً ، فَكَأَنَّهم وَجَدُوا ، إِذْ لم يُصِبْهم مَا أصابَ النَّاسَ ، فخطبهُم ، فَقَال : « يامَعْشَرَ الأَنْصَار ، أَلَمْ أَجِدْكُم ضُلَّالاً فَهَدَاكُم اللهُ بي ؟ وَكُنتُم مُتفرِّقينَ فَأَلَّفَكُم اللهُ بي ؟ وَعَالَةً فأَغْنَاكُم اللهُ بي » . كُلَّما قال شَيئاً ، قَالوا : اللهُ ورَسُولُه أَمَنُّ ، قال : « ما يَمْنَعُكُم أن تُجِيبوا رَسولَ الله ﷺ ؟ » . قال : كلما قال شيئاً قالوا : اللهُ ورسولُه أَمَنُّ ، قَالَ : « لَو شِئتُم قُلْتُم : جِئْتَنَا كَذا وكَذا ، أَلا تَرْضَونَ أَن يَذْهَبَ النَّاسُ بالشَّاةِ والبَعير ، وَتَذهَبُونَ بالنَّبيِّ

---

٦٦١ - النسائي (٧ / ١٣١) ، كتاب قسم الفيء . وإسناده حسن .

٦٦٢ - البخاري (٦ / ٣٥) ٥٦ - كتاب الجهاد - ٢٤ - باب الشجاعة في الحرب والجبن .

مَقْفَلَهُ : أي : مَرْجِعَهُ من الغَزو ، والقُفُول : الرُّجوعُ من السَّفَر .

خَطِفَتْ : الخطفُ : الأخذ بسرعة .

العِضَاهُ : كلُّ شَجَرٍ ذي شوكٍ كالطَّلْحِ والسَّمُرِ .

٦٦٣ - البخاري (٨ / ٤٧) ٦٤ - كتاب المغازي - ٥٦ - باب غزوة الطائف في شوال سنة ثمان .

ومسلم نحوه (٢ / ٧٣٨) ١٢ - كتاب الزكاة - ٤٦ - باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوي إيمانه .

وَجَدوا : تأثَّروا في أنفسهم .

عالة : العالة : الفقراء .

=

إلى رِحَالِكُم ؟ لَولاَ الهِجْرَةُ لَكُنتُ امْرَءاً مِنَ الأَنْصَارِ ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِياً وَشِعْباً لَسَلَكْتُ وَادِيَ الأَنصَارِ وشِعْبَها ، الأَنْصَارِ شِعارٌ ، والناس دِثَارٌ ، إنكم سَتَلْقَونَ بَعْدِي أَثَرَةً فاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوني عَلَىَ الحَوْضِ » .

وذكر في رواية [1] : فقال : « أما إنكم لو شئتم أن تقولوا : جئتنا طريداً فآويناك ، وشَرِيداً فنصرناك ، وكذا وكذا » .

٦٦٤ - * روى مسلم عن رافعِ بنِ خَدِيجٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ : أَعْطَى رَسُولُ اللهِ ﷺ أبا سُفيانَ بنَ حَرْبٍ ، وصَفْوانَ بنَ أُمَيَّةَ ، وعُيَيْنَةَ بنَ حِصْنٍ ، والأَقرعَ بنَ حابسٍ ، كُلَّ إنسانٍ مِنْهم مائةً مِنَ الإبلِ ، وأَعْطَى عباسَ بنَ مِرْداسٍ دونَ ذلكَ ، فَقَالَ عَبَّاسُ بنُ مرداسٍ :

أَتَجْعَلُ نَهْبي وَنَهْبَ العُبَيْـ ... ـدِ بيْنَ عُيَيْنَةَ والأَقْرَعِ ؟
فَما كانَ بَدْرٌ ولا حَابِسٌ ... يَفُوقَانِ مِرْدَاسَ في المَجْمَعِ
ومَا كُنتُ دُونَ امرِئٍ مِنْهما ... وَمَنْ تَخْفِضِ اليومَ لايُرْفَعِ

قال : فأَتمَّ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ مائَةً .

٦٦٥ - * روى البخاري ومسلم عن عبدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ : لما كان يومُ حُنيْنٍ آثرَ النبيُّ ﷺ أناساً في القِسمةِ : فأعطى الأقرعَ بنَ حابسٍ مائةً منَ الإبلِ . وأعطى عُيَينةَ مثلَ ذلك . وأعطى أناساً من أشرافِ العربِ فآثرَهم يومئذٍ في القِسمة . قال رجلٌ :

= الشِّعار : الثوب الذي يلي الجسد .
الدِّثار : الثوب الذي يكون فوقه ، يعني : أن الأنصارَ خاصته الذين يلونه ، والناسَ بعدهم .
(١) أحمد في مسنده (٣ / ٥٧ ، ٧٦ ، ٨٩) عن أبي سعيد الخدري .

٦٦٤ - مسلم (٢ / ٧٣٨) ١٢ - كتاب الزكاة - ٤٦ - باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوي إيمانه .
العُبَيْد : بضم العين وفتح الباء الموحدة : اسم فرس العباس بن مرداس السُّلمي .
٦٦٥ - البخاري (٦ / ٢٥١) ٥٧ - كتاب فرض الخمس - ١٩ - باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه .
ومسلم نحوه (٢ / ٧٣٩) ١٢ - كتاب الزكاة - ٤٦ - باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوي إيمانه .

واللهِ إنّ هٰذهِ القسمةَ ماعُدِلَ فيها وما أُريـدَ بهـا وَجْـهُ الله . فقلت واللهِ لأخبرَنّ النبيَّ ﷺ . فأتيتُهُ فأخبرته . فقـال : « فَمَنْ يعدِلُ إذا لَمْ يعـدِلِ اللهُ ورسولُـه ؟ رَحِمَ اللهُ موسىٰ . قد أوذِيَ بأكثَرَ من هٰذا فصبرَ » .

٦٦٦ ـ * روى أحمد عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ قَالَ : لما أعْطى رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا أعطىٰ مِنْ تِلكَ العَطَايا في قرَيْشٍ وَقبَائِلِ العَرَبِ وَلَم يَكُن في الأنْصَارِ مِنْهـا شَيءٌ وَجَـدَ هٰـذا الحيُّ مِنَ الأنْصَارِ في أنفسِهم حَتّى كَثُرَتْ فِيهمُ القَالَة ، حتّى قَالَ قَـائِلُهم لَقِيَ رَسُولُ الله ﷺ قَومَـهُ ، فَدَخَلَ عَلَيْه سَعْدُ بنُ عُبادةَ فَقَالَ : يَارَسُولَ اللهِ إنّ هٰذا الحيَّ قد وجَدُوا عَلَيكَ في أنْفُسِهِم لِما صَنَعْتَ في هٰذا الفَيء الذِي أصَبْتَ ، قَسَمْتَ في قَوْمِـكَ وأعطيْت عَطَـايَـا عظَـامـاً في قَبَـائِلِ العَرَب وَلَم يكُنْ في هٰذا الحي مِنَ الأنْصَارِ شَيءٌ قَالَ : « فـأينَ أنْتَ مِنْ ذٰلِـكَ يَـا سَعـدُ » قال : يـا رَسُولَ اللهِ مَـا أنَـا إلا امْرُؤ مِنْ قَوْمِي ومـا أنـا . قَـالَ : « فـاجمَعْ لي قَوْمَـكَ في هٰذِهِ الحظِيرةِ » قال : فخرجَ سعدٌ فجمَعَ النـاسَ في تلـك الحظيرة قَـالَ : فَجَـاء رجـال من المهَاجِرِينَ فَتَرَكهُم فدخلوا وَجَاءَ آخَرُون فردَّهُمُ ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا أتَاهُ سَعْـدٌ فَقَـالَ : قَـد اجْتَمَعَ لَكَ هٰذا الحيُّ مِنَ الأنْصَارِ قَالَ فَأتَاهُم رَسولُ اللهِ ﷺ ، فَحمِدَ اللهَ وأثنى عَلَيه بِالـذِي هُو لَـه أهْلٌ ثُمَّ قَـالَ : « يـامَعْشَرَ الأنصَـارِ مـا قـالَـةٌ بَلَغَتْنِي عَنْكُم وَجِـدَةٌ وَجَـدتُمـوهَـا في أنْفُسِكُم ؟ ألَمْ آتكم ضُلَّالاً فَهَدَاكُمُ اللهُ ، وَعَالَـةً فَـأغْنَـاكُمُ اللهُ ، وَأعْـدَاءً فَـألَّفَ بَيْنَ قُلُـوبِكُم ؟ » قَـالُـوا : بَـل اللهُ وَرَسُولـهُ أمَنُّ وأفْضَـلُ . قَـال : « ألا تُجِيبُـونِي يَـامَعْشَرَ الأنْصَارِ ؟ » قالُوا : وَبِماذَا نُجِيبُكَ يارَسُولَ اللهِ ولِرَسُولِـهِ المنُّ والفضْلُ ؟ قَـالَ : « أمَـا وَاللهِ لوْ شِئْتُم لَقُلْتُم فَلَصَدَقْتُم وَصُـدِّقْتُم أتيتَنَـا مكَـذَّبـاً فصدَّقْنَـاكَ ومَخْـذُولاً فَنَصَرْنَـاكَ وَطَرِيداً فَآوَيْنَاكَ وَعائِلاً فأغنيناك أوَجَدتُم في أنفسِكُم يامعْشَرَ الأنْصَارِ في لُعَـاعَـةٍ مِنَ الدُّنيَا تَألَّفْتُ بها قَوْماً لِيُسْلِمُوا وَوَكَلْتُكُم إلَى إسْلامِكُم ؟ أفلا تَرْضَوْنَ يَـامَعْشَرَ

٦٦٦ ـ أحمد في مسنده (٣ / ٧٦) .

قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠ / ٢٩) : رواه أحمد ، ورجـالـه رجـال الصحيح غير محمـد بن إسحـاق ، وقـد صرّح بالسماع .

لُعَاعة : نبت ناعم في أول ماينبت يعني أن الدنيا كالنبات الأخضر قليل البقاء .

الأَنْصَارِ أنْ يَذهبَ الناسُ بالشَّاةِ والبَعِيرِ وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ في رِحَالِكُم ؟ فَوالذي نَفْسُ مُحمدٍ بيده لَوْلاَ الهِجْرةُ لكنْتُ امْرَأً مِنَ الأنصارِ ، وَلَو سَلَكَ النَّاسُ شِعْباً وسلَكَتِ الأنصار شعْباً لَسَلَكْتُ شِعْبَ الأَنصَارِ . اللَّهمَّ ارحَمِ الأنصَارَ وأبناءَ الأنصارِ وأبناءَ أبناء الأنصارِ» قَالَ : فَبكى القَوْمُ حتَّى أَخْضَلُوا لِحَاهُم وَقَالُوا : رَضِينَا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ قَسْماً وَحَظًّا ، ثُمَّ انْصَرَفَ رسُولُ اللهِ ﷺ وتفرَّقْنا .

وفي روايةٍ [1] عنْ أبي سَعيدٍ أيضاً قَالَ : قَالَ رَجلٌ مِنَ الأَنصَارِ لأَصْحَابه : أَمـا واللهِ لَقَدْ كُنتُ أُحدِّثكم أنـه لَو قـد اسْتَقـامَتِ الأُمُور قـدْ آثَرَ عَلَيكُم ، قَـالَ : فَرَدُّوا عَلَيـهِ رَدَّاً عَنِيفـاً ، قَـالَ : فَبَلغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ قـال فَجَاءهُم فَقَـالَ لهم أشْيَاء لاَ أحفظُهـا ، قـالوا : بَلَى يَارسُولَ اللهِ قال : « فكُنتُم لاتَرْكَبُون الخَيْلَ » . قال : فَكُلَّما قَـالَ لـهُم شَيئًا قَـالُوا : بَلَى يَارَسُولَ الله ، قَـال : فَلَمَّـا رآهُم لايَردُّون عَليـهِ شيئـاً . قُلتُ : فَـذكَر نحوه وَقَـال في آخره : « الأنصارُ كَرِشي وأَهلَ بَيتي وَعَيْبَتِي التي أُويْتُ إليها فَاعفُوا عَنْ مُسيئِهمْ واقْبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهم » . قَالَ أبو سَعيدٍ : قُلت لـمُعاوية : أَمَا إنَّ رَسُول اللهِ ﷺ حدَّثنا أننا سَنَرى بعدَهُ أثرةً ، قَال مُعاوية : فَمَا أمركم ؟ قُلت : أمَرنا أنْ نَصْبِرَ . قَالَ : فاصبِروا إذًا .

أقول : تعليقاً على قول سعد بن عبادة :

(مـاأنـا إلا امرؤ من قومي) : إن على القـادة الـذين يسـوسـون الشعـوب والأقـوام أن يعرفوا نفسيات هذه الشعوب وهذه الأقوام وأن يسوسوهـا على ضوء هـذه المعرفـة فـأحيـانـا يكون لكل قوم أو شعب أو قريـة أو بلـد خصيصـة تجعلهم في بعض الحـالات يقفون موقفـا موحداً أمام قضية ما ، فلا بد من ملاحظة ذلـك قبل وقوعـه وحسن معـالجتـه بعـد وقوعـه فإذا كان مثل سعد بن عبادة يقول : (مـاأنـا إلا امرؤ من قومي) فما بـال من دونـه ، وفي كلمة سعد ـ إذ يعلن اتحاد موقفه مع موقف قومه في قضية يرى قومه فيها يقولون مـايعتقـد

---

(١) أحمد في مسنده (٣ / ٨٩) . قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠ / ٥٩) : رواه أحمد وأبو يعلى .

فكنتم لاتركبون الخيل : ذلك بأنه لم يكن عند الأنصار كثرة خيل في الجاهلية ، ثم رزقهم الله الكثير على عهـد النبي ﷺ .

كرشي وعيبتي : أراد أنهم بطانته وموضع سره وأمانتـه والـذين يعتمد عليهم في أموره ، واستعـار الكَرِش ؛ لأن المجتر يجمع علفه في كَرِشه ، واستعار العَيْبة ؛ لأن الرجل يضع ثيابه في عيبته .

أنه اجتهاد في محله وعدم إنكار الرسول ﷺ ـ مايشير إلى نصرة الإنسان قومه بالطريق المشروع فيما يراه الإنسان حقا لاحرج فيه .

٦٦٧ ـ * روى البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه : أنَّ أُناسًا مِنَ الأنصارِ قالُوا يَوْمَ حُنَيْنٍ حينَ أفاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَمْوَالِ هَوَازِنَ مَا أَفَاءَ ، فطَفِقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُعْطِي رِجَالاً مِنْ قُرَيْشٍ المِائَةَ مِنَ الإبلِ ، فقَالُوا : يَغْفِرُ اللهُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ ، يُعْطِي قُرَيْشاً وَيَتْرُكُنَا وَسُيُوفُنَا تَقْطُرُ مِنْ دِمائِهم ؟ قَالَ أَنَسُ بنُ مالكٍ : فَحُدِّثَ ذلِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ من قَوْلِهِمْ ، فَأَرْسَلَ إلَى الأَنْصَارِ ، فَجَمَعهم في قُبَّةٍ من أَدَمٍ ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا جَاءَهُم رَسُولُ اللهِ ﷺ ، فَقَالَ : « ماحَدِيثٌ بَلَغَنِي عَنكُمْ ؟ » فقال لَهُ فُقَهَاءُ الأَنْصَارِ : أَمَّا ذَوُو رَأْيِنَا يَارسُولَ اللهِ ، فَلَمْ يقولُوا شَيْئاً ، وَأَمَّا أُناسٌ مِنَّا حَدِيثَةٌ أسنانُهم ، قالُوا : يَغْفِرُ اللهُ لِرسُوله ، يُعْطِي قُرَيْشاً وَيَتْرُكُنَا وَسُيُوفُنا تقطرُ مِنْ دَمائِهم ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « فَإنِّي أُعْطِي رِجَالاً حَدِيثِي عَهْدٍ بكُفْرٍ أَتَأَلَّفُهَم ، أفَلاَ تَرْضَوْنَ أنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بالأَمْوَالِ ، وَترجِعُونَ إلَى رِحَالِكُم بِرَسُولِ اللهِ ؟ فَوَاللهِ لَمَا تَنْقَلِبُونَ بِهِ خَيْرٌ مِمَّا يَنْقَلِبُونَ به » قَالُوا : بَلَى يَارسُولَ اللهِ ، قَدْ رَضِينَا ، قَالَ : « فَإنَّكم سَتَجِدُونَ بَعْدِي أَثَرَةً شَدِيدَةً ، فاصبِرُوا حَتَّى تَلْقَوُا اللهَ وَرَسُولَه فإني على الحَوْض » قالوا : سنصبر .

وفي رواية [(١)] : قَالَ أَنسٌ : فَلَمْ نَصْبِرْ .

وفي رواية : [(٢)] قال : جَمَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الأَنْصَارَ ، فقال : « أَفيكُم أَحدٌ من غيرِكُم ؟ » فقالوا : لا ، إلا ابنُ أُختٍ لنا ، فقال رسولُ الله ﷺ : « إن ابْنَ أُختِ القَوْمِ

---

٦٦٧ ـ البخاري (٦ / ٢٥١) ٥٧ ـ كتاب فرض الخمس ـ ١٩ ـ باب ماكان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه .

ومسلم واللفظ له (٢ / ٧٣٣) ١٢ ـ كتاب الزكاة ـ ٤٦ ـ باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوي إيمانه .

(١) البخاري (٦ / ٢٥١) ٥٧ ـ كتاب فرض الخمس ـ ١٩ ـ باب ماكان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه .

(٢) البخاري في نفس الموضع السابق .

ومسلم (٢ / ٧٣٣) ١٢ ـ كتاب الزكاة ـ ٤٦ ـ باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوي إيمانه .

منهم » فقال : « إنَّ قُرَيْشاً حَدِيْثُ عَهْدٍ بجَاهِلِّيةٍ وَمصيبةٍ ، وإني أَرَدْتُ أَنْ أَجْبُرَهُم وأتـألَّفَهُمْ ، أَمَـا تَرْضَـوْنَ أَنْ يَرْجِـعَ النَّـاسُ بـالـدُّنْيَـا ، وَتَرْجِعُـونَ بِرَسُـولِ اللهِ إلى بُيُـوتِكم ؟ لَـوْ سَلَـكَ النَّـاسُ وَادِيـاً ، وَسَلَـكَ الأنصـار شِعْبـاً ، لَسَلَكْتُ شِعْبَ الأَنْصَارِ » .

وفي روايةٍ للنسائي [1] بإسناد حسن : فإنه قال : كُنّا عند رسولِ الله ﷺ إذ أَتَتْـهُ وَفْدُ هَوَازِنَ ، فقالوا : يامحمدُ ، إنـا أصلٌ وعشيرةٌ ، وقـد نزلَ بنـا من البلاء ما لا يَخْفَى عليـك ، فَامْنُنْ علينا ، مَنَّ الله عليكَ ، فقال : « اختارُوا من أموالكم أو من نسائكم وأبنـائكم » ، فقالوا : قد خَيَّرتَنا بين أحسابنا وأموالنا ، ، بل نختارُ نساءَنا وأبناءَنا فقـال رسول الله ﷺ : « أمّـا مـا كان لي ولبني عبـد المطلب فَهُـوَ لكم ، فـإذا صلَّيتُ الظهر ، فقـومـوا فقولوا : إنـا نستعينُ بِرسول الله على المؤمنين ـ أو المسلمين ـ في نسـائنـا وأموالنـا » فلما صَلَّوْا الظهرَ ، قاموا فقـالوا ذلـك ، فقـال رسولُ الله ﷺ : « فمـا كان لي ولبني عبـد المطلب فهو لكم » فقال المهـاجرون : ومـا كان لنـا فهو لرسول الله ﷺ ، فقـال الأقرعُ بنُ حـابِسٍ : أمّـا أنـا وبنو تميم فلا ، وقـال عُيينـةُ بن حِصْنٍ : أمَّـا أنـا وبنو فَزَارَةَ فـلا ، وقـال العباسُ بن مِرْداسٍ : أمّا أنا وبنو سُلَيم فلا ، فقامت بنو سُلَيم : فقالوا : كَذَبْتَ ، مـا كان لنـا فهـو لرسـول الله ﷺ فقـال رسـول الله ﷺ : « يـا أَيُّهـا النـاس ، رُدُّوا عليهم نسـاءَهم وأبناءَهم ، فمن تَمسَّكَ من هـذا الفيء بشيء فلـه ستٌّ فرائِضَ من أول شيء يُفيئُـهُ اللهُ علينـا » وركِبَ راحلتـه ، وركِبَ النـاسُ : اقسمْ علينـا فَيْئَنَـا ، فـألجـؤوه إلى شَجَرَةٍ ، فَخطِفَتْ رداءَهُ ، فقال : « يـاأَيُّهـا النـاسُ ، رُدُّوا عليَّ ردائي ، فوالله لو أن لكم شجرَ تِهامةَ نعَمًـا قسمتُـه عليكم ثم لم تَلْقَوْنـي بخيلاً ، ولا جبـانًـا ، ولا كـذوبًـا» ثم أتى بعيرًا ، فأخذ من سَنامِهِ وَبَرةً بين أُصْبَعَيْهِ ، ثم قال : «ها ، إنه ليس من الفيء شيء ولا هذه ، إلا خُمُسٌ ، والخمسُ مردود عليكم » فقـام إليـه رجل بِكُبَـةٍ من شعر ، فقـال يـارسـولَ الله ، أخذتُ هذه لأُصلح بها برذَعةَ بعير لي ، فقال : « أمَّا مـاكان لي ولبني عبـد المطلب فهو

---

(١) النسائي(٦ / ٢٦٢) ، كتاب الهبة ، باب هبة المشاع .

لك » فقال : أَوَ بَلَغَتْ هذه ؟ فلا أَرَبَ لي فيها ، فنبذها ، وقال : « يا أَيُّها الناسُ ، أَدُّوا الخِياط والمِخْيَطَ ، فإن الغُلولَ يكونُ على أَهلِه عَاراً وَشَنَاراً يومَ القيامة » .

٦٦٨ - * روى الطبراني عَنْ عَبْدِ اللهِ بن عَمْرٍو أَنَّ وَفْدَ هَوَازِنَ لما أَتَوْا رسولَ اللهِ ﷺ بالجِعْرَانَةِ وَقَدْ أَسْلَمُوا قالُوا : إِنَّا أَصْلٌ وَعَشِيرَةٌ ، وَقَد أَصَابَنَا مِنَ البلاء ما لم يَخْفَ عليك ، فامْنُنْ علينا مَنَّ اللهُ عليك ، وقال رجلٌ مِن هَوَازِنَ مِن بَنِي سَعدِ بن بَكرٍ يُقالُ لَهُ زُهَيْرٌ ويُكنَى بأبِي صُرَدٍ فَقَال : يَارَسُولَ اللهِ نِساؤُنا عَمَّاتُك وَخَالاتُك وَحَواضِنُك اللاتي كَفَلْنَك ، وَلَوْ أَنَّا لَحِقْنَا الحارث بنَ أبي شِمْرٍ والنُّعمانَ بنَ المُنْذِرِ ، ثُمَّ نَزَلَ بِنَا مِنْهُ مِثْلُ الذي أَنْزَلْتَ بِنَا لَرَجَوْنَا عطْفَهُ وعَائِدَتَه عَلَيْنَا ، وَأَنْتَ خيرُ المَكْفُولينَ ، ثمَّ أَنشَدَ رسُولَ الله ﷺ شِعْراً ، قَالَهُ وَذَكَرَ فيه قَرَابَتَهُ وَمَا كَفلُوا مِنْهُ فقال :

امْنُنْ عَلَيْنَا رَسُولَ اللهِ فِي كَرَمٍ ... فَإِنَّكَ المرءُ نَرْجُوه وَنَنْتَظِرُ
امْنُنْ عَلَى بَيْضَةٍ قَدْ عَاقَها قَدَرٌ ... مُفَرَّقٌ شَمْلُهَا في دَهْرِهَا غِيَرُ
أَبقَتْ لَنا الدَّهَرَ هتَّافاً عَلَى حَزَنٍ ... عَلَى قُلُوبِهِمُ الغماء والغَمَرُ
إن لَم تَدَارَكهُمُو نعماءُ تَنْشُرُهَا ... يَاأَرْجَحَ النَاسِ حِلْماً حِينَ يُخْتَبَرُ
امْنُنْ عَلَى نِسْوَةٍ قَدْ كُنتَ ترضَعُهَا ... إِذْ فُوكَ تَملؤُهُ مِنْ مَحْضِهَا دُرَرُ
إذ كُنتَ طِفلاً صَغِيراً كُنتَ تَرضَعُها ... وَإِذ يَزِينُك مَا تَأتِي وَمَا تَذَرُ
لا تَجْعَلنَّا كَمَنْ شَالَت نَعَامَتُه ... واستَبقِ مِنَّا فَإِنَّا مَعْشَرٌ زُهُرُ

---

٦٦٨ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٨٧) ، وقال : رواه الطبراني ، وفيه ابن إسحاق وهو مدلس ، ولكنه ثقة ، وبقية رجاله ثقات .

أقول : وقد صرّح ابن إسحاق بالسماع عند ابن هشام في سيرته ، وللحديث شواهد .

إنا أصل وعشيرة : يشيرون بذلك إلى أنه كان مسترضعاً فيهم ، ولذلك فإنه تربطه بهم رابطة قرابة .

لحقنا به : يعني أننا أرضعناه فصرنا له لاحقين بسبب ذلك ويشهد له لذلك رواية ابن هشام (ملحنا) .

الحارث بن أبي شمر : ملك الشام من العرب .

النعمان بن المنذر : ملك العراق من العرب .

البيضة : الأصل والعشير . ويقال يستبيح بيضتهم : أي مجتمعهم وموضع سلطانهم ومستقر دعوتهم .

غِيَرٌ : تغير الحال وانتقالها عن الصلاح إلى الفساد .

شالت نعامته : إذا ماتوا وتفرقوا كأنهم لم يبق منهم إلا بقية ، والنعامة : الجماعة .

قال فذكر الحديث .

وفي رواية لأحمد [(١)] عن عبدِ الله بنِ عمرو قال : شهدتُ رسولَ الله ﷺ وجاءَته وفود هَوازنَ فقالوا : يامحمدُ إنَّا أصلٌ وعَشيرةٌ فَمُنَّ علينا مَنَّ اللهُ عليكَ ، فإنَّه قد نَزَلَ بنا منَ البَلاَء ما لا يخفى عليكَ فقالَ : « اختاروا بينَ نسائِكم وأموالِكم وأبنائِكم » قالوا : خَيَّرتَنا بينَ أحسابنا وأموالنا ؟ نختارُ أبناءَنا فقال : « أمَّا ما كَانَ لي ولبني عبد المطلب فهوَ لكم ، فإذا صلَّيْتُ الظهرَ فقولُوا إنا نَسْتَشفعُ برسولِ اللهِ ﷺ المؤمنين وبالمؤمنين عَلَى رسولِ اللهِ ﷺ في نسائِنا وأبنائِنا » قالَ : فَفعلوا . فقال رَسولُ الله ﷺ : « أمَّا ما كانَ لي ولبني عبدِ المطلبِ فهوَ لكم » وقال المهاجرون : ماكان لنا فهو لرسول اللهِ ﷺ وقالت الأنصَارُ مثل ذلك وقال عُيَيْنَةُ بنُ بدرٍ أمّا ما كان لي ولبني فَزَارةَ فلا . وقالَ الأقرعُ ابنُ حابس : أمّا أنا وبنو تَميمٍ فلا وقال عَبَّاسُ بنُ مِرْداس : أمَّا أنا وبنو سُلَيْمٍ فلا فقالَتِ الحيّان : كذبتَ بلْ هَوَ لرسولِ اللهِ ﷺ . فقال رسول الله ﷺ : « ياأيها النَّاسُ رُدّوا عليهم نساءَهم وأبناءَهم ، فَمَنْ تمسكَ بشيءٍ من الفيءِ فلهُ علينا ستٌّ فَرائضَ من أولِ شيءٍ يفيئهُ اللهُ علينا » ثم ركبَ رَاحِلَته ، وتَعَلَّقَ بهِ النَّاسُ يقولونَ : اقسِم علينا فيئَنا بيننَا ، حتّى ألجؤوه إلى سَمُرَةٍ فخطِفتْ رداءَه ، فقالَ : « ياأيها النَّاسُ ردُّوا عليَّ ردائي ، فواللهِ لو كانَ لكم بعددِ شَجَرِ تِهَامةَ نَعَمٌ لَقَسَمتهُ بينكم ، ثم لاتَلْقَوني بخيلاً ولا جَباناً ولاكَذُوباً » ثم دنا من بعيره فأخذَ وَبَرَةً مِن سَنامِهِ فجعلَها بينَ أُصبُعَيْهِ السَّبَّابةِ والوسطى ، ثم رفعها فقال : « ياأيها النَّاسُ ليسَ لي من هذا الفيءِ ولاهذه إلا الخُمسُ والخُمسُ

---

(١) أحمد في مسنده (٢ / ١٨٤) . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٨٧) : رواه أحمد ، ورجال أحد إسناديه ثقات .

فقال الحيان : الظاهر أنها بنو فزارة وبنو تميم . وستأتي في رواية أخرى أن بني سليم قالوا مثل قولهم فقد أنكرت الأحياء الثلاثة على زعمائهم .

مَنْ تَمسّكَ بشيءٍ : في الكلام إضمار ، وتقديره : من أصاب شيئاً من هذا الفيء فأمسكه ثم ردّه .

ست فرائض : الفرائض ، جمع فريضة ، يريد به : البعير المأخوذ في الزكاة ، وسُمّي بسبب ذلك فريضة ، لأنه الواجب على رب المال ، ثم سُمي البعير فريضة في غير الزكاة .

يُفيئه الله علينا : أراد : بما يفيئه الله علينا : الخمس الذي جعله الله له من الفيء خاصةً دون الناس ، فإنه يعطي كلَّ من أخذ منه شيئاً عوضه من ذلك .

=

مردودٌ عليكم ، فردوا الخِياطَ والمَخْيَطَ » (أي ردوا الخيط والإبرة ، وما خيط بها) « فإن الغُلولَ يكونُ على أهله يومَ القيامة عـاراً ونـاراً وشَنـاراً » فقـام رجلٌ معَـه كبّـةٌ من شعر ، فقالَ : إني أخذتُ هذهِ أصلحُ بها بَرْذعة بعيرٍ لي دَبِر قال : « أمّا مـا كان لِي ولبني عبـدِ المطلب فهو لـكَ » فقـال الرجلُ : يـارسولَ اللهِ أمّا إذْ بلغتَ مـاأرَى فـلا أرَبَ لي بهـا ، ونَبَذَها .

٦٦٩ ـ * روى البخـاري عن المِسْوَرِ بنِ مَخْرَمَـةَ ومروانَ بن الحكم : أنَّ رسـولَ اللهِ ﷺ قال حِينَ جـاءَهُ وَفـدُ هَوَازِنَ مُسْلِمينَ فسـألوهُ أن يرُدَّ إليهم أموالهم وسَبْيَهم ، فقـال لهم رسولُ اللهِ ﷺ : « أحبُّ الحديثِ إليَّ أصْدَقهُ فاختاروا إحدى الطائفتَين : إمّا السَّبيَ وإما المـال ، وقـد كنتُ استـأنيتُ بهم » ـ وقـد كان رسولُ اللهِ ﷺ انتظرَهم بِضعَ عشرةَ ليلـةً حينَ قفلَ من الطائف ـ فلما تبيَّنَ لهم أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ غيرُ رادٍّ إليهم إلا إحدَى الطائفتينِ قالوا : فإنّا نختارُ سَبْيَنا ، فقامَ رسولُ اللهِ ﷺ في المسلمينَ فأثنىٰ على اللهِ بما هو أهلُهُ ثمَّ قال : « أمّا بعدُ فـإنَّ إخوانَكم هٰؤلاء قـد جـاءونـا تـائبينَ ، وإني قـد رأيتُ أن أرُدَّ إليهم سَبيَهم ، مَن أحبَّ أن يُطيِّبَ فلْيَفْعَلْ ، ومَن أحبَّ منكم أن يكونَ على حَظِّهِ حتى نُعطِيَهُ إياهُ من أوَّلِ ما يُفيءُ اللهُ علينا فلْيفعَلْ» فقال الناسُ : قد طيَّبنا ذلـك يـارسولَ اللهِ لهم ، فقال لهم رسولُ اللهِ ﷺ : « إنا لاندري مَن أذِنَ منكم في ذٰلك ممَّن لم يأذَن ، فارجعوا حتى يَرفَعَ إلينا عُرَفـاؤكم أمرَكم » فرَجعَ النـاسُ . فكلمهم عُرَفـاؤهم ثمَّ رَجعوا إلى رسول اللهِ ﷺ فأخبَرُوهُ أنهم قد طَيَّبوا فأذنوا . فهٰذا الذي بلغنا عن سَبْيِ هَوَازِنَ .

قال في الفتح : قوله (قام حين جـاءه وفـد هوازن مسلمين) سـاق الزهري هـذه القصـة من هذا الوجه مختصرة ، وقد ساقها موسى بن عقبة في المغازي مطولـة ولفظـه : (ثم انصرف

= الخِيَاط : الخَيْط ، والمِخْيَط : الإبرة .

الغلول : الخيانة في الغنيمة قبل إخراج الخمس والقِسْمة .

الشَّنار : العيب والعار .

٦٦٩ ـ البخـاري (٦ / ٢٣٦) ٥٧ ـ كتـاب فرض الخمس ـ ١٥ ـ بـاب ومن الـدليل على أن الخمس لنـوائب المسلمين مـاسـأل هوازن النبي ﷺ برضاعه فيهم ، فتحلل من المسلمين . =

رسول الله ﷺ من الطائف في شوال إلى الجعرانة وبها السبيُ يعني سبيَ هوازن ، وقدم عليه وفد هوازن مسلمين فيهم تسعة نفر من أشرافهم فأسلموا وبايعوا ، ثم كلموه فقالوا : يارسول الله إن فيمن أصبتم الأمهات والأخوات والعمات والخالات وهن مخازي الأقوام ، فقال : « سأطلب لكم ، وقد وقعت المقاسم فأي الأمرين أحب إليكم : آلسبي أم المال ؟ » قالوا : خيرتنا يارسول الله بين الحسب والمال ، فالحسب أحب إلينا ، ولانتكلم في شاة ولابعير . فقال : « أما الذي لبني هاشم فهو لكم ، وسوف أكلم لكم المسلمين ، فكلموهم وأظهروا إسلامكم » فلما صلى رسول الله ﷺ الهاجرة قاموا فتكلم خطباؤهم فأبلغوا ورغبوا إلى المسلمين في رد سبيهم ، ثم قام رسول الله ﷺ حين فرغوا فشفع لهم وحض المسلمين عليه وقال : « قد رددت الذي لبني هاشم عليهم » فاستفيد من هذه القصة عدد الوفد وغير ذلك مما لايخفى . وقد أغفل محمد بن سعد لما ذكر الوفود وفد هوازن هؤلاء مع أنه لم يجمع أحد في الوفود أكثر مما جمع ، وممن سمي من وفد هوازن زهير بن صُرَد كما سيأتي ، وأبو مروان - ويقال أبو ثروان أوله مثلثة بدل الميم ويقال بموحدة وقاف - وهو عم النبي ﷺ من الرضاعة ، ذكره ابن سعد . ومعنى استأنيت : استنظرت ، أي أخرت قسم السبي لتحضروا فأبطأتم ، وكان ترك السبي بغير قسمة وتوجه إلى الطائف فحاصرها كما سيأتي ، ثم رجع عنها إلى الجعرانة ثم قسم الغنائم هناك ، فجاءه وفد هوازن بعد ذلك ، فبين لهم أنه أخر القسم ليحضروا فأبطؤا ، وقوله (بضع عشرة ليلة) فيه بيان مدة التأخير . أ.هـ

٦٧٠ - * روى أبو داود عن أبي غالب نافع رحمه الله قال : قلت لأنسٍ : ياأبا حمزةَ ، غزوتَ مَعَ رسولِ الله ﷺ ؟ قال : نعم ، غزوتُ معه حُنَيناً ، فخرجَ المشركونَ ، فحَملوا علينا ، حتّى رأينا خَيْلَنا وراءَ ظُهورِنا ، وفي القوم رجلٌ يحملُ علينا ، فيدُقّنا ويَحْطِمُنا فهزمَهُم الله ، وجعل يجاءُ بهم فيُبايعونه على الإسلامِ ، فقالَ رجلٌ من أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ : إن عليَّ نَذراً إنْ جاء اللهُ بالرجلِ الذي كان منذُ اليومِ يَحْطمنا لأَضربَنَّ عُنُقَه ،

= استأنيتُ : أي : تأنَّيتُ وتوقفتُ وانتظرتُ .

٦٧٠ - أبو داود مطوّلاً (٣ / ٢٠٨) ، كتاب الجنائز ، باب أين يقوم الإمام من الميت إذا صلى عليه . وهو حديث صحيح.

أومضت : الإيماض : الإشارة ، من أومضَ البرقُ : إذا لمع ، وهو كما سبق في خائنة الأعين .

فسكتَ رسولُ الله ﷺ ، وجيء بالرجلِ ، فلما رأى رسولَ الله ﷺ ، قالَ : يارسولَ الله تُبْتُ إلى اللهِ ، فأمْسَكَ رسولُ الله ﷺ لايبايعه لِيَفيَ الآخر بنذرِه ، قال : فجعل الرجل يتصدّى لرسولِ اللهِ ﷺ ليأمرَه بقتلِه ، وجعلَ يهابُ رسولَ الله ﷺ أن يقتلَه ، فلما رأى رسولُ الله ﷺ أنه لايصنع شيئاً بايَعه ، فقال الرجلُ : يارسولَ الله ، نَذْري ، فقال : « إني لم أُمْسكْ عنه منذُ اليومَ إلا لتَوفِيَ بنذرِكَ » ، فقال : يارسولَ الله ، ألا أوْمضْتَ إليَّ ؟ فقال النبي ﷺ : « إنه ليس لنبي أن يُومِضَ » .

* * *

فصل : في غزوة أوطاس

٦٧١ - * روى البخاري ومسلم عن أبي مُوسَى الأشْعري رَضِيَ اللهُ عنه قَالَ : لمَّا فَرغَ النبيُّ ﷺ من حُنَينٍ بَعَث أَبَا عَامرٍ عَلَى جَيْشٍ إِلَى أَوْطَاسٍ ، فَلَقِيَ دُرَيدَ بنَ الصِّمَّةِ ، فقُتِلَ دُرَيْدٌ ، وَهَزَمَ اللهُ أصحابَه ، فقَال أبو مُوسَى : وَبَعثني مَعَ أَبِي عَامِرٍ ، فَرُمي أَبُو عَامِرٍ في رُكْبَتِه ، رَمَاهُ جُشَمِيٌّ بسهمٍ ، فَأَثبتَهُ فِي رُكْبَتِهِ ، فَانْتَهَيْتُ إِلَيْهِ ، فَقُلتُ : يَاعَمٍّ ، مَنْ رَمَاكَ ؟ فَأَشَارَ إِلَى أَبِي مُوسَى فَقَالَ : ذَاكَ قَاتِلي الَّذي رَمَانِي ، فَقَصَدْتُ لَهُ فَلَحِقْتُهُ ، فَلَمَّا رَآنِي وَلَّى ، فَاتَّبعتُه وَجَعَلْتُ أَقولُ لَهُ : أَلاَ تَسْتَحي ؟ أَلاَ تَثْبُتُ ؟ فَكَفَّ ، فَاخْتَلَفْنَا ضَرْبَتَيْنِ بالسَّيْفِ ، فَقَتَلْتُه ، ثُمَّ قُلتُ لأَبِي عَامِرٍ : قَتَلَ اللهُ صَاحِبَك ، قَالَ : فَانزِعْ هٰذا السَّهْمَ ، فَنَزَعْتُه ، فَنَزَا منه الماء ، قَالَ : يَاابنَ أَخِي ، أَقرِئِ النبيَّ ﷺ السَّلاَمَ ، وقُلْ لَهُ : اسْتَغْفِرْ لِي . واسْتَخْلَفَنِي أَبُو عَامرٍ عَلَى النَّاسِ ، فَمَكَثَ يَسِيراً ثُمَّ مَاتَ ، فَرَجَعْتُ ، فَدَخَلْتُ عَلى النبيِّ ﷺ في بَيْتِهِ عَلَى سَريرٍ مُرْمَلٍ وَعَلَيْهِ فِرَاشٌ قَدْ أَثَّرَ رِمَالُ السَّرِيرِ بظَهْرِهِ وجَنْبَيْه ، فَأَخْبَرتُه بِخَبَرِنَا وَخَبَرِ أَبِي عَامِرٍ ، وقَال : قُلْ لَهُ : اسْتَغْفِرْ لي ، فَدَعَا بَماءٍ ، فَتوضَّأَ ، ثمَّ رَفَعَ يَدَيْه ، وقَالَ : « اللهمَّ اغفِرْ لِعُبَيْدٍ ، أَبي عَامرٍ» ورَأيتُ بَيَاضَ إبطَيْه ، ثمَّ قَالَ : « اللهمَّ اجْعَلْهُ يَومَ القِيَامَةِ فَوقَ كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِكَ مِنَ النَّاسِ » فَقُلتُ : وَلِيَ فاسْتَغفِرْ فَقَالَ : « اللَّهمَّ اغْفِرْ لعبدِ اللهِ بنِ قَيْسٍ ذَنْبَهُ ، وَأَدْخِلْهُ يومَ القِيَامَةِ مُدْخَلاً كَرِيماً » قالَ أَبُو بُردَةَ : إِحْدَاهُما لأَبِي عَامِرٍ ، والأُخْرَى لأَبِي مُوسَى .

---

٦٧١ - البخاري (٨ / ٤١) ٦٤ - كتاب المغازي - ٥٥ - باب غزاة أوطاس .

ومسلم بنحوه (٤ / ١٩٤٣) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٣٨ - باب من فضائل أبي موسى وأبي عامر الأشعريين ، رضي الله عنهما .

فَأَثبَتَهُ : أي : حَبَسه بالطعنة التي طعنها ، أو الرمية .

فنزا : نزا منه الماءُ ، أي : وثب ، يعني : خرج الماء من جرحه .

على سرير مُرْمَل : قد نُسِجَ وجهه بالسَّعَف ، يقال : أرملتُ النَّسيج أرمُلُه : إذا باعدت بين الأشياء المنسوج بها ، فهو مُرمَل ، ورماله : مانسج في وجهه من ذلك ، ويقال : رَملتُه لغة في أرْمَلْتُه .

، ورمَّلته : شدد للكثرة ، والرِّمال - بكسر الراء - بمعنى مرمول ، وهو جمع رمل ، كقوله تعالى : ﴿ هٰذا خَلْقُ الله ﴾ أي ، مخلوقه .

وَفي لفظِ مُسْلِمٍ [١] وَرَماهُ رَجُلٌ مِنْ بَني جُشَم وَفيهِ : فَلَمَّا رَآنِي وَلَّى عنّي ذَاهِباً ، فَلَحِقْتُه ، فجَعَلْتُ أَقولُ لَه : ألا تَسْتَحِي ؟ أَلَسْتَ عربيّاً ؟ ألا تَثْبُتُ ؟ وَفيهِ : انْطلِقْ إلى رَسُولِ الله ، فأقرِئْه مِنّي السّلامَ ، وقُلْ لهُ : يقولُ لكَ : اسْتَغْفِرْ لِي .

قال ابن حجر : (غزوة أوطاس) قال عياض : هو واد في دار هوازن ، وهو موضع حرب حنين انتهى . وهذا الذي قاله ذهب إليه بعض أهل السِّيَر ، والراجح أن وادي أوطاس غير وادي حنين ، ويوضح ذلك ماذكر ابن إسحاق أن الوقعة كانت في وادي حنين ، وأن هوازن لما انهزموا صارت طائفة منهم إلى الطائف وطائفة إلى بجيلة وطائفة إلى أوطاس ، فأرسل النبي ﷺ عسكراً مقدمهم أبو عامر الأشعري إلى من مضى إلى أوطاس كا يدل عليه حديث الباب ، ثم توجه هو وعساكره إلى الطائف .

وروى البزار في مسند أنس بإسناد حسن مايشعر بأن قاتل دُريد بن الصِّمَّة هو الزبير ابن العوام ولفظه (لما انهزم المشركون انحاز دريد بن الصمة في ستمائة نفس على أكمة فرأوا كتيبة ، فقال حلوهم لي ، فحلوهم فقال : هذه قضاعة ولا بأس عليكم ، ثم رأوا كتيبة مثل ذلك ، فقال : هذه سليم ، ثم رأوا فارسا وحده فقال : حلوه لي ، فقالوا معتجر بعمامة سوداء ، فقال : هذا الزبير بن العوام وهو قاتلكم ومخرجكم من مكانكم هذا ، قال فالتفت الزبير فرآهم فقال : علام هؤلاء ههنا ؟ فمضى إليهم ، وتبعه جماعة فقتلوا منهم ثلاثمائة ، فحزّ رأس دريد بن الصمة فجعله بين يديه) ويحتمل أن يكون ابن الدغنة كان في جماعة الزبير فباشر قتله فنسب إلى الزبير مجازا ، وكان دريد من الشعراء الفرسان المشهورين في الجاهلية ، ويقال إنه كان لما قتل ابن عشرين ـ ويقال ابن ستين ـ ومائة سنة .

وعند ابن عائذ والطبراني في (الأوسط) من وجه آخر عن أبي موسى الأشعري بإسناد حسن (لما هزم الله المشركين يوم حنين بعث رسول الله ﷺ على خيل الطلب أبا عامر الأشعري وأنا معه فقتل ابن دريد أبا عامر ، فعدلت إليه فقتلته وأخذت اللواء) الحديث .

* * *

---

(١) مسلم (٤ / ١٩٤٣) ٤٤ ـ كتاب فضائل الصحابة ـ ٣٨ ـ باب من فضائل أبي موسى وأبي عامر الأشعريين رضي الله عنهما .

فصل : في غزوة الطائف

قَالَ البُخَارِيُّ : فِي شَوَّالَ سَنَةَ ثَمانٍ ، قَالَهُ مُوسَى بنُ عُقبةَ .

٦٧٢ - * روى البخاري ومسلم عن عبد اللهِ بن عمرَ رضي الله عنهما قال : لمَّا حاصَر رسولُ الله ﷺ الطائف فلم يَنَلْ منهم شيئاً ، قال : « إنَّا قافِلون إن شاء الله » فَثَقُلَ عليهم ، وقالوا : نذهب ولانفتحُه ، وقال مرة : « نَقْفُلُ » ، فقال : « أُغدُوا على القتال » فغَدَوْا ، فأصابهم جِراح ، فقال : « إنَّا قافلون غداً إن شاء الله » فأعجبهم ، فضحكَ النبيُّ ﷺ وقال سفيان مرةً : فتبسَّم .

وفي رواية نحوه [1] ، وفيه فقالوا : لانبرحُ أو نفتحها . وفيه فقاتَلوهم قِتالاً شديداً ، وكَثُر فيهم الجراحاتُ .... الحديث .

قال ابن حجر في الفتح : في مرسل ابن الزبير عند ابن أبي شيبة قال (لما حاصر النبي ﷺ الطائف قال أصحابه : يارسول الله أحرقتنا نبال ثقيف فادع الله عليهم ، فقال : « اللهم اهد ثقيفا ») وذكر أهل المغازي أن النبي ﷺ لما استعصى عليه الحصن وكانوا قد أعدوا فيه مايكفيهم لحصار سنة ورموا على المسلمين سكك الحديد المحماة ورموهم بالنبل فأصابوا قوما ، فاستشار نوفل بن معاوية الديلي فقال : هم ثعلب في جحر إن أقمت عليه أخذته وإن تركته لم يضرك ، فرحل عنهم وذكر أنس في حديثه عند مسلم أن مدة حصارهم كانت أربعين يوما ، وعند أهل السير اختلاف قيل عشرين يوما وقيل بضع عشرة وقيل ثمانية عشر وقيل خمسة عشر . قوله (إنا قافلون) أي راجعون إلى المدينة . قوله (فثقل عليهم) بين سبب ذلك بقولهم (نذهب ولانفتحه) وحاصل الخبر أنهم لما أخبرهم بالرجوع بغير فتح لم يعجبهم ، فلما رأى ذلك أمرهم بالقتال فلم يفتح لهم فأصيبوا بالجراح لأنهم رموا عليهم من أعلى السور فكانوا ينالون منهم بسهامهم ولاتصل السهام إلى من على السور ، فلما

---

٦٧٢ - البخاري (٨ / ٤٤) ٦٤ - كتاب المغازي -٥٦ - باب غزوة الطائف في شوال سنة ثمان .

ومسلم نحوه (٣ / ١٤٠٢) ٣٢ - كتاب الجهاد والسير - ٢٩ - باب غزوة الطائف .

(١) البخاري (١٠ / ٥٠٣) ٧٨ - كتاب الأدب - ٦٨ - باب التبسم والضحك .

رأوا ذلك تبين لهم تصويب الرجوع ، فلما أعاد عليهم القول بالرجوع أعجبهم حينئذ ، ولهذا قال : فضحك » وقوله (وقال سفيان مرة : فتبسم) هو ترديد من الراوي .

وقد ذكر ابن هشام أن عدد من استشهد في حصار الطائف اثنا عشر رجلاً .

* * *

فصل : في إسلام كَعْبِ بن زُهَيْر

٦٧٣ - * روى الطبراني عن مُحمد بن إسْحاقَ قال : لَمَّا قَدِمَ رَسُول اللهِ ﷺ المدينةَ مُنْصَرَفَه مِنْ الطَّائِفِ ، كَتَبَ بُجَيْرُ بنُ زُهَيْرِ بْنِ أَبِي سُلْمَى إِلَى أَخِيهِ كَعْب بن زُهَيْر بن أَبِي سُلْمَى ، يُخْبِرُهُ أَنَّ رَسُول اللهِ ﷺ قَتلَ رجالاً بمكةَ مِمَّن كَانُواْ يَهْجُوه ويُؤْذيه ، وأَنَّه بَقِيَ من شُعَرَاء قُرَيْشٍ ابنُ الزِّبعرى وهُبَيْرةُ بنُ أبي وَهْبٍ قَدْ هَرَبُوا فِيْ كُلِّ وَجه ، فَإِنْ كَانَتْ لَكَ في نَفْسِك حَاجَةٌ فَفِرَّ إلى رَسُولِ الله ﷺ فَإِنَّه لايَقْتُلُ أَحَداً جَاءه تَائِباً وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَانْجُ ولاَ نَجاةَ لَكَ . وقَدْ كَانَ كَعْبٌ قَالَ أَبْيَاتاً نَالَ فيها مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَلَمَّا بَلَغ كَعْباً الكِتَابُ ضَاقَتْ بِهِ الأَرْضُ وَأَشْفَقَ عَلى نَفْسِهِ ، وَأَرْجَفَ بِهِ مَنْ كانَ حَاضِرَهُ مِنْ عَدُوّه ، فَلَمَّا لم يَجِدْ مِنْ شيءٍ بُدًّا ، قَالَ قَصِيدَتَهُ التي يَمْدَحُ فِيها رَسُولَ اللهِ ﷺ يَذْكُر خَوْفَه وإرْجَافَ الوُشَاةِ بِهِ ، ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى قَدِمَ المَدِينَةَ فنزل على رَجُلٍ كانت بَيْنَهُ وَبينَه مَعْرِفَةٌ من جُهَيْنَةَ - كَمَا ذُكِرَ لي فَغَدا بِهِ إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ حِينَ صلَّى الصُّبْحَ ، فَصَلَّى مَعَ النَّاسِ ثُمَّ أَشَارَ لَه إلىَ رَسُول اللهِ ﷺ ، وَقَال : هٰذَا رَسُول الله ﷺ فَقُمْ إليه ، فاسْتَأْمِنْهُ فَذَكَرَ لي أَنَّه قَامَ إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، حَتَّى وَضَعَ يَدَه فِي يَدِهِ ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لا يَعْرِفُه ، فَقَالَ : يارَسُولَ الله ، إنَّ كَعْبَ بن زُهَيرٍ جَاءَ لِيَستأْمِنَ مِنْكَ تَائبا مُسْلِما فَهَلْ أَنْتَ قَابِلٌ مِنْهُ إن أَنَا جِئْتُكَ بِهِ ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « نعم » فَقَالَ : يَارَسُولَ اللهِ ، أَنا كَعبُ بنُ زُهَيرٍ . قَالَ ابنُ إسحاقَ : فَحدَّثني عَاصِمُ بنُ عُمَر بنِ قَتَادةَ قَالَ : وَثَبَ عَلَيه رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَقَالَ : يَارَسُولَ اللهِ دَعْني وَعَدوَّ اللهِ أَضْرِبُ عُنقَه فَقَال رَسُولُ اللهِ ﷺ « دَعْهُ عَنْكَ فإِنَّه قَدْ جَاءَ تَائِباً نَازِعا » فَغَضِبَ عَلَى هٰذَا الحيِّ مِنَ الأَنْصارِ لِمَا صَنَع بِهِ صَاحِبهُم ، وذٰلك أنَّه لَمْ يَتكَلَّم فِيهِ رَجلٌ مِنَ المَهَاجِرينَ إلا بخَيْرٍ فَقَالَ قَصيدَتَهُ التي قالها حِينَ قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ .(وذكر أبياتاً : سترد برواية الحاكم) . قَالَ ابنُ إسْحَاقَ : فَحدَّثني عَاصِمُ بنُ عُمَر بنِ قَتَادَةَ قَالَ : فَلَمَّا قَالَ : (السُّودَ التنابيل) وَإنَّما أَرَادَ مَعْشَرَ الأَنْصَارِ لِمَا كَانَ صَاحِبُهم

---

٦٧٣ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٣٩٢) ، وقال : رواه الطبراني ، ورجاله إلى ابن إسحاق ثقات .

أقول : فالحديث منقطع لكن له شواهد ، ومن شواهده ماأخرجه الحاكم بأسانيد صحَّحَ بعضها وسكت عنها الذهبي . سنذكرها فيا بعد إن شاء الله .

=

صَنع ، وخَصَّ المُهاجِرينَ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِمَدْحَتِهِ ، غَضِبَتْ عَلَيْهِ الأَنْصَارُ فَبَعْدَ أَنْ أَسْلَمَ أَخَذَ يَمْدَحُ الأَنْصَارَ وَيَذْكُرُ بَلاءَهُم مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَمَوْضِعَهم مِنَ النبيِّ ﷺ :

مَنْ سَرَّهُ كَرَمُ الحياةِ فلا يزَلْ ... في مِقْنَبٍ مِنْ صالحي الأنصارِ

وَرِثُوا المكارمَ كابراً عن كابرٍ ... إن الخيارَ هُمُ بنو الأخيارِ

المُكْرِهين السَّمْهريَّ بأَذْرُعٍ ... كَسَوالِفِ الهِنديِّ غيرِ قصارِ

والناظرين بأعيُنٍ مُحْمَرَّةٍ ... كالجمْرِ غيرِ كليلةِ الإبصارِ

يتطهَّرون يَرَوْنَه نُسُكاً لَهُمْ ... بدماءِ مَنْ عَلِقوا من الكفَّارِ

دَرِبوا كما دَرِبَتْ ببطْنِ خَفِيَّةٍ ... غُلْبُ الرِّقابِ من الأُسُودِ ضَوَاري

روايات الحاكم :

٦٧٤ - * روى الحاكم عن مُوسَى بنِ عُقْبَةَ قال : أنشَدَ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وآلِهِ وسَلَّم كعبُ بْنُ زُهَيْر (بانَتْ سُعَاد)في مَسْجِدِهِ بِالمدينَةِ فلَمَّا بَلَغَ قَولَه :

إنَّ الرَّسُولَ لَسَيْفٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ ... وَصَارِمٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ مَسْلُولُ

فِيْ فِتْيَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَالَ قَائِلُهُم ... بِبَطْنِ مَكَّةَ لَمَّا أَسْلَمُوا زُولُوا

أَشَارَ رَسُولُ اللهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِه وَسَلَّم بكُمِّه إلى الخَلْقِ ليسْمعُوا مِنْهُ قَالَ : وَقَدْ كَان

= المِقْنَب : الجماعة من الخيل . يريد به القوم على ظهور جيادهم .

السمهري : الرمح .

وسوالف الهندي : يريد حواشي السيوف ؛ وقد يراد به الرماح أيضاً لانها قد تنسب إلى الهند .

دربوا : تعودوا .

وخفية : اسم مأسدة .

وغُلْبُ الرقاب : غلاظ الأعناق .

وضواري : متعودات الصيد والافتراس .

٦٧٤ - المستدرك (٣ / ٥٨٢) ، وقال : هذا حديث له أسانيد قد جمعها إبراهيم بن المنذر الحزامي ، فأما حديث محمد بن فُلَيْح عن موسى بن عقبة ، وحديث الحجاج بن ذي الرقيبة ، فإنهما صحيحان .

بُجيْرٌ بن زُهَيْرٍ كَتبَ إلَى أَخِيـه كَعْبِ بنِ زُهَيْرِ بنِ أبي سُلْمَى يُخَوِّفُـه وَيـدْعُوه إلى الإسْلاَم وَقَالَ فِيها أَبْيَاتاً :

مَنْ مُبْلِغٌ كَعْباً فَهَـلْ لَـكَ فِي الَّتِي ... تَلُـومُ عَلَيْهـا بـاطِـلاً وهْيَ أحْـزَمُ

إلى اللهِ لا العَـزَّى وَلاَ الـلاتِ وَحْـدَهُ ... فَتَنْجُـو إذَا كَـان النِجَـاءُ وَتَسْلَمُ

لَـدَى يَـوْمٍ لا يَنْجُـو وليسَ بِمُفْلِت ... مِنَ النـارِ إلا طَـاهِرُ القَلبِ مُسْلِمُ

فَـدِينُ زُهَيْرٍ وَهْـوَ لاشَيء بـاطِـلٌ ... وَدِينُ أَبي سُلْمَى عَلَيَّ مُحَرَّمُ

٦٧٥ ـ * روى الحاكم عن عبد الرحمن بن كعب بن زهير قـالَ : خَرَجَ كَعْبٌ وَبُجَيْرٌ ابنـا زُهَيْر ، حتَّى أتيا أبرَقَ العزَّاف فقَالَ بجيرٌ لِكعْب : اثْبُتْ في عجل هٰذا المكانِ حتَّى آتيَ هٰذا الرجُلَ يَعْنِي رَسُولَ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْـه وآلـهِ وَسَلَّم فَـأَسْمَعْ مَـايقـول ، فَثَبتَ كعب ، وَخَرجَ بجيرٌ فَجَاءَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَآلِهِ وَسَلَّم فعَرَضَ عَليهِ الإسْلاَمَ فَـأَسْلَمَ فَبَلَغ ذلـك كَعْبـاً فَقَالَ :

أَلاَ أَبْلِغَـا عَنِّي بُجيراً رِسَـالَـةً ... عَلَى أَيِّ شَيْءٍ وَيْبَ غَيرك دَلَّكَـا

عَلَى خُلُـقٍ لَمْ تُلْفَ أُمّـا ولاَ أَبَـا ... عَلَيْـهِ وَلَمْ تُـدْرِكْ عَلَيْـهِ أخـاً لكا

سَقَـاكَ أَبـو بَكْرٍ بِكَـأسٍ رَوِيَّـةٍ ... وَأَنْهَلَـكَ المَـأْمُـونُ مِنْهـا وَعَلَّكا

فلما بلغت الأَبيَـاتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليـه وآلـه وسلم ، أَهْـدَرَ دَمَهُ فَقَالَ : « مَنْ لَقِيَ كَعْباً فَلْيَقْتُلْه » فكَتَبَ بذلِكَ بجير إلَى أخيه يذكُر لَـهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى الله عليـه وآلـه وسلم قَدْ أَهْدَر دَمَهُ وَيقُولُ لَهُ : النَّجا وَمَـا أَرَاكَ تُفْلِتُ . ثُمَّ كَتَبَ إليـه بعـدَ ذلِـكَ : اعلَم أنَّ رسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم لايَأْتيه أحَدٌ يَشْهَـدُ أَنْ لاَإلَـهَ إلا اللهُ وَأَنَّ مُحمـداً رسُولُ اللهِ إلاّ قَبِلَ ذٰلِك ، فَإذَا جاءَكَ كِتَابِي هٰذا فَأَسْلِمْ وَأَقْبِلْ . فَأَسْلَمَ كَعَبٌ ، وَقَال القَصِيدَةَ التِي يَمْدَحُ فِيها رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلم ، ثمَّ أقبَل حَتَّى أَنَـاخَ رَاحِلَتَـه بِبَـابِ مَسْجِـدِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم ، ثُمَّ دَخَلَ المَسْجِد ورسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيـهِ وآلِـهِ وَسَلَّم مَعَ أَصْحَابه مكَانَ المائِدَةِ مِنَ القَوْمِ ، مُتَحلِّقُونَ مَعَهُ حَلَقَـةً دُونَ حَلَقَـةٍ يلْتفِت إلى هٰؤلاءِ مَرَّةً

---

٦٧٥ ـ المستدرك (٣ / ٥٧٩) بأسانيد متعددة ، صحح بعضها ، وسكت الذهبي عنها . =

فَيُحدِّثهم وَإلى هَؤُلاء مرةً فَيُحدِّثهم قَالَ كَعْبٌ : فأَنَخْتُ رَاحِلَتِي بِبَابِ المَسْجِدِ فَعَرفْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم بالصِّفَةِ ، فَتَخَطَّيْتُ حَتى جَلَسْتُ إِلَيهِ فَأَسْلَمْتُ فَقُلتُ : أَشْهدُ أنْ لا إِلَه إلا الله وأنَّكَ رَسُولُ اللهِ الأَمَانَ يَارَسُول اللهِ . قَالَ : « وَمَنْ أَنتَ ؟ » قُلْتُ : أَنَا كَعْبُ بنُ زُهَيْرٍ ، قَالَ : « أَنت الذِي تَقُولُ » ثمَّ التَفَتَ إلى أَبِي بَكْرٍ فَقَال : « كَيْفَ قَال يَاأَبَا بكرٍ ؟ » فَأَنْشَدَهُ أَبو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عنه :

سَقَاكَ أَبُو بَكْرٍ بَكَأْسٍ رَوِيَّةٍ وَأَنْهَلَكَ المَأْمُورُ مِنْهَا وَعَلَّكَا

قَالَ : يَارَسُولَ اللهِ مَا قُلْتُ هٰكذا قال : « وَكيف قُلْتَ ؟ » قال : إِنَّمَا قُلْتُ :

سَقَاكَ أَبُو بَكْرٍ بِكَأْسٍ رَوِيَّةٍ وَأَنْهَلَكَ المَأْمُونُ مِنهَا وَعَلَّكَا

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم : « مَأْمُونٌ وَاللهِ » ثُمَّ أَنْشَدَه القَصِيدة كُلَّهَا حَتَّى أَتى عَلَى آخِرِهَا وَأَمْلأَهَا عَلى الحَجَّاجِ بنِ ذي الرقيبة حتَّى أتى عَلَى آخرهَا ، وَهِيَ هٰذِهِ القَصِيدَة :

١ - بَانَتْ سُعَادُ فقلبي اليومَ مَتْبُولُ مُتَيَّمٌ إِثْرَهَا لم يُفْدَ مَكْبُولُ
٢ - ومَاسعَادُ غداةَ البَيْنِ إِذْ رحلوا إلا أَغَنُّ غَضِيضُ الطَّرْفِ مَكْحُولُ
٣ - تَجْلُو عوارِضَ ذي ظَلْمٍ إذا ابتسمت كأنَّه مُنْهَلٌ بِالرَّاحِ مَعْلُولُ
٤ - شجت بذي شبَمٍ من مَاء محنيةٍ صافٍ بأبطحَ أضحَى وهُوَ مَشْمُولُ

= (١) بانت : فارقت فراقا بعيدا . وسعاد : اسم امرأة . وقيل (كما في الزرقاني) : هي امرأته وبنت عمه ، خصها بالذكر لطول غيبته عنها ، لهروبه من النبي ﷺ . ومتبول : أسقمه الحب وأضناه . ومتيم : ذليل مستعبد . ولم يفد : لم يخلص من الأسر .

(٢) الأغن : (هنا) : الظبي الصغير الذي في صوته غنة ، وهي صوت يخرج من الخياشيم ، وغضيض الطرف : فاتره . ومكحول : من الكحل وهو سواد يعلو جفون العين من غير اكتحال .

(٣) تجلو : تصقل وتكشف . والعوارض : جمع عارض أو عارضة ، وهي الأسنان كلها ، أو الضواحك خاصة ، أو هي من الأنياب . والظلم : ماء الأسنان وبريقها ، أو رقتها وبياضها . والمنهل : المسقى ، من أنهله ، إذا سقاه النهل وهو الشرب الأول . والراح : الخمر : ومعلول : من العلل وهو الشرب الثاني .

(٤) شجت : مزجت حتى انكسرت سورتها وذو شبم : ماء شديد البرد . والمحنية : منعطف الوادي وخصه لأن ماءه أصفى وأبرد . والأبطح : المسيل الواسع الذي فيه دقاق الحصى ، وماء الأباطح عندهم معروف بصفائه . وأضحى : =

٥ ـ تَنْفِي الرياحُ الْقَذَى عنهُ وأَفرَطَهُ ... من صَوْبِ غـاديـةٍ بيضٌ يَعـاليـلُ

٦ ـ فيـالَهـا خُلَّـةً لـو أنهـا صَـدَقَتْ ... بـوعـدهـا أولـو أن النُّصحَ مَقبـولُ

٧ ـ لكنهـا خُلَّـةٌ قـد سِيـط من دمهـا ... فَجْـعٌ ووَلْـعٌ وإخـلافٌ وتبـديـلُ

٨ ـ فـا تـدوم على حـال تكـون بهـا ... كما تَلَـوَّنُ في أثـوابهـا الغُـولُ

٩ ـ وما تَمَسَّك بالعهـد الـذي زعمَتْ ... إلا كما يُمْسِـكُ المـاءَ الغرابيـلُ

١٠ ـ فلا يغرَّنْكَ مامَنَّت ومـاوَعَـدت ... إنّ الأمـانيّ والأحـلامَ تضليـلُ

١١ ـ كانتْ مواعيـدُ عُرْقوبٍ لهـا مثلا ... ومـامـواعيـدُهـا إلا الأبـاطيـلُ

١٢ ـ أرجو وآمُـل أن تـدنـو مـودَّتُهـا ... ومـاإخـالُ لـدينـا منـكِ تَنْـويـلُ

١٣ ـ أمْسَتْ سُعـاد بـأرض لايُبَلِّغهـا ... إلا العتـاقُ النَّجيبـات المراسيـلُ

١٤ ـ ولنْ يُبَلِّغهـا إلا عُـذافِرة ... لهـا على الأَيْن إرقـالٌ وتَبْغيـلُ

١٥ ـ من كل نَضّاخـة الـذفْري إذا عَرِقت ... عُرْضَتُهـا طـامس الأعـلام مجهـولُ

= أخذ في وقت الضحى قبل أن يشتد حر الشمس . والمشمول : الذي ضربته ريح الشمال حتى برد ، وهي أشد تبريداً للماء من غيرها .

(٥) القذي : مايقع في الماء من تبن أو عود أو غيره مما يشوبه ويكدره . وأفرطه : سبق إليه وملأه . والصوب : المطر . والغادية : السحابة تمطر غدوة ، ويروى « سارية » وهي السحابة تأتي ليلا . واليعاليل : الحباب الذي يعلو وجه الماء . وقيل المراد بالبيض اليعاليل : الجبال الشديدة البياض ينحدر عليها ماء المطر ، ثم يسيل إلى الأباطح .

(٧) سيط : أي خلط بلحمها ودمها هذه الصفات المذكورة في البيت .

والفجع : الإصابة بالمكروه كالهجر ونحوه . والولع والولعان : الكذب . والإخلاف : خلف الوعد .

(٨) الغول : ساحرة الجن ، في زعمهم . يزعمون أن الغول ترى في الفلاة بألوان شتى ، فتأخذ جانباً عن الطريق ، فيتبعها من يراها ، فيضل عن الطريق فيهلك .

(٩) ولاتمسك : يشبه تمسكها بالعهد بإمساك الغرابيل للماء ، مبالغة في النقض والنكث وعدم الوفاء بالعهد ، لأن الماء بمجرد وضعه في الغربال يسقط منه .

(١١) عُرْقُوب : رجل اشتهر عند العرب بإخلاف الوعد ، فضرب به المثل في الخلف .

(١٢) التنويل : العطاء ، والمراد به (هنا) : الوصل .

(١٣) العتاق : الكرام ؛ الواحد : عتيق والنجيبات : جمع نجيبة ، وهي القوية الخفيفة . المراسيل : السريعة .

(١٤) العذافرة : الناقة الصلبة العظيمة . والأين : الإعياء والتعب . والإرقال : والتبغيل : ضربان من السير السريع : يقول : لايبلغ تلك الأرض إلا ناقة عظيمة قوية على السير .

(١٥) النضاخة : الكثيرة رشح العرق . والذفري : النقرة التي خلف أذن الناقة ، وهي أول مايعرق منها . وعرضتها : همتها . وطامس الأعلام : الدارس المتغير من العلامات التي تكون في الطريق ليهتدى بها . =

١٦ ـ ترمي النِّجادَ بعَيْنَيْ مُفردٍ لَهِقٍ ... إذا توقَّدتِ الحِزَّانُ والمِيلُ

١٧ ـ حَرْفٌ أخوها أبوها من مُهَجَّنةٍ ... وعمُّها خالُها قَوْداءُ شِمْليلُ

١٨ ـ يَمْشي القُرادُ عليها ثم يُزْلِقُهُ ... مِنْها لَبانٌ وأَقْرابٌ زَهاليلُ

١٩ ـ عَيْرانَةٌ قُذِفتْ بالنَّحض عن عُرُضٍ ... مِرْفَقُها عَنْ بَناتِ الزَّورِ مفتُولُ

٢٠ ـ كأنَّما فاتَ عَيْنيها ومَذْبَحها ... من خَطْمِها ومن اللَّحْيَيْن بِرْطِيلُ

٢١ ـ تُمِرُّ مثلَ عَسيبِ النخْلِ ذا خُصَلٍ ... في غارزٍ لم تُخَوِّنْهُ الأحاليلُ

٢٢ ـ قَنْواءُ في حُرَّتَيْها لِلْبَصير بها ... عِتْقٌ مُبينٌ وفي الخَدَّين تَسْهيلُ

٢٣ ـ تَخْدِي على يَسَراتٍ وهْيَ لاحِقَةٌ ... ذَوابِلٍ مَسُّهُنَّ الأرضَ تَحليلُ

= (١٦) اللهِقُ : الأبيض ، والحِزَّانُ : الأمكنة الغليظة الصلبة تكثر فيها الحصباء ، وهي جمع حزيز . والميل (بالكسر) : جمع (ميلاء) بالفتح ، وهي العقدة الضخمة من الرمل .

(١٧) الحرف : (في الأصل) : القطعة الخارجة من الجبل ، شبه الناقة بها في القوة والصلابة والحرف (أيضاً) الناقة الضامرة . وأخوها أبوها والمهجنة : الكريمة الأبوين من الإبل ، والقوداء : الطويلة الظهر والعنق . وهي من صفات الإبل التي تمدح بها . والشمليل : الخفيفة السريعة .

(١٨) يزلقه : من الانزلاق ، أي يسقطه . ومنها: أي عنها . واللبان (بالفتح) : الصدر وقيل : وسطه . والأقراب بالفتح الخواصر . والزهاليل : الملس ، جمع زهلول .

(١٩) العيرانة : الناقة المشبهة عير الوحش في سرعته ونشاطه وصلابته ، وهذا مما يستحسن في أوصاف الإبل . والنحض : اللحم وعن : بمعنى من . وعُرُض (بضمتين أو بضم فسكون) : جانب . والمراد هنا العموم . يريد أنها رميت باللحم من كل جانب من جوانبها . والمرفق : يريد المرفقين . والزور : الصدر ، وقيل : وسطه . وبنات الزور : مايتصل به مما حوله من الأضلاع وغيرها .

(٢٠) الخطم : الأنف وماحوله . واللحيان : العظمان اللذان تنبت عليهما الأسنان السفلى من الإنسان وغيره . والبرطيل : حجر مستطيل . والقاب المقدار .

(٢١) عسيب النخل : جريده الذي لم ينبت عليه الخوص ، فإن نبت عليه سمي سعفا . وذا خصل : يريد ذيلا له لفائف من الشعر . وفي غارز : أي على ضرع . ولم تخونه : لم تنقصه والأحاليل : مخارج اللبن ، جمع إحليل (بالكسر) .

(٢٢) القنواء : المحدودبة الأنف .

والحرتان : الأذنان .

والعتق : الكرم .

والمبين : الظاهر .

وتسهيل : سهولة ولين ، لاخشونة ولاحزونة وتجابة في خديها : سهولة وليونة .

(٢٣) تخدي : تسرع واليسرات : القوائم الخفاف . وهي لاحقة : أي والحال أنها لاحقة بالنوق السابقة عليها ، أو بالديار البعيدة عنها . والذوابل : جمع ذابل ، وهي الرمح الصلب اليابس شبه قوائمها بها في الصلابة والشدة . ومَسُّهنّ : أي مس تلك اليسرات للأرض أووقعهن عليها . وتحليل :أي قليل لم يبالغ فيه ، يريد أن هذه الناقة سريعة في السير =

٢٤ ـ سُمْرِ العُجَايات يَتْرُكنَ الحصَى زِيَماً ... لم يَقِهنَّ رُءوسَ الأُكْمِ تَنْعيـــلُ

٢٥ ـ كأنَّ أوبَ ذراعيها وقد عَرِقَتْ ... وقد تلفَّع بالقُورِ العَسَاقيـل

٢٦ ـ يوماً يظل به الحِرْباء مصْطَخِدا ... كأنَّ ضاحِيَة بالشَّمْسِ مَمْلُول

٢٧ ـ وقال للقَوْم حاديهم وقد جَعلت ... وُرْقَ الجَنادِب يَرْكُضْنَ الحَصا قِيلوا

٢٨ ـ شَدَّ النَّهارِ ذِرَاعا عَيْطلٍ نَصَف ... قامت فجاوبها نُكْدٌ مثَاكيل

٢٩ ـ نَوَّاحة رِخْوَة الضَّبعَيْن ليس لها ... لَمَّا نَعَى بكْرها الناعون مَعْقُول

٣٠ ـ تَسْعى الغُواة جَنَابَيْها وقولُهم ... إنك يا ابنَ أبي سُلْمى لَمَقْتُول

٣١ ـ فقُلت خلُّوا سبيلي لا أبَالكُم ... فكُلُّ ما قَدَّر الرحمنُ مفعُول

٣٢ ـ كل ابنِ أُنثى وإن طالت سلامته ... يوماً على آلة حَدْباء مَحْمُول

٣٣ ـ نبئتُ أنَّ رسولَ الله أوعَدني ... والعَفو عند رسولِ الله مأمولُ

= بقوائمها . سريعة الرفع عن الأرض . كأنها لاتمسها إلا تحلة القسم ، فهي في غاية الإسراع في سيرها .

(٢٤) العجايات : الأعصاب المتصلة بالحافر ؛ وقيل اللحمة المتصلة بالعصب المنحدر من ركبة البعير إلى الفرسن ، يشبه عصبها أو لحم قوائمها بالرماح السمر لقوته وصلابته . وزيما : متفرقا . والأكم : هي الأراضي المرتفعة . والتنعيل : شد النعل على ظفر الدابة ليقيها الحجارة .

(٢٥) الأوب (بالفتح) : سرعة التقلب والرجوع . وعرقت : أي وقت عرقها لالتعب ولا لإعياء ، لما تقدم من وصفها بالقوة والصلابة ، بل لشدة الحر . وتلفع : اشتمل والتحف . والقور (بضم القاف) . جمع قارة ، وهي الجبل الصغير . والعساقيل : السراب يصف سرعة ذراعي ناقته في وقت الهاجرة وانتشار السراب فوق صغار الجبال .

(٢٦) الحرباء (بالكسر) : ضرب من العظاء ، يستقبل الشمس حيثما دارت ، ويتلون بألوان الأمكنة التي يحل فيها . ومصطخدا : محترقا بحر الشمس . وضاحيه : مابرز للشمس منه ومملول : موضوع في الملة ، وهي الرماد الحار .

(٢٧) الحادي : السائق للإبل . والورق : جمع أورق أوورقاء ، وهو الأخضر الذي يضرب إلى السواد ؛ وقيل : الورقة : لون يشبه لون الرماد . والجنادب : جمع جندب : ضرب من الجراد . ويركضن الحصى : يحركنه بأرجلهن لقصد النزول ، بسبب الإعياء عن الطيران ، من شدة الحر . وقيلوا : أمر من قال يقيل قيلولة ، وهي الاستراحة في وقت شدة الحر .

(٢٨) شد النهار : وقت ارتفاعه ، وهو مبالغة في شدة الحر . والعيطل : الطويلة . والنصف : المتوسطة في السنّ ، والنُكْدُ : جمع نكداء ، وهي التي لايعيش لها ولد . والمثاكيل : جمع مثكال بالكسر ، وهي الكثيرة الثكل .

(٢٩) النواحة : الكثيرة النوح على ميتها . ورخوة الضبعين : مسترخية العضدين . والبكر بالكسر : أول الأولاد . والناعون : المخبرون بالموت ، النادبون له ، والمعقول (هنا) : العقل .

(٣٠) الغواة : المفسدون ، جمع غَاوٍ . جنابيها : حواليها ، تثنية جناب (بفتح الجيم) ومقتول : أي متوعد بالقتل ، لأن النبي ﷺ كان قد أهدر دمه .

(٣٣) نبئت : أخبرت . ويروى : (أنبئت) . وأوعدني : تهددني بالقتل . ومأمول : مرجو ومطموع فيه .

=

٣٤ ـ فقد أَتَيْتُ رَسول اللهِ معتذِرًا ... والعُذْرُ عند رَسُولِ اللهِ مَقبولُ

٣٥ ـ مَهلاً هداك الذي أعطاك نافِلَةَ الـ ... ـقرآنِ فيها مواعيظٌ وَتَفْصيلُ

٣٦ ـ لاتأخذنّي بأقْوال الوُشاة ولَمْ ... أُذْنِب ولو كثُرت فيّ الأقاويلُ

٣٧ ـ لقَد أقوم مقاماً لو يقُوم به ... أرَى وأسمعُ مالو يَسْمعُ الفيلُ

٣٨ ـ لظلَّ يَرْعَدُ إلا أنْ يكون له ... من الرَّسول بإذن الله تنْويلُ

٣٩ ـ حتى وضعتُ يَميني ماأُنازِعه ... في كفّ ذي نَقِمات قِيلُه القيلُ

٤٠ ـ فَلَهُوَ أخوفُ عندي إذ أكلّمه ... وقيل إنك منسوب وَمسئول

٤١ ـ من ضَيْغَمٍ بضَراء الأرض مُخدَرَهُ ... في بَطْن عَثّرغِيلٌ دُونَهُ غِيلُ

٤٢ ـ يَغْدُو فيُلْحِمُ ضِرْغامين عيشُها ... لحمٌ من الناسِ مَعْفُور خَراديلُ

= (٣٥) هداك : زادك هدى ، أو هداك الله للصفح والعفو عني ، فيكون على هذا داعيا لنفسه . والنافلة : الزيادة ، وسمي القرآن نافلة لأنه عطية زائدة على النبوة .

(٣٧) لقد أقوم : معناه : والله لقد أقوم مقاما ، فهو جواب قسم محذوف .

(٣٨) يرعد : تأخذه الرعدة ، ويصح بناؤه للمفعول . والتنويل : التأمين . والمعنى : لصار الفيل يضطرب ويتحرك من الفزع ، وإنما خصه بذلك لأنه أراد التعظيم والتهويل ، والفيل أعظم الدواب جثة وشأنا . إلا أن يكون له من الرسول بإذن الله تأمين يسكن به روعه ، وتثبت به نفسه .

(٣٩) حتى وضعت : أي فوضعت ولاأنازعه : أي حال كوني طائعا له ، راضيا بحكمه في ، غير منازع له ولامخالف . والنقمات (بفتح فكسر) جمع نقمة ، والمراد بصاحب النقمات : النبي ﷺ ، لأنه كان ينتقم من الكفار ، فكان شديد السطوة والإغلاظ فيهم . وقيله : قوله . والمراد أن قوله معتد به لكونه نافذا ماضيا . يشير بالبيت إلى حاله مع النبي ﷺ حين قدم عليه وهو في المسجد ، ووضع يده في يده يستأمنه .

(٤٠) أخوف : أشد إخافة وإرهابا . ومنسوب : أي إلى أمور صدرت منك .

(٤١) ضيغم : أسد . وضراءَ الأرض : الأرض التي فيها شجر .

والمخدر : غابة الأسد . وعَثّر : اسم مكان مشهور بكثرة السباع .

والغيل : الشجر الكثير الملتف .

وغيل دونه غيل : أي أجمة تقربها أجمة أخرى ، فتكون أُسْدُها أشد توحشا ، وأقوى ضراوة . يريد أن الرسول ﷺ أكثر هيبة من الأسود في عثر آجامها .

(٤٢) يغدو : يخرج في أول النهار يتطلب صيداً لشبليه .

أي يطعم . ويلحم : يطعمها اللحم .

والضرغام : الأسد ويريد بالضرغامين شبليه .

ومعفور : ملقى في العفر ، وهو التراب . ووصفه بذلك لكثرته وعدم اكتراثه به لشبعه .وخراديل : قطع صغار . يصف هذا الأسد بكثرة الافتراس ، وعظم الاصطياد .

=

٤٣ ـ إذا يُسـاوِر قِرنـاً لايَحِـلُّ لـه ... أن يترك القِرنَ إلا وهـو مَفْلُـول

٤٤ ـ منه تَظَـلّ سِباع الجو نـافرةً ... وَلاَ تَمشّي بـواديـه الأراجيـل

٤٥ ـ ولا يـزال بـواديـه أخـو ثِقَـةٍ ... مُضَرجُ البَزِّ والـدُّرسـانِ مَـأكُـول

٤٦ ـ إن الرسـولَ لنُـور يُستَضـاء بـه ... مُهَنَّـدٌ من سُيُـوفِ اللهِ مَسْلُـول

٤٧ ـ في عُصْبـة من قُريش قـال قـائلُهم ... بِبَطنِ مكـة لـمّـا أَسْلَمُـوا زُولُـوا

٤٨ ـ زالـوا فـمازال أنْكاسٌ ولاكُشُفٌ ... عنـد اللِّقـاء ولامِيـلٌ مَعـازيـل

= (٤٣) يساور : يواثب .

والقِرن : المقاوم في الشجاعة . وفي ذكر القرن إشارة في القوة إلى أن هذا الأسد لا يساور ضعيفاً ولا جبانا وإنما يساور مقاومه في الشجاعة ومساويه .

والمفلول : المكسور المهزوم .

(٤٤) الجو : اسم موضع ، أو هو ماتسع من الأودية ، أو مابين السماء والأرض .

ونافرة : بعيدة ، ويروى : (ضامزة) والضامز : الذي يمسك جرته بفيه ولايجتر . ويروى : (ضامرة) أي جياعا لعدم قدرتها على الاصطياد .

والأراجيل : الجماعات من الرجال ، وهو جمع أرجال ، وأرجال : جمع رجل ، ورجل : اسم جمع لراجل ، يصف هذا الأسد بالقوة ، حتى خافته السباع والناس .

(٤٥) أخو ثقة : الشجاع الواثق بشجاعته .

ومضرج : مخضب بالدماء .

والبز : السلاح .

والدرسان (بضم الدال) : أخلاق الثياب .

الواحد دريس . ومأكول : أي طعام لذلك الأسد . يريد أنه لايمر بوادي هذا الأسد شجاع إلا أكله وطرح ثيابه التي مزقها ، فلا يولع إلا بالشجعان ، ولايلتفت لغيرهم .

(٤٦) يستضاء به : يهتدى به إلى الحق .

والمهند : السيف المطبوع في الهند ، وسيوف الهند قديماً أحسن السيوف .

ومن سيوف الله : أي من سيوف عظمها الله بنيل الظفر والانتقام .

والمسلول : المخرج من غمده .

(٤٧) العصبة : الجماعة .

ويروى : « في فتية » جمع فتى ، وهو السخي الكريم .

وزولوا : فعل أمر من زال التامة ، أي تحولوا وانتقلوا من مكة إلى المدينة .

(٤٨) الأنكاس : جمع نكس (بالكسر) وهو الرجل الضعيف . والكشف (بضم فسكون وحرك للشعر) : جمع أكشف ، هو الذي لاترس معه ، أوهم الشجعان الذين لاينكشفون في الحرب ، أي لاينهزمون .

والميل : جمع أميل ، وهو الذي لاسيف له ، أو هو الذي لايحسن الركوب ، فيميل عن السرج .

والمعازيل : الذين لاسلاح معهم ، واحدهم معزال (بكسر الميم) .

=

٤٩ ـ شُمّ العَرانين أبْطـــال لَبُـوسُهم من نَسْـج داودَ في الهَيْجَـا سَرَابيــل

٥٠ ـ بيضٌ سَوابغُ قد شُكَّت لَهَا حَلَق كأنّهــا حَلَـقُ القَفْعـــاء مَجْـــدُول

٥١ ـ ليسُوا مَفاريحَ إن نـالت رمـاحُهُم قـومًـا وليسـوا مجـازيعـاً إذا نيلـوا

٥٢ ـ يَمْشُونَ مشْيَ الجمال الزُّهْرِ يَعْصِمُهم ضَرْبٌ إذا عَرَّدَ السُّـودُ التّنَـــابيــلُ

٥٣ ـ لاَيقَــعِ الطَّعْنُ إلا في نحُـــورهِمُ ومــالهم عن حيـاضِ الموتِ تَهليــل

* * *

= (٤٩) شم : جمع أشم ، وهو الذي في قصبة أنفه علو ، مع استواء أعلاه .

والعرانين : جمع عرنين ، وهو الأنف . وصفهم بهذا الوصف إما على الحقيقة لأن ارتفاع الأنف من الصفات المحمودة في خلق الإنسان ، وإما على المجاز ، يريد ارتفاع أقدارهم ، وعلو شأنهم .

واللبوس : ما يلبس من السلاح .

ونسج داود : أي منسوجه ، وهو الدروع .

والهيجا (بالقصر هنا) : الحرب .

والسرابيل : جمع سربال ، وهو القميص أو الدرع . ووصفها بأنها من نسج داود دليل على مناعتها .

(٥٠) بيض : مجلوة صافية مصقولة ، لأن الحديد إذا استعمل لم يركبه الصدأ .

والسوابغ : الطوال السوابل ، ويلزم من طول الدروع قوة لابسيها ، إذ حملها مع طولها يدل على القوة والشدة .

وشكت : أدخل بعضها في بعض .

ويروى : (سكت) بمعنى ضيقت .

والقفعاء : ضرب من الحسك ، وهو نبات له شوك ينبسط على وجه الأرض ، تشبه به حلقالدروع .

ومجدول : محكم الصنعة .

(٥١) مفاريح : كثيرو الفرح .

ونالوا : أصابوا .

ومجازيع : كثيرو الجَزَع .

(٥٢) الزهر : البيض . يصفهم بامتداد القامة ، وعظم الخلق ، والرفق في المشي ، وبياض البشرة ، وذلك دليل على الوقار والسؤود .

ويعصمهم : يمنعهم .

وعرّد : فر وأعرض عن قرنه وهرب عنه .

والتنابيل : جمع تنبال ، وهو القصير .

(٥٣) وقوع الطعن في نحورهم : دليل على أنهم لاينهزمون حتى يقع الطعن في ظهورهم .

وحياض الموت : موارد الحتف ، يريد بها ساحات القتال .

وتهليل : تأخر .

فوائد عامة من أحداث السنة الثامنة

١ ـ قبل فتح مكّة كانت الدولة الإسلاميّة هي المدينة المنورة فقط ، هذه الدولة لها نفوذ حيث وجد إسلام ، ولها عيون حيث وجد إسلام ، تربطها مع بعض القبائل شيء من المعاهدات ، وكان المطلوب من كل مسلم غير عاجز أو غير مكلَّف بهمّة تقتضي مقامه حيث هو أن يهاجر إلى المدينة المنورة وبفتح مكّة تغيّرت الصورة ، فالدولة الإسلاميّة توسّعت حدودها ، وستصل هذه الحدود إلى حيث يخضع الناس لأمير مسلم ولأحكام الإسلام ومن خلال هذا ستأخذ الدولة أبعادها ، وكان رمز ذلك كلّه أن يدفع الناس الزكاة لمن يوليهم رسول الله ﷺ عليها ، فمنطقة أميرها مُقرٌّ من رسول الله ﷺ وتدفع الزكاة لمن ولاه رسول الله ﷺ هي جزء من الدولة الإسلاميّة وسنرى في أحداث السنة التاسعة أنّ هذه القضيّة كانت من أهم ماركّز عليه رسول الله ﷺ بعد الفتح .

٢ ـ كانت الحركة العسكريّة قبل الفتح هي السبيلَ الوحيدَ لإيصال الدعوة ، وتجربتا الرجيع وبئر معونة أثبتتا ذلك . أما بعد الفتح فقد تغيّرت المعالم إذ أصبح بالإمكان الدعوة من غير حركة عسكرية ولذلك نجد بعوث الدعوة ووفود المستجيبين أو السائلين والتأمير على الناس وجمع الزكوات أو الجزية أو الخراج أو مااتفق عليه بصلح ، كلّ هذه المعاني أصبحت تشكّل مظاهر الحركة بعد الفتح .

٣ ـ من مفاتيح الفهم لحركة السنة الثامنة فما بعد أنها أصبحت تستهدف الأوثان والأصنام بشكل مباشر كان تهديم وثن يكلّف كثيراً ، ولكن بعد تطهير مكّة من الأوثان والأنصاب أُصبَحَ استئصال الوثنية سهلا .

لذلك نجد في أحداث السنة الثامنة والتاسعة والعاشرة التركيزَ على تهديم هذه الأصنام حيث كانت ولم يُتوفَ رسول الله ﷺ إلا وقد زالت الوثنيّة من أرض العرب من خلال عدد من الإجراءات التي قام بها رسول الله ﷺ .

٤ ـ قلّة من القادة الذين يستطيعون إدراك طاقات الرجال والاستفادة منها وتدريبها وتنميتها وصقلها ، والناجحون هم الذين يضعون الرجل المناسب في المكان المناسب ، وفي

الدعوات التي تقوم على أساس عَقَدِيّ أو فكري يعتبر الزمن عاملاً من عوامل التقسيم ، ونَدَرَ من يستطيع التقدّم بمجرّد الدخول في الدعوة ، ولاشك أنّ الاحتياط ضروري ، ولكنّ هناك حالات لامبرّر فيها للاحتياط إذا دلت ظواهر قاطعة على النضج والصدق ، والوحي في حياة رسول الله ﷺ والأمارات وفراسة رسول الله ﷺ الصادقة كل ذلك لايمرّ معه كذب الكاذبين ، وبالتالي فبالإمكان أن يستفاد من صدق الصادقين مباشرة والملاحظ أنّه لم يمرّ على إسلام خالد وعمرو بن العاص إلا فترة قريبة حتى بدأ رسول الله ﷺ يكلفهما بمهمّات ويُؤمّرهُما على من هم أقدم إسلاما منهما ، وفي ذلك درس للحركة الإسلامية .

٥ ـ من أحداث السنة الثامنة أنّ بعضِ عبْدان الطائف فرّوا إلى رسول الله ﷺ فحررهم ، ثمّ لم يرجعهم إلى العبوديّة حتّى بعد إسلام سادتهم ولقد دفع كل واحد من هؤلاء إلى رجل يطعمه ويؤويه ويعلمه ، وفي هذه الحادثة درس من أعظم دروس السيرة النبويّة : من ذلك أنّ نقل العبيد إلى الحريّة يقتضي إجراءات مناسبة حتّى لايضيع هؤلاء ومن هذه الدروس وهي أهمّها نقل التكاليف العامّة إلى تكاليف خاصّة ، وهذه من أوائل مهامّ القيادات والأمراء .

فمها كانت الجماعات راقية ، والمجتمعات متكاتفة عارفة بواجباتها فإنّ إمكانيّة ضياع الحقوق والتكاليف العامّة موجودة مالم تتحوّل هذه التكاليف العامّة إلى تكليف محدّد لشخص محدّد ، ومن هنا أوجدت المؤسسات والوظائف والجهات المختصّة ، وهذا المعنى نجده بارزا في حياة رسول الله ﷺ ، فما من تكليف عام إلا وينقله إلى تكليف شخصي ، فههنا عبيد أسلموا فحرّرهم وكلّف بكل واحد منهم من يقوم بأَوَدِهِ ، وهذا دأبه عليه الصلاة والسلام في الواجبات العامّة من جهاد إلى تعليم إلى ضيافة الى غير ذلك من مهام .

* * *

السَّنَة التَّاسِعَة لِلهجْرَة

أحداث السنة التاسعة في سطور

تتميز مرحلة مابعد الفتح بأنها مرحلة إقبال على الإسلام ، دخل الناس فيها أفواجا فهي من ناحية استمرار لما قبلها في الدعوة والتربية والعلم والقتال ، ومن ناحية أخرى فقد تميزت بكثرة الوفود وبعوث الدعوة وبعوث جمع الزكاة وتوزيعها وكثيرا مايختلف كتّاب السير حول وفد أو جامع زكاة متى قدم الأوّل ، ومتى أرسل الثاني ، ولايترتّب في الغالب على ذلك عمل وقد ذكر ابن كثير في البداية والنهاية الأحداث المشهورة في سنة تسع ، كغزوة تبوك ، وهدم مسجد الضرار . وذكر بمناسبة أنّ السنة التاسعة هي سنة الوفود ماتيسّر له جمعه عن الوفود ، فذكر وفودا وفدت قبل سنة تسع ، ووفودا جاءت سنة تسع . وتتبّع في الرحيق المختوم ماذكره كتّاب السير من أسماء المصدقين الذين أرسلهم رسول الله ﷺ لجمع الزكوات وتوزيعها . كما ذكر أهمّ أحداث السنة التاسعة ، وعقد للوفود بابا تحدّث فيه عن أهمها . ونحن هنا نُقَدِّمُ لك ثبتا بأسماء المصدّقين كما أوردها ، وخلاصة بأحداث هذه السنة أحيانا بعبارته وأحيانا باستخلاص من سياقاته ، ثمّ نقدم لك ثبتا بأسماء الوفود التي وفدت على رسول الله ﷺ في السنة التاسعة أخذا من ابن كثير، وكلّ ذلك بين يدي الفصول التي نعقدها لبعض أحداث هذا العام :

ـ قائمة بأسماء المصدّقين إلى القبائل :

(١) عيينة بن حصن إلى بني تميم .

(٢) يزيد بن الحُصَين إلى أسلم وغِفار .

(٣) عبّاد بن بشر الأَشْهَلي إلى سُلَيم ومُزَينة .

(٤) رافع بن مَكِيث إلى جُهَينة .

(٥) عمرو بن العاص إلى بني فَزَارة .

(٦) الضحاك بن سفيان إلى بني كِلاَب .

(٧) بشير بن سفيان إلى بني كعب .

(٨) ابن اللُّتَبِيَّة الأزدي إلى بني ذبيان .

(٩) المهاجر بن أبي أمية إلى صنعاء (وخرج عليه الأسود العنسي وهو بها) .

(١٠) زياد بن لَبيد إلى حضر موت .

(١١) عديّ بن حاتم إلى طيء وبني أسد .

(١٢) مالك بن نُوَيرة إلى بني حنظلة .

(١٣) الزبرقان بن بدر إلى بني سعد . (إلى قسم منهم) .

(١٤) قيس بن عاصم إلى بني سعد (إلى قسم آخر منهم) .

(١٥) العلاء بن الحضرمي إلى البحرين .

(١٦) علي بن أبي طالب إلى نجران (لجمع الصدقة والجزية كليهما) .

***

من أهم أحداث السنة التاسعة

* سرية عيينة بن حصن الفزاري - في المحرم سنة ٩ هـ إلى بني تميم ، في خمسين فارسا ، لم يكن فيهم مهاجري ولاأنصاري . وسببها أن بني تميم كانوا قد أغروا القبائل ، ومنعوهم عن أداء مايستحق عليهم .

وخرج عيينة بن حصن يسير الليل ويكمن النهار حتى هجم عليهم في الصحراء فولى القوم مدبرين ، وأخذ منهم أحد عشر رجلا وإحدى وعشرين امرأة وثلاثين صبيا ، وساقهم إلى المدينة ، فأنزلوا في دار رملة بنت الحارث . وقَدِمَ فيهم عشرة من رؤسائهم ، ثم أسلموا فأجازهم رسول الله ﷺ ، فأحسن جوائزهم ، ورد عليهم نساءهم وأبناءهم .

* سرية قُطْبَةَ بنِ عامر إلى حي من خَثْعَم بناحية تَبَالَة ، بالقرب من تُرُبة ، في صفر

سنة ٩ هـ خرج قطبة في عشرين رجلا على عشرة أبعرة يعتقبونها ، فشن الغارة ، فاقتتلوا قتالا شديداً حتى كثر الجرحى في الفريقين جميعا ، وَقُتِلَ قطبة مع من قُتِلَ ، وساق المسلمون النَّعم والنساء والشاء إلى المدينة .

* سرية الضحاك بن سفيان الكِلابي إلى بني كِلاَّب في ربيع الأول سنة ٩ هـ بعثت هذه السرية إلي بني كلاب لدعوتهم إلى الإسلام ، فأبوا وقاتلوا فهزمهم المسلمون وقتلوا منهم رجلا .

* سرية علقمة بن مُجَزِّز المُدْلجِي إلى سواحل جدة في شهر ربيع الآخر سنة ٩ هـ في ثلاثمائة . بعثهم إلى رجال من الحبشة كانوا قد اجتمعوا بالقرب من سواحل جدة للقيام بأعمال القرصنة ضد أهل مكة ، فخاض علقمة البحر حتى انتهى إلى جزيرة ، فلما سمعوا بمسير المسلمين إليهم هربوا .

* سرية علي بن أبي طالب إلى صنم لطيء يقال له الفُلْس ـ ليهدمه ـ في شهر ربيع الأول سنة ٩ هـ . بعثه رسول الله ﷺ في خمسين ومائة على مائة بعير وخمسين فرسا ، ومعه راية سوداء ولواء أبيض ، فشنوا الغارة على محلة حاتم مع الفجر ، فهدموه وغنموا . ا هـ من الرحيق .

* وفي رجب من سنة ٩ هـ حدثت غزوة تبوك ، وسببها أنّ رسول الله ﷺ بلغه أنّ قيصر يعدّ العدّة لحرب المسلمين ، وقد جاء المسلمون إلى تبوك علىحدود الشام ولم يأت الروم للحرب ، فكان ذلك إثباتاً لقوة الإسلام على حدود الدولة البيزنطية ومحواً لأثر التراجع الذي تراجع به المسلمون يوم مؤتة . وكانت هذه الغزوة فتحاً كبيراً في مجموع ماانبثق عنها ، فلقد كانت تبوك في هذه الغزوة قاعدة عمليّات لرسول الله ﷺ تمخّض عنها عهود وموادعات وسيطرة واستسلام . وقد ذكر ابن إسحاق مجيء صاحب أيْلة وصلحه مع رسول الله ﷺ وإعطاءه الجزية ، ومجيء أهل جَرْباءَ وأذْرُحَ ومصالحتهم وإعطاءهم الجزية ، وبعث خالد بن الوليد إلى أُكَيدرِ دُومة وأسره ومصالحته على دفع الجزية ، وفي تبوك جاء رسول هرقل إلى رسول الله ﷺ فرأى من الآيات ولم يكن هرقل متحمّسا للصراع مع رسول الله

ﷺ فكانت غزوة تبوك فتحا أشعرت عرب الشام أنّ رسول الله ﷺ هو سيّد الموقف .

* وفي هذه السنة آلى رسول الله ﷺ من أزواجه شهرا .

* وفي هذه السنة وقعت عدّة وقائع لها أهمّيّة :

- بعد قدوم رسول الله ﷺ من تبوك وقع اللعان بين عويمر العجلاني وامرأته .

- رُجمت المرأة الغامدية التي جاءت فاعترفت على نفسها بالفاحشة رجمت بعد مافطمت ابنها .

- توفي النجاشي أصحمة ، ملك الحبشة . وصلى عليه رسول الله ﷺ صلاة الغائب .

- توفيت أم كلثوم بنت النبي ﷺ ، فحزن عليها حزنا شديداً وقال لعثمان : لو كانت عندي ثالثة لزوجتكها .

- مات رأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول بعد مرجع رسول الله ﷺ من تبوك ، فاستغفر له رسول الله ﷺ ، وصلى عليه بعد أن حاول عمر منعه عن الصلاة عليه ، وقد نزل القرآن بعد ذلك بموافقة عمر .

* هدم رسول الله ﷺ مسجد الضرار عند عودته من غزوة تبوك .

* وفي ذي القعدة أو ذي الحجّة من السنة التاسعة بعث رسول الله ﷺ أبا بكر الصديق رضي الله عنه أميراً على الحج ليقيم بالمسلمين المناسك ، ثمّ نزلت أوائل سورة براءة التي منعت حجّ المشركين ، وبعث أبو بكر رضي الله عنه رجالا ينادون في الناس ألا يحجّ بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان .

* في هذا العام تتابعت الوفود على رسول الله ﷺ ، ولقد بلغ عدد الوفود التي جاءت إلى رسول الله ﷺ سبعين وفدا . وكان حظ هذه السنة من هذه الوفود الحظ الأوفر ، ولم تمض هذه السنة حتّى سيطر الإسلام على الجزيرة العربيّة كلها تقريبا وهي ماهي مساحة ، وأهلها أكثر خلق الله استعصاء على الانقياد والوحدة ، حتّى إنّه لم يسيطر على جزيرة العرب ولم يوحّدْها أحد قبل محمد ﷺ ، وهاك قائمة ببعض وفود السنة التاسعة :

وفد بني أَسَدٍ ـ وفد بني عَبْس ـ وفد بني فَزَارَة ـ وفد بني مُرّة ـ وفد بني ثَعْلَبَة ـ وفد بني مُحارِب ـ وفد بني كِلاب ـ وفد بني رُؤاس من كلاب ـ وفد بني عَقِيل بن كعب ـ وفد بني قُشَير بن كعب ـ وفد بني البَكّاء ـ وفد كِنَانَة ـ وفد أَشجَع ـ وفد باهِلة ـ وفد بني سُلَيم ـ وفد بني هِلاَل بن عامر ـ وفد بني بكر بن وائل ـ وفد بني تغلب ـ وفد ثَقِيف ـ وفد تُجيب ـ وفد خَوْلان ـ وفد جُعفى ـ وفد الأَزْد ـ وفد كِنْدَة ـ وفد الصَّدِف ـ وفد خُشَين ـ وفد بني سَعْد ـ وفد بني حَنِيفة ـ وفد هَمْدان ـ وفد بَلِيّ ـ وفد عُذْرة ـ وفد عبد القيس .

* * *

تكاد السنوات الأخيرة في حياة رسول الله ﷺ تكون متشابهة : السنة التاسعة والعاشرة وجزء من الحادية عشر سنة الوفاة ، فلازالت السرايا تجول ، وحدث في السنة التاسعة غزوة تبوك وهي آخر غزوة غزاها رسول الله ﷺ بنفسه ، ومع السرايا هناك بعوث الدعوة ، وهناك الوفود ، وهناك جمع الصدقات وتوزيعها ، وصَهْرُ الناس وتربيتُهم قائم على قدم وساق ، وقد تَوَّجَ هذا الصَهْر بحجّة الوداع في السنة العاشرة .

* * *

فصل : في غزوة تبوك

٦٧٦ ـ * روى الحاكم عن جابر بن عَبْدِ اللهِ رَضيَ اللهُ عنهما قَالَ : غَزَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسلَّم إحدى وَعِشْرينَ غَزْوَةً ، وشهدْتُ مَعَه تِسْعَ عَشْرَة غَزْوَة ، وَكَانَ آخِرَ غَزْوَةٍ غزاها رَسُول اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم تَبوكُ .

٦٧٧ ـ * روى الترمذي عن عَبْدِ الرَّحْمنِ بن سَمُرَة رضي الله عَنْهُمَا قَالَ : جَاءَ عُثْمانُ إلى النبي ﷺ بِألف دينَار في كُمِّهِ حين جَهَّزَ جيش العُسْرَة ، فينشرها في حَجْره . قالَ عبْدُ الرَّحْمَنِ : فَرَأيْتُ النَّبيَّ ﷺ يُقلِّبُها في حِجْرِهِ ، وَيَقُولُ : « مَا ضَرَّ عثمانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ اليَوْم » مَرَّتَيْنِ .

٦٧٨ ـ * روى البزار عن ابن عَبّاسٍ قَالَ : قيلَ لعُمَرَ بنِ الخطّابِ : حَدِّثْنَا عن شَأنِ العُسْرَةِ فَقَال عُمَرُ : خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ إلى تَبُوكَ في قَيْظٍ شَدِيدٍ ، فَنَزَلْنَا مَنْزِلاً أَصَابَنَا فيه عَطَشٌ شَديدٌ حَتَّى ظَنَنَّا أنَّ رِقَابَنَا سَتَنْقَطِعُ ، حَتَّى إنْ كَانَ أَحَدُنَا يَذْهَبُ يَلْتَمِسُ الخَلاءَ فَلاَ يَرْجِعُ حتَّى يظُنَّ أنَّ رقَبَتَهُ تَنْقَطِعُ ، وَحَتَّى إنّ الرَّجلَ لَيَنْحَرُ بَعيرَهُ فَيَعْصِرُ فَرْثَهُ فَيَشْرَبُهُ وَيَضَعُهُ عَلَى بَطْنِهِ ، فَقَالَ أبو بَكْرٍ الصدِّيقُ : يَارَسُولَ اللهِ ، إنَّ اللهَ عَوَّدَكَ في الدُّعَاء خَيْراً ، فَادْعُ فَقَالَ النبيُّ ﷺ « أَتُحِبُّ ذٰلِكَ يَاأَبَا بكْرٍ » قَالَ : نَعَمْ .قالَ : فَرَفَعَ رَسُولُ الله ﷺ يَدَيْهِ فَلَمْ يُرجِعْهُمَا حَتَّى قَالَتِ السَّمَاءُ ، فَأَظَلَّتْ ثُمَّ سَكَبَتْ ، فَمَلَؤوا مَا مَعَهُم ثُمَّ ذَهَبنَا نَنْظُرُ ، فَلَم نَجدْهَا جَاوَزَت عن العَسْكَرِ .

٦٧٩ ـ *روى البخاري ومسلم عن أبي مُوسَى الأشْعَرِيِّ ، رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ : أَرْسَلَنِي

---

٦٧٦ ـ المستدرك (٣ / ٥٦٦) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وأقره الذهبي .

٦٧٧ ـ الترمذي (٥ / ٦٢٦) ٥٠ ـ كتاب المناقب ـ ١٩ ـ باب في مناقب عثمان بن عفان ، رضي الله عنه . وإسناده حسن .

٦٧٨ ـ كشف الأستار (٢ / ٣٥٤) .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٩٤) : رواه البزار والطبراني في الأوسط ، ورجال البزار ثقات .

الفرث : هوما في الكرش من سرجين .

٦٧٩ ـ البخاري (٨ / ١١٠) . ٦٤ ـ كتاب المغازي ـ ٧٨ ـ باب غزوة تبوك ، وهي غزوة العسرة .

ومسلم واللفظ له (٣ / ١٢٦٩) ٢٧ ـ كتاب الأيمان ـ ٣ ـ باب ندب من حلف يميناً ، فرأى غيرها خيراً منها ، أن =

أَصْحَابِي إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، أَسْأَلُهُ لهم الحُمْلاَن ، إذْ هُمْ مَعَهُ فِيْ جَيْشِ العُسْرة ، وَهِيَ غَزْوَةُ تَبُـوكَ ، فَقُلْتَ : يَـانَبِي اللهِ ، إنْ أَصْحَـابِي أَرْسَلُـونِي إلَيْـكَ لِتَحْمِلَهُم ، فَقَـال : « وَاللهِ لا أحملكُم عَلَى شَيءٍ » وَوَافَقتُـه وَهُو غَضْبَـانُ ، وَلاَأَشْعُرُ ، فَرَجَعْتُ حَزِينـاً مِن مَنْع رَسُول الله ﷺ ، وَ مِنْ مَخَافَـةِ أَنْ يَكُونَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَـدْ وَجَـدَ في نَفْسِـهِ عَلَيَّ ، فَرَجَعْتُ إلىَ أَصْحَابِي ، فَأَخْبَرْتُهُم الـذِي قَـال النَّبِيُّ ﷺ ، فَلَمْ أَلْبثْ إلا سُوَيْعَـةً إذْ سَمِعْتُ بلالاً يُنَـادِي : أيْ عبدَ اللهِ بنَ قيْسٍ ؟ فأجبْتُه ، فَقَـالَ : أجِبْ رَسُولَ اللهِ ﷺ يـدْعُوكَ ، فَلَمَّا أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « خُذْ هٰذَيْنَ القَرِينَيْنِ ، وَهٰذَيْنِ القَرِينَيْنِ وَهٰـذَيْنِ القَرِينَينِ ـ لِستَّـةِ أَبْعِرَةٍ ابْتَاعَهُنَّ حِينَئِذٍ منْ سَعْدٍ ـ فـانْطَلِقْ بِهِنَّ إلى أَصْحَـابِـكَ ، فَقُلْ : إنَّ اللهَ ـ أَوْ قَالَ : إنَّ رَسُولَ اللهِ ـ يَحْمِلُكُم عَلَى هٰؤُلاَءِ ، فَارْكَبُوهُنَّ » قَالَ أَبُو مُوسَى : فَـانْطَلَقْتُ إلَى أَصْحَـابِي بِهِنَّ ، فَقُلْتُ : إنَّ رَسُـولَ اللهِ ﷺ يَحْمِلُكُم عَلَى هٰـؤُلاء ، وَلَكِنْ وَاللهِ ، لاَ أَدَعُكُم حَتَّى يَنْطلِقَ مَعِي بَعْضُكُم إلى مَنْ سَمِعَ مَقَـالَـةَ رَسُولِ الله ﷺ ، حين سـألتُـه لكم ، ومَنْعَه في أول مرة ، ثم إعطاءَه إيَّايَ بعد ذلك ، لاتَظُنُّوا أَنِّي حَدَّثْتكم شَيْئاً لَمْ يقُلْهُ ، فَقَالُوا لِي : وَالله إِنَّكَ عِنْدَنَـا لَمُصَـدَّقٌ ، ولَنَفْعَلَنَّ مـاأحبَبْتَ ، فَـانْطَلَقَ أبو مُوسَى بِنَفَرٍ مِنْهُم ، حَتَّى أَتَوْا الـذِينَ سَمِعُوا قَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ومَنْعَـه إيَّـاهُم ، ثُمَّ إعْطَـاءَهُم بَعْـدُ ، فَحـدَّثُـوهُم بِمَـا حَدَّثَهُم به أَبُو مُوسى سَوَاءً .

قال ابن حجر في الفتح : فإن غزوة تبوك كانت في شهر رجب من سنة تسع قبل حجة الوداع بلا خلاف ، وعند ابن عائـذ من حـديث ابن عبـاس أنها كانت بعد الطـائف بستـة أشهر ، وليس مخالفاً لقول من قال في رجب إذا حذفنا الكسور ؟ لأنه ﷺ قد دخل المدينة من رجوعه من الطائف في ذي الحجة . وتبوك مكان معروف هو نصف طريق المـدينـة إلى دمشق ، ويقال بين المدينة وبينه أربع عشرة مرحلة .

وكان السبب فيما ذكره ابن سعـد وشيخـه وغيره قـالوا : بلغ المسلمين من الأنبـاط الـذين

= يأتي الذي هو خير ، ويُكفر عن يمينه .

الحُمْلانُ : الحِمْل ، حملته على الدابة ، أحْمِلُه حَمْلاً وحُمْلاناً ، وذلك أنه جاء يطلبُ منه شيئاً يركبون عليه .

القَرِينَيْن : القَرِينُ الجمل يُقْرَنُ بجمل آخر ، فكلاهما قرينان .

يقدمون بالزيت من الشام إلى المدينة أن الروم جمعت جموعا ، وأجلبت معهم لخم وجذام وغيرهم من مُتَنَصِّرَةِ العرب ، وجاءت مقدمتهم إلى البلقاء ، فندب النبي ﷺ الناس إلى الخروج ، وأعلمهم بجهة غزوهم كما سيأتي في الكلام على حديث كعب بن مالك . وروى الطبراني من حديث عمران بن حصين قال : (كانت نصارى العرب كتبت إلى هِرَقْلَ : أن هذا الرجل الذي خرج يدّعي النبوة هلك وأصابتهم سِنونَ فهلَكت أموالهم ، فبعث رجلا من عظمائهم يقال له قباذ وجهز معه أربعين ألفا ، فبلغ النبي ﷺ ذلك ولم يكن للناس قوة ، وكان عثمان قد جهز عِيراً إلى الشام فقال : يارسول الله هذه مائتا بعير بأقتابها وأحلاسها ، ومائتا أوقية ، قال فسمعته يقول : « لايضر عثمان ماعمل بعدها » وأخرجه الترمذي والحاكم من حديث عبد الرحمن بن حيان نحوه ، وذكر أبو سعيد في « شرف المصطفى » والبيهقي في « الدلائل »من طريق شهر بن حَوْشَب عن عبد الرحمن بن غنم (أن اليهود قالوا : ياأبا القاسم إن كنت صادقا فالحق بالشام فإنها أرض المحشر وأرض الأنبياء ، فغزا تبوكَ لايريد إلا الشام ، فلما بلغ تبوك أنزل الله تعالى الآيات من سورة بني إسرائيل ﴿ **وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها** ﴾ [1] الآية ، انتهى ، وإسناده حسن مع كونه مرسلا . أ.هـ

٦٨٠ - *روى أبو داود عن واثِلَةَ بنِ الأَسْقَعِ رَضِيَ اللهِ عَنه قَالَ : نَادَى رَسُولُ الله ﷺ في غَزْوةِ تَبُوكَ ، فَخَرَجْتُ إلَى أَهْلِي ، فَأَقْبَلْتُ وَقَدْ خَرَجَ أَوَّلُ صَحَابَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ - فَطَفِقْتُ في المَدِينَةِ أُنَادِي : أَلاَ منْ يَحْمِلُ رَجُلاً لَهُ سَهْمُه ، فنادى شَيْخٌ مِنَ الأَنْصَارِ ، قَالَ : لَنَا سَهْمُهُ عَلَى أَنْ نَحْمِلَهُ عُقْبَةً ، وَطَعَامُهُ مَعَنَا ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : فَسِرْ عَلَى بَرَكَةِ اللهِ ، قال : فَخَرَجْتُ مَعَ خَيْرِ صاحبٍ ، حَتَّى أَفَاءَ اللهُ عَلَيْنَا ، فَأَصَابَنِي قَلاَئِصُ ، فَسُقْتُهُنَّ حَتىَّ أَتَيْتُهُ ، فَخَرَجَ فَقَعَدَ عَلَى حقيبةٍ مِنْ حَقَائِبِ إِبِلِهِ ، ثُمَّ قَالَ : سُقْهُنَّ مُدْبِرَاتٍ ، ثُمَّ قَالَ :

---

(١) الإسراء : ٧٦ .

٦٨٠ - أبو داود (٣ / ٥٥) ، كتاب الجهاد ، باب في الرجل يكري دابته على النصف أو السهم . بسند حسّنه بعضهم .
عُقْبَةً : حملت فلاناً عُقبةً : إذا أركَبتَه وقتاً ، وأنزلته وقتاً ، فهو يعقب غيره في الركوب ، أي يجيء بعده .
قلائص : القلائص : جمع قَلوص ، وهي الناقة .

سُقْهنَّ مُقْبلاتٍ ، فقَالَ : مَا أَرَى قَلائِصَكَ إلا كِرَاماً ، قَال : إنَّما هِيَ غَنيمتُكَ التي شَرَطْتُ لَكَ ، قَالَ : خُذْ قلائِصَكَ يَا ابْنَ أَخِي ، فَغَيْرَ سَهْمِكَ أَرَدْنَا .

٦٨١ - * روى الحاكم عن عبدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ: لمَّا سَارَ رَسُول اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم إلى تَبُوكَ جَعَلَ لاَ يَزالُ يَتخلَّفُ الرجُلُ فيقُولُون : يَارَسُول الله تَخَلَّفَ فُلانٌ . فَيقُول رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم : « دَعُوهُ ، إنْ يَكُ فيهِ خَيْرٌ فَسَيُلْحِقُه اللهُ بِكُمْ ، وَإنْ يَكُ غيْرَ ذٰلِكَ فَقَدْ ارَاحَكُم الله منْهُ » حَتَّى قِيلَ : يارَسُولَ اللهِ تخلَّفَ أَبُو ذَرّ وأَبْطَأَ بِهِ بَعِيرُهُ . فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم : « دَعُوهُ إنْ يَكُ فيهِ خَيْرٌ فَسَيُلحِقُه اللهُ بكُم ، وَإنْ يَكُ غيرَ ذٰلِك فَقَدْ أَرَاحَكُمُ الله مِنْهُ » . فَتَلَوَّمَ أبو ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَلَى بعيرِهِ فَأَبْطَأَ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا أَبْطَأَ عليْهِ أَخَذَ مَتاعَهُ ، فَجعلَهُ عَلىَ ظَهْرِهِ ، فَخَرَجَ يتْبعُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم مَاشياً ، وَنَزَلَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم في بعْضِ مَنَازِلِهِ ، وَنَظَرَ نَاظِرٌ مِنَ المُسلمينَ ، فَقَالَ : يارسُولَ اللهِ ، هٰذَا رجُلٌ يمْشِي عَلَى الطَّرِيقِ . فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم : « كُنْ أَبَا ذَرٍّ» فلَمَّا تأمَّلَهُ القوْمُ قَالُوا : يارَسُولَ اللهِ هُوَ واللهِ أبو ذرٍّ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم : « رَحِمَ اللهُ أبا ذرٍ يَمْشِي وَحْدَهُ وَيموتُ وَحْدَهُ ويُبْعَثُ وَحْدَهُ » فضَربَ الدَّهْرُ مِنْ ضَرْبَتِهِ وَسُيِّر أَبُو ذَرٍّ إلى الرَّبَذَةِ ، فلمَّا حَضَرهُ الموْتُ ، أَوْصَى امْرَأتَهُ وغُلامَهُ إذَا مِتُّ فاغْسِلاني وَكَفِّنانِي ثُمَّ احْمِلاني فَضَعَاني عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ فَأَوَّلُ ركْبٍ يَمُرُّونَ بكُمْ فَقولُوا هٰذا أبو ذرٍّ ، فلَمَّا مَاتَ فَعَلُوا بِهِ كَذٰلِكَ ، فاطَّلَعَ رَكْبٌ فَمَا عَلِمُوا بِهِ حَتَّى كَادَتْ رَكَائِبُهم تَطَأُ سَرِيرَهُ فإذا ابنُ مسعودٍ فِي رَهْطٍ مِنْ أَهْلِ الكُوفَةِ ، فَقَالُوا مَاهٰذَا ؟ فقِيلَ جَنَازَةُ أَبِي ذَرٍّ فاسْتَهَلَّ ابنُ مسعودٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ يبْكِي ، فقَال : صَدَقَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلَّم يَرْحَمُ اللهُ أَبا ذرٍّ يَمْشِي وَحْدَهُ وَيموتُ وَحدَهُ ويُبْعثُ وَحْدَهُ ، فَنَزَلَ فَوليَهُ بنَفْسِهِ حتَّى أَجَنَّهُ ، فلمَّا قَدِمُوا المدينة ذُكِرَ لعثمانَ قَوْلُ عَبْدِ اللهِ وَمَاوَلِيَ مِنْهُ .

---

٦٨١ ـ المستدرك (٣ / ٥٠) ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وقال الذهبي : فيه إرسال .

تَلَوَّمَ في الأمر : تَمكَّث .

الرَّبَذَة : قرية قرب المدينة .　　　أَجَنَّهُ : سَتَرَهُ ودفنه .

٦٨٢ ـ *روى البخاري ومسلم عن سَعْد بن أبي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللهُ عنْـهُ قـال : خلَّفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عليَّ بنَ أبي طـالب في غـزوة تبـوك ، فقَـال : يَـارَسُولَ اللهِ ، تُخَلِّفُني في النِّسـاء والصِّبْيَانِ ؟ فقَالَ :« أمَا تَرْضَى أنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَـةِ هـارونَ مِنْ مُوسَى ، غَيْرَ أنَّـه لانبيَّ بَعْدِي ؟ » .

وفي رِوَايَةٍ مثْلهِ (١) ، وَلَمْ يقُلْ فيهِ : « غَيْرَ أنَّه لانَبيَّ بَعْدِي » .

وَلِمُسْلِمٍ (٢) : أنَّ رَسُـولَ اللهِ ﷺ قَـالَ لِعَلِيٍّ : « أنْتَ مِنِّي بِمَنْـزِلَـةِ هَـارُونَ مِنْ مُوسَى ، إلاَّ أنَّهُ لانَبيَّ بَعْدِي » .

قال ابن المُسَيِّب : فأَحْبَبْتُ أن أُشَافِهَ بها سعداً . فَلَقِيتُ سعداً فحدَّثْتُهُ بما حدثني عـامر . فقـال : أنـا سَمِعْتُـهُ . فقلت : آنتَ سَمِعْتَـهُ ؟ فَـوضَـعَ إصْبَعَيْـه على أُذُنَيْـهِ فقـال : نعم . وإلا فَاسْتَكَّتَا .

وَفِي رِوَايَةِ التِرْمِـذِي مُخْتَصَراً (٣) : أنَّـهُ قَـالَ لِعَلِيٍّ : « أنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَـةِ هَـارُونَ مِنْ مُوسَى » .

٦٨٣ ـ *روى البخاري ومسلم عـن أبي حميدٍ الساعديِّ رضي الله عنه قـال : خرجنـا مع رسولِ الله ﷺ غـزوة تَبُـوك ، فـأتينـا وادي القُرَى على حـديقـةٍ لامرأةٍ ، فقـال رسـولُ الله ﷺ : « اخْرِصـوهـا » فخرصنـاهـا ، وخرصهـا رسـولُ الله ﷺ عَشَرة أوسُـقٍ ، وقـال : « أَحْصِيها ، حتى نرجع إليكَ إن شاء الله » وانطلقنا حتى قَدِمنا تبوكَ ، فقـال رسولُ الله ﷺ : « سَتَهُبُّ عليكم الليلـةَ رِيـحٌ شـديـدة ، فـلا يَقُمْ فيهـا أحـد منكم ، فمن كان

---

٦٨١ ـ البخاري (٨ / ١١٢) ٦٤ ـ كتاب المغازي ـ ٧٨ ـ باب غزوة تبوك .

ومسلم واللفظ له (٤ / ١٨٧٠) ٤٤ ـ كتاب فضائل الصحابة ـ ٤ ـ باب من فضـائل علي بن أبي طـالب رضي الله عنـه .

(١) مسلم (٤ / ١٨٧١) ٤٤ ـ كتاب فضائل الصحابة ـ ٤ ـ باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

(٢) مسلم في نفس الموضع السابق (٤ / ١٨٧٠) .   اسْتَكَّتَا : أي : صَمَّتَا .

(٣) الترمذي (٥ / ٦٤١) ٥٠ ـ كتاب المناقب ـ باب (٢١) .

٦٨٣ ـ البخاري (٣ / ٣٤٣) ٢٤ ـ كتاب الزكاة ـ ٥٤ ـ باب خرص التمر .

ومسلم واللفظ له (٤ / ١٧٨٥) ٤٣ ـ كتاب الفضائل ـ ٣ ـ باب في معجزات النبي ﷺ .

=

له بعير فَلْيَشُدَّ عِقالَه » فهبَّتْ ريح شديدة ، فقام رجل ، فحملَتْه الريح حتى ألقَتْهُ بِجَبَلَيْ طيء وَجَاءَ رَسُولُ ابنِ العَلْمَاء صَاحِبِ أَيْلَةَ إلى رسولِ الله ﷺ بكتاب ، وأهدى له بَغْلَةً بيضاء ، فكتب إليه رسولُ الله ﷺ ، وأهدى له بُرداً ، ثم أقبلنا حتى قدمنا وادي القرى ، فسأل رسولُ الله ﷺ المرأةَ عن حديقتها : « كم بلغ ثمرُها » ؟ فقالت : عشرة أوسُق ، فقال رسولُ الله ﷺ : « إني مُسْرِعٌ ، فمن شاء منكم فليُسرعْ معي ، ومن شاء فليَمْكُثْ » فخرجنا حتى أشرفنا على المدينة ، فقال : « هذه طابةٌ ، وهذا أُحُدٌ ، وهو جبل يحبنا ونحبه » ثم قال : « إنَّ خيرَ دُورِ الأنصارِ : دارُ بني النجار ، ثم دارُ بني عبد الأشهل ، ثم دار بني عبد الحارث بن الخزرج ، ثم دار بني ساعدة ، وفي كل دُورِ الأنصار خيرٌ » فَلَحِقَنَا سعد بن عُبادةَ ، فقال أبو أُسَيْدٍ : ألم تر أنَّ رسولَ الله ﷺ خيَّرَ دورَ الأنصار ، فَجَعَلَنَا آخراً ، فأدرك سعدٌ رسولَ الله ﷺ ، فقال : يارسولَ الله ، خَيَّرْتَ دُورَ الأنصار ، فجعلتنا آخرًا ؟ فقال : « أو ليس بِحَسْبِكم أن تكونوا من الخِيار ؟ » .

٦٨٤ - *روى البخاري ومسلم عن عَبْدِ اللهِ بن عمرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : لَمَّا مَرَّ النبي ﷺ بالحِجْرِ قَالَ : « لا تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُم ، أَنْ يُصِيبَكُمْ مَا

وادي القُرَى : هو واد بين المدينة والشام وهو بين تيماء وخيبر ، من أعمال المدينة ، سُمّي وادي القرى ؛ لأنّ في الوادي من أوّله إلى آخره قرى منظومة . لكنّها الآن خراب . ومياهها جارية تتدفّق ضائعة لاينتفع بها أحد . فتحها النبي ﷺ بعد فراغه من فتح خيبر سنة سبع .

اخْرِصوا : خَرْصُ النخل : حزر مقدار ثمرها .

أوْسُقٌ : هو جمع وَسْقٍ . قال في النهاية : الوَسْق : ستون صاعا ، وهو ثلاثمائة وعشرون رطلا عند أهل الحجاز وأربعمائة وثمانون رطْلاً عند أهل العراق . أي مايعادل ١٥٠ كغ عند الشافعية ، ومايعادل ٢٢٥ كغ عند الحنفية .

بجبلَيْ طيء : هما مشهوران . يقال لأحدهما : أجأ . والآخر سلمى . وطَيِّءٌ على وزن سَيِّدٍ ، وهو أبو قبيلة .

طابة : اسم المدينة ، سماها به رسولُ الله ﷺ ، وكذلك « طيبة » وهما من الطيب .

فائدة : في الرجل الذي حملته الريح حتى ألقته بجبلي طيء : إن هذا الرجل أهدته طيء إلى رسول الله ﷺ حين قدموا المدينة .

٦٨٤ - البخاري (٨ / ١٢٥) ٦٤ - كتاب المغازي -٨٠- باب نزول النبي ﷺ الحِجْر .

ومسلم نحوه (٤ / ٢٢٨٥) ٥٣ - كتاب الزهد والرقائق - ١ - باب لاتدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم ، إلا أن تكونوا باكين .

أَصَابَهُمْ ، إلا أَنْ تَكُونُوا باكِينَ » ثُمَّ قَنَّع رَأسَه وأسرع السَّيْرَ ، حتى أجازَ الوادي .

وَفِي أُخْرَىٰ للبخـاري [1] : أَنَّه قَـالَ لأَصْحَـابِ الحِجْرِ : « لا تَـدْخُلُـوا عَلَى هَـؤُلاءِ المعذَّبين ، إلا أن تَكُونُوا بَاكِينَ ، أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَاأَصَابَهُم » .

وفي أخْرَى لِمُسْلِمٍ [2] : أَنَّـهُ قَالَ لأَصْحَاب الحِجْرِ : « لاَ تَـدْخُلُوا عَلَى هٰؤُلاءِ القـوم الْمُعَذَّبِينَ . . . »ثُمَّ ذَكَرَ مِثْلَهُ .

٦٨٥ ـ * روى البخاري ومسلم عن عَبْدِ اللهِ بنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَـا قَـالَ : إنَّ النَّـاسَ نَـزَلُـوا مَـعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَى الحِجْرِ ـ أرضِ ثَمـودَ ـ فَـاستَقَـوْا مِنْ آبَـارِهَـا ، وعَجَنُـوا بـه العَجِين ، فَـأَمَرَهُم رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يُهْرِيقُوا مَـا اسْتَقَوْا ويَعْلِفُوا الإبلَ العَجِينَ ، وَأَمَرَهُم أنْ يَسْتَقُوا مِنَ البِئْرِ الَّتِي كَانَتْ تَرِدُها النَّاقَةُ .

وَلِلبُخَـارِي [3] : أنَّ رَسُـولَ اللهِ ﷺ ، لـمَّا نَزَلَ الحِجْرَ فِي غَـزْوَةِ تَبـوكَ أمَرَهُم : أن لا يَشْرَبُوا مِنْ بِئَارِهَا ، وَلاَ يَستَقُوا مِنْهَا ، فَقَالُوا : قَدْ عَجَنَّا مِنْهَا واسْتَقَيْنَا ، فَأَمَرَهُم النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَطرَحُوا ذٰلِكَ العَجِيْنَ ، ويُهْرِيقُوا ذٰلِكَ الـمَاءَ .

٦٨٦ * روى أحمد والبزار عن جـابر أن رسول الله ﷺ لما نزل الحِجْرَ في غزوةِ تبوكَ ، قام يخطُب الناسَ ، فقـال : « يـا أيهـا النـاسُ ! لا تسـألوا نبيَّكم عن الآيـاتِ ، أو لا تسألوا نبيكم الآياتِ ، فإن قومَ صالحٍ سـألوا نبيّهم أن يبعَثَ لهم آيـةً ، فبعَثَ الله تبارك وتعالى لهم الناقةَ ، فكانت تَرِدُ من هذا الفَجِّ ، فتشربُ ماءهم يوم وِرْدِهـا ،

---

(١) البخاري (٨ / ١٢٥) ٦٤ ـ كتاب المغازي ـ ٨٠ ـ باب نزول النبي ﷺ الحِجْر .

(٢) مسلم (٤ / ٢٢٨٥) ٥٣ ـ كتاب الزهد والرقائق ـ ١ ـ باب لاتدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم ؛ إلا أن تكونوا باكين .

٦٨٥ ـ البخاري (٦ / ٣٧٨) ٦٠ ـ كتاب الأنبياء ـ ١٧ ـ باب قول الله تعالى [٧٣ : الأعراف] : ﴿ وإلى ثمود أخاهم شعيباً ﴾ وقوله [٨٠ : الحجر] : ﴿ كذّبَ أصحاب الحجر ﴾ .

ومسلم واللفظ له (٤ / ٢٢٨٦) ٥٣ ـ كتاب الزهد والرقائق ـ ١ ـ باب لاتدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم ، إلا أن

(٣) البخاري (٦ / ٣٧٨) ٦٠ ـ كتاب الأنبياء ـ ١٧ ـ باب قول الله تعالى [٧٣ : الأعراف] :﴿ وإلى ثمود أخاهم شعيباً ﴾ وقوله [٨٠ : الحجر] : ﴿ كذّبَ أصحاب الحجر ﴾ .

٦٨٦ ـ كشف الأستار (٢ / ٣٥٦) ومسند أحمد (١ / ٢٩٦) نحوه .

وتَصْدُر من هذا الفجّ ، فَعَتَوْا عن أمر ربهم ، فعَقَرُوا الناقة ، فقيل لهم : تمتَّعوا في داركم ثلاثةَ أيام ، أو قيل لهم : إن العذاب يأتِيكم إلى ثلاثةِ أيام ، ثم جاءتهم الصَّيْحة ، فأهلك الله من كان تحتَ مشارقِ الأرض ومغاربها منهم إلا رجلاً كان في حَرَمِ الله ، فمنعه من عذاب الله » قالوا : يا رسولَ اللهِ ! من هو ؟ قال : « أبو رغال » قيل : ومن أبو رغال ؟ قال : « جَدُّ ثَقِيف » .

٦٨٧ - * روى الحاكم عن مُعاذ بن جَبَل قَالَ : كُنَّا مَع رسُولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم في غَزْوَةِ تبُوكَ ، فَقَالَ لي : « إنْ شئْتَ أنْبَأْتُكَ برَأسِ الأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذِرْوَةِ سَنَامه » قال : قُلتُ : أَجَلْ يَا رَسُول الله ، قَالَ : « أما رأسُ الأمر فالإسلامُ وأمَّا عَمُودُهُ فَالصَّلاةُ ، وَأَمَّا ذِرْوَةُ سَنَامِهِ فالجِهَادُ » .

٦٨٨ - * روى أحمد عن أبي الطُّفَيْلِ قال: لمَّا أقْبلَ رسولُ اللهِ ﷺ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ أمَرَ مُنَادِيًا ، فنَادَى أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ آخِذَ العَقَبَةَ ، فَلاَ يَأْخُذْهَا أحَدٌ ، فَبَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُودُهُ حذيفةُ ويَسوقُ به عمارٌ إذْ أقْبَلَ رَهْطٌ مُتَلَثِّمونَ عَلَى الرَّوَاحِلِ ، حَتَّى غَشَوْا عَمَّاراً وَهوَ يَسُوقُ برَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَقْبَلَ عَمَّارٌ يَضْرِبُ وُجُوهَ الرَّوَاحِل ، فَقَالَ رَسولُ اللهِ ﷺ لِحُذَيْفَةَ . « قَدْ قَدْ » حتَّى هَبَطَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، فَلَمَّا هَبَطَ رَسُولُ اللهِ ﷺ نَزَلَ ، وَرَجَعَ عمَّارٌ فَقَالَ : « يا عَمَّارُ هَلْ عَرَفْتَ القَوْمَ » فقال : قَدْ عَرَفْتُ عَامةَ الرَّوَاحِلِ ، والقَوْمُ مُتَلَثِّمونَ . قَالَ : « هَلْ تَدْرِي مَا أرَادُوا » ؟ قَالَ : اللهُ وَرَسُولُه أعْلَم ، قَالَ : « أرَادُوا أن يَنْفِرُوا بَرَسُولِ اللهِ ﷺ فيطْرَحُوهُ » قَالَ : فَسَابَّ عَمَّارٌ رضِيَ الله عنْهُ رَجُلاً مِنْ

= قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٩٦) : رواه الطبراني في الأوسط والبزار وأحمد بنحوه ، ورجال أحمد رجال الصحيح

عتوا : عتَا عُتُوّ وعِتِيًا : استكبرو وجاوز الحد . فهو عاتٍ .

فعقروا : أي : نحروا .

٦٨٧ - المستدرك (٢ / ٧٦) ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . وأقره زوائد الذهبي .

٦٨٨ - أحمد في مسنده (٥ / ٤٥٣) . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٩٥) : رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح .

قَدْقَدْ : حسبي حسبي .

ينفروا برسول الله : أرادوا أن ينفروا ناقة رسول الله ﷺ ليقع عنها .

=

أصْحَاب رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَال : نَشَدْتُكَ بِاللهِ كم تعلم كان أصْحَابُ العَقَبَةِ فقال : أربعة عَشَرَ . فَقَالَ : إنْ كُنْتَ فيهمْ فَقَدْ كَانُوا خَمْسَةَ عَشَرَ ، فَعَدَّ رَسُولُ الله ﷺ مِنْهُم ثَلاثَةً قَالُوا : وَاللهِ مَاسَمِعْنَا مُنَادِيَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وَمَاعَلِمْنَا مَا أَرَادَ القَوْمُ . فَقَالَ عَمَّارٌ : أَشْهَدُ أَنَّ الاثْنَي عَشَرَ البَاقِين حَرْبٌ للهِ وَلِرَسُولِهِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ . قَالَ الوليدُ : وَذَكَرَ أبو الطُّفَيْلِ فِي تِلْكَ الغَزْوَةِ أَنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ قَالَ للنَّاسِ ، ذُكِرَ لَهُ أَنَّ فِي المَاء قِلَّةً فَأَمَرَ رَسُولُ الله ﷺ مُنَادِياً فَنَادَى : « أَنْ لا يَرِدَ المَاءَ أَحَدٌ قَبْلَ رَسُولِ الله ﷺ » فَوَرَدَه رَسُولُ اللهِ ﷺ فَوَجَدَ رَهْطاً قَدْ وَرَدُوه قَبْلَهُ فَلَعَنَهُم رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ .

٦٨٩ - * روى أحمد والبزار عن حُذَيْفَةَ قَالَ : خَرَجَ النبيُّ ﷺ يَوْمَ غَزْوَةِ تَبُوكَ فَبَلَغَهُ أَنَّ فِي الماء قِلَّةً فَأَمَرَ مُنَادِيًا فَنَادَى فِي النَّاسِ :« أَنْ لاَ يَسْبِقَنِي فِي المَاء أَحَدٌ » فَأَتى المَاءَ وَقد سَبَقَهُ قَوْمٌ فَلَعَنَهُم .

٦٩٠ - * روى الطبراني عن حَمْزَة بنِ عَمرو الأَسْلَمِي قَالَ : خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى غَزْوَةِ تَبُوكَ وكنت على خِدْمَتِه ذَلِكَ السَّفَرَ ، فَنَظَرْتُ إلى نِحْي السَّمن قَدْ قَلَّ مَا فِيهِ ، وَهَيَّأْتُ للنَّبيِّ ﷺ طَعَاماً فَوَضَعْتُ النِّحْيَ فِي الشَّمْسِ وَنِمْتُ ، فَانْتَبَهْتُ بِخَرِيرِ النِّحْيِ ، فَقُمْتُ فَأَخَذْتُ بِرَأْسِهِ بِيَدَيْ ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ ، وَرَآني :« لَوْ تَرَكْتَهُ لَسَالَ وَادِياً سَمْناً ».

٦٩١ - * روى البخاري ومسلم عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ كَعْبِ بنِ مَالِكٍ ، وَكَانَ قَائِدَ كَعْبٍ رضِي الله

= لايرد الماء أحد قبل رسول الله ﷺ : ليبارك فيه قبل أن ينزحه الناس ، وكان من عادته أن يدعو في الشيء القليل فيكثره الله .

٦٨٩ - أحمد في مسنده (٥ / ٣٩١) .

البزار نحوه : كشف الأستار (٢ / ٣٥٧) .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٩٥) : رواه أحمد والبزار بنحوه ، ورجال أحمد رجال الصحيح .

٦٩٠ - المعجم الكبير (٣ / ١٦٠) .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ / ١٩١) .

رواه الطبراني من طريقين ، إحداهما في علامات النبوة ، ورجالها وُثِّقُوا .

النِحي ، : بالكسر : الزق ، أو ماكان للسمن خاصة .

٦٩١ - البخاري (٨ / ١١٣) ٦٤ - كتاب المغازي - ٧٩ - باب حديث كعب بن مالك ، وقول الله عز وجل : [١٨ : التوبة] : ﴿ وعلى الثلاثة الذين خُلِّفُوا ﴾ .

=

عنه مِن بَنِيهِ حِينَ عَمِيَ قَالَ : سَمِعْتُ كَعْبَ بنَ مَالِك رضِيَ اللهُ عنه يُحدِّثُ بحديثه حِين تَخَلَّفَ عن رسول الله ﷺ في غَزْوَةِ تبُوكَ . قَالَ كَعْبُ بن مالك : لَمْ أَتخَلَّفْ عَنْ رسولِ الله ﷺ في غَزْوَة غزَاهَا قَطُّ إلا في غَزْوَةِ تبُوكَ ، غَيْرَ أَنِّي قَدْ تخَلَّفْتُ في غَزْوَةِ بَدْرٍ ، ولم يُعَاتِبْ أحداً تَخَلَّفَ عَنْهُ ، إنَّمَا خَرَجَ رسولُ الله ﷺ والْمُسْلمون يُرِيدُونَ عِيرَ قُرَيْش حَتَّى جَمَعَ اللهُ تَعَالَى بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ عَلى غَيْرِ مِيعَادٍ . ولَقَدْ شَهِدْتُ مَعَ رسولِ الله ﷺ لَيْلَةَ العَقَبَةِ حِينَ تَوَاثَقْنَا عَلَى الإسْلامِ ، ومَا أُحِبُّ أنَّ لِي بِهَا مَشْهَدَ بَدْرٍ ، وإنْ كانَتْ بَدْرٌ أَذْكَرَ في النَّاسِ مِنْهَا . وَكَانَ مِن خَبَرِي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْ رسولِ الله ﷺ ، في غَزْوَةِ تَبُوكَ أَني لَمْ أَكُنْ قَطُّ أَقوَى وَلا أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْهُ في تِلْكَ الْغَزْوَةِ ، وَاللهِ مَا جَمَعْتُ قَبْلَهَا رَاحِلَتَيْنِ قَطُّ حَتَّى جَمَعْتُهُمَا في تِلْكَ الْغزْوَةِ ولم يكنْ رسولُ الله ﷺ يريدُ غزوةً إلا ورَّى بغيْرِها حتى كانت تلك الغزوةُ ، فَغَزَاهَا رسولُ اللهِ ﷺ في حَرٍّ شديد ، وَاسْتَقْبَلَ سَفَرًا بَعِيدًا وَمَفازًا ، وَاسْتَقْبَلَ عَدُوًّا كَثِيرًا ، فَجَلَّى للمُسْلِمينَ أَمْرَهُمْ ليتَأَهَّبوا أُهْبَةَ غَزْوِهِمْ فَأَخْبَرَهُمْ بوَجْهِهِمْ الَّذي يُريدُ ، وَالْمُسْلِمُونَ مَعَ رسولِ الله ﷺ كثِيرٌ وَلا يَجْمَعُهُمْ كِتَابٌ حَافِظٌ ، يُرِيدُ بذٰلكَ الدِّيوَانَ ، قالَ كَعْبٌ : فَقَلَّ رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَتَغَيَّبَ إلا يظُنُّ أَنَّ ذٰلكَ سَيَخْفَى لـه مَا لَمْ يَنْزِلْ فيهِ وَحْيٌ مِنَ اللهِ ، وَغَزَا رسولُ الله ﷺ تِلْكَ الغَزْوَةَ حِينَ طَابَتِ الثِّمَارُ والظِّلالُ فَأَنَا إلَيْهَا أَصْعَرُ فَتَجهَّزَ رسول الله ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ ، وَطَفِقْتُ أَغْدُو لِكَيْ أَتَجَهَّزَ مَعَهُم ، فأَرْجِعَ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئاً ، وَ أَقُولُ في نَفْسِي : أَنَا قَادِرٌ عَلَى ذٰلكَ إذَا أَرَدْتُ ، فَلَمْ يَزَلْ ذلك

= ومسلم واللفظ له (٤ / ٢١٢٠) ٤٩ ـ كتاب التوبة ـ ٩ ـ باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيْه .

عيرَ : العيرُ : الإبل والحمير تحمل الميرة والتجارة ، ونحو ذلك .

تَوَاثَقْنا : التَّواثُقُ : تفاعلٌ من الميثاق ، وهو العهد والحلف .

راحِلتَيْنِ : الراحلة : الجمل والناقة القَوِيَّانِ على الأسفار والأحمال ، والهاء فيه للمبالغة ، كداهية ، وراوية ، وقيل : إنما سُمِّيت راحلة ، لأنها تُرَحَّل ، أي : تحمَّل ، فهي فاعلة بمعنى مفعولة ، كقوله تعالى ﴿ في عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴾ [الحاقة : ٢١] أي : مَرْضِيَّةٍ .

وَرَّى عن الشيء : إذا أخفاه وذكر غيره .

مفازاً : المفازُ وَالمَفَازَةُ البَرِيَّةُ القفْرُ، سُمِّيت بذلك تفاؤُلاً بالفوز والنجاةِ ، وقيل : بل هو من قولهم : فَوَّزَ : إذا مات .

فجلا : جلا الشيء : إذا كشفه ، أي : أظهر للناس مقصده .

بوجهِهِم : جِهَتِهِم التي يستقبلونها ومقصدهم .

=

يَتَمَادَى بِي حَتَّى اسْتَمَرَّ بالنَّاسِ الْجِدُّ ، فأَصْبَحَ رسول الله ﷺ غَادِياً وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ . وَلَمْ أَقْضِ مِنْ جِهَازِي شَيْئاً . ثُمَّ غَدَوْتُ فَرجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئاً ، فَلَمْ يَزَلْ ذلك يَتَمَادَى بِي حَتَّى أَسْرعُوا وَتَفَارطَ الْغَزْو . فَهَمَمْتُ أَنْ أَرْتَحِلَ فَأُدْرِكَهُمْ . فَيَالَيْتَني فَعَلْتُ ، ثُمَّ لَمْ يُقَدَّرْ ذٰلكَ لِي ، فَطَفِقْتُ إذَا خَرَجْتُ في النَّاس بَعْدَ خُرُوج رسول الله ﷺ يَحْزُنُني أَنّي لا أَرَى لِي أُسْوَةً ، إلا رَجُلاً مَغْمُوصاً عَلَيْه في النِّفَاقِ ، أَوْ رَجُلاً مِمَّنْ عَذَرَ اللهُ تعالى من الضُّعَفَاء ، وَلَمْ يَذْكُرني رسول الله ﷺ حَتَّى بَلَغَ تَبُوكَ ، فَقَالَ وَهُوَ جَالِسٌ في القَوْمِ بِتَبوكَ : « ما فَعَلَ كَعْبُ بْنُ مَالكٍ ؟ » فقالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ : يارسولَ الله حَبَسَهُ بُرْدَاهُ ، وَالنَّظَرُ في عِطْفَيْه . فقالَ لَهُ مُعَاذُ بنُ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عنه : بِئْسَ ما قُلْتَ ! وَاللهِ يا رسولَ الله مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إلاَّ خَيْراً ، فَسَكَتَ رسولُ اللهِ ﷺ . فَبَيْنَا هُوَ عَلَى ذٰلكَ رَأى رَجُلاً مُبْيضاً يَزُولُ بِهِ السرابُ ، فقالَ رسولُ الله ﷺ : « كُنْ أَبَا خَيْثَمَةَ » فَإِذَا هُوَ أَبُو خَيْثَمَةَ الأَنْصَارِيُّ وَهُوَ الّذي تَصَدَّقَ بِصَاعِ التَّمْرِ حِينَ لَمَزَهُ المُنَافِقُونَ ، قَالَ كَعْبُ بن مالك : فَلَمَّا بَلَغَنِي أَنَّ رسول الله ﷺ قدْ تَوَجَّهَ قَافِلاً مِنْ تَبُوكَ حَضَرني بَثِّي ، فَطَفِقْتُ أَتَذَكَّرُ الْكَذِبَ وَأَقُولُ : بِمَ أَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ غَداً ؟ وَأَسْتَعِينُ عَلَى ذٰلكَ كُلَّ ذِي رَأْيٍ مِنْ أَهْلِي ، فَلَمَّا قِيلَ لِي : إنَّ رسول الله ﷺ قدْ أَظَلَّ قادِماً زَاحَ عَنّي الْبَاطِلُ حَتَّى عَرَفْتُ أَنّي لَنْ أَنْجُوَ مِنْهُ بِشَيءٍ أَبَداً ، فَأَجْمَعْتُ صِدْقَهُ ، وَصَبَّحَ رسولُ الله ﷺ قَادِماً ، وكَان إذا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ بَدَأَ بالْمَسْجِدِ فَرَكَعَ فِيهِ

= أصْعَرَ : أمْيَلَ .

اسْتَمَرَّ الجِدُّ : أي تتابع الاجتهاد في السير .

يَتمادَى : التَّمادي : التطاول والتأخر .

تَفارَطَ الغَزْوُ : تقدَّم وتباعد : أي . بَعُدَ مابينه وبين النبي ﷺ وأصحابه من المسافة .

طَفِقْتُ : مثل جَعَلْتُ .

أُسْوَةً : الأسوة ـ بكسر الهمزة وضمها ـ : القدوة .

مَغْمُوصاً : المغموص : المعيبُ المشار إليه بالعيب .

والنظر في عِطْفَيْهِ : يقال : فلان ينظر في عطفيه إذا كان مُعجَباً بنفسه .

يَزُولُ به السَّرابُ : زال به السراب يزول : إذا ظهرَ شخصه خيالاً فيه .

لَمَزَهُ : اللمز : العيب .

قافِلاً : القافلُ : الراجع من سفره إلى وطنه .

بَثّي : البَثُّ : أشدُّ الحزن ، كأنه من شدته يَبُثُّهُ صاحبهُ أي يظهرُهُ . =

رَكْعتَيْنِ ثُمَ جَلَسَ لِلنَّاسِ ، فَلَمَّا فَعَلَ ذٰلكَ جَاءَهُ الْمخلَّفُون فطَفِقُـوا يَعْتَذِرُونَ إلَيْـهِ وَيَحْلِفُون لَهُ ، وَكَـانوا بِضْعـاً وَثَمَـانِينَ رَجُلاً . فَقَبِلَ مِنْهُمْ رسولُ اللهِ ﷺ علانِيَتَهُمْ . وَبَـايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ . وَوَكَـلَ سَرَائِرَهُمْ إلَى اللهِ تَعـالَى حَتَّى جِئْتَ . فَلَمَّـا سَلَّمْتُ تَبَسمَ تَبَسُّمَ الْمغْضَبِ ثُمَّ قَالَ : « تَعَالَ » فَجِئْتُ أَمْشِي حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَـدَيْـهِ ، فَقَـالَ لِي : « مَـا خَلَّفَـكَ ؟ أَلَمْ تَكُنْ قَدِ ابْتَعتَ ظَهْرَكَ ؟ » قَالَ قُلْتُ : يَـارسولَ اللهِ إني واللهِ لَوْ جَلَسْتُ عِنْـدَ غَيْرِك مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا لَرَأَيْتُ أَنِّي سَأَخْرُجُ مِنْ سَخَطِـهِ بِعُـذْرٍ . لَقَـدْ أُعْطِيتُ جَـدَلاً ، وَلٰكِنِّي وَاللهِ لَقَـدْ عَلِمْتُ لَئِنْ حَدَّثْتُـكَ الْيَوْمَ حَـدِيثَ كَـذبٍ تَرْضَى بِـه عَنِّي لَيُوشِكَنَّ الله أن يُسْخِطَـكَ عَلَيَّ ، وَلَئِنْ حَدَّثْتُك حَدِيثَ صِدْقٍ تَجِـدُ عَلَيَّ فِيـهِ إنِّي لأَرْجُو فِيـه عُقْبَى الله عَزَّ وَجَلَّ ، والله مَـا كَانَ لِي عُذْرٌ ، وَاللهِ مَا كُنْتُ قَطُّ أَقْوَى وَلاَ أَيْسَرَ مني حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ .

قَـالَ رسـول الله ﷺ : « أَمَّـا هٰـذا فَقَـدْ صَـدَقَ ، فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللهُ فيـكَ » . وَسَارَ رجالٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ فاتَّبَعُونِي . فَقَالُوا لِي : وَاللهِ مَاعَلِمْنَاكَ أَذْنَبْتَ ذَنْبـاً قَبْلَ هٰـذا ، لَقَدْ عَجَزْتَ فِي أَنْ لاتَكُونَ اعتَذَرْتَ إلَى رسول الله ﷺ بِمَـا اعْتَـذَرَ بـه إليـهِ الْمُخَلَّفُونَ فَقَـد كَانَ كافيكَ ذَنْبَكَ اسْتِغْفارُ رسول الله ﷺ لكَ . قَـالَ : فَوالله مـازَالُوا يُؤَنِّبونَنِي حَتَّى أَرَدْتُ أَنْ أَرْجِعَ إلَى رسول الله ﷺ فَأُكَذِّبَ نَفْسِي ، قـال : ثُمَّ قُلْتُ لَهُمْ : هَلْ لَقِيَ هَـذَا مَعِي مِنْ أَحَدٍ ؟ قَالُوا : نَعَمْ لقِيَهُ مَعكَ رَجلاَنِ قَالا مِثْلَ مَا قُلْتَ ، فقيلَ لَهُمَا مِثْلُ مَا قِيلَ لَكَ ، قَالَ قُلْتُ: مَنْ هُمَا ؟ قَالُوا ، مُرارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ الْعَمْرِيُّ ، وهِلال بن أُمَيَّـةَ الْوَاقِفِيُّ ؟ قَـالَ: فَـذَكَرُوا

=

أظلّ : الإظْلالُ : الدُّنُوُّ ، وأظَلَّكَ فلانٌ : أي دنا منك ، كأنه ألقى عليك ظله .

زَاحَ عني الأمرُ : زال وذهبَ .

فأجمعتُ : أجمعتُ على الشيء : إذا عزمتُ على فعله .

المخلَّفُونَ : جمع مُخلَّف ، وهم المتأخّرون عن الغزو ، خلّفهم أصحابهم بعدهم فتخلَّفوهم .

بضْعَةً : البضْعُ : مابين الثلاث إلى التسع من العدد .

ووكَلَ سَرائِرَهم : وكلتُ الشيءَ إليك : أي رددتّه إليك ، وجعلتّه إليك . والمراد به : أنه صرف بواطنهم إلى علم الله تعالى .

ظَهْرَك : الظَّهْر هنا : عبارة عما يُركَب .

لَيُوشِكنّ : أوشك يوشكُ : إذا أسرع .

تَجِدُ : تجد من الموجدة : الغضب .

يُؤَنِّبُونَني : التأنيبُ : اللامةُ والتوبيخ .

=

لِي رَجلَيْنِ صَالِحَيْنِ قَدْ شَهِداً بَدْراً فِيهِمَا أُسْوَةٌ . قالَ : فَمَضَيْتُ حِينَ ذَكَروهُمَا لي . قال : ونَهى رسول الله ﷺ عَنْ كَلامنا أيُّها الثَّلاثَةُ مِن بَيْنِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنهُ ، قالَ : فاجْتَنَبَنا النَّاسُ - وقالَ : تغيرُوا لَنَا - حَتَّى تَنَكَرَتْ لي في نَفْسي الأَرْضُ ، فما هي بالأَرْضِ الَّتي أَعْرِفُ ، فَلَبِثْنَا على ذلِك خَمْسِينَ لَيْلَةً ، فأَمَّا صَاحِبايَ فاسْتَكَانَا وَقَعَدا في بُيُوتِهمَا يَبْكيان ، وأَمَّا أَنا فَكُنْتُ أَشَبَّ الْقَوْمِ وَأَجْلَدَهُمْ ، فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَشْهَدُ الصَّلاةَ ، وأَطُوفُ في الأَسْوَاقِ وَلا يُكَلِّمُني أَحَدٌ ، وَآتِي رسول الله ﷺ فَأُسَلِّمُ عَلَيْهِ ، وَهُوَ في مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلاةِ ، فَأَقُولُ في نَفْسِي : هَلْ حرَّكَ شَفَتَيْه بَردِّ السَّلام أَمْ لا ؟ ثُمَّ أُصَلِّي قَرِيباً مِنْهُ وَأُسَارِقُهُ النَّظَرَ ، فَإِذَا أَقْبَلْتُ عَلَى صَلاتِي نظَر إِلَيَّ ، وإِذَا الْتَفتُّ نَحْوَهُ أَعْرَضَ عَني ، حَتَّى إذَا طَالَ ذلِكَ عَلَيَّ مِنْ جَفْوةِ الْمُسْلِمِين مَشَيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْت جِدَارَ حَائِط أَبي قَتَادَةَ وَهُوَ ابْن عَمِّي وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْه فَوَاللهِ مَا رَدَّ عَلَيَّ السَّلاَم ، فَقُلْت له : يَا أَبَا قَتَادَةَ أَنْشُدُكَ بِاللهِ هَلْ تَعْلَمُني أُحبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ ﷺ ؟ فَسَكَتَ ، فَعُدْت فَنَاشَدْتُه فسَكَتَ : فَعُدْتُ فَنَاشَدْتُه فَقَالَ : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، فَفَاضَتْ عَيْنَايَ ، وَتَوَلَّيْتُ حَتَّى تَسَوَّرتُ الْجِدَارَ ، فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي في سُوقِ الْمَدِينَة إذا نَبَطيٌّ من نَبَطِ أَهْل الشَّام مِمَّنْ قَدِمَ بالطَّعَام يَبِيعُهُ بِالْمَدِينَةِ يَقُولُ : مَنْ يَدُلُّ عَلَى كَعْبِ بْن مَالِكٍ ؟ قال : فطَفِقَ النَّاسُ يُشيرُون لَهُ إِلَيَّ حَتَّى جَاءَني فَدَفَعَ إِلَيَّ كِتَاباً مِنْ مَلِكِ غَسَّانَ ، وَكُنْتُ كَاتِباً . فَقَرَأْتُهُ فَإِذَا فيهِ : أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنَا أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ ، وَلَمْ يَجْعَلْكَ اللهُ بدَار هَوَانٍ وَلامَضْيَعَةٍ ، فَالْحَقْ بِنَا نُوَاسِكَ ، قال : فَقُلْتُ حِينَ قَرَأْتُهَا : وَهٰذِهِ أَيضاً مِنَ البَلاء فَتَيَمَّمْتُ بِهَا التَّنُّور فَسَجَرْتُهَا بِهَا ، حَتَّى إذا مَضَتْ أربَعُونَ مِنَ الْخَمْسِينَ وَاسْتَلْبَثَ الْوَحْيُ ، إِذَا رسولُ رَسولِ الله ﷺ يَأْتِينِي ، فَقَالَ : إنَّ رسول الله

= فاسْتكانا : الاستكانة : الخضوع .

تَسَوَّرْتُ الجدار : إذا ارتفعت فوقه وعلوته .

نبطي : واحد من قوم الأعاجم وهو الفلاح .

الطَّعَامُ : القَمْحُ .

مَضْيعَةٌ : المَضيعةُ : مفعلة من الضياع: الاطراح والهوان ، كذا أصله ، فلمَّا كانت عين الكلمة ياءً ، وهي مكسورة ، نُقلت حركتها إلى الفاء وسكنت الياء ، فصارتْ بوزن مَعيشَة ، والتقدير فيهما سواء ، لأنها من ضاع وعاش.

نُوَاسِك : المواساةُ : المشاركة والمساهمة في المعاش والرزق ونحو ذلك .

فتَيَمَّمْتُ : التيمم : القصد .

اسْتَلْبث : اسْتَفْعَلَ ، من لبث : إذا أقام وأبطأ .

ﷺ يأمُرُكَ أنْ تعْتزِلَ امْرأَتَكَ فقُلْتُ : أُطَلِّقُهَا ، أمْ مَاذَا أفْعَلُ ؟ قَالَ : لا ، بَلِ اعْتَزِلْهَا فَلا تَقْرَبَنَّهَا ، قال : فأرْسَلَ إلَى صَاحِبَيَّ بِمِثْلِ ذلِكَ . قال : فقُلْتُ لامْرَأتِي : الْحَقِي بِأَهْلِكِ فكُونِي عِنْدَهُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللهُ في هٰذَا الأمْرِ ، قال : فجَاءَتِ امْرَأةُ هِلالِ بنِ أُمَيَّةَ رسولَ الله ﷺ فقَالَتْ لَهُ : يارسولَ الله إنَّ هِلالَ بْنَ أُمَيَّةَ شَيْخٌ ضَائِعٌ لَيْسَ لَهُ خَادِمٌ ، فَهَلْ تَكْرَهُ أنْ أخْدُمَهُ ؟ قَالَ : « لا ، وَلٰكِنْ لا يَقْرَبَنَّكِ » فقَالَتْ : إنَّهُ وَالله مَا بِهِ مِنْ حَرَكَةٍ إلَى شَيْءٍ ، وَوَالله مَازَالَ يَبْكِي مُنْذُ كَانَ مِنْ أمْرِهِ مَا كَانَ إلَى يَوْمِهِ هٰذا . قال: فقَالَ لِي بَعْضُ أهْلِي : لَوِ اسْتَأْذَنْتَ رسولَ الله ﷺ في امْرَأتِكَ ، فَقَدْ أذِنَ لامْرَأةِ هِلالِ بنِ أُمَيَّةَ أنْ تخْدُمَهُ ؟ قال : فقُلْتُ : لا أسْتَأْذِنُ فِيهَا رسولَ الله ﷺ ، وَمَا يُدْرِينِي مَاذَا يَقُولُ رسولُ الله ﷺ إذَا اسْتَأْذَنْتُهُ فِيهَا وَأنَا رَجُلٌ شَابٌّ ! فَلَبِثْتُ بِذٰلِكَ عَشْرَ لَيَالٍ ، فَكَمُلَ لَنَا خَمْسُونَ لَيْلَةً مِنْ حِينَ نُهِيَ عَنْ كَلامِنَا .

قال : ثُمَّ صَلَّيْتُ صَلاةَ الْفَجْرِ صَبَاحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا ، فَبَيْنَا أنَا جَالِسٌ عَلَى الْحَالِ الَّتِي ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى مِنَّا ، قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي وَضَاقَتْ عَلَيَّ الأرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ، سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ أوْفَى على سَلْعٍ يَقُولُ بأعْلَى صَوْتِهِ : يَاكَعْبُ بْنَ مَالِكٍ أبْشِرْ ، قال : فَخَرَرْتُ سَاجِداً ، وَعَرَفْتُ أنْ قَدْ جَاءَ فَرَجٌ . قال : فآذَنَ رسول الله ﷺ النَّاسَ بِتَوْبَةِ الله عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْنَا حِينَ صَلَّى صَلاةَ الْفَجْرِ فَذَهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُونَنَا ، فَذَهَبَ قِبَلَ صَاحِبَيَّ مُبَشِّرُونَ ، وَرَكَضَ رَجُلٌ إلَيَّ فَرَساً وَسَعَى سَاعٍ مِنْ أسْلَمَ قِبَلِي وَأوْفَى الْجَبَلَ ، فَكَانَ الصَّوْتُ أسْرَعَ مِنَ الْفَرَسِ ، فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِي نَزَعْتُ لَهُ ثَوْبَيَّ فَكَسَوْتُهُمَا إيَّاهُ ببشارَتِهِ ، وَالله مَا أمْلِكُ غَيْرَهُمَا يَوْمَئِذٍ ، وَاسْتَعَرْتُ ثَوْبَيْنِ فَلَبِسْتُهُمَا فَانْطَلَقْتُ أتَأَمَّمُ رسول الله ﷺ يَتَلَقَّانِي النَّاسُ فَوْجاً فَوْجاً يُهَنِّئُونِي بالتَّوْبَةِ وَيَقُولُون :

= رَحُبَتْ : الرُّحْبُ : السَّعَة .

أوفى : على الشيء : إذا أشرف عليه .

سَلْعٌ : جبلٌ في أرض المدينة .

رَكضَ : الرَّكْضُ : ضربُ الراكب الفرسَ برجليه ليُسرعَ في العَدْو .

آذَن : أعلم .

أتأمَّمُ : بمعنى : أتيمم : أي أقصد .

فَوْجاً : الفوجُ : الجماعةُ من الناس .

=

لِتَهْنِكَ تَوْبَةُ اللهِ عَلَيْكَ ، حَتَّى دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا رسولُ الله ﷺ جَالِسٌ في المسجد وحَوْلَهُ النَّـاسُ ، فَقَـامَ طَلْحَـةُ بْنُ عُبَيْـدِ اللهِ رضي الله عنـه يُهَرْوِلُ حَتَّى صَـافَحَنِي وَهَنَّـأَنِي ، واللهِ مَاقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ غَيْرَهُ ، قال : فَكَانَ كَعْبٌ لا يَنْسَاهَا لِطَلْحَةَ . قَالَ كَعْبٌ : فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رسول الله ﷺ ، قال ، وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرور ويقول : « أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ » فَقُلْتُ : أَمِنْ عِنْدِكَ يارسولَ اللهِ أَمْ مِنْ عِنْدِ الله ؟ قَالَ : « لا ، بَلْ مِنْ عِنْدِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ » وَكَانَ رسول الله ﷺ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ حَتَّى كَأَنَّ وَجْهَهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ ، قال : وَكُنَّا نَعْرِفُ ذٰلِكَ مِنْهُ ، قال : فَلَمَّا جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قُلْتُ : يارسولَ الله إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أَنْخَلِعَ مِنْ مَالِي صَدَقَةً إِلَى الله وَإِلَى رَسُولِهِ ﷺ فَقَالَ رسول الله ﷺ : « أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ » قال فقلتُ : فإِنِّي أُمْسِكُ سَهْمِيَ الَّذي بِخَيْبَرَ . قال : وقُلْتُ : يَارَسُولَ الله إِنَّ الله تَعَالَى إِنَّمَا أَنْجَانِي بالصِّدْقِ ، وإِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ لاأُحَدِّثَ إِلا صِدْقاً مَا بَقِيتُ ، قال : فَوَاللهِ مَا عَلِمْتُ أن أَحَداً مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَبْلاهُ الله تعالى في صِدْقِ الْحَدِيثِ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذٰلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ أَحْسَنَ مِمَّا أَبْلانِي الله تعالى به ، وَاللهِ ما تَعَمَّدْتُ كَذِبَةً منذُ قلتُ ذٰلِكَ لرسولِ الله ﷺ إِلَى يَوْمِي هٰذا ، وإِنِّي لأَرْجُو أَنْ يَحْفَظَنِي اللهُ تعالى فيما بَقِيَ ، قال : فَأَنْزَلَ الله تعالى : ﴿ لَقَدْ تابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي ساعَةِ الْعُسْرَةِ ﴾ حتى بَلَغَ : ﴿ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ * وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ﴾ حَتَّى بَلَغَ : ﴿ اتَّقُوا اللهَ وكُونُوا معَ الصَّادِقِينَ ﴾ [1] قَالَ كَعْبٌ : واللهِ ما أَنْعَمَ الله عَلَيَّ مِن نِعْمَةٍ قَطُّ بَعْدَ إِذْ هَدانِي اللهُ للإِسْلامِ أَعْظَمَ في نَفْسِي مِنْ صِدْقِي رسولَ الله ﷺ أَنْ لا أَكُونَ كَذَبْتُهُ ، فَأَهْلِكَ كما هلكَ الَّذين كَذَبُوا ؛ إِنَّ الله تعالى قال لِلَّذِينَ كَذَبُوا حِينَ أَنْزَلَ الْوَحْيَ شَرَّ مَا قالَ لأَحَدٍ ، قـالَ الله تعالى : ﴿ سَيَحْلِفُونَ باللهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ

= يَبْرُق : برق وجهه : إذا لمعَ وظهر عليه أمارات السرور والفرح .

أَنْخَلِعُ من مالي : أي أخرجُ من جميعه ، كما يخلع الإنسان قَميصَهُ .

ساعة العُسْرَة : سُمِّي جيشُ تبوكَ جيشَ العُسْرَةِ ، لأن رسول الله ﷺ نَدَبَ النـاسَ إلى الغزو في شـدة الحرِّ ، فعسرَ عليهم ، وكان وقتَ إدراك الثمار .

(١) التوبة : ١١٧ ـ ١١٩ .

=

فأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللهَ لايَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ [1] .

قالَ كَعْبٌ : كُنَّا خُلِّفْنَا أيُّهَا الثَّلاثَةُ عَنْ أَمْرِ أُولئكَ الَّذين قَبلَ منهمْ رسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ حَلَفُوا لَهُ ، فَبَايَعَهُمْ واسْتَغْفَرَ لهم ، وأَرجأَ رسولُ الله ﷺ أمْرَنَا حتَّى قَضَى اللهُ تعالى فيه ، فبذلكَ قال الله تعالى : ﴿ وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذينَ خُلِّفُوا ﴾ وَلَيْسَ الَّذي ذكرَ مِمَّا خُلِّفْنَا تَخَلُّفَنَا عن الغَزْوِ ، وإِنَّمَا هُوَ تَخْلِيفُهُ إِيَّانا وإِرْجاؤُهُ أَمْرَنَا عَمَّنْ حَلَفَ له واعْتَذَرَ إِلَيْهِ فَقبِلَ مِنْهُ .

وفي رواية [2] : ونهى النبيُّ ﷺ عن كلامي وكلامِ صاحبَيَّ ، ولم يَنْهَ عن كلامِ أحدٍ من المتخلِّفين غيرنا ، فاجْتَنَبَ النَّاسُ كلامَنَا ، فَلَبِثْتُ كذلك ، حتى طال عليَّ الأمْرُ وما من شيء أهمُّ إليَّ مِنْ أنْ أمُوتَ ، فلا يُصلِيَ عليَّ النبيُّ ﷺ أو يموتَ رسولُ الله ﷺ ، فأكونَ من النَّاس بتلكَ المنزلَة ، فلا يكلِّمني أحَدٌ منهم ، ولا يُصَلِّي عليَّ ، فأنزل الله تَوْبَتنا على نبيهِ ﷺ ، حين بقي الثلثُ الآخِر من الليل ، ورسولُ الله ﷺ عند أُمِّ سَلَمةَ ، وكانتْ أُمُّ سلَمَةَ مُحْسِنَةً في شأني مَعْنيَّةً في أمري ، فقال رسول الله ﷺ : « ياأُمَّ سَلمةَ ، تيبَ على كَعْبٍ » ، قالت : أفلا أُرسِلُ إليه فأُبَشِّرَه ؟ قال : « إذا يَحْطِمُكُمُ الناسُ ، فيمنعونكم النَوْمَ سائرَ اللَيْلةِ » حتى إذا صلَّى رسولُ الله ﷺ صلاةَ الفجر ، آذَنَ بتوبةِ الله علينا .

وفي رواية [3] : أنَّ النبيَّ ﷺ خرجَ يومَ الخميس في غزوة تبوكَ ، وكان يحبُّ أن يخرجَ يومَ الخميس .

= رِجْسٌ : الرجسُ : النَّجس .

(١) التوبة : ٩٥ ـ ٩٦ .

إرْجَاءً : الإرْجاءُ : التأخير .

(٢) البخاري (٨ / ٣٤٢) ٦٥ ـ كتاب التفسير ـ ١٨ ـ باب ﴿ وعلى الثلاثة الذين خُلِّفوا ﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿ إن الله هو التواب الرحيم ﴾ .

يَحْطِمُكُم الناس : أي يطؤونكم ويزدحمون عليكم ، وأصل الحَطْم : الكسر .

(٣) البخاري (٦ / ١١٣) ٥٦ ـ كتاب الجهاد ـ ١٠٣ ـ باب من أراد غزوة فورَّى بغيرها ، ومن أحب الخروج يوم الخميس .

وفي رواية [١] : طَرَفٌ من هذا الحديث ، وفيها زيادة معنى : أنّ رسولَ الله ﷺ كان لايقدَمُ من سَفَرٍ إلا نهاراً في الضُّحَى ، فإذا قَدِمَ بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين ، ثم جلس فيه .

قال محقّق الجامع : في هذا الحديث فوائد كثيرة ، منها : إباحة الغنيمة لهذه الأمة ، إذ قال : يريدون عيراً لقريش ، وفضيلة أهل بدر والعقبة ، والمبايعة مع الإمام ، وجواز الحلف من غير استحلاف ، وتورية المقصد إذا دعت إليه ضرورة ، والتأسف على مافات من الخير ، وتمني المتأسف عليه ، ورد الغيبة ، وهجران أهل البدعة ، وأن للإمام أن يؤدب بعض أصحابه بإمساك الكلام عنه ، واستحباب صلاة القادم ، ودخوله المسجد أولاً ، وتوجه الناس إليه عند قدومه ، والحكم بالظاهر وقبول المعاذير ، واستحباب البكاء على نفسه ، وأن مسارقة النظرفي الصلاة لاتبطلها ، وفضيلة الصدق ، وأن السلام ورده كلام ، وجواز دخول بستان صديقه بغير إذنه ، وأن الكتابة لايقع بها الطلاق مالم ينوه . وإيثار طاعة الله ورسوله على مودة القريب ، وخدمة المرأة لزوجها ، والاحتياط بمجانبة ما يخاف منه الوقوع في منهي عنه ، إذ إن كعبًا لم يستأذن في خدمة امرأته لذلك ، وجواز إحراق ورقة فيها ذكر الله تعالى إذا كان لمصلحة ، واستحباب التبشير عند تجدد النعمة واندفاع الكربة ، واجتماع الناس عند الإمام في الأمور المهمة ، وسروره بما يسر أصحابه ، والتصدق بشيء عند ارتفاع الحزن ، والنهي عن التصدق بكل المال عند خوف عدم الصبر ، وإجازة التبشير بخلعة ، وتخصيص اليمين بالنية ، وجواز العارية ومصافحة القادم ، والقيام له ، واستحباب سجدة الشكر ، والتزام مداومة الخير الذي انتفع به .

فائدة : قال الدكتور السباعي :

وفي غزوة تبوك أو العسرة آيات بينات على مايفعله الإيمان الصادق في نفوس المؤمنين من إثارة عزائمهم للقتال واندفاع أيديهم في بذل المال ومن استعذابهم الحر والعناء والتعب

---

(١) مسلم (١ / ٤٩٦) ٦ - كتاب صلاة المسافرين وقصرها - ١٢ - باب استحباب الركعتين في المسجد لمن قدم من سفر أول قدومه .

الشديد في سبيل الله ومرضاته ، ولذلك لما تخلّف ثلاثة من المؤمنين الصادقين في إيمانهم عن هذه الغزوة من غير عذر ، أمر الرسول ﷺ بمقاطعتهم ، فامتنع أزواجهم وآباؤهم عن مكالمتهم فضلاً عن جمهور المسلمين . وقد ربط بعضهم نفسه بعمد المسجد ، واحتبس آخر نفسه في البيت ، حتى تاب الله عليهم بعد أن أخذ المسلمون درساً بليغاً فيمن يتخلف عن أداء الواجب لغير عذر ، ويؤثر الراحة على التعب ، والظل الظليل على حر الشمس وشدتها .

* * *

فصل : في أسر أكيدِرِ دُومَةِ الجَنْدَل

٦٩٢ - * روى أبو داود عن أنس بن مالكٍ رضي الله عَنْهُ ، أن النبيَّ ﷺ بَعَثَ خالدَ بنَ الوَليدِ إلى أُكَيْدِرِ دُومَة فَأُخِذَ ، فأَتَوْه به ، فحَقَنَ له دَمَهُ وصَالَحَهُ على الجِزْيَةِ .

* * *

وصل : إسلام عُروةَ بنِ مسعود

٦٩٣ - * روى الطبراني عن عروةَ يَعْني ابنَ الزُّبيْرِ قالَ : لَمَّا أَنْشَأَ النَّاسُ الحجَّ سنةَ تِسْعٍ ، قَدِمَ عروةُ بن مَسْعود عَلَى رَسُولِ الله ﷺ مُسْلِمًا فاستأْذَنَ رسُولَ اللهِ ﷺ أَنْ يَرْجِعَ إلى قَوْمِهِ ، فَقَال رَسُولُ اللهِ ﷺ : « إِني أَخَافُ أَنْ يقْتُلُوكَ » قالَ لَوْ وَجَدُوني نَائِمًا مَاأيقظُوني . فَأَذِن لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ . فَرَجَعَ إلى قَوْمِهِ مُسْلِمًا . فرَجَعَ عِشَاءً فَجاء ثقيفٌ يُحَيُّونَه ، فَدَعَاهُم إلى الإِسْلامِ فَاتَّهمُوهُ وَأَغْضَبُوهُ وَأَسْمعُوهُ فَقَتَلوه . فَقَال رَسُول اللهِ ﷺ : « مَثَلُ عُروةَ مَثَلُ صاحِبِ يَاسينَ دَعَا قَوْمَه إلى اللهِ فَقَتَلُوهُ » .

* * *

---

٦٩٢ - أبو داود(٣ / ١٦٦) ، كتاب الخراج والإمارة والفيء ، باب في أخذ الجزية . بإسناد حسن .
دُوْمَة الجندل : بفتح الدال وضمها : موضع .
أكيدر : هو صاحبها ، وهو أُكَيْدر بن عبد الملك .
حقن : حقنتُ دَمهُ : إذا مَنَعْتَ من قتله ، والحقن : الجمع .
في ابن هشام : أكيدر دومة : رجل من كندة كان ملكاً عليها وكان نصرانياً . ا هـ .
ويقال : إنه من غسان .
وأكيدر هو أكيدر بن عبد الملك صاحب دومة الجندل - بفتح الدال وضمها - وهى على سبع مراحل من دمشق بينها وبين مدينة الرسول ﷺ ، وهي قرى وحصن بين الشام والمدينة قرب جَبَلَيْ طيء ، كان ينزلها بنو كنانة من كلب ، وبينها وبين وادي القرى أربع ليال إلى تيماء .

٦٩٣ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٣٨٦) ، وقال : رواه الطبراني ، وروي عن الزهري نحوه ، وكلاهما مرسل ، وإسنادهما حسن .

فصل : في الحج سنة تسع

٦٩٤ ـ * روى الترمذي عن عَبْدِ اللهِ بن عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَبَا بَكْرٍ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُنَادِيَ بِهؤلاء الكَلِمَاتِ ، ثُمَّ أَتْبَعَهُ عَلِيًّا ، فَبَيْنَا أَبُو بَكْرٍ في بَعْضِ الطَّرِيقِ ، إِذْ سَمِعَ رُغَاءَ نَاقَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ القَصْوَاءَ ، فخرج أَبُو بَكْرٍ فزعاً فظَنَّ أَنَّه رَسُولُ اللهِ ﷺ ، فإذا هُوَ عَلِيّ ، فَدَفَعَ إِلَيْهِ كِتَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وَأَمَرَ عَلِياً أَنْ يُنَادِيَ بِهؤلاء الكَلِمَاتِ فَانْطلقا ، فَحَجَّا ، فَقَامَ عَلِيٌّ أَيامَ التَّشْرِيقِ فنادى : ذمَّةُ اللهِ وَرَسُولِهِ بَرِيئَةٌ مِن كُلِّ مُشْرِكٍ ، فَسِيحُوا في الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ، وَلاَ يَحُجَّنَّ بَعْدَ العَامِ مُشْرِكٌ ، وَلا يَطُوفَنَّ بِالبيت عُرْيَانٌ ، وَلا يَدْخُلُ الجَنَّةَ إلا مؤمنٌ ، وكان عَلِي يُنَادِي ، فَإِذَا عَيِيَ قَامَ أَبُو بَكْرٍ ، فَنَادَى بِهَا.

٦٩٥ ـ * وروى الترمذي عن أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ : بَعَثَ النبيُّ ﷺ بِـ(بَرَاءَة) مَعَ أَبِي بَكْرٍ ، ثُمَّ دَعَاهُ فَقَال : « لاَ يَنْبَغِي لأَحَدٍ أَنْ يُبَلِّغَ هذَا إلا رَجُل مِنْ أَهْلِي » .

فَدَعَا عَلِيّاً ، فَأَعْطَاهُ إِيّاه .

٦٩٦ ـ * روى الحاكم عن أبي هريرة قال : كُنتُ مَعَ عَلِي بن أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ حِينَ بَعَثَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى الله عليه وآله وسلم إلى أَهْلِ مَكَّةَ بِبَرَاءة . فقيلَ : مَا كُنْتُم تُنَادُونَ فَقَالَ : كُنَّا نُنَادِي أَنَّه لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ إلا نَفْسٌ مُؤْمِنَةٌ ، وَلاَ يَطُوفُ بِالبَيْتِ عُرْيانٌ ، وَمَنْ كان بينَهُ وبَيْنَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم عَهْدٌ فَأَجَلُهُ وَمُدَّةُ عهدِه إلى أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ، فَإذا مَضَتِ الأَرْبَعَةُ الأشهرُ فإنَّ اللهَ بريءٌ مِنَ المُشْرِكين ورَسُولُهُ ، وَلاَ يَحِجُّ مُشْرِكٌ . فَكُنْتُ أُنَادِي حَتَّى صَحِلَ صَوْتِي .

* * *

---

٦٩٤ ـ الترمذي (٥ / ٢٧٥) ٤٨ ـ كتاب تفسير القرآن ـ ١٠ ـ باب « ومن سورة التوبة » . وإسناده حسن .

الرُّغاء : صوت البعير .

القصواء : بالمدّ : لقب ناقة رسول الله ﷺ ، ولم تكن قصواء ، فإن القصواء : هي المشقوقة الأذن من النُّوق .

ذمةُ الله : الذِّمّة : العهد والأمان . ساح : في الأرض : إذا ذهب منها حيث أراد .

٥٩٥ ـ الترمذي في نفس الموضع السابق ، وقال : هذا حديث حسن غريب .

٦٩٦ ـ المستدرك (٤ / ١٧٨) ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وأقره الذهبي .

صَحِلَ الصوتُ : إذا بُحّ .

فصل : في تهديم ذي الخَلَصَةِ

٦٩٧ - * روى البخاري ومسلم عن جرير بنِ عَبْدِ اللهِ البَجَلي رَضِيَ اللهُ عَنْه قَالَ : كَانَ بَيْتٌ فِي الجَاهِلِيَّةِ يُقَالُ لَهُ ؛ ذُو الخَلَصَةِ ، والكَعْبَةُ اليمانيَةُ ، والكَعْبَةُ الشَّاميَّةُ ، فَقَالَ لِي النبيُّ ﷺ : « أَلا تُريحُني مِنْ ذِي الخَلَصَةِ ؟ » فَنَفَرْتُ في مائةٍ وَخَمْسِين رَاكِباً ، فَكَسَرنَاهُ ، وقَتَلْنَا مَنْ وَجَدْنَا عِنْدَهُ ، فَأَتَيْتُ النبيَّ ﷺ ، فَأَخْبَرْتُهُ ، فَدَعَا لَنَا وَلأَحْمَسَ .

وفي رواية[1] عن جرير قال لي رسولُ اللهِ ﷺ : « ألا تُريحُني من ذي الخَلَصةِ ؟ » فقلتُ : بلى . فانطلقتُ في خمسينَ ومائة فارس من أحمس ، وكانوا أصحابَ خيل وكنتُ لا أثبُتُ على الخيل ، فذكرتُ ذلك للنبيّ ﷺ ، فضرب يدَهُ على صدري حتى رأيتُ أثرَ يدهِ في صدري وقال : « اللهمّ ثَبِّتْه واجْعَلْهُ هادياً مَهْدِيّا » قال : فما وقعتُ عن فرس بعدُ . قال : وكان ذو الخَلَصة بيتاً باليمن لخَثْعَم وبجيلةَ فيه نُصُبٌ تُعبَد ، يقال له الكعبة . قال : فأتاها فحرّقها بالنارِ وكسّرَها . قال : ولما قدِم جريرٌ اليمن كان بها رجلٌ يَستقسِمُ بالأزلام ، فقيل له : إنّ رسولَ رسولِ الله ﷺ هاهنا ، فإن قَدَر عليك ضَرَبَ عُنقَك . قال : فبينما هو يَضربُ بها إذ وقَف عليهِ جرير فقال : لتكسِرَنّها ولَتشهدَنّ أن لا إلـه إلا اللهُ أو لأضرِبنّ عُنقَك . قال : فكسَرَها وشَهِدَ . ثُمّ بَعث جريرٌ رجلاً من أحمسَ يُكنى أبا أرْطاةَ إلى النبيّ ﷺ يبشّره بذلك . فلما أتى النبيَّ ﷺ قال : يارسولَ الله ، والذي بَعثَك بالحق ماجئتُ حتى تركتها كأنها جملٌ أجرَب ، قال فبرّك النبي ﷺ على خيلِ أحمسَ ورجالها خمس مرّات.

---

٦٩٧ - البخاري (٨ / ٧٠) ٦٤ - كتاب المغازي - ٦٢ - باب غزوة ذي الخلصة .
ومسلم (٤ / ١٩٢٥) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٢٩ - باب من فضائل جرير بن عبد الله ، رضي الله تعالى عنه .

(١) البخاري (٨ / ٧٠) ٦٤ - كتاب المغازي - ٦٢ - باب غزوة ذي الخلصة .
ومسلم بعضه (٤ / ١٩٢٥) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٢٩ - باب من فضائل جرير بن عبد الله ، رضي الله تعالى عنه .

ذي الخلصة : الخلصة : قيل : كان اسم صنم لدوس ، وكان في ذلك البيت ، وقيل ذو الخلصة : هو البيت الذي كان لخثعم باليمن ، يحجّون إليه تشبيها ببيت الله الحرام .

يستقسم بالأزلام : الأزلام : القداح ، كانوا يتفاءلون بها عندما يعرض لهم من الحاجات ، كالسفر والزواج وغير ذلك ، وكان مكتوب عليها : افعل ، لاتفعل ، فما خرج له منها كان يتبعه : إمّا أمر وإمّا نهي ، والاستقسام : طلب ماقسم لهم ممّا هو مُغيَّبٌ عنهم من خير أو شر وصلاح وفساد .

جمل أجرب : شبّه مابها من آثار النار والإحراق بالجمل الأجرب .

قال ابن حجر في الفتح :

وقد وقع ذكر ذي الخَلَصَة في حديث أبي هريرة عند الشيخين في كتاب الفتن مرفوعا « لاتقومُ الساعة حتّى تضطرِبَ أَلياتُ نساء دَوسٍ حولَ ذي الخَلَصَةِ وكان صنما تعبده دوس في الجاهلية . والذي يظهر لي أنه غير المراد في حديث الباب ، وإن كان السهيلي يشير إلى اتحادهما ؛ لأن دَوْسا قبيلة أبي هريرة وهم ينتسبون إلى دوس بن عُدْثان بضم المهملة وبعد الدال الساكنة مثلثة ابن عبد الله بن زهران ، ينتهي نسبهم إلى الأَزْدِ ، فبينهم وبين خثعم تباين في النسب والبلد . وذكر ابن دِحْيَة أن ذا الخلصة المراد في حديث أبي هريرة كان عمرُو بنُ لُحَيّ قد نصبه أسفل مكة ، وكانوا يلبسونه القلائد ويجعلون عليه بيض النعام ويذبحون عنده ، وأما الذي لخثعم فكانوا قد بنوا بيتا يضاهون به الكعبة فظهر الافتراق وقوي التعدد . والله أعلم . قوله (والكعبة اليمانية والكعبة الشامية) كذا فيه ، قيل وهو غلط والصواب اليمانية فقط ، سموها بذلك مضاهاة للكعبة ، والكعبة البيت الحرام بالنسبة لمن يكون جهة اليمن شامية فسموا التي بمكة شامية والتي عندهم يمانية تفريقا بينهما . والذي يظهر لي أن الذي في الرواية صواب وأنها كان يقال لها اليمانية باعتبار كونها باليمن والشامية باعتبار أنهم جعلوا بابها مقابل الشام .

وقال تعليقا على أن من كان مع جرير كانوا مائة وخمسين :

وجدت في « كتاب الصحابة لابن السكن » أنهم كانوا أكثر من ذلك ، فذكر عن قيس ابن غربة الأحمسي أنه وفد في خمسمائة ، قال : وقدم جرير في قومه وقدم الحجاج بن ذي الأعين في مائتين ، قال : وضم إلينا ثلاثمائة من الأنصار وغيرهم ، فغزونا بني خَثْعَم . فكأن المائة والخمسين هم قوم جرير وتكلمة المائتين أتباعهم وكأن الرواية التي فيها سبعمائة من كان من رهط جرير وقيس بن غَرَبة لأن الخمسين كانوا من قبيلة واحدة ، وغربة بفتح المعجمة والراء المهملة بعدها موحدة ضبطه الأكثر .

وقوله «يَسْتَقْسِمَ» أي يستخرج غيب مايريد فعله من خير أو شر ، وقد حرم الله ذلك بقوله تعالى ﴿ وأن تستقسموا بالأزلام ﴾ [1] وحكى أبو الفرج الأصبهاني أنهم كانوا

---

(١) المائدة : ٣ .

يستقسمون عند ذي الخلصة ، وأن أمرأ القيس لما خرج يطلب بثأر أبيه استقسم عنده فخرج له مايكره ، فسب الصنم ورماه بالحجارة وأنشد :

لو كنتَ ياذا الخَلَص الموتورا   لم تنهَ عن قتلِ العُداة زُورا

قال : فلم يستقسم عنده أحد بعد حتى جاء الإسلام . قلت : وحديث الباب يدل على أنهم استمروا يستقسمون عنده حتى نهاهم الإسلام ، وكأن الذي استقسم عنده بعد ذلك لم يبلغه التحريم أو لم يكن أسلم حتى زجره جرير .

وقوله (ألا تريحني) هو بتخفيف اللام طلب يتضمن الأمر ، وخص جريرا بذلك لأنها كانت في بلاد قومه وكان هو من أشرافهم ، والمراد بالراحة راحة القلب ، وما كان شيء أتعب لقلب النبي ﷺ من بقاء ما يشرك به من دون الله تعالى . وروى الحاكم في « الإكليل » من حديث البَرَاء بن عازِبٍ قال : قدم على النبي ﷺ مِائةُ رجل من بني بَجِيلة وبني قُشَير مع جرير بن عبد الله ، فسأله عن بني خثعم فأخبره أنهم أبوا أن يجيبوا إلى الإسلام ، فاستعمله على عامة من كان معه ، وندب معه ثلاثمائة من الأنصار ، وأمره أن يسير إلى خثعم ، فيدعوهم ثلاثة أيام . فإن أجابوا إلى الإسلام قَبِلَ منهم وهدم صنمهم ذا الخلصة ، وإلا وضع فيهم السيف .

قوله (فدعا لنا ولأَحْمَسَ) بمهملة وزن أحمر وهم إخوة بَجيلة بفتح الموحدة وكسر الجيم رهط جرير ، ينتسبون إلى أحمس بن الغوثِ بن أَنْمار ، وبَجِيلة امرأة نسبت إليها القبيلة المشهورة ، ومدار نسبهم أيضا على أنمار . وفي العرب قبيلة أخرى يقال لها : أحمسُ ليست مرادة هنا ينتسبون إلى أحمس بن ضُبَيعة بنِ رَبيعةَ بن نزار . ووقَع في الرواية التي بعد هذه « فبارَكَ في خيلِ أحمسَ ورجالِها خمس مَرّاتٍ » أي دعا لهم بالبركة . ووقع عند الإسماعيلي من رواية ابن شهاب عن إسماعيل بن أبي خالد « فدعا لأحمسَ بالبركة » .

وفي الحديث : مشروعية إزالة ما يَفْتَتِنُ به الناس من بناء وغيره سواء كان إنسانا أو حيوانا أو جمادا ، وفيه استمالة نفوس القوم بتأمير من هو منهم ، والاستمالة بالدعاء والثناء والبشارة في الفتوح ، وفضل ركوب الخيل في الحرب ، وقبول خبر الواحد ، والمبالغة في

نكاية العدو ، ومناقب لجرير ولقومه ، وبركة يد النبي ﷺ ودعائه ، وأنه كان يدعو وترا وقد يجاوز الثلاث . وفيه تخصيص لعموم قول أنس (كان إذا دعا دعا ثلاثا) فيحمل على الغالب ، وكأنّ الزيادة لمعنى اقتضى ذلك ، وهو ظاهر في أحمس لما اعتمدوه من دحض الكفر ونصر الإسلام ولاسيّما مع القوم الذين هم منهم .

* * *

تقويم الموقف في نهاية السنة التاسعة

* إذا سلّم شعب لإنسان بأن يجبي منه مالاً ولم يجد له خياراً في ذلك فقد سلمّ له بالسلطة ، ومن ههنا كان إرسال المصدّقين هذا العام وجباياتهم المال هو في الحقيقة رمزُ التسليم لسلطان رسول الله ﷺ واعترافٌ بالدولة الإسلاميّة ، لذلك ارتبطت الردّة بهذا الموضوع وارتبط منع مال الزكاة بعدم الاعتراف بالحكم فقال قائل المرتدين :

أطعنـــا رسـول الله مـــاكان بيننـــا فيـــا لعبـــاد الله مـــا لأبي بكر
أيخلفـــه بكر إذا قـــام بعـــده وتلـــك لعمر الله قـــاصمـــة الظهر

* جمع المال من مكان وتوزيعه في نفس ذلك المكان فيه معان كبيرة ، فيه إشعار للفقراء والمستضعفين والمساكين ببركة الخضوع لسلطان الإسلام ، وفي ذلك ربط مُحْكَم لهؤلاء بالدولة الإسلاميّة وإظهار المانعين بأنّهم أعداء لشعبهم الفقير وهكذا يؤخذ الاعتراف بالدولة عن طريق ليس لأحد فيه خيار آخر ، وتلك من مظاهر الفطريّة الإسلاميّة التي تصل إلى أعظم الأشياء من أقرب طريق .

* إقبال الوفود بهذه الكثرة وبهذا التسليم هو أثر عن مجموعة أمور كلّها تدلّ على إحكام العمل بتوفيق الله ، فحرارة إيمان الدعاة ، وعمليّات التعرّض ، والانتصارات المتلاحقة ، والمعجزات اليومية والسياسة الحكيمة ، وحسن التعامل مع النفس البشريّة ، وإشعار الناس أنّ أرباحهم في الإسلام أكبر من خسائرهم كلّ ذلك أدّى دوره في أن تصبح الجزيرة العربيّة وافدة ومسلّمة مسلمة .

* الهيبة العسكريّة كانت عاملا حاسما ، ومناطحة الرومان مرّة بعد مرّة أشعرت الجميع أنّهم أمام سلطان لا يقهر ، وكان ذلك هو الأساس للتحرّك اللاحق بعد وفاة رسول الله ﷺ في الصدام مع الدولتين العظميين وقتذاك .

* إن نجاح الصادقين يغري الكاذبين والطامحين بسلوك طريقهم ، وطرح دعاوى يزعمون أنها تشابه الحقائق التي يدعو إليها الأنبياء . ومن ههنا نبتت نابتة دعاوى النبوّة على أثر الانتصارات الكاسحة . ومن ههنا تأتي دعاوى الأسود العَنْسي ومسيلمة وطليحة وسجاح . . .

* كما أنّ فتح مكّة كان من الناحية الاستراتيجيّة فتحا للجزيرة العربيّة كلّها ، فإنّ الإعلان في حجّ هذا العام ألا يحجّ بعد العام مشرك ، وألا يطوفَ به عُريان كان من الناحية الاستراتيجيّة إنهاء للشرك في جزيرة العرب .

* الملاحظ أنّ الوفود قبل الفتح كانت فرديّة في الغالب أمّا بعد الفتح فقد كانت جماعيّة.

* بعد سير طويل لم يبق فيه لأحد حجّة أصبح الحساب عسيرا ، فما لم يكن يحاسب عليه الصفّ لم يعد يتحمّل من الصفّ ولم يعد يتساهل فيه ، فيوم أحد انفصل ثلث الجيش ولم يحاسب رسول الله ﷺ أحداً ولم يعاقبه ، ولكنه ههنا حاسب وعاقب كما فعل بكعب وزميليْه ، ذلك أنه لم يعد لأحدٍ حجّة ، فالمعجزات كثيرة ، والقيادة على مستوى ليس له مثيل ، ونجاحاتها متلاحقة وآفاقها أرقى من كل أفق ، ومن ههنا نأخذ درسا وهو أن الصف الإسلامي عندما يكون مريضاً أو ضعيفاً لاينبغي أن يتشدد بالحساب وإنما عليه في هذه الحالة أن يعالج أزمة الثقة وأن يحسن التخطيط والانتقال من الطور الأدنى إلى ماهو أعلى .

* من خلال غزوة تبوك ونزول سورة براءة فيها ندرك أنّ الجهاد هو المحك ، فهو المحك لإيمان الأشخاص ، وهو المحك لنضج الصف ، وهو المحك للحالة التي وصلت إليها الأمّة .

* بغزوة تبوك نقل رسول الله ﷺ الصراع من داخل الجزيرة العربيّة إلى خارجها ، وهي السياسة التي سيتابعها أبو بكر وعمر وعثمان حتى حدوث الفتنة . وهذه السياسة تحقّق أكثر من هدف بآن واحد : شَغْلُ الناس بالعَدُوّ الخارجي ، وفي الوقت نفسه تربية الصف وإنضاجه وتفتيح آفاقه من خلال الجهاد ، فهناك رسالة لشعب يجب أن يؤدّيها .

* توطّد في السنة التاسعة سلطان الدولة الإسلاميّة وتأكّد ، وأصبحت سيطرة رسول الله ﷺ على الجزيرة العربيّة كاملة ، وليس له من عدوّ إلا مطارداً . وبعد أن كان المسلمون أفرادا في بحار شرك أصبح المشركون جزراً صغيرة في بحار الإسلام ، وهم محكومون بحكمه ، مطاردون مستهدفون ممنوعون من الحج إلا بالإسلام ، مجبرون على الإسلام ودفع الزكاة . وكلّ ذلك كان مقدمة لحج رسول الله ﷺ في العام العاشر ليجتمع بأكبر قدر من الناس في جزيرة العرب فيعلّمهم ويربيهم ويصهرهم .

* * *

السَّنَتَان العَاشِرَة وَالحَادِيَة عَشَرَة

أحداث هاتين السنتين في سطور

قلنا إنّ مرحلة مابعد الفتح تكاد تكون واحدة متشابهة ومتشابكة : بعوث ووفود مع أحداث بارزة في كلّ من السنوات الثلاث التي أعقبت الفتح ، فالمَعْلَم البارز في السنة التاسعة هو غزوة تبوك ، والمعلم البارز في السنة العاشرة هو حجّة الوداع ، والمَعْلَم البارز في السنة الحادية عشرة هو وفاته عليه الصلاة والسلام بأبي هو وأمّي ـ لذلك جعلنا الحديث عن السنة العاشرة والحادية عشرة موصولا ؛ لأنّ العام العاشر للهجرة كان عام الترتيب لتسليم اللواء إلى من سيحملون راية الإسلام بعده عليه الصلاة والسلام .

* * *

وقد ذكر ابن كثير في أحداث السنة العاشرة بعض بعوث رسول الله ﷺ إلى اليمن : بعث خالدٍ وعلي بن أبي طالب وأبي موسى ومعاذ بن جبل ، كما ذكر حجّته وبعض التمهيدات التي قدّمت لوفاته عليه الصلاة والسلام ، وذكر في أحداث السنة الحادية عشر وفاته وما صاحب ذلك من ترتيباته عليه الصلاة والسلام للحاضر والمستقبل .

وإذن ففي سنة عشر :

* تتابعت الوفود على رسول الله ﷺ ، وتابع عليه الصلاة والسلام إرسال البعوث للدعوة إلى الله وتعليم الناس ، وخاصّة إلى اليمن .

* وحجّ رسول الله ﷺ في هذا العام حجّة الوداع التي تسمّى كذلك بحجّة البلاغ وحجّة الإسلام ، وكانت أكبر ظاهرة في تاريخ جزيرة العرب ، وأعظم تجمّع للمسلمين وأكبر عمليّة صهر بالإسلام جماعيّة ، وأروع عمليّة تعليم تتمّ من خلال الاختلاط والتوجيه والتعليم .

* وكانت كثير من تصرّفاته عليه الصلاة والسلام في هذا العام تدل على أنّه مودّع ، فقد اعتكف في رمضان هذا العام عشرين يوما وكان من عادته أن يعتكف عشرا فقط ، ولقد دارسه جبريل القرآن في رمضان هذا مرّتين ، وكان من عادته أن يدارسه إيّاه مرّة واحدة .

وفي سنة إحدى عشرة :

* بعد العودة من الحجّ أخذ رسول الله ﷺ يرتب لما بعد وفاته ، ومن ذلك إعداده جيش أسامة بن زيد لغزو الروم وقد كان ذلك في صفر ، ومرض رسول الله ﷺ وهذا الجيش يتجمّع حول المدينة ، وقد جعل مرض رسول الله ﷺ الناس يتريّثون بالانطلاق نحو الهدف ، حتّى إذا توفّي رسول الله ﷺ كان هذا الجيش جاهزا للحركة وكانت حركته عنوانا على أنّ الدولة الإسلاميّة مستمرّة .

* وفي اليوم التاسع والعشرين من صفر سنة ١١ هـ بدأ المرض برسول الله ﷺ ، واستمر المرض حتّى حدثت الوفاة حين اشتدّ الضحى من يوم الاثنين ١٢ ربيع الأوّل سنة ١١ هـ وله عليه الصلاة والسلام ثلاث وستّون سنة وأربعة أيّام على أرجح الأقوال ، وصلّى الناس عليه أرْسَالاً ولا يؤمّهم أحد ، ودُفِنَ في بيت عائشة رضي الله عنها الذي توفّي فيه وَصلّى عليه أوّلا عشيرتُه ، ثمّ المهاجرون ، ثمّ الأنصار ، وصلّت عليه النساء بعد الرجال ، ثمّ صلّى عليه الصبيان ، ومضى في ذلك يوم الثلاثاء كاملا حتّى دخلت ليلة الأربعاء فواروه فيها التراب بأبي هو وأمّي .

ونحن ههنا عاقدون عدّة فصول :

فصل : في نماذج من بعوث السنة العاشرة والحادية عشرة .

فصل : في نماذج من وفود هاتين السنتين .

فصل : في حجّة الوداع .

فصل : في حادثة الوفاة .

ثمّ نُقَوِّمُ الوضع عند وفاة رسول الله ﷺ .

وسنتكلّم في الباب السادس عن أصحابه وخلفائه وأزواجه وآل بيته ، وكيف أنّ الإسلام امتدّ واشتد ونما وترعرع وملأ الخافقين ببركة المؤسّس وقوّة التأسيس .

* * *

فصل : في نماذج من البعوث

١ ـ بعث خالد وعلي إلى اليمن قبل حجة الوداع :

٦٩٨ ـ * روى البخاري عن أبي إسْحاق السَّبِيعي قَالَ : سَمِعْتُ البَراءَ رَضِيَ اللهُ عنهُ يقُولُ : بَعَثَنا رَسُولُ اللهِ ﷺ مَعَ خَالِدِ بنِ الوَليدِ إلى اليمنِ . قال : ثُمَّ بَعَثَ عَلِيًّا بَعْدَ ذٰلكَ مَكَانَهُ فقالَ : مُرْ أَصْحَابَ خَالِدٍ : مَنْ شاءَ مِنْهُم أَنْ يُعَقِّبَ مَعَكَ فَلْيُعَقِّبْ ، ومَنْ شَاءَ فَلْيُقْبِلْ ، فَكُنْتُ فِيمَنْ عَقَّبَ مَعَهُ ، قَالَ : فَغَنِمْتُ أَوَاقِيَّ ذَوَاتِ عَدد .

٦٦٩ ـ * روى البخاري عن بُرَيْدَةَ قال : بعث النبيُّ ﷺ عليًا إلى خالد ليَقبِضَ الخُمسَ ؛ وكنت أبغض علياً وقد اغتسلَ ، فقلت لخالد : ألا ترى إلى هذا ؟ فلما قدمنا على النبي ﷺ ذكرت ذلكَ لهُ ، فقال : « يابُرَيدةُ أتُبْغِضُ عليًّا ؟ » فقلت : نعم . قال : « لا تُبغِضْه ، فإنَّ له في الخُمسِ أكثرَ من ذلك » .

قال ابن حجر في الفتح :

قوله (فإن له في الخمس أكثر من ذلك) في رواية عبد الجليل « فوالذي نفس محمد بيده لنصيب آل علي في الخمس أفضل من وصيفة » وزاد « قال : فما كان أحد من الناس أحبَّ إلي من عليّ » وأخرج أحمد هذا الحديث من طريق أَجْلَحَ الكِنْدي عن عبد الله بن بُرَيْدة بطوله وزاد في آخره «لا تقع في علي فإنه مني وأنا منه وهو وليكم بعدي ، وأخرجه أحمد أيضاً والنسائي من طريق سعيد بن عبيدة عن عبد الله بن بريدة مختصراً وفي آخره « فإذا النبي ﷺ قد احمر وجهه يقول : من كنت وليه فعلي وليه » وأخرجه الحاكم من هذا الوجه مطولاً وفيه قصة الجارية نحو رواية عبد الجليل ، وهذه طرق يقوي بعضها بعضاً ، قال أبو ذر الهروي : إنما أبغض الصحابي عليا لأنه رآه أخذ من المغنم ، فظن أنه غل ، فلما أعلمه

---

٦٩٨ ـ البخاري (٨ / ٦٥) ٦٤ ـ كتاب المغازي ـ ٦١ ـ بعث عليّ بن أبي طالب عليه السلام وخالد بن الوليد إلى اليمن قبل حجة الوداع .

أن يعقّب : إذا غزا الإنسان ، ثم ثنّى من سنته مرة أخرى ، قيل : قد عقَّب ، ويقال : تعقيبةٌ خير من غزوة .

٦٩٩ ـ البخاري (٨ / ٦٦) ٦٤ ـ كتاب المغازي ـ ٦١ ـ بعث عليّ بن أبي طالب عليه السلام وخالد بن الوليد إلى اليمن قبل حجة الوداع .

النبي ﷺ أنه أخذ أقل من حقه أحبه وهو تأويل حسن ، لكن يبعده صدر الحديث الذي أخرجه أحمد فلعل سبب البغض كان لمعنى آخر وزال بنهي النبي ﷺ لهم عن بغضه . وقد استشكل وقوع عليّ على الجارية بغير استبراء ، وكذلك قسمته لنفسه ، فأما الأول فمحمول على أنها كانت بكراً غير بالغ ورأى أن مثلها لا يستبرأ كما صار إليه غيره من الصحابة ، ويجوز أن تكون حاضت عقب صيرورتها له ثم طهرت بعد يوم وليلة ثم وقع عليها وليس ما يدفعه ، وأما القسمة فجائزة في مثل ذلك ممن هو شريك فيما يقسمه كالإمام إذا قسم بين الرعية وهو منهم ، فكذلك من نصبه الإمام قام مقامه . وقد أجاب الخطابي بالثاني ، وأجاب عن الأول لاحتمال أن تكون عذراء أو دون البلوغ أو أدّاه اجتهاده أن لا استبراء فيها ، ويؤخذ من الحديث جواز التسري على بنت رسول الله ﷺ بخلاف التزويج عليها لما وقع في حديث المسور في كتاب النكاح . أ.هـ .

٧٠٠ ـ *روى الترمذي عَن الْبَراء أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ جَيْشَيْنِ وَأَمَّرَ عَلَى أَحَدِهِمَا عَلي بن أبي طالب وعَلَى الآخَرِ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ فَقَالَ : « إِذَا كَانَ الْقِتَالُ فَعَلِيٌّ » قَالَ : فَافْتَتَحَ عَلِيٌّ حِصْناً فَأَخَذَ مِنْهُ جَارِيَةً ، فَكَتَبَ مَعِي خَالِدُ بْنُ الوَلِيدِ إِلَى النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَشِي بِهِ ، فَقَدِمْتُ عَلَى النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وَسَلَّم فَقَرَأَ الْكِتَابَ فَتَغَيَّرَ لَوْنُهُ ثُمَّ قَال : « مَاتَرَى فِي رَجُلٍ يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ ويُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ ؟ » قَالَ : قُلْتُ : أَعُوذُ باللهِ مِنْ غَضَبِ اللهِ وَغَضَبِ رَسُولِهِ وَإِنَّمَا أَنَا رَسُولٌ ، فَسَكَتَ .

٢ ـ بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن :

٧٠١ ـ * روى البخاري عن أبي بردة : قَالَ : بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أبا مُوسَى وَمُعَاذَ بنَ جَبَلٍ إلى اليَمَنِ ، قالَ : وَبَعثَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى مِخْلافٍ ، قالَ : « واليَمَنُ مِخْلافَانِ » ثُمَّ قالَ : « يَسِّرا وَلا تُعسِّرَا ، وَبَشِّرا وَلاَ تُنَفِّرا » . فَانْطَلَقَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إلى عَمَلِهِ ،

---

٧٠٠ ـ الترمذي (٤ / ٢٠٧) ٢٤ ـ كتاب الجهاد ـ ٢٦ ـ باب ماجاء مَنْ يُستعمل على الحرب ، وقال : هذا حديث حسن غريب . وهو كما قال .

٧٠١ ـ البخاري (٨ / ٦٠) ٦٤ ـ كتاب المغازي ـ ٦٠ ـ باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع .

المخلاف : في اليمن : كالرُّستاق ، ولكل مخلاف في اليمن : اسم يعرف به . وهو كالمديرية أو المحافظة في الاصطلاح الحديث. أيّم هذا : أي : أيّ شيء هذا ؟ فحذف ألف (ما) تخفيفاً .

=

وَكَان كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِذَا سَارَ فِي أَرْضِهِ كَانَ قَرِيبَاً مِنْ صَاحِبِهِ أَحْدَثَ بِهِ عَهْدًا ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ ، فَسَارَ مُعَاذٌ فِي أَرْضِهِ قَرِيبا مِنْ صَاحِبِهِ أَبِي مُوسَى ، فَجَاءَ يَسِيرُ عَلَى بَغْلَتِهِ حتَّى انْتَهَى إِلَيهِ ، وَإِذا هُوَ جَالِسٌ وَقَدْ اجْتَمَعَ إِلَيهِ النَّاسُ ، وَإِذَا رَجُلٌ عِنْدَهُ قَدْ جُمِعَتْ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ ، فَقَالَ لَهُ مُعَاذٌ : يَاعَبْدَ الله بنَ قَيْسٍ : أَيَّمَ هٰذَا ؟ قَال : هٰذَا رَجُلٌ كَفَرَ بعدَ إِسْلامِهِ ، قَالَ : لاأَنْزِلُ حَتَّى يُقتَلَ ، قال : إنما جِيءَ بِهِ لِذٰلِكَ ، فانزل ، قَالَ : مَاأَنزِلُ حَتَّى يُقتَلَ ، فَأَمرَ بِهِ فَقُتِلَ ، ثُمَّ نَزَلَ ، فَقَالَ : يَاعَبْدَ اللهِ ، كَيْفَ تَقْرَأُ القُرْآنَ ؟ قَالَ : أَتَفَوَّقُهُ تَفَوُّقاً ، قَالَ : فَكَيْفَ تَقْرَأُ أَنْتَ يامُعَاذُ ؟ قَالَ : أَنَامُ أَوَّلَ اللَّيْلِ ، فَأَقُومُ وَقَدْ قَضَيْتُ جُزْئي مِنَ النَّوْمِ ، فَأَقْرَأُ مَاكَتَبَ اللهُ لِي ، فَأَحْتَسِبُ نَوْمَتِي كَمَا أَحْتَسِبُ قَوْمَتِي .

٧٠٢ ـ * روى البخاري ومسلم . عن سعيد بن أبي بردةَ عن أبيه قال : بعثَ النبيُّ ﷺ جَدَّهُ أبا موسى ومُعاذًا إلى اليمن فقال : « يَسِّرا ولا تُعَسِّرا وبشِّرا ولا تُنفِّرا وتطاوَعا » فقال أبو موسى : يانبيَّ الله ، إن أرضنا بها شرابٌ منَ الشعيرِ : المِزْر ، وشرابٌ من العَسل : البِتعُ . فقال : « كلُّ مُسْكِرٍ حرام » فَانطلَقا . فقال مُعاذٌ لأبي موسىٰ : كيف تَقرأُ القرآن ؟ قال : قائماً وقاعدا وعلى راحلتي ، وأتفوَّقه تَفوُّقاً . قال : أما أنا فأنامُ وأقوم ، فأحتَسِب نومتي ، كما أحتسبُ قومتي . وضربَ فُسطاطاً فجعلا يَتزاوَران ، فزارَ مُعاذ أبا موسى ، فإذا رجلٌ مُوثَقٌ . فقال : ما هذا ؟ فقال أبو موسىٰ : يهوديٌّ أسلمَ ثمَّ ارتدَّ . فقال مُعاذ : لأضربنَّ عُنُقَه .

٧٠٣ ـ * روى الحاكم عن كعبِ بنِ مالك رضي الله عنه قال : كَانَ مُعاذُ بنُ جَبَلٍ شابًّا حَليماً مِنْ أَفْضَل شَبَاب قَوْمِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ يُمْسِك شَيْئاً ، فَلَمْ يَزَلْ يُدَانُ حَتَّى أُغْرِقَ مَالُهُ ، كُلُّهُ فِي الدَّيْنِ فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ غُرَمَاؤُهُ ، فَلَوْ تَرَكُوا أَحداً مِنْ أَجْلِ أَحدٍ لَتركُوا معَاذاً مِنْ أَجْلِ رَسُولِ الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّم ، فَبَاعَ لَهُم رَسُولُ اللهِ صلَّى الله عليه وآله وسلم

= أتفوّقه تفوّقا : أقرؤه شيئاً بعد شيء ، ووقتا بعد وقت ، من فواق الناقة ، وهو أن تحلب ، ثمّ تترك ساعة حتّى تدرّ ، ثمّ تحلب .

٧٠٢ ـ البخاري (٨ / ٦٢) ٦٤ ـ كتاب المغازي ـ ٦٠ ـ باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع .

ومسلم نحوه (٣ / ١٥٨٦) ٣٦ ـ كتاب الأشربة ـ ٧ ـ باب بيان أن كل مسكر خمر ، وأن كل خمر حرام .

٧٠٣ ـ المستدرك (٣ / ٢٧٣) ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . وأقره الذهبي .

مَالَهُ ، حَتَّى قَامَ مُعاذٌ بغَيْرِ شيءٍ .

وذلك سر إرسال معاذ إلى اليمن ، وقد أرسله النبي ﷺ إلى اليمن لعل الله يرزقه بدل ماله رزقاً حسناً .

٧٠٤ ـ * روى البخاري ومسلم عن عبدِ اللهِ بن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال : قال رسولُ الله ﷺ لمعاذِ بن جَبَل حينَ بَعثهُ إلي اليمن : « إنك ستأتي قوماً من أهلِ الكتاب ، فإذا جئتَهم فادعُهم إلى أن يَشهَدُوا أنّ لا إلَـهَ إلا اللهُ وأنَّ محمداً رسولُ الله . فإنْ هم أطاعوا بذلك فأخبرْهم أنّ اللهَ قد فَرضَ عليهم خمسَ صلواتٍ في كل يومٍ وليلة . فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبِرْهم أنَّ اللهَ قد فرضَ عليهم صَدَقةً تؤخذُ من أغنيائهم فتُرَدُّ على فُقرائهم . فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائمَ أموالهم ، واتَّقِ دَعوةَ المظلوم فإنهُ ليسَ بينَه وبين الله حِجابٌ » .

وَفِي رِوَايَةٍ لمسْلِمٍ[1] عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ عَنْ مُعاذِ بنِ جَبَلٍ ، قَالَ : بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ ، فَقَالَ : إنَّكَ تَأْتِي قَوْماً مِنْ أَهلِ الكِتَابِ ، فَادْعُهُم إلى شَهَادَةِ أَنْ لا إلَـهَ إلا الله . . . وَذَكَرَ الحديثَ بِنَحْوِهِ فَيَكُونُ حِينَئِذٍ مِنْ مُسندِ مُعَاذٍ .

٧٠٥ ـ * روى البخاري عن عمرو بن مَيْمونٍ رَحِمَه اللهُ أنَّ النبيَّ ﷺ بَعَثَ مُعَاذاً إلى اليَمَنِ ، فَقَرأَ مُعَاذٌ في صَلاةِ الصُّبْحِ سُورَةَ النِّسَاء ، فَلَمَّا قَال ﴿ وَاتَّخَذَ الله إبْراهِيمَ خَلِيلاً ﴾ [2] قَالَ رَجُلٌ خَلْفَهُ : قَرَّتْ عَيْنُ أُمِّ إبْرَاهِيمَ .

٧٠٦ ـ * روى البخاري ومسلم عن أبي موسى قال : أقبلْتُ إلى النبيِّ ﷺ وَمَعِي رَجُلانِ

---

٧٠٤ ـ البخاري (٨ / ٦٤) ٦٤ ـ كتاب المغازي ـ ٦٠ ـ باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع .

ومسلم (١ / ٥١) ١ ـ كتاب الإيمان ـ ٧ ـ باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام .

فإياك وكرائم أموالهم : اجتنب كرائمَ الأموال ، وهي خيارُها ونفائسُها ، ومايُكَرَّمُ على أصحابها ويَعِزُّ عليهم ، جمع كريمة ، فلاتأخذْه في الصدقة ، وخذ الوسط ، لاالعالي ولا النازل الرديء .

(١) مسلم (١ / ٥٠) ١ ـ كتاب الإيمان ـ ٧ ـ باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام .

٧٠٥ ـ البخاري (٨ / ٦٥) ٦٤ ـ كتاب المغازي ـ ٦٠ ـ باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع .

(٢) النساء : ١٢٥ .

٧٠٦ ـ البخاري (١٢ / ٢٦٨) ٨٨ ـ كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتلهم ـ ٢ ـ باب حكم المرتد والمرتدة واستتابتهم . =

مِنَ الأشْعَريينَ ، أَحَـدُهُمَا عَنْ يَمِيني ، والآخَرُ عن يسـاري ، فَكِـلاهُمَا سَـأَلَ العَمَـلَ ، والنبيُّ صَلَّى الله عليـه وسلم يَسْتَـاكُ ، فقـال : « مَـا تَقُولُ يَـاأَبَـا مُـوسَى - أَوْ يَـاعَبْـدَ اللهِ بنَ قَيْسٍ - ؟ » قَالَ : فَقُلْتُ : وَالَّذِي بَعَثَكَ بِـالحَقِّ ، مَـاأَطْلَعَـانِي عَلَى مَـا فِي أَنْفُسِهِمَـا ، وَمَـا شَعَرْتُ أَنَّهُمَا يَطْلُبَـان العَمَلَ ، قَـال : وَكَـأَنِّي أَنْظرُ إِلَى سِـوَاكِـهِ تَحْتَ شَفَتِـهِ وَقَـدْ قَلَصَتْ ، فَقَـالَ : « لَنْ - أَوْ لا - نَسْتَعْمِلَ عَلَى عَمَلِنَـا مَنْ أَرَادَهُ ، وَلَٰكِنْ اذْهَبْ أَنْتَ يَـاأَبَـا مُوسَىٰ - أَوْ يَاعبْدَ الله بنَ قَيْسٍ - » فَبَعَثَهُ عَلَى اليَمَنِ ، ثُمَّ أَتْبَعَهُ مُعَاذَ بنَ جَبَلٍ . ثُمَّ ذكَرَ قِصَّـةَ اليَهُـوديِّ الـذِي أَسْلَمَ ثُمَّ ارْتَـدَّ ، وَزَادَ فِيـهِ : قَـالَ : لاأَجْلِسُ حَتَّى يُقْتَـلَ ، قَضَـاءُ اللهِ وَرَسُولِهِ » ثُمَّ قَوْلَهُمَا فِي قِيَامِ اللَّيْلِ ، وَلَيسَ فِيهِ ذِكْرُ الأَشْرِبَة .

٧٠٧ - * روى الحاكم عن عبد الله بن مسعودٍ رضي الله عنه . قال :لـمَّا قُبِضَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وسلم واسْتَخْلَفُوا أَبا بَكْرٍ رَضِيَ الله عَنْهُ ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْـهِ وآلـه وَسَلَّمَ بَعَثَ مُعَاذاً إلى اليَمَنِ ، فَاسْتَعْمَلَ أَبُو بَكْرٍ رَضِي اللهُ عنه عمرَ عَلَى المَوْسِمِ ، فَلَقِيَ مُعَـاذًا بمكةَ ، وَمَعَهُ رَقِيقٌ ، فَقَالَ ، مـا هؤلاء ؟ فقـال : هؤلاء أُهْدُوا إِلَيَّ ، وهؤلاء لأبي بكر فقَـالَ لَهُ عُمَرُ : إِنِّي أَرَى لكَ أَنْ تَأْتِيَ بِهِمْ أَبَا بَكْرٍ . قَالَ : فَلَقِيَهُ مِنَ الغَدِ . فَقَالَ : يَـاابْنَ الخطَّـاب لَقَد رَأَيْتُنِي البَارِحَة وَأَنَا أَنْزُو إِلىٰ النَّارِ ، وَأَنْتَ آخِذٌ بِحُجْزَتِي وَمَـا أُرَانِي إلا مُطِيعَـكَ ، قَـالَ : فَأَتَى بِهِم أَبَا بَكْرٍ ، فَقَالَ : هؤلاء أُهْدُوا لِي وَهٰؤُلاء لَكَ . قَالَ : فَإِنَّا قَـدْ سَلَّمْنَـا هَـدِيتَـك . فَخَرَجَ مُعَـاذٌ إلى الصلاةِ فَـإِذَا هُمْ يُصَلُّون خَلْفَـهُ ، فَقَـالَ مُعَـاذٌ : لمنْ تُصَلُّون . قَـالُوا : للهِ عَزَّ وَجَلَّ . فَقَالَ : فَأَنْتُم لَهُ فَأَعْتَقَهُم .

٣ - بعثُ أبي عُبيدةَ إلى اليمن :

٧٠٨ - * روى الحاكم عن عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ : جَاءَ العَاقِبُ والسيدُ

= ومسلم (٣ / ١٤٥٦) ٣٣ - كتاب الإمارة -٣ - باب النهي عن طلب الإمارة والحرص عليها .

قَلَصَتْ : انضمت وانزوت .

٧٠٧ - المستدرك (٣ / ٢٧٢) ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . وأقره الذهبي .

أنزو : أثِبُ . بحُجزتي : الحُجزة : بالضم معقد الإزار من السراويل .

٧٠٨ - المستدرك (٣ / ٢٦٧) ، وقـال : قـد اتفـق الشيخـان على إخراج هـذا الحديث مختصراً في الصحيحين من حـديث الثوري وشعبة عن أبي إسحاق عن صلة بن زفر عن حـذيفـة ، وقـد خـالفهما إسرائيل فقـال : عن صلـة بن زفر عن عبد الله وساق الحديث أتم مما عند الثوري وشعبة ، فأخرجته ؛ لأنه على شرطيهما . صحيح ،، وأقره الذهبي .

صَاحِبَا نَجْرَانَ إِلَىَ النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم يُرِيدَانِ أَنْ يُلاعِنَاهُ فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ : لاَتفْعَلْ فَوَاللهِ لَئِن كَانَ نَبِيًّا فَلَعَنَنَا لاَنُفْلِحُ نحنُ وَلاَعَقِبُنَا مِنْ بَعْدِنَا . فَقَالاَ : بَلْ نُعْطِيكَ مَا سَأَلْتَ وَابْعَثْ مَعَنَا رَجُلاً أَميناً حَقَّ أَمِينٍ . قَالَ : فَاسْتَشْرَفَ لها أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ . فَقَالَ : « قُمْ ياأَبَا عُبَيْدَةَ بنَ الجَرَّاح » فَلَما قفَّى ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم : « هٰذَا أَمِينُ هٰذهِ الأُمَّة » .

وروى [١] عن أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ أَهْلَ اليَمنِ قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى الله عَلَيه وآله وسلم ، فَقَالُوا : ابْعَثْ مَعَنَا رَجُلاً يعلمنا القرآن ، فَأَخَذَ بِيدِ أَبي عُبَيْدَةَ ، فَأَرْسَلَهُ مَعَهُم ، وَقَال : « هٰذا أَمِينُ هٰذِهِ الأمَّة » .

٧٠٩ - * روى البخاري ومسلم عن أَنَسِ بن مَالِكٍ رضِيَ اللهُ عنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَميناً ، وَإِنَّ أَمِينَنَا أَيَّتُها الأُمَّةُ أَبُو عُبَيْدَةَ بنُ الجَرَّاح » .

ولِمُسْلمٍ [٢] : أَنَّ أَهْلَ اليَمَنِ قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَقَالُوا : ابْعَثْ مَعَنَا رَجُلاً يُعَلِّمنَا السُّنَّةَ وَالإِسْلاَمَ ، قَالَ : فَأَخَذَ بِيَدِ أَبي عُبَيْدَةَ فَقَالَ : « هٰذَا أَمِينُ هذه الأُمَّةِ » .

٧١٠ - * روى البخاري ومسلم عن حذيفةَ بن اليَمَانِ رضِيَ الله عنهما قَالَ : جَاءَ أَهْلُ نَجْرَانَ إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فقَالُوا : يَارَسُولَ اللهِ ، ابْعث إِلَيْنَا رَجُلاً أَميناً ، فَقَالَ : « لأَبْعَثَنَّ إِليكم رَجُلاً أَميناً حقَّ أَمينٍ حق أمين » فَاسْتَشْرَف لَهَا النَّاسُ ، قَالَ فَبَعَثَ أَبَا عُبَيْدة بنَ الجَرَّاحِ .

وَفِي رِوايَةِ التِرمِذِي [٣] قَالَ : جَاءَ العَاقِبُ والسَّيِّدُ إلى النبيِّ ﷺ ، فقَالاَ : ابْعَثْ مَعَنَا

---

(١) الحاكم في نفس الموضع السابق ، وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه بذكر القرآن . وأقره الذهبي .

٧٠٩ - البخاري (٧ / ٩٢) ٦٢ - كتاب فضائل الصحابة - ٢١ - باب مناقب أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه .

ومسلم (٤ / ١٨٨١) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٧ - باب فضائل أبي عبيدة بن الجراح ، رضي الله عنه .

(٢) مسلم في الموضع السابق .

٧١٠ - البخاري (٧ / ٩٣) ٦٢ - كتاب فضائل الصحابة - ٢١ - باب مناقب أبي عبيدة بن الجراح ، رضي الله عنه .

ومسلم واللفظ له في الموضع السابق .

(٣) الترمذي (٥ / ٦٦٧) ٥٠ - كتاب المناقب - ٣٣ - باب مناقب معاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت ، وأُبَيّ ، وأبي عبيدة ابن الجراح رضي الله عنهم . وقال : هذا حديث حسن صحيح .

السَّيد : مقدَّمُ القوم وكبيرُهم   والعاقب : هو الذي يخلفه ويكون من بعده .

أمينَكَ ، قَالَ : « فَإني سَأَبْعَثُ مَعَكُم . . . وَذَكَرَ الحَدِيثَ .

قَالَ : وَكَانَ أَبُو إِسْحَاقَ إِذَا حَدَّثَ بِهٰذَا الحَدِيث عَنْ صِلَةَ بنِ زُفَرٍ وَهُوَ الراوي عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ : سَمِعْتُه مُنْذُ سِتينَ سَنَة .

فصل : في نماذج من الوفود

١ - وفد بني تميم :

٧١١ - * روى البخاري عن عمرانَ بنِ حُصَين رضي اللهُ عنهما قال : جاءَ نَفَرٌ من بني تميم إلى النبيِّ ﷺ فقال : « يابني تميم أبشِروا » فقالوا : بَشَّرْتَنا فأَعْطِنا . فتغيرَ وَجهُهُ . فجاءَهُ أهلُ اليَمنِ ، فقال : « ياأهلَ اليمنِ اقبَلوا البُشرى إذ لم يَقْبَلْها بنو تميم » قالوا : قبِلْنا .

قال في الفتح :

قوله (فتغير وجهه) إما للأسف عليهم كيف آثروا الدنيا ، وإما لكونه لم يحضره مايعطيهم فيتألفهم له ، أو لكل منهما . قوله (فجاءه أهل اليمن) هم الأشعريون قوم أبي موسى ، وقد أورد البخاري حديث عمران هذا وفيه مايستأنس به لذلك . ثم ظهر لي أن المراد بأهل اليمن هنا نافع بن زيد الحميري مع وفد معه من أهل حمير ، وقد ذكرت مستند ذلك في « باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن » وأن هذا هو السر في عطف أهل اليمن على الأشعريين مع أن الأشعريين من جملة أهل اليمن ، لما كان زمان قدوم الطائفتين مختلفا ولكل منهما قصة غير قصة الآخرين وقع العطف .

٢ - قدوم الأشعريين وأهل اليمن :

قال البخاري (١) : وقال أبو موسى عن النبي ﷺ « هم مني وأنا منهم » .

٧١٢ - * وروى أحمد والطبراني عن فيروز قال : إِنَّهُمْ أَسْلَمُوا وَكَانَ فِيمَن أَسْلَمَ ، فَبَعَثُوا وَفْدَهُم إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ بِبَيْعَتِهِم وَإِسْلامِهِم ، فَقَبِلَ ذلِكَ مِنْهُم رَسُولُ الله ﷺ . فَقَالُوا :

---

٧١١ - البخاري (٦ / ٢٨٦) ٥٩ - كتاب بدء الخلق - ١ - باب ماجاء في قوله تعالى [٢٧ : الروم] ﴿ وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ﴾ .

(١) ذكره البخاري معلقاً (٨ / ٩٦) ٦٤ - كتاب المغازي - ٧٤ - باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن .

٧١٢ - أحمد في مسنده (٤ / ٢٣٢) .

والطبراني نحوه في المعجم الكبير (١٨ / ٣٣١) .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٤٠٦) : رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني ، ورجال أحمد رجال الصحيح غير عبد الله بن فيروز ، وهو ثقة .

يَارَسُولَ الله نَحْنُ مَنْ قَدْ عَرَفْتَ ، وَجِئْنَا مِنْ حَيْثُ قَدْ عَلِمْتَ وَأَسْلَمنا ، فَمنْ وَلِيُّنَـا قـالَ : « اللهُ وَرَسُولُه » قَالُوا : حَسبُنَا رَضِينَا .

٧١٣ - * روى البخاري عن أبي مسعود أنَّ النبيَّ ﷺ قال: « الإيمانُ هـاهنـا - وأشـار بيدهِ إلى اليمن - والجَفاءُ وغِلـظُ القلوبِ في الفـدّادِينَ عنـدَ أُصولِ أذنـابِ الإبل من حيث يَطلُع قَرنا الشيطانِ ربيعةَ ومُضَر» .

٧١٤ - * وروى البخاري عن أبي هريرة رضيَ اللهُ عنه عنِ النبي ﷺ قال :« أتاكم أهلُ اليمنِ هم أرقُّ أفئدةً وأَلْيَنُ قلوباً . الإيمـانُ يَمان ، والحكمـة يَمانيـة . والفخرُ والخيلاءُ في أصحابِ الإبل ، والسَّكينة والوَقار في أهل الغَنَمَ » .

٧١٥ - * وروى البخاري عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : « الإيمانُ يمان ، والفتنة ها هنا ؛ ها هنا يَطلعُ قرنُ الشيطان .

٧١٦ - * روى البخاري عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنه عن النبي ﷺ قال : « أتـاكم أهلُ اليمن أضعفُ قلوباً وأرقُّ أفئدةً . الفقهُ يمان ، والحكمة يَمانية » .

قال في الفتح : قوله : (الإيمان ههنا وأشار بيـده إلى اليمن) أي إلى جهة اليمن ، وهـذا يدل على أنه أراد أهل البلد لا من ينسب إلى اليمن ولو كان من غير أهلها .

وقال : قوله : « أتاكم أهل اليمن » ترد قول من قـال : إن المراد بقولـه « الإيمـان يمـان » الأنصار وغير ذلك .

٣ - وفد عَبْدِ القيسِ :

٧١٧ - * روى البخـاري ومسلم عن ابن عبـاس ، قـال : إنَّ وَفْـدَ عبْـدِ القَيْسِ أَتَوْا رَسُولَ اللهِ

---

٧١٣ - البخاري (٨ / ٩٨) ٦٤ - كتاب المغازي - ٧٤ - باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن .

٧١٤ - البخاري في نفس الموضع السابق .

٧١٥ - البخاري في نفس الموضع السابق (٨ / ٩٩) .

٧١٦ - البخاري في نفس الموضع السابق .

٧١٧ - البخاري (١ / ١٢٩) ٢ - كتاب الإيمان - ٤٠ - باب أداء الخمس من الإيمان .

وأيضاً (١ / ١٨٣) ٣ - كتاب العلم - ٢٥ - باب تحريض النبي ﷺ وفد عبد القيس على أن يحفظوا الإيمـان. . . . =

ﷺ : فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ « مَنِ الوفْدُ ؟ - أو - مَنِ الْقَوْمُ ؟ » قَالُوا : رَبِيعَةُ . قَالَ : « مَرْحَباً بِالْقَوْمِ - أَوْ بِالْوَفْدِ - غَيْرَ خَزَايَا وَلاَ النَّدَامى » . قَالَ : فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ ! إِنَّا نَأْتِيكَ مِنْ شُقَّةٍ بَعِيدَةٍ . وَإِنَّ بَيْنَنَا هٰذَا الحَيَّ مِنْ كُفَّارِ مُضَرَ . وَإِنَّا لاَ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَأْتِيَكَ إِلا فِي شَهْرِ الحرامِ . فَمُرْنَا بِأَمْرٍ فَصْلٍ ، نُخْبِرُ بِهِ مَنْ وَرَاءَنَا ، نَدْخُلُ بِهِ الجَنَّةَ . قَالَ : فَأَمَرَهُم بِأَرْبَعٍ . وَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ . قَالَ : أَمَرَهُمْ بِالإِيمَانِ بِاللهِ وَحْدَهُ . وَقَالَ : « هَلْ تَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِاللهِ ؟ » قَالُوا : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ : « شَهَادَةُ أَنْ لا إِلٰهَ إِلا اللهُ وَأَنَّ مُحمَّداً رَسُولُ اللهِ . وَإِقَامُ الصَّلاةِ . وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ . وَصَوْمُ رَمَضَانَ . وَأَنْ تُؤَدُّوا خُمُساً مِنَ المَغْنَمِ » وَنَهَاهُمْ عَنِ الدُّبَّاءِ وَالحَنْتَمِ وَالمُزَفَّتِ . قَالَ شُعْبَةُ : وَرُبَّمَا قَالَ : النَّقِيرِ . قَالَ شُعْبَةُ : وَرُبَّمَا قَالَ : الْمُقَيَّرِ . وَقَالَ : « احْفَظُوهُ وَأَخْبِرُوا بِهِ مَنْ وَرَائِكُم » . وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ فِي رِوَايَتِهِ : « مَنْ وَرَاءَكُمْ » وَلَيْسَ فِي رِوَايَتِهِ الْمُقَيَّرُ .

وزاد مسلم في رواية عن ابن عباس [١] : وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِلأَشَجِّ أَشَجِّ عَبْدِ الْقَيْسِ : « إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ : الحِلْمُ وَالأَنَاةُ » .

قال في الفتح : والذي تبين لنا أنه كان لعبد القيس وفادتان : إحداهما قبل الفتح ، ولهذا قالوا للنبي ﷺ « بيننا وبينك كفار مضر » وكان ذلك قديماً إما في سنة خمس أو

= ومسلم واللفظ له (١ / ٤٧) ١ - كتاب الإيمان - ٦ - باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ وشرائع الدين .

غير خزايا ولا الندامى : أي أنه لم يكن منكم تأخر عن الإسلام ولا عناد ولا أصابكم أسار ولا سباء ولا ماأشبه ذلك مما تستحيون بسببه أو تذلون أو تهانون أو تندمون .

الدُّبَّاء : هو القرع اليابس ، أي الوعاء منه .

الحنتم : الواحدة حنتة . وقد اختلف فيه . فأصح الأقوال وأقواها أنها جرار خضر .

النقير : جذع ينقر وسطه .

المُقيَّر : هو المزفَّت ، وهو المطليّ بالقار وهو الزفت . وقيل : الزفت نوع من القار . والصحيح الأول . وأما معنى النهي عن هذه الأربع فهو أنه نهى عن الانتباذ فيها ، وهو أن يجعل في الماء حبات من تمر أو زبيب أو نحوهما ليحلو ويشرب وإنما خصت هذه بالنهي لأنه يسرع إليها الإسكار فيها . فيصير حراماً نجساً .

أقول : وقد علق التحريم فيا بعد على الإسكار ونسخ ماسوى ذلك .

(١) مسلم (١ / ٤٨) ١ - كتاب الإيمان - ٦ - باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ وشرائع الدين .

الحلم : العقل .

الأناة : التثبت وترك العجلة .

قبلها ، وكانت قريتهم بالبحرين أول قرية أقيمت فيها الجمعة بعد المدينة ، وكان عدد الوفد الأول ثلاثة عشر رجلاً ، وفيها سألوا عن الإيمان وعن الأشربة ، وكان فيهم الأشج وقال له النبي ﷺ « إنَّ فيك خصلتين يحبهما الله : الحلم والأناة » كما أخرج ذلك مسلم من حديث أبي سعيد .

وقال : وفي حديث هود بن عبد الله بن سعد العصري أنه سمع جَدَّه مَزِيدة العصري قال - بينما النبي ﷺ يحدث أصحابه إذ قال لهم : « سيطلع عليكم من ههنا رَكْب هم خير أهل المشرق » فقام عمر فتوجه نحوهم فلقي ثلاثة عشر راكباً فبشرهم بقول النبي ﷺ ، ثم مشى معهم حتى أتوا النبي ﷺ ، فرموا بأنفسهم عن ركائبهم فأخذوا يده فقبلوها ، وتأخر الأشج في الركاب حتى أناخها وجمع متاعهم ثم جاء يمشي ، فقال النبي ﷺ : « إن فيك خصلتين . . . »الحديث أخرجه البيهقي ، وأخرجه البخاري في « الأدب المفرد » مطولا من وجه آخر عن رجل من وفد عبد القيس لم يسمه . ثانيتهما كانت في سنة الوفود ، وكان عددهم حينئذ أربعين رجلاً كما في حديث أبي حيوة الصناحي الذي أخرجه ابن منده ، وكان فيهم الجارود العبدي ، وقد ذكر ابن إسحاق قصته وأنه كان نصرانياً فأسلم وحسن إسلامه . ويؤيد التعدد ما أخرجه ابن حبان من وجه آخر أن النبي ﷺ قال لهم « مالي أرى ألوانكم تغيرت » ففيه إشعار بأنه كان رآهم قبل التغير . أ.هـ .

٤ ـ وفدُ طَيِّءٍ :

٧١٨ ـ * روى البخاري عن عَدِيٍّ بن حاتم قال : أَتَينا عمرَ في وَفدٍ ، فجعلَ يَدعو رجلاً رجلاً ويُسَمِّيهم . فقلتُ : أما تَعرِفُني ياأميرَ المؤمنين ؟ قال : بلىٰ ، أسلمتَ إذ كفَروا ، وأقبلتَ إذ أدْبروا ، ووَفَيتَ إذ غَدَروا ، وعَرَفتَ إذ أنكروا . فقال عديٌّ : فلا أُبالي إذاً .

قال في الفتح :قوله (فقال عدي : فلا أبالي إذاً) أي إذا كنت تعرف قدري فلا أبالي إذا قدمت علي غيري .

---

٧١٨ ـ البخاري (٨ / ١٠٢) ٦٤ ـ كتاب المغازي ـ ٧٦ باب قصة وفد طيء .

وأخرج مسلم [١] من وجه آخر عن عدي بن حاتم قال : أتيت عمر فقال : إن أول صدقة بيضت وجه رسول الله ﷺ ووجوه أصحابه صدقة طيء ، جئتَ بها إلى النبي ﷺ .

٥ ـ وفد بني حنيفة :

٧١٩ ـ * روى البخاري عن ابن عبّاسٍ رضيَ الله عنهما قال : قَدِمَ مُسيلمةُ الكذّابُ على عهد رسولِ الله ﷺ فجعلَ يقول : إن جعلَ لي محمدٌ الأمْرَ من بعدهِ تَبِعتُه . وقَدِمَها في بشرٍ كثيرٍ من قومهِ ، فأقبلَ إليهِ رسولُ الله ﷺ ومعهُ ثابتُ بن قيسِ بن شمّاس ـ وفي يد رسول الله ﷺ قطعة جَريد ـ حتى وَقفَ على مُسيلمةَ في أصحابهِ فقال : « لو سألتَني هذهِ القطعة ما أعطيتُكها ، ولن تَعدُوَ أمرَ الله فيك ، ولئن أدبرتَ ليَعقِرَنَّكَ الله . وإني لأراكَ الذي أُريتُ فيه ما رأيتُ ، وهذا ثابتٌ يُجيبُكَ عني . ثم انصرفَ عنه ».

٧٢٠ ـ * روى البخاري عن ابنِ عباسٍ ، قال : سألتُ عن قول رسول الله ﷺ : « إنكَ أرَى الذي أُريتُ فيه ما أُريتُ » فأخبرَني أبو هريرة أنّ رسولَ الله ﷺ قال : « بينا أنا نائمٌ رأيتُ في يديَّ سِوارَينِ من ذَهب ، فأهمني شأنُها فأُوحي إليَّ في المنام أن انفُخهما فنفختُهما فطارا ، فأوّلتُهما كذابَين يَخرُجان بعدي : أحدُهما العَنْسيُّ ، والآخَرُ مُسَيْلمة » .

٧٢١ ـ * وروى البخاري عن أبي رجاء العُطارديّ قال : كنّا نَعبُد الحجرَ ، فإذا وجَدْنا حجراً هوَ أخْيَرُ منه ألقيناهُ وأخذنا الآخرَ ، فإذا لم نجد حجراً جَمعْنا جُثْوَةً من تراب ، ثم جئنا بالشاةِ فحلَبناهُ ، ثمَّ طُفنا به . فإذا دخلَ شهرُ رجبٍ قلنا : مُنصِّلُ الأسنَّة ، فلا نَدَعُ رمحاً فيه حديدة ، ولاسَهماً فيه حديدة إلا نَزَعْناه وألقيناهُ شهرَ رجب .

وروى أيضًا عنه قال [٢] : كنت يومَ بُعث النبيُّ ﷺ غلاماً أرعى الإبلَ على أهلي ،

---

(١) مسلم (٤ / ١٩٥٧) ٤٤ ـ كتاب فضائل الصحابة ـ ٤٧ ـ باب من فضائل غفار وأسلم وجهينة وأشجع ومزينة وتميم ودوس وطيء .

٧١٩ ـ البخاري (٨ / ٨٩) ٦٤ ـ كتاب المغازي ـ ٧٠ ـ باب وفد بني حنيفة ، وحديث ثمامة بن أثال .

٧٢٠ : البخاري في نفس الموضع السابق .

٧٢١ ـ البخاري في نفس الموضع السابق (٨ / ٩٠) .

(٢) البخاري في نفس الموضع السابق .

فلما سمعنا بخروجه فرَوْنا إلى النار ، إلى مسيلمة الكذّاب .

قال في الفتح : قوله (كنت يوم بعث النبي ﷺ غلاما أرعى الإبل على أهلي ، فلما سمعنا بخروجه فررنا إلى النار ، إلى مسيلمة الكذاب) الذي يظهر أن مراده بقوله « بعث » أي اشتهر أمره عندهم ، ومراده بخروجه أي ظهوره على قومه من قريش بفتح مكة ، وليس المراد مبدأ ظهوره بالنبوة ولا خروجه من مكة إلى المدينة لطول المدة بين ذلك وبين خروج مسيلمة ، ودلت القصة على أن أبا رجاء كان من جملة من بايع مسيلمة من قومه بني عطارد ابن عوف بن كعب بطن من بني تميم ، وكان السبب في ذلك أن سجاحا بفتح المهملة وتخفيف الجيم وآخره حاء مهملة وهي امرأة من بني تميم ادعت النبوة أيضاً فتابعها جماعة من قومها ، ثم بلغها أمر مسيلمة فخادعها إلى أن تزوجها واجتمع قومها وقومه على طاعة مسيلمة . ا هـ / ثم أسلم أبو رجاء .

فائدة : ذكر ابن سعد في طبقاته أخبار اثنين وسبعين وفدا وهي :

وفد مزينة	وفد سلامان	وفد بارق
وفد أسد	وفد جهينة	وفد دوس
وفد بني عبد بن عدي	وفد كلب	وفد ثمالة والحدان
وفد كِنْدة	وفد جرم	وفد أسلم
وفد تميم	وفد تجيب	وفد جذام
وفد أشجع	وفد خولان	وفد مهرة
وفد الصدف	وفد جعفي	وفد حمير
وفد عبس	وفد صداء	وفد نجران
وفد باهلة	وفد مراد	وفد جيشان
وفد خشين	وفد زبيد	وفد السباع
وفد فزارة	وفد جعدة	وفد الأزد
وفد مرة	وفد قشير بن كعب	وفد غسان

وفد ثعلبة
وفد محارب
وفد سعد بن بكر
وفد كلاب
وفد رؤاس بن كلاب
وفد عقيل بن كعب
وفد شيبان
وفد طيء
وفد سعد هذيم
وفد بلي
وفد بهراء
وفد عذرة

وفد بني البكاء
وفد كنانة
وفد سليم
وفد هلال بن عامر
وفد عامر بن صعصعة
وفد ثقيف
وفود ربيعة : عبد القيس
وفد بكر بن وائل
وفد تغلب
وفد حنيفة
وفد أزد عمان
وفد غافق

وفد الحارث بن كعب
وفد همدان
وفد سعد العشيرة
وفد عنس
وفد الداريين
وفد الرهاويين حي من مذحج
وفد غامد
وفد النخع
وفد بجيلة
وفد خثعم
وفد الأشعريين
وفد حضر موت

إنّ قصص الوفود وأخبارها وكيفية تعامل رسول الله ﷺ معها من الأهمية بالمكان الكبير وكُتّابُ السِّيرِ أشبعوها بحثا وتحقيقا غير أنّ كتابنا هذا قد التزم شروطا لايسعنا أن نذكر معها كل تحقيقات كتّاب السير .

ولكننا نلفت النظر إلى أن تعامل رسول الله ﷺ مع الوفود هو من أعظم المظاهر لسياسات رسول الله ﷺ ودقته في الترتيب والتنظيم ومعرفة النفسية البشرية وحسن التعامل معها إلى غير ذلك مما يدخل في دوائر التعليم والتربية والتثقيف وبعد النظر وجمع القلوب على الغاية وربط أفراد بأعيانهم بالمركز بحيث تبقى في كل الظروف والأحوال مرتكزات قوية للإسلام إلى غير ذلك من مظاهر العظمة التي تُعْطي للعاملين في كل الحقول نفسياً واجتماعياً واقتصادياً وإدارياً وسياسياً وعسكرياً تُعطي لكل عامل في جانب من هذه الجوانب دروسا تكفيه وتغنيه .

ونلفت النظر إلى أهمية أن يتتبع القارئ أخبار هذه الوفود في كتب السير والمغازي .

* * *

فصل : في حجّة الوداع

٧٢٢ - * روى الترمذي عن قَتادةَ قال : سألتُ أنساً رضي الله عنه : كم حجَّ رسولُ الله ﷺ ؟ قال : حَجَّ حَجَّةً واحدة ، واعتَمرَ أربعَ عُمَرٍ : عُمرَةٌ في ذي القعدة ، وعُمرَةَ الحُدَيبيَةِ ، وعمرةٌ مع حجَّته ، وعُمْرَةَ الجِعرانة ، إذ قَسَمَ غَنيمةَ حنينٍ .

وفي رواية البخاري ومسلم [١] : أنَّ رسولَ الله ﷺ اعتَمَرَ أربع عُمَرٍ ، كُلُّها في ذي القَعدة ، إلا التي مع حَجَّته : عمرة من الحُدَيبية - أو زَمنَ الحديبية - في ذي القَعدة ، وعمرةً من العام المقبل في ذي القَعدة ، وعمرةً من جِعْرانةَ ، حيث قسم غَنَائمَ حُنينٍ في ذي القعدة ، وعمرةً في حَجَّته .

٧٢٣ - * روى البخاري عن زيد بن أرقم : أن النبيَّ ﷺ غَزَا تسعَ عَشرةَ غَزْوةً ، وَإنَّهُ حَجَّ بَعدَ مَا هَاجَرَ حجةً وَاحِدةً لم يَحُجَّ بَعْدَها : حجَةَ الوَدَاعِ . قالَ أبو إسْحاقَ : وبمكة أُخرى .

قال ابن حجر في الفتح :

قوله (قال أبو إسحاق [٢] : وبمكة أخرى) هو موصول بالإسناد المذكور ، وغرض أبي إسحاق أن لقوله « بعد ماهاجر » مفهوما ، وأنه قبل أن يهاجر كان قد حج ، ولكن اقتصاره على قوله أخرى قد يوهم أنه لم يحج قبل الهجرة إلا واحدة ، وليس كذلك بل حج قبل أن يهاجر مرارا ، بل الذي لاأرتاب فيه أنه لم يترك الحج وهو بمكة قط ، لأن قريشاً في الجاهلية لم يكونوا يتركون الحج ، وإنما يتأخر منهم عنه من لم يكن بمكة أو عاقه ضعف ، وإذا كانوا وهم على غير دين يحرصون على إقامة الحج ويرونه من مفاخرهم التي

---

٧٢٢ - الترمذي (٣ / ١٧٠) ٧ - كتاب الحج - ٦ - باب ماجاء : كم حج النبي ﷺ ؟. وقد قدّمنا رواية الترمذي على رواية البخاري ومسلم ؛ لأنها أصرح في موضوع الباب .

(١) البخاري (٣ / ٦٠٠) ٢٦ - كتاب العمرة - ٣ - باب كم اعتمر النبي ﷺ ؟ .

ومسلم (٢ / ٩١٦) ١٥ - كتاب الحج ٣٥ - باب بيان عدد عُمَر النبي ﷺ وزمانهن .

٧٢٣ : البخاري (٨ / ١٠٧) ٦٤ - كتاب المغازي - ٧٧ - باب حجة الوداع .

(٢) أقول : قد يكون معنى قول أبي إسحاق : (وبمكة أخرى) أي : وبمكة حججاً أخرى ، فأخرى تكون صفة لمفرد وجمع .

امتازوا بها على غيرهم من العرب فكيف يظن بالنبي ﷺ أنه يتركه ؟ وقد ثبت من حديث جبير بن مطعم أنه رآه في الجاهلية واقفا بعرفة ، وأن ذلك من توفيق الله له ، وثبت دعاؤه قبائل العرب إلى الإسلام بمنى ثلاث سنين متوالية كما بينته في الهجرة إلى المدينة . أ هـ .

٧٢٤ - * روى مسلم عن جابر : أنَّ رسولَ الله ﷺ مَكَثَ تِسْعَ سِنِينَ لم يَحُجَّ ، ثُمَّ أَذَّنَ في النَّاسِ في العاشرة ، أنَّ رسولَ الله ﷺ حاجٌّ ، فَقَدِمَ المدينةَ بَشَرٌ كثيرٌ ، كلُّهم يَلْتَمِسُ أَنْ يَأْتَمَّ برسول الله ﷺ ، ويَعْمَلَ مِثْلَ عَمَلِهِ ، فَخرجْنا معه حتى أتينا ذا الحُلَيْفَة ، فَوَلَدَتْ أسماءُ بنتُ عُمَيْسٍ مُحمَّدَ بنَ أبي بكرٍ ، فأرسلت إلى رسولِ الله ﷺ ، كيف أَصْنَعُ ؟ قال : « اغْتَسِلِي واسْتَثْفِرِي بِثَوبٍ وأحرمي » فَصَلَّى رسولُ اللهِ ﷺ في المسجد ، ثم رَكِبَ القَصْواءَ ، حتى استَوَتْ به نَاقَتُه على البَيْداء ، نَظَرتُ إلى مَدِّ بصري بين يديه مِنْ رَاكبٍ وماشٍ ، وعن يمينِهِ مثل ذلك ، وعن يسارِهِ مثل ذلك ، ومن خَلْفِهِ مثلَ ذلك ، ورسولُ الله ﷺ بين أظهُرِنا ، وعليه يَنْزِلُ القرآنُ ، وهو يَعْرِفُ تأويلَهُ ، وماعَمِلَ به من شيءٍ عَمِلْنا بِهِ ، فأَهلَّ بالتوحيد : « لَبَّيكَ اللَّهمَّ لَبَّيْكَ ، لَبَّيْكَ لاَ شريكَ لَكَ لَبَّيْك ، إنَّ الحمدَ والنِّعْمَةَ لَكَ والمُلْكَ ، لا شَريكَ لَكَ » وأَهَلَّ النَّاس بهذا الذي يُهِلُّونَ به ، فلم يَرُدَّ عليهم رسولُ الله ﷺ شيئاً منه ، ولَزِمَ رسولُ الله ﷺ تَلبيتَهُ - قال جابر : لَسْنَا نَنْوِي إلا الحجَّ ، لَسنا نعرفُ العُمرةَ - حَتى إذا أَتَينا البَيْتَ معه استلم الرُّكنَ ، فَرَمَلَ ثَلاثاً ، ومَشَى أربعاً ، ثم نَفَذَ إلى مَقامِ إبراهيم عليه السلام ، فقرأ ﴿ واتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾[1] فَجَعَلَ المَقَامَ بينه وبين البيتِ ، فكانَ أبي يَقولُ (أي والد جعفر بن محمد) - ولا أَعْلَمُهُ ذَكَره إلا عن النبي ﷺ - كان يقرأ في الركعتين ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾ و﴿ قُلْ يَاأَيُّهَا

---

٧٢٤ - مسلم (٢ / ٨٨٦) ١٥ - كتاب الحج - ١٩ - باب حجة النبي ﷺ .

واستثفري : استِثْفارُ الحائض : هو أَنْ تَشد فَرجَها بخرقَة عريضةٍ تُوثِقُ طرَفيها في شيء آخر قد شدَّتْهُ على وسطها ، ليَمتنعَ الدّم أن يجريَ ويقْطُرَ .

القَصْواءَ : اسمُ ناقة رسول الله ﷺ ، ولم تكن قَصْوَاءَ ، لأن القَصْواءَ هي المقطوعةُ الأُذُن .

وأهَلَّ الناس بهذا الذي يُهِلُّون به : يعني زاد بعضهم : لبيك وسعديك ، والخير كله بيديك ، والفضل منك وإليك ، لبيك لاشريك لك لبيك ... وأمثال ذلك .

(١) البقرة : ١٢٥ .

الكافِرُونَ ﴾ ثم رَجَعَ إلى الرُّكن فَاسْتَلَمهُ ، ثم خَرَجَ من الباب إلى الصّفا ، فَلَمَّا دنا من الصفا قرأ : ﴿ إنَّ الصَّفَا والمَروَةَ من شَعَائِرِ الله ﴾ [1] أَبدأُ بما بَدَأَ الله به ، فَبَدَأَ بالصفا ، فَرَقِيَ عَليه حتَّى رأى البيتَ ، فاسْتَقْبَلَ القِبْلَةَ ، فَوَحَّدَ الله وكَبَّرَهُ ، وقال : « لا إلـه إلا الله / وحدَه لا شريكَ له ، له الملكُ ، وله الحمدُ ، وهو على كل شيء قديرٌ ، لا إلَـهَ إلا الله وحدَهُ ، أَنْجَزَ وعْدَهُ ، ونَصَرَ عَبْدَهُ ، وهَزَمَ الأحزَابَ وحدَهُ » ثُمَّ دَعَا بيْن ذلك ـ قال مثل هذا ثلاثَ مَرَّاتٍ ـ ثم نَزلَ إلى المَروةِ ، حتَّى إذا انْصَبَّتْ قَدَمَاهُ في بَطْنِ الوادي سعى حتى إذا صَعِدَتَا مَشى ، حتى أتى المروةَ ، فَفَعَلَ على المروةِ كما فَعَلَ على الصَّفَا ، حتى إذا كان آخرُ طوافه عَلاَ على المروةِ فقال : « لو أنِّي اسْتَقْبَلْتُ من أمري ما اسْتَدْبَرْتُ لَمْ أَسُقِ الهدْي وجَعلتُها عُمْرَةً ، فمن كان منكم لَيْسَ مَعَهُ هَديٌ فَلْيَحِلَّ ، ولْيَجعلْهَا عُمرَةً » فقام سُراقةُ بنُ مالك بنِ جُعْشُمٍ ، فقال : يارسولَ الله ، ألِعَامِنَا هذا ، أم لأَبَدٍ ؟ فَشبَّكَ رسولُ الله ﷺ أصابعَهُ واحدَةً في الأخرى وقال : « دَخلَت العُمرةُ في الحجِّ ـ مرَّتَيْنِ ـ لا ، بل لأَبَدِ أَبَدٍ » وقَدِمَ عليٌّ من اليمن بِبُدْنِ النبيِّ ﷺ ، فوجَدَ فَاطِمَةَ مِمَّنْ حَلَّ ، ولَبستْ ثِياباً صَبيغاً ، واكتحلت ، فأنكَرَ ذلك عليها ، فقالت : إنَّ أبي أمَرَني بهذا ، قال : فكان عليٌّ رضي الله عنه يقول بالعراق : فذهبتُ إلى رسول الله ﷺ مُحَرِّشاً على فاطمة للذي صَنعتْ ، مُستفتياً لرسول الله ﷺ فيما ذكرَتْ عنه ، فأخبرتُه : أني أنكرتُ ذلك عليها فقال : « صدَقَتْ ، صَدَقتْ ، ماذا قلتَ حينَ فَرَضْتَ الحجَّ ؟ » قال : قلتُ : اللهم إني أُهِلُّ بما أَهلَّ به رَسُولُكَ ، قال : « فإنَّ مَعيَ الهَديَ فلا تَحِل » قال : فكان جماعةُ الهدي الذي قَدِمَ به عليٌّ من اليمن والذي أتى به النبيُّ ﷺ مائَةً ، قال : فَحلَّ الناسُ كُلُّهم وقَصَّروا ، إلا النبيَّ ﷺ ومَنْ كانَ معه هَديٌ ، فَلَمَّا كان يَومُ التَّرويَةِ توجَّهوا إلى منىً فأهلوا بالحج ، ورَكبَ رسولُ الله ﷺ ، فصلَّى بها الظهرَ والعصرَ والمغربَ والعشاءَ والفجرَ ، ثم مكثَ قليلاً حتى طلَعتِ الشمسُ ، وأمَرَ بِقُبَّةٍ من شَعَرٍ تُضْرَبُ له بِنَمِرَةَ ، فَسَارَ رسولُ الله ﷺ ، ولا تَشُكُّ قُرَيشٌ إلا أنه واقفٌ عند المَشْعَرِ الحَرَامِ كما كانت قُرَيشٌ تَصْنَعُ في

---

(١) البقرة : ١٥٨ .

صَبيغاً : ثوبٌ صَبِيغٌ ، أي : مَصبُوغٌ ، فَعيلٌ بمعنى : مَفْعول .

مُحَرِّشاً : التَّحريشُ : الإغراء ، ووصفُ مايوجبُ عِتابَ المنقول عنه وتوبيخه .

=

الجاهلية ، فأجازَ رسولُ الله ﷺ حتى أَتى عرفةَ ، فَوجَدَ القُبَّةَ قد ضُرِبَت له بنَمِرَةَ ، فَنَزَلَ بها ، حتى إذا زَاغَتِ الشمسُ أَمَرَ بالقصْواء فَرُحِلت له ، فَأَتى بَطْنَ الْوادي ، فَخَطَبَ النَّاسَ ، وقال : « إنَّ دِماءَكُم وأَموالَكم حَرَامٌ عليكم كَحُرمَةِ يَومِكُمْ هذا ، في شَهْرِكم هذا ، في بلدكم هذا أَلا كُلُّ شَيءٍ من أَمرِ الجاهليةِ تَحْتَ قَدَميَّ مَوضُوعٌ ، ودِماءُ الجاهليةِ مَوْضُوعَةٌ ، وإنَّ أَوَّلَ دَمٍ أَضعُ من دِمائِنا دَمُ ابنِ ربيعةَ بن الحارث ، كان مُستَرْضَعًا في بني سَعدٍ، فَقَتَلَتْهُ هُذيلٌ. ورِبا الجاهلية موضوعٌ، وأَوَّلُ رِباً أَضعُ رِبانا، رِبا العَبَّاسِ بنِ عبد المطلب، فإنه موضوعٌ كُلُّهُ، فاتَّقُوا الله في النِّساء، فإنكم أَخذْتُموهُنَّ بأَمانِ الله، واستحلَلْتُمْ فُروجَهُنَّ بكلمةِ الله، ولكم عليهنَّ أن لا يُوطِئْنَ فُرُشَكم أَحداً تَكْرهُونَه، فإنْ فَعَلْنَ ذلك فاضْرِبُوهُنَّ ضرباً غيرَ مُبَرِّح، ولَهُنَّ عليكم رِزْقُهنَّ وكِسْوتُهُنَّ بالمعروف، وقد تَرَكْتُ فيكم ما لن تَضِلُّوا بعدَه، إن اعتصمتم به ، كتابَ الله، وأنتم تُسأَلُونَ عنِّي، فَمَا أَنتُمْ قائلون ؟» . قالوا: نَشهَدُ أنك قد بَلَّغْتَ وأَدَّيتَ ونَصَحْتَ ، فقال بإصْبَعِهِ السَّبابةِ، يَرْفَعُها إلى السماء ويَنْكُتُها إلى النَّاس :« اللَّهمَّ اشْهَدْ، اللهمَّ اشْهَدْ » ثلاث مرات ، ثم أَذَّنَ بلالٌ ، ثم أَقامَ فَصَلَّى الظهرَ ، ثم أَقامَ فَصَلَّى العصرَ ، ولَمْ يُصَلِّ بينهما شيئاً ، ثم ركبَ رسولُ الله ﷺ حتى أَتى المَوقِفَ ، فَجَعَلَ بَطْنَ ناقَتِهِ القَصْواءِ إلى الصَّخَراتِ ، وجَعَلَ حَبْلَ المُشاة بين يَدَيْه ، واستَقْبَلَ القِبْلَة ، فلم يَزَلْ واقِفاً حتَّى غَرَبتِ الشَّمسُ وذَهَبت الصفْرَةُ قليلاً حتى غَابَ القُرْصُ ، وأَردَفَ أُسامَةَ خلفَه ، ودَفَعَ رسولُ الله ﷺ ، وقد شَنَقَ

= دم ابن ربيعة بن الحارث : أصابه حجر في حرب كانت بين بني سعد وبني ليث بن بكر .

بكلمةِ الله : كلمةُ الله : هي قوله تعالى : ﴿ فإمساكٌ بمعروفٍ أو تسريحٌ بإحسان ﴾ [البقرة : ٢٢٩] .

لا يُوطئْنَ فُرُشَكم أحداً تكرهون : معناه : أن لا يأذنَّ لأحدٍ من الرجالِ أنْ يَتحدثَ إليهن ، وكان الحديثُ من الرجال إلى النساء من عادات العرب ، لا يرون ذلك عيباً ، ولا يَعدُّونه ريبةً ، إلى أنْ نزلت آيةُ الحجاب ، وليس المراد بوطء الفراش : نفسَ الزنا ، لأن ذلك مُحَرَّمٌ على الوجوه كلِّها ، فلا معنى لاشتراط الكراهة فيه ، ولو كان ذلك كذلك لم يكن الضربُ فيه ضرباً غير مُبَرِّحٍ ، إنما كان فيه الحدُّ ، والضربُ المُبَرِّحُ : هو الضربُ الشديد .

ينكُتُها : نَكَتَ إصْبَعَهُ : أمالَها إلى الناس ، يريد بذلك : أن يُشهِدَ الله عليهم .

الصخرات : هي صخرات مفترشات في أسفل جبل الرحمة ، وهو الجبل الذي بوسط أرض عرفات .

الحبال : التل اللطيف من الرمل الضخم .

شَنَقَ زِمَامَ ناقتهِ : إذا جَمَعَهُ إليه ، كفّاً لها عن السُّرعةِ في المشي .

لِلْقصواء الزِّمامَ حتى إنَّ رَأْسَها لَيُصيبُ مَوْرِكَ رَحْلِهِ ، ويقول بيدِهِ اليمنى : « أَيُّهـا النَّـاسُ ، السَّكِينةَ ، السَّكِينةَ » كُلَّما أتى جَبَلاً من الجِبَـالِ أَرْخَى لَهَا قليلاً حتَّى تَصْعَـدَ ، حتَّى أَتَى المُزدَلِفَـةَ ، فَصَلَّى بهـا المغربَ والعشـاءَ بـأذانٍ واحـدٍ وإقـامَتَيْنِ ، ولم يُسَبِّحْ بينهما شيئـاً ، ثم اضطَجَـعَ رسـولُ الله ﷺ حتَّىٰ طَلَـعَ الفجرُ ، فَصَلَّى الفجرَ حين تَبَيَّنَ لـه الصُّبْـحُ بـأذانٍ وإقـامـة ، ثم رَكِبَ القَصـواءَ حتى أتى المَشْعَرَ الحرامَ ، فـاسْتَقْبـلَ القِبْلَـةَ ، وكبَّرَهُ ، وهَلَّلَـهُ ، ووَحَّدَهُ ، فلم يَزَلْ وَاقِفاً حتَّى أَسْفَرَ جـداً ، فـدَفَعَ قَبلَ أَنْ تَطْلُعَ الشمسُ ، وأَردَفَ الفَضْلَ بن عَبَّـاسٍ ، وكان رَجُـلاً حَسَنَ الشَّعْرِ أَبيضَ وَسِياً ، فلما دَفَـعَ رسـولُ الله ﷺ مَرَّتْ بـه ظُعُنٌ يَجْرِينَ ، فَطَفِقَ الفضلُ يَنظُرُ إليهن ، فوضَعَ رسولُ الله ﷺ يَدَهُ على وَجه الفضل ، فَحوَّلَ الفضلُ وجهَهُ إلى الشقِّ الآخر يَنْظُرُ ، فَحوَّلَ رسولُ الله ﷺ يدَهُ من الشِّقِّ الآخر على وَجهِ الفَضلِ ، يَصْرِفُ وجهَـهُ من الشِّـقِّ الآخر ينظر ، حتى أتى بَطْنَ مُحَسِّرٍ ، فَحَرَّكَ قليـلا ، ثم سلـك الطريـقَ الـوسطَى التي تخرج على الجمرة الكبرى ، حتى أتى الجمرةَ التي عنـد الشَّجَرةِ ، فَرَمَاهَا بِسبعِ حصيَاتٍ ، يُكبرُ مَعَ كل حَصَاةٍ منها ، حَصَى الخَـذْفِ ، رمى من بطنِ الوادي ، ثم انصرفَ إلى المَنْحرِ ، فَنَحَرَ ثَلاثاً وستِّين بيـده ، ثم أعطى عَلِيّـاً فَنحَرَ مَـا غَبَرَ ، وأشركـهُ في هديه ، ثم أَمَرَ من كُلِّ بَدَنةٍ بِبَضْعَةٍ فَجُعِلَتْ في قِدْرٍ ، فَطُبِخَت ، فأكلا من لحمِها ، وشَرِبا من مَرَقِهـا ، ثُمَّ ركِب رسـولُ الله ﷺ فـأفـاضَ إلى البيت ، فَصلَّى بمكـةَ الظهرَ ، فـأتى بني عبـد المطلب يَسقُونَ على زمْزَمَ ، فقـال : « انْزِعُوا بَني عبـدِ المطلب ، فلولا أن يغْلِبَكُم الناسُ على سِقايتكُم لَنَزَعتُ مَعَكم » فناولوهُ دلواً فَشَرِبَ منه .

= مَوْرِك الرحل : مايكون بين يَدَي الرَّحْل ، يَضَعُ الرَّاكِبُ رَجْلَهُ عليه ، يقال : وَرِكَ وورَّكَ ، مُخففاً ومُثَقَّلا .

ولم يُسبح بينهما : السُّبْحَةُ : الصلاةُ ، وقيل : هي النافلة من الصلاة ، أي : لم يصل بينهما سُنَّة .

وسيماً : رجلٌ وسيمٌ : له مَنْظَرٌ جميلٌ .

ظُعنٌ : جمعُ ظَعينَةٍ ، وهي المرأةُ في الهودج ، والهودج أيضاً يُسمَّى : ظعينَة .

حَرَّكَ : سنة من سنن السير في ذلك الموضع ، يسرع الماشي ويحرك الراكب قدر رمية حجر .

الجمرة التي عند الشجرة : هي الجمرة الكبرى وهي جمرة العقبة .

حَصَى الخَذْفِ : حصى صغار بحيث يمكن أن يُرْمَى بإصبعين .

مَاغَبَر : الغَابِرُ الباقي .

البضْعة : القطعة من اللحم .

انْزِعُوا : النَّزعُ : الاستقاءُ .

=

وفي رواية : بنحو هذا ، وزاد [١] ، وكانت العرَبُ يَدفعُ بِهِمْ أبو سَيَّارةَ على حِمَارٍ عُرْيٍ ، فلما أجاز رسولُ الله ﷺ من المُزدَلِفَةِ بالمشعَرِ الحرَام لم تَشُكَّ قُريشٌ أنَّهُ سَيقتَصِرُ عليه ، ويكونُ مَنْزِلَه ثَمَّ ، فَأجازَ ولم يَعْرِضْ له ، حتَّى أتَى عَرفَاتَ فنزَلَ .

وفي أخرى [٢] : أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « نَحرْتُ هاهنا ، ومِنَى كلُّها مَنْحرٌ ، فانْحروا في رحَالِكُمْ ، ووقَفْتُ هاهنا ، وعرفَةُ كلُّها مَوقِفٌ ، ووقَفْتُ هاهنا ، وجَمْعٌ كلُّها موقفٌ » .

ولأبي داود [٣] عند قوله : ﴿ واتَّخِذُوا مِنْ مَقام إبْرَاهِيمَ مَصلًّى ﴾ قال : فقَرَأَ فيهما : بالتَّوحيد و﴿ قُلْ ياأيُّها الكافِرُونَ ﴾ وقال فيه : قَال عليٌّ بالكوفةِ : قال أبي : هذا الحَرْفُ لم يذكُره جابرٌ ، يعني : فَذهبتُ مُحرِّشاً . . . وذكر قصة فاطمة .

وأخرج النسائي من الحديث أطرافاً متفرقة في كتابه [٤] ، وقد ذكرناها . قال محمد : أتينا جابراً فَسألناهُ عن حجَّةِ النبي ﷺ ؟ فقال : إنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « لو اسْتَقْبَلْتُ من أمري ما اسْتَدْبَرْتُ لم أسُقِ الهَدْيَ ، وجعَلتها عُمرَةً ، فمن لم يكن معه هَديٌ فَلْيَحِلَّ ، وَلْيَجْعلها عُمْرَةً » وَقَدِمَ عليٌّ من اليمن بِهَدْيٍ ، وساقَ رسولُ الله ﷺ من المدينة هَدْياً ، وإذا فاطمةُ قد لَبِستْ ثياباً صَبِيغاً واكتحلتْ ، قال عليٌّ : فانطلقتُ مُحَرِّشاً أستفتي رسولَ الله ﷺ ، فقلتُ : يارسولَ الله ، إنَّ فاطمةَ قد لَبِستْ ثياباً صبيغاً واكتحلَتْ ، وقالت : أمَرني أبي ، قال : « صَدَقَتْ صَدَقَت صَدَقَتْ ، أنا أمَرْتُها » .

وله في موضوعٍ آخر قال : إنَّ رسولَ الله ﷺ مَكثَ بالمدينةِ تسعَ حججٍ ، ثم أذَّنَ في النَّاسِ ، أنَّ رسولَ الله ﷺ حاجٌّ هذا العامَ ، فَنَزَلَ المدينةَ بَشرٌ كثيرٌ ، كلُّهم يَلْتَمِسُ أنْ يأتَمَّ برسولِ الله ﷺ ، ويفعل كما فَعَلَ ، فَخرَجَ رسولُ الله ﷺ لخَمْسٍ بَقِينَ من ذي القَعْدَةِ ،

---

(١) مسلم (٢ / ٨٩٢) ١٥ ـ كتاب الحج ـ ١٩ ـ باب حجة النبي ﷺ .

(٢) مسلم (٢ / ٨٩٣) ١٥ ـ كتاب الحج ـ ٢٠ ـ باب ماجاء أن عرفة كلها موقف .

جَمْع : مزدلفة .

(٣) أبو داود (٢ / ١٨٧) ، كتاب المناسك ، باب صفة حجة النبي ﷺ .

(٤) انظر النسائي (٥ / ١٤٧ ومابعدها) ، كتاب المناسك .

=

وخرَجنَا مَعَهُ ، قَال جابر : ورسول الله ﷺ بين أَظْهرِنَا يَنزل عليه القرآنُ ، وهو يَعرِفُ تأويله ، وما عمل به من شيء عَمِلنا به ، فَخَرَجْنا لا نَنوي إلا الحجَّ .

وله في موضع آخر قال : إنَّ عَليّاً قَدِمَ من اليمن بِهَدي ، وساقَ رسولُ الله ﷺ من المدينة هَدْياً ، فقال لعلي : « بِمَ أهلَلْتَ » ؟ قال : قلتُ : اللهُمَّ إني أهللْتُ بما أهَلَّ به رسولُ اللهِ ، وَمَعي الهَدْيَ ، قال : « فَلا تَحِلَّ إذًا » .

وله في موضع آخر : أنَّ رسول الله ﷺ لمَّا أتَى ذا الحُلَيْفَة صَلَّى وهو صامتٌ ، حتى أتَى البَيْداءَ .

وفي موضع آخر : قال : أقَامَ رسولُ الله ﷺ تسعَ سِنينَ لم يَحُجّ ، ثم أذَّنَ في الناسِ بالحجِّ ، فلم يبق أحدٌ يُريدُ أن يَأتِيَ راكباً أو راجلاً إلا قدِمَ ، فتدارك الناسُ ليَخرجوا مَعه ، حتى حاذى ذا الحُلَيْفَة ، وولَدَتْ أسماءُ بنتُ عُمَيس محمدَ بنَ أبي بكرٍ ، فأرسلَتْ إلى رسولِ الله ﷺ ، فقال : « اغْتَسلي واستَثفري بثَوبٍ ثُمَّ أهِلي ، ففعلت » .

وفي موضعٍ آخر قال : إنَّ النبيَّ ﷺ ساقَ هَدياً في حَجَّتهِ .

وفي موضعٍ آخر قال : قدِمَ رسولُ الله ﷺ مَكةَ ودَخلَ المسجدَ ، فاستلم الحجَرَ ، ثم مَضَى عن يمينه ، فرَمَل ثلاثاً ومَشى أربعاً ، ثم أتى المقامَ ، فقال : ﴿ واتَّخِذُوا مِنْ مقامِ إبراهيمَ مُصَلَّى ﴾ فَصَلَّى ركعَتينِ ، والمقَامُ بيْنَهُ وبين البيت ، ثم أتى البيتَ بعد الركعتين فاستلَم الحجَرَ ، ثم خَرَجَ إلى الصَّفا .

وفي موضع آخر : أنَّ رسولَ الله ﷺ خَرَجَ من المسجد وهو يُريدُ الصفا ، وهو يقولُ : نَبدأُ بما بدَأَ اللهُ به ، ثم قرأ ﴿ إنَّ الصفا والمروةَ من شَعائِرِ الله ﴾ .

وفي موضع آخر : قال : إنَّ النبيَّ ﷺ رَقِيَ على الصفا ، حتى إذا نظرَ إلى البيت كَبَّر .

وفي موضع آخر : أنَّ رسولَ الله ﷺ كان إذا وقفَ على الصَّفا يُكَبِّرَ ويقولُ : « لا إلَهَ إلا اللهُ وحدَهُ لاشَريكَ لَهُ ، لَهُ المُلْكُ وله الحمدُ ، وهو على كلِّ شيء قديرٌ » يَصنعُ

= تدارك الناس : الإدراك : اللحوق ، تدارك القوم : تلاحقوا : لحق أولهم آخرهم .

ذلك ثلاث مَرَّاتٍ ويدعو ، ويصنعُ على المروةِ مثلَ ذلك .

وفي موضع آخر : قال : طَافَ رَسُولُ الله ﷺ بالبيت سبعاً : رمَلَ منها ثلاثاً ، ومشى أربعاً ، ثم قامَ عند المقام ، فَصلَّى ركعتين ، وقرأ : ﴿ **واتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إبْرَاهِيمَ مُصلّى** ﴾ ورفَعَ صَوتَهُ لِيَسْمعَ النَّاسُ : ثم انصَرَفَ فاستلَم ، ثمَّ ذَهَبَ ، فقال : « نَبْدأُ بما بَدَأَ اللّهُ به » فبدأ بالصَّفَا ، رَقِيَ عليه حتى بَدَا له البيتُ ، وقال ثلاث مراتٍ : « لاإلٰه إلا الله وحدَه لاشريك له ، له الملكُ وله الحمدُ ، وهو على كل شيء قديرٌ » . وكَبَّرَ اللّهَ وحَمِدَهُ ثم دعا بِما قُدِّرَ لَهُ ، ثُمَّ نَزَلَ مَاشِياً حتى تَصَوَّبتْ قَدَمَاهُ في بَطنِ المَسيلِ ، فَسَعَىَ حتَّى صَعِدَتْ قَدَمَاهُ ، ثم مَشَى حتى أتَى المَروَةَ ، فَصَعِدَ فيها ، حتى بَدَا له البيتُ : فقال : « لا إلٰه إلا الله وحدهَ لا شريكَ له ، له الملكُ وله الحمد ، وهو على كل شيء قديرٌ » . قال : ثلاثَ مراتٍ ، ثم ذكَرَ الله وسَبَّحَهُ وحَمِدهُ ، ودعا بما شاءَ ، فَعَلَ هذَا حتَّى فرغ من الطوافِ .

وفي موضع آخر : قال : سارَ رسولُ الله ﷺ حتى أتى عرفةَ ، ووجَدَ القُبَّةَ قَدْ ضُرِبتْ له بنَمِرة ، حتى إذا زاغت الشمسُ أمرَ بالقصْواء فَرُحِلَتْ له ، حتى إذا انتهى إلى بَطْنِ الوادي خَطَبَ النَّاسَ ، ثمَّ أذَّنَ ، ثم أقام ، فَصَلَّى الظهرَ ، ثمَّ أقامَ فصلّى العصر ، ولم يُصلِّ بينهما شيئاً .

وفي موضع آخر : أنَّ نبيَّ الله ﷺ قال : « عَرَفةُ كلُّها مَوقِفٌ » .

وفي موضع آخر قال : « المُزْدَلِفةُ كلها مَوقِفٌ » .

وفي موضع آخر : أنَّ رسولَ الله ﷺ دَفَعَ من المُزدلفَةِ قبلَ أنْ تطْلُعَ الشَّمسُ ، فأردف الفَضْلَ بن عبَّاسٍ ، حتَّى أتى مُحَسِّراً ، حَركَ قليلاً ، ثم سَلَكَ الطريقَ الوسطى التي تُخرجُكَ على الجمرةِ الكبرى ، حتى أتى الجمرةَ التي عند الشجَرَةِ ، فَرَمَاها بسبعِ حَصَياتٍ ، يُكبِّرُ مَع كلِّ حصَاةٍ منها ، بمثل حصى الخَذْفِ ، ورمى من بطن الوادي .

وزاد في طرفٍ آخر : ثم انصرفَ إلى المَنْحَر فنحَر .

وفي موضع آخر : أنَّ رسولَ الله ﷺ نَحر بعضَ بُدْنه بيَدِهِ ، ونَحَرَ بعضَهُ غيرُهُ .

٧٢٥ ـ * روى البخاري عن عبدالله بن عباسٍ رضي الله عنهما قال : انْطَلَقَ رسُولُ الله ﷺ من المدينة بعدما تَرجَّلَ وادَّهنَ ولَبِسَ إزارَهُ ورداءَهُ هُوَ وأَصحابُهُ ، فلم ينه عن شيء من الأَردِيةِ والأُزُرِ تُلبَسُ ، إلا المُزَعفَرةَ التي تَرْدَعُ على الجلد . فأصبحَ بذي الحُلَيفَةِ ركبَ راحلَتَهُ حتَّى استوى على البيداء أَهلَّ هو وأَصْحابهُ ، وقَلَّدَ بَدَنَتَه ، وذلك لِخَمْسٍ بقينَ من ذي القَعْدة ، فقَدِمَ مكةَ لأربع ليال خَلَونَ من ذي الحجَّة ، ، فطافَ بالبيت ، وسعى بين الصَفَا والمروةِ ، ولم يَحِلَّ من أجلِ بُدْنِهِ ، لأنَّهُ قَلَّدها . ثم نَزَلَ بأعلى مكةَ عند الحَجُونِ ، وهو مُهِلٌّ بالحج ، ولم يَقْرَبِ الكَعْبَةَ بعدَ طوافِهِ بها حتى رَجَعَ من عَرفةَ . وأمرَ أصحابَهُ أن يَطوفوا بالبيت ، وبين الصفا والمروةِ ، ثم يُقَصِّروا من رؤوسهمْ ثم يَحِلُّوا ، وذلك لِمَنْ لَم يكن مَعَهُ بَدَنَةٌ قَلَّدَها ، ومَن كانت مَعَهُ امْرَأته فهي لَهُ حَلالٌ ، والطِّيبُ والثيابُ .

٧٢٦ ـ * روى الترمذي عن عبد اللهِ بن عُمَر رضي الله عنهما : أنَّ رسولَ الله ﷺ دَخَلَ مَكَّةَ نَهاراً .

٧٢٧ ـ * وروى الترمذي عن عليِّ بنِ أبي طالب رضي الله عنه قال : وقفَ رسولُ الله ﷺ بعَرَفَةَ ، فقال : « هذه عَرَفَةُ ، وهذا هو الموقِفُ ، وعرفَةُ كلُّها مَوْقِفٌ » ثُمَّ أَفَاضَ حين غَرَبتِ الشَّمسُ ، وأردفَ أُسامَةَ بنَ زَيدٍ، وجَعلَ يُشيرُ بيَدِهِ على هِينته والنَّاسُ يَضْربونَ يميناً وشِمالاً يلتَفِتُ إليهم ، ويقول : « ياأيُّها النَّاسُ ، عليكم السَّكينةَ » ثم أتى جَمْعاً فَصَلَّى بهم الصَّلاتينِ جميعًا ، فَلما أصبحَ أتى قُزَحَ ، فوقف عليه ، وقال : « هذا قُزَحُ ، وهو الموقِفُ ، وجمعٌ كُلُّها موقِفٌ » ، ثم أَفَاضَ حتى انتهى إلى وادي مُحَسِّرٍ ، فَقرعَ ناقَته ، فَخبَّت حتى جاوز الوادي ، فَوقفَ وأردفَ الفضلَ ، ثم أتى الجمرة فرَماها ، ثم أتى المنحرَ ؛

---

٧٢٥ ـ البخاري (٣ / ٤٠٥) ٢٥ ـ كتاب الحج ـ ٢٣ ـ باب مايلبس المحرم من الثياب والأردية والأزر .

تَرَجَّل : التَّرجيلُ : تسريحُ الشَّعْرِ .

تَرْدعُ : ثَوبٌ رَديعٌ ، أي صَبيغٌ ، وقد رَدَعْتُهُ بالزَّعفرَانِ ، والمراد : الذي يُؤثِّر صبغة في الجسد ، فيصْبُغُهُ من لونه .

٧٢٦ ـ الترمذي (٣ / ٢٠١) ٧ ـ كتاب الحج ـ ٣١ ـ باب ماجاء في دخول النبي ﷺ مكة نهاراً . وسنده صحيح .

٧٢٧ ـ الترمذي (٣ / ٢٢٣) ٧ ـ كتاب الحج ـ ٥٤ ـ باب ماجاء أن عرفة كلها موقف . وقال : حديث عليٍّ حديث حسن صحيح .

جَمْع : مزدلفة .

الصلاتين جميعا : المغرب والعشاء .

قُزَح : موقف الإمام بمزدلفة .

=

فقال : « هذا المَنحَرُ ، ومِنَيً كلُّها مَنحرٌ » واستفتَتْهُ جاريةٌ شابّةٌ من خَثعَم ، قالت : إنَّ أبي شَيخٌ كبيرٌ ، قد أدركَتْهُ فريضةُ الله في الحجِّ ، أَفَيُجزِئُ أن أَحُجَّ عنه ؟ قال : « حُجِّي عَنْ أبيكِ » قال : ولَوى عُنُقَ الفَضلِ ، فقال العباس : يارسول الله ، لِمَ لوَّيتَ عُنقَ ابنِ عمك ؟ قال : « رأيتُ شاباً وشَابّةً ، فلم آمَنِ الشَّيطانَ عليهما » ثم أتاه رجلٌ ، فقال : يارسول الله ، إني أفضْتُ قبلَ أن أحلِق ؟ قال : « احلِق أو قصِّرْ ولا حرجَ » قال : وجاءَ آخرُ فقال : يارسول الله ، إني ذبحتُ قبلَ أنْ أرميَ ؟ قال : « ارمِ ولا حرَجَ » قال : ثم أتى البيتَ فَطَافَ به ، ثم أتى زمزمَ ، فقال : « يابني عبدِ المطلب ، لولا أنْ يغلبَكُمُ النَّاسُ عليه لنزعتُ » .

٧٢٨ - * روى البخاري عن ابنِ عمر كان يَبعَثُ بهديه من جَمْعٍ من آخرِ الليل ، حتى يدخل به مَنحَرَ النبيِّ ﷺ مع حُجَّاج ، فيهم الحرُّ والمملوكُ .

٧٢٩ - * روى أبو داود عن رافع بن عمرو المُزَني رضي الله عنه قال : رأيتُ رسولَ الله ﷺ يَخْطُبُ النَّاسَ بمِنَى حين ارْتَفعَ الضُّحَى على بَغْلَةٍ شَهباءَ ، وعَليٌّ يُعَبِّرُ عنه ، والناسُ بَينَ قَائمٍ وَقَاعِدٍ .

٧٣٠ - * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبيُّ ﷺ من الغَدِ يَومَ النحرِ - وهو بمِنى - : « نحن نازِلُونَ غداً بخَيفِ بني كِنانَة ، حَيثُ تقاسَمُوا على الكفر » - يعني بذلك : المحصَّب - وذلك أنَّ قريشاً وكنانة تحالفتْ على بني هاشم وبني عبد المطلب أو بني المطلب (وهو صحيح) - أن لايُنَاكحوهم ، ولايُبايعُوهم ، حتى يُسلِّموا إليهم النبيَّ ﷺ .

= لنزعت : لاستقيت معكم ، ولكنه خشي أن يستن به الناس فيغلبوا بني عبد المطلب على هذا الشرف .

٧٢٨ - البخاري (٣ / ٥٥٢) ٢٥ - كتاب الحج - ١١٦ - باب النحر في منحر النبي ﷺ بمنى .

٧٢٩ - أبو داود (٢ / ١٩٨) ، كتاب المناسك ، باب أي وقت يخطب يوم النحر . وإسناده قوي .

٧٣٠ - البخاري (٣ / ٤٥٣) ٢٥ - كتاب الحج - ٤٥ - باب نزول النبي ﷺ مكة .

ومسلم نحوه (٢ / ٩٥٢) ١٥ - كتاب الحج - ٥٩ - باب استحباب النزول بالمحصب يوم النفر ، والصلاة به .

حيث تقاسموا على الكفر : يعني حصار الشعب .

وفي رواية (١) : أنَّهُ قال ـ حين أراد قُدومَ مَكَّةَ ـ : « مَنْزِلُنا غَداً إن شاءَ الله : بِخيفِ بني كِنَانة . » . . الحديث .

٧٣١ ـ * روى البخاري عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه : أنَّ النبيَّ ﷺ صلَّى الظُّهرَ والعصرَ والمغربَ والعِشاءَ ، ثم رقَدَ رقْدَةً بالمُحَصَّبِ ، ثم رَكِبَ إلى البيت فطافَ به .

٧٣٢ ـ * روى الحاكم عن عبد الرحمٰن بن أبي بَكْرٍ : أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم قالَ له : « أردِفْ أُخْتَكَ عَائِشَةَ فأعْمِرْهامن التَّنعيمِ فإذا هَبَطَتِ الأكَمَةَ فَمُرْهَا فَلْتُحْرِمْ فإنَّها عُمْرَةٌ مُتَقَبَّلَةٌ » .

٧٣٣ ـ * روى الترمذي عن أبي سَرِيْحَة أو زَيْدِ بنِ أرْقَمَ : شَكَّ شُعْبَةُ ـ عن النبي ﷺ قال : « من كُنْتُ مَوْلاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاَهُ » .

٧٣٤ ـ * روى الطبراني والحاكم عن زيد بن أرقم قال : لما رجع رسول الله ﷺ من حجة الوداع ، ونزل غدير خم ، أمر بدوحات فقمَّتْ ، ثم قام فقال : « كَأنِّي قَدْ دُعِيتُ فَأجَبْتُ ، إنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ أحَدُهُمَا أكْبَرُ مِنَ الآخَرِ ، كِتَابُ الله وَعِتْرَتِي أهْلُ بَيْتِي ، فَانْظُرُوا كَيْفَ تُخْلِفُونِي فِيهِمَا ؟ فَإنَّهُمَا لَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الحَوْضَ » ثم قال : « إنَّ الله مَوْلايَ ، وَأنَا وَلِيُّ كُلِّ مُؤمِنٍ » ثم أخذ بيد علي فقال : « مَنْ كُنْتُ مَوْلاَهُ فَهَذا مَوْلاَهُ ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالاَهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ » فقلت لزيد : أنت سمعته من رسول الله ﷺ ؟ فقال : ما كان في الدوحات أحد إلا قد رآه بعينيه وسمعه بأذنيه .

---

(١) البخاري (٣ / ٤٥٢) ٢٥ ـ كتاب الحج ـ ٤٥ ـ باب نزول النبي ﷺ مكة .

٧٣١ ـ البخاري (٣ / ٥٩٠) ٢٥ ـ كتاب الحج ـ ١٤٤ ـ باب طواف الوداع .

٧٣٢ ـ المستدرك (٣ / ٤٧٧) . وقوّى إسناده الذهبي .

٧٣٣ ـ الترمذي (٥ / ٦٣٣)٥٠ ـ كتاب المناقب ـ ٢٠ ـ باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه .
وقال : هذا حديث حسن صحيح .

٧٣٤ ـ الطبراني في المعجم الكبير (٥ / ١٦٦) .
والحاكم مطولاً في المستدرك (٣ / ١٠٩) . وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بطوله .
وسكت عنه الذهبي . وهو صحيح .

أقول : هذا هو الحديث المشهور بحديث غدير خُمّ ـ وهو مكان بين مكة والمدينة ـ الذي بنى عليه الشيعة مذهبهم الباطل في أنّ الخلافة في علي وذريّته بما لايحتمله نص الحديث ، وقد كان ذلك مرجعه عليه الصلاة والسلام من الحج. وقوله عليه الصلاة والسلام « من كنت مولاه فعليّ مولاه » ثابت في نصوص كثيرة حتّى ذهب السيوطي إلى تواتره .

٧٣٥ ـ * روى البخاري ومسلم عن عبدِ الله بنِ عمر كان إذا صدر من الحجِّ والعمرة أَناخَ بالبَطْحَاء التي بذي الحليفةِ التي كان يُنيخُ بها رسولُ الله ﷺ .

وفي أخرى للبخاري [1] : أنّ رسولَ الله ﷺ كان إذا خرج إلى مكة صلى في مسجد الشجرة ، وإذا رجع صلى بذي الحُلَيفَةِ ببطن الوادي وبات بها .

* * *

٧٣٥ ـ البخاري مطوّلاً (٣ / ٥٩٢) ٢٥ ـ كتاب الحج ـ ١٤٨ ـ باب النزول بذي طوى قبل أن يدخل مكة ، والنزول بالبطحاء التي بذي الحليفة إذا رجع من مكة .

ومسلم (٢ / ٩٨١) ١٥ ـ كتاب الحج ـ ٧٧ ـ باب التعريس بذي الحليفة ، والصلاة بها إذا صدر من الحج أو العمرة .

الصَّدر : رُجوع المسافر من مقصده .

(١) البخاري (٣ / ٣٩١)٢٥ ـ كتاب الحج ـ ١٥ ـ باب خروج النبي ﷺ على طريق الشجرة .

فصل : في وفاته عليه الصلاة والسلام

٧٣٦ ـ * روى الدارمي عن عطاء قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إذا أصابَ أحدكم مُصيبةٌ فليَذْكُرْ مُصابَهُ بي فإنَّها مِنْ أعْظَمِ المَصَائِبِ » .

٧٣٧ ـ * روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهما : أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أقامَ بمكَّةَ ثَلاثَ عَشْرَةَ سنةً يُوحَى إلَيْهِ ، وتُوُفِّيَ وَهُو ابنُ ثلاث وستِّين .

وفي أخرى قال [(١)] : أُنْزِلَ على النبيِّ ﷺ وَهو ابنُ أرْبَعينَ ، فَمَكَثَ ثلاثَ عشْرة ، ثُمَّ أُمِرَ بالهِجْرَةِ ، فَهَاجَرَ إلى المدِينةِ ، فَمَكَثَ بِهَا عَشْرَ سِنينَ ، ثُمَّ تُوفِّيَ ﷺ .

٧٣٨ ـ * روى البخاري ومسلم عن عائِشةَ رضِيَ اللهُ عَنهَا : أنَّ رَسُولَ الله ﷺ توفِّيَ وَهوَ ابنُ ثلاثٍ وَستِّينَ .

قَالَ ابنُ شِهابٍ : وَأخْبَرَني سَعيدُ بنُ المسيَّب بمِثْلِهِ .

٧٣٩ ـ * روى مسلم عن أَنَسِ بنِ مَالكٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ : تُوفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهو ابنُ ثَلاثٍ وستِّينَ ، وَتُوُفِّيَ أبُو بكْرٍ وَهو ابنُ ثَلاثٍ وستِّينَ ، وَتُوفِّي عُمَرُ وَهوَ ابنُ ثَلاثٍ وستِّينَ .

٧٤٠ ـ * روى الدارمي عن العبَّاس رضِيَ اللهُ تَعالى عَنْه : لأعْلَمنَّ مَا بَقاءُ رَسُول اللهِ ﷺ فِينَا . فَقَالَ : يَارَسُولَ الله إنِّي رَأيْتُهُم قَدْ آذوْكَ وَآذاك غُبَارُهُم ، فَلَوِ اتَّخَذْتَ عَرِيشاً تُكَلِّمُهُم مِنْهُ ، فَقَالَ : « أَزَالُ بَيْنَ أَظْهُرِهِم يَطَؤُونَ عَقِبي وَيُنَازِعُونِي رِدَائي ، حَتى يَكُونَ اللهُ

---

٧٣٦ ـ الدارمي (١ / ٤٠) ، المقدمة ، باب في وفاة النبي ﷺ . وهو حديث حسن لشواهده .

٧٣٧ ـ البخاري (٧ / ٢٢٧) ٦٣ ـ كتاب مناقب الأنصار . ٤٥ ـ باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة .

ومسلم (٤ / ١٨٢٦) ٤٣ ـ كتاب الفضائل ـ ٣٣ ـ باب كم أقام النبي ﷺ بمكة والمدينة .

(١) البخاري (٧ / ١٦٢) ٦٣ ـ كتاب فضائل الأنصار ـ ٢٨ ـ باب مبعث النبي ﷺ .

ومسلم نحوه (٤ / ١٨٢٦) ٤٣ ـ كتاب الفضائل ـ ٣٣ ـ باب كم أقام النبي ﷺ بمكة والمدينة .

٧٣٨ ـ البخاري (٨ / ١٥٠) ٦٤ ـ كتاب المغازي ـ ٨٥ ـ باب وفاة النبي ﷺ .

ومسلم نحوه (٤ / ١٨٢٦) ٤٣ ـ كتاب الفضائل ـ ٣٣ ـ باب كم أقام النبي ﷺ بمكة والمدينة .

٧٣٩ ـ مسلم في نفس الموضع السابق .

٧٤٠ ـ الدارمي (١ / ٣٥) ، المقدمة ، باب في وفاة النبي ﷺ . ورجاله رجال الصحيح .

هُوَ الذِي يُرِيحُنِي مِنْهُم » قَال : فَعَلِمْتُ أنَّ بَقَاءَهُ فِينَا قَلِيلٌ .

٧٤١ ـ * روى أحمد عن معاذِ بن جَبَل قَالَ : لمَّا بعثَهُ رَسُولُ الله ﷺ إلى اليَمَن خَرَجَ مَعَهُ رَسُولُ الله ﷺ يُوصيهِ وَمُعَاذٌ رَاكِبٌ وَرَسُولُ الله ﷺ يَمْشي تَحْتَ رَاحِلَتِهِ . فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ : « يَامُعَاذُ إِنَّكَ عَسَى أَنْ لاتَلْقَانِي بَعْدَ عَامِي هَذا ، أوَ لَعَلَّكَ أَنْ تَمُرَّ بِمَسْجِدِي هَذَا أو قَبْرِي » فَبَكَى مُعَاذ جَشَعًا لِفِرَاقِ رَسُولِ الله ﷺ ثمَّ الْتَفتَ فَأقْبَلَ بِوَجْهِه نَحْوَ المدينة فَقَالَ : « إنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِيَ المُتَّقونَ مَنْ كَانُوا وَحَيْثُ كَانُوا » .

٧٤٢ ـ * روى الطبراني والبزار عن العبَّاس بنِ عَبْدِ المطلب قال : رَأَيْتُ في المَنَام كَأَنَّ الأَرْضَ تَنزِعُ إلى السَّماء بِأَشْطَانٍ شِدَادٍ ، فَقَصَصْتُ ذَلِكَ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ : « ذَاكَ وفاةُ ابنِ أَخِيكَ » .

٧٤٣ ـ * روى أبو داود عن عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بن عَمرو السُّلَميّ وحُجْرِ بنِ حُجْرٍ قالا : أَتَيْنَا العِرْبَاضَ بْنَ سَارِيَةَ ، وَهو مِمَّنْ نَزلَ فيه ﴿ **ولا عَلَى الذين إذا ماأَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُم قُلْتَ لا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُم عَلَيْهِ** ﴾ فَسَلَّمْنَا ، وَقُلْنَا : أَتَيْنَاكَ زَائِرين ، وَعَائِدين ، ومُقْتَبِسِينَ ، فَقَالَ العِرْبَاضُ : صَلَّى بِنَا رَسُولُ الله ﷺ ذاتَ يَوْمٍ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا . فوعَظَنَا موعِظَةً بَلِيغَةً ، ذَرَفَتْ مِنْهَا العُيُونُ ، وَوَجِلَتْ منها القُلُوبُ ، فَقَالَ قَائِلٌ : يَارَسُولَ الله ، كَأَنَّ هذِهِ

---

٧٤١ ـ أحمد في مسنده (٥ / ٢٣٥) بإسنادين .

قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٢٢) ، رواه أحمد بإسنادين ، ورجال الإسنادين رجال الصحيح غير راشد بن سعد وعاصم بن حميد ، وهما ثقتان .

٧٤٢ ـ أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٢٣) ، وقال : رواه البزار والطبراني ، ورجالهما ثقات .

تَنْزع : النزع : الجذب والقلع .

أشْطان : جمع شطن ، والشطن : الحبل ، وقيل هو الطويل منه .

٧٤٣ ـ أبو داود (٤ / ٢٠٠) ، كتاب السنة ، باب في لزوم السنة ، وإسناده صحيح .

والترمذي نحوه (٥ / ٤٤) ٤٢ ـ كتاب العلم ـ ١٦ ـ باب ماجاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع . وقال : هذا حديث حسن صحيح . ولكنه لم يذكر الصلاة ، وفي آخره تقديم وتأخير .

قال ابن الأثير شارحاً غريب الحديث :

مقتبسِين : الاقتباس في الأصل : أَخْذُ القبَس من النار ، وأراد به : الأخْذ من العلم والأدب .

ذرفت : العينُ تذرِفُ : إذا دَمعت .

وجلتْ : وَجِلَ القلبُ يَوْجَلُ : إذا خافَ وفَزع . والوَجَلُ : الفزع .

مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا ؟ فَقَالَ : « أُوصِيكُم بِتَقْوَى اللهِ ، والسَّمْعِ والطَّاعَةِ ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا ، فَإِنَّه مَنْ يَعِشْ مِنْكُم بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلافاً كَثِيراً ، فَعَلَيْكُم بِسُنَّتِي وسُنَّةِ الخُلَفَاءِ المهديين الراشدين ، تَمَسَّكُوا بِهَا ، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ ، وَإِيَّاكُم ومُحدَثَاتِ الأُمورِ ، فَإِنَّ كلَّ مُحدَثَةٍ بِدْعَةٌ ، وكلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ » .

٧٤٤ - * روى البخاري عن عبدِ اللهِ بن عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : كَانَ عُمرُ يُدخِلُنِي مَعَ أَشْيَاخِ بَدْرٍ ، فَكَأَنَّ بَعْضَهُم وَجدَ في نَفْسِهِ ، فَقَالَ : لِمَ تُدْخِلُ هٰذَا مَعَنَا ، وَلَنَا أَبْنَاءٌ مِثْلُهُ ؟ فَقَالَ عُمرُ : إِنَّهُ مِنْ حيث علمتُمْ ، فَدَعَا ذَاتَ يَوْمٍ ، فَأَدْخَلَهُ مَعَهُمْ ، قَالَ : فَمَا رُئِيتُ أَنَّه دَعَانِي يومئِذٍ ، إلا لِيُرِيَهُمْ ، قَال : مَاتَقُولُونَ فِي قولِ اللهِ تعالى : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ والفَتْحُ ﴾ (١) فَقَالَ بَعْضُهُم : أُمِرْنَا نَحْمَدُ اللهَ ونَسْتَغْفِرَهُ ، إِذَا نُصِرْنَا وفُتِحَ عَلَيْنَا ،

= **تعهد** : عهد إليه بكذا يعهد : إذا أوصى إليه .

الراشدين : الراشد : اسم فاعل من رَشِدَ يَرشَدُ ، ورَشَدَ يَرْشُدُ رُشداً ، وهو خلاف الغَيِّ ، وأرشدتُه أنا : إذا هديته .

المهديين : المهدي : الذي قد هداه الله إلى الحق ، هداهُ يَهْدِيه فهو مهديٌّ ، والله هاديه .

وإنْ عَبْداً حبشيّاً : أي : أَطِعْ صاحبَ الأمر ، واسمع له ، وإن كان عبداً حبشيّاً ، فحذف « كان » وهي مرادة .

وعَضُّوا عليها بالنواجذ : النَّواجِذُ : الأضراس التي بعد الناب ، جمع ناجذ ، وهذا مثلٌ في شدَّةِ الاستمساك بالأمرِ ، لأنَّ العَضَّ بالنَّاجذ عَضٌّ بمعظم الأسنان التي قبلها والتي بعدها .

الهَدْي : بفتح الهاء وسكون الدال : الطريقةُ والسيرةُ .

محدثات الأمور : مالم يكن معروفاً في كتابٍ ولاسنةٍ ولاإجماع .

بدعة : الابتداع : إذا كان من الله وَحْدَه فهو إخراجُ الشيء من العدم إلى الوجود ، وهو تكوين الأشياء بعد أن لم تكن ، وليس ذلك إلا إلى اللهِ تعالى ، فأمَّا الابتداع من المخلوقين ، فإن كان في خلاف ماأمر الله به ورسوله ، فهو في حَيِّز الذمِّ والإنكار ، وإن كان واقعاً تحت عموم مانَدَبَ الله إليه ، وحضَّ عليه أو رسولُه ، فهو في حيِّز المدح ، وإن لم يكن مثالُه موجوداً ، كنوعٍ من الجود والسخاء ، وفعل المعروف ، فهذا فعل من الأعمال المحمودة لم يكن الفاعل قد سُبِق إليه ، ولايجوز أن يكون ذلكَ في خلاف ماوَرَدَ الشَّرعُ به ، لأنَّ رسول الله ﷺ ، قد جعل له في ذلك ثواباً فقال : « منْ سَنَّ سُنَّةً حسنةً ، كان له أجرُها وأجر منْ عَمِلَ بها » وقال في ضده : من سنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً ، كان عليه وزرُها وَوِزْرِ من عمل بها » (أخرجه مسلم ٢ / ٧٠٥) وذلك إذا كان في خلاف ماأَمَرَ الله به ورسولُه ، ويعضد ذلك قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه في صلاة التراويح : نِعْمتِ البدعة هذه ، لما كانت من أفعال الخير ، وَداخلة في حيِّز المدح ، سمَّاها بدعة ومدحها ، وهي - وإن كان النبيُّ ﷺ قد صلاها - إلا أنه تركها ، ولم يحافظ عليها ، ولاجمع الناس عليها ، فمحافظة عمر عليها ، وجمعُه الناس لها ، وندبُهم إليها ، بدعةٌ ، لكنها بدعةٌ محمودةٌ ممدوحةٌ . قاله ابن الأثير .

٧٤٤ - البخاري (٨ / ٧٣٤) ٦٥ - كتاب التفسير - ٤ - باب قوله : ﴿ فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً ﴾ .

(١) النصر : ١ .

وَسَكَتَ بَعْضُهم ، فَلَمْ يَقُل شيئاً ، فقَالَ لِي : أَكَذَاكَ تَقُولُ ياابن عبَّاس ؟ قُلتُ : لا ، قَالَ : فَمَا تَقُولُ ؟ فَقُلتُ : هُوَ أَجَلُ رسولِ اللهِ ﷺ أَعْلَمهُ لَهُ ، قَالَ : ﴿ إذا جَاءَ نصرُ اللهِ والفَتْحُ ﴾ وذٰلِكَ عَلامةُ أَجَلِكَ ﴿ فَسبِّحْ بحَمدِ رَبِّكَ واستغْفِرهُ إنَّه كَانَ تَوَّاباً ﴾ [١] فَقَالَ عُمَرُ : مَا أَعْلَمُ مِنْها إلا مَاتَقُولُ .

وفي رواية [٢] أَنَّ عُمَر كَانَ يُدْنِي ابنَ عَبَّاسٍ ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ بنُ عوْفٍ : إنَّ لَنَا أبناءً مثلَهُ ، فَقَالَ عُمَرُ : إنَّهُ مِنْ حَيْثُ تَعْلَمُ ، فَسَأَلَ عُمَرُ ابنَ عباس عن هذه الآيةِ ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾ قال : أجلُ رسول الله ﷺ أعلمهُ إيَّاهُ ، قال : ماأعلمُ منها إلا ماتعلم .

وَفِي أُخْرَى [٣] : أَنَّ عُمَرَ سَأَلَهُم عَنْ قَوْلِهِ : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ الله والفَتْحُ ﴾ قَالُوا : فَتْحُ المدائِنِ والقُصُورِ ، قَالَ : ياابن عبَّاسٍ ، مَا تَقُول ؟ قَالَ : أَجَلٌ أَو مَثَلٌ ضُرِبَ لمحمدٍ ﷺ ، نُعيتْ إليه نَفْسُهُ .

٧٤٥ ـ * روى الطبراني عن أم سلمة قالت : كانَ رسولُ اللهِ ﷺ قبل أن يموت يُكْثِر أن يقول : « سبحانَكَ اللهمَّ وبحمدِكَ ، أستغفركَ وأتوبُ إليكَ » قالَ : إني أُمِرتُ فَقَرَأَ ﴿ إذا جاءَ نصرُ اللهِ والفتحُ ﴾ .

٧٤٦ ـ * روى البخاري ومسلم عن أنس بن مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : إنَّ اللهَ تابَعَ الوَحْيَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ قَبْلَ وَفَاتِهِ ، حَتَّى تَوَفَّاهُ أَكْثَرَ مَا كَانَ الوَحْيَ ، ثُمَّ تُوفِّي رَسُولُ اللهِ ﷺ بَعْدُ .

قال ابن حجر:

قوله (إن الله تابع على رسوله ﷺ قبل وفاته) كذا للأكثر : وفي رواية أبي ذر « إن

---

(١) النصر : ٣ .

(٢) الترمذي (٥ / ٤٥٠) ٤٨ ـ كتاب تفسير القرآن ـ ٩١ ـ باب « ومن سورة النصر » .

(٣) البخاري (٨ / ٧٣٤) ٦٥ ـ كتاب التفسير ـ ٤ ـ باب قوله : ﴿ فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً ﴾ .

٧٤٥ ـ أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٢٣) ، وقال : رواه الطبراني في الصغير ، ورجاله رجال الصحيح .

٧٤٦ ـ البخاري (٩ / ٣) ٦٦ ـ كتاب فضائل القرآن . ١ ـ باب كيف نزل الوحي ؟ وأول مانزل .

ومسلم نحوه (٤ / ٢٣١٢) ٥٤ ـ كتاب التفسير .

الله تابع على رسوله الوحي قبل وفاته » أي أكثر إنزاله قرب وفاته ﷺ ، والسر في ذلك أن الوفود بعد فتح مكة كثروا وكثر سؤالهم عن الأحكام فكثر النزول بسبب ذلك . ووقع لي سبب تحديث أنس بذلك من رواية الدراوردي عن الإمامي عن الزهري « سألت أنس ابن مالك : هل فتر الوحي عن النبي ﷺ قبل أن يموت ؟ قال : أكثر ما كان وأجمه » أورده ابن يونس في « تاريخ مصر » في ترجمة محمد بن سعيد بن أبي مريم . قوله (حتى توفاه أكثر ماكان الوحي) أي الزمان الذي وقعت فيه وفاته كان نزول الوحي فيه أكثر من غيره من الأزمنة قوله (ثم توفي رسول الله ﷺ بعد) فيه إظهار ماتضمنته الغاية في قوله « حتى توفاه الله » ، وهذا الذي وقع أخيرا على خلاف ماوقع أولا ، فإن الوحي في أول البعثة فتر فترة ثم كثر ، وفي أثناء النزول بمكة لم ينزل من السور الطوال إلا القليل ، ثم بعد الهجرة نزلت السور الطوال المشتملة على غالب الأحكام ، إلا أنه كان الزمن الأخير من الحياة النبوية أكثر الأزمنة نزولا بالسبب المتقدم .

٧٤٧ - * روى مسلم عن أبي هُرَيرَة رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ : قَال رَسُولُ الله ﷺ : « وَالذي نَفْسُ محمدٍ بيَدِهِ ، لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أَحَدِكُم يَوْمٌ وَلا يَرَاني ، ثُمَّ لأنْ يَرَاني أحبُّ إليه مِنْ أَهْلِهِ ومَالِه مَعَهم » فأوَّلُوه عَلَى أنَّه نَعَى نَفْسَهُ إلَيْهِم ، وعَرَّفَهُم مَايَحْدُثُ لَهُمْ بَعْدَهُ مِنْ تمنِّي لِقَائِه عِنْدَ فَقْدِهِم مَاكَانُوا يُشَاهِدُونَ مِنْ بَرَكَاتِه عَلَيْهِ السَّلامُ .

قال النووي : وتقدير الكلام يأتي على أحدكم يوم لأن يراني فيه لحظة لايراني بعدها أحب إليه من أهله وماله جميعاً . ومقصود الحديث حثهم على ملازمة مجلسه الكريم ومشاهدته حضرا وسفرا للتأدّب بآدابه وتعلّم الشرائع وحفظها ليبلّغوها ، وإعلامهم أنهم سيندمون على مافرّطوا فيه من الزيادة من مشاهدته وملازمته . ومنه قول عمر رضي الله عنه ألهاني عنه الصفق بالأسواق أ.هـ .

٧٤٨ - * روى البخاري عن عائشةَ زوجِ النبيِّ ﷺ قالت : لما ثَقُلَ رسولُ الله ﷺ واشتدَّ به وجَعُه استأذَنَ أزواجَه أن يمرَّضَ في بيتي ، فأذِنَّ له ، فخرجَ وهو بين الرجلَين

---

٧٤٧ - مسلم (٤ / ١٨٣٦) ٤٣ - كتاب الفضائل - ٣٩ - باب فضل النظر إليه ﷺ وتمنيه .

٧٤٨ - البخاري (٨ / ١٤١) ٦٤ - كتاب المغازي - ٨٣ - باب مرض النبي ﷺ ووفاته .

=

تَخـطُّ رِجلاه في الأرض ، بين عبّاسٍ بن عبـد المطلب وبين رجـلٍ آخر . قـال عُبيـد الله فأخبرتُ عبدَالله بالذي قالت عائشةُ ، فقـال لي عبـدالله بن عبـاسٍ : هل تـدري من الرجلُ الآخرُ الذي لم تُسمِّ عائشةُ ؟ قال ، قلت : لا ، قال ابنُ عباس : هو عليٌّ . وكانت عائشةُ زوج النبي ﷺ تحدِّثُ أن رسولَ الله ﷺ لما دخلَ بيتي واشتـدَّ بـه وجعـهُ قـال : « هَرِيقوا عليَّ من سبـع قِرَب لم تُحْلَـلْ أوكيتُهنّ ، لعلّي أعهـدُ إلى النـاس » فـأجلسنـاهُ في مخضَب لحفصةَ زوج النبي ﷺ ، ثمَّ طَفِقْنا نصبُّ عليه من تلك القِرَب حتى طَفِقَ يُشيرُ إلينا بيدِه أن قد فَعلتنَّ . قالت : ثم خرجَ إلى الناس فصلَّى بهم وخطبَهم .

وفي رواية [1] : قالت : أولُ ما اشتكى رسولُ الله ﷺ في بيت ميمونةَ ، فاستأذن أزواجَه أن يُمرَّض في بيتي ، فأذِنَّ له . . الحديث .

٧٤٩ ـ * روى الدارمي عن عَـائِشَـةَ قَـالَتْ : رَجَعَ إِليَّ النبيُّ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ مِنْ جَنَـازَةٍ مِنَ البَقيعِ فَوَجَدنِي ، وَأَنَا أَجدُ صُدَاعاً ، وَأَنَـا أَقُولُ : وَا رَأْسَـاهُ . قَـالَ : «بَلْ أَنَـا يَـا عَـائِشَـةُ وَا رَأْسَاهُ » قَـالَ : « وَمَـا ضَرُّكِ لَـوْ مُتِّ قَبْلِي فَغَسَّلْتُـكِ وَكَفَّنْتُـكِ وَصَلَّيْتُ عَلَيْـكِ وَدَفَنْتكِ » فقُلْتُ : لَكَـأَنِّي بِـكَ وَاللهِ لوْ فَعَلْتَ ذَلِك ، لَرَجَعْتَ إلى بَيْتِي فَعَرَّسْتَ فِيـهِ بِبَعْضِ نِسَائِك . قَالَتْ : فَتَبسمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثُمَّ بُدِئَ فِي وَجَعِهِ الذي مَاتَ فِيهِ .

٧٥٠ ـ * روى أحمـد عن أسماءَ بنت عُمَيْسٍ قَـالـتْ : أَوَّلُ مَـا اشتكى رَسُولُ الله ﷺ في

= أَوْكِيَتُهن : الأَوْكِيَةُ : الأربطة .

المِخْضَب : وعاء كبير تغسل فيه الثياب ويسميه العامة في بلادنا اليوم طبقاً .

(١) البخاري بنحوه (٦ / ٢١٠) ٥٧ ـ كتاب فرض الخمس ـ ٤ ـ باب ماجاء في بيوت أزواج النبي ﷺ ، وما نُسب من البيوت إليهن .

مسلم واللفظ له (١ / ٣١٢) ٤ ـ كتاب الصلاة ـ ٢١ ـ باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر من مـرض وسفر وغيرهما من يصلي بالناس .

اشتكى : مرض .

٧٤٩ ـ الدارمي (١ / ٣٧) ، المقدمة ، باب في وفاة النبي ﷺ .

وابن ماجه بعضه (١ / ٤٧٠) ٦ ـ كتاب الجنائز ـ ٩ ـ باب ماجاء في غسل الرجل امرأته وغسل المرأة زوجها .

وعلّق المحقق لابن ماجه بقوله في الزوائد : رجاله ثقات ، ورواه البخاري من وجه آخر مختصراً .

٧٥٠ ـ أحمد في مسنده (٦ / ٤٣٨) .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٣٣) ، رواه أحمد ، ورجاله ثقات . =

بَيْتِ مَيْمُونَةَ فاشتد مَرَضُهُ حَتَّى أُغْمِيَ عَلَيه ، فتشاوَرَ نِسَاؤُهُ في لدِّهِ فَلَدُّوهُ ، فَلَمَّا أفاق قَالَ : « مَاهَذَا ؟ » فقلنا : هذا فِعلُ نِساءٍ جِئْنَ مِنْ هَهُنَا ، وَأشَارَ إلَى أرْضِ الحَبَشَةِ . وَكَانَتْ أسْماءُ بنتُ عُميسٍ فِيهِنَّ ، قَالُوا : كُنَّا نَتَّهِمُ بِكَ ذَاتَ الجَنْبِ يَارَسُولَ اللهِ . قال : « إنَّ ذَلِكَ لَدَاءٌ مَا كَانَ اللهُ عزَّ وجل لِيَقْذِفَنِي به ، لا يَبْقَيَنَّ فِي البَيْتِ أحَدٌ لاَيَلُدَّ إلا عَمُّ رَسُولِ اللهِ ﷺ » يعني العَبَّاسَ : قالت لَقد التَدَّتْ مَيْمونةُ يَوْمَئِذٍ وَإنَّها لصَائِمَةٌ لِعَزِيمَةِ رَسُولِ الله ﷺ .

وذكر رزين [١] عن أُسَامَةَ بن زَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَدْ عَقَدَ لي لِوَاءً فِي مَرَضِهِ الذي مَاتَ فِيهِ ، وَبَرَزْتُ بالنَّاسِ فَلَمَّا ثَقُلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أتَيْتُه يَوْما ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَضَعُ يَدَهُ عَلَيَّ وَيَرْفَعُهَا ، فَعَرَفْتُ أنَّهُ كَانَ يَدْعُو لِي ، فَلَمَّا بُويِعَ لأبِي بَكْرٍ ، كَانَ أوَّلَ مَاصَنَعَ ، أمَرَ بِإنْفَاذِ تِلكَ الرَّايَةِ التي كَانَ عَقَدَهَا لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ ، إلا أنَّهُ كَانَ سَألَنِي فِي عُمَر : أنْ أتْرُكَهُ لَهُ ، فَفَعَلْتُ .

وَفِي رِوَايَةِ التِّرمِذيِّ [٢] قَالَ : لَمَّا ثَقُلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ هَبَطْتُ ، وَهَبَطَ النَّاسُ المَدِينَةَ ، فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وَقَدْ أُصْمِتَ فَلَمْ يَتَكَلَّمْ ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَضَعُ يَدَيْهِ عَلَيَّ وَيَرْفَعُهُمَا ، فأعرف أنَّهُ يَدْعُو لِي .

٧٥١ - * روى البخاري ومسلم عن عُبَيْدِ اللهِ بنِ عَبدِ اللهِ بن عُتْبَةَ بن مَسعودٍ قال : دخلتُ عَلَى عائشةَ فقلتُ : ألا تُحدّثيني عن مرضِ رسولِ الله ﷺ ؟ قالت : بلىٰ . ثَقُلَ النبيُّ ﷺ فقال : « أصَلَّىٰ الناسُ ؟ » قلنا : لا ، هم ينتظرونَكَ . قال : « ضَعوا لي مـاءً في المِخْضَبِ » قالت : ففعلنا . فاغتسَلَ فذهبَ لينُوءَ فأُغميَ عليه ، ثم أفاقَ فقال ﷺ :

= اللدود : بالفتح : من الأدوية مايسقاه المريض في أحد شقي الفم .

(١) أوردها ابن الأثير في جامع الأصول (١٠ / ٢٦) ، وقال : هذه الرواية ذكرها رزين .

برزت بالناس : البروز : الخروج .

(٢) الترمذي (٥ / ٦٧٧) ٥٠ ـ كتاب المناقب ـ ٤١ ـ باب مناقب أسامة بن زيد ، رضي الله عنه . وقال : هذا حديث حسن غريب .

٧٥١ ـ البخاري (٢ / ١٧٢) ١٠ ـ كتاب الأذان ـ ٥١ ـ باب إنما جُعل الإمام ليؤتم به .

ومسلم (١ / ٣١١) ٤ ـ كتاب الصلاة ـ ٢١ ـ باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر من مرض وسفر وغيرهما من يصلي بالناس .

« أَصلَّىٰ الناسُ ؟ » قلنا : لا ، هم يَنتظرونَك يارسولَ الله . قال : « ضَعوا لي ماءً في المخضَبِ » قالت : فقعد فاغتسَل ، ثم ذهب لِيَنُوءَ فأُغميَ عليه . ثمَّ أفاقَ فقال : « أَصلَّى الناسُ ؟ » قلنا : لا ، هم يَنتظرونَك يارسولَ الله . فقال : « ضَعوا لي ماءً في المخضَبِ » فقعد فاغتسلَ ، ثمَّ ذهبَ ليَنوءَ فأُغميَ عليه . ثمَّ أَفاقَ فقال : « أَصلَّى الناس » فقلنا : لا ، هم يَنتظرونَك يارسولَ الله . والناسُ عُكوفٌ في المسجد ينتظرونَ النبيَّ عليه السلامُ لصلاةِ العشاءِ الآخرةِ - فأرسلَ النبيُّ ﷺ إلى أبي بكرٍ بأنْ يُصلّيَ بالناسِ ، فأتاهُ الرسولُ فقال : إنَّ رسولَ الله ﷺ يأمرُكَ أنْ تُصلّيَ بالناسِ . فقال أبو بكرٍ - وكان رجُلا رَقيقاً - ياعمرُ صَلِّ بالناسِ ، فقال له عمرُ : أنتَ أحقُّ بذلكَ . فصلَّى أبو بكرٍ تلكَ الأيامَ . ثمَّ إنَّ النبيَّ ﷺ وَجَدَ من نفسهِ خِفَّةً ، فخرَجَ بينَ رجُلينِ - أحدُهما العبّاسُ - لصلاةِ الظُّهرِ ، وأبو بكرٍ يُصلّي بالناسِ ، فلمّا رآهُ أبو بكرٍ ذهبَ ليتأخَّرَ ، فأومأَ إليه النبيُّ ﷺ بأنْ لايتأخَّرَ ، قال : « أجلِسانِي إلى جَنْبِه » فأجلساهُ إلى جَنْبِ أبي بكرٍ ، قال فجعلَ أبو بكرٍ يُصلّي وهو يأتمُّ بصلاةِ النبيِّ ﷺ والناسُ بصلاةِ أبي بكرٍ والنبيُّ ﷺ قاعدٌ ، قال عُبيدُ الله : فدخلتُ على عبدِ اللهِ بنِ عبّاسٍ فقلتُ له : ألا أعرِضُ عليكَ ما حدَّثتني عائشةُ عن مَرَضِ النبيِّ ﷺ ؟ قال : هاتِ . فعرَضْتُ عليهِ حديثَها . فما أنكرَ منهُ شيئاً ، غير أنه قال : أسمّتْ لكَ الرجُلَ الذي كان مع العباسِ ؟ قلت : لا . قال : هو علي .

٧٥٢ - * روى مالك والبخاري عن عائِشةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أنها قالت : إن رسولَ اللهِ ﷺ قال في مَرَضِه : « مرُوا أبا بكْرٍ يُصلّي بالناسِ » قالت عائشةُ : قلتُ إنَّ أبا بكْرٍ إذا قامَ في مقَامِكَ لم يُسمِعِ الناسَ منَ البُكاء ، فمر عمرَ فلْيصلِّ للناسِ . فقالت عائشةُ : فقلتُ لحفصةَ قولي له إن أبا بكرٍ إذا قام في مقَامِكَ لم يُسمِعِ الناسَ منَ البكاء فمُرْ عُمرَ فلْيصلِّ للناس . ففعلتْ حَفصةُ ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ : « مَهْ ، إنَّكنَّ لأنْتُنَّ صَواحِبُ يوسفَ ، مُروا أبا بكْرٍ فليُصلِّ بالناسِ » فقالت حَفصةُ لعائشةَ : ما كنتُ لأُصيبَ منكِ خيراً .

---

٧٥٢ - مالك في الموطأ (١ / ١٧٠) ٩ - كتاب قصر الصلاة في السفر - ٢٤ - باب جامع الصلاة .

والبخاري (٢ / ١٦٤) ١٠ - كتاب الأذان - ٤٦ - باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة .

٧٥٣ - * روى البخاري ومسلم عن عائشة : قالت : لَقَدْ رَاجَعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ في ذٰلِكَ ، وَمَا حَمَلَنِي عَلَى كَثْرَةِ مُرَاجَعَتِهِ إلا أَنَّهُ لَمْ يَقَعْ في قَلْبِي أَنْ يُحِبَّ النَّاسُ بَعْدَهُ رَجُلاً قام مَقَامَهُ أَبَداً ، ولا كُنْتُ أُرَى أَنَّه لَنْ يَقُومَ أَحَدٌ مقامَه إلا تَشَاءَمَ النَّاسُ بِهِ ، فَأَرَدْتُ أن يَعدِلَ ذٰلِكَ رسُولُ الله ﷺ عَنْ أَبِي بَكْرٍ .

٧٥٤ - * روى أبو داود عن عَبْدِ الله بن زَمْعَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ قَالَ : لَمَّا اسْتُعِزَّ بالنبي ﷺ - وَأَنا عِنْدَهُ فِي نَفَرٍ من المسلمين - دَعَاهُ بِلالٌ إلى الصَّلاةِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « مُرُوا مَن يُصَلِّي بالنَّاسِ » فخرجَ عبدُ الله بنُ زَمْعَةَ ، فَإِذَا عُمَرُ في النَّاسِ ، وَكَانَ أَبو بَكْرٍ غَائِبا ، فَقُلْتُ : يَاعُمَرُ ، قُمْ فَصَلِّ ، فَتَقَدَّمَ فَكَبَّرَ ، فَلَمَّا سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ صَوْتَهُ - وَكَانَ عُمَرُ رَجُلاً مِجْهَراً - قالَ : « فَأَيْنَ أَبُو بَكْرٍ ؟ يَأْبَى اللهُ ذَلِكَ والمُسْلِمُونَ ، يَأْبَى اللهُ ذٰلِكَ والمُسْلِمُون » ، فَبَعَثَ إلى أَبِي بَكْرٍ ، فَجَاءَ بَعْدَ أَنْ صَلَّى عُمَرُ تِلْكَ الصَّلاة ، فَصَلَّى بالنَّاسِ .

زَاد في رِوَايَةٍ [(١)] قَالَ : لَمَّا سَمِعَ النبيُّ ﷺ صَوْتَ عُمَرَ قَالَ ابنُ زَمْعَةَ : خَرَجَ النَّبيُّ ﷺ حَتَّى أَطْلَعَ رَأْسَهُ مِنْ حُجْرَتِهِ ، ثُمَّ قَالَ : « لاَ ، لاَ ، لاَ ، لِيُصَلِّ بالنَّاسِ ابنُ أَبِي قُحَافَةَ » قال ذٰلِكَ مُغْضَباً .

---

٧٥٣ - البخاري (٨ / ١٤٠) ٦٤ - كتاب المغازي - ٨٣ - باب مرض النبي ﷺ ووفاته .

ومسلم (١ / ٣١٣) ٤ - كتاب الصلاة - ٢١ - باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر من مرض وسفر وغيرهما من يصلي بالناس .

٧٥٤ - أبو داود (٤ / ٢١٥) ، كتاب السنة ، باب في استخلاف أبي بكر رضي الله عنه . وهو حديث حسن .

استُعِزَّ : بالمريض : إذا غلب على نفسه من شدة المرض ، وأصله من العِزَّة ، وهي الغلبة والاستيلاء على الشيء .

مِجْهَراً : رجل مِجْهَر ، أي : صَاحِبُ جَهْرٍ ورفعٍ لصوته ، يقال : جهر الرجل صوته وأجهر : إذا عرف بالجهر ، فهو جاهر ومِجْهَر .

يأبى الله ذلك والمسلمون : فيه نوع دلالة على خلافة أبي بكر رضي الله عنه ، لأن هذا القول يُعلم منه : أن المراد به ليس نفي جواز الصلاة خلف عمر ، كيف وهي جائزة خلف غيره من آحاد المسلمين ممن هو دون عمر ؟ وإنما أراد به الإمامة التي هي الخلافة والنيابة عن النبيِّ ﷺ ، فلذلك قال فيه :

« يأبى الله ذلك والمسلمون » . وعلى أنه يجوز أن يكون أراد بهذا القول : أن الله يأبى والمسلمون أن يتقدَّم في الصلاة أحد على جماعة فيهم أبو بكر ، حيث هو أكبرهم قَدْراً ومنزلةً وعلماً .

(١) أبو داود (٤ / ٢١٥) ، كتاب السنة ، باب في استخلاف أبي بكر رضي الله عنه .

٧٥٥ - * روى البخاري ومسلم عن أَنَس بن مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عنهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : « إِنَّ الأَنْصَارَ كَرِشِي وعَيْبَتِي ، وَإِنَّ النَّاسَ سَيَكْثُرُون ويَقِلُّون ، فَاقْبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ ، وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِم » .

وفي رِوَايَةٍ للبُخَاري (١) قَال : مرَّ أَبُو بَكْرٍ والعبّاس رضي الله عنهما بمجلس من مجالس الأنصار وَهُم يَبْكُونَ ، فَقَالَ : مايُبكيكُم ؟ قَالُوا : ذَكَرْنَا مَجْلسَ النبيِّ ﷺ مِنَّا ، فَدَخَلَ عَلَى النبيِّ ﷺ ، فَأَخْبَرَهُ بذٰلِكَ ، قَالَ : فَخَرَجَ النَّبيُّ ﷺ وَقَدْ عَصَبَ عَلَى رَأْسِهِ حَاشِيَةَ بُرْدٍ ، قَالَ : فَصَعِدَ المِنْبَرَ - وَلَمْ يَصْعَدْهُ بَعْدَ ذٰلِكَ اليَوم - فحَمِدَ اللهَ وَأَثْنى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : « أُوصِيْكُم بالأَنْصَارِ ، فإنهم كرشي وعَيْبَتِي ، وَقَدْ قَضَوْا الذي عَلَيْهِمْ ، وَبَقِيَ الذي لَهُمْ ، فَاقْبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِم ، وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ » .

٧٥٦ - * روى مسلم عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : كشفَ رسولُ الله ﷺ السِّتَارَةَ ، والناسُ صُفُوفٌ خَلفَ أَبي بكرٍ ، فقال : « أَيُّها النَّاسُ ، إِنَّهُ لم يَبقَ مِن مُبَشِّرَاتِ النُّبُوَّةِ إلا الرُّؤيا الصَّالحةُ ، يَرَاها المسلمُ ، أو تُرَى له ، ألا وإني نُهيتُ أن أقرأَ القرآنَ رَاكِعاً أو ساجداً ، فَأَمَّا الركوعُ : فَعَظِّموا فيه الرَّبَّ عز وجل ، وأَمَّا السجُودُ فَاجتَهِدوا في الدُّعاء ، فَقَمِنٌ أن يُستجابَ لكم » .

---

٧٥٥ - البخاري (٧ / ١٢١) ٦٣ - كتاب مناقب الأنصار - ١١ - باب قول النبي ﷺ : « اقبلوا من محسنهم ، وتجاوزوا عن مسيئهم » .

ومسلم واللفظ له (٤ / ١٩٤٩) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ٤٣ - باب من فضائل الأنصار ، رضي الله تعالى عنهم .

كَرِشي وعَيبتي : أراد بقوله : الأنصار كرشي وعيبتي ، أي : موضع سِرّي وأمانتي ، فاستعار الكَرِش والعيبة ، لأن المجترّ يجمع عَلَفه في كرشه ، والرجل يضع ثيابه في عَيبته ، قال الهروي : قال أبو عبيد : يقال : عليه كَرِش من الناس ، أي : جماعة ، كأنه أراد : جماعتي وصحابتي الذين بهم أثق ، وعليهم أعتمد .

يقلون : يعني الأنصار .

(١) البخاري (٧ / ١٢٠) ٥٢ - كتاب مناقب الأنصار - ١١ - باب قول النبي ﷺ : « اقبلوا من محسنهم ، وتجاوزوا عن مسيئهم » .

٧٥٦ - مسلم (١ / ٣٤٨) ٤ - كتاب الصلاة - ٤١ - باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود .

فقَمِنٌ : قمن : جدير وخليق .

وفي روايةٍ [١] : كشفَ السِّتْرَ ، ورأْسُهُ معصُوبٌ في مَرَضِهِ الذي مات فيه ، فقال : « اللَّهُمَّ هَل بَلَّغتُ ؟ - ثَلاَثَ مَرَاتٍ - إنَّهُ لم يَبقَ من مُبشِّراتِ النُّبوةِ إلا الرؤيا ، يَرَاهَا العبدُ الصَّالحُ ، أو تُرَى له . . . . » ثم ذكر مثله .

٧٥٧ - * روى البزار عن عَبدِ الرَّحْمنِ بن عَوْفٍ قال : لما حضر النبيَّ ﷺ الوفاةُ ، قالوا : يارسول الله : أوصِنا ، قال : « أوصيكم بالسَّابِقينَ الأوَّلينَ ، وبأبنائهمْ مِن بَعدِهم ، وبأبنائهم من بَعدِهم ، وبأبنائهم مِن بَعدِهم ، إن لاتَفْعَلُوا ، لايُقبل مِنكم صرْفٌ ، ولا عَدْل » .

٧٥٨ - * روى البزار عن أنسٍ قال : خرجَ رسولُ الله ﷺ في مرضِهِ الذي مات فيه متوكئاً على أسامةَ مرتدياً بثوبِ قُطنٍ فصلّى بالناسِ .

٧٥٩ - * روى البخاري ومسلم عن أبي سَعِيدٍ الخُدريِّ رضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : خَطَبَ النبي ﷺ الناس وَقَالَ : « إنَّ اللهَ عَزَّ وَجلَّ خيَّرَ عَبْداً بينَ الدُّنْيَا ، وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ . فَاخْتَارَ ذٰلِكَ العَبْدُ مَا عِنْدَ اللهِ » . قَالَ : فَبَكَى أبو بَكْرٍ ، فَعَجِبْنَا لِبُكَائِهِ أنْ يُخبرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ عَبْدٍ خُيِّرَ ، فَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ هُوَ المُخيَّرَ ، وَكَانَ أبو بَكْرٍ أعْلَمَنَا . فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « إنَّ أمَنَّ النَّاس عَليَّ في صُحْبَتِهِ ومَالِهِ أبو بَكْرٍ ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً خَلِيلاً غَيْرَ رَبِّي لاتخذْتُ أبا بكْرٍ ، وَلٰكِنْ أُخُوَّةُ الإسْلامِ ومودَّتُهُ . لاَ يبْقيَنَّ في المسْجِدِ بَابٌ إلا سُدَّ ، إلا بَابَ أبي بَكْرٍ » .

وعندَ التِّرمِذي [٢] : أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ جَلَس عَلَى المِنْبرِ فَقَالَ : « إنَّ عَبْدًا خيَّرهُ اللهُ

---

(١) مسلم (١ / ٣٤٨) ٤ - كتاب الصلاة - ٤١ - باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود .

٧٥٧ - البزار كشف الأستار (٣ / ٢٩٢) مجمع الزوائد (١٠ / ١٧) وقال : رواه الطبراني في الأوسط والبزار إلا أنه قال : أوصيكم بالسابقين الأولين ، وبأبنائهم من بعدهم ، ثلاث مرات . ورجاله ثقات .

صرف : التوبة أو النافلة .

عدل : الفدية أو الفريضة .

٧٥٨ - أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٢ / ٤٩) ، وقال : رواه البزار ، ورجاله رجال الصحيح .

٧٥٩ - البخاري (٧ / ١٢) ٦٢ - كتاب فضائل الصحابة - ٣ - باب قول النبي ﷺ : « سدوا الأبواب إلا باب أبي بكر » .

ومسلم نحوه (٤ / ١٨٥٤) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ١ - باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

(٢) الترمذي (٥ / ٦٠٨) ٥٠ - كتاب المناقب - ١٥ - باب حدثنا محمد بن عبد الملك . وقال : هذا حديث حسن صحيح . =

بيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا مَاشَاءَ ، وَبَيْنَ مَاعِنْدَهُ ، فَاخْتَارَ مَاعِنْدَهُ » . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : فَدينَاكَ يَارَسُولَ اللهِ بِآبَائنَا وأُمَّهَاتِنَا . قَالَ : فَعَجِبْنَا ، فَقَالَ النَّاسُ : انْظُرُوا إلى هذا الشَّيْخِ ، يُخْبِر رَسُولُ الله ﷺ عَنْ عَبْدٍ خيَّرَهُ اللهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيهِ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا مَاشَاءَ ، وَبَيْنَ مَاعِنْدَهُ ، وَهو يَقُولُ ، فَدَيْنَاكَ بِآبائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا ، قَالَ : فَكَانَ النَّبيُّ ﷺ هو الْمُخيَّرَ ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ هُوَ أَعْلَمَنَا بِهِ ، فَقَالَ النبيُّ ﷺ : « مِنْ أَمَنِّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ ، وَلَوْ كُنْتُ مَتَّخِذاً خليلاً لاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ ، وَلَكِنْ أُخُوَّةَ الإِسْلامِ ، لاتَبْقَيَن في المَسْجِد خَوْخَةٌ إلا خَوْخَةَ أَبِي بَكْرٍ» .

وَفِي رِوايةِ مُسْلمٍ[1] : أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ جَلَسَ عَلَى المِنْبَرِ ، فَقَالَ : « عَبْدٌ خيَّرَهُ اللهُ بيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ زهْرَةَ الدُّنيا، وبَيْنَ مَاعِنْدَهُ فاختَارَ مَاعِنْدَهُ » فَبَكَىٰ أَبُو بَكْرٍ وَبَكَىٰ ، فَقَالَ : فَدَيْنَاكَ بِآبائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا ، قَالَ : فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ هُوَ المخيَّرَ ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا بِهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ « مِنْ أَمَنِّ النَّاسِ عَلَيَّ في مَالِهِ وصُحْبَتِهِ أَبُو بَكْرٍ ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً خَليلاً ، لاتَّخذتُ أَبَا بَكْرٍ خَليلاً ، وَلَكِنْ أُخُوةَ الإِسْلامِ، لاتبقيَنَّ في المَسْجِدِ خَوْخَةٌ إلا خَوْخةَ أَبِي بَكْرٍ» .

قال النووي : وفيه فضيلة وخصيصة ظاهرة لأبي بكر رضي الله عنه . وفيه أنّ المساجد تصان عن تطرّق الناس إليها في خوخات ونحوها إلا من أبوابها إلا لحاجة مهمّة .

٧٦٠ - * روى مسلم عن جُندب بن عَبْدِ الله رَضِيَ اللهُ عَنْه قَالَ : سَمِعْتُ النبيَّ ﷺ قَبْلَ أَنْ يَموتَ بخَمْسٍ وَهُوَ يَقُولُ : « إِنِّي أَبْرَأُ إلى اللهِ أَنْ يكُونَ لِي مِنْكُم خَلِيلٌ ، وَإِنَّ اللهَ قد اتخَذَنِي خَليلاً ، كَمَا اتَّخَذَ إبراهيمَ خَليلاً ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً مِنْ أُمَّتِي خَليلاً لاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَليلاً . ألا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُم كَانُوا يتَّخِذُونَ قُبورَ أَنبِيَائِهِم وَصَالِحِيهِم مَسَاجِدَ ، أَلاَ فَلاَتَتَّخِذُوا القُبُورَ مَسَاجِدَ ، إِنِّي أَنْهاكُم عَنْ ذَٰلِكَ » .

= زهرة الدنيا : زينتها ومتاعها ، وماهو محبوب إلى النفوس من موجوداتها .

(١) مسلم (٤ / ١٨٥٤) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ١ - باب من فضائل أبي بكر الصديق ، رضي الله عنه .

الخوخة : مَنْفَذ يكون بين منزلين يجعل عليه باب .

٧٦٠ - مسلم (١ / ٣٧٧) ٥ - كتاب المساجد ومواضع الصلاة - ٣ - باب النهي عن بناء المساجد على القبور ، واتخاذ الصور فيها ، والنهي عن اتخاذ القبور مساجد .

وفي رواية (١) عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله ﷺ : « أبو بكرٍ صَاحِبِي وَمؤنِسي في الغَارِ . سُدُّوا كُلَّ خَوْخَةٍ في المسجدِ غَيرَ خَوْخَةِ أبي بَكْرٍ » .

٧٦١ - * روى البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما حُضِرَ رسولُ الله ﷺ وفي البيت رجال ، فقال النبي ﷺ : « هَلُمُّوا أكتُبْ لكم كتاباً لا تَضِلُّوا بعدَه » فقال بعضُهم : إنَّ رسولَ الله ﷺ قد غلبَهُ الوجع ، وعندَكم القرآن ، حسبُنا كتاب الله . فاختَلَفَ أهلُ البيت واختَصَموا ، فمنهم مَن يقول : قرِّبوا يكتبْ لكم كتابا لاتضلُّوا بَعده ، ومنهم من يقول غيرَ ذلك . فلما أكثَروا اللغوَ والاختلاف قال رسولُ اللهِ ﷺ : « قوموا » قال عُبيدُ الله : فكان يقول ابنُ عباس : إنَّ الرَّزية كلَّ الرَّزية ما حالَ بين رسول الله ﷺ وبينَ أن يَكتبَ لهم ذلك الكتابَ لاختِلافهم ولغطِهم .

وفي رواية قال (٢) : « قُومُوا عَني ، فلا ينبغي عندي التنازعُ » فخرج ابن عباس وهو يقول : إن الرَّزِيَّةَ كُلَّ الرَّزِيَّة : ما حالَ بينَ رسولِ الله ﷺ وبين كتابه .

وفي أخرى قال (٣) : قال ابنُ عبَّاسٍ : يَوْمُ الْخَمِيسِ ! وَمَا يَوْمُ الْخَمِيسِ ! ثُمَّ بَكَى حَتَّىٰ بَلَّ دَمْعُهُ الْحَصَىٰ . فَقُلْتُ : يَاابْنَ عَبَّاسٍ ! وَمَايَوْمُ الْخَمِيسِ ؟ قَالَ : اشْتَدَّ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَجَعُهُ . فَقَالَ : « ائْتُونِي أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَاباً لَاتَضِلُّوا بَعْدِي » فَتَنَازَعُوا وَمَا يَنْبَغِي عِنْدَ نَبِيٍّ تَنَازع . وَقَالُوا : مَاشَأْنُهُ ؟ أَهَجَرَ ؟ اسْتَفْهِمُوهُ . قَالَ : « دَعُونِي . فَالَّذِي أَنَا فِيهِ خَيْرٌ . أُوصِيكُمْ بِثَلَاثٍ : أَخْرِجُوا الْمُشْرِكِينَ مِن جَزِيرَةِ الْعَرَبِ . وَأَجِيزُوا الْوَفْدَ بِنَحْوِ مَاكُنْتُ أُجِيزُهُمْ » . قَالَ : وَسَكَتَ عَنِ الثَّالِثَةِ . أَوْ قَالَهَا فَأُنْسِيتُهَا .

---

(١) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ٤٢) ، وقال : رواه عبد الله في زياداته على المسند ورجاله ثقات .
اللَّغَطُ : الضَّجَّةُ واختلاف الأصوات .

٧٦١ - البخاري (٨ / ١٣٢) ٦٤ - كتاب المغازي - ٨٣ - باب مرض النبي ﷺ ووفاته .
ومسلم (٣ / ١٢٥٩) ٢٥ - كتاب الوصية - ٥ - باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي فيه .

(٢) البخاري (١ / ٢٠٨) ٣ - كتاب العلم - ٣٩ - باب كتابة العلم .
الرَّزِيَّة : المصيبة التي تنزل بالإنسان من الشدائد .

(٣) البخاري (٨ / ١٣٢) ٦٤ - كتاب المغازي - ٨٣ - باب مرض النبي ﷺ ووفاته .
ومسلم (٣ / ١٢٥٧) ٢٥ - كتاب الوصية - ٥ - باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي فيه .

٧٦٢ - * روى البخاري ومسلم عن أنسِ بنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : أَنَّ أَبَا بَكْرٍ كَانَ يُصَلِّي لَهُمْ فِي وَجَعِ النبيِّ ﷺ الذي تُوفِّيَ فيه ، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمُ الاثنينِ - وَهُم صُفُوفٌ في الصَّلاةِ - كَشفَ النبيُّ ﷺ سِتْرَ الحُجْرَةِ ، فنظر إلينا وَهوَ قَائمٌ كَأَنَّ وَجْهَهُ وَرَقَةُ مُصحَفٍ ، ثُمَّ تَبَسَّمَ يَضْحَكُ ، فَهَمَمْنَا أَنْ نَفْتَتِنَ مِنَ الفَرَحِ بِرُؤْيَةِ النبيِّ ﷺ . فَنَكَصَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى عَقِبِه لِيَصِلَ الصَّفَّ ، وظَنَّ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ خَارِجٌ إلى الصَّلاةِ ، فَأَشَارَ إلينَا النَّبيُّ ﷺ أَنْ أَتِمُّوا صَلاتَكُم وَأَرْخَى السِّتْرَ ، فتُوفِّيَ مِنْ يَوْمِهِ .

وفي رواية [١] لهما عن أنس : قَالَ : لَمْ يَخْرُجْ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلاثاً فَأُقِيمَتِ الصَّلاةُ ، فَذَهَبَ أَبُو بَكْرٍ يَتَقَدَّمُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بالحِجَابِ ، فَرَفَعَهُ فَلَمَّا وَضَحَ وَجْهُ النبيِّ ﷺ ، مَانَظَرْنَا مَنْظَراً كَانَ أَعْجَبَ إِلَيْنَا مِنْ وجه رَسُول اللهِ ﷺ حِينَ وَضَحَ لَنَا ، فَأَوْمَأَ النبي ﷺ بِيَدِهِ إلى أَبي بَكْرٍ أَنْ يَتَقَدَّم ، وأَرْخَى النبي ﷺ الحجَابَ ، فَلَمْ يُقْدَرْ عَلَيْهِ حتَّى مَاتَ .

٧٦٣ - * روى أحمد وابن ماجه عن أم سَلَمَة أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي مَرَضِهِ الذي تُوُفِّي فِيهِ :« الصَّلاةَ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ » فَمَازَالَ يَقُولُهَا حَتَّى مَا يَفِيضَ بها لِسَانُهُ.

= أَهَجَرَ : الهَجْر بالفتح نطق المريض بما لم يُفْهَم .

أجيزوا الوفد : الوفد : الذين يقصدون الملوك في طلب حوائجهم ويأتونهم في مهماتهم ، وإجازتُهم : إعطاؤهم الجائزة ، وهي مايُعْطَونَ من العطاء والصلة .

٧٦٢ - البخاري (٢ / ١٦٤) ١٠ - كتاب الأذان - ٤٦ - باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة .

ومسلم (١ / ٣١٥) ٤ - كتاب الصلاة - ٢١ - باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر من مرض وسفر وغيرهما من يصلي بالناس .

(١) البخاري في الموضع السابق .

ومسلم نحوها في الموضع السابق .

٧٦٣ - أحمد في مسنده (٦ / ٣١١) .

وابن ماجه (١ / ٥١٩) ٦ - كتاب الجنائز - ٦٤ - باب ماجاء في ذكر مرض رسول الله ﷺ .

وقال المعلق على ابن ماجه : في الزوائد : إسناده صحيح على شرط الشيخين .

قال السندي : قوله (الصلاة) : أي الزموها واهتموا بشأنها ولاتغفلوا عنها (وماملكت أيمانكم) من الأموال أي أدوا زكاتها ولاتسامحوا فيها وهذا هو الموافق لقران الصلاة ، فإن المتعارف في عرف القرآن والشرع قرانها ويحتمل أن يكون وصية بالعبيد والإماء أي أدوا حقوقهم وحسن ملكتهم ، فإن المتبادر من لفظ ماملكت الأيمان في عرف القرآن هم العبيد والإماء ، **قوله (حتى مايفيض بها لسانه)** أي مايجري ولايسيل بهذه الكلمة لسانه من فاض

٧٦٤ ـ * روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت : كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يقولُ في مرضِه الذي ماتَ فيه : « ياعائشةُ ، ماأزالُ أجدُ ألَم الطعامِ الذي أكَلْتُ بخيبرَ ، وهذا أوانُ وَجَدْتُ انقطاعَ أبْهَري من ذلكَ السَّمّ » .

٧٦٥ ـ * روى أحمد عن أمّ سَلَمَة قَالَتْ : والذي أحْلِفُ به إنْ كَانَ عَليٌّ لأقْرَبَ النَاسِ عَهْدًا برَسُولِ اللهِ ﷺ : قَالَتْ : عُدْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ غَدَاةً بَعْدَ غَدَاةٍ يَقُولُ : « جَاءَ عليٌّ » مِرارًا ، قَالَتْ : وَأظُنُّه كَانَ بَعَثَهُ في حَاجَة : قَالَتْ : فَجَاء بَعدُ فَظَنَنْتُ أنّ لَهُ إليه حَاجَةً فَخَرَجْنَا مِنَ البَيْتِ فَقَعَدْنَا عِنْدَ البَيْتِ ، وكُنْتُ مِنْ أدْنَاهُم إلَى البَاب فأكَبَّ عَلَيْهِ عَليٌّ فَجَعَلَ يُسَارُّهُ ويناجيهِ ثُمَّ قُبِضَ ﷺ مِنْ يَومِهِ ذَلِكَ ، وكَانَ أقْرَبَ النَّاسِ بِه عَهْدًا .

٧٦٦ ـ * روى البخاري عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : إن علي بن أبي طالب رضي الله عنه خرج من عند النبي ﷺ في وجعه الذي تُوُفِّيَ فيه ، فقال الناس : ياأبا الحسن ، كيف أصبح رسولُ الله ﷺ ؟ فقال : أصبح بحمد الله بارئاً .

٧٦٧ ـ * روى ابن ماجه عن عَائشة قَالَت : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ في مَرَضِهِ : « وَدِدْتُ أنَّ عِنْدِي بَعْضَ أصحَابِيْ » قُلْنَا : يَارَسُولَ اللهِ ألا نَدعُو لَكَ أبَا بَكرٍ فَسَكَتَ قُلْنَا ألا

= الماء إذا سال وجرى حتى لم يقدر على الإفصاح بهذه الكلمة .

٧٦٤ ـ البخاري (٨ / ١٣١) ٦٤ ـ كتاب المغازي ـ ٨٣ ـ باب مرض النبي ﷺ ووفاته .

أبْهَري : الأبهر : عرق متصل بالقلب اتصالاً مباشراً .

٧٦٥ ـ أحمد في مسنده (٦ / ٣٠٠) .

والطبراني مختصراً في المعجم الكبير (٢٣ / ٣٧٥) .

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ١١٢) : رواه أحمد وأبو يعلى ، إلا أنه قال فيه : « كان رسول الله ﷺ يوم قُبض في بيت عائشة ، والطبراني باختصار ورجالهم رجال الصحيح غير أم موسى ، وهي ثقة .

والذي أحلف به : تعني الله عز وجل ، وغرضها بذلك أنّ ماستذكره حصل يقيناً بغير شك .

فأكبّ عليه علي : أي مال برأسه عليه ولازمه .

فجعل يسارّه ويناجيه : أي يحدثه سرّاً .

أقرب الناس به عهداً : تعني عليّا رضي الله عنه .

٧٦٦ ـ البخاري (٨ / ١٤٢) ٦٤ ـ كتاب المغازي ـ ٨٣ ـ باب مرض النبي ﷺ ووفاته .

٧٦٧ ـ ابن ماجة (١ / ٤٢) في المقدمة ـ ١١ ـ باب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ .

وقال المعلق على ابن ماجة : في الزوائد : إسناده صحيح ، ورجاله ثقات .

نَدْعُو لَكَ عُمَرَ ؟ فَسَكَتَ ، قُلْنَا : أَلاَ نَدْعُو لَكَ عُثْمَانَ ؟ قَالَ « نَعَمْ » فَجَاءَ فَخَلاَ بِهِ ، فَجَعَلَ ٱلنَّبِيُّ ﷺ يُكَلِّمُهُ وَوَجْهُ عُثْمَانَ يَتَغَيَّرُ قَالَ قَيْسٌ : فَحَدَّثَنِي أبو سَهْلَةَ مَوْلَى عثمان أَنَّ عُثْمَانَ بنَ عفَّانٍ قَالَ يَومَ الدارِ : إِنَّ رَسُولَ ٱللهِ ﷺ عَهِدَ إِلَيَّ عَهْداً فَأَنَا صَائِرٌ إِلَيْهِ ، وَقَالَ عَلِيٌّ فِي حَدِيثِهِ : وَأَنَا صَابِرٌ عَلَيْهِ قَالَ قَيْسٌ : فَكَانُوا يَرَوْنَهُ ذَلِكَ ٱلْيَوْمَ .

أقول : الظاهر أن قول علي إنما كان بعد ماأخبره الرسول ﷺ عما يجري عليه وهذا يفيد أن النبي ﷺ استدعاه وأسر إليه بما يجري عليه كما أخبر عثمان .

٧٦٨ - * روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : لـمَّا ثَقُلَ رسولُ الله ﷺ ، جعل يتغشَّاه الكربُ ، فقالت فاطمةُ : واكَرْبَ أبَتَاهُ ! فقال لها : « ليس على أبيكِ كَرْبٌ بعد اليوم » فلما مات قالت : ياأبَتَاهُ ، أجاب ربًّا دعاه ، ياأبَتَاه ، جَنَّةُ الفِرْدَوس مأواه ، ياأبَتَاه ، إلى جبريلَ نَنْعاه . فلما دُفِن قالت : ياأنسُ ، كيف طابتْ أنفسُكم أن تَحثُوا على رسولِ الله ﷺ الترابَ ؟ .

وفي رواية النَّسائي [(١)] : أنَّ فاطمةَ بكتْ على رسولِ الله ﷺ حين مات ، فقالت : ياأبتاه ، مِنْ رَبِّه ماأدناهُ ؟ ياأبتاهُ ، إلىَ جبريلَ ننعاهُ ، ياأبتاه ، جَنَّةُ الفِرْدَوْس مأواه ؟ .

٧٦٩ - * روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ يُوعَكُ . فَمَسَسْتُهُ بِيَدي فَقُلْتُ : يَارَسُولَ اللهِ ! إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعْكاً شَدِيداً . فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « أَجَلْ إِنِّي أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلانِ مِنْكُمْ » قَالَ فَقُلْتُ : ذَلِكَ ، أَنَّ لَكَ أَجْرَيْنِ . فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « أَجَل » ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « مَامِنْ مُسْلِمٍ يُصيبُهُ أَذًى مِنْ مَرَضٍ فَمَا سِوَاهُ ، إلا حَطَّ اللهُ بِهِ سَيِّئَاتِهِ ، كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا » .

---

٧٦٨ - البخاري (٨ / ١٤٩) ٦٤ - كتاب المغازي - ٨٣ - باب مرض النبي ﷺ ووفاته .

(١) النسائي (٤ / ١٣) ، كتاب الجنائز ، باب في البكاء على الميت .

٧٦٩ - البخاري (١٠ / ١١١) ٧٥ - كتاب المرضى - ٣ - باب أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل .

ومسلم واللفظ له (٤ / ١٩٩١) ٤٥ - كتاب البر والصلة والآداب - ١٤ - باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض وحزن أو نحو ذلك ، حتى الشوكة يشاكها .

إنك لتوعك وعكاً شديداً : الوعْك : قيل هو الحمى ، وقيل : ألمها ومغثها ، وقد وُعِك الرجل يوعَك فهو موعوك .

٧٧٠ ـ * وروى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : مارأيتُ الوَجع على أحدٍ أشدَّ منه على رسولِ الله ﷺ .

٧٧١ ـ * وروى البخاري ومسلم عن عائِشَة رَضِيَ الله عَنْهَا : أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يُعَوِّذُ بعْضَ أهْلِه ، يَمْسَحُ بيَدِهِ اليُمْنَى ، وَيقُولُ : « اللهمَّ رَبَّ النَاسِ ، أذهِبِ البَاسَ ، اشْفِ أَنْتَ الشَّافِي ، لاشفَاءَ إلا شِفَاؤُكَ ، شِفَاءً لا يُغَادِرُ سَقَماً » .

وفي رواية [١] : فلمَّا مَرِضَ رَسُولُ الله ﷺ وثَقُلَ أَخَذْتُ بيَدِهِ ، لأصْنَع بِهِ نَحو ماكَانَ يَصْنَعُ ، فَانْتَزَعَ يَدَهُ مِنْ يَدِي ، ثُمَّ قَالَ : « اللهُمَّ اغْفِرْ لي ، واجْعَلْنِي مَعَ الرفِيقِ الأعلَى » قَالَتْ : فَذَهَبْتُ أَنْظُرُ : فَإِذَا هُوَ قَدْ قَضَى .

وفي رواية [٢] : أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَرْقِي ، يَقُولُ : « امْسَح الباسَ رَبَّ النَّاسِ ، بَيدِكَ الشِّفَاءُ ، لاكَاشِفَ لَهُ إلا أَنْتَ » .

٧٧٢ ـ * روى مالك والبخاري عن عائِشَة رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا : أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ إذَا اشْتَكَى يَقْرَأُ عَلَىنَفْسِهِ بِالمُعَوِّذَاتِ ويَنْفُثُ ، قَالت : فَلَمَّا اشْتَدَّ وَجَعُهُ كُنْتُ أَقْرَأُ عَلَيْهِ ، وأَمْسَحُ عَلَيْهِ بيَمِينِهِ رَجَاءَ بَرَكَتِها .

---

٧٧٠ ـ البخاري (١٠ / ١١٠) ٧٥ ـ كتاب المرضى ـ ٢ ـ باب شدة المرض .

ومسلم نحوه (٤ / ١٩٩٠) ٤٥ ـ كتاب البر والصلة والآداب ـ ١٤ ـ باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض وحزن أو نحو ذلك ، حتى الشوكة يشاكها .

٧٧١ ـ البخاري (١٠ / ٢٠٦) ٧٦ ـ كتاب الطب ـ ٣٨ ـ باب رقية النبي ﷺ .

ومسلم نحوه (٤ / ١٧٢٢) ٣٩ ـ كتاب السلام ـ ١٩ ـ باب استحباب رقية المريض .

(١) البخاري (١٠ / ٢٠٦) .

ومسلم (٤ / ١٧٢٢) .

الرفيق الأعلى : أراد : الملائكة ومجاورتهم ومرافقتهم .

(٢) البخاري في نفس الموضع السابق .

٧٧٢ ـ مالك في الموطأ (٢ / ٩٤٢) ٥٠ ـ كتاب العين ـ ٤ ـ باب التعوذ والرقية من المرض .

والبخاري (٩ / ٦٢) ٦٦ ـ كتاب فضائل القرآن ـ ١٤ ـ باب فضائل المعوذات .

ومسلم (٤ / ١٧٢٣) ٣٩ ـ كتاب السلام ـ ٢٠ ـ باب رقية المريض بالمعوذات والنفث .

يَنْفُثُ : النَّفْثُ : أقل مايبزق الإنسان .

٧٧٣ ـ * وروى البخاري ومسلم عن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ وهو صحيح يقول : « إنه لم يُقبَضْ نبيٌّ قطُّ حتى يرَى مَقعدَهُ من الجنة ، ثم يُحيّا ـ أو يُخيَّر » فلما اشتكى وحضرَهُ القبضُ ورأسُهُ عَلَى فخذِ عائشة ، غُشِيَ عليه ، فلما أفاقَ شخصَ بَصرُهُ نحوَ سقفِ البيتِ ثمَّ قال : « اللهمَّ في الرفيق الأعلى » فقلتَ : إذاً لايختارُنا ، فعرفتُ أنه حديثه الذي كان يحدِّثُنا وهو صحيح .

٧٧٤ ـ * وروى البخاري ومسلم عن عائشةَ رضيَ الله عنها قالت : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « ما من نبيّ يَمرَضُ إلا خُيِّرَ بينَ الدنيا والآخرة » وكان في شكواه الذي قبض فيه أخذَتْهُ بُحَّةٌ شديدة ، فسمعتُه يقول : « مع الذين أنعمَ الله عليهم من النّبيينَ والصدِّيقين والشهداء والصالحين » فعلمتُ أنهُ خُيِّر .

٧٧٥ ـ * روى الحاكم عن القاسمِ بنِ مُحمدِ بن أبي بكر الصديق أنه تَلا قَوْلَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ [1] ، ثمَّ قَالَ : حَدثتني عَائِشةُ أم المؤمنينَ رَضيَ الله عَنْها قَالَتْ : لقد رَأيْتُ رَسُولَ الله ﷺ وهُوَ بالمَوْتِ ، وَعِنْدَهُ قَدَحٌ فيه مَاءٌ ، وهوَ يُدْخِلُ يَدَهُ في القَدَحِ ، ثم يَمْسَحُ وَجْهَهُ بالمَاءِ ثمَّ يَقُولُ : « اللهمَّ أعنّي عَلَى سَكَرات المَوْتِ » .

٧٧٦ ـ * روى البخاري عن عائشةَ رضي الله عنها : أنَّ رسولَ الله ﷺ كان يسأل في مرضه الذي مات فيه ، يقول : « أيْنَ أنا غداً » ـ يريدُ يومَ عائشةَ ـ فأذِن له أزواجُه أن يكون حيث شاء ، فكان في بيت عائشةَ حتى مات عندها ، قالت عائشةُ : فمات في اليوم

---

٧٧٣ ـ البخاري (٨ / ١٣٦) ٦٤ ـ كتاب المغازي ـ ٨٣ ـ باب مرض النبي ﷺ ووفاته .

ومسلم (٤ / ١٨٩٤) ٤٤ ـ كتاب فضائل الصحابة ـ ١٣ ـ باب في فضل عائشة رضي الله تعالى عنها .

شخص بصره : شخوص البصر : ارتفاع الأجفان إلى فوق وتحديد النظر .

٧٧٤ ـ البخاري (٨ / ٢٥٥) ٦٥ ـ كتاب التفسير ـ ١٣ ـ باب : ﴿ أولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين ﴾ .

ومسلم (٤ / ١٨٩٣) ٤٤ ـ كتاب فضائل الصحابة ـ ١٣ ـ باب في فضل عائشة ، رضي الله تعالى عنها .

٧٧٥ ـ المستدرك (٢ / ٤٦٥) ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وأقره الذهبي .

(١) ق : ١٩ .

٧٧٦ ـ البخاري (٨ / ١٤٤) ٦٤ ـ كتاب المغازي ـ ٨٣ ـ باب مرض النبي ﷺ ووفاته .

=

الذي كان يَدُور عَلَيَّ فيـه في بيتي ، فقبضـه الله عز وجل وإنَّ رأسَـه لَبَيْنَ نَحْري وسَحْري ، وخالطَ رِيقَهُ رِيقي ، ثم قـالت : دخل عبـد الرحمن بن أبي بكر ، ومعـه سِواكٌ يَستَنُّ بـه ، فنظر إليه رسولُ الله ﷺ ، فقلت له : أعْطِني هـذا السواك يـاعبدَ الرحمن . فـأعطـانيـه ، فقَضِمْتُهُ ، ثم مضغتُه ، فأعطيته رسولَ الله ﷺ فاستَنَّ به وهو مستند إلى صدري .

وعنهـا في روايـة [1] : توفي النبي ﷺ في بيتي وفي يومي وبين سَحْري ونَحْري . وكانتْ إحـدانـا تُعَـوِّذُهُ بـدعـاءٍ إذَا مَرِض ، فـذهبتُ أُعَـوِّذُهُ ، فرفَـع رأسَـه إلى السماء ، وقـال : «في الرفيق الأعلى » ومرَّ عبـدُ الرحمن بنُ أبي بكرٍ وفي يـدِه جريـدةٌ رَطْبـةٌ ، فنظر إليـه النبيُّ ﷺ ، فَظَنَنْتُ أنَّ له بها حاجة ، فأخذتها فمضغتُ رأسها ونفضتُها ، فدفعتُها إليه ، فـاستنَّ بهـا كأحسن ما كان مُستناً ، ثم نـاولنيهـا ، فسَقَطَتْ يـده ـ أو سقطت من يـده ـ فجمع الله بين ريقي وريقه في آخر يوم من الدنيا ، وأوَّل يوم من الآخرة .

وفي أخرى نحوه ، إلا أنَّـه قـال [2] : قـالت : دخل عبـد الرحمن بسـواك ، فَضَعُفَ النبيُّ ﷺ عنه فأخذته ، فمضغتُه ، ثم سَنَنْتُه به .

وفي روايـة [3] : دخل عليَّ عبـدُ الرحمن وبيـده السواك وأنـا مُسنِـدةٌ رسـول الله ﷺ ، فرأيتُه ينظر إليه ، وعَرَفْتُ أنَّهُ يُحِبُّ السِّوَاكَ ، فقلتُ : آخذهُ لك ؟ فأشـار برأسـه : « أنْ نعم » فتناولَهُ ، فاشتَدَّ عليه ، قلتُ : أُلَيِّنُه لك ؟ فأشار برأسِه : « أنْ نعمْ » فَلَيَّنْتُهُ ، فَأَمَرَّهُ وبينَ يديه رَكْوَةٌ ، أو عُلبَةٌ يشك عمر ـ فيها ماءٌ ، فجعل يُدخِلُ يديـه في المـاء ، فيمسح بهما وجهـه ، يقول : « لاإلٰـه إلا اللهُ ، إنَّ للموت سَكَرَاتٍ » ثم نَصَبَ يـدَهُ ، فجعلَ يقـولُ : « في الرفيق الأعلى » حتى قُبِض ﷺ ، ومالتْ يده .

سَحْر : السَّحْر : الرِّئَةُ ، وأرادت : أنه مات عندها في حضنها .

يَسْتَنُّ : الاستنان : التَّسوُّك بالسواك .

(١) البخاري (٨ / ١٤٤) ٦٤ ـ كتاب المغازي ـ ٨٣ ـ باب مرض النبي ﷺ ووفاته .

جريدة : الأصل أن الجريدة هي سَعَفَة من سَعَف النخل ، والمراد بها هنا : قطعة من السعفة تستعمل كالسواك .

(٢) البخاري (٦ / ٢١٠) ٥٧ ـ كتاب فرض الخمس ـ ٤ ـ باب ماجـاء في بيوت أزواج النبي ﷺ، ومـا نُسِب من البيوت إليهن.

(٣) البخاري (٨ / ١٤٤) ٦٤ ـ كتاب المغازي ـ ٨٣ ـ باب مرض النبي ﷺ ، ووفاته .

ركوة : وعاء من جلد .   والعلبة : وعاء من جلد يحلب منه .

وفي أخرى[1] : قالت : ماتَ رسولُ الله ﷺ وإنَّه لَبَيْنَ حاقِنَتي وذاقِنَتي ، فلا أكره شِدَّة الموت لأحدٍ أبداً بعد النبيِّ ﷺ .

٧٧٧ ـ * روى الترمذي وابن ماجه عن أنس قالَ : لما كَانَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذي دَخَلَ فِيهِ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ ٱلْمدِينَةَ أَضَاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ ، فَلَمَّا كَانَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذي مَاتَ فِيهِ أَظْلَمَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ ، وَمَا نَفَضْنَا عَنِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٱلأَيْدِي حَتَّى أَنْكَرْنَا قُلُوبَنَا .

تعليق :

قوله : (وما نفضنا عن النبي ﷺ الأيدي حتى أنكرنا قلوبنا) : فيه رد على من ادعى أن حال الصحابة ورقيهم الروحي وغيره لايفسر بوجود رسول الله ﷺ على رأسهم ، وهو قول انتشر في هذا العصر . ويكفي في رده قوله جل جلاله في حق رسول الله ﷺ : ﴿ ويزكيهم ﴾ [2] كما أن في هذا الحديث مايدل على أن الرقي القلبي منوط بالاجتماع مع أهل الحق والارتباط الروحي فيهم ومن ههنا نؤكد على الانتساب للعلماء العاملين والربانيين المخلصين ، ونؤكد على الأخذ منهم ومجالسة الصالحين من عباد الله .

٧٧٨ ـ * روى الحاكم عن جَابرِ بنِ عَبْدِ الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُما قَالَ : لَمَّا تُوفِّيَ رَسولُ اللهِ

---

(١) البخاري في نفس الموضع السابق .

حاقنتي وذاقنتي : الحاقنة : ماسفل من البطن ، والذاقنةُ : طرف الحلقوم الناتئ ، وقيل ، الحاقنة : المطمئن من الترقوة والحلق ، والذاقنةُ : نُقْرَةُ الذَّقَن .

٧٧٧ ـ الترمذي (٥ / ٥٨٨) ٥٠ ـ كتاب المناقب ـ ١ ـ باب في فضل النبي ﷺ . وقال : هذا حديث غريب صحيح .

وابن ماجه واللفظ له (١ / ٥٢٢) ٦ ـ كتاب الجنائز ـ ٦٥ ـ باب ذكر وفاته ودفنه ﷺ .

والحاكم نحوه مختصراً في المستدرك (٣ / ٥٧) ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه . وأقره الذهبي . وهو حديث حسن .

قال السندي :

قوله أضاء منها : أي من المدينة .

وما نفضنا : أي ماخلصنا من دفنه .

أنكرنا قلوبنا : أي ماوجدناها على الحالة السابقة . ومعلوم أنّ البيت يصير مظلماً إذا أبعد عنه السراج .

(٢) البقرة : ١٢٩ . والجمعة : ٢ .

٧٧٨ ـ المستدرك (٢ / ٥٧) ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وأقره الذهبي .

صلى الله عليه وآله وسلم ، عَزَّتْهُم الملائِكَةُ يَسْمَعُونَ الحِسَّ ولايَرَوْنَ الشَّخْصَ ، فَقَالت : السَّلامُ عَليكُم أهل البيْتِ وَرَحْمةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ ، إنَّ في اللهِ عَزَاءً مِنْ كُلِّ مُصِيبَةٍ ، وَخَلَفاً مِن كُلِّ فَائِتٍ ، فَبِاللهِ فَثِقُوا ، وَإِيَّاهُ فَارْجُوا ، فإنما المَحْرُومُ مَنْ حُرِمَ الثَّوَابَ ، والسَّلامُ عَلَيْكُم وَرَحْمةُ اللهِ وَبَركَاتُهُ .

٧٧٩ - * روى مسلم عن أنس بن مَالِكٍ رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ : قَالَ أبو بَكْرٍ - بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ - لِعُمَرَ : انْطَلِقْ بِنَا إلى أمِّ أيْمَنَ نَزُورهَا كَمَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَزُورُهَا . فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إلَيْهَا بَكَتْ ، فَقَالا لَهَا : مَايُبْكِيكِ ؟ مَاعِنْدَ اللهِ خَيْر لِرَسُولِهِ ﷺ فَقَالَتْ : مَاأبْكِي أن لاأكُونَ أعْلَمُ أنَّ مَاعِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لِرَسُولِهِ ﷺ ، ولكن أبْكِي أنَّ الوحْي انْقَطَعَ مِن السَّماء ، فَهيَّجَتْهُمَا عَلَى البُكَاء ، فَجَعَلاَ يَبْكِيَانِ مَعَهَا .

قال النووي :

فيه زيارة الصالحين ، وزيارةُ الصالح لمن هو دونه ، وزيارة الإنسان لمن كان صديقه يزوره ولأهل ود صديقه ، وزيارة جماعة من الرجال للمرأة الصالحة وسماع كلامها ، واستصحاب العالم والكبير صاحباً له في الزيارة والعيادة ونحوهما ، والبكاء حزنا على فراق الصالحين والأصحاب ، وإن كانوا قد انتقلوا إلى أفضل مما كانوا عليه . والله أعلم . أ.هـ

٧٨٠ - * روىٰ البخاري عن أبي سَلَمَةَ بن عَبْدِ الرَّحْمٰنِ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ : قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا في حَدِيثِهَا : أقْبَلَ أبُو بَكْرٍ عَلَى فرسه مِنْ مَسْكَنِهِ بالسُّنْحِ حَتَّى نَزَلَ ، فَدَخَلَ المَسْجِدَ ، فَلَمْ يُكَلِّمِ النَّاسَ ، حَتَّى دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ رضي الله عنها ، فتيم النبي ﷺ وهو مُسجًّى بِبُرْدِ حِبَرَة ، فَكَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ ، ثم أكَبَّ عَلَيْهِ فقَبَّلَهُ ، ثُمَّ بَكَى ، فَقَالَ : بِأبِي أنْتَ وَأُمِّي يَارَسُولَ الله ، لايَجْمَعُ اللهُ عَلَيْكَ مَوتَتَيْنِ ، أمَّا المَوتَةُ التي كُتِبَتْ عَلَيْكَ ، فَقَدْ مُتَّهَا . قالَ أبُو سَلَمَةَ : فَأخْبَرَنِي ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما : أنَّ أبَا بَكْرٍ رضي الله عنه خَرَجَ وعُمَرُ رضي الله عنه يُكَلِّمُ النَّاسَ ، فَقَالَ : اجْلِسْ ، فَأبَى ، فَقَالَ : اجْلِسْ ، فَأبَى ، فَتَشَهَّدَ أبُو

---

٧٧٩ - مسلم (٤ / ١٩٠٧) ٤٤ - كتاب فضائل الصحابة - ١٨ - باب من فضائل أم أيمن ، رضي الله عنها .

٧٨٠ - البخاري (٣ / ١١٣) ٢٣ - كتاب الجنائز - ٣ - باب الدخول على الميت بعد الموت إذا أدرج في أكفانه .

بَكْرٍ رضي الله عنه ، فَمَالَ إِلَيْهِ النَّاسُ ، وَتَرَكُوا عُمَرَ ، فَقَالَ : أَمَّا بعْدُ ، فَمَنْ كَانَ مِنْكُم يَعْبُدُ مُحمَّداً فَإِنَّ مُحمَّداً ﷺ قَدْ مَاتَ ، ومَنْ كَانَ يَعْبُدُ الله فَإِنَّ الله حَيٌّ لايموتُ . قَالَ اللهُتعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسلُ ﴾ إِلَى ﴿ الشَّاكِرِينَ ﴾ (١) فوالله ، لَكأَنَّ النَّاسَ لم يَكُونُوا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ أَنزَلَ الآيةَ حَتَّى تَلاها أبو بَكْرٍ رضي الله عنه ، فَتَلَقَّاهَا مِنْهُ النَّاسُ ، فَمَا بَشَرٌ إلا يَتْلُوهَا .

٧٨١ ـ * روى الحاكم عن عمرَ بنِ الخطَّابِ ، قالَ : لَمَّا تَلاهَا أبو بَكْرٍ عُقِرتُ حتَّى خَرَرْتُ إلى الأرضِ ، وَأَيْقَنْتُ أنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم قَدْ مَاتَ .

٧٨٢ ـ * روى البخاري عن عائشةَ رضي الله عنها قالت : إنَّ رسولَ الله ﷺ مَات ، وأبو بكرٍ بِالسُّنحِ قال إسماعيل : ـ تعني بالعَالِيةِ ـ فقام عمرُ يقول : والله مَا مَات رسولُ الله ﷺ ، قالت : وقال عمر : والله مَاكانَ يَقَعُ في نَفسي إلا ذاك ، ولَيَبعثَنَّهُ اللهُ فَلَيَقطَعنَّ أيديَ رِجالٍ وَأَرْجُلَهمْ . فَجَاءَ أبو بكرٍ ، فَكَشَفَ عن رسولِ الله ﷺ ، فَقَبَّلَهُ فقال : بِأَبِي أَنْتَ طِبتَ حَياً ومَيِّتاً ، والذي نَفسي بيده : لايُذيقكَ اللهُ الموتَتَيْنِ أبداً ، ثم خرج ، فقال : أيُّها الحالفُ ، على رِسْلِكَ فَلَمَّا تَكلَّمَ أبو بكرٍ جَلَسَ عُمَرُ ، فَحَمِدَ اللهَ أبو بكر وأثنى عليه وقال : ألا مَنْ كانَ يَعبُدُ مُحمَّداً ﷺ فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد اللهِ فَإنَّ الله حَيٌّ لايموتُ ، وقال : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وإِنَّهم مَيِّتُونَ ﴾ (٢) وقال : ﴿ ومَا مُحَمَّدٌ إلا رسولٌ قَدْ خَلَتْ من قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أو قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ على أعقابِكم ومَنْ يَنْقَلِبْ على عَقِبَيْهِ فَلَنْ

---

(١) آل عمران : ١٤٤ .

٧٨١ ـ المستدرك (٢ / ٢٩٥) ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقة . وأقره الذهبي .

لما تلاها : أي آية : ﴿ ومامحمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ..... ﴾ .

عَقِرْتُ : عقر الرجل عَقَراً : بقي مكانه لم يتقدم أو يتأخر ، لفزع أصابه ، كأنه مقطوع الرِّجْل .

٧٨٢ ـ البخاري (٧ / ١٩) ٦٢ ـ كتاب فضائل الصحابة ـ ٥ ـ باب قول النبي ﷺ : « لو كنت متخذاً خليلاً » .

فَنَشَجَ : النَّشِيجُ : تَرَدُّدُ صوت الباكي في صدره من غير انتحاب .

سقيفة : صُفَّة لها سقف والمراد بها هنا المحل الذي يجتمع فيه أهل دائرة ما ، للسهر والسمر والمداولة ، ويسمى أمثاله في بعض البلاد العربية ـ الديوانية ـ .

(٢) الزمر : ٣٠ .

يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وسَيَجزي اللهُ الشاكِرِينَ ﴾ (١) .

قال : فَنَشَجَ الناسُ يَبكُونَ . قال : واجتَمَعَتِ الأَنْصارُ إلى سعد بن عُبادةَ في سَقيفَةِ بني سَاعِدَةَ ، فقالوا : مِنَّا أميرٌ ، ومِنكم أميرٌ ، فَذَهبَ إليهم أبو بكر وعمرُ بنُ الخطاب وأبو عُبَيْدَةَ ابنُ الجَرَّاحِ ، فذهبَ عمرُ يتكلَّمُ ، فَأَسْكَتَهُ أبو بكرٍ ، وكان عمر يقول : مَا أردتُ بذلك إلا أنِّي قد هَيَّأتُ كلاماً قد أعجبَني ، خَشيتُ أنْ لا يَبْلغَهُ أبو بكر ثُمَّ تَكَلَّمَ أبو بكر ، فتَكلَّمَ أَبلَغَ الناس ، فقالَ في كلامِه : نَحْنُ الأُمَرَاءُ ، وأَنْتُم الْوُزَرَاءُ ، فقال حُبَابُ بن الْمُنذِرِ ، لا واللهِ ، لانَفعَلُ ، مِنَّا أميرٌ ، ومنكم أمير ، فقال أبو بكر : لا ، ولٰكنَّا الأُمَرَاءُ وأنتم الوُزراءُ هُمْ أَوسَطُ العربِ داراً ، وأعزُّهُم أحساباً - فبايِعُوا عُمَرَ ، أو أبا عُبيدَةَ ، فقال عمرُ : بل نُبايعُكَ أنتَ ، فَأَنتَ سَيِّدُنَا وخَيْرُنَا ، وأحَبُّنا إلى رسولِ الله ﷺ ، فَأخذَ عمرُ بيدِهِ فبايَعَهُ ، وبايَعهُ النَّاسُ ، فقال قائلٌ : قَتلْتُمْ سعدَ بن عُبَادَةَ ، فقال عمر : قَتَلَهُ الله .

٧٨٣ - * روى البخاري ومسلم عن عَائِشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ : تُوفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وما في بيتي من شيءٍ يَأْكُلُه ذُو كَبِدٍ ، إلا شَطْرَ شَعِيرٍ في رَفٍّ لي ، فَأَكَلْتُ مِنْهُ ، حَتَّى طَالَ عَليَّ فَكِلْتُهُ ، فَفَنِيَ .

وَفِي رِوَايَةِ التِّرمِذي (٢) ، قَالَتْ : تُوفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَعِنْدَنَا شَطْرٌ مِنْ شعيرٍ ،

---

(١) آل عمران : ١٤٤ .

قتلتم سعد بن عبادة : أي بالازدحام على البيعة وطئتم سعد بن عبادة رضي الله عنه وكان مريضاً أُتِيَ به في فراشه حتى كدتم تقتلونه .

قتله الله : يعني عمر رضي الله عنه الدعاءَ عليه ، لأن سعداً يريد بطلبه الخلافة تفريق كلمة المسلمين الذين لا يجتمعون إلا على رجل من قريش فهو مخطئ خطأً عظيماً في رأيه ، يستحق معه الدعاء عليه .

قال العيني : ليس المراد من قول عمر : اقتلوه حقيقة القتل بل المراد الإعراض عنه وخذلانه ، وهو دعاء عليه لعدم نصرته للحق ومخالفته للجماعة ، لأنه تخلف عن البيعة وخرج من المدينة ولم ينصرف إليها إلى أن مات بالشام .

٧٨٣ - البخاري (٦ / ٢٠٩) ٥٧ - كتاب فرض الخمس - ٣ - باب نفقة نساء النبي ﷺ بعد وفاته .

ومسلم (٤ / ٢٢٨٣) ٥٣ - كتاب الزهد والرقائق - حديث ٢٧ .

شطر شعير : قال في الفتح : الشطر البعض ويطلق على النصف ويقال : أرادت نصف وسق ، وفسره بعضهم شيئاً من شعير .

(٢) الترمذي (٤ / ٦٤٣) ٣٨ - كتاب صفة القيامة - ٣١ - باب حدثنا هنَّاد . قال : هذا حديث صحيح .

فَأَكَلْنَا مِنْهُ مَا شَاءَ اللهُ ، ثُمَّ قُلتُ للجَارِيَةِ : كِلِيهِ فكالته فَلَمْ يَلْبَثْ أن فَنِيَ ، قالت : فَلَوْ كُنَّا تَرَكْنَاهُ لأَكَلْنا مِنْهُ أَكْثَرَ مِنْ ذٰلِكَ .

٧٨٤ ـ * روى الحاكم عن أبي بُرْدَةَ قالَ : أَخْرَجَتْ إِلَيْنَا عَائِشَةُ كِسَاءً مُبَلَّدًا وَإِزَارًا غَلِيظاً ، فَقَالَتْ : قُبِضَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم فِي هٰذَيْنِ .

٧٨٥ ـ * روى أبو داود عن عائشة رضي الله عنها قالت : لما أرادوا غَسل النبي ﷺ ، قالوا : والله لا ندري ، أَنُجَرِّدُ رسولَ الله ﷺ من ثيابه ، كما نُجَرِّدُ مَوْتانا ، أم نَغسله وعليه ثيابه ؟ فلما اختلفوا ألقى الله تبارك وتعالى عليهم النَّوْمَ ، حتى ما منهم رَجُلٌ إلا وذَقنه في صدرِهِ ، ثم كلَّمهم مُكَلِّم من ناحية البيت ـ لا يَدْرُون مَن هو ـ : أن اغْسِلوا النبي ﷺ وعليه ثيابُهُ ، فقاموا إلى رسولِ الله ﷺ ، فغسلوه وعليه قميصُه ، يَصبُّون الماءَ فوقَ القميص ، ويَدْلُكُونه بالقميص دون أيديهم ، وكانت عائشة تقول : لو استقبلتُ مِنْ أمري ما استدبرتُ ما غَسلَهُ إلا نِساؤُه .

٧٨٦ ـ * روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها أنَّ رسولَ الله ﷺ كُفِّنَ في ثلاثةِ أثوابٍ بيضٍ سَحُولِيَّةٍ من كُرْسُفٍ ، ليس فيها قميصٌ ولاعِمامةٌ .

وفي رواية [1] : قالت : أُدْرِجَ رسولُ الله ﷺ في حُلَّة يَمنيَّة ، كانت لعبدِ اللهِ بن أبي بكر ، ثم نُزِعَتْ عنه ، وكُفِّن في ثلاثة أثواب سَحُولٍ يمانيَّة ليس فيها عِمامةٌ ، ولاقميصٌ ، فرفع عبدُ اللهِ الحُلَّة ، فقال : أُكَفَّنُ فيها ، ثم قال : لم يكفَّنْ فيها رسولُ الله ﷺ ، وأُكفَّنُ فيها ، قال : فتصدَّق بها .

وفي أخرى نحوه [2] ، وزاد : أما الحُلَّةُ ، فإنما شُبِّه على الناس فيها ، إنها اشتُرِيَتْ ليُكفَّنَ

---

٧٨٤ ـ المستدرك (٢ / ٦٠٨) ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . وأقره الذهبي .

٧٨٥ ـ أبو داود (٣ / ١٩٦) ، كتاب الجنائز ، باب في ستر الميت عند غسله . وإسناده صحيح .

٧٨٦ ـ البخاري (٣ / ١٣٥) ٢٣ ـ كتاب الجنائز ـ ١٨ ـ باب الثياب البيض للكفن .

ومسلم مطوّلاً واللفظ له (٢ / ٦٤٩) ١١ ـ كتاب الجنائز ـ ١٣ ـ باب في كفن الميت .

سَحُوليّة : سَحول : قرية باليمن تنسب إليها الثياب .   الكُرسف : القطن .

(١) مسلم (٢ / ٦٥٠) ١١ ـ كتاب الجنائز ـ ١٣ ـ باب في كفن الميت .

(٢) مسلم في نفس الموضع السابق .

فيها ، فتُركَتِ الحلَّةُ ، وكفِّنَ في ثلاثة أثواب بيضٍ سَحوليةٍ فأخذها عبدُ الله بنُ أبي بكر ، فقال : لأحبسَنَّها حتى أُكَفِّنَ فيها نفسي ، ثم قال : لو رَضِيَها اللهُ عزَّ وجلَّ لنبيِّه ﷺ لكفَّنَه فيها ، فباعها وتصدَّق بثمنها .

وفي أخرى لهما (١) : أنَّ رسولَ الله ﷺ - حين تُوُفِّي - سُجِّي ببُردٍ حِبَرةٍ .

وفي رواية الترمذي (٢) : فذكروا لعائشة قولهم ، في ثوبين وبُرْدٍ حِبَرة ، فقالت : قد أُتِي بالبُرْد ولكنَّهم ردُّوه ، ولم يكفِّنوه فيه .

٧٨٧ - * روى أبو داود عن عامر بن شَراحيل الشَّعْبيِّ رحمه الله قال : غسَّلَ رسولَ اللهِ ﷺ عليٌّ ، والفضلُ ، وأسامةُ بن زيد ، وهم أدخلوه في قبره ، قال : وحدَّثني مُرَحَّبٌ - أو ابنُ أبي مُرَحَّبٍ - أنهم أدْخلوا عبدَ الرحمن بنَ عَوف ، فلما فرغ عليٌّ ، قال : إنما يلي الرجلَ أهلُه .

وفي رواية عن الشعبي عن أبي مُرَحَّبٍ (٣) : أنَّ عبدَ الرحمن بنَ عَوْفٍ نزل في قبر النبيِّ ﷺ ، قال : كأني أنظرُ إليهم أربعة .

وفي رواية ذكرها رَزينٌ قال : غَسَّلَ رسولَ الله ﷺ عليٌّ ، والفضلُ ومعهما العباسُ ، وأسامةُ بنُ زيدٍ ، وهم أدخلوه قبرَه ، وكان معهم في الغُسْلِ ابنُ عوف ورجلٌ من الأنصار ، فلما فرغوا قال عليٌّ : إنما يلي الرجُلَ أهلُه ، قال عبدُ الرحمنِ : كأنِّي أنظرُ إلى الذينَ نَزَلوا في قبر رسولِ الله ﷺ أربعةً ، أحدُهم : أنصاريٌّ .

٧٨٨ - * وروى مالكٌ رحمه الله أنه بلغه : أنَّ رسولَ الله ﷺ تُوفِّيَ يومَ

---

(١) البخاري (١٠ / ٢٦٧) ٧٧ - كتاب اللباس - ١٨ - باب البرود والحبر والشملة .

ومسلم نحوه (٢ / ٦٥١) ١١ - كتاب الجنائز - ١٤ - باب تسجية الميت .

(٢) الترمذي (٣ / ٣١٢) ٨ - كتاب الجنائز - ٢٠ - باب ماجاء في كفن النبي ﷺ ، وقال : هذا حديث حسن صحيح .

٧٨٧ - أبو داود (٣ / ٢١٣) ، كتاب الجنائز ، باب كم يدخل القبر .

(٣) أبو داود (٣ / ٢١٣) ، كتاب الجنائز ، باب كم يدخل القبر . وهو مرسل صحيح .

٧٨٨ - مالك في الموطأ (١ / ٢٣١) ١٦ - كتاب الجنائز - ١٠ - باب ماجاء في دفن الميت . وهو صحيح لغيره .

قال ابن عبد البرّ : لاأعلمه يُروى على هذا النسق بوجه من الوجوه غير بلاغ مالك هذا ، ولكنه صحيح من وجوه مختلفة وأحاديث شتى .

=

الاثنين ، ودُفنَ يوم الثَّلاثاءِ ، وصلَّى الناسُ عليه أفذاذاً ، لايؤُمُّهم أحدٌ . فقال ناس : يُدْفَن عندَ المنبرِ ، وقال آخرونَ : بالبقيعِ ، فجاءَ أبو بكر الصديق ، فقال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ : يقول : « ما دُفِن نبيٌّ قَطُّ إلا في مكانِه الذي تُوفِّيَ فيه » فَحُفِر له فيه . فلما كان عندَ غُسلِه أرادوا نزعَ قميصِه ، فسمعُوا صوتاً يقول : لاتَنْزِعوا القميصَ ، فلم يُنْزَع القميصُ ، وغُسِّلَ وهو عليه ﷺ .

٧٨٩ ـ * روى الترمذي عن عائشة وابن عباس رضي الله عنهما قالا : لَمَّا قُبِضَ رسول الله وغُسِّلَ ، اختلفوا في دفنه ، فقال أبو بكر : سمعتُ من رسول الله ﷺ شيئاً ما نسيته قال : « ما قَبَضَ الله نبيًّا إلا في الموضع الذي يُحِبُّ أن يُدفَن فيه » ادفنوه في موضِع فراشِهِ .

٧٩٠ ـ * روى مالك عن عروة بن الزبير قال : كان بالمدينة رجلان : أحدُهما يَلْحَدُ ، والآخر يَشُقُّ ، فقالوا : أيُّهما جاء أولَ عَمِل عَمَلَهُ ، فجاء الذي يَلْحَدُ ، فَلَحَدَ له .

٧٩١ ـ * روى مسلم عن سعد بن أبي وَقاص رضي الله عنه قال في مرضه الذي هلَك فيه : الْحَدُوا لي لَحْداً ، وانْصُبُوا عليَّ اللَّبِنَ نَصْبا ، كما صُنِعَ برسول الله ﷺ .

٧٩٢ ـ * روى الترمذي والنسائي عن عبدِ اللهِ بن عباسٍ رضي الله عنهما قال : جُعِلَ تحتَ رسولِ الله ﷺ حين دُفِنَ قطيفةٌ حمراء .

= أفذاذاً : الأفذاذ : جمع فَذٍّ ، وهو المنفرد .

٧٨٩ ـ الترمذي (٣ / ٣٢٩) ٨ ـ كتاب الجنائز ـ ٣٣ ـ باب حدثنا أبو كريب .وهو حديث حسن لغيره .

٧٩٠ ـ مالك في الموطأ (١ / ٢٣١) ١٦ ـ كتاب الجنائز ـ ١٠ ـ باب ماجاء في دفن الميت . وإسناده صحيح ، ولكنه مرسل . وابن ماجه نحوه موصولاً عن أنس بن مالك (١ / ٤٩٦) ٦ ـ كتاب الجنائز ـ ٤٠ ـ باب ماجاء في الشق .
قال المعلق على ابن ماجه : في الزوائد : في إسناده مبارك بن فضالة ، وثَّقه الجمهور ، وصرّح بالتحديث ، فزال تهمة تدليسه وباقي رجال الإسناد ثقات ، فالإسناد صحيح .

٧٩١ ـ مسلم (٢ / ٦٦٥) ١١ ـ كتاب الجنائز ـ ٢٩ ـ باب في اللحد ونصب اللبن على الميت .

٧٩٢ ـ الترمذي (٣ / ٣٥٦) ٨ ـ كتاب الجنائز ـ ٥٥ ـ باب ماجاء في الثوب الواحد يُلْقى تحت الميت في القبر .
وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وقد رُوي عن ابن عباس كراهة ذلك .
والنسائي واللفظ له (٤ / ٨١) ، كتاب الجنائز ، باب وضع الثوب في اللحد .

٧٩٣ - * روى البخاري عن أبي بكر بن عَيَّاش عن سفيان التمار: أنه حدَّثه أنه رأى قبر رسولِ الله ﷺ مُسَنَّماً .

٧٩٤ - * روى الحاكم عن عُروَةَ أنَّ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ صُلِّيَ عَلَيْهِ في المَسْجِدِ ، ودُفِنَ لَيْلاً إلى جَنْبِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم في حُجْرَةِ عائشةَ رَضِيَ اللهُ عنها .

٧٩٥ - * روى الحاكم عن عَلي رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ : غَسَّلْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلّم ، فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ مَا يَكُونُ مِنَ المَيِّتِ ، فَلَمْ أَرَ شَيْئاً ، وَكَانَ طَيِّباً حَيًّا ومَيْتاً صلى الله عليه وآله وسلم .

٧٩٦ - * روى الدارمي عن سعيد بن عبْدِ العَزيز قَالَ : لَمَّا كَانَ أَيَّامُ الحَرَّةِ لَمْ يُؤَذَّنْ في مَسْجدِ النَّبيِّ ﷺ ثَلاثاً وَلَمْ يُقَمْ . وَلَم يَبْرَحْ سَعِيدُ بنُ المسيَّبِ مِنَ المسْجِدِ . وَكَانَ لاَ يَعْرِفُ وَقْتَ الصَّلاةِ إلا بِهَمْهَمَةٍ يَسْمَعُهَا مِنْ قَبرِ النبيِّ ﷺ ، فَذَكَرَ مَعْنَاهُ .

* * *

---

٧٩٣ - البخاري (٣ / ٢٥٥) ٢٣ - كتاب الجنائز - ٦٩ - باب ماجاء في قبر النبي ﷺ وأبي بكر وعمر ، رضي الله عنهما .

مُسَنَّماً : تسنيم القبر ضد تسطيحه ، والسَّنم : المرتفع ، وكل شيء علا شيئاً فقد تَسَنَّمه ، ومنه سنام الجمل .

٧٩٤ - المستدرك (٣ / ٦٥) . وصححه الذهبي .

٧٩٥ - المستدرك (٣ / ٥٩) ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . وأقره الذهبي .

٧٩٦ - الدارمي (١ / ٤٤) ، في المقدمة ، باب ماأكرم الله تعالى نبيه ﷺ بعد موته . وسنده صحيح .

يوم الحَرَّة : هو اليوم الذي استبيحت فيه المدينة المنورة زمن يزيد بن أبي سفيان .

همهمة : ترديد الصوت في الصدر .

نظرة عامّة على أحداث السنتين العاشرة والحادية عشرة

١ ـ وصلت الأمّة في هاتين السنتين إلى مرحلة النضج وكان ذلك يقتضي لمسات أخيرة ، وكانت من علامة النضج أن ترك رسول الله ﷺ للأمّة بعده أن تسير من خلال شوراها ، ومن أهمّ اللمسات التي احتاجتها مرحلة الإنضاج إشارته إلى الرجل المؤهّل بعده ، وإزالة كلّ ما يمكن أن يستند إليه المغرضون ، وإيجاد التطلع نحو العمل الخارجي من خلال بعث أسامة .

٢ ـ وسّع عليه الصلاة والسلام في هاتين السنتين دائرة التلقّي المباشر منه من خلال استقباله الوفود ومن خلال رحلة الحج ، فأوجد قاعدة عريضة تحمل دعوته وقد تلقّت عنه مباشرة ، وكان لذلك أكبر الأثر في أن تبقى رحى الإسلام دائرة وإلى الأبد .

٣ ـ عندما تنجح الدعوات الصادقة يتوضّع على هامشها دعوات كاذبة ، ولقد بدأت دعاوى النبوّة تظهر في أخريات حياته عليه الصلاة والسلام ، فظهر مسيلمة الكذّاب في اليمامة ، والأسود العنسي في اليمن في السنة العاشرة ، وقد أهمّ ذلك رسول الله ﷺ ، ومن قبل كان رسول الله ﷺ يركّز على اليمن ، ولذلك فقد كفاه أهل اليمن في النهاية هذا الخبيث أمّا الخبيث الآخر فجاءته جند الله بعد وفاته عليه الصلاة والسلام وأنهته ، وهناك متنبّآن آخران طليحة الأسدي وسَجَاح ، وكلاهما مات على الإسلام بعد ذلك ، ولكن بعد أن استطاع الجيل الذي ربّاه رسول الله ﷺ أن يقهر الردّة وأهلها .

٤ ـ وبقدر ماأعطى رسول الله ﷺ للإسلام حيويّة في القلوب بفضل الله ، فقد كان هناك تيّار معاكس ـ هو تيار الردة ـ ينتظر الفرصة للظهور . وما أن تُوفي رسول الله ﷺ حتّى ظهر هذا التيّار على أشدّه ، جامعا كلّ أولئكم الذين لم يدخل الإسلام إلى قلوبهم والذين قطعت هيبة رسول الله ﷺ نياط قلوبهم ، فأسلموا لأنّه لم يكن أمامهم إلا أن يسلموا . فبدأ صراع جديد بين التيّارين ، تيّار الإيمان الصادق وتيّار الجهل الماحق ، وتغلّب تيّار الإيمان . وهذا وحده كاف للدلالة على أنّ قوّة التأسيس كانت أكبر من كلّ قوّة أخرى ، وذلك توفيق الله أوّلا وأخيرا ، وفيه يظهر ماأكرم الله به رسوله ﷺ من خيرات وبركات .

٥ ـ في غزوات بدر وأحد والخندق وخيبر والفتح وحنين أنهى رسول الله ﷺ كل تخوّف عند أصحابه ضدّ الجاهليّة العربيّة أو ضدّ أي وجود على الأرض العربيّة . وفي غزوة تبوك أوجد عليه الصلاة والسلام الجرأة عند أصحابه على اقتحام غمرات الصراع مع الدول الكبرى فكان أن حمل الراية الأصحاب بعده فأنهوا الردّة بسرعة ، ودخلوا في صراع مباشر ضدّ الدولتين العظميين وقتذاك فارس والروم .

٦ ـ ولم يتوفّ رسول الله ﷺ إلا وقد أوجد سوابق حركيّة في كلّ جانب من الجوانب التي تتطلبها الحركة الإسلاميّة :
دعويّاً ، وتربويّاً ، وثقافيّاً ، وتعليميّاً ، وجهاديّاً . لقد كانت السوابق على منتهى الجلال ، فسجّلت أرفع التضحيات وأعلى أنواع القدوة ، ولذلك كانت الحركة عند الجيل الذي ربّاه رسول الله ﷺ في أعصابه ودمه ، ولذلك ذاب جيل الصحابة في هذا العالم وأعطى هذا الإسلام دفعة الحياة إلى قيام الساعة ، لقد جدّد جيل الصحابة عمليّة السيطرة على الجزيرة العربيّة ثمّ انساح في البلاد انسياحاً حقق غرضين بآن واحد :

لم يعط فرصة للثأر الجاهلي أن يظهر ، ولم يعط فرصة لخصم خارجي أن يتدبّر أمره .

ومع هذا وهذا كانت حركة الصهر تستمر للعناصر الإسلامية الجديدة من خلال حركيّة الدعوة والقدوة والتعليم والجهاد ، وكانت العمليّة من الضخامة بحيث أفلت منها بعض الأمور التي كانت عاملا من عوامل الفتنة الكبرى ولكن يشفع لذلك عظم التوجّه وضخامة الإنجاز . كانت العيون متوجّهة كلّها نحو معركة الإسلام ، فَأُتِيَ الصف من داخله ، ولكنّ حيويّة الانطلاق كانت أكبر من كل شيء فلم تعصف الفتنة بالإسلام ولكن أخّرت مسيرته .

٧ ـ إنّ حدوث الردّة على هذه الضخامة بعده ، ثمّ ضخامة الفتنة بعد ذلك في زمن عثمان رضي الله عنه دليلان على تفرّد قيادته عليه الصلاة والسلام ، فالردّة بعد وفاته تشير إلى أنّ هيبته عليه الصلاة والسلام استحوذت على القلوب فأمسكتها ، والفتنة بعده تشير إلى أنّ سياسته عليه الصلاة والسلام هي أرقى السياسات ، فمهما كانت عظمة السائسين بعده فالأمر ليس كما كان في زمنه عليه الصلاة والسلام ، ثمّ انتقلت الخلافة الراشدة بعده إلى ملك

عضوض ومع ذلك بقي المسرى العام محفوظاً .

٨ ـ انظر ماذا حدث أثناء نبوّته ، وماذا فتح الله على يد المسلمين بعده إلى يومنا هـذا ، دعويّاً وسياسيّاً وعسكريّاً واقتصادياً واجتماعيّاً وإداريّاً وتشريعيّاً وغير ذلـك ، نجـد شيئـاً هـائـلا تعرف من خـلالـه أنّ الأمر ربّـاني ، وتعرف أنّـه ليس كرسـول الله ﷺ في مجمـوع ماأعطاه الله عز وجل .

إنّ القيادة الناجحة هي التي تعرف أهدافها فتسير نحو تحقيق الأهـداف سيراً متلاحقـاً متكامـلاً وتصـل إلى الهـدف ، وإذا كانت الأهـداف بعيـدة فهي تستطيـع أن تعطي الرايـة لغيرها ليستمرّوا بها . وهذا يقتضي في الإطار الأضيق : تخطيطاً وتـدريبـاً ومتـابعـة وتنفيـذاً ودفعا نحو الأمام . فإذا ماكان الهدف مادياً كان لذلك وسائله ، فـإذا كان الهـدف يحتـاج إلى تربية فالأمر أوسع ، فإذا كان الهدف يشمل الدنيا والآخرة فالأمل أكبر من ذلك بكثير .

حاول أن تتـذكّر ملامح التخطيـط في حيـاة رسول الله ﷺ ، ثمّ ملامح التـدريب ، ثمّ ملامح المتابعة ، ثمّ ملامح التنفيذ ، ثمّ ملامح الدفع نحو الأمام .

ثمّ انظر إلى الجـانب التعليمي والتربوي .ثمّ انظر إلى مـا يعتبره النـاس انتصـارا سيـاسيّـاً مجرّدا ثمّ انتصارا عسكريّاً مجردا ثمّ وثمّ . . .

وانظر قوة البناء وكثرة المتمردين عليه والمتربّصين به ، وكيف استعصى هـذا البنـاء عليهم واعرف لجيل البناة فضلهم ، وإنـا بعـد البـابين الرابع والخـامس سنتحـدث عن جيـل البنـاة الذين رباهم رسول الله ﷺ وذلك في الباب الذي نتحدث فيـه عن دوائر شرف حول الرسول ﷺ .

* * *

الفهرس

الموضوع | الصفحة

رقم الايداع : ٢٨٧٢ / ٨٩

الترقيم الدولى : ٤ - ٢٤ - ١٤٧١ - ٩٧٧

Dar Al Salam

PRINTING PUBLICATION & DISTRIBUTION

[illegible]

[illegible]

